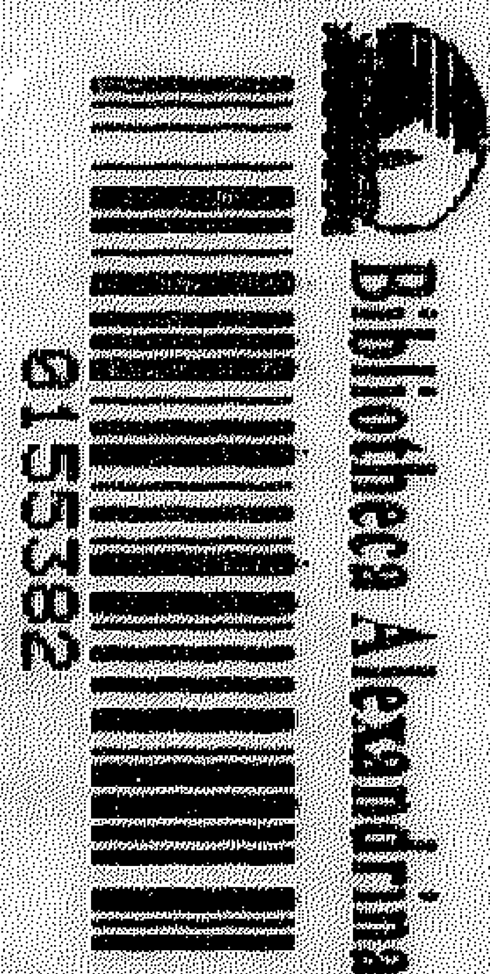
الأب لويس شيخو

النصرانية وآدابها

بين عرب الجاهلية



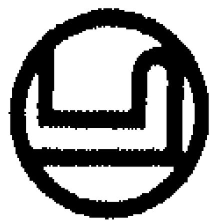
منشورات دار المشرق
بيروت

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للأب لويس شيخو اليسوعي

مع فهارس بالمواد والمؤلّفين وأعلام الرجال والنّساء
وأسماء القبائل والأديان والبلدان والأمكنة والمفردات اللغويّة

طبعة ثانية



دار المشرق ش.م.م

منشورات دار المشرق ش.م.م
ص.ب. ٩٤٦ ، بيروت – لبنان
ISBN 2-7214-5975-9

توزيع المكتبة الشرقية
ص.ب. ١٩٨٦ ، بيروت – لبنان

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

القسم الأول

في تاريخ النصرانيّة وقبائلها في عهد الجاهليّة



القسم الثاني

في الآداب النصرانيّة في عهد الجاهليّة

صدر أخيرًا للأب لويس شيخو

* في منشورات دار المشرق

– «مجاني الأدب في حدائق العرب»، ستة أجزاء،
الطبعة الثانية والعشرون، ١٩٨٣.
– «شعراء النصرانيّة قبل الإسلام»، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢.
– «شعراء النصرانيّة بعد الإسلام»، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢.
– «كليلة ودمنة»، الطبعة الثانية عشرة، ١٩٨٤.
– «الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر وفي الربع الأوّل من القرن العشرين»، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩.

* في سلسلة «التراث العربيّ المسيحيّ»

– «علماء النصرانيّة في الإسلام»، حقّقه وزاد عليه وقدّم له الأب كميل حشيمه اليسوعيّ، جونيه – روما، ١٩٨٣.
– «وزراء النصرانيّة في الإسلام»، حقّقه وزاد عليه وقدّم له الأب كميل حشيمه اليسوعيّ، جونيه – روما، ١٩٨٧.

دراسات عن الأب لويس شيخو

* في منشورات دار المشرق

– الأب كميل حشيمه اليسوعيّ: لويس شيخو وكتابه «النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهلية» – دراسة نقدية – (بالفرنسية)، سلسلة «بحوث ودراسات»، بيروت، ١٩٦٧.
– الأب كميل حشيمه اليسوعيّ: «الأب لويس شيخو، ما كتَبه وما كُتِب عنه»، سلسلة «بحوث ودراسات»، بيروت، ١٩٧٩.

مقدمة الناشر

قضى الأب لويس شيخو اليسوعيّ سحابةَ عمره (١٨٥٩ – ١٩٢٧) يسعى جاهدًا بعِلمه وعمله ، وقوله وقلمه ، ليبرز أهميّة الدور الذي قام به المسيحيّون في بلاد العرب على جميع الصُعُد ، ولم يترك وجهًا من وجوه الحضارة العربيّة إلاّ تلمّسه ، متقفيًا آثار المسيحيّة فيه ومساهمتها في سطوع بهائه. ولقد خلّف ، بعد سنين طويلة من العطاء الثرّ ، بضعة عشر مصنّفًا ضخمًا وما يربو على ألفي مقالة تمحورت جميعها من بعيد او قريب حول هدفه المنشود ، فعالجت سائر شؤون العرب من لغة وأدب وتأريخ وسياسة وفلسفة وأديان وعلوم على أنواعها. إلاّ أنّ واسطة هذا العِقد الفريد من المؤلّفات كان ، ولا شكّ ، كتابه الشهير الموسوم بـ «النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة».

صدر هذا السفر الموسوعيّ على دفعات ، وهو عصارة جهود استمرّت نحو أربعين سنة ، فظهر أوّل أمره مقالاتٍ متتاليةً في مجلّة «المشرق» بدءًا من عام ١٩١٠ ، ثمّ جُمعت تلك الأبحاث وطبعت قسمًا أوّلاً سنة ١٩١٢ ، قسمًا آخر صَدر أوّلُ جزئيه بُعَيد الحرب الكونيّة الأُولى عام ١٩١٩ ، وثانيهما سنة ١٩٢٣ مزوّدًا بفهارس ضافية وجداول مفصّلة لموادّ الكتاب ، وأعلام الرجال والنساء ، والقبائل ، والبلدان والأمكنة ، والمفردات اللغويّة ، وأديان العرب ، وأخصّ الكتب الطبيعيّة والخطّيّة المعتمد عليها من عربيّة وأوروبيّة. وقد أودَع شيخو كتابَه مجموعةً نادرةً من الوثائق تحرّاها في بطون عشرات المطبوعات والمخطوطات ممّا لا يَهتدي إليه إلاّ كبار الباحثين والمنقّبين: فلجأ الى تواريخ اليونانيّين واللاتينيّين والسريان والعرب ، واستعان بسائر ما ورد في الكتب المقدّسة العبريّة والمسيحيّة والإسلاميّة ، ومحّص أقوال الشعراء والأمثالَ السائرة ، وحلّل معاني الأسماء

والمفردات ، واستند إلى آخر ما أبرزته إلى النور علوم الآثار والمسكوكات ، فضلاً عمّا ساد من عوائد القبائل وأعرافها. وخلّص من كلّ ذلك إلى القول بأهميّة الوجود المسيحيّ وأثره في الجزيرة العربيّة مِن جنوبها اليمنيّ إلى شمالها حتّى ديار بكر ، ومِن غربها في ربوع غسّان إلى أقصى شرقها حتّى حدود فارس.

ولئن ذهبت الحماسة بشيخو إلى المغالاة في بعض نواحي بحثه ، وعلى وجه التحديد في أواخر مصنّفه حين أضفى صفة النصرانيّة على عدد من الشعراء دون الإثبات الجازم اللازم ، فإنّه على الرغم من الهنات تلك ، قد أسدى الى التاريخ خدمةً جلّى إذ سلّط الأضواء على ظاهرةٍ طالما أُهمِلتْ قبله وبعده ، وهي مساهمة المسيحيّين الفعّالة في تشييد صروح الحضارة العربيّة منذ بداياتها.

وعليه ، فإنّ « دار المشرق » لَسعيدة بإعادة طبع كتاب « النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة » لنفاده منذ أمد بعيد ، ولوفرةٍ في موادّه ومستنداته فريدة من نوعها لم يسبقه إليها أحد ، ولم يُؤتَ حتّى الآن بما يتجاوزها جِدّةً ، ممّا يجعله أداة بحث وتثقيف تفتخر بها الآداب العربيّة وتباهي.

النصرانيّة وآدابها
مقدّمة المؤلّف
عرب الجاهلية

لمّا باشرنا قبل عشرين سنة بنشر تأليفنا الموسوم بشعراء النصرانيّة كان قصدنا ان نقدّم عليهِ فصلًا موسّعًا في النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة. لكنّ الانسان في التفكير والله في التدبير فاضطرّتنا الاحوال قبل نجاز الكتاب الى السفر الى البلاد الاجنبيَّة حيث قضينا خمس سنين منقطعين الى دروس اخرى شغلتنا عن الشرق وعن العلوم الشرقيّة ولمَّا انكفأنا راجعين الى الوطن انثالت علينا الاشغال من كل وجه حتى انصرف فكرنا الى همّ كل يوم بيومهِ وتسويف الوعد الى أجل غير مسمّى

على أنّنا لم ننسَ تمامًا وعدنا بل كنّا في زيارتنا للمكاتب العموميَّة في اوربَّة وأبان دروسنا الخصوصيَّة ندوّن ما يحضرنا من ذلك ونعدّ المواد لهذا البناء املًا بتشييدهِ قريبًا لا بل كنّا اذا ما سنحت الفرصة نسلف القرّاء من تعليقاتنا قطعًا تجدها في بعض مقالاتنا في المشرق كنصرانيَّة غسّان (١ : ٥١٩ و ٥٥٤) ودين امرئ القيس الشاعر الجاهلي (٨ : ٨٨٦ و ٩٤٩) وغير ذلك ممّا جعلناهُ كتمهيد لمقال اطول

وزد على ذلك انّ التشديد الزائد في مراقبة المطبوعات كان يمنعنا عن ايضاح افكارنا كما كنّا نودّ فكان الامر يخمد همّتنا ويثبّط عزمنا

فاليوم والحمد لله قد توفّر الطريق وتسهّلت الامور فيجوز لنا ان نستوفي هذا البحث على قدر الامكان. ولنا على كتابهِ وسائل جديدة في ما سطّرهُ اصحاب الرحل الحديثة الى بلاد العرب وما نقلوهُ عن الآثار القديمة كالكتابات الحميريّة والنبطيَّة والصفويّة واليونانيّة وكالتصاوير والتماثيل التي وُجدت في اطراف جزيرة العرب مع ما نُشر في هذه السنين الاخيرة من التآليف المفقودة في السريانيّة واليونانيّة والعربيّة وما كتبهُ المستشرقون في هذه الاكتشافات فراجعنا كل ذلك لنقتبس منهُ انوارًا نستضيء بها في بُنيّات طريقنا

على انّ البحث في النصرانيّة وآدابها يقتضي نظرًا سابقًا في جزيرة العرب واقسامها

واهلها يليهِ بحث ملخَّص في اديان العرب القدماء قبل ظهور الدين النصراني وانتشارهِ في احياء العرب

١ جزيرة العرب : موقعها واقسامها واهلها

خصَّ الله جزيرة العرب بموقع عجيب كان سبب غناها وجعل لها حصنًا طبيعيًا يصونها من سيطرة الامم الفاتحة بما بسط فيها من المفاوز والصحارى القحلة . فتراها متوسّطة بين آسية وافريقية ترتفق على سواحل بحر العجم والهند والقازم من ثلث جهات وتزاحم من الشمال الشرقي الى الشمال الغربي بلاد العراق وما بين النهرين والشام ومصر . فكانت مجاورةً لمهد البشر الاوَّل تنظر الى نموّهم وترقّيهم وفتوحاتهم وربَّما كانت وصلةً بينهم ومستودعاً لتجارتها الّا انَّها لم تدعهم يزحفون عليها ليضربوا فيها اطنابهم وان فعلوا على رغم منها كان دخولهم في براريها كسحابة صيف لم تلبث ان تنقشع فيعود اهلها الى استقلالهم

جزيرة العرب مربَّع مستطيل يمتدُّ من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وهو في جنوبهِ اعرض منهُ في الشمال ويبلغ سطحهُ نحو ٦٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع قسمها اليونان ثم الرومان من بعدهم الى ثلاثة اقسام : العربيَّة الصخرية وكانت قاعدتها سلَع (סלע) المسمَّاة بترا (Petra) تمتدُّ خصوصًا في شبه جزيرة سينا . ثم العربية القفرة غير المأهولة اخصّها المفازات الواقعة في اواسط العرب في نجد وتهامة واليامة الى جهات عمان والمهرة . ثم العربيَّة السعيدة وهي اليمن لخصبها

امَّا العرب فلم يعرفوا هذا التقسيم وانما قسموا بلادهم الى عدَّة انحاء اخصّها صحارى نجد في اواسطها يليها الحجاز مشرفًا على البحر الاحمر بينهما تهامة . وفي الجنوب الشرقي اليمن وحضرموت ومهرة في شمالها البحرين وعمان على سواحل بحر الهند وفي شمالها الغربي الجوف واليامة . ثم هجر او الاحساء على سواحل خليج فارس ثم العراق العربي وبوادي الجزيرة الى بادية الشام شرقي دمشق حيث حوران واللجا والصفا والبلقاء وجولان الى بريَّة طور سينا

امَّا سكَّان جزيرة العرب فقد قاموا اليها من الشمال واستوطنوها وكانت زحفات القادمين تتوالى فتدفع القبائلُ الجديدة امامها العشائرَ السابقة الى ان وجد هؤلاء البحر في وجههم وربَّما تجاوزوهُ اذا وجدوا فرصةً تمكّنهم من قطعهِ كما فعلوا في الحبشة

وفي مصر في عهد السُّلالة المعروفة بالرعاة (الهِكْسُس) . وهذه القبائل لم تكن كلّها من اصل واحد فكان بينها قوم من ابناء كوش المنتمين الى كنعان بن حام فسكنوا خصوصاً بعض جهات اليمن. الّا انّ معظمهم ينتسبون الى يقطان او قحطان من ذرّيّة سام. وقد فرق الكتاب الكريم بينهم (مزامير ٧١:١٢) فدعا الاوّلين سبا (סבא) والاخرين شبا (שבא). و يضاف الى الساميين منهم ابناء اسماعيل بن ابراهيم اخصّهم النبطيّون والقيدارنّيون وابنـاء قطورة سرّيّة ابراهيم ومنهم المديَنيّون وكانت سُكنى هؤلاء في بادية الشام وشرقي بحر لوط وفي شبه جزيرة سينا وقسم من الحجاز

٢ اديان العرب قبل النصرانيّة

ليس بحث أغمض من تعريف اديان العرب في الجاهليّة . وان استفتينـا كتبة الاسلام في ذلك وجمعنا كل ما اثبتوهُ في تآليفهم التي نجت من مخاليب الزمان لَما زاد مجموعها على اسطر قليلة. وكان ابن الكلبي ألّف كتاباً في اصنام العرب الّا انّ كتابهُ قد ضاع ولحسن الطالع قد نجا معظمهُ بما نقلهُ عنهُ اصحاب معاجم اللغـة وياقوت في معجم البلدان. وكذلك روى الحاج خليفة في كشف الظنون (٥ : ٤٤) كتاباً آخر في الاصنام للجاحظ وهو ايضاً مفقود وقد جمع بعض المستشرقين كلودلف كراهـل (L. Krehl: *Ueber die Religion der vorislamischen Araber*) والعلّامة ڤلهوسن (Wellhausen: *Reste arabischen Heidentums*) ما عثروا علـيهِ من ذلك، على انّ هذه المنقولات لا تشفي غليلًا وكثيرًا ما تجدها مضطربة متناقضـة فلا تعرف الغثّ بينها من السمين. ولعلّ اوسع ما جاء في ذلك ما كتبـهُ الشهرستاني في الملل والنحل واحمد بن واضح المعروف باليعقوبيّ وهذا نصّهُ (طبعة ليدن ج ١ ص ٢٩٤-٢٩٦) :

« وكانت اديان العرب مختلفة بالمجاورات لاهل الملل والانتقال الى البلدان والانتجاعـات فكانت قريش وعامّـة ولد معدّ بن عدنان على بعض دين ابراهيم يحجّون البيت ويقيمون المناسك ويقرون الضيف ويعظّمون الاشهر الحرم وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم ويعاقبون على الجرائم فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة وكان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معدّ ثعلبة بن اياد بن نزار بن معدّ . فلمّا خرجت اياد وليت خزاعة حجابة البيت فغيّروا ما كان عليهِ الامر في المناسك حتى كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب ومن جمع بعد ان تطلع الشمس . وخرج عمرو بن لُحَيّ واسمُ لحي ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الى ارض الشـام وبها قوم من العمالقة يعبدون الاصنام فقال لهم : ما هذه الاوثان التي اراكم تعبدون . قالوا :

هذه اصنام نعبدها نستنصرها فتُنصر ونستسقي بها فنُسقى. فقال. ألا تعطوني منها صنماً فاسير بهِ الى ارض العرب عند بيت الله الذي تفد اليهِ العرب. فاعطوهُ صنماً يقال لهُ هُبل فقدم بهِ مكة فوضعهُ عند الكعبة فكان اوَّل صنم وضع بمكَّة ثم وضعوا بهِ إساف ونائلة كل واحد منهما على ركن من اركان البيت. فكان الطائف اذا طاف بدأ باساف فقبّلهُ وختم بهِ ونصبوا على الصفا صنماً يقال لهُ « مجاور الريح » وعلى المَروة صنماً يقال لهُ « مطعم الطير » فكانت العرب اذا حجَّت البيت فرأت تلك الاصنام سألت قريشاً وخزاعة فيقولون: نعبدها لتُقربنا الى الله زُلفَى. فلمَّا رأت العرب ذلك اتَّخذت اصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنماً يصلُّون لهُ تقرُّباً الى الله فيما يقولون. فكان لكلب بن وبرة واحياء قضاعة ودّ منصوباً بدومة الجندل بجرش. وكان لحمير وهمدان نسر منصوباً بصنعاء وكان لكنانة سُواع. وكان لغطفان العُزّى وكان لهند وبجيلة وخثعم ذو الخَلَصة. وكان لطَيء الفُلس منصوباً بالجبس. وكان لربيعة واياد ذو الكَعبات بسنداد من ارض العراق. وكان لثقيف اللات منصوباً بالطائف. وكان للاوس والخزرج مناة منصوباً بقَدَك ممَّا يلي ساحل البحر. وكان لدوس صنم يقال لهُ سعد. وكان لقوم من عُذرة صنم يقال لهُ شمس. وكان للازد صنم يقال لهُ. رئام »

واذا اضفت الى الاصنام المذكورة في هذه النبذة اسماء آلهة اخرى ورد ذكرها في المعاجم وفي بعض التواريخ والشروح كرضا ومناف وجَلسد وسعير والقصير بلغ بك العدّ الى نحو ثلاثين صنماً. واذا بحثت عنها وعن صفاتها وخواصها والامكنة التي شاعت فيها عبادتها وطرائق مناسكها وجدت الكتبة يتباينون ويتناقضون فلا يكاد يعوَّل على كلامهم. ولعلَّ كثيراً من هذه الاصنام لم تُعبَد في جزيرة العرب كودّ وسُواع ويغوث ويعوق ونَسر الذين يقال عنهم انَّهم من آلهة قوم نوح (اطلب سورة نوح ع ٢٢-٢٣). فاين هذا وما زعم ابن اسحاق وابن هشام انَّ في الكعبة كان عدد الاصنام ٣٦٠ على عدد ايَّام السنة

وقد سعى المستشرقون ان يسدُّوا هذا الخلل فاستخرجوا اسماء لاصنام أُخر عربيَّة من اعلام الرجال المسبوقة باسم عبد كعبد الاسد وعبد تيم وعبد الحارث وعبد الدار وعبد عمرو وعبد المدان وعبد المطلب وعبد الملك وزعموا انَّ المضاف الى عبد مدلولهُ صنم من الاصنام. وكذلك الاسماء المسبوقة بامرء كامرئ القيس وامرئ اللات او المختومة باسم ايل كشراحيل وخيليل وشهميل وقسميل. ومنها اعلام عربيَّة وردت في التواريخ اليونانيَّة او الاسفار المقدَّسة او الكتابات النبطيَّة مركَّبة من الفاظ دالَّة على الاله مثل Αραμηλος و Ζαβδιηλ و שלמלה و שמואל وغير ذلك

فهذه الأَعلام وغيرها ايضاً ممَّا يمكن جَمعُها من المعجمات والآثار ولو ثبت انَّها دالَّة

على أصنام العرب ومعبودات القبائل الّا انّها لا تفيدنا فتيلًا لمعرفة خواصّها وسَدَنتها والامكنة والازمنة التي شاعت فيها عبادتها وطرائق اكرامها والمناسك الخاصّة بها. وفي بعض رواياتهم عنها ما لا يقبلهُ العقل السليم ويردّهُ النقد الصحيح كقول مؤرخي العرب عمومًا بانّ اوّل من اتى بالاصنام من بلاد الشام وجعلها في الكعبة انّما هو عمرو ابن لحي رئيس بني خزاعة لمّا طرد بني جرهم منها وتولّى مع قومهِ تدبيرها. فلدينا كما سترى شواهد تبطل هذا القول. ومثلهُ مزاعم أُخرى لا بُدّ ان تُعرض على محكّ الانتقاد فلا تُقبل الّا بالبرهان لانّ مؤرخي العرب لم يدوّنوا رواياتهم الّا بعد الاسلام بزمن طويل فكتبوا ما تناقلتهُ الالسن شفاهًا فتضاربت رواياتهُ واختلفت صورهُ

فهلمّ نروي خلاصة ما ورد عن ديانة العرب في اقدم الآثار الحجريّة او في التواريخ القديمة مستندين في ذلك الى ما كتبهُ اوثق الكتبة مع ما جمعناهُ في مطالعاتنا العديدة. وهذا اخصّ التآليف الحديثة في هذا الصدد:

١ جزيرة العرب قبل محمّد في الآثار للعلّامة ف. برجه — Berger (Ph.) : *L'Arabie avant Mahomet d'après les Inscriptions.*

٢ اديان العرب في الجاهلية لبرغمان — Bergmann : *De Religione Arabum anteislamica.*

٣ العرب في الشام قبل الهجرة للعلامة دوسو — Dussaud (R.) : *Les Arabes avant l'Islam en Syrie.*

٤ سُواع والعُزّى والكتابات اليمنيّة — Glaser (E.) : *Suwâ' und al-'Uzza.*

٥ مقدّمة گريمه على تاريخ محمّد — Grimme (H.) : *Mohammad.*

٦ ابحاث عن الشرق الاسلامي لهرتمان — Hartmann (M.): *Der islamische Orient, II, Berichte und Forschungen.*

٧ ديانة عرب الجاهليـة للالماني كراهل — Krehl (L.) : *Ueber die Religion der vorislamischen Araber.*

٨ تاريخ الشرق القديم لفرنسوا لونرمان وبابلون — Lenormant (Fr.) et Babelon : *Histoire ancienne de l'Orient, 9e éd.*

٩ العرب القدماء للعلّامة نولدك — Noeldeke (Th.) : *Arabs (ancients)* dans « Encyclopædia of Religion and Ethics »

١٠ تاريخ العرب لكوسان دي برسفال — Perceval (C. de) : *Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islamisme.*

١١ بنو لخم في الحيرة لروتشتين — Rothstein (G.) : *Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira.*

١٢ بقايا الوثنيّة بين قدماء العرب للمستشرق ڤلهوسن Wellhausen (J.) : *Reste arabischen Heidentums*, 2° éd.

هذا الى مقالات متعددة ظهرت في المجلّات الاسيويّة الفرنسويّة والالمانيّة والنمساويّة وفي نشرات اخرى شرقيّة كالنشرة الساميّة وغير ذلك

*

كان زعم رينان زعماً غريباً واراد ان يثبتهُ بالادلة الوضعيّة لولا انّ الاكتشافات الحديثة جاءت كلها مزيّفة لزعمهِ. ذهب المذكور الى انّ الشعوب الساميّة عموماً والعربيّة خصوصاً كانت تقول بالتوحيد لا عن وحيٍ خاصّ بل عن غريزة لأنّ عقل الساميين على زعمهِ مطبوع من اصلهِ على البساطة فيوافق توحيدُ الله بساطةَ عقله. وكانت غايتهُ من ذلك ان ينكر الوحي بالاله الواحد الى بني اسرائيل

فالآثار العربيّة قد كذّبت هذا المزعم كما كذّبتهُ اكتشافات بقيّة البلاد الساميّة. فانّ العرب في الجاهلية عاشوا في الشرك مدّة قرون عديدة. اما شركهم فكان تأليهَ قوى الطبيعة اجمالًا والانوار العلويّة خصوصاً. ولا عجب فانّ قوماً كانت عيونهم ليلًا مع نهار تشخص الى الاجرام النيّرة لم يلبثوا ان عظّموها حتى تحوّل تعظيمها الى اكرام وسجود لظنّهم انّ فيها قوى فائقة الطبيعة. ثم انّ العرب قبل توغّلهم في الجزيرة كانوا جاوروا الكلدان واخذوا منهم عبادة النجوم. ومما لا شكّ فيهِ انّ عرب اليمن كانوا على ديانة الصابئين يعبدون الكواكب والسيّارات السبع. قال الشهرستاني في الملل والنحل (طبعة لندن ٤٣١) : «اما بيوت الاصنام التي كانت للعرب والهند فهي البيوت السبعة المعروفة المبنية على السبع الكواكب» يريد بالعرب اهل اليمن خصوصاً

﴿ الشمس ﴾ بل عمّت عبادة الكواكب كل انحاء العرب فكانوا يعبدونها في شمالي الجزيرة وفي غربيها وجنوبيها الغربي على صور شتى وتحت اسماء مختلفة. ولما كانت الشمس هي النيّر العظيم فانّ عبادتها بين العرب فاقت على سواها (١ تارةً يؤنّثونها وتارةً يذكّرونها ولدينا على صحّتهِ شواهد راقية الى القرن السابع قبل المسيح فانّ بين الكتابات التي وُجدت في بابل كتابةً لتغلتفلاسر يذكر فيها انتصارهُ على مدينة دومة الجندل وظفرهُ بملكتها التي كانت كاهنةً للاله «شمس» : (A. Layard: *Inscriptions*, p. 72).

١) وفي المعاجم العربيّة وبعض التواريخ «انّ شمساً كان صنماً لبني تميم ولعُذرة وكان لهُ بيت وكانت تعبده بنو ادّ كلّها وكانت سدانتهُ في بني اوس». الّا انّهم لم يصيبوا بحصر عبادتها

ومن الشواهد القديمة السابقة لعهد المسيح شهادة هيرودوتس الذي يصرّح في تاريخهِ (ك ٣ ف ٨) بانَّ العرب كانوا يعبدون اوروتال (Οὐροταλ) وهي لفظة مركَّبة في اللُّغات الاراميَّة من (אור) اي نور و(התעלה) كالعربية تعالى من فعل (עלה) اي علا والمعنى النور المتعالي وارادوا بهِ الشمس · والدليل عليهِ انَّ هيرودوتس بعد ذكرهِ اوروتال اردف بقولهِ « وهو ديونيسيوس او بخوس » الذي كان عند اليونان اله الشمس · وكرَّر ذلك الجغرافي استرابون (Strabon, XVI, 741) والمؤرخ اريان (Arrien, VII, 20) ومثلهم اوريجانوس في القرن الثالث للمسيح في ردّهِ على كلسوس (Origenes : *contra Celsum*, V, 37) · وكان النبطيُّون يعبدون الشمس عبادةً خاصَّة وكان لهم في عاصمتهم سلَع (Petra) معبد كبير لاكرامها · وانما كانوا يدعونها باسم آخر وهو ذو الشَّرى (Δουσάρης) اي الاله المنير وقد ورد اسمهُ مرارًا في كتابات عيون موسى ومدائن صالح وطور سينا (١ · اما كون ذي الشرى يراد بهِ الشمس فالامر واضح من قول استرابون الذي يؤكّد انَّ النبطيين يعبدون الشمس (Ἥλιος) · وكانوا جعلوا عيدها في ٢٥ ك ١ كما افادنا القديس ابيفانيوس في كتابهِ عن المرطقات (Epiphanius. Hæres, 51) · وزاد مكسيموس الصوري انَّ النبطيين كانوا اتَّخذوا صنمًا لذي الشرى وهو حجر اسود مكعَّب علوُّهُ اربعة اقدام وعرضهُ قدمان (Maximus Tyr., c. 38) ·

ومن الاسماء التي شاع بها اسم الشمس في جهات العرب واكرموها على منطوقهِ « ذو الشارق » و « المحرّق » · وكانوا يصرّحون عن اكرامهم لها بان يتسمَّوا باسمائها اذ وجدوا بين اسماء العرب مَن دُعوا باسم عبد الشمس وامرئ الشمس وعبد المحرّق وعبد الشارق · ومن اصنام جنوبي العرب « الذريح » ارادوا به ايضًا الشمس الطالعة

﴿ القمر ﴾ ليس لدينا نصّ صريح ينوّه بعبادة العرب للقمر الَّا ما يقال عن عبادة بني كنانة (Bergmann, 4) وكذلك قد عبده الحميريُّون وبقيَّة الصابئين مع السيَّارات السبع · بل نرجح انَّ عبادتهُ شاعت في غير انحاء من الجزيرة وربَّما جمعوا بينهُ وبين الشمس فعبدوهما معًا

﴿ العزَّى ﴾ ومن اشهر معبودات العرب التي شهد لها قدماء الكتبة من يونان ورومان وغيرهم اللات يقول كتبة العرب (اطلب معجم البلدان لياقوت ٤ : ٣٣٦-٣٣٧) انها كانت

١) وفي معجم البلدان لياقوت انَّ ذا شرى كان صنمًا لدوس وكانوا قد حموا لهُ حمى

صخرة بيضاء مربعة تعبدها ثقيف في الطائف وكانوا اتخذوا لهُ بيتاً فطافوا بهِ وجعلوا لهُ سدَنةً. واليوم قد اجمع الاثريون على انَّ اللات هي الزُّهرة. ولنا على ذلك شهادة هيرودوتس المؤرّخ. قال في تاريخهِ (ك١ف١٣١): ان العرب يعبدون الزهرة السماوية Ἀφροδίτη Οὐράνια وهم يدعونها أليتاً (Ἀλίττα) وقد اصلح اسمها في محلّ آخر (ك٣ ف٣) فدعاها الإلات (Ἀλιλάτ) وهو اختصار الالاهت كما اختصروا الاسم الكريم الاله فقالوا الله. ثم اختصروا الالات فقالوا: اللات. وكانت اللات معبودة في كثير من جهات الجزيرة ليس الطائف فقط كما زعم كتبة العرب فانَّ الاثريين وجدوا كتابات عديدة ورد فيها ذكر اللات ولا سيما في بلاد النبط في حِجر وصلخد والبصرى حيث كان لها هيكل وفي انحاء حوران وحتى في تدمر. وتدعى هناك بالقاب تدلُّ على مقامها كاللات العظمى وأمّ الآلهة. وكانوا يضيفون الى اسمها اسم المكان الذي تُكرم فيهِ فيقولون «لات صلخد» و«لات حبران» الخ

ودخل اكرامها بين اهل المدَر وبين سكنى حوران المتكلمين باليونانية فنقلوا اسمها الى اليونانية على صورة «اثيني» (Ἀθηνᾶ) وهي عند اليونان إلهة الحكمة (Mi-nerve) لكنَّ صورها واوصافها في الكتابات القديمة تثبت على كونها الزُّهَرة (Vé-nus). ومما يدلُّ على انتشار عبادتها بين العرب كثرة الاسماء المركّبة من اسمها كوَهبلات وتيم اللات وعمرو اللات وزيد اللات وغيرها ايضاً مما وُجد في الآثار والاعلام القديمة

وعُرفت الزهرة باسماء اخرى على مُقتضى احوال ظهورها مساء بعد غيوب الشمس او صباحاً قبل طلوعها فيدعون نجمة المساء عَثر وهي ايضاً استار او عشستر (Astarté) او عَتَرْعَتا (Atargatis) امّا نجمة الصبح فشاع اسمها العُزّى اي الإلهة السامية. وجاء ذكرها باسم كوكب الحُسن في ميامر اسحق الانطاكي (ص ١:٢٤٧) من كتبة اوائل القرن السادس وصرّح بأنها هي الزهرة. واخبر پروكوپيوس المؤرخ في القرن السادس انَّ المنذر صاحب الحيرة ضحّى للعُزّى ابن عدوهِ الحارث ملك غسّان وكان في يدهِ كأسير. وذكر العزّى قبلهُ القديس افرام السرياني والقديس ايرونيموس. ثم روى القديس نيلوس من اشراف القسطنطينية خبر ابنهِ الذي اسرهُ عرب البادية وارادوا تضحيتهُ لالهتهم العزّى اي الزهرة عند طلوعها صباحاً لولا انَّ النوم تثاقل

عليهم فنجا الولد وذلك نحو السنة ٤١٠ للمسيح. وفي تواريخ السريان انّ احد ملوك الحيرة ضحّى للعزّى عددًا من البتولات المسيحيّات. وكان كثير من العرب يتسمّون باسمها فيُدعون «عبد العزى». ويظنّ العلّامة نولدك انّ الغريّين او الطربالين اللذين كان المنذر في يوم شؤمهِ يصبُّ عليهما دم اوّل وافدٍ اليهِ انما كانا رمزًا الى العزّى (١

ومن اسماء العزى ايضًا المناة كأنّهم دعوها بذلك لسطوتها (٢. وعلى رأي ياقوت (٤: ٦٥٢) انّها كانت من الاصنام التي اتى بها عمرو بن لحي وانّها اقدمُها. وقال في محلّ آخر (٤: ٣٣٧) انّ اللات أُخذت من مناة. وروى عن ابن الكلبي (٤: ٦٥٢) انّ مناة كانت صخرة وهذا كلّهُ ينطبق على صورة العزى واللات السابق ذكرهما وكما دعوا عبد العزى سمّوا ايضًا عبد مناة وكان اخصّ اكرام مناة في هذيل قريبًا من مكّة وفي يثرب. وكانت قبائل الازد وغسّان قبل تنصُّرها تعبدها (ياقوت ٤: ٦٥٢)

ومن اسماء الزهرة ايضًا «كَبَر» ذكرهُ افتيموس الكاتب اليوناني (Pocock, 21) وقال انّها من معبودات العرب وانّ كبر (χαβαρ) هي الزهرة او نجمة الصبح. ودعاها قدرينوس المؤرخ كُبَر (χουβαρ) (٣

وكان اهل الجاهلية عمومًا ولا يُستثنى منهم العرب يجعلون الآلهة ازواجًا لكلّ ذكَر انثاهُ فكان لإلهة الشمس تِرْبُها وهو البعل من اصنام العرب ايضًا كان مكرَّمًا في شبه جزيرة سينا وتسمّى بهِ العرب عبد البعل واوس البعل وربّما اشاروا بهِ الى الشمس. وكان ذكَر العُزّى الاله «عزيز» الذي وُجد اسمهُ في عدّة كتابات في جهات الرها وحوران. وكان ذكَر اللات «اللاه» وجدوا اسمهُ في آثار كتابيّة. وكان لعَثَر زوجُها وهو الاله «مونيموس» الذي يُذكر مع «عزيز»

وممّا يلحق بعبادة الكواكب والنيّرات العظمى عند عرب الجاهليّة اكرامهم لزُحَل

---

١) وافاد الشهرستاني في الملل والنحل (ص ٤٣١) بانّ قصر غمدان الشهير الذي كان في صنعاء انما كان بيتًا على اسم الزهرة

٢) اطلب دوسو «العرب في الشام قبل الاسلام» (ص ٢٣١)

٣) اطلب ايضًا تاريخ نيقيتا (Nicetas) في مجموع اعمال آباء اليونان (Migne, PP. GG. t. 140, col. 105-132) ويزعم بلوشه (Blochet) ان (χαβαρ) تصحيف لفظة كعبة. اطلب كتابهُ (Blochet : *La culte d'Aphrodite Anahita chez les Arabes du Paganisme*, Paris, 1902)

والشِعْرى والدَبَران والجوزاء او الجبَّار والثُرَيّا يُستدلّ عليـه من بعض اقوالهم او من أعلامهم كعبد الثُرَيّا وعبد نجم وعبد الجبار. وكذلك تعظيمهم لبعض المظاهر الجويّة كتعظيم الاله قُزَح الذي كان يُكرَّم قريبًا من مكّة. وقد افادنا يوسيفوس الكاتب في كتابهِ العاديّات اليهوديّة (Ant. XV, 255) ان عرب آدوم كانوا يكرمون الهًا يدعونهُ (Κοζέ) ورأيُ العلماء انهُ قُزَح المذكور واليهِ نسبوا قوس الغمام

وكانوا يدلّون على آلهتهم بنعوت شتّى فان اصحاب الاسفار الحديثة في اليمن وفي جهات الصفا كغلازر (Glaser) ودوسو (Dussaud) وجدوا في الكتابات الحميريّة والنبطيّة ذكر تقادم لآلهتهم فمنها للاله مالك والاله رحمان والاله رحيم والاله عزيز السابق ذكرهُ. وربّما نسبوا آلهتهم الى بعض الامكنة التي كانوا يُكرّمون فيها مثاله ذو الشرى وذو خَلَصة وذات السلام

ومن الاصنام المذكورة في الكتابات الحجريّة وفي بعض الآثار القديمة والاعــلام التاريخية موصوفاتٌ شتّى تدلّ على اسماء معاني كالخصب والسعادة والغنى والعزّ منها الاله جَدّ والاله سَعد والاله رُضا والاله كُثْرى والاله وَدّ والاله مَناف فهذه كلها كان العرب يكرمونها ويتفاءلون بها وينتسبون الى عبادتها فدعوا باسمائها عبد الجدّ وعبد الرُضا وعبد ودّ وعبد مناف. وجاءت اسماؤُها جميعًا في الكتابات المكتشفة حديثًا. ويقول الكتبة المسلمون ان اهل دومة الجندل كانوا يكرمون صنمًا على اسم ودّ (ياقوت ٤: ٩١٣)

وللعرب صنف آخر من الشرك شاع عند أُمم كثيرة وهو تكريمهم لمواليد الطبيعة (fétichisme) من جماد ونبات وحيوان. فمن آثار تعظيمهم للجماد اكرامهم لحجارة بيضاء او سوداء كانوا يوقعونها موقع التجلّي للقوات العلويّة كانت تُكرم في بعض جهات اليمن والحجاز وبلاد النبط. وكان ذلك شائعًا عند غيرهم من اهل الشرق. فان هيكل الشمس في حمص كان محتويًا على حجر اسود يمثل اله الشمس وكان هليوغَبَل سادنًا لهُ قبل ان يتولى التدبير كقيصر رومانيّ. وكان ذو خلصة مروةً بيضاء

ومن آثار اكرامهم للجماد الانصابُ وهي حجارة كانوا ينصبونها في انحاء بلادهم ذكرًا لآلهتهم ويصبُّون عليها الزيت او الأَقط او السمن او يطلونها بدم الذبائح. ولعلّهم

اقاموها في بعض المواطن كتذكار لحادث جليل ارادوا تخليده بينهم فأكرمها الأخلاف وعظّموها

وكذلك كانوا يقيمون المناسك لبعض الاشجار كالنخل. وقد روى الكتبة كياقوت وابن خلدون ان العزى كانت تكرم في نجران على صورة النخلة. وكذلك في نخلة اليانية مكان قرب مكة (ياقوت ٤ : ٧٧٠). ومنها ذات انواط قال ياقوت (١ : ٣٩٣): « انها شجرة خضراء عظيمة كانت الجاهليّة تأتيها كلّ سنة لها فتعلّق عليها اسلحتهـا وتذبح عندها وكانت في جوار مكة ». وقد بقي شيءٌ من هذا الاكرام للاشجار حتّى يومنا في امكنة حيث يعلق بعض جهّال العرب وغيرهم اخلاقاً واسمالاً من الخرق في اغصان بعض الاشجار لينجوا من الحمّيات (١

وكما عبد اهلُ الجاهليّة الجماد والنبات عبدوا ايضاً بعض الحيوانات والطيور منها النسر الوارد ذكره في القرآن (٧١ : ٢٣) مع ودّ وسواع ويغوث. وممن شهد على كون نسر من معبودات العرب كتاب التلموذ لليهود (في فصل عبوده زارا) وكتاب تعليم الرسول عدي في القرن الثالث للمسيح وكلاهما يدعوه باسمهِ الآرامي « نشرًا » (ܢܫܪܐ) وقد امتدّت عبادة النسر بين الآراميين. ومنها « عَوْف » وهو اسم طائر صيّاد واحد اسماء الاسد ورد ذكرهُ كاله في الاعلام فقالوا عبد عوف. وزعم البعض ان اسماء القبائل كاسد ونمر وكلب كانت تدلّ سابقاً على بعض عبادة يقدّمها اصحاب القبائل لهذه الحيوانات. وقد بقي ايضاً اثر هذه العبادة في خدمة بعض الطيور والاسماك في انحاء الشرق كالرها وحلب وطرابلس فانّا رأينا ذلك بالعيان

هذا نظر اجمالي في آلهة العرب ومعبوداتهم. ويلحق بهِ عدّة ابحاث يلزمنا الكلام عنها

(المقامات الدينيّة) العرب امّا اهل وَبَر وامّا اهل مَدَر فكان يصعب على القسم المتبدّي منهم ان يتخذوا امكنةً ثابتة لاقامة عباداتهم ومن ثم كانت الفرائض عندهم بسيطة يقيمونها حيثما حلّوا امّا بتوجيه نظرهم الى الاجرام الفلكيّة مع ذكر آلهتهم وامّا ببعض اعمال تقويّة من سجود ودعاء وتقادم لاسيما في بعض اطوار حياتهم المهمّة كولد بنيهم وتزويجهم ودفن موتاهم وفي بعض امكنة عالية يدعونها المشارف. وكان اكرامهم

(١) اطلب رحلة الاب جوسن الدومنيكي الى بلاد مواب (Jaussen: *Coutumes des Arabes au pays de Moab*. p. 330-337)

لمواليد الطبيعة يوافق ايضاً حالتهم البدويّة فيجدون منها شيئاً اينما ساروا كالانصاب وبعض الاشجار والطيور التي يعبدونها ويزجرونها على مقتضى حركاتها يميناً او شمالاً. وكذلك يتيمّنون بالصيد السانح ويتشاءمون بالبارح. وكان الاب في عائلته والشيخ في قبيلته يقومان مقام الكهنة ويتولّيان اجراء المشاعر الدينيّة باسم ذويهم

امّا اهل المدَر وبالاخصّ الذين بلغوا منهم درجةً راقية من التمدُّن كالحميريين والنبطيين ودول الحيرة وكِنْدة وغسّان فما كانوا ليكتفوا بهذه العبادة البسيطة وانما خصّصوا لديانتهم امكنةً كانوا يفردونها لذلك امّا بمضارب يزينونها باصناف الجلود والاقمشة على شكل قبّة العهد في بني اسرائيل وامّا بتشييد بعض الابنية لهذه الغاية وكان بعضُها فخيماً اثيرًا كغمدان وبعض هياكل النبط ممّا ظهرت آثاره في هذه السنين الاخيرة في مدينة سلَع وجوارها . وقد نقل الكاتب اليوناني ديودورس الصقلّيّ (Diod. III, 45) من السائح الاقريطشي اغاتَرْشيدس في القرن الثاني قبل الميلاد وصفاً لثلاثة هياكل زارها في جزيرة العرب قريباً من سواحل البحر. وربما دعوا هذه الهياكل بالمساجد فان لفظة المسجد قديمة وردت في كتابات النبط المكتشفة حديثاً

ومن مقاماتهم الدينيّة (الكعبات) وهي بيوت مربّعة مرتفعة على اشكال الكعاب كانوا يفرزونها لدينيّاتهم منها ذو الكعَبات في شمالي الجزيرة لبني اياد ومنها كعبة نجران والكعبة اليمانيّة حيث كان بنو خثعم يعبدون صنمهم المسمّى ذا الخلصة مع غيره من الاصنام . واشهر منها الكعبة الحجازيّة في مكّة واوّل من ذكرها في التاريخ ديودورس الصقلي في القرن الاوّل قبل المسيح حيث قال (ك ٣ ص ٢١١): « انّ في جهات العرب المجاورة لبحر القلزم هيكل يبالغ في اكرامهِ كل العرب »: وربّما سمّوا كعباتهم بالبيوت لانها كانت مكعّبةً . وكثر عدد هذه الهياكل في بعض الامكنة حتّى ان بلينيوس الطبيعي في القرن الثاني للمسيح عدَّ منها ستين في مدينة سبا حاضرة اليمن و٦٥ في تمنة مدينة بني غطفان

وكانوا يتخذون لهذه المقامات (حَرَمًا) اي يجعلون لها دائرة تحفظ حرمتها ولا يجوز لاحد انتهاكها وكان حَرَم مكة اشهرها. وكذلك كان يخدم هذه المقامات رجالٌ يدعونهم كهنة او كُهّانًا ويريدون بهم الخبيرين بالاحوال الماضية والعرّافين. وربّما دعوهم

سَدَنة اي خدماً للمقدس لقيامهم بحاجاته وحاجات زوّاره. ومنهم من تسمّى باسم هذه الامكنة كعبد الكعبة وعبد الدار

وكانوا يزينون تلك الهياكل بالتصاوير المنقوشة على جدرانها او ينصبون فيها التماثيل للاصنام على هيئات شتّى. منها حجارة منحوتة بيضاء او سوداء ومنها صخور من العقيق وبعض الحجارة الكريمة او الصخور العاديّة كسعد معبود بني كنانة الذي فيه يقول الشاعر:

اتينا الى سَعْدٍ ليجمعَ شَمْلَنا فشتَّتنا سَعْدٌ فلا نحنُ من سَعْدِ
وهل سَعْدُ الّا صخرةٌ بتَنُوفةٍ من الارض لا تدعو لغيٍّ ولا رُشْدِ

ومن الاصنام ما كان يُمثِّل اشخاصاً بعينهم يجعلون في ايديهم شارات او امتعة تدلّ على خواصهم الموهومة كودّ وهُبَل جعلوا في ايديهما اقواساً وازلاماً. وكالشمس اتخذوا لها صنماً بيدهِ جوهر على لون النار وجعلوا لها بيتاً حجّوا اليهِ وكذلك اتّخذوا للقمر صنماً على شكل العجل وجعلوا في يدهِ جوهرةً. ونصبوا ايضاً اصنامهم في خارج الهياكل بقربها او على مشارف ليراها الناس كنائلة واساف ومناف.

وكانوا يكرمون تلك الاصنام بمناسك مختلفة منها (حجّهم) اليها افراداً او زرافات. وكانوا اذا اغتسلوا او توضّأوا يطوفون حول الصنم دفعات معدودة ويستلمون الصنم او يقبلونهُ ويتقرّبون منهُ بتلبية معلومة قد دوّن منها الكتبة بعضها كتلبية ذي الكفّين صنم دوس رواها ابن حبيب: «لبّيك اللهمَّ لبّيك لبّيك انّ جرهماً عبادُك. الناس طُرُف وهم تلادك. ونحن اولى منهم بولائك». وروى تلبية نَسر: «لبّيك اللهمَّ لبّيك لاننا عبيد. وكلّنا ميسرة وانت ربنا الحميد». وتلبية شمس صنم تميم: «لبّيك اللهمَّ لبّيك لبّيك ما نهارنا نجرُّهُ. ازلامهُ وحرُّهُ وقرُّهُ. لا نتّقي شيئاً ولا نضرُّهُ. حجّاً ربَّ مستقيم برُّهُ»

ومن مناسكهم ايضاً انهم كانوا يسكبون (السَّكب) من خمر او زيت او حليب لاصنامهم او يجعلون امامها طعاماً يأكلهُ الطير وقد سمّوا لذلك بعض آلهتهم «مطعم الطير»

وكانوا ايضاً يقصّون عند اوثانهم نواصي اولادهم او يحلقون شعورهم. او يرمون عندها الجمرات وهي الحصى كما اثبت ذلك احد كبار المستشرقين العلّامة شوفين (١. وكانت العذارى ايضاً يَرْقُصن حول الاصنام مسبلات ذيولهنّ كما قال امرؤ القيس:

---

١) اطلب كتابهُ في ذلك V. Chauvin: *Le jet des pierres cu Péler. de la Mecque.* Anvers, 1902

فعنّ لنا سربٌ كأنّ نعاجهُ عذارى دُوارٍ في مُلاءٍ مُذيَّلِ

ومن اخصّ مناسك العرب الذبائح لاصنامهم وخصوصاً للّات والعزّى ومناة: فانهم كانوا يرون في سفك الدماء وسيلة لاخماد غضب الآلهة وللتقرُّب منهم وطلب رضاهم وما كانوا يأنفون من تضحية البشر انفسهم كما سبق القول. وممّن شهد على ذلك برفيريوس الفيلسوف الوثني (١ في القرن الثاني للمسيح قال « ان اهل دومة الجندل كانوا كل سنة يضحُّون لالههم رجـلًا ثم يدفنونهُ بقرب المذبح ». وروى پروكوپيوس اليوناني ومؤرخ سرياني قديم نشر اعمالهُ لند (Land) ان المنذر ضحّى للعزّى ابنَ ملك غسان اسيرهُ و٤٠٠ من الرواهب المتنسكات في بعض اديرة العراق. وقد اتّسع نيلس من كتبة القرن الخامس بوصف غزوات اهل البادية لطور سينا وذكر قتلهم للرهبان الذين هناك وشرح خصوصاً ما حلّ بابنهِ تاودولس الفتى وكيف اسرهُ اهل البادية من العرب فعوّلوا على تضحيتهِ للعزّى كوكب الصبح. وقد وصف الكاتب ما كان دارجاً عندهم من العادات في مثل هذه المناسك فنرويهِ هنا معرَّبًا للدلالة على ديانتهم فقـال يذكر تفاصيل ذبائحهم (٢:

« وليس لهؤلاء الهمّج دين الّا انّهم يكرمون كوكب الصبح (العُزّى) ويخرُّون لهُ ساجدين ويضحُّون لهُ اجود أسرام الذين اخذوهم في الغزوات وهم يفضّلون لذلك الشبّان اذا كانوا في عزّ الشباب وصبيحي الوجوه. ويعدُّون لهذه الغاية مذبحاً من الحجـارة والصخور التي يكوّمونها وينتظرون الفجر حتى اذا لاح كوكب الصبح يضربون الضحيّة بالسيوف ويشربون دمها. وعادتهم اذا لم يقع في يدهم احد من الاسرى ان يضحّوا ناقةً من العيس خالصـة البياض فيذبحونها ويدورون حولها ثلاثاً ثمَّ يتقـدَّم كاهنهم او زعيمهم بكل رونق وهم يتغنّون باغانيهم فيضرب بسيف اوداج الناقة ويتلقّى دمها فيشربهُ ثم يركض الباقون ويقطع كل منهم قطعـة من الذبيحة فيأكلونها نيّة ويسرعون في ذلك لئلّا يبقى شيء من الجزور حتى الجلد والعظام عند طلوع الشمس... »

ثم انتقل الكاتب الى وصف ما جرى لابنهِ وكان الفتى مترهّباً معه في جبل الطور يعيش منفردًا في بعض الخانات اذ هجم عليـهِ العربان واذ رأوهُ وسيماً جميلًا استعدُّوا لتقريبهِ للعزّى فقال نيلس راويًا لما سمعهُ من ابنهِ بعـد ان نجا من الاسر:

١) اطلب كتابهُ في القناعة (Porphyrius: *De abstinentia* II, 56)

٢) اطلب اعمال الاباء اليونان لمين (Migne, PP. GG. LXIX, 611)

« وكان هؤلاء الغزاة عزموا على تضحيتي لنجم الصبح فأعدُّوا كلّ شيء للذبيحة في سحر اليوم التالي فاقاموا لذلك مذبحاً وهيَّأوا السيف والسّكب والاقداح والبخور وكنتُ انا مُلقًى على وجهي على الحضيض امَّا نفسي فكانت مرتفعةً الى الله ادعو اليهِ بحرارة كي ينقذني من هذا الخطر العظيم . . . وكان البرابرة قضوا قسماً كبيرًا من ليلهم اكلًا وشربًا وقصفاً حتى غلب عليهم النوم فهجعوا الى الصباح ولم يستيقظوا الّا والشمسُ قد طلعت وفات وقت الضحيّة . . . فلمَّا رأوا ذلك اخذوني الى قرية تدعى « سوقا » وهدَّدوا بقتلي امام اهلها ان لم يَفدِني احد منهم . فرحمني احدهم ودفع فديتي واهتمّ بشأني اسقف المحلّ وها انا الان عائد الى والدي »

ومن دياناتهم اذا ضحّوا الضحايا ان يصبُّوا دمها على الانصاب كما سبق ويطلوا بهِ اجسامهم ويغمسوا بهِ ايديهم عند حلفهم دلالةً على صدق مواعيدهم ويدعون ذلك « اليمين الغموس »

٣ بقيّة اديان الجاهليّة غير النصرانيّة

كان الشرك يعمُّ كما ترى بلاد العرب في الجاهليّة ولا نريد ان نحدّد هنا زمنهُ هل امتدَّ الى مدّة القرون التي سبقت الاسلام او هل شمل انحاء الجزيرة التي عرفت الاله الواحد الصمد فندع الامر للفصول الآتية

وانما نضيف الى قولنا السابق شيئاً عمّا عُرف من الديانات الأُخر في جزيرة العرب غير النصرانيّة بوجيز الكلام فنقول انَّ هذه الاديان كانت المجوسيّة والصابئيّة واليهوديّة وقد نوَّه بها في القرآن غير مرَّة

١ (المجوسيّة) ديانة قدماء الفرس الذين كانوا يعبدن النار ويرون فيها صورة اللاهوت ويقرنون بها عبادة النور . اخذوا هذا الدين من كيومرت احد اجدادهم وخصوصاً من زرادشت حكيمهم . فهل أثَّر هذا الدين في العرب فالامر ممكن بل هو محتمل لتقرُّب بلاد العرب شمالًا من الفرس ولخدمتهم لملوكهم في جهات العراق . وممَّن اشاروا الى دخول المجوسيّة بين العرب ابن قتيبة فزعم انَّ المجوسية كانت في تميم والله اعلم

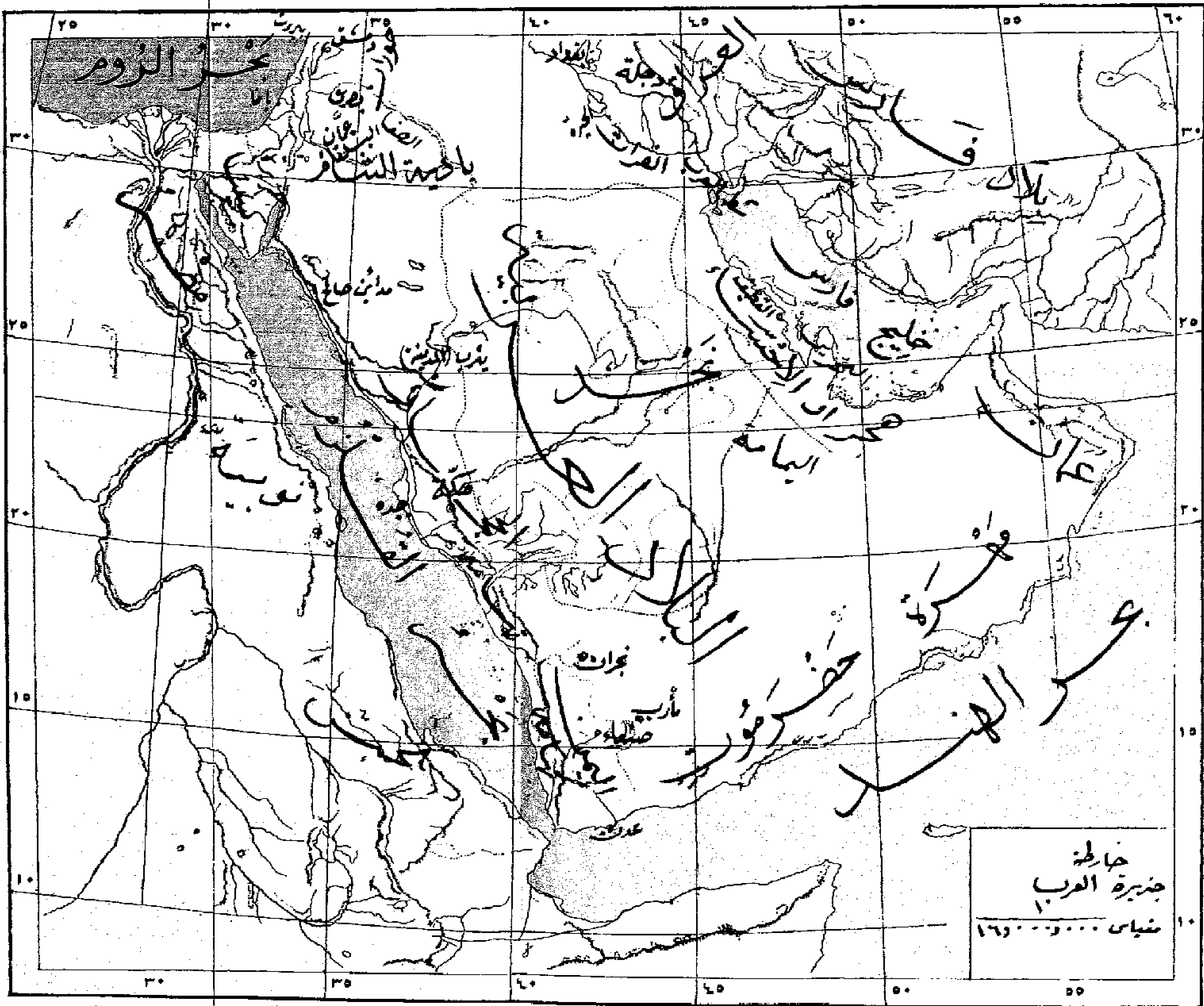
٢ (الصابئيّة) اذا اريد بها عبادة النجوم والشمس والقمر والسيارات السبع فانها انتشرت خصوصاً في جنوبي جزيرة العرب . اما اذا اريد بها شيعة المندائيين الذين لا يزال منهم بضعة الوف في العراق فانَّ تأثيرها في العرب كان منحصرًا ومن اراد تاريخ

هذه الشيعة فعليه بالمقالات المطولة التي نشرهـا حضرة الاب انستاس في المشرق في سنواته الثالثة والرابعة والخامسة فانهُ استوفى فيها الكلام

ويلحق بدين الصابئين مذهب الحرّانيين الذين عبدوا النيّرات السماويّة مدة اجيال طويلة وكان لهم بيت في حرّان يعظمونهُ بقي الى خلافة المأمون فأُخرب. وكذلك الثنويّة المنسوبة الى ماني وتدعى ايضاً بالثنويّة لقول اصحابها بوجود مبدأين متناقضين هما النور والظلمة وآل امر هذه الشيعة الى الزندقة وقالوا قول الدهريين

٣ (اليهوديّة) دخل اليهود في ازمنة مختلفة في جزيرة العرب فاستوطنوا في بعض جهاتها. وعلى الاخصّ بعد جلاء بابل لما فرّ بعض بني اسرائيــل من وجه الاشوريين فتوغلوا في انحاء العرب. وحدث مثل ذلك بعد خراب اورشليم على يد الرومان اذ تشتت شمل اليهود. وكانت سكناهم خصوصاً ما وراء بحر لوط وفي جهات تيماء ووادي القرى في يثرب وخيبر وبعض احياء اليمن. ولم نعلم من اخبارهم الّا النزر القليل. ومما لا ريب فيهِ انّ القبائل اليهوديّة كانت تعيش بين العرب دون ان تختلط بهم مواظبةً على عاداتها المألوفة وشرائطهـا الدينيّة كما ترى الموسويين في بلاد غير جزيرة العرب. وممن كتبوا عن تأثير اليهوديّة في دين العرب ابراهيم غايغر (Abr. Geiger) لهُ كتاب عنوانهُ «ما اخذ محمد عن اليهوديّة وفيهِ مبالغات ظاهرة وزاد عنــهُ تطرُّفاً المستشرق دوزي (Dr R. Dozy) الذي وضع كتاباً عن اليهود في مكّة منــذ عهد داود الى القرن الخامس بعد المسيح (Die Israeliten zu Mekka von Davids Zeit bis in's 5te Jahrhundert unserer Zeitrechnung) «Leipzig, 1864» وفيهِ من المزاعم الغريبة التي لم يوافقه عليها اصحاب النقد




بحر الروم
بادية الشام
مدائن صالح
يثرب (المدينة)
مكة
نجد
اليمامة
نجران
مأرب
صنعاء
عدن
حضرموت
عمان
خليج فارس
بحر الهند
الفرات
دجلة
خارطة
جزيرة العرب
مقياس ١ / ١٦و٠٠٠و٠٠٠

القسم الأول

في تاريخ النصرانيّة وقبائلها في عهد الجاهليّة

* * *

الفصل الأوّل

تاريخ النصرانية في جزيرة العرب

هيَّا بنا الآن بعد هذه المقدمات الوجيزة نبحث عن النصرانية وآدابها بين عرب الجاهليّة وهما البحثان اللذان جعلنا الفصول السابقة كتمهيد لهما

الباب الأوّل

مبادئ النصرانية بين العرب

قلنا في مطلع كلامنا انَّ الافادات التي خلَّفها كتبة العرب عن الاديان الشائعة في جزيرتهم قبل الاسلام نزرة قليلة. وهذا القول يصحُّ ايضاً في النصرانيَّة مع انها كانت اقرب اليهم عهدًا فاذا ذكروا الدين المسيحي لا يكادون يذكرون من تاريخه غير شيوعهِ في بعض القبائل. هذا اذا اعتبرت فصولهم الوجيزة التي خصُّوها بالاديان. بيد انهم في عرض كلامهم عن بعض عادات العرب وقصصهم وامثالهم ولَهجاتهم حدا بهم الامر الى ان يأتوا بمعلومات أُخرى عديدة تجدها متفرّقة متشعّثة في تآليفهم لم يجمعها حتى الآن العلماء المستشرقون لانشغالهم بالبحث عن آلهة العرب وعن فكّ رموز دياناتهم القديمة ونشر ما وجدهُ السائحون في بلادهم من الكتابات الحجريّة في اللغات الحميريّة والنبطيّة والصفويّة فضلًا عن اليونانيّة واللاتينيّة او ما استخرجوهُ بالحفر من الآثار بعد مخاطرتهم بالحياة

وكذلك ورد في كتب نصارى اهل الشرق ولاسيما قدماء الروم والسريان وبعض الكتبة اللاتينيين فوائد شتى عن النصرانيّة في انحاء العرب دوّنوها في معرض رواياتهم التاريخيّة واوصافهم الاجتماعيّة ورِحلهم العلمية وفي اخبارهم عن اولياء الله القديسين الشهداء او النسّاك المتعبّدين في بوادي العرب مما رأوهُ بالعيان او استفادوهُ من شهود عيانيين او كتبة موثوق بهم فهذه المعلومات ايضاً عظيمة الشأن غالية الاثمان لم تُجمع حتى اليوم تمامًا وانما روى منها بعض الكتبة فصولًا تحتاج الى توسيع وتكملة نخص

منها بالذكر الكتب والمقالات الآتية ما عدا ما ذكر من ذلك في التآليف التي عدَّدناها سابقًا:

١ اعمال البولنديين: مقالة للاب كربنتيه اليسوعي في النصرانية بين العرب

1 E. Carpentier S. j.: *De SS. Aretha et Ruma Commentarius* (Acta SS., X, Octob., 661—697).

٢ اصول النصرانية في بلاد العرب للعلامة رَيْت

2 Wright: *Early Christianity in Arabia*, London 1855.

٣ الشرق المسيحي للاب لوكيان

3 Lequien: *Oriens Christianus*.

٤ دي ساسي: مقالة من تاريخ العرب قبل محمَّد

4 Le B^on de Sacy (S.): *Mémoire sur l'Histoire des Arabes avant Mahomet*.

٥ تاريخ الدول العربية بين المسيح ومحمَّد

5 J. J. Reiskii: *Primæ lineæ Historiæ Regnorum Arabicorum inter Christum et Mohammedem*.

اعلم ان اقدم الآثار النصرانيَّة كما لا يخفى الاناجيل الاربعة وتاريخ اعمال الرسل للقديس لوقا ورسائل بعض تلاميذ الربّ الاوَّلين. وكلها من القرن الاوَّل للمسيح كما يقرُّ بهِ معظم العلماء من الاباحيين فضلًا عن المؤمنين وإن كان اولئك يخالفون الكاثوليك في تعيين سنة كتابة هذه الاسفار واصحابها. فهذه الآثار لا تخلو من الدلائل على ان العرب نالوا شيئًا من انوار النصرانيَّة منذ بزوغ شمسها

ولعلَّ اوَّل من استحقَّ ان يُنظم من العرب بين تَبعَة السيد المسيح اولئك الشيوخ الذين عُرفوا بالمجوس فأتوا الى بيت لحم وأهدَوا الربَّ ألطافهم وسجدوا لهُ في مهدهِ كما اخبر متى في انجيلهِ (ف ٢). اما كونهم من العرب او على الاقل بعضهم فلنا على ذلك عدَّة بيّنات ترجّح هذا الرأي ان لم تجزم بهِ قطعيًّا. فمن ذلك اقدم نصوص الآباء والكتبة الكنسيين من القرن الثاني للمسيح الى القرن الخامس الذين يجعلونهم عربًا كالقديس يوستينوس في القرن الثاني في مباحثهِ مع تريفون. وترتوليان المعلم في كتابيهِ ضدّ اليهود (ف ٩) وضدّ مرقيون (ك ٣ ف ١٣). وكالقديس قبريانوس في القرن الثالث في ميمرهِ عن كوكب المجوس. وكالقديس ابيفانيوس في القرن الرابع في شرحهِ لدستور الايمان (عدد ٨). والقديس يوحنا فم الذهب معاصرهِ في الميمر الثاني على شرح انجيل متى.

وهكذا فسّر هؤلاء الكتبة آية اشعيا النبي عن المسيح (ف ٦٠ ع ٦): «كثرة الابل تغشاكِ بُكرانُ مِديَن وعيفة كلُّهم من شبأ يأتون حاملين ذهبًا ولبانًا يُبشِّرون بتسابيح الربّ». وسبق داوُد فقال (مز ٧١): «ملوك سبأ وشبأ يقرّبون لهُ العطايا». فانَّ مِديَن وعيفة وشبأ كلها تدلّ على نواحي العرب

وعليها تدلُّ ايضاً الالطاف التي قدَّمها هؤلاء المجوس للمسيح اي الذهب واللبان والمرّ وكلّها من مرافق بلاد العرب. فان ذهب انحاء العرب كان مشهورًا (١ وتنبأ داوُد بتقدمتهِ للمسيح (مز ٧١) فقال: «يؤدون اليــهِ من ذهب شبأ». اما اللبــان والمرّ فلا يكادان يُستخرَجان من غير جزيرة العرب فيتَّجر بهما اهلها كما شهد على ذلك قدماء الكتبة بعد سفر التكوين (٣٧: ٢٥)

ثمَّ يؤيد هذا الرأي قول المجوس في الانجيــل لهيرودس بانهم رأوا نجم المسيح في الشرق فاتوا ليسجدوا لــهُ. فقولهم «في الشرق» يدلّ على بلاد العرب اكثر من سواها لوقوعها شرقي فلسطين فضلًا عن كون العرب يُعرفون بالاسفار المقدَّسة ببني الشرق (وبالعبرانية בני קדם بعناها) بل شاع هذا الاسم عنــد الرومان واليونان فاشتقوا منهُ Sarraceni و Σαρακηνοί

وزد على ذلك انَّ النجم الذي رآه المجوس هو الكوكب الــذي سبق وانبأهم بــهِ بلعام في مشارف مُوآب (سفر العدد ٢٤: ١٧) لما قال: «انهُ سيطلع كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من اسرائيل». فتحققت النبوءة حيث تنبأ بها بلعام مرغوماً فتناقل العرب نبوءتهُ ابناً عن اب وراقبوا كوكبهُ حتى رأوهُ. ولا بأس من كون هولاء القادمين الى مهد المسيح يُدعون مجوساً. فانَّ هذا الاسم كان يطلق عند العبرانيين على حكماء الشرق عموماً وكثيرًا ما اثنى الكتاب الكريم على حكمة العرب في سفر أيوب وسفر الملوك الثالث (٤: ٣٠) وسفر باروك (٣: ٢٣). وقد شهد كتبة اليونان بانَّ فيثاغورس الفيلسوف رحل الى جزيرة العرب ليأخذ الحكمة عن اهلها. بل صرَّح بلينيوس الطبيعي بانَّ بلاد العرب كانت بلاد مجوس (٢

١) قال سترابون ان الذهب لا يُعدَّن في بلاد العجم لكن في بلاد العرب In Perside aurum nullum effoditur, effoditur tamen in Arabia (Strabo, l. XVI)

٢) اطلب تاريخهُ الطبيعيّ Fuere in Arrbia quos Græci et Latini « Magos » vocant (Plin., *Hist. Nat.*, XXV, 5)

وفي الانجيل الطاهر شاهدٌ آخر على سبق العرب في معرفة السيّد المسيح وذلك لما ذُكر المبشّرون متى (ف ٤ عدد ٢٤ — ٢٥) ومرقس (٣ : ٧) ولوقا (٦ : ١٧) في جملة الجموع المتقاطرة الى استماع تعاليم الربّ اهلَ آدوم والمدن العشر وما وراء الاردن . فلا شكّ ان صيتهُ يكون بلغ العرب القاطنين في تلك الجهات . بل ذكر الانجيل (متى ٨ : ٣١ ومرقس ٧ : ٣١) ان السيّد المسيح عبر الاردن وتجوّل في المدن الواقعة ما وراء ذلك النهر ومرَّ بالمدن العشر (١ وصنع الآيات في بقعة الجرجاسيين . وكان اهل الحضر والمدر من العرب يسكنون تلك الانحاء . فلا يقبل العقل انّهم لم يقتبسوا شيئًا من انوار ابن الله الكلمة

ثم ما لبث العرب ان نالوا نصيباً طيّباً من الدعوة المسيحيّة وذلك يوم حلول الروح القدس على التلاميذ في العلّيّة الصهيونيّة كما اخبر القديس لوقا في سفر الاعمال (ف ٢) فانهُ صرّح بانَّ العرب كانوا في جملة الذين عاينوا آيات ذلك اليوم الشريف وسمعوا الحواريين يتكلّمون بلغتهم العربية . فلا جرم انَّ بعضاً منهم كانوا في عداد الثلثة الالاف المصطبغين ذلك اليوم (اعمال ٢ : ٤١) فلما عادوا الى بلادهم نشروا بين مواطنيهم ما رأوا وسمعوا من امر المسيح وتلاميذهِ

وبعد مدّة قليلة اثار اليهود على تلامذة الرب تلك الاضطهادات التي ذكرها صاحب الاعمال (ف ٨) فكانت على شبه الرياح التي تقوّي الشجرة النامية وتوصّل جذورها في الارض وتنقل بزورها الى امكنة اخرى فتزداد وتتوفّر . واوّل من يُذكر من الرسل انهُ دخل بلاد العرب هو الاناء المصطفى القديس بولس فانّهُ اخبر عن نفسهِ في رسالتهِ الى اهل غلاطية (ف ١ ع ١٧) انهُ بعد اهتدائهِ الى الايمان بظهور السيّد المسيح لهُ على طريق دمشق واعتمادهِ على يد حنانيا التلميذ هرب من دسائس اليهود الى جزيرة العرب حيث اقام مدّةً . فمن البديهي انَّ ذلك الرسول الذي خصّهُ الله بدعوة الامم باشر مذ ذاك الحين بالتبشير فدعا الى النصرانيّة من رآهم من العرب مستعدّين لقبول دين الخلاص لئلا يحلّ بهِ ذاك الويل الذي كان يوجس منهُ فزعاً حيث قال (١ كور ٩ : ١٦) : الويل لي ان لم نبشر . وعليهِ فنصادق على قول الذين يجعلون بولس الرسول

(١) اطلب في المشرق (١١ : ٨١) مقالة للاب الفرد دوران في رحلة السيد المسيح الى فينيقية والمدن العشر

كاحد رسل العرب. وقد عدّهُ بعض كتبة الروم كاوّل الدعاة الى المسيح في بُصرى حاضرة حوران

ولمّا جرى نحو السنة خمسين للمسيح افتراق الرسل اذ ساروا الى اقطار المعمور ليقوموا بمهنة التبشير التي امرهم بها سيدهم كان لبلاد العرب نصيب حسن في هذه القسمة المباركة فان التقاليد القديمة تتواصل وتتفق على ان بعض الرسل تلمذوا امم العرب وقبائلهم من جهات مختلفة وقد جمع العلّامة يوسف السمعاني في مكتبتهِ الشرقيّة في المجلّد الثالث القسم الثاني (Bibl. Or. III², 1-30) كثيرًا من شواهد كتبة اليونان والسريان والعرب التي تثبت كرازة الرسل في احياء العرب وفي اقطارها المتباينة كبادية الشام وجهات طور سينا واليمن والحجاز والعراق يذكرون منهم متى وبرتلماوس وتدّاوس ومتّيا وتوما. وقد نقل بعض هذهِ الشواهد المؤرخون المسلمون نفسهم كالطبري في تاريخهِ (ج١ص ٧٣٧ — ٧٣٨) وابي الفداء في تاريخهِ (١: ٣٨) والمقريزي في الخطط (٢: ٤٨٣) وابن خلدون في تاريخ العبر (٢: ٤٧) والمسعودي في مروج الذهب (١: ١٢٧). هذا فضلًا عن بعض تلاميذ الرسل كفيلبس الشمّاس وتيمون وادّي او تدّاي ممن تناقل الرواة خبر بشارتهم بين العرب. وكفى دليلًا بهذه الشواهد المتعدّدة على انّ الدعوة النصرانيّة التي امتدّت الى اقاصي المعمور لم تهمل جزيرة العرب القريبة من مهد الدين المسيحي. بل كان اهلها يُقبلون كل يوم الى فلسطين ويتزجون بسكانها امتزاج الماء بالراح فيعاملونهم ويتاجرونهم. وقد ذكر القديس ايرونيموس في شروحهِ على نبوة ارميا (ف٣١) ونبوة زكريا (ف١١) انّ اسواقًا سنويّة كانت تقام قريبًا من سيحم (نابلس) يأتي اليها عدد عديد من نصارى ويهود ووثنيين يقصدونها للمتاجرة من بلاد الشام وفينيقية والعرب. فلا نتعدّى اذن طورنا ان اكّدنا انتشار النصرانيّة في بلاد العرب منذ عهد الرسل. وبذلك تحققت نبوّات الانبياء الذين سبقوا وتنبّأوا باهتداء العرب وايمانهم بالمسيح. قال النبي اشعيا بعد وصفهِ العجيب للسيّد المسيح (ف١١ع١ — ١٠) ذاكرًا للشعوب التي تقبل شريعتهُ فجعل منها آدوم وموآب. وكرّر ذلك في الفصل ٤٢ وعدّد قبائل قيدار وبلاد سلع (Pétra) وفي الفصل ٦٠ ذكر بين المستنيرين بانوار اورشليم وملكها الموعود مدينَ وعيفة وسبأ وقيدار والانبط وفيهِ يذكر قدومهم على المسيح ليهدوه الطافهم من ذهب ولبان. وكان النبي داؤد (في مزمورَيه ٦٧ع٣٢ و٧١: ٨٠

– ١٠) سبق اشعيا في ذكر سجود العرب للمسيح وطاعتهم لـهُ. ومثلهما ارميا في فصلهِ التاسع حيث ذكر « افتقاد الرب للامم المختونين مع الغلف... أدوم وبني عمون وموآب وكلّ مقصوصي الزوايا الساكنين في البريّة »

وفي السنة ٧٠ للميلاد تمّت نبوة المسيح عن خراب اورشليم فلم يبقَ فيها حجر على حجر وتفرّق بقايا اليهود شذر مذر بعد ان قُتل منهم وسُبي الألوف ومئات الالوف الّا ان من كانوا تنصّروا منهم كانوا بامر الرب سبقوا وخرجوا من المدينـة وعبروا الاردن وسكنوا في مدن العرب التي هناك كما اخبر اوسابيوس المؤرخ (١. فاستوطنوا تلك الاصقاع وكان يرعاهم اساقفة من جنسهم. وقد وجد اصحاب الآثار في ايامنا عـدداً دثرًا من كتبهم الدينيّة كالاناجيل الاربعة وبعض اسفار التوراة وقطعًا طقسيّة واناشيد وصلوات وغير ذلك مما يشهد على نصرانيتهم وسكناهم زمنًا طويلًا في تلك النواحي. وهذه البقايا كانت مكتوبة باللغة الفلسطينيّة اي الآراميّة الشائعة في فلسطين. ولا ريب انّ العرب الذين حلّ بينهم هؤلاء النصارى اخذوا شيئًا من تعاليمهم واستضاؤوا بانوار دينهم

واذا استفتينا اقدم آثار النصرانيّة وما كتبهُ آباء الكنيسة الاوّلون في القرون الاولى للميلاد وجدناهم يذكرون الدعوة المسيحية في جزيرة العرب امّا تعريضًا وامّا تصريحًا

فمن تنويههم بذلك قولهم جميعًا بانّ الايمان المسيحي « منتشر في العالم كلـهِ » فان صحّ هذا القول في البلاد القاصية حتى الهند والعجم وجزائر البحر أفلا يكون ايضًا صحّ بالحري في بلاد العرب المجاورة لمنبع الدعوة المسيحية. فترى القديس مرقس في آخر انجيلهِ (١٦ : ٢٠) مؤكدًا بانّ تلاميذ الرب « خرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات ». وبعدهُ بقليل كان يشكر بولس الرسول اهل رومية في رسالتهِ اليهم (١ : ٨) « على انّ ايمانهم يبشَّر بهِ في العالم كلهِ ». وفي رسالة القديس اغناطيوس النوراني تلميذ الرسل الى اهل افسس (PP. GG., V, col. 647) يذكر « الاساقفة الذين يرعون المؤمنين في العالم كلهِ ويتفقون جميعًا بالايمان ». ومثلهُ معاصرهُ القديس بوليكربوس الذي كان يدعو المسيح « راعيًا للكنيسة الكاثوليكيّة المنتشرة في العالم كلهِ » (ibid., col. 1035) فهذه النصوص وغيرها كثير تثبت صريحًا انتشار الدين المسيحي في العالم كلهِ فتشمل ايضًا بلاد العرب ولولا ذلك لما امكن القديس اوغسطينوس

١) اطلب تاريخهُ الكنسي ك ٣ ف ٥ (Migne, PP. GG., XX, 221)

ان يقول في شرحهِ على المزمور٦٦ (PP. LL. t. 36, col., 669) « نحن الكاثوليك منبثّون في الارض كلها لاننا نعلن بكل مكان ما للسيد المسيح من المجد ونشترك بهِ » ولمّا استطاع قبلهُ كيرلس الاورشليمي ان يقول في تعليمهِ الثامن عشر (PP. GG., t. 33, col. 1043) : « تُدعى كنيستنا كاثوليكية لأنّها منتشرة في كل المسكونة من اقاصي تخوم الارض الى اقصى حدودها » . وسبقهما القديس قبريانوس فقال في كتاب وحدة الكنيسة (PP. LL., IV. col. 502) : « انَّ الكنيسة تُلقي اشعّتها في كل المعمور » . وقال معاصرهُ القديس ايريناوس في كتابهِ ضدّ الهرطقات (PP. GG. VII. col. 550) : « انَّ الكنيسة المنتشرة في سائر العالم قد ورثت الايمان من الرسل وحفظتهُ بكل حرص »

وزاد عن هؤلاء ايضاحاً في اواسط القرن الثاني للمسيح القديس يوستينوس الشهيد من اهل نابلس في مباحثتهِ مع تريفون اليهودي (PP. GG., VI, col. 750) فعدَّ بين من دانوا بدين المسيح « الساكنين في الخيم واهل البادية » قال: « ليس مطلقاً جنس من البشر سواء كانوا من اليونان او البرابرة وبايّ اسمٍ تسمَّوا حتى العائشين في العَرَبات (الاسقيثيين) والساكنين في الخيم الذين يرعون المواشي واهل البادية الذين لا يحلّون في بيت الّا و بينهم جموع يقدّمون الصلوات والقُربات للربّ باسم يسوع المصلوب »

وقال ايريناوس معدّدًا الشعوب التي دخلت بينهم النصرانيّة (PP, GG. VII. col. 554) وقد دعا العرب باهل الشرق كما روى مفسّروهُ: « هذا الايمان المسيحي هو اليوم منبثٌّ في العالم كلّهِ . . . فترى الالسنة مختلفةً والنفس واحدةً والقلب واحدًا سواء اعتبرتَ آل جرمانية او الايبريّين او القلتيين او سكّان الشرق او مصر او ليبية والامم التي في اواسط الدنيا فكلّهم يعتقدون اعتقادًا واحدًا يشبه ايمانهم الشمس التي تضيء العالم كلّهُ وهي واحدة »

وللمعلم ترتليان في اوائل القرن الثالث نصوص متعدّدة يؤكد فيها انتشار النصرانيّة بين كل شعوب زمانهِ مهما كانت بعيدة او مجهولة فما قولك بالعرب؟ قال في كتابهِ الى الامم (Ad Nationes, c. 8) « تأمّلوا انهُ لا يوجد اليوم امّةٌ الّا ودخلت فيها النصرانيّة (non ulla gens non christiana) . وفي الفصل السابع من ردّهِ على اليهود يعدّد في جملة المتنصرين ليس فقط الامم الخاضعة للرومان

« لكن غيرها كثيرة كالسرماتيين والداقيين والجرمانيين والاسقيثيين وقبائل مجهولة واقطار متفرقة وجزائر البحر ففيها كلها يُعرف اسم المسيح وفيها يملك »

وكثيرًا ما دعا الكتبة جزيرة العرب باسم الهند لاسيا جهات اليمن وقد شاع هذا الاسم بهذا المعنى (اطلب البولنديين في المجلّد العاشر من اعمال القديسين من شهر ت ١ ص ٦٧٠) . واليها اشار القديس يوحنا فم الذهب في ردّهِ على اليهود (PP. GG., XXX. 500) قال: « انظر بأيّ سرعة انتشرت الكنيسة في كل اطراف المسكونة وبين كل الشعوب وذلك بمجرّد فضل الاقناع حتى انّ أممًا كثيرة تركت أديانها وتعاليم اجدادها وشيّدت هياكل لتعبد فيها الربّ فمنها ما هو واقع في ممالك الرومان كالاسقيثيين والمغاربة واهل الهند ومنها ما هو خارج عن تخوم الرومان الى جزائر بريطانية واقاصيّ العالم »

وبعضهم قد دعوهم صريحًا باسم العرب او الاسماعيليين . قال ارنوبيوس في القرن الثالث للمسيح يذكر الشعوب الوثنية التي بشّر بينها الرسل فأنشئت الكنائس لمن تنصّر منهم (ك ٢ ف ٥ و ١٢) : « انظروا العجائب التي جرت في انحاء المعمور منذ ظهور المسيح حتى انّهُ لا يكاد يوجد الآن امّة عريقة بالهمجيّة الّا لطّفت خشونتها محبّتهُ بهِ واخضعت عقلها للايمان بتعاليمهِ فاتّفقت على ذلك اجيال الناس المتباينة المختلفة طباعًا وآدابًا . وممّا نقدر أن نحصيهُ من هذه الشعوب اهل الهند والصين والفرس والماديّين والذين يسكنون في بلاد العرب ومصر وجهات آسية وسوريّا . . وفي كل الجزائر والاقاليم »

فترى انهُ احصى بلاد العرب في جملة من دان للمسيح في ذلك العهد . وقد ذكرهم المؤرخ سوزمان (PP. GG. t, 67, 1476) في القرن الرابع وافاد « ان بعض قرى العرب ودساكرهم يوجد فيها اساقفة » . وكذلك صرّح بذكرهم تاودوريطس في القرن الخامس في كتابهِ المعروف بدواء اضاليل اليونان (PP. GG. T, 88, p. 1037) قال: « ليس فقط قد خضعت للمسيح الامم الخاضعة لشرائع الرومان كالحبش المتاخمين لتنية وقبائل الاسماعيليين . . . بل حتى غيرهم من الامم احنوا رؤوسهم لتعاليم الصيّادين وشرائع الانجيل كالسرماتيين والهنود والعجم والصينيين (Seræ) والبريطانيين والجرمانيين » . وقال مثل ذلك في محلّ آخر في كتابهِ المسمّى التاريخ الرهبانيّ (PP. GG. t, . 82 ; p. 1471)

الباب الثاني

النصرانيَّة بين عرب الشام

اذا نظرت في خارطة الى بحر الشام وحدَّدت مدينتيهِ الساحليَّتين طرابلس شمالًا وعكَّا جنوبًا ثمَّ سرت منهما على خطَّين متوازيين الى الشرق بلغ بك المسير بعد مرحلتين من طرابلس وثلاث الى اربع مراحل من عكَّا الى مفاوز متَّسعة تمتدُّ على مدى البصر الى جهة تدمر فالفرات شمالًا والى مشارف الشام فاللجا وتلال الصفا حتى جبال حوران وسهول البلقاء جنوبًا فكلّ تلك النواحي الرحبة الارجاء التي تقيس نحو اربعمائة كيلومتر طولًا في مثلها عرضًا تُعرف اليوم ببادية الشام

ولم تكن هذه البادية في سالف الاجيال قفرة قليلة السكَّان لا تكاد تجد فيها كاليوم غير قرًى معدودة او بعض احياء البدو الذين يتنقَّلون فيها مع مواشيهم انتجاعًا للمراعي. وانَّما كانت بعد تملُّك الرومان عليها في اوائل التاريخ المسيحي أَصبحت كروضة غنَّاء شيَّد فيها اصحابها المدن العامرة لسكنى الاهلين وابتنوا الحصون الحريزة تأمينًا للطرق وعزَّزوا الزراعة والفلاحة وانبطوا الآبار وحفروا الصهاريج لجمع مياه الامطار وخدَّدوا القنيّ لسقي المزروعات. والآثار الباقية من هذه الاعمال الى يومنا تنطق بعمران تلك الاصقاع وحضارتها الراقية

امَّا سكَّانها فكانوا من عناصر شتى بينهم الرومان المستعمرون لاسيما من الجنود الذين اتمُّوا مدَّة خدمتهم ثم جالية اليونان من بقايا الدول السابقة منذ عهد الاسكندر والسلوقيين ثم الوطنيُّون والفنيقيُّون الذين احتلُّوا تلك البلاد لاستثمارها والمتاجرة فيها

وكانت تلك الانحاء اوفق ما يتمنَّاه العرب لسكناهم فترى اهل الحَضَر منهم يسكنون القرى ويتعاطون اشغال الفلاحة. امَّا اهل الوبر فكانوا يرعون مواشيهم في الارياف ويرتزقون بلحومها والبانها واصوافها. وقد نما فيها عددهم حتى رسخت قدمهم وصار اليهم الامر

وكان الرومان في بدء احتلالهم يعدُّون العرب كخطر على البلاد لما اعتادهُ اهل البدو من الغزوات وشنّ الغارات والسلب والنهب فحاولوا غير مرَّة كسر شوكتهم

غير انّهم عرفوا بالاختبار انّهم لا يظفرون بهم ظفرًا تامًّا ما لم يستنجدوهم ويستعينوا ببعض عشائرهم لقطع دابر الشاذ الباقين منهم · فحالف الرومان شيوخ قبائلهم ودفعوا لبعضهم قسماً من السلطة على بادية الشام بصفة شيوخ او ملوك فكانوا يتصرّفون مع اهل جنسهم تصرُّف السيّد مع المسود وربّما زاحموا الدولة الرومانية كلما كانوا يشعرون بانتقاض حبلها او ضعف ولاتها · فترى النبطيين منهم في اواسط القرن الاوَّل للمسيح متقلدين الحكم على دمشق نفسها كما ورد عن الحارث ملكهم في رسالة بولس الرسول في رسالتهِ الثانيــة الى اهل كورنثية (١١ : ٣٢) وتبعهُ في الحكم غيرهُ من النبط · وقــد افادنا تاقيتس المؤرخ في تاريخ طيطس بانَّ الرومان كانوا اتخذوا في مقدّمة جندهم كتيبةً من العرب كانوا يتقدّمون الجيش في محاربة اورشليم على عهد وسبسيانوس وابنهِ طيطس · بل كان الرومان يدفعون لبعض الفرق العربيَّة وظائف معلومة ليقوموا بحراسة التخوم الرومانيَّة من جهة البادية · وقد اخبر اميان مرقلينوس (Ammien Marcellin, XXV, 6) في ترجمة يليانوس الجاحد بانَّ بعض شيوخ هؤلاء المتحالفين قدموا على القيصر وشكوا اليــهِ تأجيل عمَّالهِ في دفع رواتبهم فغضب يليانوس وزجرهم بقولهِ انَّــهُ : اعدَّ لهم حديدًا (لقتالهم) لا ذهباً (لأجرتهم) · فخرجوا ناقمين على الرومان ولحقوا بجيش العجم وحاربوا يليانوس مع جيش سابور فكانت عليهِ الدَّولة

امَّا الديانة التي كانت عليهــا امم بادية الشام وقبائلها فكانت خلطاً من اديان الوثنيَّة فكان اليونان والرومان أتوا بمعبوداتهم المنوطة بالسيَّارات كالمشتري وزحل وعطارد والزهرة والمرّيخ فاكرموها اكرام اجدادهم ومواطنيهم لها في اثينة وروميةَ · ونشر الفينقيّون عبادة تمّوز وعشتروت والبعل · امَّا النبط فكانوا يفضّلون ذا الشرى (Dusares) واللات وشمس ويَثع · ثمَّ اختلطت هذه العناصر المتباينة وتداخلت اديانهم ببعضها واكرم كل قوم معبودات القوم الآخرين

وفي غضون ذلك ظهرت النصرانيَّة وقامت لمناهضة تلك الاديان كلّها دون ان ترضى ان تختلط بها او تبادلها بشيءٍ · والمرجّح ان الدين المسيحي دخل بــلاد العرب من غربيّ الجزيرة من جهة الشام حيث انتشر بعد صعود السيد المسيح بزمن قليــل كما ورد في سفر الاعمال · ولا يقبل العقل ان بولس الرسول رحل الى العربية كما جاء

في رسالتهِ الى اهل غلاطية (١ : ١٧) دون ان يكون سبقهُ اليها احد من المتنصِّرين او خلّف فيها اثرًا من دينهِ

والظاهر انّ النصرانيّـة دخلت اوّلًا في حاضرة حوران اعني بُصرى كما تشير اليهِ التقاليد القديمة التي تناقلها الكتبة اليونان والسريان ثمّ العرب المسلمون من بعدهم. فقد ورد في جدول دورتاوس السوري لتلامذة السيّد المسيح السبعين انّ تيمون احد الشمامسة السبعة المذكورين في سفر الاعمال (٦ : ٥) نشر الدعوة النصرانيّة في مدينة بُصرى فعُدَّ كرأس اساقفتها. وفي الروايات التي تداولها الكتبة النصارى عن الرُّسل واثبتها السمعاني في مكتبتهِ الشرقيّة (ج ٤ ص ١ — ٢٠) انّ البعض منهم تلمذوا العرب وخصُّوا بهم عرب بادية الشام وحوران كما يظهر من القرائن. وصرّح بالامر المقريزي في كتاب الخطط والآثار (ج٢ ص٤٨٣) فروى عن متى العشّار « انهُ سار الى فلسطين وصور وصيداء وبصرى ». وقال ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ١٥٠) : « ان برتلماوس بُعث الى ارض العرب والحجاز ». امّا تدمر وباديتها فذكر سليمان اسقف البصرة في كتابهِ السرياني المعنون بالنحلة (Budge : *Book of the Bee, p.106*) انّ يعقوب بن حلفا بشّر فيها

على انّ هذه الشواهد في الدعوة النصرانيّة الاولى في بادية الشام تعمّ كل عناصر الاهلين ولا تفرز العرب من سواهم فتُبقي شكًّا في تنصُّرهم الّا انّ ما يتبع ذلك العهد من الشواهد التاريخيّة اصرح واجلى. فقد افادنا مؤرخو العرب انّ القبيلة الاولى التي تولّت على بادية الشام باسم الروم انّما كانت قضـاعة من قبائل اليمن. ثمّ غلبتها على الامر سليح ثمّ جاءت بعدهما قبيلة غسّان فملكت على تلك الجهات وبقي ملكها الى ظهور الاسلام. والحال انّ هذه القبائل الثلث قد دانت بالنصرانيّة على رأي اولئك المؤرخين . قال اليعقوبيّ في تاريخهِ (طبعة ليدن ١ : ٢٣٤) عن قضاعة « انّ قضاعة اوّل من قدم الشام من العرب فصارت الى ملوك الروم فملّكوهم فكان اوّل الملك لتنوخ بن مالك بن فهم ... فدخلوا في دين النصرانيّة فملّكهم ملك الروم على مَن ببلاد الشام من العرب » . وكذلك بنو سليح فقد صرّح بنصرانيّتهم المسعوديّ في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٢١٦) قائلًا : « وردت سليح للشام فتغلّبت على تنوخ وتنصّرت فملّكها الروم على العرب الذين بالشام »

امّا نصرانيّة غسّان فهي من الامور التاريخيّة الراهنة التي لا يختلف فيها اثنان. على انّ كاتباً من البغاددة اغفـل اسمهُ كان تصدّى لنا في هذه المسألة ونشر في المقتبس (٢: ٣٨٢) رأياً خالف فيهِ مجموع المؤرخين وزعم انّنا بنسبتنا النصرانيّة الى غسّان ركبنا شططاً فرددنا عليه بمقالتين ضافيتين نشرناهما في المشرق (١٠: ٥١٩: ٥٥٤) جمعنا فيهما البيّنات اللامعة والشواهد الساطعة التي تثبت تديّن غسّان واحيائها وملوكها بالنصرانية ولا بأس ان يقـال غسّان كلّها مع امكان وجود بعض افراد او عشائر لم يكونوا نصارى فان الكلام على الاغلبية . ولاثبات زعمنا اتينا بالادلّة التابعة التي لم نركن فيها الى اقوال مؤرخي العرب فقط وكل ذي انتقاد يعلم انّ كتبة العرب لم يدوّنوا تاريخاً صحيحاً قبل القرن الثامن وانّا نقلنا نصوص كتبة يوثق بهم من يونان ورومان وسريان ممن كانوا معاصرين للحوادث التي فصّلوا اخبارها وامكنهم الوقوف على صحّتها اما بالمعاينة وامّا بصوت العموم

نصرانية غسّان

غسّان قبيلة يمنية قدمت جهات الشام بعد انفجار سدّ مأرب وسيل العرم فاستوطنوها ثم تغلبت على اهلها بعد سليح كما سبق فصار اليها الامر وتبعت قضاعة وسليحاً في نصرانيتهما. والكتبة العرب لسان واحد في اثبات ذلك فان تتبّعنا آثار النصرانية في كتبهم وجدناهم يذكرون لملوك غسّان الاوّلين ابنيةً تدلّ على نصرانيّتهم فان حمزة الاصبهانيّ في تاريخ الملوك والانبياء (ص ١١٧) يؤكّد ان ثاني ملوك غسّان عمرو بن جفنة بنى بالشام عدّة ديورة « منها دير هنـد ودير حالي ودير ايّوب » ثم ذكر (ص ١١٨) للايهم بن الحارث بن جبلة اخي المنذر الغسّاني الاكبر انهُ « بنى دير ضخم ودير النبوة » . ومن المعلوم انّ تنصُّر الملوك يدلّ عادةً على تنصُّر رعاياهم . وفي الواقع لا تكاد تجد مؤرخاً عربيّاً الّا يشير الى نصرانيّـة غسّان فالمسعودي في مروج الذهب طبعة مصر (١: ٢٠٦) وفي كتاب التنبيه والاشراف طبعة ليدن (ص ٢٦٥) وابن رسته في كتاب الاعلاق النفيسة (طبعـة ليدن ٢١٧) وابو الفداء في تاريخـهِ (١: ٧٦) والنويري (Rasmussen, 72) وغيرهم لا يدعون في الامر ريباً . وقال اليعقوبي من كتبة القرن العاشر للمسيح (في تاريخـهِ

١ : ٢٩٨) : «واما من تنصَّر من احياء العرب فقوم من قريش ومن اليمن طيّ وبهراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم » .

وقال السيوطيّ في المزهر نقلاً عن كتاب الالفاظ والحروف بانَّ اللغة العربيَّة لم تؤخذ من قبائل شتى الى ان قال انَّها لم تؤخذ « ولا من قضاعة وغسَّان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأُون بالعبرانيَّة » يريد بالعبرانيَّة السريانيَّةَ الفلسطينية

وممن اشار الى نصرانيَّة غسَّان النابغة في بائيَّتِهِ التي مدح فيها ملوك غسَّان واثنى على دينهم وذكر عيد الشعانين فقال :

مجلَّتهم ذات الإلهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ
رقاق النعال طيّبٌ حجزاتهم يحيَّون بالريحان يوم السباسبِ

هذا ما علق في ذهن العرب عن نصرانيَّة غسَّان ولعلَّهُ كافٍ ليقنع بشيوع دين المسيح في بادية الشام كلّها لانَّ كلامهم يدلّ على انَّ النصرانيَّة بتلك الاصقاع ما كانت محصورة في غسَّان بل امتدَّت ايضاً الى القبائل العربيَّة من اهل الحضر والمدر الذين سكنوا في تلك الانحاء واختلطوا بمستعمريها . فمن اراد ان يتتبَّع تاريخ النصرانيَّة بينها ينبغي عليهِ ان يجمع ما دوَّنهُ المؤرخون اليونان والرومان والسريان منذ انتشار الدين المسيحيّ في تلك الجهات اذ لا يجوز القول بانَّ النصرانيَّة لم تؤثر في غير الاجانب المستوطنين فيها واقوالهم جديرة بالاعتبار وهم معاصرون للامور التي كتبوا عنها

فممَّا رواهُ اوسابيوس القيصري في تاريخهِ الكنسي (ك ٦ ف ١٩) انَّ النصرانيَّة كانت في مبادئ القرن الثالث للمسيح راسخة القدم وافرة العدد في بصرى حاضرة حوران . وقد اخبر عن اوريجانوس المعلّم الاسكندريّ الشهير انَّهُ رحل ثلاث مرَّات الى بُصرى . فالمرَّة الأُولى استدعاهُ حاكمها الرومانيّ المدعوّ جاليوس سنة ٢١٧ ليفقّههُ تعاليم الدين المسيحيّ وينصِّرهُ فجاء اوريجانوس الى بلاد العرب ملبّياً دعوتهُ وبعد أن اتمَّ مرغوب الحاكم وعمَّدهُ رجع الى الاسكندريَّة . امَّا الرحلة الثانية فباشرها اوريجانوس كما افاد اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٦ ف ٣٣) بسبب بيرلُّوس مطران بصرى . فانَّ هذا الرجل كان من مشاهير اساقفة زمانهِ في

بلاد العرب ألّف رسائل ومقالات دينيّة وادبيّة فصيحة الالفاظ بليغة المعاني لولا انّهُ شطّ في كلامهِ عن لاهوت السيّد المسيح لجرى بينهُ وبين الاساقفة معاصريهِ جدال وخصام ولمّا لم يقنعوه ارسلوا الى اوريجانوس ليأتي الى حوران فيباحث بيرلُوس المذكور ويردّهُ عن ضلالهِ فعاد المعلّم الاسكندري الى حاضرة بلاد العرب وبعد ان اجتمع باسقفها وتحقّق شططهُ عرض عليهِ الرأي الصحيح وأزال ريبهُ فجاهر بيرلُوس بخضوعهِ للايمان المستقيم امام مجمع من الاساقفة عُقد لذلك وانصرف اوريجانوس راجعاً الى الاسكندريّة· ففي التئام هذا المجمع دليل واضح على نفوذ النصرانيّة في بادية الشام ووجود اساقفة في مدنها كجرش (Gérasa) وربّة عمّان (Philadelphie)

امّا المرّة الثالثة التي قدم فيها اوريجانوس الإمام الى بادية الشام فكانت بسبب بدعةٍ ابتدعها بعض اهلها فزعموا انّ النفوس تفنى بالموت كالاجساد ثم تُبعَث يوم الدينونة معها لتنال الثواب عن اعمالها· فلمّا عرف اوريجانوس بهذا القول. اسرع الى تفنيدهِ في مجمع ضمّ اربعة عشر اسقفاً وبيّن امام الجموع الملتئمة لاستماعهِ حقيقة تعليم الكنيسة فردّ الضالّين وثبّت الايمان في قلوبهم وانكفأ منصرفاً الى مركزهِ (راجع تاريخ اوسابيوس ك ٦ ف ٣٧)

وكان قبل ذلك بمدّة اشتهر مبتدع آخر نصرانيّ من عرب الشام اسمهُ منيم (Monoimos) كان هذا كطاطيانوس (Tatien) تلميذًا للقديس يستينوس النابلسي والفيلسوف الشهيد لكنّهُ خلط بين الآراء الفلسفيّة والايمان كما ذكر تاودوريطوس في كتاب الهرطقات (Fab. Hær., I, 18) واتّضح مؤخرًا من كتاب القديس هيپوليتس الشهيد المدعو بفيلوسوفومينا (Philosophoumena)

وممّا يُثبت ارتقاء النصرانيّة واتساع دائرتها في بادية العرب انّ منها خرج اوّل قياصرة الرومان النصارى· ونريد بهِ فيلبُّوس العربيّ الذي ملك على رومية من السنة ٢٤٤ الى ٢٤٩ ·وكان اصلهُ من بُصرى ثمّ تجنّد في جيوش الرومان ولم يزل يتقلّب في كلّ مناصب الجنديّة حتّى صار كبير رؤساء العسكر ووزير الحرب وصحب غرديان الثالث في محاربة الفرس· الّا انّ الجند شغبوا على الملك في طريقهِ واقاموا بدلًا منهُ فيلبُّوس العربيّ· وكان فيلبُّوس نصرانيًا كما تشهد على دينهِ الآثار التاريخيّة ورسائل اوريجانوس اليهِ· وقد زعم البعض انّ غورديان قُتل باغرائهِ الّا انّ غيرهم ينكرون

ذلك بتاتاً ولعلّهُ لم يخلُ من الطمع فلم يدافع عن مولاه كما وجب عليهِ ولذلك قد اخبر اوسابيوس القيصري (ك ٦ ف ٣٤) وصاحب التاريخ الاسكندري (Chronicon Alexandrinum) . انهُ لما عاد راجعاً بالعسكر الى رومية مرَّ بانطاكية واراد ان يشترك مع النصارى في موسم عيد الفصح الّا انَّ اسقف المدينة القديس بابيلاس تصدَّى لهُ ولم يسمح لـهُ بمشاركة المؤمنين الّا بعد اعترافهِ بخطاياه وتقدمتهِ التوبة عنها (١ . وكانت ايام فيلبُّوس العربيّ ايّام راحة وعمران للدولة الرومانيَّة وفي عهدهِ أُقيمت الافراح العموميَّة في كلّ المملكة بنسبة مرور الف سنة على مدينـة رومية ومن اعمـالهِ تشييد مدينة «عمّان» في حوران ودعاها باسمهِ «Philippopolis» ونالت بهمّتهِ النصرانيَّة سلاماً موقتاً فانتشرت ايّ انتشار الى ان فتك بهِ احد القوّاد المدعو دقيوس وقتلهُ مع ابنهِ وتولَّى الامر مكانهُ . قال اوسابيوس (ك ٦ ف ٣٩) انَّ دقيوس هذا اثار على النصارى اضطهادًا دمويًّا بغضاً بفيلبوس سلفهِ . وفي تاريخ اوروزيوس (اوروشيوس) من كتبة القرن الخـامس (ك ٧ ف ٢١) انَّ دقيوس قتـل فيلبوس وابنهُ بسبب تنصُّرهما وعليهِ يكون موتهما استشهادًا . وقد جمع البولنديُّون في اعمال القديسين (Acta SS. Janv., II, 617-621) عدَّة شواهد تثبت ذلك . فكفى بهِ فخرًا لبـلاد العرب انَّ اوَّل قياصرة رومية المتنصّرين كان مولدهُ في ربوعها وسبق قسطنطين في تنصُّرهِ

كلّ ما سبق قد تمَّ قبـل القرن الرابع فلمَّا نالت النصرانيَّة حرّيتها وخرجت ظافرةً من الديماميس زاد الدين بذلك رونقاً وعزًّا في بادية العرب وكافَّة مدنها ولنـا ادلَّة على ذلك في الكنائس العديدة التي تشيَّدت مذ ذاك العهد بكلّ انحاء حوران والصفا واللجا وجولان والبلقاء التي وُجد كثيرًا من بقاياها الجليلة الاثريُّون الذين تجوَّلوا في تلك الجهات كوادنغتون (Waddington) ودي ڤوكويه (de Vogüé) ووتشتين (Wetzstein) وراي (Rey) ودوسُّو (Dussaud) وآباء رهبانيَّتنا . وكلّهم وصفوا هذه الآثار ورسموا تصاويرها وذكروا تواريخها (٢

١) اطلب ايضاً تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ١٣٦)

٢) راجع كتاب واذنتون ودي ڤوكوية (Waddington et de Vogüé: *Syrie Centrale: Architecture civile et religieuse du 1er jusqu'au 7e siècle*, Paris, 1864)

ومن هذه الآثار مئات من الكتابات اليونانيّة واللاتينيّة * وجدت في نيّف ومائة موضع فيها اسماء كنائس واساقفة ووجهاء من النصارى وعليها رموز نصرانيّة لا شكّ فيها كالصليب في هيئات مختلفة واوّل حروف اسم السيّد المسيح والانجر وسعف النخل والسمكة. ومنها ما يحتوي شعارًا دينيًا صريحًا كآية التوحيد « الله واحد هو » وتسبحة السيّد المسيح « قد انتصر المسيح » او « المسيح الـه هو ». وبين تلك الكتابات كتابة عربيّة سبقت الاسلام خمسين سنة باحرف عربيّة تاريخها سنة ٤٦٣ لبصرى اي ٥٦٨ للمسيح وُجدت في حرّان وجاء فيها ذكر مشهد أُقيم تذكارًا للقديس يوحنّا المعمدان على يد احد شيوخ القبائل العربيّة المدعو شراحيل (١

وكذلك توفّرت شواهد المؤرخين الذين ابقوا لنا ذكرًا للنصرانيّة ولامورها الدينيّة والمدنيّة في بادية الشام. فمنها جداول الاساقفة الذين حضروا المجامع المسكونيّة الكبيرة التي سبقت الاسلام وبالاخصّ الاربعة الاولى في نيقية والقسطنطينيّة وافسس وخلقيدونية فهناك اسماء عدّة اساقفة اتوا من مدن بادية الشام وصادقوا على اعمال تلك المجامع بتوقيعهم واسماء بعضهم عربيّة محض كالحارث او منقولة عن العربيّة كثاودولس تعريب عبدالله وثاودورس تعريب وهب الله

وكان هؤلاء الاساقفة من اهل الحضر يسكنون مدن بادية الشام. الّا انّ غيرهم كانوا يسكنون المضارب ويتنقّلون مع القبائل الراحلة الناجعة المتقلّبة في المجالات ارتيادًا لمراعي غنمها ومصالح ابلها. وقد بلغتنا اسماء بعضهم ممّن عُرفوا باساقفة الخيام وحضر بعضهم المجامع الكنسيّة وامضوا عليها

واشتهر بعض اساقفة البلاد العربيّة بما خلّفوهُ من الآثار. منهم القديس طيطس رئيس اساقفة بُصرى وضع عدّة تآليف اعظمها شأنًا ما كتبهُ في تزييف بدعة ماني والمانويين وكانت هذه التآليف مفقودة حتّى توفّق الى اكتشافها في عهدنا بعض المستشرقين فوجدوها في السريانية ونشروها مع ترجمتها. وكان طيطس في عهد يليانوس الجاحد ولم يخف من تحذير شعبهِ عن كفر ذلك القيصر المارق

واشتهر في القرن الخامس للميلاد خلفهُ على كرسيّهِ القديس انطيفاتر صاحب

---

* بين القرن الثاني والقرن الرابع للمسيح

١) اطلب كتاب لوبا ووادنتون (Ph. Le Bas et Waddington: *Inscriptions Grecques et Latines*, III, p. 563)

مصنَّفات عديدة في مواضيع دينيَّة شتَّى كمقالات في ايضاح الايمان وميامر في الاعياد وردود على الهراطقة

وفي تاريخ كتبة اليونان كسوزومان (ك ٦ ف ٣٨) وروفينوس (ك ٢ ف ٦) وثاودوريطس (ك ٤ ف ٢٠) وثاوفان في تاريخ سنة ٣٦٩ وغيرهم من مؤرخي القرن الرابع الى اواخر السادس للمسيح فصول شتَّى واخبار منثورة عن احوال الدين بين عرب الشام تفيدنا علماً عن سطوة النصرانيَّة واجتذابها لقلوب اهل البادية لاسيما بواسطة السيَّاح والنسَّاك الذين كانوا يعيشون في قفارهم ويخدمون الله كملائكة متقمصين اجسادًا هيوليَّة . فكانت فضائلهم العجيبة والكرامات التي تجري على ايديهم من شفاء الاسقام وطرد الارواح النجسة واستمداد النعم الروحيَّة والبركات الزمنيَّة تجذب اليهم اهل المدن والقرى فلا يلبثون ان يسمعوا تعاليمهم ويستنيروا بارشاداتهم ويهتدوا على ايديهم الى جادَّة الحقّ فيطلبوا الاصطباغ بمياه المعموديَّة

قال سوزمان في تاريخهِ (Sozomène, HE, VI, c. 38) عن عرب الشام : « قد تنصَّر كثير من العرب (هو يدعوهم بالشرقيين Σαρακηνοί) قبل زمان والنس (من ٣٦٤ الى ٣٧٨) ممَّن اجتذبتهم الى الايمان المسيحي ارشادات الكهنة والرهبان الذين كانوا يعيشون في النسك والزهد في الانحاء المجاورة لهم عائشين بالقداسة ومجترحين المعجزات الباهرة » . ثم ذكر سوزمان ما اشرنا اليهِ سابقاً في دفاعنا عن نصرانيَّة غسَّان اعني رجوع قبيلة كبيرة كان زعيمها يدعى زوكوموس (وهوضجعم) فنال لهُ احد الرهبان بصلواتهِ الى الله ولدًا ذكرًا فاعتمد هو وكلّ قبيلتهِ

واردف المؤلف ذلك بخبر ماوية ملكة العرب التي حاربت الرومان وغلبتهم واستولت على بلادهم الى تخوم مصر ولم ترضَ بصلحهم الّا على شرط بان يرسل الرومان الى مملكتها ناسكاً شهيرًا يُدعى موسى خصَّهُ الله بصنع العجائب وبقداسة الحياة فسُقِّف على العرب الذين تحت حكمها وكان عدد النصارى الذين وجدهم في دولتها قليلًا امَّا هو فانار معظم رعاياها وعمَّدهم . وقد اخبر ثاودوريطس في تاريخهِ (ك ٤ ف ٢٠) انَّ ماوية هذه توطيدًا للصلح مع الرومان قرنت ابنتها بالزواج مع القائد الروماني ڤكتور . وكانت الفتاة شديدة التحمُّس في الايمان

ومذ ذاك الحين إذا ورد اسم احد ملوك غسَّان امَّا في تواريخ السريان وامَّا

في تواريخ اليونان واللاتين تجد الكتبة لساناً واحداً في وصفهم كنصارى يخصّهم الكتبة بالالقاب الشرَفية الممنوحة لهم من القياصرة فيُدعَون بطارقة وامراء وذوي العزّ والدولة: وربمّا زادوا على هذه الالقاب ما دلّ على دينهم فيُدعون مؤمنين (ܡܗܝܡܢܐ ܘܡܫܘܡܫܢܐ ܫܪܝܪܐ) ومحبين للمسيح (ܡܚܒܢܐ ܘܪ̈ܚܡܝ ܠܡܫܝܚܐ ܫܪܝܪܐ) وكذلك ورد في احد مخطوطات لندن اسم كاهن يُدعى «كاهن ذي العزّة والمحب للمسيح البطريق المنذر بن الحارث» (١

وفي القرن الخامس اخذ الرهبان يعيشون عيشةً اجتماعيّة بعد ان كانوا يعيشون منفردين في الاقفار والمرجّح انّ الاديرة التي ذكرها حمزة الاصبهاني وابو الفداء وغيرهما بُنيت في هذا الزمان. وكذلك الاديرة التي وصفها ياقوت الرومي في معجم البلدان كدير أيوب في حوران (في قنوات على ما يظنّ وهي بلد أيوب) ودير يَوْنَا ودير سعد ودير بصرى وقد بقي بعض هذه الاديرة مدّةً حتى بعد عهد الاسلام

وممّا زاد النصرانيّة ترقّياً في بلاد العرب عدد كبير من الاساقفة والكهنة والرهبان كانوا في ايّام الاضطهادات على عهد القياصرة الوثنيين او ملوك الروم المتشيعين لا يجدون على حياتهم اماناً الّا بان يهجروا بلادهم ويفرّوا الى انحاء العرب حيث كان يصعب على المتعصبين ان يدركوهم ويلحقوا بهم الأذى

وربّما نفى المتعصبون هؤلاء المعترفين بالايمان من بلادهم الى بلاد العرب ليذوقوا هناك مشقّات العيش من الجوع والعطش والعري. وكثر عددهم في ايّام بدعة آريوس. وكان بعض هؤلاء رجالاً ذوي علم واسع وفضل كبير كايليّا بطريرك القدس واوجان اسقف الرها وبروتوجان اسقف حرّان. فكان المنفيّون اذا احتلّوا بين العرب سعوا في انارة عقولهم وبيّنوا لهم بطلان اوثانهم وأقنعوهم بجحد اضاليلهم

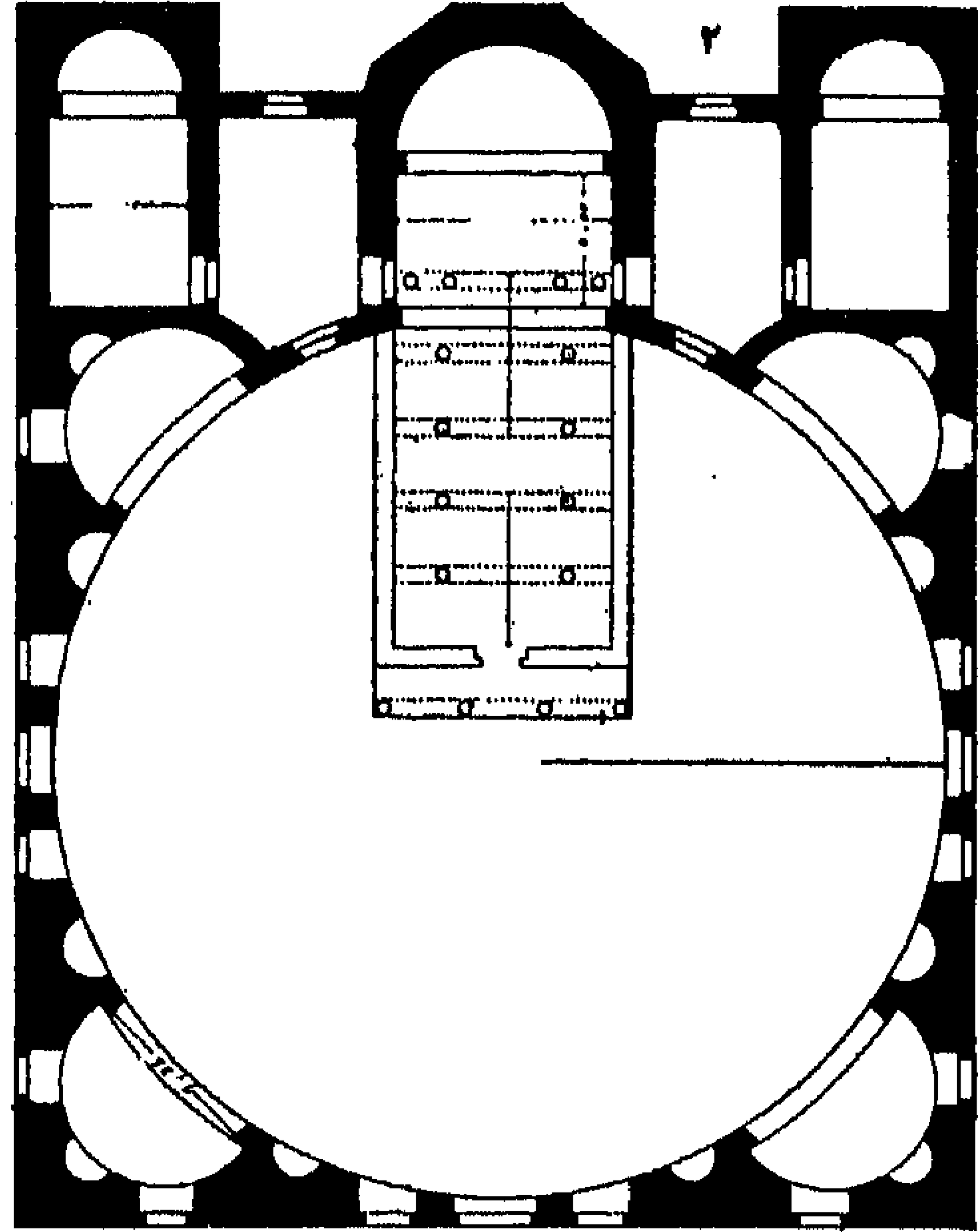
بل يذكر التاريخ جملة من الشهداء قُتلوا في سبيل الايمان في بادية الشام ومدنها كالقديسين كيرلُس واكويلا ودومطيان المستشهدين في مدينة عمّان على عهد ديوقلطيانوس وتذكرهم الكنيسة في ١٠ آب وكزينون وزيناس الشهيدين على عهده ايضاً سنة ٣٠٠م. وذكر اوسابيوس القيصري (ك٨ ف ٢١) انّ في زمن هذا الملك «قُتل عدد لا يُحصى من الشهداء في بلاد العرب». وفي السنكسار الرومانيّ عدّة شهداء

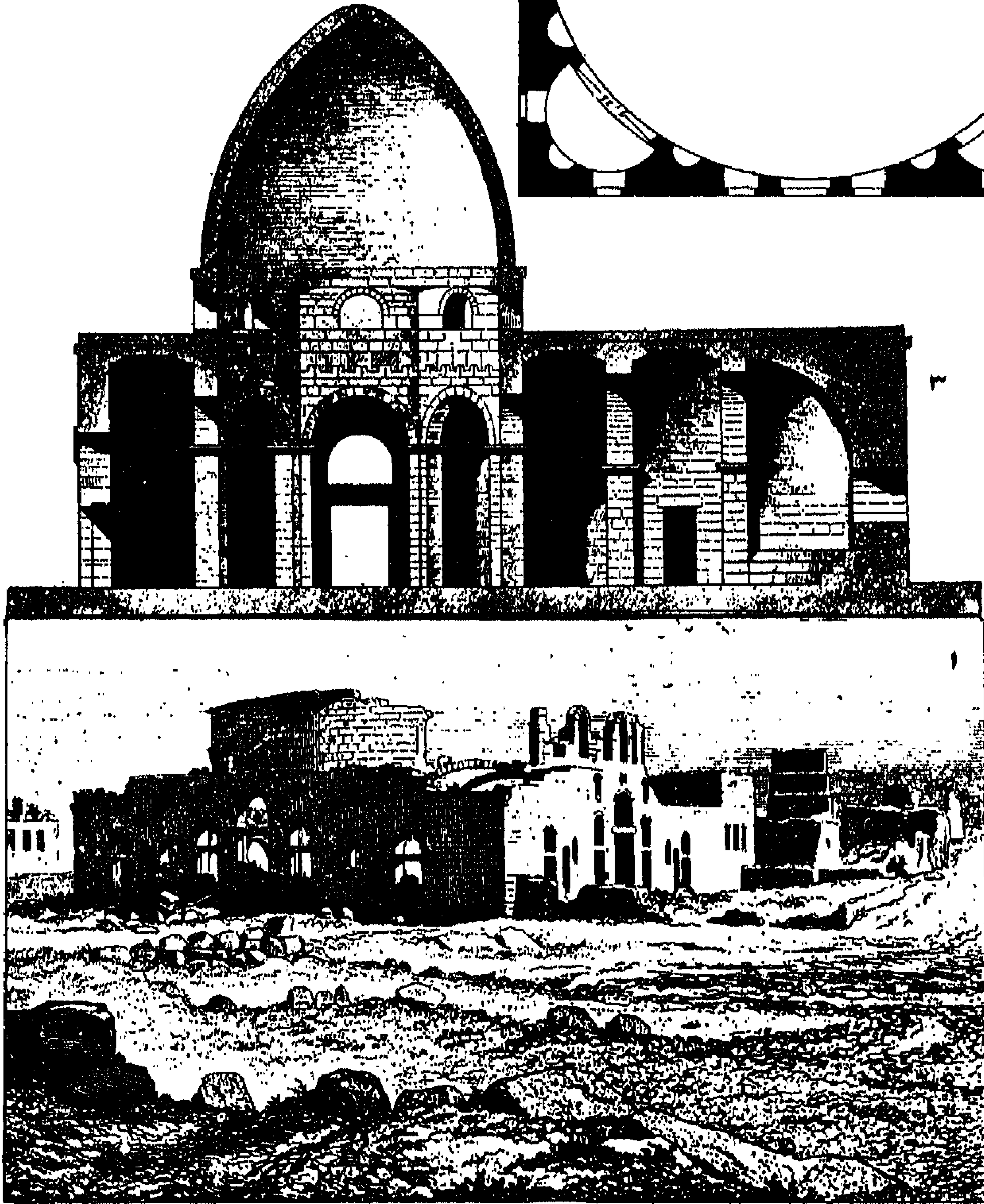
١) اطلب كتاب نلدكه عن غسّان (Die Ghassan. Fürsten, p. 8

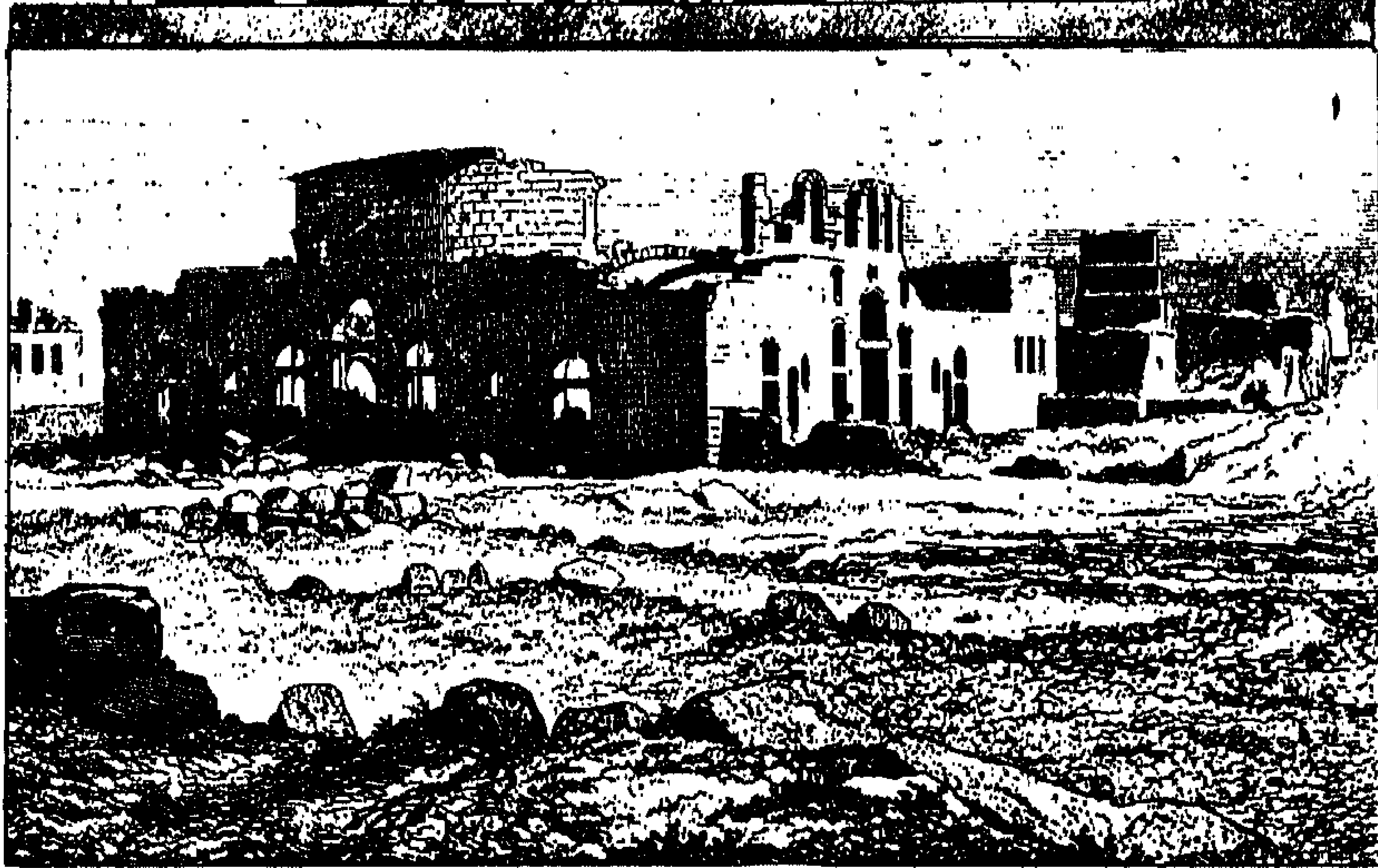
١ كنيسة بُصرى في حوران
(رسم العلّامة دي ڤوكويه)

٢ رسم الكنيسة المذكورة وهندستها

٣ قطع نصفيّ لكنيسة إذرع في حوران







قُتلوا في بادية الشام في ذلك الاضطهاد عينهِ فيُكرمون لشهامتهم في غرَّة آب. واستشهد فيها على عهد يليانوس الجاحد القديسان اوجان ومكاريوس المكرَّمان في ك ١ . فلا غرو انَّ دم هؤلاء الشهداء أخصب زريعة الايمان وانماها في جهات العرب

ومن هذه الآثار القديمة اعلام الامكنة التي بقيت حتى اليوم كدليل ناطق على اتّساع النصرانيَّة في منازل غسَّان لا سيما الصفا وحوران . فان عددًا دثرًا من اسماء الامكنة يدعى في زماننا بالدير كدير الكهف ودير قنّ عدَّدها الاثريون دي فوكوي ووادنغتون ودسو وغيرهم

ويضاف الى هذه الشواهد جداول المراكز الدينيَّة التي تدلُّ على تعدُّد الاستقفيَّات في تلك الانحاء فان مطران البصرى وحده كان يحكم على ٢٠ اسقفًا (١ وكان بعض هؤلاء الاساقفة يتنقَّلون مع القبائل الراعية فيسكنون الخيم ولذلك يدعونهم اساقفة الخيم (ἐπίσκοποι τῶν παρεμβολῶν) وقد امضوا غير مرة اعمال المجامع بهذا التوقيع « فلان اسقف اهل الوبر » او « فلان اسقف القبائل الشرقيَّة المتحالفة » او « فلان اسقف العرب البادية » (٢ . أفترى بيّنة أعظم من ذلك على انتشار النصرانيَّة بين عرب الشام

فهذه الحجج كافية ليقرَّ كل مناظر بصحَّة قولنا عن غسَّان انَّها كانت تدين بالنصرانيَّة ولو شئنا لعزَّزنا هذه الادلَّة بشواهد اخرى من كتبة السريان كميخائيل الكبير ويوحنَّا اسقف افسس ويوشع العمودي وابن العبري ونصوصهم توافق ما ذكرناه آنفًا

وممَّا يقتضي التنبيه اليهِ انَّ النصرانيَّة في بادية الشام ثبتت في عزّها الى ظهور الاسلام ونمت واتَّسعت حتَّى يجوز القول بانَّ الوثنيَّة تقلَّص ظلُّها حتَّى كاد يضمحلّ ومَّما يدلُّ على ذلك انَّ نصارى العرب الذين اجتمعوا مع الرومان لردّ غارات المسلمين في غرَّة الاسلام كانوا الوفًا مؤلَّفة يبلغ الكتبة عددهم الى مئة الف بنيّف (٣

١) وجاء في بثة دوسو الى بادية الشام (René Dussaud : *Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne*, p. 77) انَّ عددها كان ٣٣

٢) اطلب مجموع اعمال المجامع (Labbe : IV, 83, 91, 268)

٣) راجع ما كتبهُ الياس النصيبيني المؤرّخ (Elias Nisib. *ap. Baethgen*, Fragm. 109)

فهذا العدد الوافر من المقاتلين يدلُّ على انَّ النصارى في بادية الشام كانوا أُلوف الالوف فلا يكادُ يبقى بينهم مكان لاهل الشرك وعبدة الاصنام

هذا ولا ندَّعي انَّ النصرانيَّة الغالبة على بادية الشام كانت صافية خالية من كلّ شائبة وضلال. كلّا بل نعلم حقّ العلم انَّ البدعة اليعقوبيَّة تسرَّبت الى تلك الجهات وكدَّرت صفاء الايمان بما ادخلتهُ من المعتقدات الباطلة في طبيعتي السيد المسيح وبزعمها انَّ المسيح طبيعة واحدة كما هو اقنوم واحد فمزجت اللاهوت بالناسوت وبلبلت كلّ تعاليم الخلاص

ولم تكن اليعقوبيَّة البدعة الوحيدة التي قوَّضت اركان التعاليم الرسوليَّة بل دخل الى بلاد العرب كثيرون من المبتدعين الذين كانوا يؤملون رواج اضاليلهم في انحائها دون ان يلاقوا فيها زاجرًا يزجرهم ولا وازعاً يزعهم. وكان بعضهم يفرّون الى جهات العرب لينجوا من مصادرة ملوك الروم الذين كانوا يريدون قهرهم على جحود اضاليلهم فيفضّل اولئك المتشيعون الهرب الى بادية العرب. فكثروا هناك ونشروا بدعهم حتى قال القديس ابيفانيوس انَّ بلاد العرب ممتازة ببدعها (Arabia hæresium ferax)

وقد رددنا في المشرق (١٠ : ٥٥٦) على بعض اعتراضات اعترض بها على نصرانيَّة غسَّان مراسل المقتبس فبيَّنَّا بطلانها. كزعمهِ بانَّ الحارث الاكبر ابن ابي شمر الغسَّاني الملقَّب بالاعرج كان وثنيًّا لأنَّهُ اهدى سيفَيْهِ رسوباً ومخذماً لبيت صنم كما روى الطبري (١ : ١٧٠٦) فاثبتنا نصرانيَّة الحارث بشواهد مؤرخين معاصرين للحارث من يونان ولاتين وسريان وقد ورد اسمهُ في الكتابات القديمة ملقَّباً بالمحبّ للمسيح كما رأيت وان كان يعقوبيّ النحلة كما ذكر هؤلاء الكتبة. اما تقدمتهُ سيفين لبيت صنم فهي رواية ضعيفة لا يتّفق فيها الرواة (اطلب ياقوت ٤ : ٤٥٣) ما لم يقُل انَّ الطبريّ جعل بيت صنم احد معابد النصارى او يقال انَّ الحارث النصرانيّ اتى بفعلهِ عملًا ذميماً فنسي شرائع النصرانيَّة او تجاهل بها

واعترض الكاتب البغداديّ على نصرانيَّة عرب غسَّان بشهادة ياقوت الحموي (٤ : ٦٥٢) بانَّ غسَّان كانت تعبد مناة وذكر دعاءها عند وقوفها عند صنمها. فكان جوابنا انَّنا لم ننكر كون غسَّان دانت مدَّة بالوثنيَّة لكنَّها لمَّا تنصَّرت نبذت

عبادة مناة وبقيّة الاصنام منذ القرن الرابع للمسيح كما ثبت من الشواهد التي ذكرناها. هذا فضلًا عن انّ الدعاء الذي ذكرهُ عن تاريخ اليعقوبيّ (١: ٢٩٧): « لبيك ربّ غسان راجلها وفارسها » لا يختصّ بصنم ويجوز التوسّل بهِ

وكان آخر ما اعترض علينا الكاتب البغداديّ قول اليعقوبيّ الى الله الحقّ (١: ٢٩٨) بعد ذكر نصرانيّة غسّان انّ « قوماً منهم تهوّدوا » فكان جوابنا عليهِ انّ الكتبة العرب اجمالًا (الّا اليعقوبيّ) ليس فقط لم يذكروا تهوّد غسّان بل نفوا اليهوديّة عنهم. وعنهم نقل صاحب الفضل شكري افندي الالوسي البغداديّ في كتاب بلوغ الارب في احوال العرب (٢: ٢٦) حيث روى عن تبّع الاصغر الحميريّ انهُ لمّا تهوّد دعا الى اليهوديّة غسّان فابوا معتذرين بدخولهم الى النصرانيّة. قال: « وسار تُبّع الى الشام وملوكها غسّان فاعطتهُ المقادة واعتذروا من دخولهم الى النصرانيّة »

واضفنا الى قولنا هذا جواباً آخر فقلنا انهُ يُحتمل ايضاً انّ اليعقوبيّ نسب اليهوديّة الى قوم من غسّان لانتشار بعض الشيع بينهم كشيعة الابيونيين (Ebionites) والنزاريين (Nazaréens) وغيرهما كانت من بقايا اليهود الاوّلين الذين تنصّروا وحفظوا شيئاً من نواميس موسى وهم الذين خرجوا بامر الرب من اورشليم قبل حصارها في عهد طيطس فعبروا بلاد العرب وعرفوا باليهود المتنصّرين (Judéo-chrétiens)

الباب الثالث

النصرانيّة بين عرب الغور والسلط والبلقاء

انّ نهر الاردن المعروف بالشريعة بعد خروجهِ من اغوار حرمون في جهات بانياس وجريهِ جنوباً فتتكوّن منهُ بحيرة الحولة يصبّ في بحر الجليل ثمّ يخترقهُ فيسيل متحدّراً الى الاعماق بين ضفّتين ترتفعان شرقاً وغرباً حتى يبلغ تحدّرهُ نحو ٣٠٠ متر تحت سطح بحر الشام وينتهي الى بحر لوط فتلك الناحية التي يقطعها الاردن تدعى بالغور. وليست تلك الجهة مسيلًا للنهر فقط بل تتّسع ضفافها وترتفع بالتدريج في سعةٍ يقدّر معدّلها نحو ١٠ كيلومترات فيها البقع المخصبة والنواحي العامرة والعيون المتدفّقة

وان لحظت عبر الاردن وجدت وراء ضفافهِ شرقاً بلادًا واسعة تعلوها الجبال الشاهقة كجبل عجلون وجبل جلعاد وجبل نبو الى جبال مؤاب بينها المشارف الفسيحة والاودية الكثيرة الخيرات والمناجع الطيّبة كالسلط والبلقاء وصحاري مؤاب تتّصل شمالًا ببادية الشام وجنوباً بنواحي كرك وجهات النبط وشبه جزيرة سينا فهناك سكنت شعوب كبيرة كالعمونيين والمؤابيين والمديَنيين. وكانت قبائل العرب البادية والحاضرة ممتزجة معها تتنقّل في جهاتها من اريافها الى صرودها طلباً للمراعي او تسكن في المدر فتعنى بالفلاحة

فالنصرانيّة وجدت لها في تلك الاقطار كلّها بين اهلها المطبوعين على شظف العيش وسذاجة الاخلاق ومجانبة الترفّه والبذخ تربةً صالحةً ما كاد يقع في ظهرانيها الزرع الجيّد حتى نما ايَّ نموّ. وكان حلول المسيحيين الاوّلين في تلك الجهات قليلًا بعد صعود الربّ ولاسيما لمّا ثار الاضطهاد الاوّل على تلاميذ الرسل (اعمال ٨: ١) ولمّا جاء الرومان لمحاصرة اورشليم اذ خرجوا الى عبر الاردن بوحي من الربّ فاستوطنوا انحاءهُ كما اخبر اوسابيوس. ولا شكَّ انهُ نال العرب قسمٌ من تلك النعم الروحيّة التي افاضها الله على سكّان تلك الاصقاع فدانوا بدين المهاجرين

ومن الادلّة التي تناقلها بالتقليد فدوّنها المؤرخون تنصُّر الضجاعمة الذين سبقوا الغسّانيين في ملك البلقاء. وقد حفظوا لنا اسم احد امرائهم فدعوهُ دوّاد بن الهبولة المعروف باللثق وجعلوا مقامهُ في مادبا (اطلب تاريخ ابن خلدون ٢: ١٥٣) وذلك في اواخر القرن الثاني للمسيح (١

ولمّا انتهى طور الاضطهادات على المسيحيين في القرن الرابع قُسمت تلك النواحي ايالتين مدنيّتين فدُعيت الواحدة بفلسطين الثانية كانت حاضرتها مدينة باسان والاخرى فلسطين الثالثة كانت حاضرتها مدينة بترا او سلع. وقد بلغ عدد الكراسي فيها قبل الاسلام نيّفاً واربعين كرسيًّا يُعرف اسماء كثيرين من اساقفتها الذين دبّروها ورعوا مؤمنيها فناهيك بذلك شاهدًا صادقاً على امتداد الدين المسيحي في العرب

١) قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق (طبعة ليبسيك ص ٣١٩): «والضجاعم كانوا ملوكاً بالشام قبل غسّان ومنهم داود اللثق الذي يُضاف اليهِ دير داود بالشام وقد ملك زماناً» (والضجاعم هم بنو ضجعم بن سعد بن سليح بن عمران بن الحاف بن قضاعة)

وكان اكثر الدُّعاةِ عملًا في نشر النصرانيَّة نسّاكها وسيّاحها الذين كانوا اتّخذوا لهم مآوي ومحابس يسكنونها معتزلين عن الناس ليعيشوا فيها عيشة الملائكة بالزهد وضروب المناسك الرهبانيَّة فكان مثلهم يعمل في قلوب العرب خصوصاً ويجتذبهم الى دين اولئك الابرار فيطلبون منهم نعمة المعموديَّة

ومما اخبر بهِ القديس هيرونيموس في ترجمة القديس هيلاريون (١ انَّ هذا السائح الجليل الذي تنسَّك في جهات غزَّة سار الى مدينة الخلصة (Elusa) في البريَّة جنوبي بحر لوط ليعود احد تلامذتهِ وكان اهلها يدينون بالوثنيَّة ويكرمون الزهرة على شكل حجرة فوافق وصولهُ اليها يوم عيد الزهرة فلما بلغهم قدوم القديس خرجوا لاستقبالهِ واكرموه اكراماً جزيلًا مع نسائهم واولادهم وكانوا يطلبون بركتهُ وكان قوم منهم نالوا بدعائهِ الشفاء من امراضهم فجعلوا يتوسّلون اليهِ بان يقيم بينهم فوعدهم بان يفعل اذا نبذوا عبادة الحجارة وآمنوا بالسيّد المسيح . فاجابوا الى طلبتهِ ولم يدعوهُ يخرج من بلدتهم حتى اختطَّ لهم حدود كنيسة يقيمونها وكان ممَّن تنصَّروا على يد القديس كاهنهم وسادن اصنامهم . ومذ ذاك الوقت وردت عدَّة آثار عن النصرانيَّة في الخلصاء واسماء اساقفتها منهم واحد يسمى عبد الله وسنذكر اعمالًا أخرى لهيلاريون

وممن دخلت النصرانيَّة بينهم في تلك الانحاء أمَّة النبيط او النبط فهؤلاء كانوا ايضاً من العرب فأنشأوا دولة عظيمة ومصَّروا لهم الامصار واتّخذوا لهم مدينة عظيمة يدعونها بترا او سَلَع لا تزال آثارها الفخيمة تدهش كلَّ من يقصدها . وقد مرَّ لحضرة الاب جلابرت (المشرق ٨ : ٩٦٥–٩٧٣) وصف بعض ابنيتها العاديَّة . وكان ظهور النبط نحو القرن الخامس قبل المسيح وما لبثوا ان اشتدَّ ساعدهم واستفحل امرهم وصار لملوكهم شهرة واسعة واستقلّوا بالملك في القرن الثاني قبل المسيح وكان اوّلهم « الحارث الاوّل » ودام ملكهم الى العشر الاوَّل من القرن الثاني بعد المسيح حيث تغلَّب الرومان على بلادهم وكان آخر ملوكهم مالك او مليكوس الثاني (١٠٣–١٠٧) واصبحت بلاد النبط اقليماً رومانياً يتولّاه احد حكّام رومية

وكانت بترا معبرًا لكلّ القوافل القادمة من مصر الى دمشق ومن جزيرة العرب الى فلسطين ومن العراق الى مصر ولذلك ازدادت ثروتها واشتهر اهلها بالمتاجرة .

١) اطلب اعمال الآباء اللاتين Migne P. L., XXIII, col. 42

وبلغتها النصرانيَّة قبل غيرها من مدن النبط وترى استيريوس اسقفها يلعب دورًا مهمًّا في عهد قسطنطين لمعاكسة البدعة الاريانيَّة. ثم انتشرت النصرانية في بقية النبط وتأصلت فيهم وثبتوا عليها حتَّى بعد ظهور الاسلام بمدَّة حتَّى انَّ بعض الكتبة يدعون نصارى العرب نبطاً. ولك مثال على ذلك في بعض مقامات بديع الزمان في المقامة القزوينيَّة حيث جعل نصَّابهُ ابا الفتح الاسكندريّ نبطيًّا فيقول متظاهرًا بالاسلام:

ان اكُ امنتُ فكم ليلةٍ جحدتُ فيها وعبدتُ الصليبْ

وكذلك ضرب شعراء العرب المثل برهبان مدين وزهدهم. قال كثيِّر عزَّة:

رهبانُ مدينَ والذين عهدتُهم يبكون من حذر العقاب قعودا

وكانت نواحي الغور على ضفَّتي نهر الاردن اديرة عديدة يُعرف منها نحو العشرين قد اكتشف بعضها حضرة رئيس مدرسة الصلاحيَّة المفضال الاب ي. ل. فدرلين (R. P. J. L. Féderlin) ووصف اخربتها وصفاً مدقّقاً في مقالاتهِ الفريدة التي نشرها في مجلّة الارض المقدَّسة (١ في السنين ١٩٠٢ و١٩٠٣ و١٩٠٧ ولا شكَّ انَّ رهبان تلك الاديرة اجتذبوا الى الدين المسيحيّ من كان يجاورهم من عرب الحضر. بل لدينا دلائل على ترهب بعض اولئك العرب المتنصّرين في هذه الاديرة اشهرهم القديس ايليا البطريرك الاورشليميّ فهذا كان عربيّ الاصل رحل من بلادهِ الى دير نطرون في مصر وبعد ان ارتاض في الآداب الرهبانيَّة سكن مدَّة في دير سابساس على ضفَّة الاردن اليُمنى ثم رُقّي الى رتبة البطريركيَّة فدافع عن الايمان بغيرة شديدة حتَّى فضَّل النفي على موافقة المبتدعين ومات في أيلة سنة ٥١٣

وممن يستحقّ ذكرًا خصوصياً في تبشير العرب ودعوتهم الى النصرانيَّة القديس العظيم افتيميوس كوكب بريَّة الاردن وجهات الغور فانَّ الله اصطفاهُ في اواسط القرن الخامس لينير عددًا عديدًا من العرب ويهديهم الى سبيل الايمان فانَّ المؤرخ الشهير والراهب معاصره كيرلُّس من سيتوبوليس (Scythopolis) او بيسان روى في ترجمتهِ تفاصيل ذلك الخبر الذي رواهُ حضرة الاب بيترس من جماعة

(١ اطلب La Terre Sainte: Recherches sur les Laures et Monastères de la plaine du Jourdain et du désert de Jérusalem راجع ايضاً ما كتبهُ بلاديوس الاسقف في تاريخهِ (المشرق ١٠: ١٧٧) ويوحنا موسكوس في المرج الروحي

البولنديين (في المشرق ١٢ : ٣٤٤-٣٥٣) نقلًا عن نسخة عربيّة قديمة في مكتبتنا الشرقيّة وخلاصتهُ انّ احد الوثنيين يونانيّ الاصل المدعوّ اسپاباط ولعلّهُ اصبهبذ (Ἀσπέβετος) ولّاهُ ازدشير الملك تخوم العجم فلمّا اثار الاضطهاد على نصارى مملكتهِ واخذ يصادرهم ويذيقهم ضروب العذابات جعلوا يولّون هاربين من العجم الى ممالك الرومان واسپاباط لا يتعرّض لهم رغمًا عن اوامر الملك فسعى المجوس بهِ لدى ازدشير ليعاقبهُ ففرّ هو ايضًا هاربًا الى اراضي الرومان حيث اكرم وفادتهُ اناطوليوس الحاكم وولّاهُ على القبائل العربيّة المنتمية لرومية

وكان لاسپاباط ولدٌ يُدعى طرابون مصاب بالفالج افرغ ابوهُ في شفائهِ كل الوسائل دون فائدة فالتجأ اخيرًا بالهام من الله الى القديس افتيميوس فشفى الغلام ونصّر اباه ودعاهُ بطرس وعمّد كلّ آل بيتهِ وتبعهم في دينهم قوم كثيرون من العرب سعى القديس افتيميوس في تلقينهم كلّ عقائد النصرانيّة. ثمّ اجتذب مَثَلهم غيرهم من قبائل العرب فخطّط لهم القديس افتيميوس حدود مدينة صغيرة ليست بعيدةً من ديرهِ وامرهم ببنائها على رسم معلوم وحفر لهم بئرًا وابتنى لهم كنيسة ودارًا لزعيمهم . ثم اتّفق مع البطريرك يوبناليوس فجعل بطرس اسقفًا عليهم. واخذ كثيرون من العرب يتواردون الى منزلهم حتّى بلغ عددهم عشرين الفًا ودُعيت مدينة هؤلاء المتنصرين بالمحلّة (παρεμβολή) وتوالى الاساقفة عليهم حتّى اواخر القرن السادس مع ما المّ بهم من الضيقات والبلايا لا سيا بمعاداة قبائل العرب الوثنيين الذين غزوهم غير مرّة (١

والحقّ يقال انّ هؤلاء الغزاة كانوا على مألوف عادة شذّاذ العرب يتلصّصون الاقفار فينهبون محابس الرهبان واديرتهم ويسلبون ما يجدونهُ فيها. وقد اخبر كاسينانوس في خطابهِ السادس (Migne, P.L., XLIX, col. 643-648) انّ هؤلاء الاشقياء هجموا على تَقُوع على مسافة ستة اميال من مدينة بيت لحم جنوبًا فقتلوا رهبانًا كانوا يعيشون في البراري بالنسك والتُّقى ثمّ اخبر انّ اهل تلك الناحية ابدوا لذخائرهم اكرامًا عظيمًا « ولاسيا جموع العرب الذين هناك وبلغت رغبتهم في

١) اطلب ترجمة القديس افتيميوس لحضرة الاب جانيه الدومنيكي (F. R. Génier. O. P.: *Vie de S*[t] *Euthyme le Grand*)

اقتنائها الى ان وقع بينهم قتال للفوز بتلك الاجسام المقدَّسة » وكان ذلك سنة ٣٩٥ للمسيح. وفي هذا دليل على انَّ عرب فلسطين كانوا يدينون بالنصرانيَّة

وجاء ايضاً في مجموع المجامع (Labbe: *Collect. Concil.*, III, 728) انَّ البطريرك يوليناليوس سقَّف عدداً من الاساقفة لجهات العرب قبل السنة ٤٣٠ وهذا دليل آخر على انتشار النصرانية بين عرب فلسطين. وورد قبل ذلك في تاريخ سنة ٣٦٣ في مجمع انطاكية اسم اسقف يُدعى تاوتيموس قد وقَّع على اعماله بهذا الامضاء « تاوتيموس اسقف العرب » ولعلَّهُ اراد قبائل العرب الساكنة في نواحي تدمر حيث كانت النصرانية اصابت مقاماً رفيعاً ليس فقط في حواضرها كتدمر والقريتين وحوَّارين ولكن في بادية تدمر نفسها حيث تنصَّرت القبائل المتنقلة فيها

الباب الرابع

النصرانيَّة في النجب وطورسينا

ان انحدرت من فلسطين جنوباً فسرت من غزَّة على سِيف البحر مارًّا بالعريش حتى ترعة سويس ثمَّ مددت من هاتين النقطتين خطَّين متوازيين الى الجنوب انبسطت أمامك البراري الواسعة كبريَّة سين وبريَّة سور وبلاد الشراة والنَّجب ثمَّ يتشكَّل لك شبه مثلَّث مخروط رأساهُ الاعليان عند خليج سويس غرباً وخليج عقبة شرقاً والرأس الثالث يدخل في البحر ويُعرف برأس محمَّد. فهذا المثلَّث الكبير هو شبه جزيرة سينا فيهِ بادية التيه التي تنقَّل فيها بنو اسرائيل سنين عديدة وبريَّة فاران. وهناك سلسلة جبال شاهقة كجبل غرندل وجبل سرابيط الخادم وجبل التيه وخصوصاً طور سينا او حوريب وجبل موسى وجبل سربال وجبل كاترين مع ما فيها من الاودية (انظر في المشرق ٩: ١٠٦٨ خارطة طور سينا) فتلك البلاد كانت شمالًا في ايَّام بني اسرائيل مواطن للادوميين وللعمالقة وللمديَنيين وقد كثرت فيها بعد ذلك قبائل العرب من بني اسماعيل والنبطيين فاستولت عليها واقتسمتها وكانت تتجوَّل فيها على حسب حاجاتها كما يتجوَّل الملك في مملكتهِ والسيِّد في املاكهِ دون ان تركز في محلّ مخصوص الَّا اهل المدر منها فانها وجدت في بعض بقعها وواحاتها ما يقوم بلوازمها ومناجع مواشيها فاستوطنتها

فهذه البلاد الواسعة قدم اليها تلامذة المسيح ليدعوا الناس الى دين سيّدهم .

وممّن ذكرهم القدماء الرسول برتلماوس فقالوا عنهُ انهُ « تلمذ بلاد العرب والنبط » يريدون جنوبي الجزيرة وهذه الجهات خصوصاً . وجاء في تاريخ القبط للمقريزي (Wetzer: *Macrizii Historia Coptorum*, p. 14) انّ متيّاس (وهو الرسول الذي أُقيم بدلًا من يهوذا الاسخريوطي) سار الى بلاد الشراة (١ فبشّر فيها بالمسيح

وكانّ النصرانيّة وجدت في تلك الانحاء ملجأً في قرون الميلاد الاولى نزعت اليهِ ولاذت بهِ رغبةً في التنسُّك والزهد او فرارًا من اضطهادات الوثنيين فكان نصارى مصر والشام يرون في شبه جزيرة سينا مقاماً آمناً لا يستطيع العالم ان يكدّر فيهِ صفاء حياتهم الملائكيّة ولا يقدر اعداؤهم القبض عليهم فكانوا يسكنون في اوديتها ووهادها او يرقون جبالها ليعيشوا فيها عيشة سماويّة في مناجاة الله

ولنا على ذلك عدّة شواهد ترتقي الى اواسط القرن الثالث للميلاد . منها رسالة للقديس ديونيسيوس اسقف الاسكندريّة كتبها الى فابيوس اسقف انطاكية وصف فيها المحن والبلايا المتعدّدة التي نالت نصارى مصر بسبب اضطهادات الحنفاء . وعبدة الاوثان لاسيما في عهد القيصر دقيوس فممّا قالهُ (٢ : انّ اسقف مدينة نيلوس هرب الى جبال العرب مع عدد كبير من النصارى فبعضهم ماتوا وبعضهم استعبدهم العربان الى ان افتداهم النصارى بالمال الكثير وبقي غيرهم منقطعين الى العيشة النسكيّة . وقد اثبت البولنديّون في اعمال القديسين وبعض مؤرخي الكنيسة انّ العيشة الرهبانيّة في شبه جزيرة سينا وما وراء بحر القلزم سبقت عهد القيصر ديوقلطيانوس

وجاء في اعمال القديسين الشهيدين غلاقتيون وامرأتهِ ايبيستام المولودين في حمص (٣ انهما نذرا لله عفّتهما في الزواج ورحلا الى طور سينا حيث وجدا عشرةً من النسّاك كانوا يعيشون هناك عيشة الابرار فاخذ العرسان عنهم آداب السيرة النسكيّة وعاشا متفرّدين لاعمال البرّ غلاقتيون بين الرجال وايبيستام مع النساء حتى بلغ خبر اولئك السيّاح واليَ الرومان سنة ٢٥٠ فطلبهما وقتلهما شهيدين

ومع ما كان يلقى اولئك السيّاح من انواع المشقّات من القبائل الوثنيّة التي

١) وفي طبعة مصر للخطط والآثار (٢ : ٤٨٣) انهُ سار الى الشرق ونظنّها تصحيفاً

٢) اطلب مجموع اعمال آباء اليونان لمين Migne. P. L., X col. 1505—6 وتاريخ اوسابيوس القيصري (ك ٦ ف ٤١ و٤٢)

٣) اطلب مجموع متافراست (Migne. P.G., CXVI, col. 102)

تسكن جهات الطور والبراري المجاورة لارض مصر لم يلبث أن يؤثّر في بعضها مثل اولئك الابرار حتى ارتدَّ منهم قومٌ الى الايمان ونظنّ ان القديس ديونيسيوس الاسكندري يشير الى هؤلاء المتنصّرين في كتابهِ الى البابا القديس اسطفانوس الاول نحو سنة ٢٥٥ حيث يبشّرهُ بموافقة الكنائس الشرقيَّة على تعليمهِ بخصوص معموديَّة الهراطقة قال (١: « وقد ترى رأيكم كلُّ الاقاليم السوريَّة مع بلاد العرب التي تقومون من حين الى آخر بضروريَّاتها والتي وجَّهتم اليها رسائلكم الآن ». فقولهُ « بلاد العرب » يدلُّ خصوصاً على ما جاور منها مصر كما يظهر من القرائن. وقولهُ « تقومون بضروريَّاتها » دليل حي على عناية الكرسي الرسولي في القرون الاولى بكل كنائس العالم حتى اقصاها لمساعدتها في حاجاتها الروحية والماديَّة

وفي هذه البلاد العربيَّة المجاورة لمصر بشَّر بالايمان احد الشهداء في عهد ديوقلطيانوس وهو القديس كيروس كما ورد في اعمالهِ التي نشرها الكردينال ماي (٢ ونصَّر جمًّا غفيرًا من اهلها بكلامهِ ومعجزاتهِ ثمَّ قُتل شهيدًا

واشهر منهُ اربعون شهيدًا قتلهم العرب الوثنيون في سنة ٣٠٩. وكان هؤلاء تنسَّكوا في لحف جبل موسى فيعيشون هناك في الصوم والشغل اليدويّ فوثب عليهم اهل البوادي وقتلوا منهم اربعين وقد أُقيم لذكرهم دير ترى حتى يومنا آثارهُ ويدعى بدير الاربعين (٣ ويُعيَّد لهؤلاء الشهداء في تاريخ ٢٨ ك ١

ولمَّا فازت النصرانيَّة بتنصُّر قسطنطين رسخ الدين النصرانيّ في انحاء طور سينا والبلاد العربيَّة الواقعة بجوارهِ. وقد اخبر المؤرخون انَّ القديسة هيلانة شيَّدت كنيسة على طور سينا تذكارًا لما جرى فيهِ من الاعاجيب في عهد موسى وشعب اسرائيل. وزاد النسَّاك عددًا وانتشارًا في سائر اصقاع تلك الجهات. ففي غزَّة ونواحيها الشرقيَّة والجنوبيَّة اشتهر القديس هيلاريون المارّ ذكرهُ. ولا تزال آثار هذا

---

١) اعمال الآباء اليونان (Migne, P.G., X, 1314-5)

٢) اطلب (A. Maï: *Spicileg. Romanum*, IV, 230-241) اطلب ايضًا اعمال البولنديين (Acta SS, III Janv. 701)

٣) اطلب سياحة الاب ميشال جوليان اليسوعي الى سينا (M. Jullien: *Sinaï et Syrie*, p. 140)

الرجل العظيم باقيةً هنـاك وقد وصفها في المشرق (١ : ٢١٣—٢١٥) السائح الهمام الكاهن لويس موسيل نزيل كلّيتنا سابقاً مع بيان موقعها وذكر تلامذة القديس الذين اخذوا عنهُ الطريقة النسكيَّة . وفي ترجمة حياتهِ التي كتبها القديس هيرونيموس معاصرهُ ما ينبئ باعمالهِ الرسوليَّة بين عرب تلك النواحي وقد اقام عدَّة اديرة في ظهرانيهم في بريَّة غزَّة وجهات عين قادس وكان يتردَّد اليها ويرافقهُ الرهبان في سياحتهِ زرافاتٍ بلغ احياناً عددهم الفي راهب (١ . ولمَّا شاع خبر قداستهِ كان الاهاون يخرجون اليهِ افواجاً افواجاً وجماهير مجمهرة يتقدَّمهم الاساقفة والكهنة . وذكرنا سابقاً اكرام العرب لهُ في خَلَصة . واخبر الثقـة انهم كانوا يقصدونهُ في كل حاجاتهم فتارةً كان يلتمس لهم المطر في سنتهم وتارةً كان يشفي نوقهم من عاهاتها وكان يخرج منهم الشياطين او ينال لهم من الله البرء من امراضهم فردَّ النظر في مدينة العريش (Rhinocolure) لامرأة عمياء وابرأ من مرض عضال شيخ مدينة أيلة النصراني المدعوّ اوريون (٢ . وذكر سوزومان في تاريخهِ الكنسي (ك ٥ ف ١٠) انَّ القديس شفى ايضاً في غزَّة جدَّهُ ألافيان الذي اشتهر بعدئذٍ بتقاهُ وشيَّد اديرة وكنائس

وفي هذا القرن الرابع نُفي الى براري سينا والنبط رجال افاضل من الاساقفة والكهنة نفاهم الملك قنسطنسيوس الاريوسي كالقديسين اوجان وپروتوجان المنفيَّين من الرها الى براري العرب (عيدهما في ٥ أيار) وفي ترجمة القديس هيلاريون ورد ذكر الاسقفين القديسين دراكُنتيس وفيلون المنفيَّين الى نواحي غزَّة . والى أيـلة نفى الامبراطور انستاس القديس ايليا بطريرك اورشليم وكان عربي الاصل كما مرَّ (٣ . وكذلك اسقف ايلة الذي امضى اعمال المجمع الخلقيدوني سنـة ٤٥١ كان عربيًّا ويدعى غَوثاً

واخذت الاديرة تمتدُّ في اواسط بلاد سينا وتكاثر حولها القبـائل المتنصِّرة

---

١) اطلب اعمال القديس هيرونيموس في مين (Migne, P. L., XXIII, 42)

٢) (ibid. 37)

٣) اطلب ترجمتهُ للاب جنيه الدومنيكي (Conférences de S[t] Etienne, 1909-1910, p. 287-330)

واخصُّ هذه الاديرة دير فاران الذي ورد ذكرهُ في كتاب المرج الروحي تأليف حنا موسكوس في القرن السادس للمسيح (١. وقد اثنى هناك على رئيسهِ غريغوريوس الذي صار بعد ذلك بطريركاً على انطاكية. وكان دير فاران حافلاً بالرهبان الوطنيين وغيرهم ذكر الآباء منهم القديس سلوانس رئيسهُ ثمَّ موسى الفاراني الشهير بقداستهِ وكراماتهِ

وفاران هذه كانت شهيرة في عهد الدولة الرومانيَّة واصبحت مدينةً كبيرة وافرة السكان وهي اليوم قرية حقيرة فيها نحو الخمسين بيتاً وهي تُدعى فَيْران موقعها في وادٍ كثير الخصب تنمو فيهِ الاشجار لاسيما النخيل وتجري فيهِ المياه الطيّبة فالنصارى دخلوا فاران ونشروا فيها دينهم حتى كاد يعمّ كل اهلها منذ القرن الرابع. وكان فيها كرسيّ استقفيّ يذكر الروم في الميناون في ١٨ شباط استقفها المدعوّ اغابيطوس او محبوب في عهد قسطنطين الكبير. وممَّن لا يُشكُّ في تاريخهِ الاسقف نثراس او نثير في النصف الثاني من القرن الرابع وتلميذ القديس سلوانس. وكان امير فاران نصرانياً يُدعى عوبديان او عبدان. وقد بقيت فيها النصرانيَّة معزَّزة رفيعة الشان الى القرن السابع وحجَّت اليها القديسة سيلڤيا (اوكارية) في اواخر القرن الرابع في رحلتها الى الاراضي المقدَّسة والقديس انطونينوس الشهيد نحو سنة ٥٨٠. وترى بين اخربتها حتى اليوم بقايا من كنيستها ومدافنها النصرانيَّة عليها النقوش المسيحيَّة كالصلبان والرموز الدينية واسم السيّد المسيح مختصراً

ومن الاديرة الشهيرة في التاريخ الكنسي دير رَيْث الذي موقعهُ بجوار مدينة الطور فهذا الدير توارد اليهِ الرهبان ونمت شهرتهُ حتى طمعت فيهِ قبيلة همجيَّة كانت تسكن في سواحل مصر يدعونها بلاّميس (Blemmeys) فاجتازت بحر القلزم واغتالت رهبانهُ سنة ٣٧١ وفرَّت هاربةً فلمَّا بلغ الخبر اهل فاران ساروا مع اسقف البلد وعوبديان الامير الى دير ريث وجمعوا جثث الشهداء ودفنوهم بكل اكرام. وقد روى اخبارهم أمونيوس الراهب الشاهد العياني لاستشهادهم

وقبل ان يقدّس هؤلاء وادي فيران وسواحل جبل الطور كان رقي قوم اخوين

---

١) اطلب اعمال الاباء لمين Migne, P. L. LXXIV, 188–190

اعالي جبل موسى حيث كان التقليد عيَّن موقع مناجاة الكليم لربّهِ وحيث صعد اليّا الى جبل الله فانقطعوا على مثالهما للالهيّات. وقد مرَّ بك ذكر بعض هؤلاء النسّاك في اواسط القرن الثالث. واخبر سولپسيوس ساويرس (١ في سياحتهِ الى جبـل سينا نحو السنة ٣٨٠ انهُ رأى راهباً كان يقطن اعالي سينا منذ خمسين سنةً. ثمَّ كثر عددهم فابتنوا لهم مآوي ليسكنوا فيها. على انَّ لصوص العرب الوثنيين والمعادين لاهل الحضر المتنصِرين قدموا من شمالي الجزيرة وجهات الشراة وهجموا بغتةً على محابس الرهبان المتفرّقة في انحاء جبل موسى ووقع ذلك نحو سنة ٣٩٠ كما رواهُ احد الشهود العيان والكاتب اليونانيّ القديس نيلوس الذي مرَّ ذكرهُ وكان هذا من اسرة شريفة تولّى نظارة الامور على مدينة القسطنطينيّة ثمَّ استعفى ليتجرَّد لخدمـة الله فرحل الى طور سينا مع ابنهِ تاودولوس وتنسّكا في ذلك المقام. فقتل العرب في هذه الزحفة سبعة من السيّاح واسروا غيرهم وكان من جملتهم ابن القديس نيلوس الذي روينا شيئاً من اخبـارهِ في باب تاريخ اديان العرب وقد نجا من ايدي الغزاة في مدينـة الخلصة بهمّة اهلها النصارى واسقفها (٢

ومذ ذاك الحين اخذ رهبان جبل سينا يتحصَّنون في وجه الغزاة ولمّا صار الامر الى يوستنيان الملك ابتنى لهم الكنائس الفخيمة والابنية الحصينة وجعل في خدمـة الرهبان بعض قبائل العرب المتنصِرين اخصّهم بنو صالح وقد عُرفوا بالجبليّة. وكان الزوّار اذا ما قصدوا الاراضي المقدَّسة يزورون ايضاً هذه الاديرة لينالوا بركتها وبركة اهلها. وقد ازداد عدد رهبانها حتى جُعل لطور سينا اساقفة عدَّدنا اسماءهم في مقالة نشرناها في اعمال المكتب الشرقيّ (٣

وكذلك اشتهر بين الرهبان بعض القديسين والكتبة كالقديس انستاس السينوي في القرن السادس. وليس اقـلّ منهُ شهرةً القديس يوحنا رئيس طور سينا المعروف

---

١) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne, P. L., XX, 194, Sulpice-Sévère, Dial. I, 17)

٢) اعمال الآباء اليونان (Migne, P. G., LXXIX, col. 678-700)

٣) اطلب الجزء الثاني من هذا المجموع Les Evêques du Sinaï (*Mélanges de la Fac. Or.* II, 408–421)

بالسُّلَّمي او كليماكوس باسم كتاب ألّفهُ دعاهُ سُلّم الكمال وكان معاصرًا للقديس البابا غريغوريوس الكبير وكان بين القديسين مكاتبات رواها جامعو آثار الحبر الاعظم . وقد ذكرنا في المشرق (٧ : ٩٩٣) ما تبرَّع بهِ ذلك البابا من الحسنات لدير طور سينا حيث انشأ يوحنَّا مأوى للعجزة والزوَّار

وفي اعمال القديس صفرونيوس بطريرك القدس تكرَّر ذكر طور سينا ورهبانهِ والزوَّار المتردّدين اليهِ (١

وبعد ذلك بقليل استولى العرب المسلمون على شبه جزيرة سينا وقد قيل انَّ بين آثار دير الطور سجلًّا اعطاهُ محمَّد كامانٍ لاهلهِ وبقي عندهم الى ايَّام السلطان الغازي سليم الاوَّل فاخذهُ الى القسطنطينيَّة (راجع في المشرق ١٢ : ٦٠٩ و ٦٧٩) مقالتنا في عهود نبيّ الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى

ومن الآثار النصرانيَّة كتابات عديدة وجدت منقورة في الصخر او مكتوبة بالمغرة على جوانب وادي المكتَّب . فان السيَّاح كانوا اذا مرُّوا هناك كتبوا اسماءهم وطلبوا من الله الرحمة واعلنوا ايمانهم بالله الواحد ورسموا بعض العلامات المسيحيَّة كالصليب والانجر وسعف النخل والحرف الاوَّل من اسم السيّد المسيح . وهذه الكتابات منها يونانيَّة ومنها قبطيَّة لا شكَّ في نسبتها الى النصارى . وبينها كتابات اخرى عديدة مكتوبة بالنبطيَّة ومن جملتها ما نصفهُ يونانيّ ونصفهُ الآخر نبطي وبعض العلماء يرتأون أنَّها للوطنيين المشركين امَّا غيرهم فيرجّحون ايضاً أنَّها للنصارى منهم من قبائل تيم الله وكلب واوس ممَّن اعتقدوا النصرانيَّة بل نُرى العلامات النصرانيَّة عليها كما نُرى على اليونانيَّة والقبطيَّة وان لم يكن في منطوقها ما يدلّ على الدين المسيحي صريحاً ما لم يُقل انَّ تلك العلامات أُضيفت بعد ذلك العهد والله اعلم (٢

ومن البلاد اللاحقة بشبه جزيرة سينا بقعة واسعة في تخوم فلسطين عن جنوبها الشرقيّ كثيرة النخيل عرفها الكتبة اليونان ودعوها فينيقون (Φοινικών) اي مغارس النخل وقد ظنَّ البعض انَّ موقعها في وادي فيران الَّا انَّ كلام الكتبة

---

١) اطلب اعمال الآباء اليونان (Migne, P. G. LXXVII, col. 719, 2958, 3035, 3051)

٢) اطلب المجلَّة الاسويَّة الفرنسويَّة (J. A., 1859[1] 5 et 194) وسياحة الاب ميشال جوليان الى سينا (ص ٧٧)

الاقدمين لا ينطبق عليها. والصواب انّها شمالي غربي وادي فيران وقيل انّ هنـاك مكاناً يُدعى بالنَّخل لكثرة نخله فلعلّهُ هو مدلول كتبة اليونان. ففي القرن السادس كان يحتلّ هذا البقيعَ قومٌ من العرب من جذام ولخم وكان احد امرائهم يدعى ابا كرب. فروى عنهُ المؤرخ بروكوبيوس الغزّي (١ انّهُ كتب الى يوستنيـان ملك الروم يقدّم لهُ ولايتهُ فشكرهُ الملك وجعلهُ اميرًا على كل قبائل العرب (phylar-que) التي في جوارهِ فتولّاها باسم ملك الروم واخضع العرب لامرهِ. ولا شكّ انّ هذا الامير كان نصرانياً ولولا ذلك لما رَضي يوستنيان ان يرئّسهُ على بلادٍ كان الدين المسيحي قد مدَّ عليهم سيطرتهُ كالنبط وبني كلب وغيرهم. وفيهِ ايضاً دليـل على نصرانيّة العرب المستوطنين لبقعة النخيل التي كان ابو كرب مالكاً عليها

وقد جاءت الاكتشـافات الجديدة للسيّاح الاوربيين في بلاد مواب وآدوم والنبط مثبتة لهذه الآثار التاريخيّة القديمة فانّ الكاهن العالم نزيل كلّيتنا سـابقاً الدكتور لويس موسيل الذي تجوَّل مرارًا في تلك الانحاء وصف مـا رأى بالعيان في مجلّدات ضخمة فرسم في تآليفهِ ما وجدهُ من الآثار كالرسوم والقبور والصلبـان وغير ذلك منها في قصر الموقّر (٢ وفي العويرة (٣ وفي امّ الرصـاص (٤ وممّا تُرى بقاياهُ الى يومنا آثار كنائس عديدة في امكنة شتّى كعَبد والعوجاء وفار وفينـان وحُسبان والكسيفة والمكاور والمحيّ وقد يُسمّى بعضها اليوم باعلام تدلّ على دين اهلها كالكنيسة والنصرانيّة والدير (٥ بل وجد بين الاحياء التي تسكن حتى الآن في تلك البوادي عادات نصرانيّة تدلّ على اصلها القديم كرسم الصليب والدعاء الى السيّد المسيح (٦

ومثلهُ سائح آخر جال في تلك الانحاء سنة ١٩٠٨ يُدعى دلمان (٧ فانّهُ وصف

---

١) اطلب كتابهُ في الحرب الفارسيّة Procopius: *De Bello Persico* I. 19

٢) اطلب كتابهُ (A. Musil: Arabia Petræa: I, Moab 194)

٣) فيهِ Ibid, III, 58   ٤) فيهِ Ibid I, 109

٥) فيهِ ايضاً Ib. I, 97, 109, 120, 134, 193, 273, 338, etc, II[1], 67, 105, 205, 273, 278; etc. II[2], 18, 26, 39, 45, 110, 119, 125, 142, etc.

٦) اطلب المجلد الثالث (Ibid. III, 297, 304, 316,)   ٧) اطلب كتاب سياحتهِ (D[r] Gustaf Dalman: *Petra und seine Felsheiligtümer*, p. 98)

نحو عشرين أثرًا نصرانيًا وجدها في رحلته الى جهات النبط

وليس اقلّ منها شأنًا ما رواهُ العالمان برونّو ودومازفسكي في المجلّدات الثلاثة الضخمة التي دوّنا فيها اعمال بعثتهما العلميّة الى اقليم عربيّة (١ وقد مرّ وصفها للاب جلابرت في المشرق (٨: ٤٥٧-٤٦١) في المقالة المعنونة السكّة الرومانيّة من مادبا الى عقبة وفي هذا التأليف الجليل وصف آثار خطيرة للنصرانيّة لا يسعنا هنا بيانها

فيؤخذ من كل هذه الادلّة التي استدللنا بها انّ طور سينا والبلاد اللاحقة او المحدقة بهِ كاد يعمّها الدين النصراني في القرن السادس وقد اقرّ بذلك المستشرق دوزي (Dozy) في مقدّمة كتابهِ عن الاسلام (٢ قال: «انّ شبه جزيرة سينا كلّها تقريبًا كانت ارتدّت الى النصرانيّة وكانت حاويةً لجملة من الاديرة والكنائس وكان عرب الشام يدينون بالنصرانية (٣»

الباب الخامس

النصرانيــة في اليمن

فلندعنّ طور سينا لننحــدر الى اطراف جزيرة العرب في جنوبها الشرقيّ حيث نلقى بلادًا واسعةً كثيرة الخيرات وافرة الاسباب تمتدُّ بين بحر القلزم وبحر الهنــد فيها السهول الرحبة المخصبة والجبال الطيبة الهواء الغنيّة بالمعــادن وبالاشجار النافعة كالكروم والبنّ والوَرْس واللُّبان او الكُندُر. فتلك البلاد سكنتها امم عديدة تزاحمت فيها وتنازعت على ملكها وتركت فيها آثارًا عظيمة من ابنيتها كهيا كل وقصور اشهرها قصرا غمدان وريْدان وكانت تلك الشعوب من عناصر شتّى وقبائل مختلفة منها كوشيّة ومنها ساميّة. وبلاد اليمن تشمل عدّة اعمال ومخاليف كعسير ومهرة وحضرموت والشحر ومن مدنها الشهيرة مأرب ذات السدّ قاعدة تبابعة اليمن ومن

---

١) اطلب (R. E. Brünnow et A. v. Domaszewski: *Die Provincia Arabia*)

٢) اطلب Dozy: *Essai sur l'Hist. de l'Islamisme*, (traduction de V. Chauvin), p. 13

٣) وهذا كلامهُ: La presqu'île sinaïtique à peu près entièrement convertie, renfermait nombre de couvents et d'églises; les Arabes de Syrie professaient le Christianisme

حواضرهم ايضاً ظفار وصنعاء ونجران وزبيد وذمار وعَدَن كلها قصبات شهيرة حافلة بالسكّان دارَّة المرافق . وكانت لغتها من اللغـات الساميَّة تُدعى بالحميريَّة لها قلمٌ خاصّ يُعرف بالمُسند وجد منها الاثريون المحدثون كتابات عديدة يرتقي بعضها الى الازمنة السابقة لتاريخ الميلاد بمئين من السنين تدلُّ على انَّ اهلها كانوا يدينون بالصابئيَّة ويكرمون القوَّات العـلويَّة والنيّرات السماويَّة والسيَّارات السبع وكان المتملّك على اليمن في اوائل تاريخ الميـلاد ملوك من حمير يتلقَّبون في الكتابات المكتشفة حديثاً في جنوبي جزيرة العرب « بملوك سبإ وذي ريـدان » ولمَّا استولى ملوك حمير على بلاد حضرموت نحو السنة ٣٠٠ للمسيح اضافوا الى القابهم « ملوك حضرموت ويمانات » (١

لا مراء انَّ النصرانية منذ بزوغها وجَّهت انظارهـا الى اليمن كما يشهد عليهِ اقدم الكتبة الغربيين والشرقيين حتى انَّ بعض الآباء زعموا ان المجوس الثلاثة الذين سبق ترجيحنا لجنسهم العربي كانوا من اليمن وماتوا شهداء في صنعاء بعد ان عمَّدهم القديس توما قبل سفرهِ من عدن الى الهند (٢

ومن الرُّسل الذين يُنسب اليهم التبشير بالمسيح في اليمن متى الرسول فانَّ اوريجانس في كتابهِ الذي ردَّ فيهِ على الامم ومثلهُ المؤرخ سقراط (ك ١ ف ١٥) وروفينوس في تاريخـهِ (ك ١ ف ٩) والقديس هيرونيموس في تأليفهِ عن الكتبة الكنسيين ونيقيفوروس في تاريخهِ (ك ٢ ف ٤٠) كلُّهم يؤكدون بانَّ متى الرسول بشَّر في جهات الحبش وادَّعى المحدثون بان اسم الحبش يُطلق ايضاً على اليمن وهو اسمٌ شاع عند القدماء فسمّوا بهِ تلك الناحية لانَّ الحبشة كانوا استولوا مدَّة طويلة على اليمن ولأنَّ قبائل من الحبشة كانت اجتازت من سواحل الحبش الى اليمن وهذا القول لا يخلو من الصحَّة لان القدماء رُبَّما دعوا اهـل اليمن بالحبش منذ عهد هيرودوتس واسطرابون (ك ١ ص٥١ من طبعة اوكسفورد) الَّا انَّ معظم الكتبة لا يسلّمون ببشارة متَّى في اليمن ويزعمون انَّ القديس بشَّر حبشة افريقية ليس عرب اليمن

١) اطلب دائرة العلوم الاسلامية (Encyclopédie de l'Islam, p. 383)

٢) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne, P. L., XXI, 230)

وسبق لنا ذكر القديس برتلماوس ودعوته للعرب فانَّ الكتبة القدماء كاوريجانوس واوسابيوس القيصري (في التاريخ الكنسي ك ١ ف ١٠) وسقراط المؤرخ زادوا على تعريفهم للعرب بقولهم انَّ الرسول برتلماوس بشَّر بالمسيح في الهند القريبة يريدون بها اليمن لانَّ اسم اليمن كان مجهولًا لديهم فسمّوها بالهند القريبة معارضةً بالهند الشرقيَّة ما وراء البحر الهندي. ثم انَّ المؤرخ فيلوسترجيوس (ك ٢ ف ٦) وتاوفانوس في تاريخ سنة العالم (٦٠٦٤) وتاوفيلاكتوس (ك ٣) يدعون الحميريين بالهنود. وزاد بعضهم ايضاحاً فقالوا ان برتلماوس بشَّر بني سبا. وفي الميناون المنسوب الى الملك باسيل يقال انهُ بشَّر هنود العربيَّة السعيدة وهي اليمن كما لا يخفى

وقد رأيت آنفاً انهم ينسبون ايضاً دعوة النصرانيَّة في بلاد العرب الى القديس توما قبل سفرهِ الى الاقطار الهنديَّة. وقد ارتاى هذا الرأي القديس غريغوريوس التريتزيّ في ميمره عن الرسل. ومثلهُ تاودوريطس في كتابهِ عن الاناجيل (ك ٩) وبعض كتبة السريان

ومن الشواهد الجليلة التي توقفنا على دخول النصرانيَّة في اليمن منذ القرون الاولى لتاريخ الميلاد ما رواه اوسابيوس القيصري (ك ٥ ف ١٠) ومثلهُ هيرونيموس (Hieron., de vir. illustr. c. 36) عن احد العلماء الاسكندريين في النصف الثاني من القرن الثاني للمسيح: ألا وهو بنتانوس الفيلسوف فانَّ هذا كان من الفلاسفة الرواقيين جحد الوثنيَّة وتنصَّر وعهد اليهِ دمتريوس اسقف الاسكندريَّة التدريس في مدرسة الاسكندريَّة ففعل واحرز لهُ شهرةً واسعةً بالتعليم الدينيّ وعنهُ اخذ اوريجانوس المعلم الكبير فبنتانوس المذكور نحو السنة ١٨٣ للمسيح تنزَّل عن التدريس وسافر الى الهند ليبشر فيها بالدين النصرانيّ. وقد اتفق المؤرخون على انَّ الهند المقصودة هنا هي المجاورة لمصر اعني بلاد اليمن كما سبق

قال اوسابيوس: « فبلغ بنتانوس تلك الجهات ودعا الى النصرانيَّة اهلها فاوقفوهُ على انجيل مخطوط بالعبرانيَّة (١ للقديس متى كان اتى بهِ اليهم القديس

---

١) يراد بالعبرانية اللغة الفلسطينيَّة التي كانت شائعة في ايَّام السيد المسيح وهي من فروع الاراميَّة

برتلماوس الرسول واودعهُ عندهم » وفي هذا القول شهادة على ما سبق بالدعوة النصرانيَّة في جهات اليمن منذ عهد الرسل

هل كان لدعوة بنتانوس في اليمن تأثير في اهل تلك البلاد؟ ذلك امر لا يمكن القطع بهِ وانَّما هو محتمل بل مرجَّح ففي وجودهِ بين القوم انجيلًا قديمًا دليل على ان النصرانية التي بشَّر بها برتلماوس الرسول لم تمت بينهم. ويؤخذ من رواية اوسابيوس انَّ الاستاذ الاسكندري عاد الى وطنهِ راضيًا شاكرًا لم يذهب تعبهُ سُدًى. ولعلَّهُ لم ينسَ اولئك الموعوظين فأمدَّهم برسلين يجاورونهُ في عملهِ. وكما هاجر بعض النصارى المصريين في زمن الاضطهادات الى جهات سينا وبادية الشام على ما روى المؤرخون يجوز القول ايضًا بانَّ قومًا منهم هاجروا الى اليمن لا سيما في عهد دقيوس وديوقلطيانوس فنشروا دينهم فيما بينهم

وممَّا يُستدل اليهِ من تواريخ العرب كالطبريّ وسيرة الرسول لابن هشام والمسعوديّ وغيرهم انَّ النصرانية واليهودية اخذتا في النزاع والمخاصمة منذ اواسط القرن الثالث للمسيح. وبلغ الخصام الى اعيان الدولة وملوكها. فيخبرون ان التبَّع اسعد ابا كرب تهوَّد على يد ربَّانيِّين من يثرب وحمل اهل رعيَّتهِ على التهوُّد وتبعهُ في امرهِ بعض اولادهِ بعدهُ لكنَّ النصرانيَّة فازت في عهد عبد كلال بن مثوِّب

وقيل ان عبد كلال المذكور ملك في القسم الثاني من القرن الثالث (١ منذ نحو السنة ٢٧٣ للمسيح الى ٢٩٧ وقد جعل حمزة الاصفهاني ملكهُ (ف ١٣١ طبعة بطرسبرج) اربعًا وسبعين سنة. وقد اتفق المؤرخون على تدينهِ بالنصرانيَّة. جاء في القصيدة الحميريَّة

ام أين عبد كُلالٍ الماضي على دين المسيح الطاهر المسَّاحِ

وقال الطبريّ في تاريخهِ (طبعة ليدن ج ١ ص ٨٨١):

وملك بعد عمرو بن تبع عبدُ كُلال بن مثوِّب... فاخذ المُلكَ عبد كُلال... وولية بسنّ وتجربة وسياسة حسنة وكان فيما ذكروا على دين النصرانية الاولى وكان يسرّ ذلك من قومهِ وكان الذي دعاه اليهِ رجلٌ من غسَّان قدم عليهِ من الشام فوثبت حمير بالغسَّاني فقتلتهُ

(١) اطلب تاريخ العرب لكوسان دي پرسفال (C. de Perceval: *Essai sur l'Hist. des Arabes*, I, 107)

ثمّ عاد من بعده عبد كلال الى اليهوديّة الخلافة. هذا ما يُستخلص من تواريخ العرب الّا انّ هذه التواريخ سقيمة جدًّا ولاسيما تاريخ حمير. قال حمزة الاصفهاني (ص ١٣٤): «ليس في جميع التواريخ اسقم ولا اخلّ من تاريخ الاقيال ملوك حمير»

ومما وجد من الكتابات الحجرية الحميرية في اواسط القرن الماضي (CIS I. 6) كتابة فيها اسم عبد كلال وامرأته ابعلي وولديه هني وهعلل نقشوها تذكارًا لبناية دار يدعونها «يرث» شيّدوها «برضى الرحمان» وذلك في شهر ذي خرف من السنة (الحميريّة) ٥٧٣ الموافقة للسنة المسيحيّة ٤٥٨. فذكرُ الرحمان من الادلة على توحيده او نصرانيّته

ومن الآثار التاريخيّة اليونانيّة عن نفوذ النصرانيّة في اليمن ما رواه المؤرخ الاريوسيّ فيلوستورجيوس من كتبة القرن الرابع واوائل الخامس. فكان هذا من قباذوقية وكتب تاريخًا في اثني عشر كتاباً دافع فيه عن اعمال الاريوسيين مباشرةً من السنة ٣٠٠ الى ٤٢٥ وتاريخهُ مفقود الّا ما نقلهُ عنهُ فوطيوس البطريرك القسطنطيني في مكتبته يبلغ نحو ثمانين صفحة (١ وممّا رُوي هناك (٢ ان الامبراطور قنسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير المتشيّع للاريوسيّة ارسل نحو السنة ٣٥٦ وفدًا من الرومان الى الحميريين في اليمن وكان يترأس الوفد تاوفيل الهندي من جزيرة سرنديب اي سيلان. فرحل هذا الى بلادهم ودخل على الملك وقدّم لهُ الطافاً وهدايا فنال لديهِ الحظوى وبشّر هناك بالدين المسيحي واسترخص بتشييد الكنائس بل جادل اليهود الذين وجدهم في بلاط الملك واقنع الملك بالحجج الدامغة عن صحة النصرانيّة حتى نصّرهُ. وشيّد تاوفيل ثلاث كنائس: الاولى في حاضرتهم ظفار والثانية في عَدَن على ساحل الاوقيانوس (الهندي) حيث كان ينزل الرومان للمتاجرة والثالثة في فرضة عند مدخل خليج العجم يظنونها هرمز وعيَّن للمتنصرين رئيساً ثم رحل. هذا ما رواه فيلستورجيوس الّا انّ تشيُّعهُ للاريوسيّة حدا به الى القول انّ النصرانيّة لم تدخل بلاد العرب قبلًا والامر على خلاف ذلك كما رأيت. والمؤرخون يرون انّ

١) اعمال الآباء اليونان (Migne, P. G., LXV, col. 459-637)

٢) فيهِ (Ibid. 482-485)

الاسقف الذي امضى اعمال مجمع نيقية سنة ٣٢٥ باسم « يوحنا اسقف الهند » انما كان اسقفاً على اليمن وقد سبق انَّ اسم الهند كثيرًا ما أُطلق على اليمن. وكذلك قد بيَّن العلّامة المستشرق السنيور ك. روسيني (١ انَّ الملك قسطنسيوس لم يقصد بوفدهِ الى ملك حمير امرًا دينياً محضاً وانما اراد ان ينهج للرومان طريقاً تجاريَّة في البحر الى اليمن ويعقد محالفةً مع الحميريين ضدَّ الفرس وملكهم سابور الثاني. امَّا اسم الملك المتنصِر على يد ثاوفيـل في اليمن فلم يذكرهُ المؤرخ فيلسترجيوس ولعلهُ مرثد بن عبد كلال المالك على ما يظنّ من السنة ٣٣٠ الى ٣٥٠ وقد اطرأ الثعالبيّ في طبقات الملوك حلمهُ وحبهُ للفقراء وحكمتهُ وتساهلهُ وقال عنـهُ انهُ لم يشأ ان يقلق رعاياه بسبب دينهم. او هو وليعة بن مرثد الذي تعصب اوَّلًا لليهوديَّة ثم عـدل الى النصرانيَّة. وقد جاء للفيروزباديّ ما يؤيّد نصرانيَّة هؤلاء الملوك حيث قال « انَّ كثيرًا من ملوك اليمن والحيرة تنصَّروا »

وممَّا يشهد على ثبات المعاهدة التجاريَّة المبرمة بين الرومان والعرب قانون سنَّهُ تاودوسيوس الكبير في تلك الاثناء نظَّم فيـهِ امور الوفود الراحلين الى الحميريين والحبشة من الإسكندريَّة (٢

ومن الشهود على نفوذ النصرانيَّة في اليمن القديس هيرونيموس فانهُ غير مرَّة ذكر بين المتنصِرين اهلَ الهنـد والحبشة. من ذلك رسالتهُ الى مارسلّا الرومانيَّة (Migne, P. L., XXII. 489) حيث يعدّد فئات المتقاطرين لزيارة الاراضي المقدَّسة وكلهم على ايمان واحد ممَّن كان يشاهدهم ويحادثهم فجعل في مقدَّمتهم العجم والارمن وعرب اليمن (الذين دعاهم باهل الهند) والحبشة. وكذلك كرَّر قولهُ في رسالتهِ الى السيدة ليتا (Ibid., XXII. 870) وخصَّ بالذكر « رهبان الهند » اي اليمن كما قلنا

وفي ترجمة القديس سمعان العموديّ التي كتبها تاودوريطس في القرن الخامس قد ذكر غير مرَّة بين الذين قصدوا القديس على عمودهِ عربَ حمير وقد رآهم تاودوريطس

---

١) اطلب اعمال اكادمية لينشاي (Rendiconti d. reale Accademia dei Lincei, *Aprile*, 1911, p. 715)

٢) اطلب الدستور التيودوسي (Code Théodosien IV, p. 616, *de legatis*, l. xii, tit. xii, 2)

عياناً قال (Migne, P. G., LXXIV. 104) : «ولا يتزاحم حول سمعان اهلُ بلادنا فقط بل يأتيه جموع من الاسماعيليين والعجم والارمن والكرج والحميريين » وكذلك كتب انطونيوس تلميذ القديس (Ibid., LXXXII, 328) : « قد نصّر سمعان العمودي امماً عديدة من الشرقيين (السراكسة) والعجم والارمن والاسكوتيين وذوي القبائل ».وقد صرّح باسم تلك القبائل قدرينوس المؤلف فقال انهم « الحميريون »

ثمَّ انَّ النصرانيّة لم تدخل فقط الى اليمن من جهة الجنوب ومن بلاد الرومان ولكن نفذت اليها من جهات الشمال وخصوصاً من العراق فمن المعلوم انَّ ملوك الفرس كانوا يسعون في محالفة ملوك اليمن ويتقرَّبون الى اهلها ليستعينوا بهم على ردّ غارات الرومان. وكذلك ملوك اليمن والحبشة رُبَّما اوفدوا الوفود الى ملوك العجم ليبرموا معهم المعاهدات كما روى المؤرخون (١

وكانت القوافل تسير ذهاباً واياباً من العراق الى اليمن ومن اليمن الى العراق فالنصرانيّة التي كانت بلغت في الشمال مبلغاً عجيباً ما كانت لتهمل هذه الوسائط لنشر الدين المسيحي في الجنوب. ومن التقاليد الشائعة عند الكلدان ان رسولَي الكلدان الاوَّلين ادي وماري سارا ايضاً الى بلاد العرب سكّان الخيم والى نجران وجزائر بحر اليمن (٢

وجاء في المصحف الناموسي (ص ١٨) : « وبشّر الجزيرة والموصل وارض السواد كلها وما يليها من ارض التيمن كلها وبلاد العرب سكّان الخيم والى ناحية نجران والجزائر التي في بحر اليمن ماري الذي من السبعين ». والى هذه البشارة في اليمن اشار القديس افرام في القرن الرابع حيث قال في احد ميامرهِ : « جاءت ملكة التيمن (سبأ) الى سليمان ونالت من نورهِ شعلةً استضاءت بها وبقيت تلك الشرارة مخبوّة تحت الرماد الى ان ظهرت شمس العدل السيد المسيح فاتقدت تلك الشرارة حتى اصبحت نجماً باهرًا ينير اليوم تلك الانحاء »

---

١) اطلب منشورات لند السريانية (Land: *Anecdota Syriaca*, II, 76 et seqq)

٢) اطلب كتابي فطاركة كرسي المشرق لسليمان بن ماري (طبعة رومية ص ٢) والمجدل لعمرو بن متى الطيرهاني (ص ١)

وما لا ينكر ان النساطرة كانوا انتشروا في تلك البلاد قبل الاسلام وانشأوا عدّة كنائس وكان لهم فيها اساقفة اتوها من قبـل جثالقة المشرق اصحاب كرسي المدائن وبقوا فيها بعـد الاسلام مدّة كما سيأتي. وقد ارتأى العلّامة دي ساسي في احدى مقالاتهِ (١ انّ نصارى الشمال من اهـل العراق كانوا يتردّدون الى اليمن وانّهم ادخلوا بين اخوانهم في الـدين الكتابة السريانية بدلًا من الخطّ المسند الشائع هناك قبلهم. وقد روى السمعاني في المكتبة الشرقيّة (Assemani, BO, III², 603) انّ اللغة السريانيّة كانت دخلت في جهات عديدة من اليمن. وكذلك ذكر المؤرخ فيلسترجيوس انّ في زمانـهِ كانت مستعمرات اخرى سوريّة احتلّت سواحل افريقيــة بإزاء بلاد العرب وانّ اصحابها كانوا يتكلّمون بالسريانيّة. وقد جاء في كتاب كشف الاسرار في بيـان قواعد الاقلام الكوفيّة « ان القلم الكوفي كان يُدعى بالسوري » ولعلهُ اراد بذلك شبههُ بالقلم السرياني. وقال هناك انّ « آل طسم وقحطان وحمير » كانوا يكتبون بهِ

*

ومن اعظم الشواهد التي اثبتها العرب على دخول النصرانيّة في اليمن ما رواهُ الطبريّ في تاريخهِ (٢ وياقوت في معجم البلدان (٤ :٧٥٢) وابن خلدون في كتاب العبر (٢ :٥٩) وابن هشام في سيرة الرسول (ص ٢٠) وغيرهم انّ اهـل نجران وهي من امّهات مدن اليمن تنصروا جميعهم. وقـد ذكروا الخبر في كلام طويل خلاصتهُ انّ رجلًا من بقيّة اصحاب الحواريين » يقال لهُ فيميون وقالوا قيمون وقالوا ميمون (٣ من افضل الناس عبادة واعرقهم في اعمال الصلاح كان سائحًا تجري على يديهِ الكرامات والمعجزات وصل في سياحتهِ الى بلاد غسّان فتبعهُ رجلٌ من اهل الشام اسمهُ صالح فتوغّلا في بلاد العرب ثم اختطفتهما سيّارة وباعوهما بنجران واهلها حينئذٍ من بني الحارث بن كعب المنتمين الى كهلان يعبدون العزّى على صورة النخلة.

---

١) اطلب (Mémoires des Inscript. et Belles-Lettres, t. 50, p. 266)

٢) اطلب تاريخهُ (طبعة ليدن) ج ١ ص ٩١٨

٣) وفي تاريخ فطاركة المشرق لسليمان بن ماري (ص ٣٣) انهُ كان يُدعى حيّان كان اصلهُ من نجران تنصّر في الحيرة على يدهِ خلقٌ من حمير والحبشة

فاوقف فيميون سيّدهُ على بطلان الشرك بما صنع لديهِ من الآيات ولا سيما اذ دعا ربّهُ في يوم عيد العزّى فارسل الله ريحًا جعف النخلةَ من اصلها فعرف اهل نجران صحة دينهِ ودانوا بدين المسيح. وجعل فيميون عليهم رئيساً احد اشراف المدينة عبدالله بن الثامر ورعاهم اسقفٌ كان يُدعى بولس

واقام اهل نجران على دين المسيح حتى دعاهم الى اليهوديّة احد ملوكهم اسمهُ ذو نوّاس كان متعصباً لدين اليهود فأبى النجرانيون اتّباعهُ في ضلالهِ وكان رئيسهم اذ ذاك اسمهُ الحارث واستعدُّوا للدفاع عن بلدهم الّا انَّ ذا نوّاس دخلهُ بالمكر وحفر اخاديد (اشار اليها في القرآن) اضرمها نارًا وألقى فيها على ما روى ابن اسحاق عشرين الفاً من النصارى او يزيدون ماتوا في سبيل ايمانهم مع الحارث رئيسهم

على انَّ الخبر لم يلبث ان نما الى قيصر الروم بواسطة رجل من اهل نجران فرَّ هارباً اسمهُ دوس ذو ثعلبان فاستنصرهُ على ذي نوّاس فامر القيصر النجاشيَّ أَلِصْبان ملك الحبشة بمحاربة اليهودي ففعل وارسل جيشاً مع ارياط وابرهة الاشرم فناجزوهُ القتال وظفروا ببلادهِ ومات الطاغية غرقاً. واتمَّ الحبشة فتح اليمن فملكوا عليها اكثر من نصف قرن كان اوَّل ملكهم ارياط (٥٢٥) ثم ابرهة الاشرم (٥٣٧ — ٥٧٠) ثمَّ ابنهُ يكسوم (٥٧٠ — ٥٧٢) ثمَّ مسروق (٥٧٢ — ٥٧٥). امَّا الملوك الحميريُّون فبعد موت ذي نوّاس حاول احدهم المسمّى ذو جدن ان يضبط زمام الملك لكنهُ قُتل في حرب الحبشة ولم يعودوا الى الملك الّا في زمن سيف ابن ذي يزن الذي استعان بالفرس واخرج الحبش من اليمن وملك هو وابنهُ معدي كرب. ثمَّ انَّ الفرس لم يلبثوا ان مدُّوا سيطرتهم على تلك البلاد وجعلوا عليها عُمَّالًا كان اوَّلهم وهرز (٥٩٧) ثمَّ بَذْهان وفي زمنهِ فتح المسلمون نواحي اليمن

هذا ملخَّص ما جاء في تواريخ المسلمين وقد ايَّدتهُ في امورهِ الجوهريَّة التواريخ اليونانيَّة والسريانيَّة كتاريخ الحرب الفاوسية لپروكوپيوس الغزّي Procop., *de Bello Pers.* I, c. 20) وتاريخ يوحنَّا المعروف باسقف آسية (Assemani, BO, II, 83) وتاريخ تاوفانوس (ج ١ ص ٣٤٦ من طبعة بونّا) وتاريخ يوحنّا ملالا (ص ٤٣٤ من الطبعة عينها) فكلّ هؤلاء ذكروا امور الحبشة وما جرى من الحروب بين ملكها وملك حمير اليهودي بسبب قتلهِ لنصارى نجران. وفي رواياتهم بعض افادات

عن ذي نوَّاس الــذي يدعونهُ دمنوس او دميانوس وعن القيصر يوستينوس الذي انتصر للمظلومين وبعث الحبشة لمحاربة ملك اليمن. وكان على الحبشة ملك يدعونهُ أليسباوس (Elesbaas) او أَلِصْبان وصحفهُ غيرهم باليستاوس من احكم الملوك واعرقهم في الدين النصرانيّ. وهم يقولون انَّ اسقف نجران المدعو بولس كان توفي قبل هجوم ذي نوَّاس عليها وانَّ الملك اليهودي بعد ظفرهِ بنجران انتهك حرمة قبرهِ

امَّا استشهاد اهل نجران على عهد ذي نوَّاس فقد وصفهُ المعاصرون منهم شمعون اسقف بيت ارشام الذي سمع في العراق الخبر من شهود عيانيين فدوَّنهُ في رسالة نشرها السمعانيّ في المكتبة الشرقيَّة (BO, I, 364-79). وكذلك ليعقوب الرهاوي فيهم ميمر نشرهُ الاب بيجــان (Acta Martyrum I, 372-97) ثمَّ نشر البولنديُّون اعمالهم في اليونانيَّة عن نسخة قديمة في تاريخ ٢٤ ت ١ (Act. SS. X, Oct. 750 — 780) وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة عربيَّة من هذه الاعمال نقلناها عن مخطوط قديم

ومن الآثار الكتابيَّــة التي نُشرت حديثاً واتتنا بفوائد جديدة عن دخول النصرانيَّة في نجران اعمال القديس « ازقير » بالحبشيَّة من مخطوطات خزانة الكتب الشرقيَّة في لندن فنشرها لاوَّل مرَّة الاستاذ الايطالي المفضــال كنتي روسّيني (١ وخلاصتها انَّ « ازقير » كان كاهناً نصرانياً دعا الى دينهِ اهــل نجران فامر الملك شرحبيلُ بن ينكف بحبسهِ لكنهُ نجا من الحبس وعمَّد كثيرين وتبعهُ رجلٌ يدعونهُ قرياقوس واجتمعت عليهِ اليهود ففنَّد اقوالهم جهاراً وقُضي لمجادلتهِ آخرًا بقطع الرأس مع ٣٨ آخرين وعيدهُ في الكلندار الحبشي واقع في ٢٤ من شهر خدار (٢٠ ت ٢)

فكلّ هــذه الآثار بيَّنت انتشار النصرانيَّة في اليمن. ولم يزدها اضطهاد ذي نوَّاس واليهود الَّا نموًّا لانَّ ملك الروم ونجاشي الحبش القديس أَلصبان مــا فتئا ان ارسلا جنودًا الى اليمن انتقمت للمظلومين وكسرت شوكة اليهود في تلك الانحاء

وقد اتتنا في هذه الحقبة الاخيرة شواهد جديدة غير منتظرة ألا وهي كتابات يونانيَّة وحبشيَّة وحميريَّة اكتشفها الاثريُّون وهي تبيّن ما كان من النفوذ للحبشة في

---

١) اطلب مجلة لينشاي (Rendic. d. reale Accad. d. Lincei, 1910, ser, V., vol. XIX p. 705-750) ويظن الكاتب انَّ ازقير هذا هو فيمون والله اعلم

بلاد اليمن. « فاليونانية اكتشفها في اكسوم الرحّالة الانكليزي هنري سَلت (H. Salt) كتبها « أيزن ملك اكسوم والحميريين وريدان والحبش والصابئة وزيلع وتهامة وبغيث وتوقال ملك الملوك ابن الاله المريخ غير المغلوب » يصف فيها انتصاره على اعدائهِ البغيثيين. وتاريخ هذه الكتابة اواسط القرن الرابع يظهر منها انَّ ملوك الحبشة الوثنيين كانوا استولوا مدَّة على اليمن والحميريين

ومن الكتابات الحبشيَّة كتابة وقف عليها المرسل الايطالي يوسف سابيتو (G. Sapeto) في اكسوم ايضاً ثمَّ نشرها وفسَّرها وهي للملك النصراني « تازينا ابن الاعميدا ملك اكسوم وحمير وريدان وسبا الخ » افتتحها بذكر الاسم الكريم «خالق السماء والارض الرب الازلي ». وكان تازينا المذكور مالكاً نحو السنة ٥٠٠ ومن كلامهِ يظهر انَّ ملوك الحبشة لم يزالوا باسطين سيطرتهم على الحميريين. ولا غرو انَّ نصرانيَّتهم أثرت بدين الحميريين الوثنيين واجتذبت منهم قوماً الى المسيحيَّة

امَّا الكتابات الحميريَّة فاعظم شأناً واخطر بياناً لتاريخ النصرانيَّة اكتشفها في انحاء اليمن رجالٌ ذوو حزم لا يهابون الاخطار دخلوا في هذه السنين الاخيرة الى اقاصي اليمن ونقلوا ما كانوا يراقبونهُ من الكتابات الحميريَّة الكاشفة لاسرار التاريخ اليمني. اشهرهم العلماء يوسف هالوي (J. Halévy) وادورد كلازر (Ed Glaser) فأتوا من اليمن بجثات من الآثار الكتابيَّة بينها كتابات حميريَّة تفصِّل محاربة الحبشة لذي نوَّاس وظفرهم باليمن. وتاريخ هذه الكتابات هو تاريخ حمير الواقع سنة ١١٥ للمسيح. فمن جملة تلك المآثر التاريخيَّة كتابة تُنسب الى حصن الغراب وجدها كلازر (١ فنشرها وهي « لسميفع اشوع » (٢ اقامها في ذي الحجة سنة ٦٤٠ (اي ٥٢٥ للمسيح) تذكارًا لدخول الحبشة في بلاد حمير بعد انتصارهم على ملكها (ذي نوَّاس)

ومنها كتابة اخرى تاريخها سنة ٦٥٧ و٦٥٨ (اي ٥٤٢ — ٥٤٣) ورد فيها ذكر انفجار سدّ مأرب وهو من اجلّ الحوادث التاريخيَّة كان العلماء يرقّونهُ استنادًا الى مؤرخي العرب الى القرن الثاني للمسيح فثبت الآن انهُ جرى في اواسط القرن

١) اطلب كتابةُ الحبشة في بلاد العرب وفي افريقية (E. Glaser: *Die Abessinier in Arabien u. Afrika*, p. 113)

٢) هذا الاسم صحفهُ اليونان باميسيفاوس

السادس. والكتابة قد نُقرت في الصخر بامر ابرهة الملك الحبشي اوّلها: «بقوّة ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحهِ وروحهِ القدوس قد امر برسم هذه الكتابة ابرهة الحاكم (على اليمن) باسم الملك الكيزي (الحبشي) رمحيس ذو بي يمن ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمانات والعرب الذين في الجبال والسهول». ومما قال هناك: «ونحن على ذلك اذ بلغنا خبر تهدُّم السدّ والخزّان والحوض والمصرف في شهر ذي المدرح سنة ٦٥٧...» ثمّ اردف ابرهة قولهُ: «فارسلت الى القبائل لتنفذ الحجارة والاخشاب والرصاص لترميم السدّ في مأرب... ثم توجّهتُ الى مارب وبعد ان صلّيتُ في كنيستها عمدتُ الى ترميم السدّ فعزلوا الانقاض حتى وصلوا الى الصخر وبنوا عليهِ». ثمّ يذكر تأخُّر العمل لسأم بعض القبائل عن الشغل وكيف حالف ابرهةُ اقيالَ اليمن وقابل وفود ملوك الروم وفارس والحيرة (المنذر) وغسّان (الحارث بن جبلة وابي كرب بن جبلة) وغير ذلك ممّا يفيدنا علماً عن اخبار العرب وفوز ابرهة بقبائلهم سنة ٦٥٧ للحبش (٥٤٢ م). ثمّ عاد الى وصف ترميم سدّ مأرب فقال: «فرمّموهُ ووسّعوهُ حتى بلغ طولهُ ٤٥ ذراعاً وارتفاعهُ ٣٥ ذراعاً» ثمّ فصل هناك ما انفق على العمل من الحجارة والاطعمة للعملة الى ان ختم الكتابة بقولهِ انّهم «انتهوا من العمل في شهر ذي معان سنة ٦٥٨ (٥٤٣)» (١

ولعلّ هذا السدّ كان انفجر قبل ذلك غير مرّة ورُمم الّا انّ اخبار العرب تنطبق خصوصاً على هذا الحادث الاخير. وانما خلطوا في اقوالهم خلطاً عجيباً وكفى بهِ استدلالًا على ضعف رواياتهم التاريخيّة التي لا يمكن التسليم بصحتها الّا بعد النقد والنظر المليّ

لا غرو انّ النصرانيّة في مدّة ملك الحبشة على اليمن بلغت اقصى النجاح والتقدّم. لنا على ذلك شواهد تاريخيّة عديدة وكان اوّل ما باشر بهِ الحبش ان جعلوا نجران كعبة الدين النصراني بعد ان اصطبغت بدماء اهلها الشهداء فاقاموا فيها مزارًا كان العرب يقصدونهُ من كلّ صوب وكانوا انفقوا عليهِ القناطير المقنطرة ليزينوهُ بانواع

---

١) اطلب كتاب مردتمان في الكتابات الحميرية (Mordtmann: *Himjar. Inschriften*, Berlin 1893) وكتاب مولر في مدن اليمن وقصورها (Müller: *Bürgen u. Schloesser*, Wien 1881)

الحليّ. وهذا المزار قد شاع ذكرهُ عند العرب فدعوهُ «كعبة نجران» او «كعبة اليمن» وضربوا بحسنهِ المثل واليهِ اشار الاعشى في بعض ابياتهِ حيث قال يكلم ناقتهُ:

وكعبة نجرانَ حتمٌ عليكِ حتى تُناخي بأبوابها
تزورُ يزيدًا وعبد المسيح وقيساً هم خيرُ اربابها
اذا الحبَرات تلوَّتْ بهم وجرُّوا اسافلَ هدَّابها

يريد بني عبد المدان الذين كانوا يتولون امرها وهم من اعيان بني الحارث بن كعب واعرقُ الناس في النصرانيَّة. ومن طبَّقت اخبارهُ اقاصي العرب في ذلك الوقت خطيب مصقع ضربت العربُ المثل في بلاغتهِ نريد القسّ بن ساعدة اسقف نجران وقد جمعنا في شعراء النصرانيَّة (ص ٢١١ — ٢١٩) ما رواهُ الكتبة العرب عنهُ وعن يزيد بن عبد المدان النجرانيّ (ص ٨٠ — ٨٨)

ومما يعود فضلهُ الى الحبشة كنيسة عظيمة جمعوا فيها ضروب المحاسن وانفقوا عليها المبالغ الطائلة بنوها في حاضرة ملكهم صنعاء لا تزال حتى اليوم تُرى بقاياها في جامع هذه المدينة وكانوا زيَّنوها بكل اصناف الزين والتصاوير وضروب الفسيفساء وهي الكنيسة التي عرفها العرب بالقُلَّيس (١ وذكروها في تواريخهم ووصفوها في كتبهم (اطلب مجموعنا مجاني الادب ج ٣ ص ٣٠٢ وكتاب الاغاني ٢ : ٧٥) فما لبثت ان جذبت اليها الجماهير المجمهرة حتى نسي الوثنيون قصر غمدان القريب منها واصنامهُ الصابئيَّة

وكما فعلوا في صنعاء اقاموا ايضاً في ظفار كنيسة اخرى جليلة كانت آيةً في الحسن والجمال. وكان المتولّي تدبير هذه الكنيسة اسقف شهير يدعى جرجنسيوس اتخذهُ ملك الحبشة كستشارهِ ومساعدهِ لتنصير الحميريين فما ألا جهدًا في ذلك وقد ترك لنا من آثارهِ كتاب شرائع الحميريين التي تُرى ترجمتها اليونانيَّة في مجموع الآباء اليونان لمين (Migne, P. G., T. 86, col. 567-620) وكان يجادل اليهود ويردّ على مزاعمهم ولهُ جدال مع هربان الربّاني صبر ايضاً على آفات الدهر باليونانيَّة (Ibid., col. 621-783) ولدينا منهُ ترجمة عربيَّة

---

١) القليس مشتقَّة من اليونانيَّة (Ἐκκλησία) ومعناها الكنيسة

ولنا حتى اليوم دليل حسّي على تأثير نصرانيّة الحبشة في العرب ألّا وهو ما دخل في اللغة العربيّة من الالفاظ الدينيّة الحبشيّة بعضها حبشيّ الاصل كالمنبر والمصحف والحواريّ والمنافق والفاطر (اي الخالق) والجبت (اي الصنم) والشيطان والزّار . وبعضها يونانيّ او سريانيّ او عبرانيّ لكنّهُ دخل في العربيّة بواسطة الحبش كما تدلّ عليهِ صورتهُ الحاضرة كالانجيل وجهنم والتابوت والقلم والحرم والجنّ والرقية . وللعلّامة المستشرق نولدك بحث خصوصيّ في هذه الالفاظ (١

وكان شيوع الخطّ المُسنَد وهو الخطّ الحميري في بلاد العرب بفضل الحبشة واشتقاقهُ من الخطّ الحبشي القديم ظاهر . نقلوهُ الى اليمن في التاريخ السابق للميلاد ثم استعملوهُ في كتاباتهم الحجريّة الى ظهور الاسلام قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ١٧١) عند وصفهِ كنيسة القُلَّيس ان ابرهة كان كتب على بابها بالمُسنَد : « بنيتُ هذا لكَ (اللهمّ) من مالك ليُذكَر فيهِ اسمك وانا عبدك »

وفي مدّة ولاية الحبش على اليمن رحل الى الهند قسما الرحّالة Cosmas In-dicopleustes) نحو السنة ٥٣٥ فعدّد ما وجدهُ من الكنائس في طريقهِ وانتشار النصرانيّة في اواسط الشرق واقاصيهِ وقد خصّ بينها بلاد اليمن حيث قال ما تعريبهُ (٢ : « انك حيثما سرتَ تجدُ كنائس للنصارى واساقفة وشهداء وسيّاحاً حتى بين اهل عربيّة السعيدة الذين يُدعَون بالحميريين كما في كلّ العرب ايضاً وبين النبط وبني جرم . . . »

وان سأل السائل اكانت النصرانيّة في اليمن مستقيمة خالية من البدع . الجواب انّهُ من المرجّح انّ دينهم كان في اوّل الامر خالصاً من كلّ شائبة وكاثوليكيّاً محضاً لانّ الامبراطور يستينوس وخلفهُ يستنيانوس لحسن ديانتهما ما كانا ليسمحا للحبش ان ينشرا في بلاد العرب غير الايمان الارثذكسيّ الموافق لتعليم المجامع الاربعة الاولى . يثبت ذلك تكريم الكنيسة لملك الحبشة ألِصْبان الذي كان مالكاً في وقت فتح الحبشة لليمن ثمّ جلوس جرجنسيوس على كرسي اساقفة صنعاء وهو قديس تكرمهُ الكنيسة لقداستهِ · وانّما يظهر ايضاً انّ بدعة اوطيخا

١) اطلب Th. Noeldeke: *Neue Beitraege z. semit. Sprachwissenschaft*
٢) اطلب مجموع آباء اليونان (Migne, P. G., t. LXXX, col. 169)

سرت الى جهات اليمن وكدَّرت صفاء ايمانهم فانَّ الحبشة في القرن السادس جنحوا الى تعاليم اليعاقبة فلا بُدَّ ان اضاليلهم انعكس صداها الى العرب. لكنَّ المؤرخين اليعاقبة قد بالغوا في ذكر شيوع هرطقتهم بين اهل اليمن كما يُستدلّ من تاريخ يوحنّا الآسيويّ (١ وكما نقلهُ ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ١٤٨)

على انَّ العُنصر العربيّ وسلالة ملوك اليمن لم يعودوا يطيقون نير الاجانب عليهم لاسيَّما بعد موت ابرهة وتملُّك ابنيهِ يكسوم ومسروق على حمير اذ تشدَّدا على الوطنيين واساءَا اليهم الصنع فاخذ امراء حمير يطلبون لهم وسيلة لينجوا من الحبشة. وكان في مقدَّمتهم سيف بن ذي يزن فاستنجد بملك الروم وطلب منهُ جيشاً ليُخرج الحبش من جزيرة العرب فلم تلقَ دعوتهُ اذناً صاغية فعدل الى كسرى ملك العجم فنصرهُ بجندٍ من صعاليك دولتهِ تحت قيادة رجل اسمهُ وهرز فظفروا بالحبشة وبدَّدوا شملهم وملك سيف بن ذي يزن لكنَّ ملكهُ لم يدم زمناً طويلاً اذ فتك بهِ بعض الحبشة فخلفهُ ابنهُ معدي كرب. ولم يلبث العجم ان استولوا على اليمن فارسلوا عمَّالاً يحكمون باسمهم كان اولهم وهرز المذكور ثمَّ خلفهُ باذان وفي عهدهِ صارت اليمن في ايدي المسلمين

امَّا النصرانية فانَّها لم تمت بنفي الحبشة بل بقيت في عزّها الى ظهور الاسلام ولعل سيف بن ذي يزن عينهُ كان يدين بها يؤيدهُ ما وقفنا عليهِ في احد مخطوطات باريس العربية وهو كتاب انساب العرب لسلمة بن مسلم (Suppl. Paris, 2866) في الصحيفة ٩٧ حيث قال ان سيف بن ذي يزن دخل على القيصر ومال الى النصرانية. والحقّ يقال انهُ ما كان ليلوذ بالقيصر ملك الروم النصرانيّ لو دان هو باليهوديَّة كذي نوَّاس وكذلك قد مدحهُ الشاعر النصرانيّ اميَّة بن ابي الصلت بقصيدتهِ الشهيرة التي اوَّلها:

لا يطلبُ الثار الَّا كابن ذي يزنٍ في البحر خيَّم للاعداء احوالا

ولا شيء في هذه الابيات يُشعر بيهوديَّة سيف. ولو عرف اهل نجران وعرب النصارى في اليمن انَّ ابن ذي يزن من انصار لليهوديَّة لما مكَّنوهُ من الملك

---

١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (Assemani; BO, II, 381-386)

وعلى ظنّنا انّ نساطرة العراق انتهزوا فرصة دخول الفرس في اليمن لينشروا هناك بدعتهم ولعلّهم كانوا سبقوا الى بثّها قبل ذلك فعزّزوها . وفي تواريخ النساطرة ما يصرّح بانتشار تلك البدعة في جنوبي العرب ومقاومتهم لليعاقبة . وفي كتاب الاغاني (١٠ : ١٤٨) انّ عشرة من اساقفة نجران قدموا على نبيّ المسلمين وجادلوهُ فدعاهم الى المباهلة ولعلّ منهم من كان نسطوريًّا وكان حينئذٍ رئيساً على نجران رجل اسمهُ السيد (١ فأُعطي الامان هو وقومهُ

ولكن النصارى بعد فوز الاسلام اخذوا يضعفون في اليمن شيئاً فشيئاً ولاسيّما بعد ان امر عُمَر باخراجهم من الجزيرة استنادًا الى حديث يعزونهُ الى محمّد هذا منطوقهُ : « لأُخرجنّ اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الّا مسلماً » . والظاهر انّ هذا لم يتمّ بالحرف فانّ لدينا عدّة شواهد على وجود النصارى في اليمن في ايّام الخلفاء . فمن ذلك ما ورد في اعمال طيموتاوس الكبير بطريرك النساطرة انّهُ سام اسقفاً على نجران وصنعاء اسمهُ بطرس في اواخر القرن الثامن (٢ وجاء في كتاب الفهرست لابي الفرج بن النديم (ص ٣٤٩) ان المؤلف اجتمع براهب من نجران في اليمن يدعى حسّان كان انفذهُ جاثليق النساطرة الى الصين فعاد منها سنة ٣٧٧ (٩٨٨ م) واخبرهُ بعجائبها

وجاء في تقويم الكنائس النسطوريّة الذي طبعهُ الخوري بطرس عزيز الكلداني (واليوم مطران سلمست في العجم) عن بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقية (ص ٧) في الحاشية انّ البطريرك يوحنّا الخامس ارسل كتاباً الى حسن قسيس اليمن سنة ٩٠١ م يجاوب فيهِ على ٢٧ سؤالًا ألقاها عليهِ . وقال في الجدول انّ في سنة ١٢١٠ للمسيح كان في صنعاء اليمن خمسة اساقفة للنساطرة . الاوّل مطرابوليط على صنعاء اسمهُ اسطيفانوس وتحت يدهِ ثلاثة اساقفة ايليا وياولاها وشمعون لهم ثلاث كنائس وعدد المؤمنين عندهم ٥,٧٠٠ . ثم كان اسقف لمدينة زبيد اسمهُ عبد يشوع وعدد المؤمنين فيها ٢١٠٠ بيت . ثم ذكر نجران وقال انّ في سنة ١٢٦٠ كان لها اسقف يدعى يعقوب وانّ في انحائها كان ١٤٠٠ بيت من النساطرة . وقال عن

١) اطلب التاريخ الكنسي لابن العبري (Barhebræus : *Chron. Eccl.*, II, p. 116)
٢) اطلب مكتبة السمعاني (BO. IV, 609)

عدن انها كان يوجد فيها سنة ١٢٥٠ م اسقف اسمهُ ميلو وانَّ جماعة النساطرة كانت ١٣٠٠ بيت الَّا انَّ اكثرهم قُتلوا بالسيف او عدلوا الى الاسلام. هذا ما نقلناهُ عن هذا الاثر الذي لم يمكنَّا ان نقابلهُ على غيرهِ لنتأكّد صحّتهُ

وفي القرن السادس عشر ذكر الكاتب الاسباني اوردينو دي سينالتوس (Ordeno de Cenaltos) انهُ في رحلتهِ الى المغرب لقي بعض قبائل عربيَّة احتفت بهِ واكدت لهُ انَّ اصلها من قبائل نصارى العرب في اليمن. وقد اخبرنا المرسلون الكبوشيون في عدن سنة ١٨٩٥ انَّهم وجدوا في بعض اهل اليمن آثارًا مسيحيَّة ظاهرة ورثوها من اجدادهم النصارى

الباب السادس

النصرانية في حضرموت وعمان واليمامة والبحرين

انَّ بلاد حضرموت وعمان واليمامة والبحرين مجاورة لليمن فكان ملوك اليمن اذا قويت شوكتهم طمحوا اليها بالابصار وادخلوها في سيطرتهم. الَّا انَّ اخبار تلك الجهات نادرةٌ جدًّا لا يُعرف الَّا القليل من امورها السياسيَّة والادبيَّة والدينيَّة

❊ حضرموت ❊ ومنها بلاد مَهْرة مـا وقع من جزيرة العرب شرقيّ اليمن بين اليمن وبحر الهند. روى ابن خلدون في تاريخهِ (١ اسماء دولة مستقلة ملكت عليها بعد المسيح الى ايَّام الحبشة فلمَّا صارت اليمن في حوزة الحبش ملكوا ايضاً حضرموت ولذلك لم يذكر ابن خلدون لحضرموت امراء بعد دخولهم الى اليمن فنوَّهَ بسكوتهِ الى انَّها دخلت في حكم الحبش. فلا بُدَّ اذن من ان يُقال انَّ النصرانيَّة دخلت ايضاً في حضرموت مع اولئك الفاتحين بل دخلت قبلهم والدليل عليهِ انَّ قسماً كبيرًا من كندة كانوا يسكنون في حضرموت (٢ ومعلوم انَّ النصرانيَّة كانت الديانة الغالبة على كندة كما سترى

ثمَّ انهُ كان لحضرموت عدَّة مدن ساحليَّة ذكرها بطلميوس الجغرافيّ (٣ كانت

---

١) اطلب تاريخهُ المطبوع في مصر (٢: ٢٥٢)   ٢) فيهِ (٢: ٢٥٣)

٣) اطلب جغرافيَّتهُ (ك ١٦ ف ٤) ثمَّ كتاب گلازر (Ed. Glaser : *Skizze d. Geschichte u. Geogr. Arabiens* 88-89)

تُقام فيها اسواق تجارية تقصدها الروم وغيرهم فكان اهل حضرموت يختلطون بتجار النصارى القادمين من انحاء شتى فيدينون بدينهم. وكان يسكن بعض هؤلاء النصارى الجزائر المجاورة التي لدينا شواهد على نصرانيتها قبل الاسلام بزمن مديد. قال قزما الرحالة (Cosmas, P. G., T. 88,col. 169): «وفي جزيرة تابروبانا التي يدعوها اهل الهند سيدليبا (وهي سيلان ويدعوها العرب سرنديب) في بحر الهند كنيسة للنصارى مع عدد من الاكليريكيين والمؤمنين. وكذلك في مالي (ملبار) حيث يُجنى الفلفل. وفي جزيرة كاليانا اسقف يُسام في العجم ويُرسل اليها. وفي جزيرة ديوسقريدس (وهي سقطرى القريبة من سواحل العرب) كذلك اكليريكيون يُرسمون في العجم وهناك جمٌّ غفير من النصارى... وخدمة الدين النصراني في تابروبانا يُرسلون ايضاً بعد سيامتهم»

وما يدلُّ على علاقات هؤلاء النصارى مع سواحل العرب ما قرأناهُ في كتاب سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاريّ في انساب العرب الذي مرَّ ذكرهُ (ص ١٠٦) عن مهرة وسقطرى:

وبجزيرة سقطرى من جميع القبائل من مهرة وهي جزيرة طولها ٣٠٠ فرسخ وبها العنبر السقطري... وكان اهلها من اولاد الروم فدخلوا في نسب القُمر من مهرة وهم معروفون. (قال) وبها عشرة آلاف مقاتل كانوا نصارى وذلك انهم يذكرون انَّ قوماً من بلد الروم طرحهم بها كسرى فعمروا بذلك الموضع حتى عبرت اليهم مهرة فغلبت عليهم وعلى الجزيرة. (قال) وقد يقولون انهُ لم يكن بها روم ولكن رهبانيَّة على دين الروم من النصرانيَّة ثمَّ دخلتها الشراة من مهرة وحضرموت وقتلوا من بها

وقد بقي قوم من النصارى في سقطرى حتى القرن السادس عشر كما ورد في رسالة للقديس فرنسيس كسفاريوس كتبها عند سفرهِ الى الهند وكان نزل الى سقطرى ورأى فيها بقايا النصرانيَّة فالحُّوا عليهِ بان يسكن عندهم فلم يمكنهُ الامر

ويثبت انتشار النصرانيَّة في حضرموت ما جاء في كتاب طبقات ابن سعد في فصل الوفادات فذكر وفد حضرموت واورد قول احد الوافدين اسمهُ كُليب بن اسد:

انت النبيّ الذي كنّا نُخبَّرهُ وبشَّرتنا بك التوراةُ والرسلُ

فكفى بهذا دليلاً على وجود النصرانيَّة في حضرموت (١

(١) اطلب (Wellhausen: *Skizzen u. Vorarbeiten*, IV, 178)

﴿ عُمَان ﴾ شمالي حضرموت واقعة على شواطئ بحري الهند والعجم وحاضرتها صُحار وكانت النصرانيَّة دخلت اليها بواسطة دُعاةٍ اتوها من العراق. وفي التواريخ الكلدانيَّة (١ اسماء اساقفة كانوا في عمان منذ القرن الخامس وهم يدعونها مَزُون كما دعاها ايضاً العرب ونبَّه اليهِ ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٥٢١) فممَّن ذكروهُ يوحنان سنة ٤٢٤ وداود (٥٤٤) وشموئيل (٥٧٦) واسطفان (٦٧٦)

وفي جملة الرسائل التي بعث بها رسول الاسلام الى الملوك رسالة وجَّهها الى ملك عُمَان المسمَّى جَيْفَر بن الجلندى من ازد عمان كان نصرانيًّا هو واخوهُ عبَّاد ويقال عَبْد وعُبَيْد. فنصرانيَّة الملك تشير الى نصرانيَّة البلاد الخاضعة لهُ

وكان في عمان اديرة للنصارى يشير اليها صاحب الاغاني. وجاء في تاريخ ابن الاثير (١ : ٢٣٤) انَّ قيس بن زهير «لمَّا تنصر ساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهَّب بها»

﴿ البحرين ﴾ هي البلاد الساحليَّة الواقعة في شرقي جزيرة العرب على سواحل خليج العجم حيث مغاص اللؤلؤ الشهير كان اهلها في الجاهليَّة من بني عبد القيس وهي احدى القبائل المعروفة بنصرانيَّتها قال الشاعر ذو الرُّمة في بعض احيائهم (اطلب نسخة مكتبتنا الخطيَّة ص ٥٧) :

ولكنَّ اصلَ امرئ القيس معشرٌ يحِلُّ لهم اكلُ الخنازير والخمرُ

وفي البحرين مغاص اللؤلؤ الشهير الذي لا يزال اهل تلك الانحاء يستخرجون منهُ الدرر الثمينة وقد مررنا بهِ في رحلتنا من بغداد الى الهند. ولاهل البحرين عادات نصرانيَّة تناقلوها ابًا عن جدٍ حتى اليوم واشار اليها السيَّاح الالمانيون الذين طافوا تلك البلاد حديثاً كصورة الصليب يرسمونها على جباهم او يطبعونها بالوشم على اعضائهم وكاكرامهم للخبز ذكرًا بالقربان الاقدس. وقد لحظ ذلك منهم احد آباء رهبانيَّتنا منذ ثلاثين سنة في دمشق وكان قوم منهم قصدوها للارتزاق

وكانت بلاد البحرين والاحساء المجاورة لها تحت حكم الفرس منذ ظهور الاسلام وكان اهل الارض كما اثبت ياقوت في معجم البلدان (١ : ٥٠٨) «من المجوس واليهود والنصارى» وكان العامل عليها احد بني تميم المتنصرين اسمهُ المنذر ابن ساوي. ومن اشرافها النصارى عند ظهور الاسلام بشر بن عمرو المعروف

(١) اطلب Chabot : *Synodes Nestoriens*

بالجارود وكان سيد عبد القيس والمؤرخون العرب يذكرون انهُ اسلم ومات سنة ٦١ هـ (٦٨١ م)

وكان للنساطرة في بلاد البحرين اساقفة وخصوصاً في قطَر وهم يسمّونها بيت قطرايا (١. وقد ذكروا في مجمعهم الذي عقدهُ سنة ٥٨٥ الجاثليقُ يشوعياب اهل البحرين المتنصرين ويأمرونهم بالكفّ عن الشغل يوم الاحد ان امكنهم الامر والَّا اعفوهم من ذلك لاجل الضرورة. وقد ثبت هؤلاء النصارى على دينهم بعد الاسلام كما يظهر من مجمع آخر نسطوري عُقد سنة ٥٧ هـ (٦٧٦ م) دبَّر فيهِ الآباء عدَّة امور دينيَّة. ومنهُ يظهر ان بلاد البحرين كانت حافلة بالكنائس والاديرة ودُعاة الدين وكان اذ ذاك على قطَر اسقف اسمهُ توما

وكان لقصبة بلاد البحرين وهي هَجَر اسقف يُدعى اسحاق ذُكر في مجمع النساطرة سنة ٥٧٦ ثم ورد ذكر اسقف آخر يُدعى فوسي سنة ٦٧٦ (٢

ومن جزائر البحرين دَارِين ويقال دَيْرِين ذُكر لها في تواريخ النساطرة ثلاثة اساقفة وهم بولس سنة ٤١٠ ويعقوب سنة ٥٨٥ ويشوعياب سنة ٦٧٦ (٣

ومنها ايضاً جزيرة سماهيج (وفي السريانية مشمهيج) في وسط البحر بين عُمان والبحرين (ياقوت ٣: ١٣١) كانت فيها كنيسة مسيحية وفي المجامع النسطوريَّة (Chabot, 273, 275, etc) اسماء ثلثة اساقفة تولّوا تدبيرها وهم باطاي والياس (٤١٠) وسركيس (٥٧٦)

ومن مدن الاحساء الخطّ وهي بلدة تُنسب اليها الرماح الخطّيَّة وكان الفرس يدعونها بيت اردشير وكان للنساطرة فيها كنائس ذُكر من اساقفتها اسحاق سنة ٥٧٦ وشاهين سنة ٦٧٦ (٤

﴿ اليمامة ﴾ وربما سُمّيت بالعَروض والجوّ وتُلحق باقليم الأحقاف وهي مفاوز متسعة في الجنوب الغربيّ من عمان بين الاحساء شرقاً والحجاز غرباً كانت قصبتها

١) اطلب كتاب المجامع النسطوريَّة المنشور حديثاً (J. B. Chabot: *Synodes Nestoriens*, p. 189 et 448)

٢) اطلب كتاب المجامع المذكور: (Ibid. 387, 482)

٣) فيهِ (Ibid., 482, 618)

٤) فيهِ (Ibid., 387, 482)

حَجْر بفتح فسكون مدينة كبيرة. والعرب يجعلون فيها قوماً من الجبابرة من طسم وجديس. وما لا ينكر انَّ النصرانيَّة انتشرت في تلك الانحاء بعد قسطنطين الكبير فان عمرو بن متى في كتاب فطاركة المشرق ذكر ان عبد يشوع السائح بشَّر بالنصرانيَّة في جهات اليامة في اواخر القرن الرابع للمسيح

وكان معظم سكَّان اليامة قبل الاسلام بني حنيفة ممَّن يشهد الكتبة المسلمون على نصرانيَّتهم (١ وكان يملك عليهم قبل ظهور الاسلام بقليل هوذة بن عليّ الذي كان اسر قوماً من بني تميم ثمَّ اطلقهم يوم عيد الفصح كما ذكر ابن الاثير في تاريخهِ (ج ١ ص ٢٦٠ من طبعة مصر) فقال الاعشى يمدحهُ لفعلهِ:

بهم يقرِّبُ يومَ الفصح ضاحيةً يرجو الالهَ بما اسدى وما صنعا

على انَّ بعض الكتبة زعموا انَّ بني حنيفة كانوا يعبدون صنماً من عجين ثمَّ اتت عليهم سنة فاكلوهُ فهجاهم البعض بقولهِ:

اكلتْ حنيفةُ ربَّها زمن التقحُّم والمجاعَهْ
لم يحذروا من ربِّهم سوء العقوبة والتباعَهْ

وعندنا انَّ هذه الشكوى باطلة وانَّ الذين نسبوا الى بني حنيفة اكل صنمٍ من عجين انَّما خُدعوا بما رأوهُ من تقرُّبهم من القربان الاقدس فان الاصنام لا تُتخذ من العجين ولا تسدُّ جوع كثيرين في ايَّام القحط فضلاً عن كون الأقط اليابس العتيق لا يصلح لأكل

وممَّا يدلُّ على نصرانيَّة اليامة مقاومة اهلها للمسلمين تحت قيادة مسيلمة الذي عُرف بالكذَّاب وكان نصرانيًّا هو وسجاح التغلبيَّة امرأتهُ. وقيل انَّ امر مسيلمة المذكور قد تفاقم حتى خاف المسلمون فتنتهُ وكان يتلو قرآناً كرسول المسلمين ذكرهُ عبد المسيح الكندي في ردِّهِ على الهاشميّ (ص ٨٧ من طبعة اكسفرد) فدخل عليهِ قوم ليلاً واغتالوهُ وكفوا شرَّهُ

هذه بعض شواهد على وجود النصرانيَّة في البلاد العربيَّة المتوسطة بين اليمن والعراق المجاورة لبحر الهند وخليج العجم وفيها دلائل كافية على ما كان للدين المسيحيّ من النفوذ في تلك الجهات التي لم يفدنا عنها المؤرخون الَّا الفوائد الزهيدة

١) اطلب كتاب ارنلد في الاسلام والنصرانية Arnold (J. M.): *Islam, his History and Relations to Christianity*, p. 54

الباب السابع

النصرانيّة في العراق

ان صعدت من بلاد البحرين وجهات الاحساء انتهى بك المسير الى مفاوز واسعة يحدُّها شرقاً خليج العجم وغرباً بوادي قحلة جرداء لكنّ شمالها اراضٍ طيّبة كثيرة الخيرات تُعدّ من اخصب بلاد الله يسقيها النهران الكبيران الفرات ودجلة فيجعلانها جنّات غنّاء تزاحمت على ملكها الامم القديمة من بابليين وكلدان واشوريين وشبعت من دسمها ووفرة غلّاتها. وكان العرب يدعون تلك الانحاء بالعراق ويخصّون باسم السواد الارياف المجاورة لبوادي العرب

والعرب منذ سالف الاعصار كانوا لا يزالون يراقبون لتلك البلاد طامعين في ثروتها حتى اذا وجدوا غرّة من عمّال الامم المالكة عليها غزوها وبسطوا ايديهم اليها ريثما يزحف اليهم مَن يردّهم الى بواديهم. وكان ملوك العراق في الغالب يفضّلون محالفتهم فيجعلونهم كحرس ثغورهم وسور مملكتهم على شرط ان يُعطَوا حظّهم من مستغلّات تلك الجهات ويسرّحون في مراعيها قطعانهم

لكنّ القبائل المحالفة لممالك العراق كان يحسدها على هناء عيشها غيرُها من العشائر فتسير اليها من الجنوب ولا تزال تزاحمها الى ان تغلبها على منازلها فتسكنها معها او بدلًا منها. ومن القبائل التي ذكرها المؤرخون ووصفوا سيرها الى سواد العراق قبائل يمنيّة من الازد تركوا بلاد اليمن سواء كان ذلك لانفجار سدّ مأرب على قولهم او لاسباب أُخرى كالمزاحمة وتوفُّر النسل فعدلَ قسم منها الى غرب البلاد نحو الشام وهم الغسّانيون تحت امرة جفنة بن عمرو بن ثعلبة وتوقّل القسم الآخر في الشمال تحت قيادة مالك بن فهم واذ وجدوا في تلك الجهات عشائر من اياد ولخم وغيرهما انضمُّوا الى بعضها وقهروا البعض الآخر حتى رسخت ثمّت قدمهم وثبتت كلمتهم بل اخذوا يسعون في ضبط زمام السلطة على كلّ القبائل التي هناك ففازوا بمرغوبهم وانشأوا لهم دولةً تُعرف بدولة المناذرة كان اول ملوكها جذيمة الابرش فاستولى على جهات السواد الواقعة غربيّ الفرات واتّخذ لهُ مدينة الانبار كقاعدة ملكهِ ثم نقلها خلفاؤهُ من بعدهِ الى الحيرة ولم يزالوا يتتابعون في الملك عليها الى ظهور الاسلام فغلب خالد بن الوليد ملكها الاخير المنذر بن النعمان ابي قابوس سنة ١١ للهجرة

(٦٣٣ م) . وكان ملوك الحيرة في مــدّة دولتهم محالفين لملوك العجم من السلالة الساسانيّة بينما كان اخوتهم الغسّانيّون احلافاً الروم في بادية الشام

وان اعتبرنا دين عرب العراق وجدنا الشرك شائعاً بينهم كما في بقيّــة جهات العرب وجرت عندهم خصوصاً عبادة الكواكب والسيّارات السبع كما ألفها عرب اليمن والكلدان اهــل العراق ولعلّهُ دخل في دينهم ايضاً شيءٌ من ديانة المجوس كتعظيم الشمس والنيّرات

امّا النصرانيّة فكان لها فيهم تأثير عظيم . وهذا ما يلوح من الآثار القديمة التي ورد فيها تاريخ تلك البلاد بعد السيد المسيح فلمّا اشرقت شمس النصرانيّة سار دُعاتها الى ما بين النهرين والجزيرة والعراق فدعوا اليها اهل تلك الاقطار الذين لبّوا دعوتهم وانتظمت الجموع الغفيرة في سلك النصرانيّة . واذ كانت العرب ممتزجة مع سكّان تلك الجهات اقبــلوا هم ايضاً الى التديُّن بها وجحدوا عبادة الاصنام والكواكب . ولنا على تنصُّر عرب العراق شواهد سبق بعضُها عهدَ مالك بن فهم

فمن ذلك مــا رواهُ كتبة الكلدان عن اوّل من بشّر بالدين المسيحيّ في مواطنهم وكان العلامة يوسف السمعاني في مكتبتهِ الشرقيّة (٤ : ٥ — ٣٠) جمع عدة شواهد من اقوالهم تصرّح بانتشار النصرانيّة في العراق ونواحي اشور وبابل على يد الرسولين توما وبرتلماوس وبدعوة ثلاثة من المبشرين الاوّلين اعني ادّي او تدّاي احد السبعين وتلميذيهِ اجّي وماري . لكنَّ كثيرًا من علماء التاريخ لم يسلّموا لهُ بصحّتها اذ رأوهــا حديثة العهد من القرن العاشر فما بعد لكنَّ الاكتشافات الحديثة في السريانيّة لم تُبقِ ريباً في الامر اذ تثبت انَّ ادّي الذي يعتبرهُ الكلدان كرسولهم كان حقًّا من تلامذة السيّد المسيح وانَّ بشارتهُ في جهات العراق لا يجوز نكرانها . فانَّ اقدم التواريخ الكلدانيّة من القرن الخامس الى التاسع التي نُشرت مؤخّرًا كتاريخ « بَرْحدْ بشابا عَربايا » وتاريخ « مشيحــا زخا » وشعر نرساي في القرن الخامس وشهادة آباء مجمع المدائن المنعقــد في بلاط الملك كسرى سنة ٦١٢ واعمال الشهداء والكتب الطقسيّة القديمة كلّها تشير الى بشارة الرسول ادّي (١ كما

١) اطلب كتاب حضرة القس منكّنا المعنون (A. Mingana : *Sources Syriaques*) وكتاب السيد عبد يشوع خيّاط في الكلدان والنساطرة والرئاسة البطرسية :Eb. Khayyath *Syri Orientales seu Chaldæi*)

ان بعضها يروي اعمال القديس ماري تلميذ ادّي (١ . وفي الشواهد عن هؤلاء المبشرين الاوّلين للكلدان ربّما ذكروا ايضاً تبشيرهم لنواحي العرب. قال صاحب كتاب النحلة من كتبة القرن السابع : « وكان الداعي والمنصِّر والمتلمذ والمدبّر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وما والاهُ من بلاد التيمن والحزّة ونواحي العرب من التلاميذ السبعين ادّي وماري ولحق بهما من التلاميذ الاثني عشر ناثنيل وهو ابن ثلماي (اي برتلماوس) ». وقد قال سليمان بن ماري عن هذا الرسول (ص٥) : ان برتلماوس تلمذ مع ادّي وماري « نصيبين والجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وبلاد العرب وارض المشرق والنبط »

وقد سبقهما القديس افرام الكبير في القرن الرابع وذكر بشارة ادّي الى الرها والمشرق في الميمر الذي مدح فيهِ مدينة الرها

امّا ماري فانّ ذكرهُ لا يكاد يفترق عن ذكر ادّي في الشواهد السابق ذكرها كالكتب الطقسيّة النسطوريّة واعمال المجامع وترجمتهِ المومأ اليها وكلها تشير الى دعوتهِ بين العرب في بلاد ميشان وسواد العراق وسكّان الخيام. قال ابن ماري في تاريخ فطاركة المشرق : « انّ ماري بادر الى تلماذ جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز. . . وبلاد العرب سكّان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن ». وقد روى الطيّب الذكر السيد عبد يشوع خيّاط في مقدّمة اعمال مار ماري (٢ انّ ذخائرهُ وُجدت سنة ١٨٧٩ مع ذخائر يشوع سبران احد شهداء القرن السادس بين آثار كنيسة قديمة موقعها في كرملاش شرقيّ الموصل. فهذه الشواهد من شأنها ان تزيل الشكّ في تاريخيّة ماري التي ارتاب فيها البعض

قُلنا انّ بعض قبائل العرب كانت سبقت مالك بن فهم في سكنى العراق من جملتها بنو اياد الذين يذكر المؤرخون تنصُّرهم منهم البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨). وقد اشار شاعرهم لقيط بن يعمر الايادي الى بِيَعهم في قصيدتهِ العينيّة التي كتبها ليحذّرهم من غزوة كسرى وهي من اقدم الآثار العربيّة فقال :

تامت فؤادي بذات الجزع خرعبةٌ مرّت تريدُ بذات العَذْبة البِيَعا

١) اطلب ترجمتهُ التي نشرها لاوّل مرّة في الاصل السرياني السيّد ابلّوس (J. B. Abbeloos : *Acta S. Maris*)

٢) اطلب هذه الترجمة (Acta S. Maris, 7-8)

ففي ذكره للبيع في ديار اياد على عهد كسرى شاهد على شيوع النصرانيّة بينها منذ القرن الرابع وهذا يخالف رواية ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٥ .éd Wüstenfeld) حيث أخّر تنصُّرهم قائلًا: « اياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد فالحّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصَّروا »

وكان ايضاً بين قبائل العراق قوم من لَخم . وفي السيرة الحلبيَّة (طبعة مصر ٣: ٩٥) انَّ بني لخم كانوا من عدد القبائل المتنصرة. لكنَّ الكاتب لم يذكر زمن تنصُّرهم

ولمَّا ظفرت النصرانيَّة بالدين الوثني في الدولة الرومانيَّة بجلوس قسطنطين على منصَّة الملك بلغ صدى ذاك الانقلاب حتى العراق وحدثت نهضة جديدة ساقت الالوف المؤلفة الى التنصُّر رغماً عن معارضة ملوك العجم حتى كادت النصرانيَّة تعمّ تلك الانحاء كلها وتستأصل شأفة المجوسيَّة لكنَّهُ قام سابور ذو الاكتاف وسفك دماء النصارى مدَّة ملكهِ الذي دام سبعين سنة فضحّى ١٦٠,٠٠٠ من المسيحيين الذين كانوا في دولتهِ . واعمال هؤلاء الشهداء قد كتبها شهود عيانيُّون تُعدّ رواياتهم من اصدق واثبت التواريخ نشرها السمعاني ونقلها الى اللاتينيَّة

ولا غرو ان بين هؤلاء الشهداء كان ايضاً قوم من العرب المتنصّرين كما يُستدلّ من امكنة استشهادهم وبعض اعلامهم كعبد الله والحارث وعزيز وحبيب الخ وقد ذكر إليَّا النصيبيني اساقفة على البصرة (وكان اسمها فرات ميشان) منذ السنة ٣١٠

وقد شهد المؤرخون ان سيَّاحاً من النصارى كانوا يعيشون بين احياء عرب العراق منذ اواخر القرن الثالث واوائل الرابع ذكرهم المؤرخ سوزمان (١ ودعاهم بالرعاة (Βοσκόμενοι) لأنَّهم كانوا يعيشون في البراري ويقتاتون من النبات وروى ذلك المؤرخ « انَّهم بحياتهم النسكيَّة وفضائلهم العجيبة ردُّوا كثيرين من العرب والعجم الى الدين النصراني »

ثمَّ تبع هؤلاء السيَّاح رهبانٌ غيرهم جروا على مثال رهبان الصعيد واخذوا عنهم طرائقهم النسكيَّة فكثيرون منهم اشتهروا في جهات العراق وفي البلاد التي كان يسكنها العرب

١) اطلب تاريخهُ (Sozomène, H. E., l. VI, 34)

وممّن خصّهم بالذكر قدماء الكتبة الراهب حنّا الكشكري (١ الذي سكن في بلاد جرم وابتنى ديرًا هناك نحو سنة ٣٢٠

وذكر تاودوريطس المؤرخ القديس سمعان القديم (٢ فروى انهُ كان تنسّك في بلاد « الاسماعيليين » مختفيًا في بعض المجاهل الّا ان العرب اكتشفوا مكانهُ واتوهُ جموعًا متكاثفة ليسمعوا تعاليمهُ وينالوا منهُ الشفاء لمرضاهم. فاجاب الى ملتمسهم لكنهُ لم يزل يراقب الفرصة ليهرب من الجاجهم ويبقى معتزلًا في مناجاة ربّهِ

ويروى عن القديس يليان سابا اي الشيخ انهُ ساح في بلاد العرب مع تلميذهِ المسمى يوحنّا الفارسي (٣ في غضون ذلك القرن الرابع

وفي هذا القرن نفسهِ كانت القبائل اليمنيّة من آل نصر بن ربيعة الازدي التي انتقلت من جنوبيّ العرب الى الشمال فألقت في جهاتها عصا التسيار واخذت تقوى وتنمو وتضمّ اليها شتات القبائل العربيّة لتملك عليها. وكان بين ملوكها الاوّلين المسمّى امرؤ القيس بن عمرو المعروف بالبدء الذي طالت مدّة ملكهِ الى اواسط القرن الرابع. وممّا يجدر بالذكر ان الكتبة يؤكدون تنصُّرهُ قال ابن خلدون في تاريخهِ نقلًا عن ابن الكلبيّ وغيرهِ (طبعة مصر ١: ٢٦٣): « ولمّا هلك عمرو بن عدي ولي بعدهُ على العرب وسائر مَن ببادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤ القيس بن عمرو ابن عدي ويقال لهُ البدء وهو اوّل من تنصّر من ملوك آل نصر وعمّال الفرس »

ولسنا نحن نرى في الامر عجبًا بعد ما روينا عن امور النصرانيّة في اليمن فهذه القبائل المهاجرة الى الشمال كانت عرفت الدين المسيحيّ في مواطنها فبقيت خميرتهُ فيها عند انتقالها الى العراق. يؤيد ذلك ما رواهُ القزوينيّ من امر « الانبياء » الذين ارسلهم الله الى بني حمير ليردُّوهم الى الله قال: « فبعث الله ثلاثة عشر نبيًّا (لاهل اليمن) فكذّبوهم ». لكن المسعودي في مروج الذهب (٣: ٣٩٣) ذكر تربيتهم على يد اولئك الرسل وانتظام امورهم فقال: « وازال الله انعامهم واموالهم فقالوا لرسلهم:

١) اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني (٤: ٦٩١-٧٠٤)

٢) اطلب تاريخ الرهبان لتاودوريطس (Migne PP. GG. vol. 82, col. 1350)

٣) اطلب اعمال البولنديين في اليوم ١٨ من شهر تشرين الاوّل. وممّا روى تاودوريطس المذكور في تاريخهِ (ك ٣ ف ٢٠) انّ بعض كتبة زمانهِ نسبوا قتل الامبراطور يليان الجاحد في حرب الفرس الى احد رُعاة العرب

ادعوا لنا الله ان يخلف علينا نعمتنا ويردّ علينا ما شرد من انعامنا ونعطيكم موثقاً ان لا نشرك بالله شيئاً فسألت الرسل ربّها فاجابهم الى ذلك واعطاهم ما سألوا فاتّسعت بلادهم واخصبت عمائرهم الى ارض فلسطين والشام ». وقال القزوينيّ: « ان ذلك كان بين مبعث عيسى والنبيّ » فتعيّن بقوله هذا انّ هؤلاء الانبياء او الرسل ما كانوا الّا دعاةً لدين المسيح كما يُستدلّ عليه من الشواهد السابقة

ولنا دليل آخر على تنصُّر تلك القبائل اليمنيّة في العراق وذلك ما ذكرهُ المؤرخون عنها فقالوا انّ قبائل من قضاعة من تيم اللات وكلب بن وبرة والاشعريين مع قوم من الازد تحالفوا وتآخوا فدُعوا تنوخاً ونزلوا جهات البحرين ثم العراق ما بين الحيرة والانبار وتنصَّروا. قال ابن خلكان في ترجمة ابي العلاء المعرّي (ص ٤٩ éd. de Slane) : « تنوخ اسم لعدَّة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك وسُمّوا تنوخاً. وتنوخ احدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب ». امّا تنصُّرهم في القرن الرابع فيؤخذ من قول صاحب الاغاني عن سابور ذي الأكتاف لمّا حاربهم وكان شعارهم شعار المسيحيين. قال (١١: ١٦٢): « ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين... حتى نزلوا الحيرة فهم اوّل من اختطها... ثمّ اغار عليهم سابور الأكبر فقاتلوهُ فكان شعارهم يومئذٍ: آل عباد الله فسُمّوا العباد »

ولعلّ الديرَيْن اي دير الجماجم بظاهر الكوفة ودير الحريق قرب الحيرة اللذين ذكرهما ياقوت في معجم البلدان (٢: ٦٥٢, ٦٦٤) قد انشأهما نصارى العرب في العراق تذكاراً لاؤلئك الشهداء الذين قتلهم سابور لاجل ايمانهم وفي روايات نقلها ياقوت ما يلتئم بذلك. وجاء في روايات أُخرى فيه عن ابن الكلبي ان دير الجماجم بناهُ بنو عامر شكراً لله على ظفرهم ببني ذبيان وبني تميم بعد حرب وقعت بينهم. امّا دير الحريق فبُني تذكاراً لقومٍ أُحرقوا بالحيرة

وما لا يُنكر وتثبتهُ الشواهد التاريخيّة انّ الاديرة كثرت في اواخر القرن الرابع للمسيح في جهات العراق التي كان يسكنها العرب. فانّ القديس اوكين الذي كان نشر العيشة الرهبانيّة في بلاد الجزيرة وما بين النهرين ارسل عصبةً من تلاميذه حتى اقاصي العراق وما عتّمت الآداب الرهبانيّة ان انتشرت فيها على يدهم ايّ

انتشار خصَّ منهم المؤرخون بالذكر الراهبَ يونان او يونس الذي شيَّد ديرَين الواحد في الانبار قاعدة اللخميين قبل سكناهم في الحيرة على الفرات والآخر بقرب نينوى. وقد عرف العرب الديرين كليهما فذكرهما ياقوت ودعا الاوَّل (٢ : ٧٠١) دير مار يونان والثاني دير يونس قال عن هذا الاخير (٢ : ٧١٠) انهُ « في جانب دجلة الشرقي مقابل الموصل وبينهُ وبين دجلة فرسخان واقلّ وموضعهُ يُعرف بنينوى »

وفي التواريخ الكلدانيَّة القديمة ان يونان المذكور طاف بلاد السواد وبشَّر العرب بالمسيح وكان قبل ان يزهد بالدنيا يتعاطى العلوم الفلسفيَّة ويزاول الطبَّ فحبَّبهُ ذلك الى العرب وكافَّة اهل السواد. ولمَّا ابتنى ديرهُ في الانبار كثر عدد الطالبين للترهُّب تحت تدبيرهِ

وفي النصف الثاني من هذا القرن الرابع تولَّى احد رهبان النصارى اسمهُ عبدا بناء الاديرة في انحاء العرب فقدم على جاثليق المدائن المسمى تموُّز او تومرصا ونال منهُ الرخصة في ذلك فبنى هو ديرًا كبيرًا في دير قنّي او درقان وطنهِ على اسم مار ماري حيث كانت ذخائر ذاك الرسول. وبنى تلامذتهُ اديرةً اخرى منهم تلميذهُ عبد يشوع الذي شيَّد على نهر صرصر الدير المعروف بالصليب حيث كان ظهر صليب منير في أيام استشهاد المسيحيين على يد سابور باغراء المجوس. وشيد ديرًا آخر في باكسايا في سواد العراق ثم ديرًا ثالثًا عند الفرات. واخبر المؤرخ ابن ماري (ص ٢٩) انَّهُ تلمذ العرب في متوث وميشان واليمامة وردَّ بني ثعلبة الى الايمان (١ فجعلهُ تومرصا اسقفًا مقامهُ في دير مخراق. ومنهم تلميذهُ يبالاها الذي ردَّ اقوامًا من العرب في ارياف الفرات وابتنى ديرًا في دسكرة السواد وديرًا آخر على ضفَّة النهر قيل انَّ عدد رهبان ديرهِ قد كثر حتى ضاق بهم الدير مع سعتهِ فبلغوا الاربعمائة بنيِّف وكان الرهبان من انحاء شتى يتكلمون لغات مختلفة فجعلهم اربعًا وعشرين فرقة يتعاقبون في تلاوة الفرض الالهيّ ليلًا ونهارًا فيتلون الصلوات والتسابيح في لغاتهم اي السريانيَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة والقبطيَّة. وكان سبقهُ الى ذلك في هذه المناسك راهب آخر اسمهُ اسكندر الذي انشأ طائفة الساهرين (Acémètes) لمواصلتهم الصلاة ليلًا مع نهار. وقد ذكر سليمان بن ماري في تاريخ فطاركة كرسيّ المشرق (ص ٢١) وعمرو بن متى في

(١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (ج ٣ ص ١٩٨ و ٢١٨ و ٣٠٢)

المجدل (ص ٢٨) كثيرًا من هذه الاديرة واختصرا تواريخها عن كتبة معاصرين اخصّهم اَحي تلميذ مار عبدا الذي وضع ترجمة حياة معلمهِ ثمَّ صار بعد ذلك بطريركًا على الكلدان

فهذا العدد الوافر من الاديار وكثرة المترهّبين فيهما دليل واضح على سطوع ضياء النصرانيَّة بين عرب العراق في ختام القرن الرابع للمسيح . فانَّ كلَّ دير منها كان كينبوع من المياه الحيَّة يسقي تلك الارجاء فينبت للخلاص الثمار الطيّبة . وكان المتنصّرون يمارسون من الفضائل اسماها ومن الاعمال المبرورة افضلها وأولاها حتى انهم ما كانوا يحجمون عن الموت والعذابات لاجل دينهم كما يُروى عن السفراء الثلاثة الذين اوفدهم ملك العجم الى القيصر يليانوس المارق سنة ٣٦١ واسماؤهم مانويل (او عمانويل) وشابيل واسماعيل اراد يليانوس ان يغصبهم على السجود للاصنام فأبوا وماتوا في سبيل دينهم القويم في القسطنطينيَّة واعمالهم مدوَّنة في مجموع البولنديين (Acta Sanctorum, d. XVII Junii) . وكان قبلهم سفيران آخران (سنة ٢٥٠) قد وفدا على دقيوس من قبل دولة الفرس اسمهما عبدون وسنان وفضّلا الموت على جحود النصرانية فقُتلا في رومية وعيدهما في الكنيسة في ٣٠ تموز

وبعد هؤلاء نسَّاك العراق بزمن قليل قام في الكنيسة الانطاكية قدّيس آخر اشتهر في الشرق والغرب معاً نريد بهِ القديس سمعان العمودي المولود نحو سنة ٣٦٠ للمسيح الذي رقي عمودهُ في الجبل المعروف باسمهِ في جهات انطاكية واضحى بعد مدَّة كنارة استضاء بها العالم كلهُ . وسيرتهُ قد كتبها احد تلاميذهِ المسمى انطون فنُشرت في اعمال الآباء اللاتينيين (Migne, P. L. t. 73, p. 329) وكتبها ايضاً تاودوريطس معاصرهُ الذي كان يتردَّد عليهِ وهو من اوثق المؤرخين واصدقهم روايةً . وكذلك روى اعمالهُ كثيرون من السريان فنُشرت تآليفهم في هذه المدَّات الاخيرة . ومن يتصفَّحها يتحقَّق ما نالهُ العرب من فضل القديس سمعان . وقد مرَّ لنا ذكر الحميريين الذين كانوا يقصدونهُ من اليمن . وكان العراقيُّون من العرب يتتابعونهُ بشوق اعظم لقربهم منهُ . اسمع ما كتبهُ تاودوريطس اسقف قورش بعد ان شاهد عياناً العجائب التي كان يأتيها العموديّ قال عن العرب ما نروي قسماً منهُ معرَّباً (١ :

١) اطلب الباب ٢٦ من كتابهِ المدعو بفيلوثاوس او الحياة الرهبانيَّة (Migne P. G., t. 82, col. 1474)

« انَّ مقام سمعان على عموده قد اثار قلوب الالوف المؤلَّفة من بني اسماعيل فكانوا يأتونهُ افواجاً افواجاً فيتقاطرون اليهِ تارةً مائتين وتارةً ثلاثمائة واحياناً أُلوفاً (ὅτε καὶ χίλιοι) فيجحدون لديهِ اضاليل اجدادهم وربَّما حطَّموا امامهُ اصنامهم ولعنوا باغرائهِ الزُّهَرة وعبادتها النجسة ثم كانوا يتلقَّنون التعاليم الخلاصية ويذعنون للبشارة الانجيليَّة. وقد حصل لي خطر على حياتي من تزاحمهم عليَّ لانَّ القديس سمعان كان يأمرهم ان يطلبوا مني البركة الاسقفيَّة مؤكِّدًا لهم انَّها تعود عليهم بالخير فكانوا اذ ذاك يقتحمون عليَّ من كل جانب من الامام والوراء والجانبين ويركب بعضهم على اكتاف البعض ويمدُّون اليَّ ايديهم ليلتمسوا مني البركة ولولا ان القديس سمعان كان يزجرهم لكُنت تأذَّيتُ من لجاجهم وازدحامهم عليَّ »

وقد ذكر هناك تاودوريطس ومثلهُ المؤرخ ايڤاغريوس والكاهن قزما معاصرهُ عدَّة عجائب وآيات باهرة صنعها سمعان مع العرب وشيوخهم زادت ثقتهم بهِ وتوارُدهم اليهِ واقبالهم على استماع اقوالهِ . فمن ذلك ما اخبر بهِ عن امير قبيلة نُقل اليهِ مخلَّعاً على سريرٍ من مدينة الرقَّة فشفاه القديس برسم اشارة الصليب عليهِ وصبغهِ بمياه المعموديَّة فعاد كمخلع الانجيل حاملاً سريرهُ والحضور كلهم يشكرون الله على هذه النعمة السابغة (١. وكذلك اخبر عن امير آخر كان تنصَّر ونذر بين يدي القديس انَّهُ يصوم عن اكل اللحم فنسي نذرهُ مرَّة واكل قطعة من اللحم استحالت في جوفه الى حجر كاد يلفظ به روحهُ لو لم يسرع الى القديس الذي خلَّصهُ بصلاتهِ (٢. وارسلت ملكة العرب من العراق وسألتهُ ان يزيل عقمها وينال لها من الله ابناً ذكرًا فنالتهُ وارسلتهُ الى رجل الله لينال بركتهُ

وذكر تلميذهُ انطون في سيرته (٣ انَّ اميرًا من امراء قبائل عرب الجزيرة دعاهُ مالكاً (Basilicus) قدم على القديس فوجد سمعان يصلي فوق عمودهِ فجثا تحتهُ ينتظر نهاية صلاتهِ ليطلب بركتهُ واذا بدودةٍ كانت ترعى جسم القديس وكان يحتمل ذلك بصبر حبًّا بالله سقطت فالتقطها الامير ليحفظها كتذكار وذخيرة . فلحظ سمعان فعل الامير فصرخ اليهِ : انك بفعلك هذا أيها الرجل الشريف قد كدَّرتني فكيف تمسّ ما ينتثر من جسدي من القذر . ففتح الامير يدهُ واذا بالدودة قد استحالت الى درَّة ثمينة فاراها القديس وقال : ليست هذه دودة بل درَّة . فاجابهُ سمعان : على حسب ايمانك قد صنع بك الربّ فلتكن يدك مباركة طول حياتك . وانطلق الامير فرحاً

١) الآباء اليونان (P. G., t. 88, col. 1477) ٢) فيهِ ايضاً
٣) اطلب مجموع الآباء اللاتين (Migne: P. L., t. 73, p. 329)

على انَّ بعض امراء العرب غير المتنصرين لم يرضوا بفعل رعاياهم وخروجهم الى بلاد الرومان وتنصُّرهم على يد سمعان العمودي. وممَّا اخبر المؤرخ قزما الكاهن انَّ ملك الحيرة الذي دعاهُ بالنعمان وهو النعمان الاوَّل الــذي يلقبهُ العرب بالاعور لمَّا استولى على ملك الحيرة بعد امرئ القيس الثاني (نحو سنة ٣٩٠ الى ٤٢٠) امتعض من رحلة اهل الحيرة الى القديس سمعان فاعلن بامر ملكي انَّهُ ينهى تحت عقاب الموت الخروج الى زيارة السائح. فما انتشر هذا الخبر حتى استولى الخوف على رعاياه فرأوا ان الطاعة لهــذا الحكم الظالم اولى من التعرُّض للموت الاحمر. الَّا انَّ الملك لم يلبث ان ندم على مــا فعل. ففي ذات الليلة التي وليتْ صدور الحكم ظهر لهُ القديس في الحلم وفي يدهِ سيف ومعهُ خمسة رجال لابسين ثياباً بيضاً ناصعة فنظر الى الملك شزرًا وبكَّتهُ على فعلهِ ثمَّ امر الرجــال ان يربطوهُ ويجلدوهُ جلدًا مبرّحاً دون ان يرثوا لعويلهِ فلمَّا كاد يصير الى التلف امر بالكفّ عنهُ ثمَّ سلَّ السيف متهدّدًا وقال: «أيَّاك أيَّاك ان تعود الى مثلها فبهذا السيف تُقطع مفاصلك» فقام الملك وهو على آخر رمق ولمَّا اصبح الصباح جمع حاشيتهُ والقى حكمهُ امامهم وحضَّ شعبهُ ان يذهبوا الى القديس كيفما شاؤوا. قال قزما المؤرخ: «وهذا الخبر رواهُ احد قوَّاد النعمان المسمَّى انطيوخس بن سالم وكان سمعهُ من فم النعمان ولمَّا جاء ليزور القديس اخبرنا سمع امام سمعان نفسهِ وانا حاضر». وأردف الراوي قائلًا: ومذ ذاك الحين أُطلقت الحريَّة لعرب الحيرة بان يدينوا بالنصرانيَّة ثم قال: والملك النعمان كان يريد بعد ذلك ان يتنصَّر ويزهد بالدنيا لكنَّهُ خاف من سطوة ملك العجم

(قلنا) ولنا في شهادة مؤرخي العرب ما يثبت هــذه الرواية ويؤيد صحَّتها. فانَّ المؤرخين قد رووا انَّ النعمان الاعور بعــد سنين من ملكهِ اجتمع باحد النسَّاك الصالحين المدعوّين بالرابطة فزهَّدهُ بالفانية ودعاهُ الى ترك الدنيا وعبــادة الله فلبى الملك دعوتهُ ولبس معهُ المسوح وساحا في الارض زهدًا (١). وليس هؤلاء الرابطة على رأينا سوى رهبان النصــارى الذين بينَّا لك وفرة عددهم في جهات العراق وزهدهم بالعالم. وفيما ذكرنا من تاريخ قزما مصداق على هــذا الرأي. ولعلَّ الدير الذي دعاهُ العرب بدير الاعور قد ابتناهُ نعمان الاعور المذكور لولا انَّ ياقوت (٢:

١) اطلب تاريخ الطبري طبعة ليدن (ج ١ ص ٨٥٤) ومجموعنا مجاني الادب (٢: ٢٢١)

٦٤٤) نسب دير الاعور الواقع على قوله بظاهر الكوفة الى رجل من بني حذافة ابن زهر بن اياد وقد مرَّ بك انَّ بني اياد من اقدم قبائل العرب المتنصِّرة

ولا غرو ان تنصُّر هذين الملكين زاد النصرانيَّة شأناً وعزًّا في العراق. قال قزما بعد رواية انطيوخس بن سالم عن ندامة النعمان ان الدين المسيحي مذ ذاك الوقت نمـا نموًّا عظيماً فكثر عدد الاساقفة والكهنة حتى ضاق عن الحصر. ولمَّا قام الملك ازدشير الاوَّل واضطهـد النصارى في ملكهِ نال عربَ العراق قسمٌ من تلك المحن اظهروا فيها من الثبات ما غيَّر بعد مدَّة افكار الملك فتغاضى عنهم. وقيل انَّ امرأة الملك ازدشير نالت بشفاعة القديس سمعان الشفاء من مرضٍ عُضـال فرغبت الى الملك ان يكفَّ الاضطهاد عن النصارى في مملكتهِ

وفي القسم الاوَّل من القرن الخامس بلغت النصرانيَّة اوج فخرهـا وازدهارها في العراق. وكان الايمان كاثوليكيًّا محضاً لم يُشَبْ بشيءٍ من اضاليل النساطرة واليعاقبة وكان الاساقفة حريصين على وديعة التعاليم الرسوليَّة كما ترى من اعمال مجمع المدائن الذي عُقد سنة ٤١٠ فشذبت اضاليل آريوس وغيرهِ من المبتدعين

وفي هذا الزمان عُرف القديس ماروثا رئيس اساقفة ميَّافارقين الذي حظي لدى ملك العجم ازدشير الثاني وابرأ ابنتهُ من داء عقام فنالت من ابيها الحريَّة التامَّة لنشر النصرانيَّـة في العجم. وماروثا من كبار القديسين الشرقيين والمدافعين عن الايمان المستقيم بهمتهِ عُقد مجمع ثانٍ في المدائن سنة ٤٢٠ لاثبات عقائد الايمان وحُرم نسطور

وفيه ايضاً اصبحت جهات الجزيرة ولا سيَّما العراق العربي كصعيد آخر بلغ فيها عدد الزهَّاد الى ما تجاوز كلَّ احصاء. فكانت الاديرة كمدن واسعة يسكنها الوف من الرهبان يقضون فيها الحياة في الصلاة والشغل. ولو راجعت الفصل الذي خصَّهُ البكري في معجم ما استعجم (٣٥٨—٣٨١) وياقوت الحموي (٢: ٦١٠—٧٣٩) وغيرهما بهذه الاديرة لرأيت ان بلاد العراق كان لها نصيب كبير منها وهم لم يذكروا غالباً الَّا ما ورد اسمهُ في شعر الشعراء كدير الابلق في الاهواز ودير ابي يوسف فوق الموصل قريب من بَلَد وديارات الاساقف بالنَّجف بين قصري ابي خصيب والسدير وديرَي الأسكون بالحيرة وقرب واسط كانت فيهما مدارس للعلوم الدينيَّـة ودير اشموني قرب بغداد ودير الاعلى بالموصل على جبل مطلّ على دجلة ودير باشهرا بين

سامرّا وبغداد ودير باعَربا بين الموصل والحديثة على شاطئ دجلة ودير مخائيل ودير الثعالب منسوب على ما نظنّ الى بني ثعلبة المتنصرين قريب من بغداد عند الحارثيّة ودير الجرعة بالحيرة وديرا الخوات بعُكبَرا ودير الخنافس على قلّة جبل تُشرف على دجلة ونينوى ودير دُرْتا غربيّ بغداد ودير الدهدار بنواحي البصرة ودير الزّندوَرد في الجانب الشرقي من بغداد ودير سابور غربيّ دجلة ودير سمالو وكلاهما قرب بغداد ودير السُّوسي بنواحي سرّ من رأى (وهي سامرّا) ودير الشاء بارض الكوفة ودير صَباعي شرقيّ تكريت ودير الطواويس بسامرّا ودير العاقول بين مدائن كسرى والنعمانيّة ودير العجّاج بين تكريت وهيت ودير العَلْث ودير فثيون وكلاهما بسامرّا وديرَي القباب وقوطا من نواحي بغداد ودير القيّارة عند الموصل ودير كَرْدشير بين الريّ وقمّ ودير كُوم من اعمال الموصل ودير مار فثيون بالحيرة اسفل النجف ودير مار سرجيس قرب سامرّا ودير متى قرب نينوى ودير مديان على نهر كرخايا قرب بغداد ودير مر جرجس بالمزرفة قرية من منتزهات بغداد ودير مَرْ ماري من نواحي سامرّا ودير مر يُحنّا جانب تكريت ودير ملكيساوا فوق الموصل ودير هِزْقل في جهات البصرى وغيرها ايضاً تؤيد كثرتها ما قلنا عن انتشار النصرانيّة في العراق

والعرب لم يعرفوا فقط هذه الاديرة ورووا اسماءها في اشعارهم او ذكروها في جملة اخبارهم بل نُسب كثير منها اليهم او لوقوعها في ديارهم او لأنّهم عُنوا بتشييدها وكلّ ذلك ما يزيد بياناً قولنا في نفوذ النصرانيّة بين عرب العراق. فمن ذلك ما ذكرهُ البكريّ وياقوت ايضاً كدير ابن برّاق بظاهر الحيرة ودير ابن عامر ودير ابن وضّاح ويسمّى ايضاً دير مر عبدا بناهُ بذات الاكيراح من نواحي الحيرة عَبدا بن حنيف بن وضّاح اللحياني. ودير حنظلة المنسوب الى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك من بني لخم. ودير حنة دير قديم في الحيرة منذ ايّام بني المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع. ودير حنّة آخر بالأكيراح بناحية البليخ ذكرهُ البكريّ (٣٧٢) ثمّ قال: «والاكيراح موضع ايضاً بالحيرة فيهِ دير بناهُ عبد بن حنيف من بني لحيان الذين كانوا من لخم وملكَ الحيرة منهم ملكان» ودير خندف وهي ليلى بنت حلوان القضاعي امّ ولد الياس بن مضر بن نزار. ودير السوا المنسوب الى رجل من اياد وقيل الى بني حذافة. ودير عبد المسيح المنسوب الى عبد المسيح

ابن عمرو بن بُقَيلة الغسّاني الشاعر واحد المعمّرين موقعهُ في ظاهر الحيرة. ودير العذارى بين سرّ من رأى والحظيرة وكان يسكنهُ عدد من ابكار العباديين وعرب النصارى. روى ياقوت (٢ : ٦٨٠) والبيروني في كتابهِ الآثار الباقية (éd. Sachau p.314) «انَّ احد ملوك الحيرة اراد ان يختار منهنَّ لهُ نسوةً فصُمن ثلاثة ايّام بالوصال فات ذلك الملك في آخرها ولم يمسّهنَّ ومذ ذاك اخذوا يصومون هذا الصوم المعروف بصوم العذارى». ودير علقمة بالحيرة منسوب الى علقمة بن عديّ بن الرميك من بني لخم ودير عمرو في جبال طيّ. ودير قرّة المنسوب الى قرَّة احد بني حذافة بن زُهر ابن اياد. ودير اللجّ للنعمان ملك الحيرة. ودير هند الكبرى وهند الصغرى وسنعود الى ذكرهما

ويخبر عن المتعبدين في تلك الاديرة او القلالي الممتدَّة بين الحيرة والبصرة انَّهم كانوا يجتمعون في الاعياد فيحتفلون بها برونق وكان اهل تلك الانحاء يخرجون اليهم فيحضرون حفلاتهم ويطلبون منهم شفاء مرضاهم. وكان النسّاك يعيشون غالباً من صيد الاسماك ومن حسنات المؤمنين

فهذه اديرة عديدة كلّها من بناء نصارى العرب في جهات العراق. فلعمري انَّها من ادلّ الادلّة واجلى البيّنات على علوّ منار النصرانيّة بين عرب الجاهليّة

وما قلناهُ عن الاديرة يجوز قولهُ عن عدَّة كنائس وبيع شيَّدها العرب واشاروا بذلك الى تُقاهم وتحمُّسهم في الدين. وكانوا يتفاخرون ببناء البيع في احيائهم. قال الفيروزابادي: وكان في الحيرة كثير من الكنائس البهيَّة. وقال الزبرقان بن بدر التميميّ لمَّا وفد على محمَّد يذكر كنائس قومهِ (سيرة الرسول لابن هشام ٩٣٥):

نحنُ الكرامُ ولا حيٌّ يعادلنا منَّا الملوكُ وفينا تُنصَب البيعُ

وقال في معجم البلدان (٢ : ٧٠٣): «كان اهل ثلاث بيوتات يتبارون في البيع وربّها (كذا) اهل المنذر بالحيرة وغسّان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور وكان بنو الحارث بن كعب على ذلك الى ان جاء الاسلام». وقال ابن دُرَيد في كتاب الاشتقاق (ed. Wüstenfeld.

(226 عن بني عديّ: « ومن بني لخم بنو عديّ بن الذّميل بن اسس لهم بيعة بالحيرة وكانوا اشرافاً »

وكان يحقّ بنا ان نضيف الى هذه الشواهد جدول الاساقفة الذين كانوا في القرن الخامس يدبرون كنائس العراق العربي كالانبار والحيرة والبصرة وبيت عربايا وميشان وغيرها لكنّ ذلك يطول بنا فنشير اليهِ فقط اشارة خفيفة

لكنّ الحقيقة تضطرُّنا ايضاً ان نذكر ما أُصيبت بهِ كنائس بابل والعراق . فانّ في اواخر القرن الخامس نفثت البدعة النسطوريّة فيها سمّها وخدعت كثيرين من المؤمنين والاساقفة فاعاروا لها اذناً صاغية وانتموا الى اصحابها. ثم قامت باثرهم البدعة اليعقوبيَّة وانتشرت انتشارًا عظيماً في بلاد الجزيرة وبلغت ايضاً الى انحاء العراق فقامت الحرب الدينيَّة بين البدعتين على ساق وكانتا في البيعة الشرقيَّة كالزؤان الذي خنق الزرع الجيد الذي زرعهُ ربُّ البيت. فلا غروَ انَّ العرب انقسموا مع اهل تلك البلاد الى قسمين فعدل قسم منهم ولا سيَّما اهل القبائل الواقعة شرقيّ الموصل حتى خليج العجم الى النسطوريّة بينما كان القسم الآخر ومقامهم على الاخصّ في غربي الموصل وفي ديار ربيعة الى جهات الرها وتخوم حلب وحمص وحماة قد تبع اليعقوبيَّة

فابتدأ تتقهقر النصرانيَّة مذ ذاك الحين في الشرق فترى تاريخ الكنيسة الشرقيَّة ينحصر غالباً في تاريخ الخصومات والمشاغبات التي سبَّبتها تانك البدعتان او ما كان ينوط بهما من البدع والمشاكل. وزاد في الطين بلَّة تداخل ملوك القسطنطينيَّة من الروم في امور الدين فاقاموا نفوسهم كقضاة في المعتقدات المسيحيَّة وكان منهم من يعضد البدع وينتمي اليها جهارًا كما فعل قنسطنسيوس ووالنس اللذان نصرا الاريوسيَّة وكزينون وانستاس المدافعين عن اليعقوبيَّة وكهرقل الذي دافع عن بدعة المنوثليين فكنت ترى المجامع تتوالى منها كاثوليكيّة ومنها هرطوقية فتبطل هذه ما اثبتتهُ تلك وكان الاحبار الرومانيُّون مهتمّين وقتئذٍ بتهذيب امم البرابرة التي هجمت على المملكة الرومانيَّة فلا يستطيعون ان يداووا اسقام الشرق كما يشاؤون لبُعد الشرق عن نظرهم او ايضاً لما كانوا يجدونهُ في ملوك الروم وبطاركة القسطنطينيَّة من المخالفة لاوامرهم فاصبح الشرق في هرج ومرج واختلَّت بذلك امور الدين وانتقض حبل الايمان المتين

وان تتبعنا تاريخ النصرانيّة بين عرب العراق في اواخر القرن الخامس ومدّة القرن السادس وجدنا بينهم رَجع صدىً لهذه الحوادث الجارية في ظهرانيهم وهم منوطون في العراق بالكنيسة الكلدانيّة التي تبعت اضاليل نسطور وفي الجزيرة وديار بكر وربيعة وانحاء الرها بالكنيسة السريانيّة التي غلبت عليها الهرطقة اليعقوبيّة

وكان ملوك الحيرة اوّل من تأثر بهذه الحوادث فان السياسة قضت عليهم بان يتبعوا الدولة الساسانيّة التي بسطت حمايتها على النسطوريّة وعضدتها في بلاد العراق الى نصيبين وذلك بغضاً بملوك الروم الذين كانوا يتقلّبون حيناً مع البدعة اليعقوبيّة وحيناً مع الكنيسة الكاثوليكيّة. ونرى المؤرخين الروم واللاتين مضطربين في ايضاح تاريخ ملوك الحيرة فتتناقض آراؤهم فيهم اذ كانوا يرونهم في مصافّ اعدائهم الفرس فبعضهم يجعلونهم وثنيين وبعضهم يذكرونهم في عداد النصارى ويروي غيرهم عن امراء الجيش ما لا يصحّ الّا عن الملوك وبعكس ذلك ينسبون الى الملوك ما اتاهُ الامراء. وترى شيئاً من هذا الاضطراب في رواية السريان والعرب. وها نحن نورد من ذلك ما نراهُ اقرب الى الحقّ

خلف المنذرُ الاوّل في ملك الحيرة اباهُ النعمان بعد تنصُّرهِ وزهدهِ فملك ٤٤ سنة (٤١٨ — ٤٦٢) قضاها في حروب متواترة ضدّ الروم في خدمة ملوك الفرس لا سيّما بهرام جور بن ازدشير الذي كان تربّى بين عرب الحيرة. و كان بهرام عدوًّا للنصارى فامتحنهم في بلاد فارس وجوارها وصادرهم وقتل منهم كثيرين تعيّد الكنيسة ذكرًا لاستشهادهم وكأنَّ المنذر وافقهُ على آرائه وعاد الى شرك آبائهِ القديم. واخبر سقراط (١ المؤرخ معاصرهُ انّهُ دخل في بلاد الروم فنهب وسلب واحرق وسبى وكان يقصد السّير الى القسطنطينيّة ليفتتحها لكنّهُ لم يفلح وأُصيب جيشهُ بكسرة عظيمة وقُتل منهم مئة الف على قول سقراط وسبعون الفًا على رأي الكتبة السريان

وقام بالملك بعد المنذر ابناؤهُ الثلاثة بالتوالي اعني نعمان الثاني (٤٦٢—٤٧١) المعروف بابن شقيقة صاحب الفرقتين الشهباء ودوسر. ثم الاسود (٤٧١—٤٩١) ثم المنذر الثاني (٤٩١—٤٩٨) ولا نعلم من امر دينهم شيئاً بل اخبارهم مضطربة لا تُؤخذ سندًا لتاريخ

---

١) اطلب تاريخهُ (ك ٧ ف ١٨)

واثبتُ منها اخبار النعمان الثالث ابن الاسود بن المنذر (٤٩٨–٥٠٣) الذي سها عن ذكرهِ معظم مؤرخي العرب الّا حمزة الاصفهاني (ص ١٠٤) وقال انَّ امَّهُ كانت تدعى ام الملك وانَّها كانت ابنة عمرو المقصور احد ملوك كندة وجدّ امرئ القيس الشاعر غزا ايضاً الروم ونهب بلادهم وكان في خدمة الملك قباذ. ولعلهُ هو هو الذي اشار اليهِ مؤرخو الروم (١ لمَّا ذكروا فتح الفرس لمدينــة آمد فقالوا انَّ ملك العرب طلب من قُباذ ان لا يُصيبوا باذًى الذين التجأُوا الى كنيسة الاربعين شاهدًا وفي هذا دليل الى ميلهِ الى النصرانية لكنهُ بعد ذلك دالت عليهِ الدولة فكسرهُ الرومان دفعتين. واخبر يوشع العمودي المؤرخ السرياني (٢ انَّ النعمان مشى اخيرًا الى محاربة الرها مع قباذ ولمَّا نهاهما عن ذلك احد ضباط جيشهِ النصارى وذكر لهُ قصَّة الابجر ملك الرها والسيد المسيح غضب عليهِ وشتم دينــهِ وكان ذلك داعياً الى موتهِ اذ انتقض جرحهُ السابق فمات. فعيَّن قُباذ كخلفهِ في تدبير الملك رجلًا يدعوهُ ابو الفداء وحمزة الاصفهاني وغيرهما ابا يعفر علقمة وهــذا لم يكن من ابناء الملوك ولعلهُ كان فقط وليًّا للملك وانَّما كان من اشراف اللخميين واحد ابنــاء أُسرة بني ذميل النصرانيَّة التي سبق ذكرها فاستخلفهُ قباذ ولم يتولَّ سياسة الدولة الَّا ثلث سنوات ثمَّ أُقيم أمرؤُ القيس الثالث الذي لم تطل مدَّتهُ (٥٠٥ –٥١٢)

وصار الملك من بعد امرئ القيس الى ابنه المنذر الثالث الشهير بابن ماء السماء الذي ملك ٤٩ سنة (٥١٣ – ٥٦٢) وماء السماء لقب امّهِ ماوية (ويروى مارية) ابنة عوف وقيل بل هي اخت كليب والمهلهل التغلبيَّين وانَّ اسمها رُبَيعة والعرب دعوها بماء السماء لكرمها ورقَّة طباعها. ويدعى ايضاً هذا المنذر بذي القرنين لضفيرتين كانتا لهُ من شعرهِ. وكان المنذر المذكور من ارفع ملوك الحيرة قدرًا واشدّهم بأْساً وهو الذي انتصر من بليزار احد ابطال الروم في زمانهِ وكبير قوَّاد يستنيان. امَّا دينهُ فانَّ شواهد المؤرخين متضاربة في تعريفهِ. وما يُحصَّل منهــا انَّهُ عرف النصرانيَّة منذ حداثة سنهِ لأنَّ امَّهُ كانت نصرانية فلا شكَّ انَّها لقنتهُ منذ صغرهِ مبادئ الدين المسيحي لكنهُ لمَّا كبر وتولَّى الملك تحت سيطرة ملوك العجم عدل الى

١) اطلب تاريخ روزباخر (٨:٥٥٧)
٢) اطلب تاريخهُ (Josué le Stylite, éd. Martin. p. 42)

الشرك ودين المجوسيّة او بالحري الى مذهب مزدك اي المانويّة بايعاز ملك فارس. والظاهر انهُ في اثناء زندقتهِ استقبل الوفد الذي ارسلهُ اليهِ ذو نوّاس بعد قتله نصارى نجران كما اخبر الكاتب المعاصر شمعون اسقف بيت ارشم (١ فطلب منهُ ان يقتفي آثارهُ ويقتل نصارى الحيرة فأثَّر كلام ملك اليمن في المنذر واراد ان يختبر صدق ايمان المتنصرين من جيشهِ فدعا قوماً منهم وعرض عليهم جحود ايمانهم فقام احد صناديد ضبّاطهِ فقال لهُ: « انَّ تنصُّرنا قد سبق جلوسك على عرش المناذرة فهيهات ان تقتعنا بالعدول عن ديننا. وعلى كل حال ان كان رصفائي لا يثبتون في مذهبهم فاني لا اجحدهُ مطلقاً ولست اخاف العذاب ولا الموت كما تحقَّقتَ ذلك لمَّا رأيتني في وقائع الحروب اذ لم يكُ سيفي اقصر من سواي ». فلمَّا سمع المنذر كلامهُ عرف انَّهُ لا يستفيد شيئاً فعدل عن قصدهِ وترك كلًّا من جنودهِ يتبع دينهُ. وبقي المنذر على زندقتهِ زمناً وعبد كبعض العرب اللات والعزَّى. وممَّا اخبرهُ عنهُ المؤرخ زكريَّا الخطيب (٢ وميخائيل الكبير (٣ انهُ انتهك في بعض حروبهِ حرمة الكنائس والاديرة فنهب وسلب واسر في اراضي الرومان عددًا من الاسرى بينهم ٤٠٠ من العذارى الراهبات فتلهنَّ وقدَّمهن كذبائح للعزَّى

على انَّ المنذر لم يثبت في زندقتهِ بل جحد الوثنيَّة ونبذ مذهب مزدك. بل تنصَّر بعد ذلك كما يؤْخذ من شهادات المؤرخين الروم والسريان والعرب. وقد روى صاحب الاغاني (١٩ : ٧٧) والقزويني (ص ٢٨٥) وغيرهما خبر تنصُّرهِ في مطاوي ذكرهم للغريَّين. قالوا انَّ المنذر المذكور اذ كان قتل في بعض ايَّام ثملتهِ اثنين من اعزّ ندمائهِ عمرو بن مسعود وخالد بن المضلّل اقام على قبريهما غريّين او طربالين واتخذ لهما يومين يوم نعيم كان يُغني فيه من اتاه قبل غيرهِ ويوم بوس كان يقتل فيهِ اوَّل وافد عليهِ. فقتل في احدى السنين عبيد الابرص الشاعر ثم اتاه في سنة اخرى احد مضيفيهِ المحسنين اليهِ في يوم صيدهِ يُدعى حنظلة بن ابي عفراء الطائي وهو يرجي خيرًا فلم يرَ المنذر بُدًّا من قتلهِ لئلَّا يحنث بوعدهِ الَّا انَّ حنظلة طلب تأجيل الحكم

---

١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (BO, I, 364)

٢) اطلب تاريخهُ (éd. Land III, 244)

٣) في تاريخهِ (éd. Chabot II,178)

لمدَّة معلومة واتَّخذ لهُ كفيلًا شريك بن عمرو الشيباني. فلمَّا جاء اليوم المعهود وكاد يُنفَذ الحكم في الكفيل رجع حنظلة مستعدًّا ليُقتَل. واذ قضى الملك المنذر منهُ العجب سألهُ ماذا دفعهُ الى القيام بوعدهِ فاجاب ان دينهُ النصراني دفعهُ الى ذلك فتنصر الملك واهل الحيرة معهُ. هذا ما رواهُ العرب. ومنهم من ينسب الامر الى النعمان الاوَّل وغيرهم يروونهُ عن النعمان ابي قابوس الَّا انَّ اصحاب النقد يرجّحون انهُ المنذر الثالث ابن ماء السماء. وهو يؤيد كما ترى ما قلناهُ عن تنصر المنذر (١

امَّا حنظلة فروى ياقوت (٢: ٦٥٥) انَّهُ بعد نجاتهِ من الموت زهد في الدنيا وابتنى ديرًا قريباً من الفرات عند الرَّحبة دُعي باسمهِ دير حنظلة وكان حنظلة عمّ اياس بن قبيصة الذي صار ملكاً على الحيرة بامر ملك العجم كما سترى

وقد جاء ايضاً في تاريخ ابن العبري (مختصر الدول ١٤٨) ان المنذر كان يعتقد اعتقاد اليعقوبية كنصارى العرب الَّا ان ابن العبري ليس مصيباً في ذلك ولعلَّهُ انخدع بشهادة بعض المؤرخين اليعاقبة مثلهُ. ولنا على صحة ايمان المنذر دليل لامع وهو ما رواه المؤرخ اليوناني تاوفانوس قال انَّ ساويرس البطريرك السرياني الدخيل اراد ان يجتذب الى بدعتهِ ملك الحيرة فارسل اليهِ استقفين ليقنعاه بانَّ في المسيح طبيعةً واحدة ليس طبيعتين كما تُعلِم الكنيسة الارثذكسيَّة. فالملك سمع كلامهما ساكتاً ثمَّ فضَّ كتاباً كان في يدهِ فبدت عند قراءتهِ الكآبة على وجههِ فسألهُ الاستقفان: ما الامر. فقال: قد ابلغني كاتب هذه الرسالة انَّ رئيس الملائكة قد توفي فهذا الخبر قد امضني جدًّا. فضحك الاستقفان حتى قهقها وقالا للملك: كيف يمكن ان يموت ملاك لا جسد لهُ فهذا كذب محض. فاردف الملك وقال لهما: وكيف انتما تزعمان انَّ المسيح وهو ذو طبيعة الهيَّة مفردة قد مات. اليس هذا اعظم كذباً وضلالًا؟ ثمَّ ردَّ الاستقفين خائبين (٢

فيظهر من جواب المنذر لهذين الاستقفين انهُ ليس فقط كان نصرانيًّا بل كاثوليكيًّا يؤيد ذلك المؤرخ فكتور التونوي المتوفى سنة ٥٥٦ فقال انَّ المنذر تعمَّد

١) وذكر ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢٩٩ éd. Reinaud) تنصُّر المنذر بقولهِ: «وبها (اي بالحيرة) تنصَّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة»

٢) راجع تاريخ تاوفانوس في سنة ٥٠٥ وتاريخ ايفاغريوس (ك ٣ ف ٣٣) وتاريخ تاودورس القارئ (ك ٢) وتاريخ زوناراس (ك ١٤ ص ١٦٠)

على يد اساقفة من انصـار المجمع الخلقيدوني (١

وكان هذا المجمع قد عُقد سنة ٤٥١ وحضرهُ اسقفان من العرب اوسطات ويوحنَّا فوقَّع كلاهما على اعماله باسم اسقف السراكنة او الشرقيين. وعلى رأي البولنديين المشهورين بتدقيقهم في البحث ان البدعتين اليعقوبيَّة والنسطوريَّة لم تفشوا بين عرب العراق الَّا بعـد اواسط القرن السادس في ايَّام فيروز ملك العجم لمَّا اطلق العنـان لبرصوما. الَّا انَّ السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (مج ٣ الجزء ٢ ص ٦٠٥) يرتإي انَّ البدعتين اخذتا في الانتشار منذ اواسط القرن الخامس ويأتي ببعض الشواهد لتأييد قوله. وكان للنسطوريَّة في العراق السهم الافوز

وكانت وفاة المنذر ابن مـاء السماء في يوم حليمة احد ايَّام العرب الشهيرة بين اللخميين وبني غسَّان. فضبط زمام الملك ابنهُ عمرو بن المنذر الشهير بعمرو بن هند (٥٦٢ — ٥٧٤) واشتهر كابيهِ بعدَّة وقائع مع الروم وعرب غسَّان وعرب اليمامة وغيرهم. امَّا دينهُ فالنصرانيَّة لنا على ذلك شاهـد جليل رواهُ ابو عبيد البكري الوزير في معجم ما استعجم (ص ٣٦٤) وياقوت في معجم البلدان (٢: ٧٠٩) في وصف دير هند الاقدم او دير هند الكبرى امّ عمرو وابنة الحارث بن عمرو بن حجر الكنديّ قال:

«وكان في صدرهِ (اي صدر دير هند) مكتوب: بنتْ هذه البيعة هندٌ بنت الحارث بن عمرو بن حُجْر الملكة بنتُ الأملاك وامّ الملك عمرو بن المنذر أَمَةُ المسيح وامُّ عبدهِ وابنة عبدهِ في زمن ملك الاملاك خسرو انوشروان وفي زمن افرائيم الاسقف. فالاله الذي بنت لهُ هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحَّم عليها وعلى ولدها ويُقبل بها وبقومها الى امانة الحقّ ويكون الاله (وروى ياقوت: الله) معها ومع ولدها الدهر الداهر»

فهذا القول من اوضح البيّنات على نصرانية عمرو بن هند بل على نصرانيَّة ملوك كندة كما ترى

وخلف عَمْرَ بن هنـد النعمانُ بن المنذر وهو صاحب عديّ بن زيد الشاعر النصرانيّ العبادي الشهير وعلى ما يُستنتج من رواية مؤرخي السريان انَّهُ كان نصرانيًّا قبل جلوسهِ على سدَّة الملك. امَّا العرب فيخبرون انَّهُ تنصر على يد صهرهِ عديّ بن

١) اطلب تاريخهُ في مجموع الآباء اللاتين لمين (Migne P. L. t. 88 col. 951)

زيد زوج ابنتهِ هند بنت النعمان ومارية الكندية المعروفة بالحُرَقة. وقد روى غير واحد منهم (راجع الاغاني ٢: ٣٤) ان النعمان مرّ بمقبرة فانشدهُ عدي ابياتاً زهديّة (اطلب شعراء النصرانيّة ص ٤٤١—٤٤٢) كانت سبب تنصُّرهِ بل روى ابو الفرج انهُ «لبس المسوح وتنصَّر وترهب وخرج سائحاً على وجههِ فلا يدرى ما كانت حالهُ فتنصَّر ولدهُ بعدهُ وبنوا البيَع والصوامع»

على انك رأيت ممَّا سبق انَّ ملوك الحيرة تنصروا قبل ذلك وقد جاءت اخبار النعمان بن المنذر مضطربة فمنهم من اخبر انَّهُ فتك بعديّ بن زيد فقتلهُ فقام ابن عديّ المدعو زيداً كجدهِ فسعى بهِ لدى كسرى انوشروان فحبسهُ وقتلهُ. وروى غيرهم ولعلَّهُ الاصحّ انَّ قاتل عديّ بن زيد انَّما هو خلفهُ المنذر ابو قابوس (١. امَّا ابنتهُ هند فزهدت بالدنيا وعمَّرت لها ديرًا عُرف بدير هند. ولهند هذه قصة مشهورة مع سعد ابن ابي وقَّاص بعد يوم القادسيَّة ثمَّ مع المغيرة بن شعبة الذي خطبها لمَّا تولى الكوفة فردَّتهُ ردًّا لطيفاً وماتت في رهبانيَّتها

وممَّا لا يُنكر انَّ النصرانيَّة غلبت بعد ذلك على ملوك الحيرة واهلها العرب حتى يجوز القول بانَّها عمَّتهم قاطبة وانَّ المسلمين لمَّا فتحوا مملكة المناذرة وجدوها مملكة نصرانيَّة في دينها وآدابها وعاداتها . ومن بعض اصحابها اخذ العرب كتابتهم كما مرَّ في المشرق (٤: ٢٧٨—٢٨٢) وان كانت بعض فروع الكتابة اتتهم ايضاً من نصارى النبط ومن اهل دومة الجندل ومن الحبشة كما ورد هناك ايضاً واثبتتهُ الاكتشافات الاثرية الاخيرة. وكان المتولي على عرب الحيرة في عهد الفتح الاسلامي اياس بن قبيصة الطائي كان كسرى ابرويز ولَّاهُ عليهم بعد وفاة المنذر ريثما يعين لهم ملكاً من ابنائهِ فبقي على ولايتهم الى دخول المسلمين في الحيرة. ونصرانيَّة اياس المذكور ثابتة لا شكَّ فيها كما رأيت (٢

---

١) اطلب اخبار عدي بن زيد في شعراء النصرانية (ص ٤٣٩—٤٧٤)
٢) اطلب ايضاً شعراء النصرانيَّة (٩٣ و٩٤)

الباب الثامن

النصرانيّة في الجزيرة

تتبعنا آثار النصرانيَّة بين العرب في الجاهلية على حدود بحر فارس ثم في جهات العراق ورأينا ما خلفتهُ لنا التواريخ من اخبار الدين المسيحي في المالك الثلاثة الكبرى التي اقتسمت جزيرة العرب اعني دول الغساسنة والتبابعة والمناذرة. وحتى الآن لم نستوفِ مآثر نصارى العرب على التخوم الفاصلة بلادهم عن البلاد المجاورة فمما لم نذكرهُ حتى الآن السهول الواسعة والبقاع الرحبة الممتدَّة من جهات الموصل الى مجرى الفرات المتوسطة بين الارمن والشام . فهناك مفاوز متسعة يسقيها النهران الكبيران دجلة والفرات مع عدَّة انهار تنصبُّ فيها اخصها الخابور. فتلك البوادي التي كانت الامم القديمة تتزاحم في ملكها لخصبها العجيب ووفرة خيراتها وسعة غلّاتها ازهرت فيها مدن عديدة وحواضر ممصَّرة لم يبقَ من اكثرها اليوم غير اخربة مهيبة او مدن ثانويّة تنبئُ بعظم مقامها في القرون الغابرة كنصيبين ودارا ودُنيسر وآمد وميافارقين وسعرت وماردين والرقَّة ورأس العين وقرقيش وقرقيسيا والرها التي يُطلق على مجموعها اسم الجزيرة

فتلك البلاد المتدفقة بالنعم الزاخرة بالخير قد احبَّتها منذ سالف الاجيال قبائل العرب سواء كانوا من اهل الحضر او من اهل المدر اذ كانوا يجدون فيها ما يصلح لمعاشهم الساذج ولرعية مواشيهم فينتقلون اذا شاءوا من الارياف الى البراري ليس من يتعرَّض لاستقلالهم او يتداخل في امورهم غير شيوخهم وامراء عشائرهم

ومما يدلّ على انتشار القبائل العربيَّة في الانحاء المذكورة أعلامها المشيرة الى قاطنيها كباعربايا وجزيرة ابن عمر وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر وغير ذلك ممَّا ينوّه اسمهُ باصل سكانه. فباعربايا او بيت عربايا اسم لثلاثة اماكن احتلَّها العرب اخصُّها مدينة كانت قريبة من نصيبين. وجزيرة ابن عمر وعلى الاصحّ « ابني عمر » هي مدينة موقعها على دجلة يدعوها الكلدان بازَبدى ثم نُسبت الى ابني عُمَر وهما على ما روى ابن خلكان « اوس وكامل ابنا عُمَر بن اوس التغلبي »

امَّا ديار بكر وديار ربيعة وديار مُضر فقد احسن في وصفها ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٣٦ — ٦٣٨) فقال عن ديار بكر :

« ديار بكر هي بلاد واسعة تُنسَب الى بكر بن وائل . . . بن ربيعة بن نزار بن معدّ ابن عدنان وحدُّها ما غرَّب من دجلة من بلاد الجبل المطلّ على نصيبين الى دجلة ومنهُ حصن كيفا وآمد وميَّافارقين . وقد يتجاوز دجلة الى سعرت وحيزان وحيني وما تخلَّل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل »

وقال عن ديار ربيعة :

« ديار ربيعة بين الموصل الى رأس عين ودُنَيْسر والخابور جميعهُ وما بين ذلك من المدن والقرى وربَّما جُمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسُمِّيت كلها ربيعة فانَّهم كلهم ربيعة . وهذا اسمٌ لهذه البلاد قديم كانت العرب تحلُّهُ قبل الاسلام في بواديه واسم الجزيرة يشمل الكلّ »

وقال في ديار مضر :

« ديار مُضر هي ما كان في السهل بقرب من شرقيّ الفرات نحو حرَّان والرقَّة وشمشاط وسروج وتلّ مَوْزَن »

امَّا القبائل التي كانت تسكن في تلك الجهات فكانت من ذريَّة نزار بن معد كاياد بن نزار بعد فرارهم من تخوم العجم ومُضر بن نزار منهم بنو النمر بن قاسط ولا سيما بني ربيعة منهم خصوصاً بنو تغلب وبني بكر وبني شيبان . قال ابو محمَّد الحسن الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب (ص ١٣٢ éd. D. H. Müller) يذكر منازل تلك القبائل :

« ثمَّ تأتي الفرات من بلد الروم شاقًّا في طرف الشام على التواء الى العراق فغربيُّهُ ديار كَلْب وشرقيُّهُ ديار مُضَر (فيها) من المدن الرافقة وهي على شط الفرات يسكنها اخلاط مُضر . وحرَّان موضع آلة القياس مثل الاسطرلابات وغيرها . . . لبني تميم ومن يُخالط بني سُليم . والرُّها لبني سُلَيم وكنيسة الرها التي يُضرَب بها المثل . وتَرْبَعا والخابور لبني عُقَيْل اعلاه ولبني مالك و بني حَبيب وبطون تغلب الباقي . ثمّ آخر ديار مضر رأسُ العين للنمر ابن قاسط

(ديار ربيعة) وما خلفها . اوَّلها وآخر ديار مضر رأسُ العين . ثمّ كفرتوثا لجشم عن اياسرها مارَّة من موضع الجنَّات المضروب بها المثل وهي تطلّ على دارَين ثمّ نصيبين . . وهي دار آل حمدان بن حمدون موالي تغلب . فمن نصيبين الى أَذْرَمة والسُّمَيعية مسيرة يوم وعن ايمن ذاك جبل سنجار جبل شُراة بين تغلب والشراة منها بنو زهير وبنو عمرو ثمّ من ايمن ذلك دُهُنًا الى رحبة مالك بن طوق وقرقيسيا ثمّ ترجع الى اذرمة الى برقعيد وهي ديار بني عبد من تغلب . . . ثمّ منها الى بَلَدَ وفيها شراة وغير ذلك الى حدّ الموصل . وان اردت بعد ارض الموصل مررت بتكريت وكان (نهر) الثرثار عن يمينك . واكثر اهل الموصل مذحج وهي رَبيعة فان

تياسرتَ منها وقعت الى الجبل المسمّى بالجودي يسكنهُ ربيعة وخلفهُ الأكراد وخلف الأكراد الارمن. وان تيامنت من الموصل تريد بغداذ لقيتْك الحديثة وجبل بارماً يسمّى اليوم حُمْرين. ثم السنّ والبوازيج بلاد الشراة من ربيعة ثم يقع في جبل الطور البدي وهو اوّل حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذويها لا يجازجهم الى ناحية خراسان الّا الأكراد »

فاذ عرفت حدود الجزيرة والقبائل العربيّة المنتشرة فيها بقي علينا ان نبين ما كان للنصرانيّة من النفوذ بينها فنقول:

انّ اوّل برهان يثبت دخول النصرانيّة بين عرب الجزيرة ما اصاب هذا الدين من الانتشار السريع الغريب في ما بين النهرين كما تصرّح بهِ كل الآثار التاريخيّة والكتابية والبنائية كالكنائس الباقية الى يومنا الراقية الى القرن الرابع والخامس للمسيح وكصوامع الرهبـان ومغاورهم. فلا يقبل العقل انّ عرب الجزيرة لم ينالوا من الدعوة المسيحية حظّهم كما اصـابهُ اخوتهم في باديةِ الشام وفي اليمن والعراق ولهم في شظف عيشهم وسلامة طباعهم ما يعدّ قلوبهم لقبول ذلك الزرع الالهي الذي اتى بهِ ابن الله الى الارض وبذرهُ في التربة الجيدة ولاسيا بعد ان عاين اهل الجزيرة مع العرب (اعمال ٢ :٦–١١) المعجزات التي جرت يوم حلول الروح القدس في اورشليم

ولنا دليل ثانٍ على تديُّن عرب الجزيرة بالنصرانية بعـد نبذهم لشرك الوثنية ألا وهو الغيرة الملتهبـة التي كانت في قلوب الرسل والدُّعاة الاوّلين للنصرانية فانّ بعضهم بلغوا الى اقاصي الارض كما رأيت فما قولك بالبلاد بالمجاورة لليهوديّة التي كثرت فيها المعاملات مع فلسطين منبع الدين المسيحيّ

ثالثاً وان استفتينا التواريخ القديمة والتقاليد المحليّة والطقوس السريانيّة وجدناها كلها تتفق على ذكر دعوة العرب الى الايمان بالمسيح كدعوة بقيّة اهـل الجزيرة. قال عبد يشوع الصوباوي في ذكر ادّي رسول الجزيرة مـا تعريبهُ: « قد اقتبلت الرها ثم نصيبين وسائر العرب وكل تخوم الجزيرة الكهنوت المقدس من ادّي احـد السبعين تلميذاً ». وقال ايليّا الاسقف الدمشقي يذكر ادّي وتلميذهُ ماري : « وكان الداعي والمنصر والمتلمذ والمدبر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد... ونواحي الاعراب من التلاميذ السبعين ادّي وماري (١)». وقال ماري بن سليمان (éd. Gismondi, p. 2) : « وتوجه آحي وماري (تلميذا ادّي) الى نصيبين واعمـدا اهلها وانفذ

١) اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني (٤: ٥–٢٥)

ماري الى المشرق وآحي الى قردى وبازبدى ثم توجّه اديّ الى المشرق وبدأ بناحية حزّة والموصل وباجرمي وعاد الى مدينة الرها واستناح فيها بعد ١٢ سنة...» وقال ايضاً: «واديّ قصد مع آحي ومار ماري بلاد الرها والموصل وبابل والشمال والجنوب وبوادي المغرب (والصواب: العرب)». وجاء في اخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى الطيرهاني (ص١ éd. Gismondi) مصرّحاً: «ثم انهُ (اي ماري) بادر الى تلماذ جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز واليمن والجزائر وبلاد العرب سكان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن»

ويمكننا ان نضيف الى هذه الشهادات ما رويناه سابقاً عن تبشير عرب العراق فانّ الشواهد المروية هناك عن الرسل وتلاميذهم تصحُّ في عرب الجزيرة. ومثلها اقوال المؤرخين في بشارة الرسول برتلماوس للعرب. وكذلك ورد في السنكسارات القديمة وفي خطط المقريزي (١ ان يهوذا الرسول المعروف بتداوس «كرز في سوريّة والجزيرة»

رابعاً وان تخطّينا عهد الرسل الى القرن الثاني والثالث للمسيح رأينا بلاد الجزيرة زاهرة بالدين النصراني. ففي الرها كانت الترجمة الاولى للكتب المقدّسة الى السريانيّة وهي الترجمة المعروفة بالبسيطة في اواخر القرن الاوّل للمسيح او اوائل الثاني (٢ وهناك تولى طاطيانوس تلميذ القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد في القسم الثاني من القرن الثاني تنسيق الاناجيل الاربعة برواية واحدة تعرف بالدياطاسارون (٣. وهناك تنصّر الاباجرة ملوك الرها سواء يُسلّم بصحّة المكاتبة بين السيد المسيح والابجر المعروف باوخاما كما تعتقدهُ الكنائس السريانيّة او يؤجل تنصّرهم الى ايام كراكلًا برجوع ابجر التاسع (١٧٩–٢١٤) وهناك عُقد مجمعان واحد ذكرهُ اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٥ ف ٢٢) نحو سنة ١٥١ للمسيح التأم فيهِ ١٩ اسقفاً للنظر في امر الفصح وتعيين يومهِ (٤. والآخر عُقد بعدهُ بزمن قليل للفحص عن اقوال بعض

---

١) اطلب الخطط طبعة بولاق (٢: ٤٨٣)

٢) راجع ويسان (Wiseman: *Horæ syriacæ*) وتاريخ الآداب السريانيّة لرَيت (ص ٣)

٣) اطلب المشرق (٤: ١٠٠)

٤) اطلب مجموع المجامع لمانسي (Mansi, *Collectio Conciliorum* I, 719 et 727)

المبتدعين كتاودوطس وابيون وارتيمون حضرهُ ١٤ اسقفاً (١ فكفى بعدد هؤلاء الاساقفة دليلًا على انتشار الدين المسيحي في زمن قريب من رسل الربّ يؤيد ما جاء في تقاليد كنائس الجزيرة عن اسماء عدَّة اساقفة رعوا المؤمنين قبل القرن الرابع في مدن عديدة كنصيبين وبازبدى (جزيرة بني عمر) وآمد والرقة وهلمّ جرًّا

امَّا كون العرب هناك كانوا من جملة المتنصرين فيشهد عليهِ ابن ديصان الذي عاش في الرها (١٥٤ — ٢٢٢) فيذكر اهل الرها واهل حضر (٢ وكانوا من عرب قضاعة عليهم ملكٌ يمتدُّ ملكهُ في انحاء الجزيرة فقال عنهُ عديّ بن زيد:

واخو الحَضْر اذ بناهُ واذ م دجـلةُ تُجبى اليه والخابورُ

خامساً ثم جاء القرن الرابع والخامس فكانا زمن انتصار الدين المسيحي في العالم الروماني فظهرت النصرانيَّة في كل رونقها وجلالها في انحاء الجزيرة فاستقت القبائل العربيَّة هناك من مواردها العذبة وكان ذلك على الاخصّ بواسطة الرهبان والسيَّاح الذين اختاروا بلاد الجزيرة ليقدّسوها بفضائلهم كما قدّس سيَّاح مصر بلاد الصعيد. وكان منشئ العيشة الرهبانيَّة في الجزيرة القديس اوكين من تلامذة القديس انطونيوس الكبير. وقد اجمع المؤرخون الكلدان والسريان انهُ قدم من مصر في العشر الثاني من القرن الرابع وسكن في جبل نصيبين المسمَّى جبل الإزْل وبشَّر بالايمان في نصيبين وعمَّد عاملهـا واولاده وطاف بلاد قردى وبازبدى وجهات نصيبين حيث كانت قبائل العرب وتلمذ الناس وبنى الاديرة منها دير الزعفران مقام بطاركة اليعاقبة في يومنا وهو قرب ماردين وتتلمذ لهُ عدد من الرهبان. وكانت وفاة مار اوكين في نصيبين

ويؤيد شهادة السريان المؤرخ اليوناني المعاصر سوزومان (٣ في الكتاب السادس من تاريخهِ (الفصل ٣٤) فقال عنهُ انَّ اوكين وهو دعاهُ اونس (Aónes) جارى القديس انطونيوس بنشرهِ المناسك الرهبانيَّة في الجزيرة وفي تخوم العجم وقال عنهُ انهُ سكن في نواحي نصيبين في فادانا (Phadana) ثم انتقل المورخ الى ذكر

---

١) فيد Mansi ibid. ٢) اطلب كتاب الشرائع لابن ديصان (Bardesane: *le Livre des Lois des Pays*, p. 59)

٣) اطلب مجموع الآباء مين (Migne, PP. GG. LXVII, 1391)

تلاميذهِ او المتشبهين بسيرتهِ فذكر في جبل سنجار باتأوس واوسابيوس وبرجس وكالس وآبا ولعازر الذي سُقّف بعد ذلك على نصيبين وعبدالله وزينون وهليودورس وذكر في حرّان اوسابيوس الحبيس وبروتوجان الذي تولّى الاسقفيّة على حرّان بعد بيتوس

وذكر السريان من تلامذة مار اوكين القديس شليطا الراهب الذي بشر بالايمان في بازبدى ثم سابا الذي عمر هناك ديرًا ويوحنا الذي كان يطوف القرى وينصّر الناس وآحا اخا يوحنا (١. ثم تبعهم آخرون كثيرون وعمّروا الاديرة العديدة حتى صارت بعض انحاء الجزيرة كمدن رهبانيّة لا سيما الامكنة المقفرة والجبال كالجبل المعروف بطور عابدين في شمالي شرقي ماردين وجبل الإزل السابق ذكرهُ وجبال الموصل والرها. وزعم بعض المؤرخين انّ بين هذه الاديرة ما كان يبلغ عدد رهبانهِ عدّة الاف منها للرجال ومنها للعذارى (٢ وقد بقي من هذه الاديرة الى يومنا آثار ظاهرة وبقايا معتبرة · فانّ حضرة القسّ اسحاق ارملة وصف في مقالة نفيسة الاديرة التي تُرى آثارها بقرب ماردين فقط (اطلب المشرق ١٢ : ٧٦٠)

واشتهر مع هؤلاء كثيرون من كبار المعلمين والاولياء كالقديس يعقوب النصيبيني والقديس افرام والاساقفة القديسين برسيس واولوجيوس وربُولا والقديس بوليان سابا

فهؤلاء كلهم او اكثرهم اختلطوا بعرب الجزيرة ونصّروهم ودعوهم الى الدين المسيحي. وكانت سيرتهم الملائكيّة تؤثر في اهل البادية فكانوا يقصدونهم ويلتمسون صلواتهم ويطلبون منهم شفاء امراضهم فينالون غالبًا ملتمسهم ويقبلون دين المحسنين اليهم فيعتمدون. وذلك منذ القرن الرابع كما تشهد عليهِ نصوص المؤرخين حتى امكن السمعاني ان يقول في مكتبتهِ الشرقيّة (٤ : ٥٩٨) : ان العرب الذين كانوا يسكنون في الجزيرة ونواحي الكلدان والخليج العجمي عدلوا الى الدين المسيحي قبل السنة ٣٢٠ المسيح بهمة اساقفة الرها والمدائن والرهبان المنتشرين بينهم

وممّن شهد على تنصر العرب المؤرخ اليوناني سوزومان فقال في تاريخهِ (ك ٦

---

١) اطلب تاريخ ماري بن سليمان (ص ٢٦) والمكتبة الشرقية للسمعاني (٤ : ٨٦٥)

٢) اطلب تاريخ العيشة الرهبانية تاودوريطوس Theodoreti : *Hist. religiosa.* c. 30

ف ٣٤) عن الرهبان: « انَّ هؤلاء النساك قد جذبوا الى دين المسيح كل السريان تقريباً وعدداً عظيماً جدًّا من الفرس والعرب بعد ان انقذوهم من عبادة الاصنام». وقد مرَّ بك ما رواهُ تاودوريطس عن القديس سمعان العمودي وقبائل العرب التي تنصَّرت على يدهِ. وكان كثير منها تقاطرت اليهِ من العراق واليمن فما قولك بالقبائل التي كانت قريبة منهُ كقبائل الجزيرة

سادساً وكما شهد كتبة السريان واليونان على نصرانيَّة قبائل الجزيرة كذلك وافقهم كتبة العرب على هذا الامر كما سترى

اعلم انَّ مؤرخي الاسلام مع قلة ما كتبوا عن عرب الجزيرة في الجاهليَّة ذكروا غير مرَّة نصرانيَّتهم وصرَّحوا كما بيَّنا سابقاً بنصرانيَّة بني اياد بن نزار (المشرق ١٤: ٨٨٩) سواء قيل انَّهم تنصَّروا قبل دخولهم في حكم الرومان او بعد خروجهم من بلاد فارس اذ لحقوا بالجزيرة. وكذلك اثبتوا نصرانيَّة ربيعة المحتلّين في ديار ربيعة وديار بكر . قال ابن قتيبة في كتاب المعارف (طبعة مصر ص ٣٠٥): « وكانت النصرانيَّة في ربيعة » . وقال صاحب السيرة الحلبيَّة (ج ٣ ص ٩٥) : « ومن قبائل العرب المتنصِّرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام». وبقيت بعض هذه القبائل على نصرانيتها زمناً طويلاً بعد الاسلام كما ترى في الآثار الباقية وفي كتب العرب والسريان بل ربما ذكروا اساقفة لبني مَعدّ وتنوخ وعقيل (١. وجاء في ترجمة ماروثا اسقف تكريت انهُ جعل تحت حكمهِ ثلاثة اساقفة كانوا يدبّرون قبائل العرب وهم اسقف بيت رامان او بيت رزيق ثم اسقف بني جرم واسقف بني ثعلبة (٢

وكان نصارى غربيّ الجزيرة يتردَّدون الى مشهد القديس سرجيوس او سرجيس الشهيد في الرُّصافة (Sergiopolis) ويعظمونهُ وكانت صورتهُ مع الصليب على راياتهم الحربيَّة. قال الاخطل (اطلب ديوانهُ ٣٠٩):

لمَّا رأَونا والصليب طالعا ومار سرجيسٍ وموتاً ناقعا
وابصروا راياتنا لوامعا خلَّوا لنا راذان والمزارعا

---

١) اطلب الآثار السريانية مجموعة لند (Land: *Anecdota Syriaca*, I, 47, 50) وفي منتخبات لاگرد (Lagarde: *Analecta Syriaca*, p. 108)

٢) اطلب السمعاني (المكتبة الشرقية ٢: ٤١٠)

وقال جرير:

فبالصليب ومار سرجس تتقي شهباء ذات مناكبٍ جمهورا

وقال ايضاً:

يستنصرون بمار سرجسَ وابنهِ بعد الصليب وما لهم من ناصرِ

ثامناً ويؤيد شهادة العرب عن النصرانيَّة في الجزيرة ما رووهُ عن اديرتها هناك فمَّا ذكرهُ ياقوت (في معجم البلدان ٢: ٦٤١ — ٧١٠) دير الابيض قرب الرها وهو مشرف على حرَّان. ودير أحويشا بسعرت (قال: فيهِ ٤٠٠ راهب). ودير باثاوا بقرب جزيرة ابن عُمَر. ودير باعربا بين الموصل والحديثة. ودير باغوث بين الموصل وجزيرة ابن عُمَر. ودير باطّا بين الموصل وتكريت. ودير بانخايال (او مخائيل) في اعلى الموصل. ودير الرُّصافة قرب الرقَّة. ودير الرمَّان بين الرقَّة والخابور. ودير الزرنوق على فرسخين من جزيرة ابن عُمَر. ودير الزعفران (مرَّ ذكرهُ). ودير زكّى على باب الرها. ودير صلوبا من قرى الموصل. ودير عبدون قرب جزيرة ابن عمر. ودير العذارى من اعمال الرقة بين الموصل وباجرمي. ودير قنسري على شاطئ الفرات في نواحي ديار مضر على اربعة فراسخ من منبج كان يسكنهُ ٣٧٠ راهباً. ودير الكلب بين الموصل وجزيرة ابن عمر كان الناس يلتجئون الى رهبانه اذا أُصيبوا بداء الكلَب فيبرأون. ودير لُبِّي على الفرات من منازل بني تغلب. ودير مار سرجيس على الفرات. ودير متى بشرقي الموصل شهير. ودير مرتوما بميافارقين. ودير مر جرجيس فوق بلدَ بينها وبين جزيرة ابن عمر. ودير مرماعوث على شاطئ الفرات. ودير مر يوحنَّا الى جانب تكريت على دجلة. ودير منصور مُطلّ على نهر الخابور. ودير يونس في جانب دجلة مقابل الموصل

غير انَّ النصرانيَّة في الجزيرة منذ اواسط القرن الخامس تشوَّهت باضاليل البدع ولاسيما البدعة اليعقوبيَّة التي انتشرت في تلك الجهات انتشار العدوى القاتلة ففصلتها عن مركز الوحدة واوقعتها في لجَّة الضلال

قال يوحنا الافسسي في تاريخهِ السرياني انَّ ما جرى بين قبائل العرب المتنصرة من الجدال بسبب المجمع الخلقيدوني شتَّت شمل كثيرين منهم حتى اصبحوا خمس

عشرة فرقة. ومثلهُ قال ميخائيل الكبير وابن العبري في تاريخهما الكنسي (١. على انَّ الكتبة اليعاقبة يلقون التبعة على الكاثوليك وكان الاحرى بهم ان يلقوها على سوء تصرُّفهم وعصيانهم على المجمع المسكوني

وكان رهبان النساطرة واليعاقبة يتسابقون الى عرب البادية ليبثُّوا بينهم زؤان اضاليلهم. كأَحودمه (٥٥٩ — ٥٧٥) تلميذ يعقوب البردعيّ الذي اخبر عنهُ ابن العبري في تاريخهِ الكنسيّ (٢ « انهُ لمَّا صار مفرياناً على الشرق ذهب ليدعو الى النصرانيَّة القبائل العربيَّة الساكنة في الخيم وردَّ منهم كثيرين وجعل عليهم كهنة ورهباناً وابتنى لهم ديرين يدعى الواحد دير عين قنَّا والآخر دير جشان بقرب تكريت »

واشتهر بين اليعاقبة بعد ذلك « جرجس اسقف العرب » فان هذا كان من علماء عصرهِ نقل الى السريانيَّة عدَّة تآليف لليونان منها كتاب الاورغانون لارسطو وألَّف التآليف العديدة في شرح الكتاب المقدَّس واسرار الكنيسة وغير ذلك وكان كرسيهُ في عاقولاء بين قبائل العرب. وميامرهُ بالسريانيَّة شهيرة. كانت وفاتهُ سنة ٧٢٤ م

وفي اخبار الاخطل وقومهِ وحروبهم مع زُفر بن الحارث وقبائلهِ القيسيَّة شواهد لامعة تبيّن انَّ النصرانيَّة بقيت بين عرب الفرات زمناً طويلاً بعد الاسلام في عهد بني اميَّة

الباب التاسع
النصرانيَّة بين عرب شمالي سوريَّة

انَّ في شمالي سوريّا مفاوز متسعة تمتدُّ من نواحي دمشق الى تدمر شرقي جبل الشيخ ثم حمص وحماة وتبلغ الى جهات حلب وتتناول البوادي الفسيحة التي تنبسط في تلك الانحاء شرقاً حتى نهر الفرات. فهذه الصحاري الرحبة كانت ايضاً من قديم الزمان محطًّا لقبائل العرب تجول في بسطتها دون ان يضايقها سكَّان المدن وهناك تسرح

١) اطلب كتاب العلّامة نولدك في امراء غسّان T. Noeldeke: *Die Ghassânischen Fürsten*, p. 31-32

٢) اطلب طبعة إبّلوس (Abbelos: *Greg. Barhebraei Chron. Ecclesiasticum*, II, 100)

مواشيها وترعى ابلها في ايام الربيع فاذا اشتدّ عليها القيظ تقرّبت من الارياف او جاورت ضفاف الفرات

فتلك البلاد الواسعة كانت في القرون السابقة للاسلام ديارًا لقبائل عربيّة جليلة اخصّها بنو كلب كانوا يسكنون منها القسم المتّصل بالفرات شرقًا في البيداء المعروفة بالسماوة. قال الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص١٢٩): «امّا كلب فساكنها السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة احد. ومن كلب بارض النوطة عامر بن الحصين وابن رباب المعقلي»

وقال في موضع آخر عن قبائل الجهات التي نحن في صددها:

وان جُزْت جبل عاملة تريد قَصْد دمشق وحمص وما يليها فهي ديار غسّان من آل جفنة وغيرهم. فان تياسرتَ من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعتَ في ارض بهراء... ثم من ايسرهم ممّا يصل البحر تنوخ... ثم تقع في نصارى وغير ذلك الى حدّ الفرات الى بالس في برية خُساف فهي من الدهناء ومنها تخرج الى تدمر ذات اليمين وهي تدمر القديمة وهي جانب السماوة

« وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر وسلميّة والعاصميّة وحمص وهي حميرية وخلفها مما يلي العراق حماة وشيزر وكفرطاب لكنانة من كلب ثم ترجع بكنانة كلب من ديارها هذه الى ناحية السماوة والفرات من المدن تلّ منّس وحرص وزهرايا ومنبج. ومنبج بينهم وبين بني كلاب الى حدّ وادي بطنان »

لا شكّ انّ كل هذه النواحي التي كان عرب البادية يقيمون فيهـا لم تُحرَم من الدعوة النصرانية ولو لم يكن لنا حجّة لتأييد قولنا غير موقع ديارها لكفى بهِ دليلًا لانها واقعة كما ترى بين فلسطين والشام وجهات انطاكية وحلب وانحاء الرها وكلها بلادٌ اصابت سهماً معلّى من الدعوة المسيحيّة لقربها من ينابيع الخلاص فلا غرو ان تكون جرت اليها منها جداول قبل بقيّة الاقطار بعد صعود الرب بزمن قليل

وفي هذه الأنحاء، بل في القرى أيضًا. تعدّدت في القرون النصرانية الأولى الكراسي الاسقفية ليس في المدن فقط بل في القرى أيضًا حتى الصغيرة (μικροκωμίαι) كما يشهد على ذلك القديس باسيليوس في رسالتهِ ١٩٠ الى امفيلوخيوس[١] وورد في الآثار الكتابيّة او التواريخ القديمة اسماء عدّة اساقفة كانوا يسوسون

١) اطلب بمجموعة مين (Migne, P. G. t. 32, col. 697)

الرعايا المتفرّقة في المقاطعات التي نحن في صددها وقد وقّع كثيرون منهم على اعمال المجامع النيقاوي والقسطنطيني والافسسي والخلقيدوني

وقد اثبت حضرة الاب سبستيان رنزقال في مقالتهِ عن زينب (المشرق السنة الاولى ص ٩٨٧ — ٩٩٠) ما كان للنصرانيّة من النفوذ في تدمر والبلاد المجاورة لها في القرن الثالث للمسيح بفضل السلام السائد على تلك الانحاء. كما ظهر ذلك النفوذ ايضاً في المجمع المنعقد سنة ٢٦٩ في انطاكية للحكم على بولس السميساطي فحضرهُ ثمانون اسقفاً وحوموهُ

وقد صرّح في ذلك القرن ديونيسيوس الاسكندري بنصرانيّة تلك الاصقاع حيث كتب للبابا القديس اسطفانس (١ : « ان اقاليم سوريّا كلها مع بلاد العرب التي تمدّها بصدقاتك وبلاد ما بين النهرين تصادق على تعاليمك »

ويؤيد ذلك اخبار السيّاح الذين سكنوا في تلك الاقفار فاجتذبوا اليهم القبائل المجاورة لهم كالقديس ملكوس او مالك الذي روى قصتهُ العجيبة القديس ايرونيموس (٢ وكالقديس اليان الواسع الشهرة في القريتين (المشرق ٩ : ٦٥٨) والقديس سمعان العمودي الذي مرّ ذكرهُ وكان مقامهُ في شمالي سوريا في الجبل المنسوب اليهِ. وقد افاد تاودوريطس (٣ في تاريخهِ ان الاسماعيليين اي العرب كانوا يتقاطرون الى عمودهِ وانهُ نصّر منهم الوفاً مؤلفة (Ismaelitarum millia innumera-bilia). وفي حياة القديس نونُّوس انهُ لما كان في بعلبك عمّد ثلاثين الفاً من العرب (٤

ويُضاف الى ما تقدّم ما وجدهُ الاثريون في شمالي سوريّا من الآثار النصرانيّة العديدة كبقايا اديرة واخربة كنائس ونقوش نصرانيّة بديعة غنيت بها متاحف اوربّا وقد رأينا بعض تلك الابنية في سياحتنا الى بادية تدمر (في المشرق ٩ : ٩٥٣)

ومن ذلك اثر فريد اكتشفهُ رحّالة اوربي قبل ١٢ سنة في زَبَد ليس بعيداً عن حلب فيهِ كتابة بثلث لغات يونانيّة وسريانيّة وعربيّة تاريخهُ باليونانيّة سنة ٨٢٣ للاسكندر الموافقة لسنة ٥١٢ للمسيح. وهو اوّل اثر يُعرف بالقلم العربي كُتب ١١٠

١) راجع التاريخ الكنسي لاوسابيوس الكتاب السابع الفصل الخامس

٢) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne P. L. XXIII, 55)

٣) اعمال الآباء اليونان (Id., P. G. vol. 74 col. 1041)

٤) فيها (Id., P. G. vol. 83 col. 668)

سنوات قبل الهجرة. وهذا الاثر نصراني محض نُقر في حجر ليوضع على مشهد أُقيم هناك لتذكار الشهيد القديس سرجيوس. وهذا يثبت ما قلناه سابقاً عن تعبُّد العرب لذلك الشهيد. واخبر ساويرس البطريرك الدخيـل وزعيم البدعة اليعقوبيَّة ان عرب البادية كانوا اذا تنصَّروا يطلبون المعمودية في كنيسة القديس سرجيوس في الرصافة حيث قُتل شهيدًا (روى ذلك في ميمره السابع والخمسين الذي قالهُ في ٧ تشرين الاوَّل سنة ٥١٤ اعني سنتين بعد تاريخ الاثر المذكور) (١

ومن الشواهد التاريخيَّة المثبتة تنصُّر العرب في شمالي سوريًا ما رواه ميخائيل الكبير وابن العبري عن يوحنَّا اسقف افسس من كتبة القرن السادس انهُ لمَّا حصل الانقسام بين الملكيين واعداء المجمع الخليقدوني تفرَّق العرب النصارى وسكن منهم قسم في بادية تدمر في النبك والقريتين وحُوَّارين. وبقي هؤلاء العرب على نصرانيتهم زمناً طويلًا بعد الفتح الاسلامي كما يشهد عليهِ ياقوت الحموي (٤ : ٧٧) حيث قال عن القريتين في زمانهِ « انَّ اهلها كلهم نصارى »

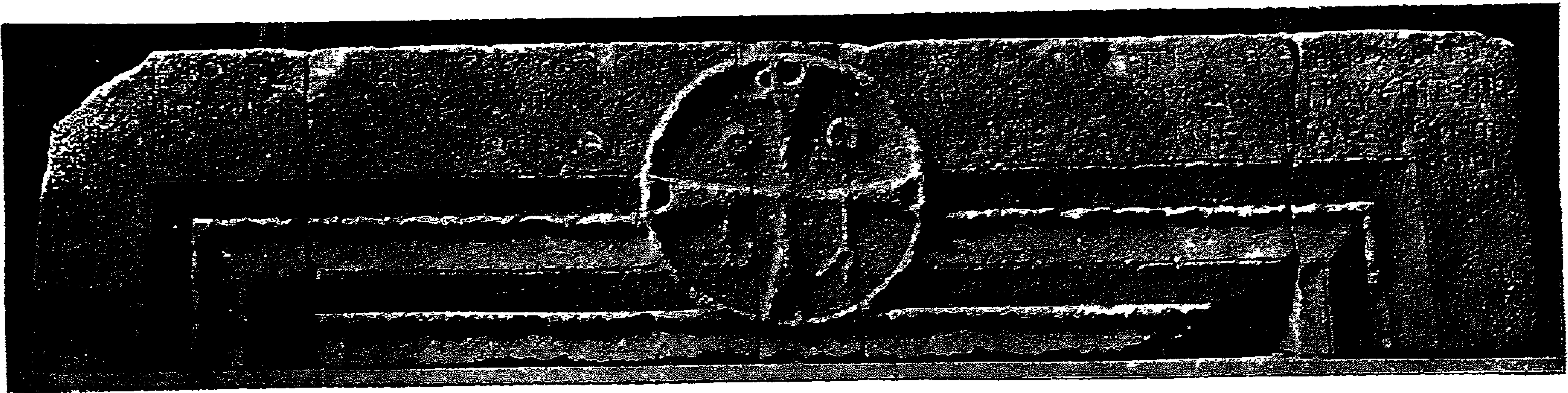
ولنا في كتب العرب ما يزيل كل ريب عن القبائل المتنصرة في شمالي سوريَّة وقد رأيت في ما نقلناهُ عن وصف الجزيرة للهَمْداني انَّ السهول الواقعـة بين الشام وحلب والفرات كان معظم سكَّانها من غسَّان وتغلب وتنوخ وعلى الاخص من بني كلب الذين تفرَّدوا بسكنى السماوة المتـدَّة من الشام الى نواحي الموصل وكانوا يسكنون خصوصاً في جهات تدمر وسلميَّة حتى سُمِّيت تلك الجهات بادية كلب. فهذه القبائل كلها كانت نصرانيَّة فامَّا غسَّان وتغلب وتنوخ فقـد مرَّت الشواهد على نصرانيتها فبقيت قبيلة بني كلب. ودونك الادلَّة على تديُّنها بالدين المسيحي

ان بني كلب بطن من قضاعة وهي القبيلة اليمنيَّة الاصل التي اجمع الكتبة على تنصُّرها عموماً كابن قتيبة واليعقوبي والنويري وخصُّوا بالذكر بعض بطونها كبني سليح وبني جرم. ثم ليس في كتب المؤرخين اشارة الى شِرك كلب بل كثيرًا مـا يصرّحون بنصرانيَّة اعيانهم كبحدل بن عُنَيف من سادتهم وهو ابو ميسون زوجة معاوية وكفرافصة الكلبي ابي نائلة زوجة الخليفة عثمان بن عفَّان

وذُكر في المقتضب لياقوت (ص ٣٦) وفي تاريخ ابن عساكر في ترجمة نائلة « انَّ

---

١) اطلب مجلة الابحاث الشرقية (Riv. d. Studi Orientali, I, p. 577-587)



الاثر المكتشف في زَبَد قريباً من حلب وفيهِ كتابة بثلاث لغات يونانيَّة وسريانيَّة وعربيَّة تاريخها سنة ٥١٢ للمسيح . والكتابة العربيَّة طُبعت منفردةً

بني كلب كلهم كانوا نصارى ». وكذلك ذكر ابن خلدون في تاريخهِ (٢: ٢١٩) انهم دخلوا في دين النصرانيّة

ولمّا ظهر الاسلام كان بنو كندة وبنو كلب من جملة الذين لم ينكروا دينهم كما اخبر بذلك ابن هشام في سيرة الرسول (éd. Wüstenfeld, p. 282) وكذا روى ياقوت في المقتضب عن مدَر كلب اي اهل البادية فقال: « اسلمت كلب غير مدرها كانوا نصارى » وبقي الذين اسلموا منهم على عاداتهم النصرانيّة كما روى في كتاب البلدان لابن الفقيه (ص ٣١٥) فقال عنهم: « انهم مسلمون في اخلاق النصارى ». واخبر ابن قتيبة في عيون الاخبار (ص ١٧٤) والجاحظ في البيان والتبيين (٢: ٦٢) انّ بعض من اسلم منهم كانوا يضربون الناقوس ويترددون الى الكنيسة التي تعمدوا فيها

وكان من جملة امرائهم الذين يتولّون تدبيرهم ابو كرب الذي عُرف بنصرانيتهِ فمنحهُ يستنيانوس الملك تدبير قبائل السماوة كما روى المؤرخ پروكوپيوس (١

وربما دعا المؤرخون هذه القبائل المتنصّرة بالمستعربة واليهم التجأ الروم عند ظهور الاسلام لمحاربة خالد بن الوليد. قال ابن البطريق في تاريخهِ عن هرقل انهُ « استجلب المستعربة من غسان وجذام وكلب ولخم وكل من قدر عليهِ من الاعراب وأمّر عليهم قائدًا من قوّادهِ يقال لهُ ماهان » (٢

فترى من هذه النصوص ان كتبة العرب ايضاً يوافقون اليونان والسريان في نسبة النصرانيّة الى القبائل المتفرقة في شمالي سوريّة

ونختم هذا الفصل بأثر جميل وُجد في بعض مخطوطات لندن السريانيّة التي وصفها العلّامة رَيت في قائمة المتحف البريطاني تحت العدد ٧٥٤ وهو مجموع رسائل قديمة راقية الى اواخر القرن السادس للمسيح. من جملتها رسالة مضمونها دستور الايمان كتبها رؤساء اديرة اقليم البلاد العربيّة (ܕܘܟܬܐ ܕܥܪܒܝܐ) ووجّهوها الى يعقوب البرادعيّ ليرذلوا فيها بدعة يحيى النحويّ في تثليث الجوهر الالهيّ (Trithéisme) وذلك بين السنتين ٥٧٠ و٥٧٨ وهذه الرسالة قد نشرها المنسنيور

١) اطلب (Procope, de B. P., I, 19)

٢) اطلب الصفحة ١٦ من الجزء الثاني من طبعتنا

لامي (Mgr Lamy) رئيس كليّة لوڤان في موءتمر المستشرقين في باريس سنة ١٨٩٨ (ص ١١٨—١٣٨) وهي موقعة بامضاء ١٣٧ رئيساً على ١٣٧ ديرًا موقعها كلّها في اقليم العربية الممتدّ شرقي بلاد الشام الى جهات الفرات (١. فناهيك بهذا العدد العديد شاهدًا جليلًا على انتشار النصرانيّة بين عرب الشام وسوريّة. على انّ هوءلاء العرب كانوا جنحوا الى البدعة اليعقوبيّة كما ترى. وأيد ذلك ابن العبري في تاريخهِ الكنسيّ حيث قال (ج ١ ص ٢١٧): « انّ كلّ قبائل العرب التي كانت في البادية (يريد بادية الشام والفرات) كانوا معارضين للجمع الخلقيدوني ولا يرضون بمشاركة الخلقيدونيين ». فهذا القول مع ما فيهِ من المبالغة لا يخلو من الصحّة. وعلى كلّ حال يثبت قولنا في شمول النصرانيّة لعرب بلاد الشام والفرات الى حدود العراق

والمستشرقون في عهدنا يرتأُون هذا الرأي. قال المولندي دوزي (B. Dozy) في مقدّمات كتابهِ عن الاسلام. (الترجمة الفرنسويّة لشوفان V. Chauvin, p. 13) « كان عرب سوريّة يدينون بالنصرانيّة » (Les Arabes de Syrie professaient le Christianisme) ويشاركهُ في هذا الرأي غيرهُ من العلماء كنولدك وغولدتسيهر (J. Goldziher) ولونرمان (Lenormand) بل كل من لهُ بعض المام بتاريخ العرب في الجاهليّة

الباب العاشر
النصرانية في الحجاز ونجد

تتبّعنا كما رأيت آثار النصرانيّة في اطراف بلاد العرب على كل جوانبها فلم يبق علينا الّا ذكر اواسطها لنرى ما كان للدين المسيحي من التأثير في القبائل الساكنة في الحجاز ونجد وبذلك تتمّ ابحاثنا عن تاريخ النصرانيّة في كل انحاء جزيرة العرب

الحجاز على مقتضى تعريف العرب جبل ممتدّ من تخوم صنعاء في اليمن الى

١) اطلب مقالة العلّامة نولدك في بحثهِ الجغرافي عن مواقع هذه الاديرة في المجلة الاسيويّة الالمانية (ZDMG, XXIX, 441-449)

تخوم الشام من جنوب جزيرة العرب الشرقي الى شمالها الغربي وقد دُعي حجازًا لانهُ يحجز غور تهامة على سواحل خليج العرب عن بلاد نجد في اواسط الجزيرة . ويُدعى الحجاز ايضاً بجبل السَّراة وهو اعظم جبال العرب وفيهِ اشهر مدنهم اي مكة والمدينة وتدخل فيهِ دومة الجندل حتى أيلة على بحر القلزم التي نعتها ياقوت بآخر بلاد الحجاز

فتلك البلاد كانت قديماً عريقة في الوثنيَّة ولاسيما في عبادة قوَّات الطبيعة واخصها النيّران العظيمان الشمس والقمر ثم الزُّهَرة . على انَّ دُعاة الدين المسيحي لم يحجموا عن دعوة اهلها الى النصرانيَّة كما تشهد عليهِ شواهد ثابتة نقلها قدماء الكتبة من يونان وسريان وعرب . وقد اثبتنا سابقاً شهادة ابن خلدون (ج ٢ص ١٥٠ من تاريخهِ) في بعثة الرسول برتلماوس « الى ارض العرب والحجاز » . وسبقهُ الى مثل ذلك الطبري في تاريخهِ (طبعة ليدن ج١ ص ٧٣٨) حيث قال : « وكان ممن توجَّه من الحواريّين . . . ابن تلما (اي برتلماوس) الى العربيَّة وهي ارض الحجاز » وكذلك ورد في سيرة الرسول لابن هشام (ص ١٧٢ ,ed. Wüstenfeld) : « وبُعث من الحواريين . . . ابن تلما الى الاعرابيَّة وهي ارض الحجاز » . وجاء في ترجمة القديس يعقوب اسقف اورشليم (ص ١٧) انهُ « نصَّر ارض فلسطين وما يليها من ناحية حمص وقيساريَّة والسامرة وبادية الحجاز »

ثم في تاريخ الطبري قصة ظريفة عن رسول السيد المسيح الى العرب نرويها بحرفها دون القطع بصحَّتها قال (١ : ٧٣٨ — ٧٣٩) :

حدَّثنا ابن حميد . . . من ابي سُليم الانصاري ثم الزُّرَقي قال : كان على امرأة منَّا نذر لتظهرنَّ على رأس الجمَّاء . جبل بالعقيق من ناحية المدينة (قال) فظهرتُ معها حتى اذا استوينا على رأس الجبل اذا قبر عظيم عليهِ حجران عظيمان حجر عند رأسهِ وحجر عند رجليهِ فيهما كتاب بالمسند لا ادري ما هو . فاحتملتُ الحجرين معي حتى اذا كنت ببعض الجبل منهبطاً ثقلا عليَّ فألقيتُ احدهما وهبطتُ بالآخر فعرضتهُ على اهل السريانيَّة هل يعرفون كتابتهُ فلم يعرفوهُ . وعرضتهُ على من يكتب بالزبور (اي العبرانية) من اهل اليمن ومن يكتب بالمُسنَد فلم يعرفوهُ . فلمَّا لم اجد احدًا ممَّن يعرفهُ القيتهُ تحت تابوت لنا فمكث سنين . ثم دخل علينا ناس من اهل ماه من الفرس يبتغون (ويروى : يبيعون) الخرز فقلتُ لهم : هل لكم من كتاب . فقالوا : نعم . فاخرجتُ اليهم الحجر فاذا هم يقرأونهُ فاذا هو بكتابهم : « هذا قبرُ رسول الله عيسى بن مريم عليهِ السلام الى اهل هذه البلاد » . فاذا هم كانوا اهلها في ذلك الزمان مات عندهم فدفنوهُ على رأس الجبل

فهذه شهادة جليلة تشير الى مجيء احد رُسل السيد المسيح الى الحجاز قريباً من

المدينة. ومن عجيب امر كاتبها انهُ يعتبر كالنصارى «عيسى بن مريم» الهاً اذ قرينة الكتابة تبين انَّ الرسول المذكور ليس هو عيسى بل هو مرسل من «الله عيسى»

﴿ ايلة ﴾ كما مرَّ في طرف الحجاز من جهة الغرب كان اهلها قبل الاسلام نصارى ويهودًا. ولا يبعد ان النصرانيَّة دخلت فيها بعد المسيح بزمن قليل لقربها من بلاد الشام وفلسطين. وما لا يُنكر ان صاحبها كان نصرانياً لمَّا ظهر رسول العرب واسمهُ يوحنا بن رؤبة صالحهُ نبيّ الاسلام على جزية كانت تبلغ ٣٠٠ دينار. وفي كتاب وفادات العرب على محمَّد لابن سعد (éd. Wellhausen, *Skizze*. IV, ٢٧) ما حرفهُ:

«قال وقدم يحنَّه بن روْبة على النبي وكان ملك ايلة... واقبل ومعهُ اهل جرباء واذرح. فاتوهُ فصالحهم وقطع عليهم جزية معلومة... اخبر عبد الرحمن بن جابر عن ابيهِ قال: رأيتُ على يحنه بن روْبة يوم أتى النبيَّ صليبًا من ذهب وهو معقود الناصية فلمَّا رأى رسولَ الله كفَّر واومأ برأسهِ فاومأ اليهِ النبيّ أن ارفعْ رأسك. وصالحهُ يومئذٍ وكساهُ رسول الله بُرد يمنة..»

وجاء في كتاب التنبيه والاشراق للمسعوديّ (طبعة ليدن ص٢٧٣) انَّ «يحنَّة بن روْبة كان اسقف ايلة وانهُ قدم على محمَّد سنة ٩ للهجرة وهو في تبوك فصالحهُ على انَّ لكل حالم بها دينارًا في السنة»

﴿ دَوْمة الجَندل ﴾ حصن كان بين المدينة ودمشق على سبع مراحل من دمشق وقيل على خمس ليال ويبعد عن المدينة ١٥ ليلة وقيل ١٣ كان مبنيًّا بالجندل اي الصخر وكان حولهُ مدينة واسعة يحيط بها سور. وكان صاحب دومة الجندل أُكيدر الملك ابن عبد الملك السكوني. وكانت دومة الجندل عند ظهور نبيّ الاسلام كلها نصرانيَّة عليها اسقف تابع لمدينة دمشق كما ورد في كتاب «مدينة الله انطاكية» من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة. وكان ملكها أُكيدرُ نصرانيًّا فبعث اليهِ محمد رسول الاسلام خالد بن الوليد في ربيع الاوَّل من السنة الخامسة للهجرة (٦٢٦ م) فاسرهُ

والعرب يذكرون عدَّة غزوات لدومة الجندل عند ظهور الاسلام. قال في تاريخ الخميس (٢: ١١) «انَّ دومة كان عليها قبل الاكيدر المسمَّى اصبع بن عمرو الكلبيّ وكان نصرانيًّا وان عبد الرحمان بن عوف غزا دومة الجندل ففتحها وتزوج

ابنة الاصبع تماضر ». وكان الروم عادوا فملكوها قال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراق (ص ٦٤٨) يذكر غزوةً غزاها رسول الاسلام لدومة :

وفيها (اي السنة الخامسة للهجرة) كانت غزوة دومة الجندل وهي اوّل غزوة النبيّ للروم وكان صاحبها اي دومة أكيدر بن عبد الملك الكنديّ يدين بالنصرانيّة وهو في طاعة هرقل ملك الروم وكان يعترض سفر المدينة وتجارهم (قال)فبلغ أكيدرًا سيرهُ فهرب وتفرّق اهل دومة وصار اليها فلم يجد بها احدًا فاقام اياماً وعاد الى المدينة . ثم بعث اليهِ خالدًا السنة التاسعة للهجرة فاخذهُ اسيرًا وفتح الله عليهِ دومة »

وقال ابن سَعد في كتاب وفادات العرب (ص٢٧) بعد ذكرهِ يحنّه بن روبة صاحب أيلة : « قال ورأيت أكيدر حين قدم بهِ خالد وعليهِ صليب من ذهب وعليهِ الديباج ظاهرًا ». وفي معجم البلدان لياقوت (٢ : ٦٢٦) انَّ خالدًا حاربهُ السنة تسع للهجرة وافتتح دومة الجندل عنوة وقتل اخاه حسَّان . قال: « ثم انَّ النبيّ صالح اكيدر على دومة وامَّنـهُ وقرَّر عليهِ وعلى اهلهِ الجزية وكان نصرانيًا . . . ». وفي فتوح البلدان للبلاذري (ص ٦١—٦٣) انَّهُ أسلم ثم ارتدَّ بعد وفاة محمَّـد فاجلاه عُمر من دومة الجندل فيمن اجلى من مخالفي دين الاسلام الى الحيرة فنزل في موضع منها قرب عين التمر وبنى بهِ منازل سمَّاها دُومة باسم حصنهِ فغزاها خالد سنة ١٢ للهجرة وقتل أكيدر

اما اهل دومة الجندل فكانوا من بني السكون وهم فرع من بني كندة وكانوا نصارى كما ورد في سيرة الرسول لابن هشام . وكذلك كان يسكن دومة الجندل قوم من بني كلب الذين سبق بيان نصرانيتهم (١

﴿ وادي القرى ﴾ هو وادٍ بين الشام والمدينـة يُعدّ من الحجاز ومنهُ كانت دومة الجندل ودُعي هذا الوادي بوادي القرى لكثرة القرى الواقعة فيهِ لوفرة مياههِ وخصبهِ منها الحِجْر وكان اليهود يسكنون هذا الوادي اوَّلًا ثم نزلتهُ قضاعة وهي من اثبت القبائل في النصرانيَّة ومنهم بنو سليح الذين ذكر المؤرخون تنصُّرهم في الشام (٢ وفي وادي القرى كان يسكن قوم من الرهبان ذكرهم شعراء العرب قال جعفر بن سراقة (الاغاني ٧ : ١٦١) :

١) اطلب تاريخ العرب في الجاهليَّة لكوسان دي برسڤال (Caussin de Perceval: *Essai sur l'Hist. des Arabes*, I, 214; II, 232,265)

٢) في التاريخ المذكور (Id. I, 212, 231)

ونحن منعنا ذا القرى من عدوّنا وعُذرة اذ نَلْقى يهودًا وبَعثرا
منعناهُ من عُليا معدّ وانتمُ سفاسيفُ روح بين قُرْحٍ وخيبرا
فريقان رهبانٌ باسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

﴿ تيماء ﴾ هي بلدة في الحجاز بين الشام ووادي القرى وفيها كان الابلق حصن السموءل. والشائع انَّ السموءل كان يهوديًّا الّا انّنا لمّا طبعنا لاوّل مرّة ديوانهُ اثبتنا في المقدّمة ببعض الشواهد المثبتة نصرانيتهُ (١ كاطلهِ الغسّاني وكذكرهِ في شعرهِ لبعض تلامذة المسيح بل تصريحهِ باسم السيد المسيح في قصيدة لاميّة وجدت في الموصل حيث يقول

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلام التكاملِ

ولعلّ الصواب انهُ كان من احدى الشيع اليهوديّة المتنصّرة (Judéo-chrétien). وقد ذكر العرب انَّ قوماً من نصارى طيّ كانوا ايضاً يسكنون تيماء (٢

﴿ تبوك ﴾ مكان حصين بين وادي القرى والشام على اربع مراحل من الحِجر كان بهِ عين ونخلٌ. ملكهُ المسلمون سنة ٩ للهجرة بعد ان حاربوا فيهِ الروم ومعهم نصارى العرب من عاملة ولخم وجذام. وكان اهل تبوك من نصارى قضاعة قال ابن خلدون نقلًا عن ابن سعيد (٢ : ٢٤٩) : «وكان لقضاعة ملكٌ آخر في كلب ابن وَبَرة بن تغلب يتداولونهُ مع السّكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتَبُوك ودخلوا في دين النصرانيّة». ثم ذكر مهاجرة كلب بعد الاسلام فقال : «وبقيت بنو كلب في خلقٍ عظيم على خليج القسطنطينيّة منهم مسلمون ومنهم متنصّرون»

﴿ معان ﴾ قال ياقوت (٤ : ٥٧١) : «هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء» وكان اهلها نصارى تحت حكم الروم والمالك عليها عند ظهور الاسلام فروة بن ابي عامر شيخ بني جذام النصارى. وبقرب معان عند مؤتة التي دعاها تاوفانوس المؤرخ (Théophane, I. 515. éd. Bonn) باسم (Μοθους) حدثت وقعة سنة ٨ للهجرة بين جيوش المسلمين تحت امرة زيد بن حارثة وجعفر ابن ابي طالب وعبدالله بن رواحة و (بين) جيوش الروم تحت قيادة تاودورس

١) راجع المشرق السنة ١٢ (١٩٠٩ ص ١٦٣)

٢) اطلب ايضاً Arnold Mulheisen: *Islam: History and relations to Christianity*, p. 34)

المعروف بالناب وقد روى مورّخو العرب انَّ عدد الروم كان مئة الفٍ ومعهم من عرب النصارى مئة الف آخرون (١ فكان الانتصار للروم وهُزم المسلمون وقُتـل قادتهم. لكنَّهم عادوا بعد ذلك بسنة فغلبوا الروم وفتحوا معـان واستولوا على جهات البلقاء وقيل انَّ فروة صاحب معان اسلم

﴿ المدينة ﴾ كان اسمها في الجاهليَّة يثرب دُعيت بذلك على ما قيل باسم بانيهـا احد ابناء آرام وفي تقاليد العرب انَّ اوَّل من سكنها العمالقة ثم هاجر اليها اليهود في ازمنة مختلفة قبل المسيح على عهد موسى ويشوع بن نون وداود ثم في زمن خراب اورشليم وهيكلها على يد الاشوريين ثم بعد المسيح عند فتح الرومان للقدس الشريف فخرج منهم الى يثرب بنو قريظـة والنَّضير وبَهدل ونزلوا واديين اسمهما بطحان ومهزور (٢ وبنوا هناك الآطام اي المنازل المحصَّنة

وكانت ديانة هذه القبائل اليهوديَّة كما هو بديهيّ. غير انهم اختلطوا بقبائل أُخرى عربيَّة كان البعض يسكن في جوار يثرب والبعض الآخر هاجر اليها من اليمن بعد تفرُّق اهلهِ سواء كان بسبب سيل العرم كما روى العرب او لعلل أُخرى

وما لا سبيل الى انكارهِ انَّ النصرانيَّة دخلت يثرب بعد السيد المسيح بقليل كما رأيت في ما نقلناهُ عن دعوة الرُّسل في الحجاز ووجود قبر واحد منهم في جبل العقيق من ناحية المدينة على ما نقلهُ الطبري (ص ١٠٧)

وليس من المستبعد انَّ بين القبائـل اليهوديَّة المهاجرة من اورشليم قوم عرفوا النصرانيَّـة ودانوا بها ولاسيما اولئك المتنصّرين الذين سبق خروجهم فتح حاضرة بلادهم فالتجأوا الى المدن الواقعة ما وراء الاردن. فانَّهم اذ رأوا مـا حلَّ بالمدينة المقدَّسة من الدمار توغلوا في بلاد العرب وسكنوا في جهاتها الداخليَّة

والظاهر انَّ بعض تلك البدع المعروفة بالبدع اليهوديَّة النصرانيَّة (sectes

---

١) هكذا روى العرب ومثلهم روى السريان كالياس النصيبيني اطلب تاريخ اليعقوبيّ (٢:٦٦) ومعجم البلدان لياقوت (٤:٦٨٨ و ٥٧١) ثم de Goeje: *Mémoires d'Hist. et de Géogr. Orientales*, 2 éd., 1900, p. 6-9

٢) راجع كتاب الاغاني (١٩:٩٥) وروايات الاغـاني (٢:١-٥) راجع ايضاً مجلة الدروس اليهوديَّة (Revue des Etudes Juives VII, 167 et X, 10)

(judéo-chrétiennes) شاعت خصوصاً في نواحي العرب كشيع الناصريين (Nazaréens) والابيونيين (Ebionites) والكسائيين (Elkésaïtes) وقد ذكرهم الكتبة الكنسيّون في القرون الاولى كاوسابيوس المؤرخ (١ واوريجانس المعلم (٢ ويوستينوس الشهيد (٣ والقديس ابيفانيوس (٤ في تاريخ الهرطقات والقديس هيرونيموس في كتاب الاعلام (٥ وتاودوريطس (٦ وصاحب الفلسفيّات (٧ وذكروا علاقاتهم مع المسيحيين.

واستشهدوا بما كان لديهم من الآثار النصرانيّة. وقد وجد الاثريّون في زماننا بعض تلك الآثار المكتوبة بالحرف السرياني الفلسطيني ونشروها بينها فصول انجيليّة وطقوس ورُتب بيعيّة

وبعض هذه البدع التي انتشرت في جهات العرب بالغ اصحابها في اضاليلهم فنبذ النصارى مزاعمهم وقبّحوها كالقطائريين (Collyridiens) الذين كانوا يبالغون في عبادة مريم العذراء فيقدّمون لها نوعاً من القرابين اخصّها اقراص العجين والفطائر وقد ذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب الهرطقات (٨ ولعلّ هؤلاء المبتدعين هم الذين دعاهم ابن بطريق (٩ بالمريميّة والبربرانيّة فافادنا انهم كانوا يقولون « انّ المسيح وامّهُ الهان من دون الله ». وقد وصفهم بذلك ابن تيميّة في كتابهِ الجواب الصحيح ودعاهم بالمريمانيين او المريمانيّة. وعلى هذا البناء شرح مفسّرو القرآن قولهُ: في سورة المائدة « اتخذوني وامّي الهين » وقالوا في شرح قولهِ في سورة النساء « ولا تقولوا

---

١) اطلب تاريخهُ (Eusèbe, H. E., IV, 17 et 22)

٢) اطلب ردّهُ على قلسوس (Origenes c. Celsum, II, 3 et Hom. III, in Gen. n° 5)

٣) اطلب مذاكراتهِ (Justini *Dialog.*, c. IV, LXIII et LXXX)

٤) كتاب الهرطقات (Epiphan., *Hæres.* XXIX, 7, 9, 15, et XXX, 15-19)

٥) اطلب (Hieron: *De situ et nominibus*, Migne, XXIII, p. 888)

٦) كتابهُ في خرافات الامم (Theodoret, *fabul.* I, et II, 18)

٧) اطلب (Philosophoumena, VII, 12, IX, 13, X, 17 et 29)

٨) اطلب (Epiphan., *Hæres.* 10)

٩) راجع طبعتنا (١٣٦)

ثلثة » اي لا تقولوا الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم (كذا ورد في شرح البيضوي والزمخشري وغيرهما)

وقام غيرهم في انحاء العرب وتطرّفوا على عكس ذلك فانكروا على العذراء مريم دوامها في البتوليّة فسمّوهم لذلك بالمعادين لمريم (Antidicomarianites) وذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب البدع (١

وروى القديس ايلاريوس في رسالتهِ الى قسطنطين الملك (٢ انَّ فرعاً من اشياع اريوس ظهروا في جهات العرب وهو يدعوهم اقاقيين باسم اقاقيوس زعيمهم كانوا يذهبون الى ان السيد المسيح ليس هو ابن الله لزعمهم انَّ من قال ذلك جعل لله زوجة فخلطوا بين الولادة الجسديّة والولادة الالهيّة الروحية الازليّة المثبتة في الكتب المنزلة

وقد ذكر حضرة الاب انستاس الكرملي في احدى المقالات المنشورة في المشرق (٦ : ٦٠) بدعة أُخرى وجد منها بقايا في العراق تُعرف بالداوُدة او الداوُديّين يعظِم اصحابها داود النبي ويكرمون السيد المسيح لكنَّهم يجعلونهُ دون رتبة داود

فكلُّ هذه البدع وغيرها التي شاعت خصوصاً بين القبائل اليهوديّة المتنصرة الساكنة في حدود الشام والحجاز شوّهت المعتقدات النصرانيّة الصحيحة في تلك البلاد

وبقي الامر على ذلك حتى قدمت الى يثرب بطون من عرب اليمن كبني الحرث ابن بهثة وبني شطيّة من غسان ولاسيما بني الاوس والخزرج من الازد الذين لحقوا بها بعد سيل العرم. لكنَّهم اقاموا فيها كما روى صاحب الاغاني (١٩ : ٩٥) في جهد وضيق المعاش يرتزقون من الزراعة وكانت الاموال لليهود حتى قام بينهم في اواسط القرن السادس للمسيح احد شيوخهم وهو مالك بن عجلان فأوفد الى ملك في الشام من ملوك غسان يُدعى ابا جُبَيلة فاستنجدهُ على يهود يثرب فأنجدهُ واوقعا باشراف اليهود حتى ذلّوا وصار الامر الى الاوس والخزرج مذ ذاك الحين الى ظهور الاسلام ومنهم كان الانصار. وقد وقعت بين الاوس والخزرج حروب رواها صاحب الاغاني (٢ : ١٦٧ — ١٧٠) لا حاجة الى ذكرها

---

١) اطلب (Epiph., *Hœres.* 78)

٢) اطلب مجموعة مين (Migne, PP. LL., X)

امّا دين الاوس والخزرج وبقيّة القبائل غير اليهوديّة التي كانت في يثرب وجهاتها فيظهر انهُ كان في اوّل امرها الشرك وانّها كانت تعبد المناة كما روى الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ٤٣٤ من طبعة لندن) لكنّها عدلت بعد ذلك الى النصرانيّة. ولنا على الامر ادلّة نرويها هنا عن مصادر موثوق بها

قد رأيت في اوّل هذا الباب انّ دُعاة الدين المسيحي دخلوا بلاد الحجاز منذ قرون النصرانيّة الاولى بل روى اوّل مؤرخي الاسلام ابو جرير الطبري تقليدًا عن اهل المدينة ذكروا فيهِ وجود قبر لاحد رسل السيد المسيح في جبل العقيق المجاور لبلدهم (راجع ص١٠٧)

ومن الادلّة على نصرانيّة عرب المدينة ان الاوس والخزرج ينتسبون الى الحارث ابن ثعلبة فيرتقي نسبهم الى بني غسّان. ونصرانيّة غسّان ثابتة لا يشكّ فيها الّا من كابر الحقّ كما رأيت. افليس من الصواب أن يقال انّ الاوس والخزرج دانوا بديانة غسّان. وزد على ذلك انّ أبا جُبَيلة الغسّاني ملك الشام المعروف بنصرانيّتهِ ما كان لينصر الاوس والخزرج على يهود المدينة كما مرّ بك لولا علمهُ انهم يدينون بدينهِ

ولنا على ذلك برهان آخر اقرب وادلّ وهو الاسم المُطلق على اهل مدينة يثرب الذين كانوا يُدعون باهل الكتاب. قال الشهرستاني في الملل والنحل (ص ١٦٢ من طبعة لندن): «الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم اهل الكتاب والاميون والامي من لا يعرف الكتابة فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكّة» فينتج عن قولهِ هذا انّ اهل المدينة كانوا منقسمين قسمين قسم يهودي كقريظة والنضير وقسم نصراني وهم عرب الاوس والخزرج وقضاعة الذين كانوا يسكنون المدينة بل ربّما غلب اسم اهل الكتاب على النصارى كما افاد القسطلانيّ. ويؤيد ذلك انّ احد زعماء الاوس يوم مهاجرة محمد الى المدينة كان يُدعى «ابا عامر الراهب» وفي اسمهِ دليل على دينهِ. فهذا حارب محمدًا وانصارهُ في أُحد ثمَّ خرج مع آلهِ الى ثقيف وهو الذي سماهُ رسول الاسلام بالفاسق (١

وجاء في التقويم القديم للكنيسة الكلدانيّة الذي نشرهُ الخوري بطرس عزيز

(١) راجع سيرة الرسول لابن هشام ص ٥٦١–٥٦٢ ثم (Sprenger : *Leben d. Mohammad* III, 32)

سنة ١٩٠٩ (ص٨) ان النساطرة « اقاموا مطروبوليطاً في يثرب وانَّهُ كان فيها ثلاث كنائس على اسم ابراهيم الخليل وايوب الصديق وموسى الكليم » وهي رواية وجدناها في تقويم آخر مخطوط لاحد اهل الموصل والله اعلم بصحّتها

على انَّ وجود النصارى في المدينة قبل الاسلام وفي اوائل ظهوره لمن الامور التي لا يمكن نكرانها. لانَّ النصارى كانوا بلغوا اقاصي تخوم العرب فما قولك بالبلاد المجاورة لممالك الروم. وهذا ما اقرَّ به المستشرقون في كتبهم الحديثة . قال احد ائمَّتهم العلَّامة ڤلهاوزن (١ : « انَّ محمَّدًا وجد الطريق ممهَّدة في المدينة بواسطة اليهوديَّة والنصرانيَّة لانَّ هناك كان يهود كثيرون ثم لوقوع المدينة على حدود الرومان واليونان وتحت نفوذ النصارى الآراميين ». ومثلهُ قال هرتويغ درنبورغ الموسوي من اساتذة اللغات الشرقيَّة في باريس المتوفي سنة ١٩١٠ : « كان للنصرانيَّة تبعة متعدّدون في جزيرة العرب فكانت مالكة على شمالها بدولتي الحيرة وغسان وعلى وسطها في المدينة وعلى جنوبها باسقفيَّات اليمن (٢ »

وبقي النصارى في يثرب حتَّى بعد وفاة نبيّ الاسلام كما يدلُّ عليهِ قول حسَّان ابن ثابت في داليَّتهِ التي رثى بها محمَّدًا (طبعة ليدن Hirschfeld, p. 59) :

فرحت نصارى يثربٍ ويهودُها لمَّا توارى في الضريح المُلحَدِ

ولعل النصارى واليهود بقوا في المدينة الى عهد عمر بن الخطَّاب الذي اخرج الفريقين من جزيرة العرب استنادًا الى ما رُوي في الحديث : « لاخرجنَّ النصارى واليهود من جزيرة العرب »

ولمَّا اراد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ (٧٠٧ م) ان يجدّد عمارة المسجد

١) هذا قولهُ بالحرف في كتابهِ عن ملك العرب Wellhausen: *Das arabische Reich und sein Sturz* (p, 4) : « In Medina war der Boden für Mohammad vorbereitet durch das Judentum und Christentum ; es gab dort viele Juden und die Stadt lag an der Grenze desienigen Teils von Arabien, der under griechisch-roemischem und christlich-aramaïschem Einfluss stand. »

٢) ودونك قولهُ : H. Derenbourg: *Opuscules d'un Arabisant* (p. 16) « Le Christianisme comptait en Arabie de nombreux adhérents ; il dominait le Nord par les rois de Hira et de Ghassan, le Centre par Médine, le Sud par les évêchés du Yémen »

الكبير المعروف بمسجد النبي في المدينة كان بُناتهُ من نصارى الروم والقبط كما روى المؤرخون. واخبر الطبري (٢ : ١١٧) « انَّ ملك الروم بعث اليهِ بمائة عامل ومائة الف مثقال ذهب واربعين حملًا من الفسيفساء فبنوا المسجد وجعلوا طولهُ مائتَيْ ذراع في مثلها » . وقيل انَّ بعض المدنيين لم يستحسنوا العمل اذ رأوهُ شبيهاً بكنيسة

﴿ مكّة ﴾ كما عُرفت النصرانيّة في يثرب في عهد الجاهليّة كذلك نالت مكّة نصيباً من ذلك الدين. وها نحن ننقل ما رواهُ قدماء الكتبة اثباتاً لهذا الرأي .

قدَّمنا في اوَّل هذا الفصل ما اثبتهُ المؤرخون اليونان والسريان والعرب عن الدعوة النصرانيّة في الحجاز اجمالًا. ومكّة في الحجاز بل حاضرة الحجاز فبديهي ان يقال انَّ الدين المسيحي دخل ايضاً مكّة كسواها من الجهات الحجازية. وان قيل انَّ مكّة واقعة في اقاصي الحجاز اجبنا انَّ كلام الكتبة يشمل كل جهات العرب حتّى اقصاها. قال تاودوريطوس المؤرخ الكنسي (١ في القرن الخامس للمسيح عن القيصر ڤالنس انَّهُ لمَّا اضطهد الكاثوليك فرَّقهم في كل البلاد حتى نفى منهم كثيرين في اقاصي تخوم العرب (per ultimos fines Arabiæ)

واقدم ما رواهُ كتبة العرب صريحاً عن النصرانيّة في مكة ما ورد في اثناء تاريخ جرهم الثانية قالوا انَّ جرهم استولوا بعد بني اسماعيل على الحجاز وصارت اليهم سدانة بيت الحرم في مكة ومفاتيح الكعبة. امَّا زمن دولة بني جرهم فلم يتفق الكتبة في تعريفه والعلماء الاوربيون مجمعون على انَّ جرهم الثانية قامت قبل تاريخ الميلاد بقليل. ومن عجيب ما رواه مؤرخو العرب كابن الاثير وابن خلدون وابي الفداء (٢ وغيرهم انَّ سادس ملوك جرهم يُدعى باسم نصراني وهو عبد المسيح بن باقية بن جرهم . فمنهُ يتعيَّن انَّ النصرانيّة دخلت مكة قبل بني الازد وتغلُّب بني خزاعة اعني بعد موت السيد المسيح بزمن قليل. وهذا يوافق نصوص الكتبة المرويَّة سابقاً عن تبشير رسل المسيح في الحجاز .

---

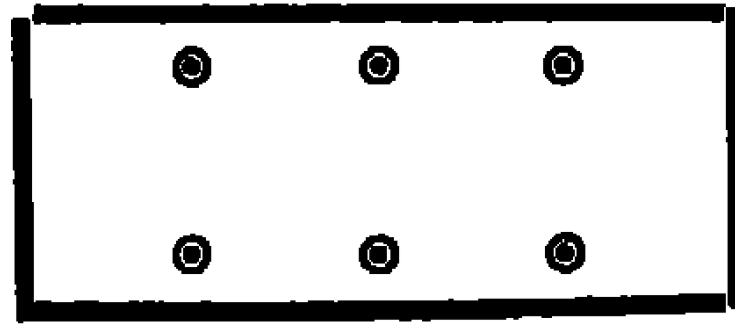
١) راجع تاريخهُ في اعمال آباء اليونان (Théodoret, H. E. l. IV, c. 15 ; Migne P. G., t. 82 col. 1158)

٢) اطلب تاريخ عرب الجاهليّة لكوسان دي برسڤال (C. de Perceval : *Essai sur. l'Hist. des Arabes avant l'Islamisme* I, 199)

وفي كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (١٣ : ١٠٩) انَّ بيت الحرام كان له في عهد بني جرهم « خزانة وهي بئر في بطنهِ يُلقى فيـه الحُلي والمتاع الذي يُهدى لهُ وهو يومئذٍ لاسقف عليهِ » . فقولهُ «اسقف» يريد بهِ حبر النصارى المعروف . وهو اثبات لما روى مؤرخو العرب عن نصرانيَّة الملك الجرهمي عبد المسيح بن باقية

ولنا في كتب العرب دليل اعظم يثبت انتشار النصرانيَّة في مكة قبل الاسلام وذلك في اقدم تواريخ مكة الذي عنوانهُ « كتاب اخبار مكة شرَّفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار تأليف ابن الوليد محمد بن عبدالله بن احمد الازرقي » المطبوع في ليبسيك (éd. Wüstenfeld. 110 — 112) انهُ كانت في دعائم الكعبة « صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة وصورة ابراهيم خليـل الرحمان وصورة عيسى ابن مريم » ثمَّ قال ما حرفهُ (ص ١١١) :

« فلمَّا كان يوم فتح مكة دخل رسول الله صلعم البيت فارسل الفضـل بن العبَّاس ابن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثمَّ امر بثوب فبُلَّ بالمـاء وامر بطمس تلك الصور فطُمست . قال ووضع كفَّيه على صورة عيسى بن مريم وامّهِ عليهما السلام وقال : امحوا جميع الصور الَّا ما تحت يديَّ فرفع يديهِ عن عيسى بن مريم وامّهِ . . . وحدَّثني جدّي قال حدَّثنا داود بن عبد الرحمان عن ابن جريج قال : سأل سليمان بن موسى الشامي عطاء بن ابي رباح وانا اسمع : أدركتَ في البيت تمثال مريم وعيسى ؟ قال : نعم ادركتُ فيها (كذا) تمثـال (ص ١١٢) مريم مزوَّقًا في حجرها عيسى ابنها قاعـدًا مزوَّقًا . وكانت في البيت اعمدة ستّ سواري وصفها كما نُقطت في هذا التربيع



قال وكان تمثال عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام في العمود الذي يلي البـاب : قال ابن جريج فقلت لعطاء : متى هلك ؟ قال : في الحريق في عصر ابن الزُّبير . . . قال ابن جريج : ثمَّ عاودتُ عطاء بعد حين فخطَّ لي ستَّ سواري كما خططتُ ثمَّ قال : تمثال عيسى وامّهِ عليهما السلام في الوسطى من اللاتي تَلينَ الباب الذي يلينا اذا دخلنا . (ص ١١٣) . اخبرني محمَّد ابن يحيى عن الثقة عندهُ عن ابن اسحاق عن حكيم بن عبَّاد بن حنيف وغيرهِ من اهل العلم انَّ قريشًا كانت قد جعلت في الكعبة صورًا فيها عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام . قال ابن شهاب قالت اسماء بنت شقر : ان امرأة من غسَّان حجَّت في حاجّ العرب فلمَّا رأت صورة مريم في الكعبة قالت : بابي انتِ وامي إنَّكِ لعربية . فامر رسول الله صلعم ان يمحوا تلك الصور الَّا ما كان من صورة عيسى ومريم »

وما رواهُ هنا الازرقي ذكرهُ كتبة آخرون كالهروي والبيهقي وابن العربي. وفيهِ شاهد جليل على تنصُّر قسم من قريش في مكة. ويؤيد ذلك احمد بن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخهِ (طبعة ليدن ١: ٢٩٨) حيث قال «: امَّا من تنصَّر من احياء العرب فقوم من قُرَيْش من بني اسد بن عبد العزَّى منهم عثمان بن الحويرث بن اسد وورقة بن نوفل بن اسد»

ولذلك ترى الشعراء النصارى في الجاهليَّة لم يأنفوا اذا حلفوا ان يجمعوا بين الصليب والكعبة قال عديّ بن زيد (الاغاني ٢: ٢٤):

سعى الاعداء لا يألون شرًّا عليك وربِّ مكَّةَ والصليبِ

وقال الاعشى:

حلفتُ بثوبَيْ راهب الدير والتي بناها قُصَيٌّ والمضاضُ بن جُرهمِ

ولعلَّ ذلك ايضاً ما حمل نصارى العرب على ان يعظِّموا الكعبة في الجاهليَّة لما كانوا يرون فيها من الآثار النصرانيَّة فضلًا عن ذكر ابراهيم الخليل الذي كان يُكرَّم هناك مع ابنهِ اسماعيل حيث جعل التقليد العربيّ ظهور ملاك الربّ لامّهِ هاجر (تكوين ٢١: ١٧) في هذا المكان. قال ياقوت في معجم البلدان (٤: ٦٢٢) «وليست امَّة في الارض ألَّا وهم يعظمون البيت... وانهُ من بناء ابراهيم حتى اليهود والنصارى»

ومما يدلُّ على آثار النصرانيَّة في مكة او قربها المكان المعروف بموقف النصراني ذكرهُ في تاج العروس. وكذلك مقبرة النصارى. قال الازرقي في اخبار مكة (ص ٥٠١): «مقبرة النصارى دُبر المقلع على طريق بئر عنبسة بذي طوى» والمقلع «الجبل الذي باسفل مكة على يمين الخارج الى المدينة». ونظنّ انَّ «مسجد مريم» الذي ذكرهُ المقدسي في جغرافيَّتهِ (ص ٧٧) بجوار مكة دعي باسم مريم العذراء لأثرٍ دينيّ كان هناك في عهد الجاهليَّة

ومما يثبت نفوذ النصرانيَّة في مكة على عهد الجاهليَّة نهضة الحنيفيَّة هناك فانَّ العلماء الذين درسوا تعاليم تلك الشيعة وما بقي من اخبار اصحابها في تواريخ العرب كسبرنغر (Sprenger) (١ وولهوزن (Wellhausen) (٢ وكوسّان دي برسفال

---

١) اطلب كتابهُ (Sprenger: *Das Leben u. d. Lehre des Mohammad*)

٢) اطلب (Wellhausen: *Skizze u. Vorarbeiten*, III, 87 *seq.*)

(C. de Perceval) (١ وغيرهم فكانت نتيجة ابحاثهم انَّ الحنيفيَّة في الجاهليَّة كانت شيعة نصرانيَّة خالطتها بعض تعاليم من غيرها وربما اراد بها شعراء الجاهليَّة والكتبةُ القدماء النصرانيَّةَ بعينها. قال شاعر هذيل (Hudheil 18 : 11):

كأَنَّ تواليَهُ بالملا نصارى يساقون لاقوا حنيفا

اراد بالحنيف الراهب يذهب النصارى لملاقاته. وروى صاحب الاغاني (ك ١٦ ص ٤٥) وياقوت في معجم البلدان (٢ : ٥١) لأيمن بن خريم قولهُ في وصف الخمرة:

وصهباء جرجانيَّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم تَنغر (٢ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ المُهَيمن نارَها طَرُوقًا ولا صلَّى (٣ على طَبْخها حَبْرُ

اراد بالخمر قربان النصارى والحنيف هنا بلاشكّ الراهب بدليل ذكرهِ في البيت الثاني القسّ والحَبْر. ولعلَّ ابا ذؤيب قصد ايضاً الراهب حيث قال مشيرًا الى اصوام الرهبان (تاج العروس ٣ : ٣٣٩):

اقامت بهِ كمقام الحنيفِ م شهرَي جمادى وشهرَي صفَرْ

ويؤيد رأي هؤلاء الكتبة في نصرانيَّة الحنفاء انَّ معظم الذين ورد ذكرهم في التاريخ يقال عنهم انهم تنصَّروا. واشهرهم ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزَّى وكان ابن عم خديجة زوجة رسول الاسلام الاولى وقيل بل كان عمَّها اخا ابيها قال ابن هشام في سيرة الرسول (éd. Wüstenfeld, p. ١٥٣): «وكان ورقة قد تنصَّر وقرأ الكتب وسمع من اهل التوراة والانجيل (٤». وقال الاسحاقي في تاريخهِ الاكبر (٥: «كان ورقة امرءًا قد تنصَّر في الجاهليَّة وكان يكتب الكتاب العربيَّ فكتب بالعربيَّة من الانجيل ما شاء ان يكتب»

ومنهم عبيد الله بن جَحش بن رئاب. قال ابن هشام (ص ١٤٣—١٤٤): «هاجر عبيد الله مع المسلمين الى الحبشة ومعهُ امرأتهُ امّ حبيبة ابنة ابي سفيان

---

١) كتابهُ (Essai sur l'Hist. des Arabes, I, 321)
٢) روى ياقوت: ولم ينفر
٣) في ياقوت: ولم يحصر (يحضر؟)
٤) اطلب كتابنا شعراء النصرانيَّة (ص ٦١٦)
٥) في نسخة مكتبة باريس (Mss. arab. de Paris. n° 735 ff. 88)

مسلمةً فلمّا قدماها تنصّر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانيًّا. قال ابن اسحاق: فحدّثني محمّد بن جعفر بن الزبير قال: كان عبيد الله بن جحش حين تنصر يمرّ باصحاب رسول الله صلعم وهم هنالك في ارض الحبشة فيقول: فقّحنا وصأصأتم اي أبصرنا وانتم تلتمسون البصَر ولم تُبصروا بعد »

ومنهم عثمان بن الحويرث الذي ذكر نصرانيّتهُ اليعقوبيّ. وروى ابن هشام (ص ١٤٤) عن ابن اسحاق قولهُ (١: « واما عثمان بن الحوَيرث فقدم على قيصر وتنصّر وحَسُنت منزلتهُ عندهُ ». كانت وفاتهُ في الشام

ومنهم زيد بن عمرو بن نُفَيل الذي ذكر ابن هشام (ص ١٤٨) وصاحب الاغاني تردُّدهُ في دينهِ واجتماعه باحبار النصارى ورهبانهم بعد اعتزالهِ الاوثان

ومنهم اميّة بن ابي الصلت الذي ترى ديوانهُ مشحونًا بتعاليم النصارى مع منقولات متعدّدة عن الاسفار المقدّسة كسفر الخليقة وخلقة آدم وسقوط الابوين الاوّلين باغراء الحيّة والطوفان وذكر الانبياء والملائكة والسيد المسيح ومريم العذراء (٢

وكان في مكة من النصارى غير هؤلاء الحنفاء منهم ابو قيس صرمة بن ابي انس الذى روى عنهُ ابن الاثير في اسد الغابة (٣: ١٨) انه «كان ترهّب في الجاهليّة ولبس المسوح »

ومنهم زيد بن حارثة مولى رسول المسلمين كان نصرانيًّا ثمّ اسلم

وكذلك ذكر صاحب الاغاني (١٥: ٢) نصرانيّة عتبة بن ابي لهب صهر نبيّ الاسلام

وكان ابو سفيان زعيم مكّة صهرًا لبشر اخي أُكَيدر صاحب دومة الجندل وكان كلاهما نصرانيًّا وبشر هو الذي علّم اهل مكّة الخطّ العربيّ

وممّا يفيد تاريخ النصرانيّة في مكة ذكر المعاملات التجاريّة التي كانت متواصلةً بين اهلها ونصارى قبائل العرب الواردين اليها ونصارى الحبشة وغيرهم فانّ اختلاط اولئك النصارى باهل مكة اثّر فيهم تأثيرًا عظيمًا واجتذب كثيرين منهم الى

---

١) اطلب مقالتنا المنونة الاحداث الكتابية في شعراء الجاهليّة (ص ٢٠ – ٢١)

٢) اطلب مقالاتنا « الاحداث الكتابية والتشابيه النصرانيـة في شعراء الجاهليّة » (ص ٢٠–٢١)

الدين المسيحي. ومما يؤيد ذلك انَّ ابا عامر الراهب الذي حارب رسول الاسلام في مكَّة وأُحد قد لقي المسلمين «في الاحابيش وعُبدان اهل مكَّة» كما روى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٥٦١—٥٦٢)

وفي كتاب الخراج (ed. Th. Juynboll, 1896, p. ٥٣) ما نقلهُ الكاتب عن ابي الحويرث قال «ضرب الرسول صلعم على نصرانيّ بمكة ديناراً كل سنة» وفي هذا دليل على بقاء النصرانيَّة في مكَّة في ايام نبي الاسلام

ولم تخلُ بقيَّة مدن الحجاز من آثار النصرانيَّة كالطائف على مسيرة يوم من مكَّة (١ ومنها كان اميَّة بن ابي الصلت الشاعر النصراني ينتسب الى ثقيف اهل الطائف (٢. وكعكاظ التي كان يجتمع في سوقها العرب فيتناشدون ويتفاخرون وهناك خطب قسّ بن ساعدة اسقف نجران كما رووا. وفي التقويم النسطوري (ص ٨) الذي اشرنا اليهِ سابقاً فطبعهُ حضرة الخوري بطرس عزيز سنة ١٩٠٩ ان النساطرة كان لهم كنيسة في عكاظ مع جماعة من اهل دينهم والله اعلم

*

وان توغَّلت في قلب جزيرة العرب ورقيتَ ما يرتفع في اوساطها من التلال والمشارف لقيت بلاد نجد التي افاض شعراء العرب في مدحها لطيب هوائها وجودة تربتها كقول بعضهم:

فيا حبَّذا نجدٌ وطيبُ ترابهِ ... إذا هضبَتْهُ بالعشيّ هواضبُهْ
وريحُ صبا نجدٍ اذا ما تنسَّمت ... ضُحًى او سرتْ جنحَ الظلام جنائبُهْ
بأجرع مِمراعٍ كأنَّ رياحهُ ... سحابٌ من الكافور والمسكُ شائبُهْ
واشهد لا انساهُ ما عشتُ ساعةً ... وما انجابَ ليلٌ عن نهار يعاقبُهْ

ففي نجد وجهاتهِ وجدت النصرانيَّة لدعوتها قلوباً تقبَّلتها بالترحاب فهناك كانت عدَّة قبائل عُرفت بتديُّنها بدين السيد المسيح كطيء والسكون والسكاسك وكندة وقد مرَّ بك انَّ ثمَّ كانت اديرة لرهبان النصارى كدير سَعْد في بلاد غطفان ودير عمرو في جبال طيّ قرب جوّ من ديارهم

---

١) وكانت ثقيف تسكن الطائف ومنها كان ابو رغال الذي تقدَّم الحبش وصار دليلهم لمحاربة مكَّة

٢) راجع ترجمتهُ في شعراء النصرانيَّة (ص ٢١٩-٢٢٩)

امَّا نصرانيَّة قبائل نجد فلنا عليها عدَّة شواهد. قال السائح الانكليزي بلغراف في كتاب رحلتهِ الى جزيرة العرب (ج ١ ص ٦١) عن بلاد الجوف: «ان اهل الجوف لا يعرفون عن اصلهم وتاريخهم الَّا القليل لكن التقاليد المحليَّة تزعم انَّ تلك البلاد كانت قبلًا تدين بالنصرانيَّة وانَّ انصار النبيّ كعلي وخالد بن الوليد اضطرُّوا الى استعمال اقطع الادلَّة اي السيف ليدخلوا اهلها في الاسلام (١ »

وقال في محلّ آخر (ص ١١١): «قبل الاسلام كانت قبائل العرب في وسط الجزيرة راتعة في بحبوحة السلام الذي فقدتهُ بعد ذلك. وكان اكثرها يدين بالنصرانيَّة بل يرجح انها حفظت دينها بعد الاسلام الى خروج بني اميَّة عليها (٢ »

وخصَّ بالذكر تلك القبائل المتنصرة فقال (ص ٨٤) انَّ عرب نجد قبل الاسلام كانوا من تغلب وتنوخ وكندة وطيّ. وقد لقي ذاك السائح هناك عدَّة آثار وابنية سمع الاهلين ينسبونها الى قدماء النصارى من جملتها بير شقيق الذي نزل بقربهِ

وليس كلام هذا الرحالة حديثَ خرافة بل تؤيد روايتهُ الآثار القديمة وتاريخ قبائل نجد . وكانت اعظم تلك القبائل كندة ومنها السكون والسكاسك الذين ذكر تنصرهم ابن خلدون في تاريخهِ (٢: ٢٤٩). وكان لكندة بيت ملك فتولَّوا على بني معدّ في انحاء نجد واوَّلهم حُجر آكل المرار ثم خلف حجرًا بنوهُ من بعدهِ ومنهم كان امرؤ القيس الشاعر

امَّا نصرانيَّة كندة فلا شكَّ فيها وقد اثبتنا ذلك في مقالة خصوصيَّة حيث

---

١) هذا نصُّهُ بالحرف: Les Djawfites savent peu de chose sur leur origine et leur histoire ; les anciennes traditions locales prétendent pourtant que le pays était chrétien, et que pour le convertir à l'islamisme, les sectateurs du prophète, Ali et Khalid - ebn - Walid durent employer le plus tranchant de tous les arguments, le glaive. » (Palgrave: *Voyage dans l'Arabie Centrale*. I, p. 61)

٢) وهذا قولهُ: « Les tribus du centre de la Péninsule jouissaient d'un calme et d'une prospérité qui plus tard leurs furent étrangères. La plupart avaient embrassé la foi chrétienne et probablement la professaient encore à l'époque ou elles repoussèrent l'invasion des Ommiades. » (Id. I, 111)

رددنا على مزاعم حضرة الاب انستاس الكرملي في مزدكيّة امرئ القيس (راجع المشرق ٨ (١٩٠٥) ص ٩٩٨ — ١٠٠٦). وقد ذكرنا الكتابة التي وضعتها على صدر ديرها هندُ الكبرى بنت الحارث الكنديّة حيث تفتخر بكونها « أمة المسيح وامّ عبده (اي عمرو بن هند) وبنت عبيده » (اي الحارث بن عمرو بن حجر ملوك كندة). ورَوينا ايضاً النصوص اليونانيّة التي نقلها فوتيوس في مكتبته (Migne-P. G. III, 46 — 47) عن المعاهدات التي ابرمها ملوك الروم مع ملوك كندة في أيّام انسطاس ويوستينوس ويستنيان ولولا نصرانيّة كندة لما تسامحوا بذلك على الاطلاق. ويؤيد قولنا في دين كندة عبد المسيح الكندي في رسالته الى الهاشميّ في أيّام المأمون. وقد ذكر هذه الرسالة ابو الريحان البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٠٥ من طبعة ليبسيك) قال الكندي (ص ١٢٤ من طبعة لندن سنة ١٨٨٠):

« ولسنا نحبُّ ان نفتخر بما لنا من السبق والنسق في العربية وشرف الآباء فيها اذ كان ذلك معروفاً غير مجهول لابائنا واجدادنا . فقد علم كلّ ذي علم ولبّ كيف كانت ملوك كندة الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب لكنّنا نقول ما قالهُ رسول الحقّ بولس: ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فانهُ غاية الفخر والشرف. فليس لنا اليوم فخر نفتخر بهِ الّا دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله وبهِ نهتدي الى العمل الصالح ونعرف الله حقّ معرفتهِ ونتقرّب اليهِ وهو الباب المؤدي الى الحياة والنجاة من نار جهنم »

وقال في محلّ آخر (ص ١٠٣) يشير الى دين كندة اجدادهِ :

« ولولا انّ الديانة عندي اشرف من الحسب الجسداني الزائل لكان يسعني السكوت . . . لكنّي رجل نصراني ولي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي اتشرّف بهِ وافتخر بمكاني منهُ وارغب الى الله في إماتتي على هذه الديانة وحشري عليها فانهُ غاية املي ورجائي الذي ارجو بهِ الخلاص من العذاب في نار جهنم والدخول الى ملكوت السماء والخلود فيها بفضلهِ واحسانهِ وسعة رحمتهِ »

فصحّ اذن انّ بلاد نجد لم تشذّ عن سواها في قبول الدين النصراني فشاع فيها كما شاع في بقيّة انحاء العرب. وبهِ نختم هذا الفصل الذي تحرّينا فيهِ تاريخ النصرانيّة في جميع جهات العرب



الفصل الثاني

في قبائل العرب المتنصِّرة

هذا فصل نجعلهُ كتتمّة الفصل السابق فنسرد فيهِ على سياق حروف المعجم اسماء القبائل المتنصرة في عهد الجاهليّة مع الادلّة على نصرانيّتها

١ ﴿ الازد ﴾ اسم عامّ يشمل القبائل الحميريّة نسبة الى الازد بن غوث ابن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ . ونصرانيّتهم مثبتة بنصرانيّة القبائل المتفرّعة منهم وهي القبائل التي خرجت بعد انفجار سدّ مأرب فسكنت في انحاء الجزيرة وسيأتي ذكرها

٢ ﴿ امرؤ القيس ﴾ بنو امرئ القيس من بني زيد مناة بن تميم . وممن صرّح بنصرانيتهم ابن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخهِ (ج ١ص ٢٩٨ ed. Houtsma) قال : « وتنصر من بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة » . والى نصرانية بني امرئ القيس يشير ذو الرمة الشاعر حيث يقول :

ولكنَّ اهلَ امرئ القيس معشرٌ يحلُّ لهم اكلُ الخنازير والخمرُ

٣ ﴿ الاوس ﴾ روينا في الباب العاشر من فصلنا الاوّل (ص ١٠٨) اقوال الكتبة في نصرانيّة الاوس بعد احتلالهم في مدينة يثرب وانهم المشار اليهم باهل الكتاب اي النصارى

٤ ﴿ اياد ﴾ من اقدم القبائل العربيّة المتنصرة . نقل السيوطي في المزهر (١ : ١٠٥) قول ابي نصر الفارابي في القبائل العربيّة التي لم يؤخذ عنها اللسان العربيّ لفسادٍ لحق بألسنتها : « ولم يؤخذ (اللسان العربي) لا من قضاعة وغسّان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيّة » يريد اللغة الآراميّة التي شاعت بين العبرانيين بعد جلاء بابل . وقال البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨ ed. Wüstenfeld) : « دانت اياد لغسّان وتنصّروا » . وقال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٥ .id) : « اياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد فالحّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصروا »

٥ ﴿ بكر ﴾ بن وائل قبيلة كبيرة اخت تغلب وقرينتها في القوّة والدين كانت ساكنة في الجزيرة واليها نُسبت ديار بكر. امّا نصرانيّتها فثابتة من كل الوجوه لا يُشكّ فيها. قال صاحب سيرة الرسول المعروفة بالحلبيّة (٣: ٩٥): «من قبائل العرب المتنصرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام»

٦ ﴿ بليّ ﴾ بليّ بن عمرو اخوة بهراء قضاعة مثلهم كانوا نصارى وحاربوا مع بهراء ونصارى العرب جيوش المسلمين كما ذكر الطبريّ (١: ٢٤٧٤)

٧ ﴿ بهراء ﴾ فرعٌ من قضاعة اشتهروا بالنصرانيّة كما رأيت آنفاً بنصّ السيرة الحلبيّة. وقال اليعقوبي في تاريخه (١: ٢٩٨): «تنصر... من ربيعة تغلب ومن اليمن طيّ ومذحج والبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم» وجاء في كتاب البلدان للاصطخري (طبعة ليدن ص ١٤ ,ed. de Goeje): «انّ بعض العرب تنصر ودان بدين الروم مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام». وجاء في ترجمة ابي العلاء المعري لابن خلكان: «تنوخ احدى القبائل الثلث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب» ومثلهُ الفيروزابادي حيث قال: «كانت النصرانيّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وتغلب وبعض طيّ» وسبق الطبريّ (ج ١، ٢٠٨١) كلّ هؤلاء فجعل بهراء في عداد نصارى العرب انصار الروم. فترى انّ نصرانيّة بهراء شائعة في التاريخ

٨ ﴿ تغلب ﴾ بن وائل هي القبيلة المعدّيّة الشهيرة وشقيقة بكر. كانت بلغت في الجاهليّة مقاماً قلما ادركتهُ قبيلة عربيّة اخرى قال عمرو الشيباني يصف شرف تغلب: «كانت تغلب بن وائل من اشدّ الناس في الجاهليّة وقالوا: لو ابطأ الاسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس (١» . وكانت تغلب مع شدّتها عريقة في الدين. قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقتهِ يفتخر بشرف ودين نساء قومهِ:

ظعائن من بني جُشَم بن بكر خلطنَ بميسم شرفاً ودينا

امّا هذا الدين فكان دين النصرانيّة كما هو مشهور. والشواهد على ذلك لا تُحصى كما رأيت آنفاً من نصوص اليعقوبي والاصطخري والفيروزاباديّ وابن

١) اطلب شرح التبريزي لمعلّقة عمرو بن كلثوم (ed. Lyall, p. 108)

خلكان. وزد عليها قول ابن حوقل في المسالك والممالك (ص ١٨): « نزلوا (اي العرب) على خفارة فارس والروم حتى انّ بعضهم تنصر ودان بدين النصرانيّة مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام ». وتجد في الباب الثامن من الفصل السابق شواهد اخرى تويد الامر ولا تدع ريباً لمستريب. قال جابر بن حنيّ يردّ على بهراء (اطلب شعراء النصرانيّة ص ١٩٠):

وقد زعمت بهراءُ انَّ رماحَنا رماحُ نصارى لا تخوض الى الدَّمِ...

بل لدينا ادلّة واضحة على ثبوت النصرانيّة في تغلب حتى القرن الثالث والرابع بعد الاسلام وجاء في سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٦ من طبعة مصر ١٢٩٩) انّ بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فأعلنوا بنصرانيتهم

٩ ﴿ تميم ﴾ هو ابن مرّة بن ادّ من بني مضر العدنانيين وكانوا عدّة قبائل ودخلت النصرانيّة في كثير منها كبني امرئ القيس وبني شيبان وبني أيوب ابن قلّام الذي منهم كان الشاعر النصراني الشهير عديّ بن زيد. وجاء في التذكرة الحمدونيّة (ص ١٧ و١٨ من نسخة برلين) في وصاة الحرث بن كعب لبنيهِ انّهُ « بقي على دين عيسى بن مريم مع تميم بن مرّ واسد بن خزيمة » فجعل النصرانيّة في قبائل تميم بنسبتها الى رأسهم وشيخهم تميم بن مرّ

ولمّا وفد بنو تميم على محمد كان احد زعمائهم الزبرقان بن بدر وممّا افتخر بهِ البيَعُ التي كان يشيدها قومهُ كما روى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٩٣٥):

نحن الكرام ولا حيٌّ يعادلنا منّا الملوك وفينا تُنصَب البيَعُ

ومن تميم في الجاهليّة كان اسقف نصراني يُدعى محمدًا وهو محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم التميميّ (١

١) اطلب حياة محمد لسبرنغر (Sprenger: *Das Leben d. Mohammad*, I, 161). وفيهِ تفنيد لقول بعض الزاعمين انّ اسم محمّد لم يُعرف في الجاهليّة قبل نبيّ الاسلام. قال ابن بريّ (في تاج العروس ٢: ٣٢٩) « ومن سُمّي بمحمّد في الجاهليّة سبعة محمّد بن سفيان بن مجاشع التميميّ ومحمّد بن عتوارة الليثيّ الكناني ومحمّد بن أُحيحة بن الجلاح الاوسيّ ومحمّد بن حمران بن مالك الجعفيّ المعروف بالشويعر ومحمّد بن مسلمة الانصاريّ ومحمّد بن خزاعيّ بن علقمة ومحمّد بن حرماز بن مالك التميمي

١٠ ﴿ تنوخ ﴾ احدى قبائل اليمن ونصرانيتها مُجمع عليها فانَّ الطبري (١: ٢٠٦٥ و٢٠٨١) واليعقوبي (١: ٢٩٨) في تاريخهما والاصطخري في كتاب مسالك الممالك (ص ٢٤) وابن خلكان (ج ١ ص ٤٢) والفيروزابادي في معجمه يجعلون كلهم تنوخ من جملة القبائل المتنصرة بل ورد في كتب السريان ذكرًا لاسقف التنوخيين (١

١١ ﴿ ثعلبة ﴾ بنو ثعلبة ثلاثة أبطن من طيّ وهم ثعلبة بن ذُهل وثعلبة بن رومان وثعلبة بن جدعاء يقال لهم ثعالب طيّ. ورد في الباب الثامن من الفصل السابق ذكر اساقفتهم. وقد عرف كتبة اليونان والرومان والسريان نصرانيتهم فذكروهم غير مرَّة ويجعلونهم من الطائيين الخاضعين للروم « ܛܝ̈ܝܐ ܕܒܢܝ ܬܥܠܒܐ ܕܡܫܥܒܕܝܢ ܕܒܢܝ ܠܪ̈ܘܡܝܐ » (٢. واخبر الابشيهي صاحب كتاب المستطرف (ج ١ ص ١٣٥) قال: « رُوي انَّ بني ثعلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهُ فقالوا: يا امير المؤمنين انَّا قوم من العرب افرضْ لنا. قال: نصارى؟ قالوا: نصارى. قال: ادعوا اليَّ حجَّاماً. ففعلوا فجزَّ نواصيهم...». ويوجد غير هؤلاء ايضاً عُرفوا ببني ثعلبة اشهرهم بنو ثعلبة بن شيبان من بطون تميم

١٢ ﴿ جذام ﴾ بن مالك بن نصر قبيلة يمنيَّة من الازد كانت تدين بالنصرانيَّة قال صاحب السيرة الحلبيَّة (٣: ٩٥): «من قبائل العرب المتنصرة بكر ولخم وجذام». وكذلك الفارابي في المزهر (١: ١٠٥) يجعل جذام من النصارى الذين « يقرأون بالعبرانيَّة ». وفي الفتوحات الاسلاميَّة للبلاذري (٥٩ و١٣٥) وفي الطبري (١: ١٧٠٢) وفي تاريخ ابن بطريق (طبعتنا ج ٢ ص ١٣) ترى جذاماً في جملة قبائل العرب المتنصرة التي تحارب جيوش المسلمين مع غسَّان وكلب ولخم

١٣ ﴿ جَرْم ﴾ بن ريَّان هم من قبائل قضاعة ونصرانيتهم ثابتة كنصرانيَّة قضاعة. وقد مرَّ بك في الباب الثامن من الفصل الاوَّل ذكر اسقف لبني جرم. وكانت النصرانيَّة في جرم منذ زمن قديم فانَّ السريان ذكروا ديرًا ابتناه الرهبان في ديار جرم منذ اواسط القرن الرابع (٣. وقد روى قزما الرحَّالة الهندي في سفره

١) اطلب النخب السريانية (Lagarde: *Analecta Syriaca* p. 128)

٢) اطلب (G. Rothstein: *Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira*)

٣) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (Assemani: BO, II, 41)

الى الهند انَّ بين الدائنين بالنصرانيَّة في زمانهِ اي القرن السادس للمسيح كان النبط وبنو جرم (١

١٤ ﴿ جرهم ﴾ نقلنا في جملة آثار النصرانيَّة في مكَّة ما رواه كتبة العرب عن دين بني جرهم وعن ملكهم عبد المسيح واسقفهم في مكة . فليراجع

١٥ ﴿ الحدَّاء والسِنط ﴾ فروع من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم . كانوا يسكنون الحيرة ويدينون بدين اهلها . قال طُخيم بن ابي الطَّخماء الاسدي يمدحهم (الكامل للمبرَّد ص ٢٦ ed. Wright) :

بنو السمط والحدَّاء كلُّ سَمَيدعٍ لهُ في العروق الصالحات عروقُ
واني وان كانوا نصارى أُحبّهم ويرتاحُ قلبي نحوهم ويتوقُ

١٦ ﴿ الحارث بن كعب ﴾ قبيلة يمنيَّة كبيرة تنتسب الى مذحج الى كهلان احتلَّت نجران ونواحيها وتنصرت وحسنت نصرانيتها ويظهر انَّ الحارث بن كعب جدّ هذه القبيلة مات نصرانيًا فانَّنا قد وجدنا في النسخة الخطيَّة من التذكرة الحمدونيَّة (Ms. Berlin, *Ahlwardt*, n^os^ 8359 et 60 ff. 17) ما حرفهُ (٢ :

« اوصى الحرث بن كعب بنيه فقال : يا بنيَّ قد اتت عليَّ مائة وستون سنة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلّة فاجر ولا بحتُ لصديق بسرّ ولا طرحتُ عندي مومسة قناعًا ولا بقي على دين عيسى ابن مريم احد غيري وغير تميم بن مرّ واسد بن خزيمة . فموتوا على شريعتي واحفظوا وصيتي والحكم فاتَّقوا يكفكم المهمَّ من اموركم ويصلح لكم اعمالكم واياكم والمعصية لئلا يحلّ بكم الدمار وتوحش منكم الديار . . . فانَّ لزوم الخطيَّة تعقب البليّة »

وهناك حاشية رواها ابن حمدون : « انَّ النصارى في العرب كثير وبني الحرث ابن كعب كلهم نصارى »

وكانت نجران تحت حكم بني الحارث لمَّا قصدها ذو نوءاس ملك حمير اليهودي فافتتحها وامتحن اهلها باخاديد النار فمات منهم عدد دثر مفضلين الموت الاحمر على جحود الدين . وبعد ظفر الحبش بذي نوءاس عاد بنو الحارث بن كعب الى امرة نجران وكان من اشرافهم بنو عبد المدان بن الديان الذين شادوا كعبة نجران وكنيستها المعروفة بالقليس التي افاض الكتبة في وصف محاسنها كما رأيت في

١) اطلب مجموعة مين (Migne, PG., t. 88 col. et 446)

٢) ثم وجدنا هذه الوصاة في كتابين من مخطوطات باريس ومخطوطات مكتبتنا

الباب المختصّ بنصرانيَّة اهل اليمن . وبقي بنو الحارث بن كعب على نصرانيتهم بعد ظهور الاسلام كما يؤخذ من كتاب الوفادات لابن سعد (Wellhausen, Skizzen, IV, ٨) حيث صالحهم نبيّ المسلمين على شروط عدَّدها هناك ولم ينبذوا دينهم . ومما رأيناه في احد مخطوطات مكتبة قديمة في حلب منسوباً الى شاعر من بني الحارث الابيات الآتية المشيرة الى دينهم القويم :

ألا انَّنا من معشرٍ سبقت لهم ايادي من الحسنى فعُوفوا من الجهلِ
ولم ينظروا يوماً الى ذات مَحْرمٍ ولا عرفوا الَّا التقيَّةَ في الفعلِ
وفينا من التوحيد والعقل شاهدٌ عرفناهُ والتوحيدُ يُعرَف بالعقلِ
نُعاين من فوق السماوات كلها معاينة الاشخاص بالجوهر المجلي
ونعلمُ ما كنَّا ومن اين بدؤنا وما نحن بالتصوير في عالم الشكلِ
وإنَّا وان كنَّا على مركبة الثرى فارماحنا في عالم النور تستعلي
وما صعدتْ لم تختبره وانما رأت ذاتها بالنور في العالم العقلي
فلم ترضَ بالدنيا مقاماً فاثرت حقيقةَ ممثولٍ وجلّت عن المثلِ

١٧ ﴿ حمير ﴾ اخبار تنصرُّهـا مرّت في باب النصرانيَّة في اليمن فعليك بها . وزد على نصوصنا قول الفيروزابادي : « انَّ كثيرًا من ملوك اليمن والحيرة تنصَّروا »

١٨ ﴿ حَنيفة ﴾ بنو حنيفة بطن كبير من بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة وقد مرَّ ذكر تنصُّرهم في اثناء ذكر « النصرانية في حضرموت وعُمان واليمامة والبحرين » وفنَّدنا هناك ما روي عن عبادتهم لصنم من عجين بل وجدنا في ذلك الهجو دليلًا على نصرانيَّتهم لاشارتهِ الى القربان الاقدس . ومثلهُ قول الآخر :

أكلت ربَّها حنيفةُ من جوعٍ قديمٍ ومن اعوازِ

ومن حنيفة كان هَوْذة بن عليّ المعروف بذي التاج ملك اليمامة الذي مرَّ ذكرهُ . ومنهم كان مسيلمة بن حبيب الذي ناصب محمَّدًا وتبعهُ اهل اليمامة واستفحل امره وكاد يظهر على الاسلام لولا خالد بن الوليد الـذي غلبهُ وقتلهُ . ومما يدلُّ على نصرانيَّة بني حنيفة ما ذكره ابن سعد في كتاب الوفادات (Wellhausen, p. 46) حيث روى خبر وفودهم على محمّد الى ان قال : « اعطاهم رسول الله اداوةً من ماء فيهِ فضل طهوره فقال : اذا قدمتم بلدكم اكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا

الماء واتّخذوا مكانها مسجدًا ففعلوا ». ثمّ يذكر انّ « راهب البيعة هرب فكان آخر العهد بهِ ». فذكرهُ لبيعة بني حنيفة وراهبها دليل ساطع على نصرانيّتهم

١٩ ﴿ الخزرج ﴾ بنو الخزرج كبني الاوس كانوا يسكنون المدينة ويُعدُّون من اهل الكتاب اي النصارى (يراجع ما سبق عن النصرانيّة في المدينة)

٢٠ ﴿ (ربيعة) هو اسم يطلق على القبائل العديدة المنتسبة الى ربيعة بن نزار وهي اكبر قسم من القبائل العدنانيّة الاربع اعني انمار واياد وربيعة ومضر. وقد انتشرت النصرانيّة في ربيعة حتى اوشكت تشمل كل بطونها وفروعها فترى من ثمّ كتبة العرب اذا ذكروا النصرانيّة في الجاهليّة جعلوها خصوصاً في ربيعة قال الفيروزابادي: «وكانت النصرانيّة في ربيعة ». وشهد بذلك قبلهُ ابن قتيبة في المعارف (ص ٣٠٥ من طبعة مصر) وابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص ٢١٧) والقاضي ابن صاعد في كتاب طبقات الامم (ص ٤٣ من طبعتنا) وغيرهم كثيرون. فقولهم « انّ النصرانيّة كانت في ربيعة » باطلاقهِ يدلُّ على انّ هذا الدين كان الغالب عليهم على اختلاف قبائلهم. ويؤيد ذلك ما رويناه عن نصرانيّة اعظم قبائل ربيعة كبكر وتغلب وامرئ القيس وحنيفة وشيبان الخ. فناهيك بذلك شاهدًا على شيوع النصرانيّة بين العرب

٢١ ﴿ السكاسك والسَّكُون ﴾ قال ابن دريد في الاشتقاق (ص٢٢١) « ومن قبائلهم السكاسك والسكون قبيلتان عظيمتان وهما ابنا اشرس بن ثور بن كندي (١)». ومما يؤيد تنصرهما انهما كانتا في دومة الجندل التي مرَّ ذكر نصرانيتها ونصرانيّة صاحبها أُكيدر السكوني. وقد صرَّح ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٤٩) بنصرانيّة السكون قال: « وكان لقضاعة ملك اخر في كلب بن وَبَرة يتداولونهُ مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانيّة وجاء الاسلام والدولة في دومة الجندل لأُكيدر بن عبد الملك بن السكون ». وكان السكون والسكاسك يسكنون ايضاً في حضرموت محالفين لبني الحرث بن كعب اهل نجران كما اخبر الطبري ولمَّا ظهر الاسود العنسي محارباً لمحمد نبيّ الاسلام

١) والصواب ما قالهُ ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٨) «كندة هو كِنْدي واسمهُ ثَوْر»

كان السكون والسكاسك من انصاره (١ وكذلك نراهم يحاربون خالداً مع بني كلب وغسّان وبهراء وكلهم من نصارى العرب

٢٢ ﴿ سليح ﴾ هي القبيلة العربيّة التي سبقت الغسانيين في الشام ودانت بالنصرانيّة قال المطهّر المقدسي في كتاب البدء المنسوب لابي زيد البلخي (éd. Huart, III, p 208): « واوّل من دخل الشام سليح وهم من غسان ويقال من قضاعة فدانت بالنصرانيّة وملّك عليها ملك الروم رجلًا يقال له النعمان بن عمرو ابن مالك ». وقال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣: ٢١٦): « وردت سليح الشام فتغلبت على تنوخ وتنصرت فملّكها الروم على العرب الذين بالشام » . وكذلك ابن واضح اليعقوبي في تاريخه (١: ٢٩٨) : « تنصّر ... من اليمن طي ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم » . وسبقهم الطبري في تاريخه (١ : ٢٠٨١) فجعل سليحاً مع قبائل نصارى العرب المحاربين مع الروم . وبنو سليح يُدعون ايضاً بالضجاعم او الضجاعمة نسبة الى احد اجدادهم قال في التاج (٨: ٣٧٣): « ضجعم ابو بطن من العرب وهو ضجعم بن سعد بن عمرو الملقب بسليح بن حلوان بن عمران » . وقد ذكر الطبري (١: ٢٠٦٥) الضجاعم مع قبائل النصارى المحاربة لخالد بن الوليد . ومن ملوك الضجاعم في الشام داود بن هبُولة المعروف باللّثِق وكان نصرانيًّا (٢ وقال بن دريد في الاشتقاق (ص ٣١٩) : « يضاف اليه دير داود في الشام »

٢٣ ﴿ شيبان ﴾ حي من بكر بن وائل . قال في التاج (١: ٣٢٨): « هما شيبانان: احدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة الخ . وهما قبيلتان عظيمتان على بطون وافخاذ » . ونصرانيّة القبيلتين شائعة كنصرانيّة جذرهما بكر بن وائل . وكان مقام بني شيبان في بلاد الجزيرة المعروفة بديار بكر قريباً من دجلة حيث انتشرت النصرانيّة انتشارًا تامًّا . وبنو شيبان يُعرفون غالباً ببني ثعلبة في

---

١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤

٢) اطلب (Caussin de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 201-202)

تواريخ الروم والسريان (راجع ما قلناه عن تغلبة) . ومن شيبان كان حارث بن عبّاد سيّد شيبان في حرب البسوس وقِرن المهلهل . ومنهم بسطام بن قيس احد فرسان العرب المشهورين وسيد شيبان في يومي غبيط ومحطط اللذين ذكرهما ابن عبد ربهِ في العقد الفريد (٣ : ٨٨ — ٨٩) وابن الاثير في تاريخهِ (١ : ٢٥٠) . وقد صرَّح ابن عبد ربهِ هناك بنصرانيَّة بسطام ويدعوهُ ايضاً حنيفاً فيثبت ما قلناه عن نصرانيَّة الحنفاء . ومنهم ايضاً نابغة بني شيبان الشاعر الاموي الشهير له ديوان لم يُطبع حتى الآن . وقد ذكر ابو الفرج في الاغاني (٦ : ١٥١) نصرانيتهُ . وكذلك هانئ بن قبيصة قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٦) : « كان شريفاً عظيم القدر وكان نصرانياً وادرك الاسلام فلم يُسلم ومات بالكوفة »

٢٤ ﴿ ضُبيعة ﴾ كانوا اخوة بني شيبان ويُعرفون مثلهم بالثعالب يشاركونهم بكل احوالهم وهم نازلون في ديارهم ويدينون بدينهم ومنهم كان الشاعر الجاهليّ الشهير طَرَفة بن العبد صاحب المعلَّقة

٢٥ ﴿ طيّ ﴾ من اكبر قبائل العرب واطولها باعاً وارقاها حضارةً واثبتها على خطوب الزمان . اصلهم من اليمن ينسبون الى طيّ بن ادد بن كهلان . وكانت ديارهم في نجد حيث الجبلان المعروفان بجبلي طيّ وهما أجا وسلما وكانوا يسكنون في اطراف اليمامة في نواحي تيماء وكانوا يدينون اولاً بالوثنية . وقد ذكروا لهم صنماً كانوا يعبدونهُ يسمَّى الفُلْس او الفَلْس لم يتفقوا في تعريفهِ . وما لا يُنكر انَّ النصرانية كانت كثيرة الانتشار بينهم . قال ابن واضح اليعقوبي (١ : ٢٩٨) : « تنصَّر من احياء العرب ... من اليمن طيّ ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم » فجعل طيّئاً في مقدَّمة القبائل المتنصرة . وقد اخبر ابن العبريّ في تاريخهِ الكنسي (Barhebræi Chronicon Eccl., III, 100) انَّ « احودما » المفريان سنة ٨٧٠ لليونان (اي ٥٥٩ للمسيح) تنقل بين العرب الطائيين وردَّ كثيراً منهم . وكان اسم الطائيين عند السريان يعمّ كل العرب لكنهم يخصصون بهِ بني طيّ ايضاً ويذكرون نصرانيتهم . ومن آثار النصرانية في طيّ اديرة للرهبان في انحائهم مرَّ لنا ذكرها . كدير عمرو في جبال طيّ (ياقوت ٢ : ٦٨٢) وكدير الثعالب لبطون من طي قريباً من بغداد (ياقوت ٢ : ٦٥٠) . ومن مآثر النصارى الطائيين

انّ قوماً منهم وضعوا الخطّ العربي كما شهد على ذلك قدماء الكتبة (راجع المشرق ٤ : ١٩٠١) ص ٢٧٨) وقد صرّح مؤلفو العرب بنصرانية كثيرين من الطائيّين كحنظلة الطائي بأني دير حنظلة (ياقوت ٢ : ٦٥٥) الذي بسببه تنصّر النعمان صاحب الغريين . وكاياس بن قبيصة بن ابي عفراء الذي ملك مدّة بالحيرة . وكابي زُبيد الشاعر النصراني وكعدي بن حاتم الطائي سيد بني طيّ قال ابن سعد في وفادات العرب (Skizzen, IV, ٥١) : « عدي بن حاتم كان على النصرانية » ومثلهُ ياقوت (٣ : ٩١٣) . والمستشرقون اليوم مجمعون على نصرانيّة طيّ . وقد مرّ بك قول الرحالة بلغراف (ص ١٢٢) . وكذلك العلّامة ڤلهوسن (١ خصّ طيّئاً بالعلائق القديمة مع النصرانيّة وختم قولهُ بهذه الالفاظ « لو لم يظهر الاسلام لاضحت بعد زمن قليل بلاد شمالي العرب من البحر الاحمر الى خليج العجم كلها نصرانيّة (٢ »

٢٦ ﴿ عاملة ﴾ قبيلة ينتسبون الى عاملة بن سبا من بني قحطان وقد سكنوا العراق ثمّ انتقلوا الى جهات الشام واليهم تنتسب جبال عاملة . وكانوا يدينون بالنصرانية كجميع عرب الشام . وقد ذكر البلاذري بني عاملة في فتوح البلدان (ص ٥٩) في جملة العرب المتنصرين الذين حاربوا في تبوك رسول الاسلام سنة ٩ للهجرة مع الروم ولخم وجذام . وكذلك الطبري في تاريخهِ (ج ١ ص ٢٣٤٦) تظم عاملة في جملة احلاف الروم . قال في تاريخ سنة ١٤ : « لمّا اصافت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل انطاكية ومعهُ من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبليّ وعاملة وتلك القبائل من قضاعة وغسّان بشر كثير »

٢٧ ﴿ العباد ﴾ قال ابن خلكان (éd. de Slane, 98) : « العباد عدّة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى يُنسب اليهم خلق كثير منهم

---

١) اطلب كتابهُ عن اديان العرب : Wellhausen : *Reste arab. Heidentums*, p. 231

٢) وهذا نصّهُ الاصلي : « In der Mitte zwischen den Qudâa und der Rabi'a-Tamim hatten die Taiji, vielleicht von Mesopotamien her, alte Beziehungen zum Christentum. Waere nicht der Islam dazwischen gekommen, so waere voraussichtlich binnen kurzem das ganze noerdlich Arabien, vom Roten bis zum Persischen Meerbusen, christlich gewesen. »

عديّ بن زيد العبادي الشاعر ٥. وقد روى هشام بن الكلبيّ (اطلب تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٦٩ — ١٧٠) عن نصارى العرب في العراق ما نصهُ :

وكانت بيوتهم على ريف العراق ينزلون الحيرة وكانوا ثلث فرق : الاولى تنوخ ومنهم قضاعة ... وكانوا يسكنون بيوت الشعر والوبر ويضربونها غربي الفرات بين الانبار والحيرة وما فوقها فأنفوا من الاقامة في مملكة اردشير وخرجوا الى البريّة . والثانية العباد الذين كانوا يسكنون الحيرة واوطنوها . والثالثة الاحلاف الذين نزلوا بهم من غير نسبهم ولم يكونوا من تنوخ الناكثين من طاعة الفرس ولا من العباد الذين دانوا بهم فلك هؤلاء الاحلاف الحيرة والانبار وكان منهم عمرو بن عدي وقومهُ ...

امّا تسميتهم بالعباد فانّ أبا الفرج في الاغاني (١١ : ١٦٢) علّلها بكونهم قاتلوا سابور ملك العجم واتّخذوا كشعارهم « يا آل عباد الله فسُمّوا العباد »

٢٨ ﴿ عبد الدار ﴾ كانوا فرعاً من لخم وسكنوا مدّةً مكّة وكانت لهم فيها الرفادة والسقاية . ثمّ لحقوا بعرب العراق وتنصروا وسكنوا الشام وجبال فلسطين (١

٢٩ ﴿ عبد القيس ﴾ هي قبيلة من ربيعة كانت ساكنة في تياء وبصرى وبلاد البحرين وكانت النصرانية غالبة عليها ووفدت على محمد سنة ٨ للهجرة مع سيدها بشر بن عمرو المعروف بالجارود وكان نصرانياً (٢ . ومن هذه القبيلة كان بحيرا الراهب النسطوري (٣ . قال الخفاجيّ في نسيم الرياض وشرحهِ على الشفاء (ج ٢ ص ٢٣) : « بحيرا اسمهُ جرجس ويقال جرجيس بياء كان من عبد القيس نصارى تياء او بصرى » . ومنهم الرئاب ابن البراء الشنّي قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩٧) : « وكان (الرئاب) على دين عيسى عليهِ السلام وكانوا سمعوا في الجاهلية منادياً ينادي: ألا انّ خير الناس رئاب الشنّي »

٣٠ ﴿ عبس وذبيان ﴾ هما ابنا بغيض بن غطفان من قبائل مضر (٤ . ليس لدينا شواهد صريحة على نصرانيتها وانما يستدلّ عليها ببعض الدلائل فمن

١) اطلب سيرة محمد (Sprenger III, 432) ثم (Wellhausen, *Skizzen*, IV, 108)

٢) اطلب تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٠١) ثم Sprenger III, 372 وWellhausen, *ibid.* 155)

٣) اطلب مروج الذهب طبعة باريس (٣ : ٢٥٧)

٤) اطلب تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٠٥ — ٣٠٦)

ذلك تنصُّر قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سيد بني عبس في ايَّام داحس والغبراء . قال ابن الاثير في تاريخهِ (١: ٢٤٢ — ٢٤٣) انـهُ تاب الى ربهِ « فتنصر وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهَّب بهِ ». وكذلك الربيع بن زياد احد اعيان بني عبس كان منادماً لملك الحيرة النعمان بن المنذر مع سرجون بن توفيل (ويروى نوفل) وكان النعمان نصرانيًّا وسرجون ايضاً نصراني رومي (١ فلا يُحتمـل ان يكون الربيع بن زياد من عبـدة الاصنام . وادلُّ من ذلك على النصرانيَّة في عبس ظهور رجل بينهم من بني مخزوم بن عبس يدعونهُ خالد بن سنان ويذكرون انهُ كان نبيًّا . قال ابن دريـد في الاشتقاق (ص ١٧٠): « ذُكر عن النبي صلعم انـهُ قال (عن خالد بن سنان): ذاك نبيٌّ ضيعـهُ قومهُ » . قال العصاميّ في كتاب سمط النجوم العوالي في انبـاء الاوائل والتوالي (٢ : « روي انَّ خالد بن سنـان كان في زمن كسرى انو شروان وانهُ كان يدعو الناس الى دين عيسى وكان بارض بني عبس واطفأ النار التي كانت تخرج من بئر هناك وتحرق من لقيتهُ من عابر سبيل » . وذكر العصامي في الكتاب عينهِ نبيًّا آخر لبني عبس اسمهُ حنظلة ابن صفوان (ص ٦٩) قال انهُ دعا قومهُ الى الله تعالى وصنع المعجزات ثمَّ قتلهُ قومهُ

امَّا ذبيان فشقيقة عبس ولا يبعد انها دانت بالنصرانية . وما لا ينكر انَّ شاعرها الكبير النابغة الذبياني كان نصرانيًّا بشهادة تاج العروس (١: ٣٣٧) نقـلًا عن الصغاني والاصمعي قال في بيان معاني الصليب : « والصليب العلَم . قال النابغة :

ظلَّت اقاطيعُ انعامٍ مؤبَّلةٍ لدى صليبٍ على الزوراء منصوبِ

. . . وقيل سمَّى النابغة العلَمَ صليباً لأنهُ كان نصرانيًّا »

٣١ ﴿ عِجل ﴾ قبيلة كبيرة من بكر بن وائل وهم عِجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم اخوة بني حنيفة وكلهم نصارى كما سبق فتبعتهم عجل في دينهم . وعجل احدى قبائل النصارى التي ظفرت بالعجم يوم ذي قار (٣ وكان سيدهم حنظلة بن ثعلبـة بن سيَّار العجلي وكان على شيبان هانئ بن

١) اطلب الاغاني (١٤: ٩٤ و ١٦: ٣٢) ثمَّ شعراء النصرانيَّة (ص ٧٨٩)

٢) من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة (ص ٦٩)

٣) اطلب الاغاني (ج ٢٠ ص ١٣٣ — ١٤٠)

قبيصة النصراني (الاشتقاق لابن دريد ص ٢١٦) . وقد روى ابو الريحان البيرونيّ في كتاب الآثار الباقية (ed. Sachau, p. 314) « انّ العذارى النصرانيّات من العرب صُمن شكرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار فنُصروا عليهم » ثم نسب اليهِ صوم العذارى الواقع يوم الاثنين بعد عيد الدنح ويدوم ثلثة ايام — وبقيت عجل على نصرانيتها حتى بعد ظهور الاسلام فحاربت خالد بن الوليد وجيوش المسلمين تحت قيادة جابر بن بُجير وعبد الاسود النصرانيين كما روى الطبري (ج ١ ص ٢٠٣٢—٢٠٣٣) وابن خلدون (ج ٢ (تتمة) ٨٠) وقال كلاهما هناك انّ عبد الاسود وجابر كانا سائرين في نصارى العرب « من عجل وتيم اللات وضُبيعة » . ولم يعدل بنو عجل عن نصرانيتهم الى ايام بني امية والدليل على ذلك ان الطبري صرّح بنصرانية سيّد بني عجل أَبجر بن جابر (الطبري ج ١ ص ٣٤٦٠) . وبقي ابنهُ حجّار على دينهِ كما يشهد عليهِ هجاء قالهُ فيهِ الشاعر عبدالله بن الزبير وكان حجّار من اشراف اهل الكوفة ودونك الشعر (الاغاني ١٣ : ٤٦ — ٤٧) :

سليلَ النصارى سُدْتَ عِجلًا ومَن يكن كذلك اهلٌ ان يسود بني عِجلِ
ولكنهم كانوا لئامًا فسُدْتهم ومثلك من ساد اللئام بلا عقلِ
وكيف بعجل ان دنا الفصحُ واغتدت عليك بنو عجل ومرجلكم يغلي
وعندك قسّيس النصارى وصُلْبها وغانية صهباء مثل جنى النحلِ

فغاظ هذا الشاعر بني عجل لمّا تهدّدوهُ بالقتل لهجوهِ سيدهم فقال :

تُهدّدني عجلٌ وما خلتُ انني خلاةٌ لعجل والصليبُ لها بعلُ . . .

يريد اكرام بني عجل للصليب على مالوف عادة النصارى

٣٢ ﴿ عُقيل ﴾ بطن من كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من غطفان . كان يسكنون اليمامة وكان اهل اليمامة كما سبق من اتباع النصرانيّة . وقد خصّوا بالذكر عُقيلًا وذكروا لهم اساقفة . ولمّا ظهر الاسلام دانوا بهِ مدة حتى وفاة محمد ثم ارتدُّوا الى دينهم فاضطرّ ابو بكر الصديق الى ان يرسل اليهم بعثةً لمحاربتهم وكان قسم من بني عُقَيل يسكنون ايضاً في الجزيرة عند نهر خابور مع نصارى تغلب وبكر (راجع ص ٩٤)

٣٣ ﴿ غسّان ﴾ لا حاجة الى الاطالة في ذكر نصرانيّة غسّان وقد مرّ لنا كلام مُسهب في ذلك . وليس بين كتبة العرب من يعدّد القبائل المتنصرة الّا

ذكر في مقدّمتها او في جملتها قبيلة غسّان كالاصطخري في مسالك الممالك (ص ١٤) واليعقوبي في تاريخه (١: ٢٩٨) وابن سعد في كتاب الوفادات (ed. Wellhausen, *Skizzen*, IV, 7) والسيوطي في المزهر والفيروزابادي في مقدّمة المحيط (١). واشتهر منهم بنو جفنة ملوكهم الذين امتدحهم النابغة الذبياني بحسن الدين فقال:

مجلّتهم ذات الالـه ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

٣٤ ﴿ فَرَسان ﴾ هي قبيلة من تغلب واليهم نُسبت جزائر فَرَسان. قال ابن الحائك في كتاب الاكليـل (٢): «من جزائر اليمن جزائر فَرَسان وفَرَسان قبيلة من تغلب كانوا قديمًا نصارى ولهم في جزائر فرسان كنائس قد خربت وفيهم بأس... ويحملون التجار الى بلد الحبش ولهم في السنة سفرة وينضمّ اليهم كثير من الناس ونُسّاب حمير يقولون انهم من حمير». وفي تاج العروس (٤: ٣٠٦) «انّ فَرَسان لقب عمران ابن عمرو... بن تغلب قيل لقّب بهِ لجبل بالشام اجتاز فيهِ وسكن ولدهُ بهِ ثمّ ارتحلوا باليمن ونزلوا هـذه الجزيرة فعُرفت بهم فلمّا اجدبت نزلوا الى وادي مَوزَع فغلبوا عليهم وسكنوا هنالك. ومن الفَرَسانيين جماعة يقال لهم التغالب يسكنون الربع اليماني من زبيد»

٣٥ ﴿ قُرَيش ﴾ أتينا في مطاوي كلامنا عن مكّة بذكر آثار النصرانية في مكّة بين قُرَيش مع الشواهد على ذلك. فليراجع

٣٦ ﴿ قُضاعة ﴾ أشرنا مرارًا الى نصرانيّة هذه القبيلة التي كانت تُعد من امّهات القبائل والى نصرانيّة بطونها كجرم بن ريّان وسليح وكلب بن وَبَرة وتيم اللات. وممن صرّحوا بدينهـا النصراني ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ قال (١: ٢٣٤): «كانت قضاعة اوّل من قدم الشام من العرب... فدخلوا في دين النصرانية فملّكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب». وقـد مرّ قول الفارابي (اطلب المزهر ١: ١٠٥) عن نصرانية قضاعة. ومثلهما الفيروزابادي حيث

---

١) وممّن اتّسعوا في تاريخ غسّان العلّامة نُلدك في كتابهِ (Die Ghassanischen Fürsten aus dem Hause Ǵafnas). وكذلك الرحّالة دوسّو وصفهم بالتحمّس الديني في النصرانية (Dussaud: *Les Arabes en Syrie avant l'Islam.*) فقال عنهم: (Les Ghassanides... fervents chrétiens et fondateurs de monastères, p. 52)

٢) اطلب معجم البلدان لياقوت (٣: ٨٧٣–٨٧٤)

قال: «كانت النصرانيَّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وبعض طيّ» وقد افادنا ياقوت في معجم البلدان (٢: ٦٥٨) انَّ دير خِندِف في نواحي خوزستان قد بنتهُ ليلى القضاعيَّة المعروفة بخندف امّ ولد الياس بن مضر (١

٣٧ ﴿ القين ﴾ او بلقين هم بطن من قضاعة بنو القين بن جسر بن الاسد بن وَبَرة ومن الشواهد على نصرانيتهم ما رواه الطبري في تاريخهِ (١: ٢٣٤٧) عن هرقل انَّهُ سنة ١٤ للهجرة سار لمقاتلة المسلمين في اليرموك وكان معهُ من القبائل النصرانيَّة المستعربة «لخم وجُذام وبَلقين وبَليّ وعاملة وتلك القبائل من قضاعة» وكانت هذه القبائل حاربت مع الروم سابقاً في تبوك سنة ٧ للهجرة (٢

٣٨ ﴿ كلب ﴾ بن وَبَرة قبيلٌ عظيم من قضاعة يُقسم الى عدَّة بطون. وهم من اعرق العرب في النصرانيَّة واقدمهم عهداً فيها. كما رأيت في تاريخ الشام والجزيرة (٣ وقد عُرفت قبيلة كلب بشرفها وعزّها. ومن امرائها النصارى زُهير بن جناب احد المعمرين. ومنهم بَجدل بن أنيف النصراني حمو معاوية بن سفيان كان لهُ كنيسة في دمشق. ومنهم دَحية بن خليفة قال ابن دُرَيد (في الاشتقاق ٣١٦): «هو الذي كان جبريل عليهِ السلام ينزل في صورتهِ (كذا)». ومنهم فرافصة النصرانية زوجة عثمان وقد دعت ابنةً لها بريم. وبقيت كلب مدَّة على نصرانيتها بعد الاسلام الّا بعضهم وفي المقتضب لياقوت (٤: اسلمت كلب غير مدره كانوا نصارى». وفي سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٢) «انَّ محمداً دعا الى الاسلام قوماً من كلب يُعرفون ببني عبد الله فلم يقبلوا منهُ. وكانت كلب تسكن بقاع الشام حتى نُسبت اليها. قال ياقوت في معجم البلدان (١: ٦٩٩):

«البقاع.. يقال لهُ بقاع كلب قريب من دمشق وهو ارض واسعة بين بعلبك وحمص

---

١) وقد اقرَّ بنصرانية قضاعة العلّامة ڤلهوزن فقال: «كل قبيلة قضاعة كانت متنصّرة في القرن السابق للاسلام» (In dem Jahrhundert vor dem Islam hatten alle Quda'a-staemme es (das Christentum) angenommen. Wellhausen: *Reste arab. Heidentums*, p. 231)

٢) اطلب (Sprenger: *Das Leben d. Mohammad*, III. 292,295) راجع ايضاً تاريخ الطبري (١: ١٨٧٢)

٣) اطلب الباب التاسع من الفصل الاوَّل (ص ١٠٤–١٠٥) ثم راجع تاريخ ابن خلدون (٢: ٢٤٩)

٤) اطلب (Lammens: *Etudes sur Mo'awia*, 287-289)

ودمشق فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة غيرة وآكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل يقال لهذه العين عين الجرّ. وبالبقاع هذه قبر الياس النبي عم (١)»

٣٦ ﴿ كندة ﴾ سبق الكلام عن كندة ونصرانيَّة اهلها في اثناء كلامنا عن النصرانيَّة في الحجاز ونجد. وقد روى ابن هشام عن ابن اسحاق في سيرة الرسول ثباتهم على دينهم بعد ظهور نبيّ المسلمين قال (ص ٢٨٢): « اتى (النبيّ) كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال لهُ مُليح فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسهُ فابوا عليه » ومن رجال كندة عبد المسيح عاقبُ نجران في اوَّل الاسلام والعاقب عندهم دون السيد. ومنهم ايضاً جُحيَّة بن المضرَّب الشاعر الذي ادرك الاسلام ومات على نصرانيتهِ كما روى في الاغاني (٢١ : ١٦)

٣٧ ﴿ لخم ﴾ احد احياء اليمن الكبرى الشهيرة بنصرانيتها. قال صاحب السيرة الحلبية (٣ : ٩٥): « ومن القبائل المتنصرة بكر ولخم وجذام ». وكذلك اليعقوبي (١ : ٢٩٨) جعل لخماً من جملة القبائل النصرانيَّة في اليمن. ومثلها السيوطي في المزهر (١ : ١٠٥). وبقيت لخم على دينها زمناً بعد الاسلام فتراها محاربةً لجيوش المسلمين مع جُذام وعاملة وغسَّان (اطلب فتوح البلدان للبلاذري ص ٥٩ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٨١). ومن لخم كان ملوك الحيرة الذين روينا اخبارهم وذكرنا تنصُّر كثيرين منهم. ومن لخم كان بنو عديّ بن الذميل النصارى الاشراف الذين ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢٦) بيعتهم في الحيرة

ومن اللخميين بنو صالح الذين اختارهم يوستنيان ملك الروم لحراسة دير طور سينا كما ذكر ابن بطريق في تاريخهِ (راجع طبعتنا ص ٢٠٤). وذكر كتبة العرب عدَّة اديرة وبيعاً بناها اللخميون كدير علقمة ودير حنظلة اللخمي وبيعة عدي بن الذميك (لعلَّها الذميل) اللخمي (ياقوت ١ : ٧٩٦)

٣٨ ﴿ مازن ﴾ بطن من الازد كانوا في العراق يدينون بالنصرانيَّة. وقد ذكر لهم البلاذري في فتوحاتهِ (ص ٢٨١) بيعةً فقال: « وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الازد من بني عمرو بن مازن وهم من غسَّان »

٣٩ ﴿ مَذحج ﴾ قبيلة يمنيَّة تنتسب الى مذحج وهو مالك بن ازد بن ادد بن كهلان. ذكرها ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ (١ : ٢٩٨) مع القبائل المتنصرة

١) لعلَّهُ يشير بذلك الى « قب الياس » لكن قبر الياس النبي لا يُعرف مكانهُ

فقال: « تنصّر من اليمن طيءٌ ومذحج الخ » . وكانت مذحج تسكن في جهات الموصل (ص ٩٤) ومن مذحج كان بنو الحارث بن كعب اهل نجران المشهورون برسوخ قدمهم في الدين النصراني

٤٠ ﴿ معدّ ﴾ ابو القبائل العدنانيَّة . ورد ذكر نصارى معدّ واساقفة معدّ في تواريخ السريان كما سبق . وكثيرًا ما كانوا يطلقون اسم المعدّيين على العرب المتنصرين كقولهم جرجس اسقف المعدّيين (١ وكذلك كانوا يدعون بني كلب النصارى بالمعدّيين (ܡܥܕܝܐ ܐܘܟܝܬ ܟܠܒܝܐ) ومثلهم بنو عقيل (ܡܥܕܝܐ ܕܡܢ ܒܢܝ ܥܩܝܠ) (٢

٤١ ﴿ مَهَرة ﴾ حيٌّ عظيم من قضاعة ونصارى مثلهم ينتسبون الى مهرة بن حيدان وكانوا يسكنون اليمن مع الحميريين وكان اميرهم عند ظهور الاسلام الحارث بن عبد كلال وفد على نبيّ المسلمين كما روى الطبري (ج ١ص ١٧١٧) مع ملوك حمير

٤٢ ﴿ ناجية ﴾ هم بنو ناجية بن عِقَال قوم الفرزدق ينتهي نسبهم الى تميم . ولنا على نصرانيتهم في الجاهليَّة شاهد باهر في ما رواه الطبري في تاريخ سنة ٣٨ (ج١ ص ٣٤٣٤ — ٣٤٣٥) حيث حدَّث عن ابن الطُّفيل ما حرفهُ :

« قال كنتُ في الجيش الذي بعثهم عليٌّ بن ابي طالب الى بني ناجية فقال : فانتهينا اليهم فوجدناهم على ثلث فِرَق فقال اميرنا لفرقة منهم : ما انتم . قالوا : نحنُ قومٌ نصارى لم نَرَ دينًا افضل من ديننا فثبتنا عليهِ . فقال لهم : اعتزلوا . وقال للفرقة الأُخرى : ما انتم . قالوا . كنّا نصارى فاسلمنا فثبتنا على اسلامنا فقال لهم : اعتزلوا . ثم قالوا للفرقة الاخرى الثالثة : ما انتم . قالوا : نحن قوم كنا نصارى فاسلمنا فلم نَرَ دينًا هو افضل من ديننا الاوّل فقال لهم : أسلموا . فابوا فقال لاصحابهِ اذا مسحتُ راسي ثلاث مرات فشدوا عليهم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذرّيَّة فجيءَ بالذرّيَّة الى عليّ فجاء مصقلة بن هُبيرة فاشتراهم بمائتي الف فجاء بمائة الف فلم يقبلها عليّ فانطلق بالدراهم وعمد اليهم مصقلة فاعتقهم ولحق بمعاوية فقيل لعليّ : الّا تأخذ الذرّيّة . فقال : لا . فلم يعرِض لهم

٤٣ ﴿ النبط ﴾ سواء عُدَّ النبط من العرب او من عنصر آخر لا شكّ انهم اختلطوا بالعرب في انحاء شتى من بادية الشام وارياف العراق وتخوم مصر . . وتديُّنهم بالنصرانيَّة قديم تشهد عليهِ عدَّة شواهد لكتبة السريان واليونان والعرب

١) اطلب Land: *Anecdota Syriaca*, I, 47 (٢ Smith: *Thesaurus Syr. s. v.* ܡܥܕܝ

رويناها في الفصل الاوَّل الباب الثالث. وقد صرَّح بذلك قزما الرحَّالة الهندي في القرن السادس للمسيح وغيرهُ كثيرون. وكان لهم كنائس يطيفون بها في مناسكهم واليها اشار متمم النويري يصف ناقتهُ :

بجُجدَّةٍ عنسٍ كأن سَراتَها فدَنٌ تُطيف بهِ النبيط مرفَّعُ

٤٤ ﴿ النَّخع ﴾ بطن من مذحج السابق ذكرهم. كانوا نصارى يسكنون نواحي نجران. ومنهم كان بنو عبد المَدان بن عُلة بن سعد العشيرة وهو مذحج من سادة اليمن. وكان زُرارة النخعي من اشرافهم وفرسانهم. قال ابن سعد في الوفادات (ed. Wellhausen, *Skizzen*, IV, ٦٩) : « هو زرارة بن قيس بن الحرث بن عدَّاء وكان نصرانياً » وجاء مثل ذلك في أسد الغابة لابن الاثير (ج ٢ ص ٢٠٢)

٤٥ ﴿ النمر بن قاسط ﴾ حي من ربيعة نزلوا في الجزيرة مع بني تغلب وبني بكر. وقد سبق في ذكر تاريخ عرب الجزيرة أنَّهم دانوا كلهم بالنصرانيَّة وفي المعارف لابن قتيبة « ان تنوخ وغمر وكلب ثلاثتهم اخوة ». وفي فتوح البلدان للبلاذري (ص ٢٤٧) انَّ بني النمر بن قاسط حاربوا خالد بن الوليد في عين تمر مع تغلب واياد والقبائل العربيَّة المتنصرة. وكانوا سنة ١١ للهجرة حاربوا المسلمين في البحرين مع شيبان وتغلب (الطبري ج ١ ص ١٩٧٣)

٤٦ ﴿ يشكُر ﴾ فرع من بني بكر كانوا يدينون بالنصرانيَّة كاخوتهم من بكر. وكانوا من جملة العرب الذين حاربوا العجم يوم ذي قار. وكانوا محالفين للخميين ويحاربون معهم وكفى بذلك دليلاً على دينهم

هذا ما امكنَّا جمعهُ من آثار النصرانيَّة في قبائل العرب ولو سمح لنا الوقت بمراجعة كثير ممَّا لدينا من المطبوعات والمخطوطات لوجدنا ادلَّة غير التي ذكرنا. ولا بُدَّ هنا من تنبيه القرَّاء الى امر مهمّ وهو ان قدماء الكتبة ما كانوا غالباً ليكترثوا بذكر اديان قبائل العرب لاسيما قبل الاسلام فيطلقون عليهم اسم الجاهليَّة او اسم المشركين دون الافراز بين النصارى وغيرهم. وكانوا لا يرون في نصرانيتهم امرًا غريباً على خلاف اليهود فانهم اذا ذكروا قبيلة يهوديَّة عرَّفوا دينها سواء ارادوا بذلك تعييرها او قصدوا بيان اصلها الاجنبي

(تمَّ الجزء الاول. ويليهِ الجزء الثاني في الآداب النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة)

افادات واصلاحات

(ص ٨ س ٥—١٢) وممن فنّدوا رأي رينان في التوحيد الغريزي بين قدماء العرب المستشرق الشهير يوسف هالوي (Joseph Halévy) في مقالاتهِ عن الكتابات المكتشفة حديثاً في بلاد العرب (١) بهمّة الرحالين اليها كالانكليزي دوغتي (Doughty) والقنصل الفرنسوي هوبر (Huber) والاستاذ اوتنغ (Euting) وكذلك العلّامة الاثري فيليب برجه (Ph. Berger) في كرّاستهِ عن كتابات تيماء (Inscriptions de Teimâ) ويتضح من هذه الاكتشافات ان عبادة الاصنام كانت شائعة في جزيرة العرب ومنظمة فلها هياكل وكهنة وذبائح وآلهة متعدّدون خلافاً لما زعم رينان رغبةً في معاداة الوحي

(ص ١٠ س ٢١ وهذا بعض قول اسحاق الانطاكي (ed. Bickell, I. 244-246) في الزُّهرة وعبادتها عند العرب ثم عدولهم الى دين المسيح

ܠܗܢ ܟܘܟܒܐ ܕܒܚܝܢ ܗܘ̈ܘ	ܫܪ̈ܒܬܐ ܕܒܢ̈ܝ ܗܓܪ
ܘܢܫ̈ܝܗܘܢ ܐܝܟ ܟܠ ܢܫ̈ܝܢ	ܐܝܬ ܕܫܦ̈ܝܪܢ ܘܐܝܬ ܕܣܢ̈ܝܢ
ܘܡܢ ܕܐܦܢܝ ܥܪ̈ܒܝܬܐ	ܠܘܬ ܫܡܫܐ ܕܙܕܝܩܘܬܐ
ܟܦܪ̈ܝ ܒܗ ܒܗܘ ܟܘܟܒܬܐ	ܕܒܣܪܝܩܐ ܦܠܚܢܗ̇
ܓܒܪ̈ܐ ܠܪܝܫܐ ܐܬܟܦܦܘ	ܘܢܩ̈ܒܬܐ ܠܡܪܕܘܬܐ
ܘܢܫ̈ܐ ܕܪ̈ܒܝ ܒܗ ܒܩܘܕܫܐ	ܒܦܘܠܚܢܐ ܚܠܦܘܗ̇ ܠܟܘܟܒܬܐ

ܘܚܠܛ̈ܝ ܥܡܢ ܒܨܠܘܬܐ

« لهذا الكوكب (اي الزهرة) كانت قبائل ابناء هاجر (العرب) تقدّم الذبائح (لتنال نساؤهم موهبة الحسن والجمال) لكنّ نساءهم كبقية النساء فمنهنّ جميلات ومنهنّ قبيحات . ومنذ اقبلت النساء العربيّات على (عبادة) شمس البرّ (اي المسيح) فانهنّ جحدن (عبادة) ذاك الكوكب (الزهرة) الذي عبدنَهُ باطلًا . فانّ اولئك الافراء (اي العرب) حنوا رؤوسهم للنير واناثهم (خضعن) للتأديب . والنساء اللواتي تربّين في المقدس (اي البيعة) ابدلن (عبادة) الزهرة بعبادة المسيح واختلطن معنا بصلاتهنّ »

(ص ١٢ س ١١) في تاريخ الجاهلية لابي الفداء (Fleischer: *Abulfedæ Hist. anteislamica*, p. 180) ما حرفهُ عن اصنام العرب قال :

١) اطلب مقالاتهِ المعنونة (Découvertes épigraphiques en Arabie) نشرها في مجلة الدروس اليهودية (Revue des Etudes Juives, IX, 1884, p. 1 et 164)

« وصفٌ (من العرب) عبدوا الاصنام وكانت اصنامهم مختصة بالقبائل فكان ودّ لكلاب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ونسر لذي الكلاع بارض حمير ويعوق لهمذان (لهمدان) واللات لثقيف بالطائف والعزّى لقريش وبني كنانة ومناة للاوس والخزرج وهُبَل اعظم اصنامهم وكان هُبَل على ظهر الكعبة وكان اساف ونائلة على الصفا والمروة »

(ص ١٤ س ١٧ ذو الخَلَصة) المرجَّح ان ذا الخَلَصة لم يكن صنماً بل بيتاً او بالحريّ بيعةً نصرانيَّة لقبائل اليمن . قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٤٦١):

« الخَلَصة بيت اصنام لدوسٍ وخثعم وبجيلة . . . وقيل هو الكعبة اليمانيَّة التي بناها ابرهة بن الصبَّاح الحميري . . . وقيل كان ذو الخلصة يسمَّى الكعبة اليمانيَّة وبيت الحرم الكعبة الشاميَّة »

وقد ذكر ياقوت الكعبة اليمانيَّة في محلّ آخر (٢ : ٧٠٣) ودعاها بدير نجران وعليهِ يجب القول ان القبائل التي كانت تحجُّ اليها اعني خثعم وبجيلة ودوس كانت نصرانيَّة

(ص ١٦ س ٢ الذبائح) جاء في شرح المفضليات لابن الانباري (ed. Lyall, p. 228-229) في قول سلامة بن جندل « كأنَّ اعناقها انصابُ ترجيب.» انَّ العرب « كانوا يذبحون في رجب »

(ص ٣٠ س ١٢ نصرانية غسَّان) يضاف الى ما ورد هنالك لليعقوبي قولهُ (ج ١ ص٢٣٣) بعد ذكرهِ لتنصر بني سليح في الشام: « وتنصرت غسَّان مملكةً من قبل صاحب الروم » وجعل تنصُّرها على عهد « جَفنة بن عليَّة (ثعلبة) بن عمرو بن عامر » . وكذلك الفيروزابادي في مقدّمة قاموسهِ: « انَّ كثيرًا من ملوك الحيرة واليمن تنصَّروا واما ملوك غسَّان فكانوا كلهم نصارى » وقد افادنا ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٧١) عن اخبار غسان بعد الاسلام ما حرفهُ : قال :

« وقامت غسان بعد منصرفها من الشام بارض القسطنطينية حتى انقرض ملك القياصرة فتجهَّزوا الى جبل شركس وهو ما بين بحر طبرستان وبحر نيطش الذي يمدّه خليج القسطنطينية وفي هذا الجبل باب الابواب وفيهِ من شعوب الترك المتنصرة والشركس واركس واللاص وكسنا ومعهم اخلاط من الفرس واليونان »

(— س ٢٢) أَصلح : كتاب التنبيه والاشراف (بالفاء)

(ص ٣٣ س ١١ — ١٢ تنصر القيصر فيلبس العربي) قال اوروزيوس (اوروشيوس) المؤرخ الاسباني في القرن الخامس للميلاد عن فيلبس العربيّ « ان فيلبس سبق كلّ الامبراطرة (القياصرة) في دينهِ بالنصرانية Hic (Philippus-

Arabs) primus Imperatorum omnium Christianus fuit- (*Paul-Orose*, *Hist*.VII, c. 20)

(ص ٣٥ س ١٩—٢٥ ماوية) جاء في تاريخ سوزمان (Sozomène, H. E., V, c. 1) انّ الروم لمّا ساروا لمحاربة الغوطيين الزاحفين على القسطنطينية استعانوا بفرقة من العرب الخاضعين لماوية

(ص ٣٦ س ١٦ نفي الشهداء في بلاد العرب) قال تاودويطس المؤرخ في القرن الخامس عن ڤالنس القيصر الروماني « انّهُ نفى كثيرين من المعترفين بالايمان في الرها الى حدود العرب » « Qui (Valens) multos confessarios fidei Edessenos in finibus Arabiæ dispergi jussit (*Theodoret*, H.E. IV. 18)

(ص ٣٧ س ٥) اصلح: غسان . . . وحوران — س ٢٣ : Dussaud

(— س ١٣ اساقفة العرب) وقد ذكر القديس ابيفانيوس في القرن الرابع (Epiphanius : *Anaceph.* n° 12) اساقفـةً اقيموا على قُرى العرب (μητροκωμίαι 'Αραβίας)

(ص ٣٩ س ١٧) اصلح: judéo-chrétiens

(٤٠ س ٣ البلقاء) ومن مدن البلقاء عمّان . وفي وفادات العرب لابن سعد (ed. Wellhausen, 20) انّ فروة بن عمرو الجذاميّ كان عاملاً على عمّان من ارض البلقاء وكان نصرانيًّا فاسلم عند ظهور الاسلام فغضب عليهِ هرقل وقتلهُ صلبًا

(ص ٤٥ س ١٣ و ٢٦ اضطهـاد دقيوس) اخبر اوسابيوس في تاريخهِ (Eusèbe, H. E., VI, c. 39) « انّ كثيرين من النصارى هربوا الى بلاد العرب لمّا ثار اضطهاد القيصر دقيوس »

(ص ٥٣ س ١٤) أصلح: يُنسب اليهم

(ص ٥٤ س ١٦ الفيلسوف النصراني پنتانوس في بلاد العرب) راجع في مجلة الكلّيّة الكاثوليكيّة (Université Catholique, 1853 XXXV, p. 329) للمستشرق البلجكيّ نيف (F. Nève) مقالة مسهبة يثبت فيها انّ الهند المذكورة في تاريخ پنتانوس انّما هي اليمن ليس الّا قال :

« Quand nous lisons (dans Eusèbe) que Démétrius archevêque d'Alexandrie donna en 189 à S. Pantène la mission d'annoncer l'Evangile dans les Indes, nous ne pouvons entendre par ce terme que l'Arabie Heureuse ».Cfr. aussi *Annales de Philosophie, 3e série,* t. XIII, XIV (p. 7) et XV »

(ص ٥٦ س ٧-٨ . الرحمان) اسم الرحمان ورد مرارًا في الكتابات الحميريّة المكتشفة حديثًا ولاسيا في الكتابات النصرانيّة اطلب مجلة الاسيويّة الالمانيّة (Fell: *Sudarab. Studien,* ZDMG, 1900, LIV, p. 252)

(ص ٦٠ س ١٠ . شهداء نجران) راجع في المجلة الاسيويّة الالمانية ZDMG) XXXV, 1881, 1-75) مقالة مطوّلة في الآثار العربية والسريانيّة والحبشيّة المنوطة باخبار اولئك الشهداء للعلّامة الالماني فال (Fell : *Die Christenferfolgung in Südarabien)*

(ص ٦٢ س ١٥) اصلح : J. Halévy

(— س ٢٤ . سدّ مأرب) في رواية كتبة العرب عن هذا السدّ اشارة الى نبيّ دعا اهل اليمن الى التوحيد فابوا الاصغاء اليهِ فعاقبهم الله بانفجار هذا السدّ . فنجد في خبرهم عينهِ مع ما فيهِ من المزاعم الباطلة اشارة الى الدعوة النصرانيّة لدى ذكرهم ذلك النبي الذي دعاهم الى الله فقتلوهُ وهو على رأينا احد دعاة النصرانية وشهدائها في اليمن . دونك شيئًا من روايتهم نقلًا عن كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته (ed. de Goeje, p. 114):

«كان اهلها (اي اهل سبأ) . . . اغنياء صاحب صامت ومواشي فلم يكونوا يرون لاحد على انفسهم طاعةً الّا لمن قد ملّكوه على انفسهم وانقادوا لرئاستهِ وكان لهم اوثان يعبدونها فبعث الله عزّ وجلّ اليهم نبيًّا اقام فيهم زمانًا يدعوهم الى الله فكذبوه فاوعدهم وخوّفهم وحثهم على شكر الله على ما انعم عليهم فلم يلتفتوا الى قولهِ واستهانوا بهِ وقالوا: آتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وذبحوه ذبحًا . . . . فانبثق ذلك السدّ واتى على اهل هاتين المدينتين (يريد سبأ المنقسمة الى مدينتين عظيمتين) . . . . . فلمّا حلّ بهم هـذا الحدث آمنوا بالله وسألوه العفو واتابوا وخضعوا فقبل الله تعالى ذلك منهم وقوّاهم وجمع كلمتهم وأيّد امرهم . . »

(ص ٦٤ س ١١-١٢ . كنيسة صنعاء) قرأنا في احد مخطوطات باريس (de Slane, Mss. Arab. *Paris,* Ms 701 ff. 71) عنوانهُ « تاريخ صنعاء اليمن لاحمد الرازي » كتبهُ سنة ٣٩٠ (١٠٠٠ م) ما حرفهُ:

« حدّث غسّان بن ابي عبيد قال دخل عيسى بن مريم صلّى الله عليه في موضع الكنيسة (يريد في صنعاء !) فاتخذ النصارى الكنيسة بصنعاء على اثر مصلّاه. وهذه الكنيسة في وقتنا خربة وهي اسفل زقاق المنصبين في صنعاء في الجانب الغربي محاذية لبيعة اليهود التي هي اليوم باقية بصنعاء. وقد بقي من هذه الكنيسة ضبر شبه اسطوان على حرف الطريق الى سوق العطارين والى درب دمشق. وقد ادركتُ عقودًا كثيرة كانت باقية الى سنة ٣٩٠ »

(ص ٦٨ س ١٤. حضرموت) روى الطبري في تاريخهِ (ج ١ ص ١٨٥٢—١٨٥٦ و ٢٠٠٥—٢٠٠٧) ان قسماً من قبيلتي السكون والسكاسك النصرانيتين كانوا يسكنون في حضرموت

(ص ٦٩ س ٨. النصرانية في سُقُطرى) وممن اثبتوا دخول النصرانية في جزيرة سقطرى المؤرخ فيلوستورج (Philostorge, P. G., LXV, p. 470-482) من كتبة القرن الرابع للمسيح. وبقيت النصرانية فيها اجيالًا طويلة بعد الاسلام. قال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٣٧) : « وظهر المسيح فتنصر مَنْ فيها (اي جزيرة سقطرى) الى هذا الوقت ». وفي معجم البلدان لياقوت (٣ : ١٠٢) : ان في سُقُطرى « من جميع قبائل مَهرة وبها عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى » ثمَّ قال « واماً اهل عدن فانهم يقولون لم يدخلها من الروم احد ولكن كان لاهلها رهبانية ثم فنوا وسكنها مهرة وقوم من الشراة »

ومثلهما الشريف الادريسي في القرن الثاني عشر (ed. Jaubert. I. 47). وافادنا الرحَّالة مركو پولو في اواخر القرن الثالث عشر انَّ سقطرى كانت خاضعة لبطاركة الكلدان الذين كان يرسلون لها مطارنة. عُرف منهم مار دوا سنة ٨٨٠ وقرياقوس سنة ١٢٨٢ فغلبت النسطوريَّة على اهلها. ولمَّا دخلها البرتغاليون سنة ١٥٠٣ وجدوا اهلها نصارى كان استولى على جزيرتهم حديثاً عرب اليمن سنة ١٤٨٠ فحاربوهم سنة ١٥٠٧ وضبطوا جزيرتهم مدَّة

(— س ٢١. القديس فرنسيس كسفاريوس) لم ينسَ القديس كسفاريوس جزيرة سقطرى بعد رحلتهِ الى الهند بل ارسل اليها مرسلين يسوعيين بلغ عددهم سنة ١٥٤٩ اربعةً وتبعهم غيرهم من المرسلين سنة ١٥٦٢. الّا ان غزوات العرب المتوالية لم تعد تسمح لهم بالسكنى هناك (راجع مقالة مطوّلة للكاتب الفرنسويّ رومانه دي كليو (F. Romanet de Caillaud) في مجلّة الارض المقدّسة (La Terre

وترجمة حياة القديس فرنسيس كسفاريوس Sainte. 1889, pp. 174 et 187) الجديدة للاب برو (A. Brou: *St François Xavier*. I. 120)

(ص ٧٠ س ١١ البحرين) ومن المحدثين الذين اشاروا الى تنصُّر عرب البحرين قبل الاسلام الرحّالة بالغراف (Palgrave) في سفرهِ الى اواسط جزيرة العرب (ج٢ ص ٢٠٢) . راجع ايضاً ما نقلناه عن ياقوت (٣ : ٨٧٣ — ٨٧٤) في ذكر فَرَسان (ص ١٣٧)

(ص ٧٧ س ١٢ — ١٥ . تنصر امرئ القيس البدء) وقد سبق الطبريَّ ابنَ خلدون في رواية تنصر امرئ القيس حيث قال في تاريخهِ (ج ١ ص ٨٣٤—٨٣٥) :

« وكان من عمّال سابور بن ازدشير وهرمز بن سابور وبهرام بن سابور بعد مهلك عمرو ابن عدي على فُرَج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذٍ ابنٌ لعمرو بن عدي يقال لهُ امرؤ القيس البدء وهو اوَّل من تنصر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمّال ملوك الفرس »

وفي مروج الذهب للمسعودي (٣ : ١٩٩) انَّ امّ امرئ القيس البدء كانت غسّانية اسمها مارية اخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسّان

(ص ٨٧ س ٢٢—٢٣ . النعمان ابن شقيقة) نقل ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٧١) عن البيهقي ان النعمان ابن الشقيقة « هو اوَّل من تنصر » وقد رأيت سابقاً ان امرء القيس البدء هو اوَّل ملوك المناذرة المتنصرين قبل ذلك بزمن طويل

(ص ٨٩ س ١٥—١٦ . تنصُّر المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء) يزاد الى ما روينا ما قالهُ ابو الفداء في تقويم البلدان (ed. Reinaud, p. 299) :

« كانت الحيرة منازل آل النعمان بن المنذر وبها تنصَّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة » . ومن الحيرة كان احد كبار السيّاح المعروف بمار يوحنّان الذي تنسّك في جبل الإزل في (Chabot : *Le livre de la Chasteté.*, p. 28) دير معرّتا . قال مؤلف كتاب العفاف السرياني (ܟܬܒܐ ܕܢܟܦܘܬܐ) انهُ « كان من الحيرة عربيّ الاصل من اسرة شريفة وبعد ان درس في مدرسة نصيبين ترهّب في دير معرتا وكرّمهُ الله بعمل المعجزات »

(ص ٩٠ س ١٠—٢٠) هذا الخبر المرويّ عن المنذر رواه المؤرخ اللاتيني وكتور التوني (Victor Tununensis, †556) المتوفى سنة ٥٥٦ م في تاريخ سنة ٥١٢ بما حرفهُ :

« Alamundarus Saracenorum rex a defensoribus Synodi Chalcedonensis baptizatus, Theopaschitas episcopos a Severo Antiochensi episcopo ad se cum litteris missos, barbaram mirabiliter propositionem concludens atque superans. Deum immortalem ostendit » (*Migne* P. L., LXVIII, p. 95)

(ص ٩٢ س٣٠. تنصر النعمان بن المنذر) زعم عمرو بن متى (ed. Gismondi, p. ٤٨) وسليمان بن ماري (Id. p, ٥٦) ان النعمان بن المنذر مرض مرضاً شديداً فشفاه الاسقفان النسطوريان شمعون اسقف الحيرة وسبريشوع اسقف لاشوم مع الراهب ايشوع زخا. وانهُ اعتمد من بعدهِ ولداه المنذر والحسن قال: « وكان الحسن اشدّهم تمسكاً بالنصرانية وكان لا يمنع تقدُّم المساكين اليهِ اذا دخل البيعة »

(ص ١٠٢ س ٢٣) اصلح : « بل في القرى ايضاً تعددت... الكراسي الاسقفية ليس في المدن فقط »

(ص ١٠٦ س ١٧) اصلح: الباب العاشر

(ص ١١٢ س ٥. النصرانية في المدينة) ومن الآثار المثبتة بوجود النصرانية في المدينة دير كان على جبل قريب من المدينة يدعى بسَلع فنُسب اليه دير سَلع وقد ذكرهُ الطبري في تاريخهِ وكان هذا الدير صار بعد ذلك في ايدي اليهود فجعلوه مقبرة وفيه دُفن الخليفة عثمان بعد قتلهِ (راجع الطبري ج ١ ص ٣٠٤٧)

(ص ١١٤ س ٢١. ابو عامر الراهب) هو ابو عامر عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن امية من بني عمرو بن عوف ذكره ابن الاثير في اسد الغابة (٤ : ٨٨) وذكر في تاج العروس (٤ : ١٧٣ له ابنةً تدعى شموساً

(ص ١١٩ س ٥. الحنيف بمعنى النصراني) جاء في العقد الفريد لابن عبد ربّهِ في وصف يوم الغبيط (٣ : ٨٨) « انَّ عتيبة قال لبسطام بن قيس سيد بني بكر: استأسر لي... فناداه بسطام: ان كررتَ فانا حنيف. وكان بسطام نصرانياً »

(ص ١٢٥ س ٧. بهراء) شهد على نصرانيتهـا ايضاً ابن حوقل في المسالك والممالك (ص ١٨) قال « انَّ بعضهم (اي بعض العرب) تنصر ودان بدين النصرانية مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام »

(ص ١٢٦ س ٢٤ — ٢٥) محمد بن حمران كان من نصارى مذحج وكان معاصراً لامرئ القيس وهو الذي سمَّاه امرؤ القيس بالشويعر. امَّا محمد بن خزاعي

فكان من بني ذكوان بطن من سُلَيم قدم على ابرهة ملك اليمن فتنصر ومات على دينهِ (Sprenger : *Mohammad*, I, 161)

(ص ١٢٨ س ١٤-١٩) وصية الحرث بن كعب) قد وجدنا هذه الوصية في كتب أُخرى منها خطية ومنها مطبوعة كما رويناها. ثم وقفنا على رواية مختلفة اثبتها العلامة غولتسيهر (Goldziehr) في كتابهِ (Abhandl. z. arab. Philologie, XLIII) وفيها يقول الحارث « انهُ على دين شُعيب » وروايتنا هي الاصحّ كما يلوح من القرائن. وقد روى ايضاً غولتسيهر « أُسيَد بن خزيمة » بدلًا من « اسد »

(ص ١٢٩ س١٥) ومن المحدثين الذين صرَّحوا بنصرانية بني حنيفة ارنلد (Arnold Mulheisen : *Islam and its Relations to* X^y, p. 34) وكذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ عن معاوية (ص ٤٣١)

(ص ١٣٠ س ٣. خثعم) قد ذهلنا عن ذكر نصرانية قبيلة خثعم. وقد شهد على الامر ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٧٠٣) حيث قال عن دير نجران في اليمن وهو المسمَّى كعبة نجران او الكعبة اليمانية (راجع صفحة ١٤٣):

«وكان بنو عبد المدان بنوهُ مربَّعاً مستوي الاضلاع والاقطار مرتفعاً عن الارض يُصعد اليهِ بدرجة على مثال بناء الكعبة فكانوا يحجونهُ هم وطوائف من العرب ممن يحلّ الاشهر الحرم ولا يحجّ الكعبة ويحجهُ خثعم قاطبة »

فبقوله انَّ بني خثعم كانوا يحجون دير نجران اوضح بنوع صريح نصرانيتهم. وبنو خثعم كانوا ينتسبون الى خثعم بن انمار بن نزار بن معد بن عدنان. وكانوا يسكنون في البحرين وفي اليمن مع عبد القيس وبجيلة وحاربوا سابور ملك الفرس مع اياد (C. de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 48-49)

(ص ١٣٢ س ١٣) والى طيّ يُنسب دير سِلسلة الذي كان في جهات الكوفة قبل الاسلام وهو سلسلة بن غنم بطن من طيّ (اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٤٠٣) وهناك كان دير حُرقة ودير امّ عمرو

القسم الثاني

في الآداب النصرانيّة في عهد الجاهليّة

* * *

الجزء الاوّل

اتينا في قسمنا الاوّل بما وقفنا عليه من النصوص التاريخيّة والشواهد الثابتة العيانيّة عن نفوذ النصرانيّة في كلّ انحاء العرب حتى اقصاها بعدًا وانحاها حدًّا ثمّ عدّدنا القبائل التي نسب الكتبة اليها عموماً او الى بعض بطونها التديّن بالدين المسيحيّ

وها نحن اليوم نباشر بالقسم الثاني من كتابنا نجمع فيه ما ينوط بآداب نصارى العرب في الجاهليّة. ونريد بالآداب كلّ ما خلّفوهُ لنا من مآثرهم في الكتابة واللغة والامثال والحكم والانشاء والشعر والخطب ممّا رواهُ عنهم ائمّة الادباء الذين جمعوا شوارد اللغة العربيّة وآثارها في القرن الثاني بعد الاسلام. فانّ هذه البقايا مع ما تضعضع منها بتوالي الزمان تنبئ بترقّي النصرانيّة بين اهل الجاهليّة وتثبت من وجه آخر سعة نفوذها في جزيرة العرب. ويُضاف الى هذه الآثار الادبيّة عادات ألفها عرب الجاهليّة قبل الاسلام واستعاروها من النصارى فتجدهم في اطوار حياتهم الدينيّة والمدنيّة يتقلّدونهم ويأخذون مآخذهم حتى لا نكاد نرى في بعض الانحاء اثرًا من وثنيّتهم السابقة. فكلّ هذه الظواهر يشهد عليها الشعراء القدماء والرواة الذين نقل الكتبة المسلمون عنهم اخبار الجاهليّة فنثبتها على علّاتها مع الاشارة الى مواضعها كما فعلنا سابقاً

الفصل الاوّل

النصارى والكتابة العربية

اوّل خدمة أدّاها نصارى العرب لقومهم تعليمهم الكتابة · وهي قضيَّة يشهد عليها تاريخ الكتابة العربيَّة واصولها

لمّا ظهر الاسلام في العشر الثاني من القرن السابع للمسيح لم تكن جزيرة العرب كما زعم البعض حديثة العهد بالكتابة. وانما كانت الكتابة شائعة في بعض الانحاء دون غيرها · فكان لاهل اليمن كتابة يسمّونها المسند شاعت في بني حمير بينها وبين الكتابة الحبشيَّة في كثير من الحروف شبه ظاهر. وكانت حروفها منفصلة · وقد وجد سيّاح الفرنج كأرنو وهالوي وغلازر من آثارها في هذه السنين الاخيرة الوفاً من الكتابات يرقى عهد اوّلها الى ما قبل المسيح بنحو ٤٠٠ او ٥٠٠ سنة ومنها ما كتب في القرون التابعة للميلاد حتى القرن السادس · وهذه الكتابة التي حلّوا اسرارها ونشروها في عدَّة تآليف صابئيَّة ليست عربيَّة كما ظنَّ البعض منهم كابن خلدون في مقدّمته (٢: ٣٤١ من طبعة باريس) حيث قال: «وكان لحمير كتابة تسمّى المسند ... ومن حمير تعلّمت مضر الكتابة العربيَّة الّا انهم لم يكونوا مجيدين لها»

وكان في جزيرة العرب كتابة أُخرى شاعت في شماليّ بلاد العرب وفي غربيّها وهي الكتابة النبطيَّة وقد ظهرت على صورتين صورة منها مربَّعة الحروف محكمة الصُّنع مع صلابة في شكلها شاعت خصوصاً في شماليّ العرب واستعملوها في النقود والابنية لها علاقة مع الخطّ الآرامي المعروف بالاسطرنجليّ وصورة أُخرى مستديرة الشكل خشنية الصُّنع جرى استعمالها غالباً في نسخ المعاملات والصكوك وما شاكلها

فهذه الكتابة النبطيَّة على صورتيها هي اصل الكتابة العربيَّة. ويدعوها العرب بالجزم اخذوها عن الامم المجاورة لهم · وكان النصارى هم الذين علّموها العرب سواء قيل انّهم وضعوها او انّهم نقلوها كقوم وسط · ولنا على ذلك شواهد تثبت قولنا. فانّ العرب الذين بحثوا عن اصل الكتابة العربيَّة نسبوها الى رجال من

بولان من قبيلة طيّ كانوا على دين المسيح يسكنون الانبار فقاسوها على شكل السريانيّة . قال السيوطيّ في المزهر (١ : ٣٩٠)

« انّ اوّل من كتب بخطّنا هذا وهو الجزم مرامر بن مرّة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة وهم من عرب طيّ . . . علّموهُ اهل الانبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرها فتعلّمها بشر بن عبد الملك (١ وكان لهُ صحبة بحرب بن اميّة لتجارتهِ عندهم فتعلّم حرب منهُ الكتابة . ثمّ سافر معهُ بشر الى مكّة فتعلّم منهُ جماعة من قريش قبل الاسلام وسُمّي هذا الخطّ بالجزم لانهُ جزم اي قُطع من الخطّ الحميري وتعلّمهُ شرذمة قليلة منهم . . . »

وكذلك نقل صاحب الفهرست (ص ٤) عن ابن عبّاس قولهُ :

« اوّل من كتب بالعربيّة ثلثة رجال من بولان وهي قبيلة سكنوا الانبار وانّهم اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطّعة وموصولة وهم مرامر بن مرّة (ويقال مروة) واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة (ويقال جدلة) . فامّا مرامر فوضع الصور وامّا اسلم ففصل ووصل وامّا عامر فوضع الإعجام . وسُئل اهل الحيرة : ممّن اخذتم الخطّ العربي . فقالوا : من اهل الانبار »

ومثلهما ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٢ : ٢٠٥) :

« وحكوا انّ ثلاث نفر من طيّ اجتمعوا ببقعة وهم مرامر بن مرّة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخطّ وقاسوا هجاء العربيّة على هجاء السريانيّة فتعلّمهُ قوم من الانبار وجاء الاسلام وليس احد يكتب بالعربية غير بضعة عشر انساناً »

وروى البلاذري في فتوح البلدان (ص ٤٧١) مثل هذا القول لكنّهُ روى « ببقّة » بدلًا من « البقعة » وبقّة مدينة قرب الانبار . ثم زاد ايضاحاً بقولهِ عن بشر :

« وكان بشر بن عبد الملك اخو أُكَيدر بن عبد الملك بن عبد الجنّ الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين وكان نصرانياً فتعلّم بشر الخطّ العربيّ من اهل الحيرة ثمّ اتى مكّة في بعض شانه فرآه سفين بن اميّة بن عبد شمس وابو قيس بن مناف بن زُهَرة بن كلاب يكتب فسألاه ان يعلّمهما الخطّ فعلّمهما الهجاء ثم اراهما الخطّ فكتبا ثمّ انّ بشرًا وسفين وابا قيس اتوا الطائف في تجارة فصحبهم غَيلان بن سَلَمة الثقفي فتعلّم الخطّ منهم وفارقهم بشر ومضى الى ديار مضر فتعلّم الخطّ منهُ عمرو بن زُرارة بن عُدَس فسمّي عمرو الكاتب ثم اتى بشر الشام فتعلّم الخط منهُ اناس هناك . وتعلّم الخطّ من الثلثة الطائيّين ايضاً رجل من طابخة كلب فعلّمهُ رجلًا من اهل وادي القرى فاتى الوادي يتردّد فاقام بها وعلّم الخطّ قوماً من اهلها »

١) هو اخو صاحب دومة الجندل النصرانيّ (راجع القسم الاوّل ص ١٠٨ و ١٣٠)

قال الشاعر كندي من اصل دومة الجندل يخاطب بني قريش :

لا تجحدوا نعماء بشرٍ عليكمُ فقد كان ميمون النقيبة ازهرا
اتاكم بخطّ الجزم حتى حفظتمُ من المال ما قد كان شتى مبعثرا
واتقنتمُ ما كان بالمال مهملاً وطامنتمُ ما كان منهُ منفّرا
فأجريتمُ الاقلامَ عَودًا وَبدأةً وضاهيتمُ كتّاب كسرى وقيصرا
واغنيتمُ من مَسنَد القوم حميرٍ وما دبَّرت في الكتب اقيال حميرًا

فهذا الخطّ هو الذي بعدئذٍ نُسب الى الكوفة لمّا عُني اساتذة الكوفة بتحسينهِ في اوائل الاسلام . امّا الخطّ الثاني النسخيّ فالظاهر انَّ العرب اخذوهُ من نصارى النبط المجاورين لجهات الحجاز ومن رهبان مدين ووادي القرى الذين ذكرهم شعراء العرب ويؤيّد ذلك قول بعض الكتبة انَّ واضعي الكتابة العربيَّة كانوا من طسم وجديس وقال ابن النديم في الفهرست (ص ٤) والحاج خليفة في كشف الظنون (٣ : ١٤٥) « كانوا من ملوك مَدْين » وذكرا رأي من ادَّعى انهم وضعوا الخطّ العربيّ على اسمائهم وهي ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت » . فذكرُهما لمَدْين وذكر البلاذريّ لوادي القرى يؤيّد قولنا (راجع ما ورد في القسم الاوَّل عن النصرانيَّة فيهما)

وقد وجد العلماء من هـذا الخطّ النسخيّ امثلة عديدة يرتقي عهدها الى عهد الخطّ الآخر . ومن ثمّ لم يعد يجوز القول كما ورد في كتاب القلقشندي عن الخطّ (المشرق ٤ : ٢٨٠) بانَّ « الخطّ الكوفي هو العربي . وانَّ الخطّ النسخي وضعهُ ابن مقلة في القرن الثالث للهجرة » وعلى كلّ حال لا بُدَّ من الاعتراف بفضل النصارى لتشييع الخطّ في جهات العرب

وما عدا هذه الشواهد التي تنسب الكتابة الى قوم من النصارى قد ورد في تراجم الشعراء وقصائدهم ما يشير الى شيوع الكتابة بين النصارى قبل الهجرة . فمن ذلك ما روى صاحب الاغاني (٢١ : ١٩٥) وغيرهُ من قدماء الكتبة عن طرفة والمتلمّس وعن الرسالتين اللتين كتبهما عمرو بن هنـد لعاملهِ المكعبر في البحرين موهماً بانَّهُ يوصي لهما بخير وهو يضمر لهما الشرّ . ففضّ المتلمّس صحيفتهُ واعطاها غلاماً عباديًا من غلمان الحيرة فقرأها لهُ : « باسمك اللهمّ من عمرو بن هند الى المكعبر . اما بعد اذا جاءَك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديهِ ورجليهِ وادفنهُ حيًّا (١) » فلمّا

١) راجع في المشرق (٥ : ١٠١٦-١٠٦٣) تفاصيل هذه القصَّة

عرف مضمونها فرَّ هارباً . امــا طرفة فلم يشأ ان يقف على محتويات صحيفتهِ فمات قتلًا وضُرب المثل بصحيفة المتلمّس للمتهوّر في التهلكة . وفي هــذا دليل على انَّ العباديين وهم قوم من النصارى في جهــات الحيرة كانوا يعرفون الكتابة ويعلّمونها غلمانهم . وفي الاغاني (٥ : ١٩١) ان المرقّش الاكبر واخاهُ حرملة « دفعهما ابوهما الى نصرانيّ من اهل الحيرة فعلّمهما الخطّ »

ولنا دليل اخر في المعلّقات التي زعموا انَّهــا كُتبت على الحرير وعُلّقت على استار الكعبة واخصّ المعلّقات لشعراء من قبائــل نصرانيَّة كتغلب وبكر وكندة ففي كتابتها برهان على شيوع فنّ الخطّ بين النصارى

ومن الادلّة على ذلك مــا جاء في شعراء النصرانيَّة من الاشارة الى الكتابة كقول حاتم الطائيّ (الاغاني ٧ : ١٣٢) :

أتعرف آثار الديار توهُّماً ... كخطّك في رقٍّ كتاباً منمنَما

وقال المرار بن منقذ يصف اخربة دارٍ :

وترى منها رسوماً قد علَتْ ... مثل خطّ اللام في وَحي الزُّبُرْ

ومثلهما لبيد حيث قال :

وجلا السيولَ عن الطلال كأنَّها ... زُبُرٌ تجدُّ متونَها اقلامُها

وسبقهم امرؤ القيس فشبَّه طَلَل الدار بوحي الزبور في عسيبٍ يماني :

لمن طَلَلٌ ابصرتُهُ فشجاني ... كخطّ زبورٍ في عسيبٍ يماني

وقال ايضاً مخصّصاً زَبور الرهبان :

قفا نبكي من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ ... ورسمٍ عفت آياتُهُ منذ أزمانِ
اتت حججٌ بعدي عليها فأصبحت ... كخطّ زبورٍ في مصاحف رهبانِ

وقد افتخر اميَّة ابن ابي الصلت بقومهِ اياد لعلمهم بالكتابة . فقال :

قومي ايادٌ انَّهم أمَمٌ ... او لو أقاموا فتَهزَلُ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ... ساروا جميعاً والقطّ والقلَمُ

القطّ هو الكتاب . وقد بيَّنا سابقاً انَّ بني اياد من اوَّل القبــائل المتنصرة . ومنهم كان لقيط الايادي (راجع القسم الاوَّل ص ٧٥) الذي ارسل لقومهِ صحيفةً ينذرهم فيها بما يتهدَّدهم من الاخطار من جانب كسرى (١ اوَّلها :

١) راجع تاريخ ابن الاثير (١ : ١٥٧ طبعة مصر)

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ الى من بالجزيرة من ايادِ

هذا ومما ينفي كلّ شكٍّ في ما نقوله ان الكتابتين العربيّتين اللتين وُجدتا حتى اليوم من عهد الجاهليّة هما لقوم من النصارى. فاقدمُهما الكتابة التي رسمنا صورتها في القسم الاوّل الباب التاسع (ص ١٠٣-١٠٤) وهي الكتابة المكتشفة في زُبَد في جوار الفرات يرقى عهدها الى السنة ٥١٢ للمسيح اي قبل الهجرة بمئة وعشر سنين وهي في ثلث لغات اي اليونانيّة والسريانيّة والعربيّة تُصرّح بان المشهد الذي أُقيم هناك انما شُيّد تذكارًا للقديس سرجيوس الشهيد وفي اوّلها الاسم الكريم او دعاء له تعالى (١

والاثر الثاني وُجد في حرّان من اعمال بلاد حوران مكتوباً باليونانيّة والعربيّة تاريخهُ ٥٤ قبل الهجرة اي السنة ٤٦٣ لبُصرى و٥٦٨ للمسيح ورد فيه انّ هناك «مرطول» (Martyrium) اي مشهد لتذكار القديس يوحنّا المعمدان هذا اولهُ بالعربيّة

انا شرحبيل بر (بن) طلمو (ظالم) بنيتُ ذا المرطول سنة ٤٦٣ ...

وقد رسمنا مع هذه الكتابة كتابتين اخويين عربيّتين الواحدة بالحرف النبطي وجدها في غارة في الصفا الرحّالة الفرنسوي رينه دوسو وهي مكتوبة على ضريح احد ملوك الحيرة يُدعى امرءَ القيس بن عمرو تاريخ وفاته ٧ كسلول من السنة ٢٢٣ لبصرى الموافق لسبعة كانون الاوّل من السنة ٣٢٨ للمسيح. والاخرى عن صفيحة قرآن كُتبت على الرقّ من القرن الثالث للهجرة وهي خاصّة مكتبتنا الشرقيّة

فكلّ هذه الحجج والبيّنات دعت بالعلماء المستشرقين الى ان ينسبوا الكتابة العربيّة او على الاقلّ انتشارها بين العرب الى النصارى واوّلهم امامهم دي ساسي (B^on S. de Sacy) الذي كتب في هذا الصدد مقالة واسعة اثبت فيها استعارة العرب فنّ الكتابة من نصارى العراق وما بين النهرين قال في المجلّة الاسيويّة (J. A., 1re Série, X. 210-211) مشيرًا اليها:

J'établissais par des preuves de toute espèce que l'écriture ... fut apportée dans le Hedjaz de la Mésopotamie, où les Syrieus l'avaient propagée parmi les tribus arabes qui avaient, du moins en partie, reçu la religion chrétienne, ce culte auquel la mauvaise foi

---

١) اطلب رحلة المسيو دوسو (R. Dussaud) الى بادية الشام (ص ٣١٦، ٣٢٤) وكتاب لزبرسكي (Lidzbarski) في الكتابات الآرامية (ص ٤٨٤)

جدول اقدم الكتابات العربيّة

١ً كتابة عربيّة بخط نبطي تاريخها سنة ٢٢٣ لبُصرى ٣٢٨ للمسيح
وجدها في نمارة من اعمال حوران المستشرق دوسو

صوره الكتابة مأخوذة عن الحجر

رسم الكتابة بالخطّ

تي نفس امرء القيس بر عمرو ملك العرب كلّهِ ذو أسر التاج
ومَلكَ الاسدين وتزارو وملوكهم وهرّب محجو عكدى وجاء
بزجاي (؟) في حَبج نجران مدينت شمّر ومَلكَ معدو وبيّن بنيه
الشعوب ووكّلهنّ فارسو لروم فلم يبلغ ملكٌ مبلغهُ
عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بالسعد ذو ولَدَهُ
رسم الكتابة بخط عربيّ (نقلًا من كتاب دوسو)

صورة القلم الحميري

صور ونصب سعداوم دمدوم

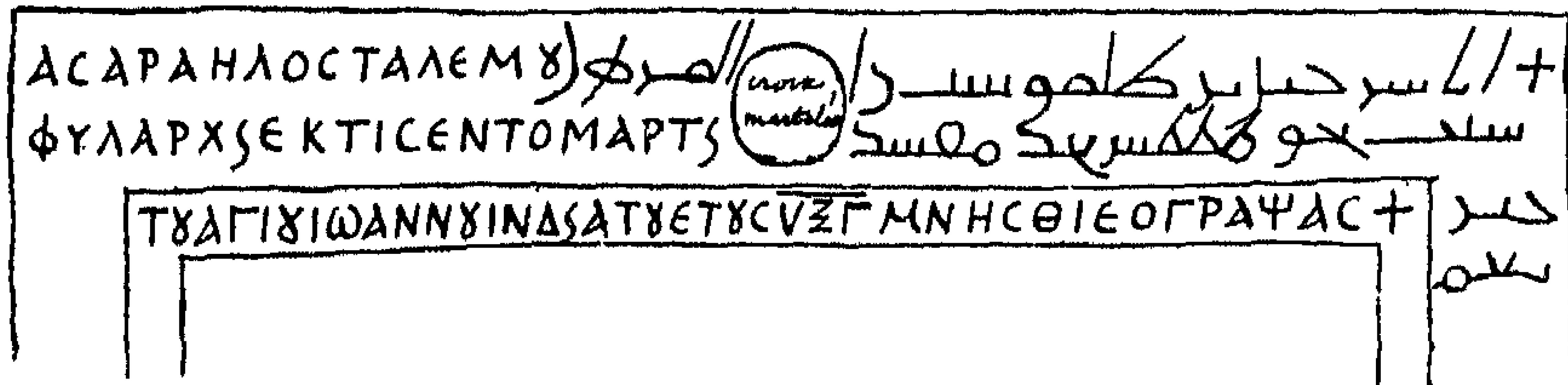
٢ً كتابة زَبَد في ثلث لغات يونانيّة وسريانيّة وعربيّة

على مشهد اقيم ذكرًا لمار سرجيوس تاريخها ٨٢٣ للاسكندر ٥١٢ للمسيح

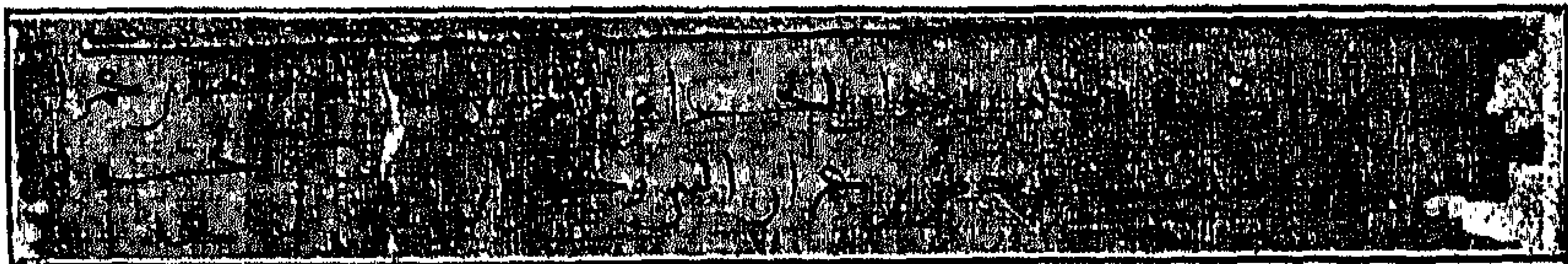
اطلب صورتها في القسم الاوَّل (الصفحة ١٠٤)

٣ً كتابة عربيّة يونانيّة وُجدت في حرَّان من اعمال حوران

تاريخها سنة ٤٦٣ لبُصرى و٥٦٨ للمسيح



٤ً مثال خطّ عربي نسخيّ على البرديّ تاريخهُ السنة ٢٤ للهجرة (٦٤٦ م)



٥ً قطعة من سورة البقرة عن رقّ من القرن الثالث للهجرة في مكتبتنا الشرقية



ودونك رسمها بالحرف الاسطرنجليّ للمقابلة بين الخطَّين

ܘܟܨܝܒ ܡܢ ܐܠܣܡܐ ܦܝܗ ܛܠܡܐܬ ܘܪܥܕ ܘܒܪܩ

وكصيّب من السماء فيهِ ظلمات ورعد وبرق

ܝܓܥܠܘܢ ܐܨܐܒܥܗܡ ܦܝ ܐܕܐܢܗܡ ܡܢ ܐܠܨܘܐܥܩ

يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق

ܚܕܪ ܐܠܡܘܬ ܘܐܠܠܗ ܡܚܝܛ ܒܐܠܟܐܦܪܝܢ ܘܝܟܐܕ ܐܠܒܪܩ ...

حذر الموت والله محيط بالكفرين (كذا) ويكاد البرق ...

a si souvent reproché de favoriser l'ignorance, et qui, comme l'histoire en fait foi, a toujours amené à sa suite l'art d'écrire et le goût pour l'étude.

وقال الاثري الشهير فيليب برجه في كتابهِ عن اصول الكتابة (Ph. Berger: *Histoire de l'Ecriture dans l'Antiquité*, 2^de^ éd., 287) « ان الكتابة العربية وجدت قبل محمَّد وكانت نصرانيَّةً قبل ان تتحوَّل الى اسلاميَّة »

L'écriture arabe existait avant Mahomet, elle a été chrétienne avant d'être musulmane.

ومثلهما المستشرق العلّامة ولهوزن (J. Wellhausen : *Reste arab, Heidentums*, p. 232) أكّد بان الكتابة العربية شاعت اوَّلًا بين النصارى ولاسيما العباديين في الحيرة والانبار فقال :

Die Christen haben das Arabische wol zuerst als Sprichtsprache gebraucht. Namentlich die Ibaedier von Hira und Anbar scheinen sich in dieser Beziehung Verdienste erworben zu haben.

ويوافق هؤلاء الكتبة الدكتور الالماني روثستين (G. Rothstein : *Die Dynastie d. Lahmiden in al Hira*, p. 26) والاستاذ المجري الشهير غولدسير (J. Goldziher : *Muhammedanische Studien*, I, 110)

فهذه الشواهد كافية لتثبت حقيقة قولنا بانَّ الفضل الكبير في تعليم الكتابة العربيَّة للمسلمين يرجع لنصارى العرب وان لم ننكر انَّ لليهود ايضاً حصَّةً في ذلك لا سيا في المدينة كما ذكر البلاذريّ . وكذلك رووا انَّ بعض العرب كتبوا في الجاهليَّة بالعبرانيَّة الَّا انَّ عبرانيَّة ذلك العهد هي الآراميَّة او السريانيَّة كقول صاحب الاغاني (٣:١٤) عن ورقة بن نوفل « انَّهُ كان يكتب بالعبرانيَّة من الانجيل ما شاء » والله اعلم

الفصل الثاني

الالفاظ النصرانية في لغة عرب الجاهليَّة

كثيرًا ما كنّا نسمع في حداثة سنّنا بانَّ اللغة العربيَّة لغة القرآن وانّها كلّها

اسلاميّة وقد قرأنا ذلك في بعض كتب الاوربيّين الذين لم يفقهوا الامر ورموا الكلام على عواهنهِ ولعلّهم قالوا ذلك لأنّ القرآن اوّل كتاب دوّنهُ العرب على الرقّ او الجلد او البرديّ او رقاق العظام . على انّ اللغة العربيّة سبقت الاسلام كما هو معروف ونطقَ بها قبائل شتى منها قبائل نصرانيَّة كشفنا القناع عن دينها المسيحيّ . ثم اثبتنا فضل النصارى في سبقهم الى الكتابة العربيّة

وليست غايتنا هنا ان نتتبّع كلّ مفردات لغتنا الشريفة فنروي ما جاء منها على ألسنة النصارى فانّ ذلك مستحيل اذ كانت العربيّة مع وفرة لهجاتها واحدةً في القبائل النصرانيَّة وغيرها كما انّ لغة النصرانيّ في عهدنا لا تختلف عن لغة المسلم

ومع اقرارنا بذلك يمكننا انْ نجمع عدَّة مفردات وردت في المعجمات العربيَّة القديمة دخلت في اللغة بواسطة نصارى العرب لا سيما شعرائهم . ومجموعها دليل واضح على تأثير النصرانيَّة في لغة اهل الجاهليَّة

وتسهيلًا لبيان الامر نروي هذه الالفاظ على حسب معانيها مباشرةً بالالفاظ الدالَّة عليهِ تعالى وكمالاتهِ واسمائهِ الحسنى

١ الاسم الكريم واسماؤهُ الحسنى في الجاهليَّة

انّ الوثنيَّة كانت عمَّت قبل المسيح كلّ جهات جزيرة العرب كما سبق لنا بيانهُ وشهدت عليهِ الآثار المتعدّدة . فان وجدنا فيها ديانة التوحيد ووصف كمالاتهِ تعالى والفاظًا دالَّة على ذلك بعد المسيح فلا بُدَّ من القول انّ العرب الذين فاهوا بها كانوا موحّدين فهم امّا يهود وامّا نصارى وعلى الاقلّ انّهم استعاروها من اولئك الموحّدين . على انّنا نعرف الجهات التي كان يسكنها اليهود في جزيرة العرب امّا النصارى فكانوا منبثّين في كلّ انحائها فيجب القول بانّ هذه الالفاظ هي غالبًا للمسيحيين دون اليهود

(الله تعالى) لا مراء بانّ اسمهُ عزَّ وجلَّ كالاله الحقّ سبحانهُ وتعالى قد سبق عهد الاسلام وشاع في كلّ انحاء العرب وقد وجدهُ صاحب الشريعة الاسلاميَّة مكرَّمًا معظَّمًا بين ابناء جنسهِ المكيّين فهو يكرّر اسمهُ في القرآن كالاله العظيم الذي ليس فوقهُ إله وان كان بعض منهم يشركون بهِ آلهة غيرهُ دونهُ رتبةً

اماَّ اشتقاق هذا الاسم فلم يتّفق عليهِ كتبة العرب وقد زعموا غالباً انَّهُ عربيّ الاصل وانَّهُ مركَّب من لفظة اله مسبوقة بال التعريف كأنَّهُ « الاله » اختصروه بالله. امَّا علماء اللغات الساميَّة فيجمعون على انَّ هـذا الاسم مشتق من اصل آراميّ (ايل אל) مفخَّم بزيادة الهاء فجاء في الكلدانيَّة والسريانيَّة على صورة آلَهَا (אלהא ܐܠܗܐ) فقالوا بالعربيَّة الله بلام اصليَّة مفخمَّة . وقد جاء الاسم الكريم في الكتابات النبطيَّة والصفويَّة فالنبطيَّة ذكرتهُ منسوباً اليهِ كزيد الله وعبدالله وتيم الله وورد في الكتابات الصفويَّة منفردًا . ولمَّا كانت النصرانيَّة دخلت الى بلاد العرب خصوصاً من جهات الشام وتمكَّنت بين احياء النبط اطلقوا اسم الله في لهجتهم على الاله الحقّ كما شاع بين طوائف السريان ونقلوهُ في اسفار العهدَيْن القديم والحديث منذ اوائل القرن الثاني للمسيح . وخلاصة القول انَّ اسم الله دخل في جزيرة العرب بنفوذ النصرانيَّة خصوصاً . وعليهِ قد تكرَّر هذا الاسم الكريم في الشعر الجاهليّ الذي كان معظمهُ لشعراء نصارى من قبائل نصرانيَّة كربيعة وبكر واياد وغيرهم . ولا نرى حاجة الى ذكر امثلة عديدة لهذه الحقيقة لثباتها وكثرة استعمال اسم الله في الشعر الجاهليّ اماَّ بقيَّة آلهة العرب فقلَّ ما ورد ذكرها اذ كانت الديانة الوثنيَّة قد تقلَّص ظلُّها قبل ظهور الاسلام . وكفى بايراد اقوال بعضهم في الاسم الكريم على صورتَيْه « الله » او « اله » قال زيد بن عمرو (عن رواية ابن هشام) :

الى الله أهدي مدحتي وثنائيا وقولًا رصيناً لا يني الدهرَ باقيا
الى الملك الاعلى الذي ليس فوقَهُ إلهٌ ولا ربٌّ يكون مدانيا
رضيتُ بك اللهمَّ ربًّا فلن أرَى ادين إلهًا غيرك الله ثانيا

وقال الاعشى (شعراء النصرانيَّة ص ٣٦٥) :

وذا النُّصُب المَنصوبِ لا تَسكنَنَّهُ ولا تَعبُـدِ الاوثان والله فاعبدا

وقال بعض الاياديين (كتاب البيان للجاحظ ١ : ١٩٠) :

ونحن ايادٌ عبدُ الاله ورهطُ مناجيهِ في السُّلَّمِ

وقال اميَّة بن ابي الصلت :

إلهُ العالمين وكلّ ارضٍ وربُّ الراسياتِ من الجبالِ

ويقرب من اسم الاله اسم الربّ كقول بن أوس بن حجَر :

اطعنا ربَّنا وعصاهُ قومٌ فذقنـا طَعْم طاعتنا وذاقوا

(الاسماء الحسنى) يريد العرب المسلمون بالاسماء الحسنى صفاتٍ لهُ تعالى تدلُّ على اخص كمالاتهِ عزَّ وجلَّ استخرجوها من بعض اقوال القرآن وعدُّوها ٩٩ اسماً. واسماء الله لا عداد لها كما هو معروف لأنَّ كمالاتهِ تعالى لا يضمُّ بها احصاء ومهما وُصفت بهِ الذات الالهيَّة فما تلك الاوصاف الَّا نقطة من بحر. ولا نتتبّع كلَّ اسم من هذه الاسماء وانَّما نكتفي بما هو ادلُّ على جلالهِ تعالى وعظمتهِ وقدرتهِ وعلمهِ ورحمتهِ فنجدها كلّها سبقت على ألسنة اهل الجاهليَّة واذ كان الله الواحد الصمد قد عرفهُ العرب كما قلنا بواسطة الموحّدين ولا سيما النصارى وجب القول بان هذه الصفات استعارها ايضاً كتبة العرب وشعراؤهم عن الدين النصرانيّ والاسفار المقدَّسة التي كان يتداولها ارباب هذا الدين

وكمالاتهُ تعالى على صنفين صنفٌ منها يعرّف الذات الالهيَّة في نفسها بقطع النظر عن المخلوقات كلّها والصنف الآخر يشعر بصفات العزَّة الالهيَّة بالنسبة الى الكائنات الخارجة عنهُ

فمن الصنف الاوَّل ما دلَّ على وجودهِ تعالى الواجب وقيامتهِ بذاتهِ وجلالهِ وعلمهِ وحكمتهِ وقدرتهِ وغناه وابديَّتهِ. وكلّ هذه الصفات قد عرفها اهل الجاهليَّة من نصارى العرب واستعاروها من الاسفار المقدّسة من العهدين القديم والحديث. فمن ذلك قول اميَّة بن ابي الصلت يصف عظمتهُ وجلالهُ وفي كلامهِ كثير ممَّا ورد في القرآن من الاسماء الحسنى فقال (شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٧):

لك الحمدُ والنعماءُ والملكُ ربَّنا فلا شيء اعلى منك مجدًا وامجدُ
مليكٌ على عرش السماء مُهيمنٌ لعزَّتهِ تعنو الوجوهُ وتسجدُ
عليهِ حجابُ النور والنورُ حولهُ وانهارُ نورٍ حولهُ تتوقَّدُ
فلا بشرٌ يسمو اليهِ بطرفهِ ودون حجاب النورِ خلقٌ مؤيَّدُ

ومنها في وحدانيَّته وصمدانيَّته وملكهِ المتعالي:

فسبحانَ من لا يعرفُ الخلقُ قدرَهُ ومن هو فوق العرش فردٌ موحَّدُ
ومن لم تنازعهُ الخلائقُ مُلكَهُ وان لم تفرّدْهُ العبادُ فُمفرَدُ
مليكُ السماوات الشدادِ وارضها وليس لشيء عن قضاهُ تأوُّدُ

وفي وحدانيَّتهِ وقدرتهِ وبقائهِ قال ورقة بن نوفل (الاغاني ٣ : ١٤):

سبحانَ ذي العرش سبحانًا يعادلهُ ربُّ البريَّة فردٌ واحدٌ صمَدُ
مسخَّرٌ كلُّ ما تحت السماء لهُ لا ينبغي ان يُناوي ملكَهُ احدُ

لا شيء مما نرى تبقى بشاشتهُ يبقى الالهُ ويودي المالُ والولدُ

ولزيد بن عمرو في ربوبيّتهِ وولائهِ وابديّته قولهُ (كتاب البدء والتاريخ ١: ٦٢ وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦):

ألاَ كلُّ شيء هالك غير ربّنا ولله ميراثُ الذي كان فانيا
وليٌّ لهُ من دون كلّ ولايةٍ اذا شاء لم يُمسوا جميعاً تواليا
وان يكُ شيء خالدًا ومعمرًا تأمّلْ تجدْ منْ فوقهِ اللهَ باقيا
لهُ ما رأت عينُ البصير وفوقهُ سماءُ الالهِ فوق سبعٍ سمائيا

وروى الصغاني: «فوق ستّ سمائيا». وسمّاهُ اميّة مقدّساً وذا الجلال فضلًا عن بقائهِ فقال:

فكلّ معمّر لا بُدَّ يوماً وذي الدنيا يصيرُ الى الزوالِ
ويفنى بعد جدّتهِ ويبلى سوى الباقي المقدّس ذي الجلالِ

ودعاهُ زيد بن عمرو (الاتقان للسيوطي ص ١٥٤) بالعزيز والواسع فقال:

انَّ الاله عزيز واسعٌ حَكَمٌ بكفّهِ الضرُّ والبأساءُ والنِعَمُ

فترى في كلّ هذه الابيات عددًا عديدًا من اسمائهِ عزّ وجلّ كالواحد والاحد والفرد والصَّمد والاوّل والآخر والباقي والعزيز والعظيم والكبير والعليّ والمتعالي والمحتجب والماجد والمجيد والقادر والقويّ والقهّار والمقتدر والملك ومالك المُلك وذي الجلال والمقدّس والحقّ والعليم والحكيم والغنيّ وكلّها من اوصافهِ الدالّة على كمالاتهِ الذاتيّة. امّا الصفات الالهيّة المنبئة بالعلاقة بين الخالق والمخلوق فورد منها كثير في الشعر الجاهليّ ومصدرها كما في الصفات السابقة التعاليم النصرانيّة الشائعة في جزيرة العرب. فمن جميل ابيات اميّة بن ابي الصلت قولهُ يصف خالق البريّة (شعراء النصرانيّة ص ٢٢٨):

هو الله باري الخلق والخلقُ كلّهم اماءٌ لهُ طوعاً جميعاً واعبُدُ
وأنّى يكون الخلقُ كالخالق الذي يدومُ ويبقى والخليقة تنفدُ

ووصفهُ هناك بالمحيي المميت:

وتفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي يُميت ويُحيي دائبًا ليس يَجمُدُ

ولهُ في وصف تكوين العالم اقوال كثيرة كقولهِ في السماء (شعراء النصرانيّة ص ٢٢٦)

بناها وابتنى سبعاً شدادًا بلا عَمَد يُرَيْن ولا رجالِ

وسوَّاها وزيّنها بنورٍ من الشمس المضيئة والهلالِ
ومن شُهبٍ تلألأ في دُجاها مراميها اشدُّ من النصالِ
وشقَّ الارض فانبجست عيونًا وانهارًا من العَذبِ الزُّلالِ
وبارك في نواحيها وزكّى بها ما كان من حرثٍ ومالِ

ولقسّ بن ساعدة في الخالق وغايتهِ من الخلق (شعراء النصرانيّة ص ٢١٦):

الحمدُ لله الذي لم يخلق الخَلْق عبثْ

ومثلهُ لعديّ بن زيد وسمّاهُ مسبّحاً وخلّاقاً (شعراء النصرانيّة ص ٤٥٤):

ليس شيء على المنونِ بباقٍ غيرَ وجهِ المسبّح الخلّاقِ

ومما يضاف الى صفتــهِ بالخالق قول اميّة بن ابي الصلت (العرائس للثعلبيّ ص ١١)

اذا قيل من ربُّ هذي السما فليس سواهُ لهُ يضطربْ
ولو قيل ربٌّ سوى ربّنا لقال العبادُ جميعًا كَذِبْ

وسمّاهُ اميّة كبيرًا ومنشئًا ومُحيياً وقديرًا فقال:

مجّدوا الله وهو للمجد اهلٌ ربُّنا في السماء امسى كبيرا
ذلك المنشئ الحجارة والمو تى وأحياهُمُ وكان قديرا

ووصفهُ قسّ بن ساعدة بالمُهيمن (شعراء النصرانيّة ٢١٧):

فاعوذُ بالملك المُهَيْمَن ممّا غالهُ بالبأساء والنحسِ

ونعتهُ اميّة ابن ابي الصَّلت بالسَّليطَط والمقتدر فقال:

انَّ الانام رعايا اللهِ كلّهمُ انَّ السَّليطَطَ فوقَ الارض مقتدرُ

وسماهُ الكريم فقال:

ثمَّ يجلو النهار ربٌّ كريمٌ بمهاةٍ شعاعُها منشورُ

وقال اعشى قيس:

ربّي كريمٌ لا يكدّرُ نعمةً فاذا تُنوشد في المهارق انشدا

وخصّهُ زهير بن ابي سلمى بمراقبة الاعمال والانتقام لها في معلّقتهِ:

فلا تكتمُنَّ اللهَ مـا في صدوركم ليَخفى ومهمـا يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ
يؤخّر فيوضعْ في كتاب فيُـدَّخرْ ليوم الحساب او يعجّـل فيُنقمِ

ودعاهُ اميّة حَكَماً فقال:

لك الحمد والمنُّ ربَّ العبا دِ انتَ المليكُ وانتَ الحكَمْ

وسماهُ عليًّا ومتعاليًا (المرتضى ص ٣١٣)

واشهد انّ الله لا شيْ بعدهُ علياً واسى ذكرهُ متعاليا

ووصفوهُ بالرحمان والرحيم · قال الاعشى (شعراء النصرانيّة ص ٣٩١):

فلئنْ ربُّك من رحمتهِ كشف الضيقة عنّا وفَسَحْ

وقال المثقب العبديّ (شعراء النصرانيّة ص ٤١٥):

لى الرَّحمانُ اقواماً اضاعوا على الوعواع افراسي وعيسي

وقال سلامة بن جندل يصفهُ بالرحمان والجابر والجامع (اطلب طبعتنا ص ١٩)

عجلتم علينا حجّتين عليكمُ وما يشأِ الرحمانُ يَعقد ويُطلقِ

هو الجابرُ العظمِ الكسيرِ وما يشا من الامر يجمعْ بينهُ ويفرّقِ

ويروى: «هو الكاسرُ العظمِ الامينِ». ووصفهُ زيد بن عمرو بالرحمان والغفور فقال (الاغاني ٣: ١٦):

اربّاً واحداً ام الفَ ربٍ ادينُ اذا تقسّمتِ الامورُ

ولكن اعبدُ الرحمانَ ربّي ليغفر ذنبيَ الربُّ الغَفُورُ

وقال اميّة في الرحيم (كتاب الالفاظ لابن السكّيت ٤٩٠)

ثمّ يجلو الظلام ربٌّ رحيمٌ بمهاةٍ شعاعها منشورُ

ودعاهُ الورقة بن نوفل بالسميع المجيب فقال (الاغاني ٣: ١٦):

ادينُ لربّ يستجيبُ ولا ارى ادينُ لمن لا يسمعُ الدهرَ واعيا

اقول اذا صلّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمك داعيا

فهذه الاسماء كلّها من صفات الله تبارك وتعالى تثبت جليًّا بان اهل الجاهليّة المتنصّرين لم يَفُتهم شيءٌ من معرفة الاله الحقّ

٢ السماء والجحيم وما فيهما

كما اقتبس عرب الجاهليّة معارفهم عن الحقّ سبحانهُ وتعالى من نور النصرانيّة ودُعاتها خصوصاً كذلك يجب القول انّهم عرفوا الآخرة بفضلهم وان امكنهم ان يستعيروا شيئاً منها من اليهود الّا انّ اليهود كما سبق لنا القول كانوا متزوين في بعض انحاء جزيرة العرب ولم يختلطوا مع اهلها الّا اختلاطاً يسيرًا على خلاف النصارى الذين رأيناهم في ما مرّ ساكنين في كلّ اقطار العرب لا يخلو منهم حيّ واحد فلا عجب ان يكونوا بثّوا تعاليمهم عن دار الخلود بين اهل البادية والحضر كما نشروا تعريفهم للخالق عزّ وجلّ

(السماء) معلوم انَّ السماء مقام الله حيث يتجلّى للابرار وحيث يسعى في خدمتهِ ملائكة منزّهون عن الهيولي . . . وقد مرّت لنا ابيات لاميّة بن ابي الصلت وصف فيها تلك السماء العليا . فلا حاجة الى تكرارها وانّما نضيف اليها قولهُ في الدارين:

دارٌ دحاها ثمَّ أعمرَنا بها   واقام بالاخرى التي هي امجدُ

وفي هذه السماء العليا قال ايضاً :

فأتمَّ ستًّا فاستوت أطباقُها   وأتى بسابعةٍ فأنَّى تُورَدُ

وتُدعى السماء ايضاً بجنَّة الخُلْد وبالفردوس وجنان عَدْن . قال اميَّة بن ابي الصلت :

ربّي لا تحرمنّي جنَّةَ الخُلْد م وكن ربّي بي رؤوفاً حفيًّا

وقال حكيم بن قبيصة يخاطب ابنهُ بشرًا (في الحماسة ed. Freytag, ٧٩٢)

فما جنّةُ الفردوس هاجرتَ تبتغي   ولكن دعاكَ الخبزُ والتمرُ احسبُ

ومثلهُ لحسَّان بن ثابت (تاج العروس ٤ : ٤٠٥) :

وانَّ ثواب الله كلَّ موحّدٍ   جنانٌ من الفردوس فيها يخلَّدُ

وقال النابغة (المخصَّص لابن سيده ٩ : ٥٦) :

فسلامُ الاله يغدو عليهم   وفيوء الفردوس ذات الظلالِ

وللسماء في الشعر القديم اسماء غيرها منها بِرْقِع وعدن ونعيم قال اميّة بن ابي الصلت (المخصَّص ٩ : ٦) :

وكأنَّ بِرْقِعَ والملائكُ حولها   سَدِرٌ تواكَلَهُ القوائمُ اجردُ

وجاء في عَدْن لهُ ايضاً :

جهنمُ تلك لا تُبقي بغيًّا   وعَدْنٌ لا يطالُها رجيمُ

وقال في النعيم :

لم يُخلَقِ السماء والنجومُ   والشمسُ معها قمرٌ يقومُ
قدَّرهُ المهيمن القيُّومُ   والحشرُ والجنّةُ والنعيمُ
الّا لأمرٍ شأنهُ عظيمُ

وسماها ايضاً دار صِدْق قال :

وحلَّ المتّقون بدارِ صدقٍ   وعيشٍ ناعمٍ تحت الظلالِ
لهم ما يشتهون وما تمنّوا   من الافراح فيها والكمالِ

(الملائكة) واخصُّ ما في السماء الملائكة . ومعلوم ان ذكر الملائكة لم يكنهُ

انْ يتّصل الى العرب الّا بطريقة وَحيٍ سابق ودينٍ شاع فيهِ المعتقد بوجود الملائكة كالنصرانيّة . وقد احسن اميّة في وصفهم فقال :

يتتابعُ المتنصفون بسَجرةٍ في الفِ الفٍ من ملائكٍ تحشدُ
رسلٌ يجوبون السماء بأمره لا ينظرون ثواء من يتقصّدُ
فهمُ كأوب الريح بينا أدبرتْ رجعت بوادي وجهها لا تكردُ
حدْثٌ مناكبهم على اكتافهم زفٌ يزفٌ جم اذا ما استنجدوا
واذا تلاميذُ الالهِ تعاونوا غلبوا ونشّطهم جناحٌ معتدُ
نغضوا باجنحةٍ فلم يتواكلوا لا مبطئٌ منهم ولا مستوغدُ

ولهُ من قصيدة اخرى :

ملائكةٌ اقدامهم تحت عرشهِ بكفّيهِ لولا اللهُ كلّوا وأبلدوا
قيامٌ على الاقدام عانينَ تحتهُ فرائصهم من شدّة الخوف تُرعدُ
وسبطٌ صفوفٌ ينظرون قضاءهُ يصيخون بالاسماع للوحي ركّدُ

وهناك قد ميّز طبقات الملائكة واشار الى عددهم ومختلف اعمالهم ورتبهم كالكروبيم والحرّاس وصرّح باسماء بعضهم كجبرئيل وميخائيل قال :

امينٌ لوحي القدس جبريلُ فيهمِ وميكالُ ذو الروح القويّ المسدّدُ
وحرّاسُ ابوابِ السماوات دونهم قيامٌ عليها بالمقاليد رُصّدُ
فنعمَ العبادُ المصطفَوْن لأمرهِ ومن دونهم جندٌ كثيفٌ مجنّدُ
ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسجّدُ
فساجدُهم لا يرفعُ الدهرَ رأسهُ يعظّم ربًّا فوقهُ ويمجّدُ
وراكعهم يحنو لهُ الدهرَ خاشعًا يردّدُ آلاءَ الالهِ ويحمدُ
ومنهم ملفٌّ في الجناحين رأسهُ يكاد لذكرى ربّهِ يتفصّدُ
من الخوف لا ذو سأمةٍ بعبادةٍ ولا هُوَ من طول التعبّد يُجهدُ
ودون كثيف الماء في غامض الهوا ملائكةٌ تنحطُّ فيهِ وتصعدُ
وبين طباق الارض تحت بطونها ملائكةٌ بالامر فيها تردّدُ

وانشد الكسائي لعلقمة بن العبد يمدح الحارث بن جبلة . وتروى لشاعر من عبد القيس يمدح النعمان وفيها ذكر الملئكة (راجع التاج في مادّة ملك . وشرح بانت سعاد لابن هشام ed. Guidi, p. 42) :

تعاليتَ ان تُعزَى الى الانس خلّةً وللإنس من يعزوكَ فهو كذوبُ
فلستَ لإنسيٍ ولكن لِمَلأكٍ تنزّلَ من جوّ السماء يصوّبُ

ولاميّة ايضاً في الملائكة الموكلين بالمخلوقات السفلى قولهُ (اساس البلاغة ٢ : ١٩٦) :

وتحت كثيف الماء في باطن الثرى ملائكةٌ تنحطُّ فيه وتسمعُ

وقد كثُر ذكر الملاك جبرائيل في الشعر القديم. قال عمران بن حطّان :

والروح جبريلُ فيهم لا كفاء لهُ وكان جبريلُ عند الله مأمونا

وقال حسّان بن ثابت (ديوانهُ طبعة ليدن ed. Hirschfeld, p. 42) :

يا حارِ في سِنَةٍ من نومِ اوّلكم ام كنتَ ويحك مغترًّا بجبريلِ

وقال ايضاً (ib. 15) :

برجالٍ لستمُ أمثالهم أُيّدوا جبريلَ نصرًا فنزَلْ

وقد لقّبهُ حسّان في محلّ آخر بالروح القدس (ib. p. 2) :

وجبريلٌ امينُ الله فينا وروح القدس ليس لهُ كفاء

ويروى: «رسول الله». وكذلك ذكروا الملاك ميخائيل ودعوهُ ميكال قال ورقة بن نوفل :

وجبريلُ يأتيهِ وميكالُ معهما من الله وحيٌ يشرح الصدرَ مُنزَلُ

وذكروا من طغمات الملائكة الكروبيّة وهم الكروبيم وصفهم في تاج العروس «بسادة الملائكة والمقرَّبين الى حَمَلَة العرش». كقول اميّة بن ابي الصلت السابق ذكرهُ (التاج ٢ : ٤٥٤) :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ

وقال في الساروفيم ودعاهم بالسرافيل (كتاب البدء للمقدّسي ١ : ١٦٨ ed. Huart) وعجائب المخلوقات للقزويني (ص ٥٦ ed. Wüstenfeld) :

حُبِس السرافيلُ الصوّافي تحتَهُ لا واهنٌ منهم ولا مستوغِدُ

وممّا وصفه شعراء الجاهليّة في السماء عرشُ الله الذي تكرّر ذكرهُ في الاسفار المقدّسة من العهدين العتيق والحديث. ومن البديهيّ انّ عرش الله ليس شيئاً هيوليًّا مجسّماً وانّما المراد بهِ عزّتهُ تعالى وثباتهُ. قال اميّة وهو غير ما سبق لهُ (الاضداد لابن الانباري ص ٥١)

ملكٌ على عرشِ السماء مهيمنٌ تعنو لعزّتهِ الوجوهُ وتسجدُ

وقال ورقة بن نوفل (الاغاني ٣ : ١٤) :

سبحان ذي العرش سبحاناً يعادلهُ ربُّ البريّة فردٌ واحدٌ صَمَدُ

ويروى: « سبحاناً يدوم له . وسبحاناً يعود له » . ومثل العرش السريرُ قال امية (كتاب البدء والتاريخ للمقدسي ١: ١٦٥):

مجّدوا الله فهو للمجد اهلٌ ربّنا في السماء امسى كبيرا
بالبناء الاعلى الذي سبق الخلـــق وسوّى فوق السماء سريرا
شرجعاً ما ينالهُ بصرُ العـــينِ ترى دونهُ الملائكَ صُورا

فالشرجع الخشبة المربَّعة الطويلة وهي ايضاً العرش والسرير

(جهنّم) ليست معرفة شعراء الجاهليّة بجهنم وعذابات الهالكين ووجود الشياطين دون معرفتهم بالسماء واهلها . قال كعب بن مالك في وصف جهنم (اتقان علوم القرآن للسيوطي ١: ١٥٨):

تَلَظّى عليهم حين أنْ شدَّ حَميُها بزُبر الحديدِ والحجارة ساجرُ

وقال امية بن ابي الصلت (فيه ١: ١٥٩):

فأُركِسوا في حميم النار أنّهمُ كانوا عُتاتاً يقولون الكذب والزورا

ويروى: « في جهنم انهم كانوا عصاة » . وقال وقد اجاد في بيان حال الهالكين (شعراء النصرانيّة ١: ٢٢):

وسيقَ المجرمون وهم عُراةٌ الى ذاتِ المقامع والنكالِ
فنادوا ويلنا ويلًا طويلًا وعجّوا في سلاسلها الطوالِ
فليسوا ميّتين فيستريحوا وكلّهمُ بحرّ النار صالِ

وقال فيهم (خزانة الادب ٢: ٣٤٦):

فهم يَطفون كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ

وقال النابغة الجعديّ مستغفرًا وطالباً النجاة من جهنّم (خزانة الادب ٤: ٤)

يا مالك الارض والسماء ومَن يَفرَقْ من الله لا يَخَفْ إثما
اني امرؤٌ قد ظلمتُ نفسي وإلّا م تغفُ عنّي اغلا دماً كَثِما
أُطرحُ بالكافرين في الدرك م الاسفل يا ربِّ أَصطلي الضَرَما

وقال امية بن ابي الصلت يذكر الابرار ونعيمهم والاشرار وجحيمهم:

هما فريقانِ فرقةٌ تدخلُ م الجنّةَ حفّت بهم حدائقُها
وفرقــةٌ منهم قــد أُدخلت م النــار فساءَهم مرافقُها
لا يستوي المنزلان ثَمَّ ولا م الاعمالُ لا تستوي طرائقُها

وكما جعلوا الملائكة في السماء كذلك عيّنوا جهنّم لابليس وفرقتهِ من الشياطين

والجنّ الذين هبطوا من السماء بخطيئتهم فاخذهم الله بعصيانهم . قال اميّة (لسان العرب ١٥ : ٤٠٩):

وفيها من عباد الله قومٌ ملائكُ ذُلّلوا وهمُ صعابُ

وقال اميّة ايضاً ودعا الشيطان شاطناً (اللسان والتاج والصحاح في مادّة عكا):

أيّما شاطنٌ عصاهُ عكاهُ ثمّ يُلقَى في السجن والاغلالِ

ودعاهُ عديّ بن زيد ابليساً (تاريخ العصامي سمط النجوم العوالي ص ١٩):

وأهبطَ اللهُ ابليساً واوعدهُ نارًا تَلهّبُ بالإسعار والشّرَرِ

وقال اميّة بن ابي الصلت :

وترى شياطينًا تروغُ مُضاعةً ورَواغُها صبرٌ اذا ما يُطرَدُ
تُلقى عليها في السماء مذلّةٌ وكواكبٌ تُرى بها فتُعَرِّدُ

وفي هذه السماء العليا قال ايضاً :

فأتمّ ستًّا فاستوتْ أطباقُها وأتى بسابعةٍ فأنّى تُورَدُ

وقد كثر في الشعر الجاهلي ذكر الدينونة والحساب وما يتبعهما من ثواب او عقاب قال زهير بن ابي سلمى في معلّقتهِ يتهدّد المنافقين بالدينونة :

فلا تكتُمنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومَهما يُكتَمِ اللهَ يَعلَمِ
يؤخّر فيوضع في كتاب فيُدَّخر ليوم الحساب او يُعجَّل فيُنقَمِ

وقال اميّة بن ابي الصلت :

يوقَفُ الناسُ للحساب جميعًا فشقيٌّ معذّبٌ وسعيدُ

وقال النابغة الذبياني يذكر معتقد بني غسّان بالدينونة :

فلا يحسبونَ الخيرَ لا شرَّ بعدَهُ ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازبِ

وقال لبيد (ديوانهُ ص ٢٨ . ed. Huber) :

وكلُّ امرئٍ يومًا سيُعلَمُ سَعيُهُ اذا كُشِفت عند الالهِ المحاصلُ

ويروى في المخصّص (١٢ : ٧١) : « اذا حصلت عند الاله الحصائل » . وروى السيوطي لأُميّة بن ابي الصلت (في اتقان علوم القران ١ : ١٥٨)

ولا يوم الحساب وكان يومًا عبوسًا في الشدائد قَمطرِيرا

وقال اميّة ايضاً (فيهِ . وفي الاغاني ٣ : ١٩٠):

انّ يوم الحساب يومٌ عظيمٌ شابَ فيهِ الصغيرُ شيبًا طويلا
ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في قلال الجبال ارعى الوعولا

كلّ عيشٍ وان تطاول دهرًا منتهى امرهِ الى ان يزولا
واجعلِ الموت نصب عينك واحذرْ غولة الدهر انّ للموت غُولا

وقال ايضاً (خزانة الادب ٤ : ٧) :

لا تخلطنَّ خبيثاتٍ بطيّبةٍ واخلع ثيابك منها وانجُ عريانا
كلّ امرئٍ سوف يجزى قرضهُ حسناً او سيّئاً ومَديناً كالذي دانا

وهم يذكرون مع الدينونة والحساب يوم الحشر وبعث الاجساد وقيامتها من قبورها وجزاء العالمين الاخير. قال اميّة ووصفهُ تعالى بالباعث للموتى :

الوارثُ الباعثُ الاموات قد ضَمِنت ايّامُ الارض في دهر الدهاريرِ

وقال قس بن ساعدة (الشريشي ٢ : ٢٧٥ ومحاضرات ابن العربيّ ٢ : ٦٧٠ وكتاب المعمّرين لابي حاتم السجستاني ص ٧٦) :

يا ناعيَ الموتِ والامواتُ في جدثٍ عليهم من بقايا خزّهم خِرَقُ
دَعْهم فانّ لهم يوماً يُصاحُ بهم فهم اذا انتبهوا من نومهم فَرِقُ (١
حتى يعودوا بحالٍ غير حالهمِ خلقًا جديدًا كما من قبلها خُلقوا
منهم عراةٌ وموتى في ثيابهمِ منها الجديد ومنها الأَوْرَقُ الخَلَقُ

وقال عبيد بن الابرص يذكر القيامة (خزانة الادب ١ : ١٦٠) :

انت المليكُ عليهمِ وهم العبيدُ الى القيامَهْ

وقال اميّة ولهُ السهمُ الافوز في وصف الدينونة وذكر ايضاً العرش وميزان الحساب والزُّبُر اي الاسفار المقدّسة التي اوحى بها الله لهداية العالمين (كتاب البدء ٢ : ١٤٦) :

ويومُ موعدهم ان يُحشَروا زُمرًا يومُ التغابُنِ اذ لا ينفع الحَذَرُ
مستوسقينَ مع الداعي كأنّهمُ رِجلُ الجَرَاد زفتْهُ الريحُ تنتشرُ
وأُبرِزوا بصعيدٍ مستوٍ حرزٍ (٢ وأُنزِل العرشُ والميزانُ والزُّبُرُ
وحُوسبوا بالذي لم يُحصِهِ احدٌ منهم وفي مثل ذاك اليوم مُعتَبَرُ
فمنهمُ فَرِحٌ راضٍ بمبعثهِ وآخرون عصَوْا مأواهم السَّقَرُ
يقولُ خُزّانُها : ما كان عندكمُ أَلم يكُنْ جاءَكم من ربّكم نُذُرُ
قالوا : بلى فتبعنا فتيةً بطروا وغرَّنا طول هذا العيش والعُمُرُ
قالوا : امكثوا في عذاب الله ما لكمُ الّا السلاسلُ والاغلالُ والسَّعَرُ
فذاك عيشهمُ لا يبرحون بهِ طول المقام وان صحّوا وان ضجروا

١) وروى الباقلاني في اعجاز القران (ص ٧٣) : كما ينبّهُ من نوماتهِ الصَّعِقُ
٢) كذا في الاصل . والصواب جَرَزٍ . يقال ارض جَرْز وجَرَز وجُرُز اي مُجْدبة

وآخرون على الأعراف قد طمعوا بجنّة حفّها الرمّانُ والخضَرُ
انّ الانام رعايا الله كلهمُ هو السُّليطَطُ فوق الارض مُقتدرُ

وهو القائل ايضاً في وصف الجحيم والنعيم (المقاصد النحويّة في هامش خزانة الادب ٢ : ٣٤٦ ومنتخب ربيع الابرار Ms Wien, ff 16v)

سلامَك ربّنا في كلّ فجرٍ بريئاً ما تليقُ بك الذُّمومُ
عبادُك يخطئون وانت ربٌّ بكفّيك المنايا والحتومُ
غداةَ يقولُ بعضهمُ لبعضٍ ألا يا ليت أُمّكمُ عقيمُ
فلا تدنو جهنّمُ من بريءٍ ولا عَدْنٌ يحلُّ بها الاثيمُ
فهم يطفونَ كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ
جهنّمُ تلك لا تبقي بغيّاً وعَدْنٌ لا يطالعها الرجيمُ
فلا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها ولا حَيْنٌ ولا فيها مُليمُ
اذا بلغوا التي أُجرُوا اليها تقبّلهم وحُلّل مَن يصومُ
وخُفّفت النذورُ واردفتهم فضول الله وانتهت القسومُ

فهذه الاوصاف كلها لا تُرى في غير الاسفار المقدسة التي كانت في ايدي النصارى فاخذها عنهم شعراء العرب قبل الاسلام. ولاميّة المذكور ابيات ذكر فيها انتظار البشر ليوم الدينونة وظهور المسيح لدين العالم (كتاب البدء ٢ : ١٤٥) :

والناسُ راثَ عليهم امرُ ساعتهم فكلّهم قائلٌ للدين أيّانا (١
ايّامَ يلقى نصاراهم مسيحَهمُ والكائنين لهُ ودّاً وقربانا (٢
هم ساعدوهُ كما قالوا إلهمُ وارسلوهُ يريد الغيث دسفانا (٣

ومعلوم في معتقد المسلمين انّ السيّد المسيح (عيسى) هو الذي ينزل في آخر العالم ليدين العالمين. فكفى بهذه الشواهد دليلاً على انّ كل الالفاظ الواردة في القرآن والحديث عن الدينونة واحوالها قد سبق اليها اهل الكتاب في الجاهلية كما سبقوا الى اسماء الله الحسنى

١) راثَ اي تأخّر. يريد ان الناس يكونون في انتظار الساعة فيقول بعضهم لبعض أيّانا اي متى يحلّ يوم الدين

٢) كذا في الاصل. ونظنّ ان الصواب « الكانتين » اي الخاضعين

٣) الدُّسفان المرسل. يريد انّ المسيح تقدّمهم كالرائد الذي ينتجع الكلأ. ولعلّ في هذا اشارة الى قول السيّد المسيح في انجيل يوحنّا (١٤ : ٢) : « اني ذاهب لاعدّ لكم المكان ». وفي كتاب البدء : وارسلوهُ كسوف الغيب. وفي اللسان : يسوف الغيثَ

٣ الدين ومقاماتهُ ومناسكهُ

كان لعرب الجاهليَّة شركهم كما سبق الَّا انَّ الآثار العربيَّة الباقية من العهد السابق للاسلام قلّما تُشعر بالتوثُّن لنفوذ التوحيد بينهم بفضل الدين المسيحيّ. وها نحن ذا ندوّن الالفاظ النصرانيَّة الواردة في شعرهم المثبتة لقولنا

(الدّين) انَّ لفظة الدين بمعناها الخاصّ اي العبادة لله قد سبقت الاسلام واوَّل ما نجد لفظها في الشعر العربيّ مدلولها الدين النصرانيّ. قال النابغة يمدح ملوك غسّان النصارى بدينهم:

مجلّتهم ذاتُ الاله ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وروى اللسان محلّتهم اي الارض المقدَّسة. ومثلهُ ما انشدهُ نبيّ الاسلام عن شاعر جاهليّ « لمّا افاض من عرفة الى مزدلفة وكان في بطن محسّر الذي كان موقف النصارى » (تاج العروس ٣ : ١٤٠ و٩ : ٣٦٢). وفي الابيات اشارة الى الناقة التي كان راكبها في مسيره الى الحرم:

اليك تعدو قلقًا وضينُها معترضًا في بطنها جنينُها
مخالفًا دينَ النصارى دينُها

وكذلك روينا لورقة بن نوفل النصرانيّ قولهُ (الاغانيّ ٣ : ١٦):

ادينُ لربٍّ يستجيب ولا ارى ادينُ لمن لا يسمعُ الدهرَ واعيا
اقول اذا صلّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد أكثرتَ باسمك داعيا

ولأميَّة في معناهُ قولهُ:

رضيتُ بك أللهمَّ ربًّا فلن ارى ادينُ الهًا غيرك الله ثانيا

ومن حكم عديّ بن زيد قولهُ:

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننًا يبقى ولا ما نرقّعُ

والدين ايضًا بمعنى الحكم والقضاء والحساب. قال السيّد المسيح (متّى ٧ : ١-٢): « لا تدينوا لئلّا تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون » فجاءت اللفظة في الشعر الجاهليّ مقتبسةً عن الآية السابقة. قال خويلد بن نوفل الكلابيّ يخاطب الحارث بن ابي شمّر (التاج ٩ : ٢٠٧):

يا حارِ أيقِنْ انَّ ملكك زائلٌ وأعلم بأن كما تدينُ تدانُ

والى هذا المعنى يعود اسمهُ تعالى بالديّان ورد في الشعر الجاهليّ. وبهِ دُعي

آل عبد المدان بن الديّان سادة بني الحارث بن كعب النصارى « الذين كانوا يتبارَون في البِيَع وزيّها » (البكري في معجم ما استعجم ص ٣٦٧)

(العبد ... المتعبِّد ... العِبَاد ... العبادة) هي ايضاً مفردات سبقت الاسلام ودلُّوا بها على مَن يعبد الله من النصارى . قال النابغة :

لو انّها عرضت لأشمطَ راهبٍ عبدَ الاله صرورةٍ متعبِّدِ ...

وقال اميّة بن ابي الصلت في الملئكة :

فنعم العبادُ المصطفَوْن لأمره ومِن دونهم جندٌ كثيفٌ مجنَّدُ
ملائكة لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسجَّدُ

والعِباد قبائل شتّى من بطون العرب اجتمعوا على دين النصرانيّة فدُعوا بالعباد لزهدهم . ويقال لنسّاك النصارى الأَعابد ايضاً قال ابو دؤاد الايادي يصف مصابيح الرهبان في مشارف الجبال (التاج ٢ : ٤١٠) :

لمنّ كنار الرأس بالعلياء تذكيها الأَعابدْ

وكثيرًا ما يطلقون اسم العباد على كل البشر ولاسيَّما الذين يعبدون الاله الحقّ قال اميّة :

لك الحمدُ والمنُّ ربَّ العبا دِ انت المليكُ وانت الحكَمْ

وقال ايضاً :

ولو قيل ربٌّ سوى ربّنا لقال العبادُ جميعاً كَذِبْ

ومثله العبادة مطلقاً خصُّوها بعزّته تعالى . قال زيد بن عمرو :

ولكن اعبد الرحمان ربّي ليغفر ذنبيَ الربُّ الغفورُ

وقال ورقة بن نوفل :

لا تعبدُنَّ الهاً غير خالقكم فان دعوكم فقولوا بيننا حَدَدُ

(آمن ... ايمان ... المؤمن) كلّ هذه الالفاظ سبقت ايضاً الاسلام فاتّخذها النصارى لاعتقادهم ولعلّهم استعاروها من السريان . وقد وردت في اخبار المتنصّرين في الجاهليّة كرواية اصحاب الكهف (مجاني الادب ٢ : ٢٣٢ — ٢٤٠) ورواية تنصُّر اهل نجران (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٧٥٥) . لا بل ذكرها في القرآن (سورة البقرة ع ٢٨٥) واطلقها على النصارى ايضاً فقال : « والمؤمنون كل من آمن بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورُسلهِ ... لا نفرّق بين احد من رسلهِ » . ومثلها

في سورة آل عمران: « ومنهم المؤمنون... من اهــل الكتاب امّة يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر... »

(العيد) هي من الالفاظ الدينيّة التي استعارها النصارى في الجاهليّة عن الارامين وهي بالسريانيّة « ܥܐܕܐ » . وقد نطق بها امرؤ القيس فقال يصف سرباً من المها اي بقر الوحش :

فآنستُ سرباً من بعيدٍ كأنّهُ رواهبُ عيدٍ في مُلاءٍ مهذّبِ

اشار الى لبس الراهبات في اعياد النصارى للملاء والانسجة الطويلة الاذيال. ومثلهُ تصريحاً قول العجّاج في ثور وحش اعتاد الارباضَ كاعتياد النصارى اعيادهم (الالفاظ لابن السكيت ص ٤٤٦) :

واعتاد ارباضاً لها آريُّ كما يعودُ العيدَ نصرانيُّ

(النذر) ومن عادات النصارى ان يوجبوا على نفوسهم نوافل تقويّة حبًّا بالله. وذلك النذر من السريانيّة « ܢܕܪܐ ». والنذير (נזיר) عند بني اسرائيل المقطوع لخدمة الله. وجاء في قصّة مريم (سورة آل عمران ع ٣١) : « اذ قالت امرأت عمران ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرّرًا فتقبّل مني » . وسبق اميّة بن الاشكر الكنانيّ (راجع حماسة البحتري ع ٥٢٠) فقال :

كم من اسيرٍ من قُرَيْشٍ وغيرها تداركَهُ من سَعْينا نَذْرُ ناذرِ
فلمَّا قدَرْنا انقذَتْهُ رماحُنا فآب الى آلائهِ غيرَ شاكرِ

وورد لاميّة بن ابي الصلت يذكر نذر ابراهيم لابنهِ اسحــاق وفيه ذكر (الاحتساب) وهي ايضاً من الفاظهم الدينيّة بمعنى الثواب والاجر قال (تاريخ الطبري ١ : ٣٠٨) :

ولإبراهيمَ المُوَفّي بنَذْرٍ إحتساباً وحامل الاجذالِ

الى ان قال :

أبُنَيَّ انّي نذرتُك للّــهِ شحيطاً فاصبر فدىً لك حالي

*

ثم للدين مقامــات وابنية مخصّصة بالعبادة شاع عند العرب المسجد والمعبد والمصلّى والمنسك والكعبة.. وكلّ هذه الالفاظ قد سبقت الاسلام واستعملها اهلُ الجاهليّة ولاسيّما النصارى للدلالة على دينهم

(المسجد) قال الزجّاج في تعريفهِ (لسان العرب ٤ : ١٨٨) : « كلُّ موضع يُتعبَّد فيهِ فهو مسجد » . وقد اطلقوها على هيكل اورشليم كقول الطبري في تاريخهِ (١ : ٧٢٩) عن يوسف خطيب مريم : « تولّى يوسف خدمة المسجد » وقال ابن خلدون في تاريخهِ عن العذراء مريم (٢ : ١٤٤) انّ حنّة امّها « جاءت بها الى المسجد فدفعتها الى عبّاده » . وقد مرّ ايضاً ذكر « مسجد مريم » كما ورد في معرفة البلدان للمقدسيّ (ص ٧٧) . ولا نشكّ انّها وردت ايضاً في الشعر القديم . وممّا رواهُ سيبويهِ عن بعض الشيوخ (تاج العروس ٥ : ٤١٩) قولهُ :

اوصاكَ ربُّكَ بالتُّقى وأُولو النُّهى اوصوا معَهْ
فاخترْ لنفسك مسجدًا تخلو بهِ او صومَعَهْ

(قال) الصومعة بيت النصارى . فذكرُ المسجد معها اشارةٌ الى انّها في معناها شائعة ايضاً عند النصارى . وقد ورد اسم المسجد في القرآن (سورة الاسرى ع ١) دلالةً على « المسجد الاقصى » في القدس الشريف

وما قلناهُ عن المسجد يصحُّ ايضاً في المعبد والمصلَّى اي مقام العبادة ومحلّ الصلاة ومكان النسك فانّ هذه الالفاظ كلّها يرتقي عهدها الى الزمن السابق للاسلام

(الكَعْبة) اصلها الغرفة المكعَّبة اتّخذوها الكعبة الحرام في مكّة . وقد استعملها ايضاً النصارى للدلالة على كنائسهم في الجاهليّة كما اشرنا اليهِ في القسم الاوّل من كتابنا (ص ٦٤) عند ذكرنا كعبة نجران وكعبة اليمن دلّوا بها الى كنيسة في نجران قال الاعشى :

وكعبةُ نجران حتمٌ عليكِ حتى تُناخي بابوابها . . . الخ

وكان لكنائسهم حَرَمٌ لا يجوز انتهاك حرمتهِ ان دخلهُ جانٍ أمن على حياتهِ . واجع في المشرق سنة ١٩١٠ (١٣ : ٧١) مقالة قنصل الشام المسيو ن . جيرون في حِمى كنيسة دمشق قبل الاسلام وعلى مثالهِ كان حَرَم مكّة

وفي مساجدهم امكنة خاصّة تُعرف باسمائها كالمِحراب والقبلة

(فالمِحْراب) يراد بها مطلق المسجد . قال صاحب تاج العروس (١ : ٢٠٧) : محاريب بني اسرائيل مساجدهم التي كانوا يصلّون فيها . وكذلك النصارى قد سمّوا صدر كنائسهم المحراب كما دلّ بها المسلمون بعد ذلك على صدر مساجدهم . قال

في القرآن في سورة آل عمران عن زكريّا (ع ٣٢) انهُ كان « يدخل المحراب على مريم » . وتكرَّرت في الشعر القديم قال الاعشى (لسان العرب ٧ : ١٧):

كدميةٍ صُوّرَ محرابها بُمذهبٍ ذي مرمرٍ مائرِ

وقال المسيّب بن علس (التاج ١ : ٢٠٧):

او دميةٌ صوّرَ محرابها او دُرّةٌ شيفَتْ الى تاجرِ

وقال امرؤ القيس (ديوانهُ ص ١٥٣):

كغزلان رملٍ في محاريب اقوالِ

وقال عدي بن زيد (شعراء النصرانيّة ص ٤٥٥):

كدُمى العاج في المحارب اوكا م لَبيْض في الروض زهرُهُ مستنيرُ

وقال وضّاح اليمَن:

ربّةُ محرابٍ اذا جئتُها لم أَلقَها او ارتقي سلّما

ومثل المحراب القِبلة وهي وِجهة المسجد جاءت في الشعر الجاهليّ روى صاحب اللسان (١٤ : ٣١٤) والجواليقيّ في المعرَّب (ed. Sachau, p. 9) لعبد المطلب قولهُ:

عُذت بما عاذَ بهِ ابراهمُ مُستقبِلَ القِبلَةِ وهو قائمُ

(ومما يلحق بالمساجد المنارة) وهي من النور كالسرجة وقيل من النار وقد اشتقّها العلماء من السريانيّة (ܡܢܪܬܐ) بهذا المعنى والمسلمون يريدون بها المئذنة . والمنارة سبقت عهد الاسلام فاستعملها امرؤ القيس في معلّقتهِ بمعنى المصباح كان الرهبان يوقدونهُ لمناسكهم في قمم الجبال ليلاً قال:

تُضيء الظلامَ بالعشاء كأنّها منارةُ ممسَى راهبٍ متبتّلِ

وكانت المناور تُسرَج في الكنائس . ثمَّ اتّخذوها بمعنى المجاز فاطلقوها على الصومعة ومقام الرهبان ومحلّ عبادتهم . وفي الاغاني (٢٠ : ٨٥) وردت المنارة والصومعة بمعنى واحد . وكثيرًا ما كانت صوامع الرهبان مرتفعة مشيَّدة على شبه الابراج بل اكتشف الاثريون في كنائس ما بين النهرين وشماليّ سوريّة عدّة كنائس كانوا شيَّدوا في اعلاها ابراجًا مستديرة او مربَّعة يؤذنون فيها بمناسكهم او يقرعون فيها النواقيس فلمَّا جاء الاسلام اتّخذوا المناور على مثال الصوامع وتلك البروج .

وقد اثبت العلّامة غوتّيل (Gottheil) من اساتذة كلّيّة كولومبيا (١ ان المسلمين في اوّل عهدهم كانوا يجتمعون لصلاتهم دون اذان قال ابن هشام في سيرة الرسول (ed. Wüselfenld. p. 347):« وقد كان رسول الله حين قدموا انّما يجتمع الناس للصلاة بغير دعوة » وكذلك قال القسطلّاني في ارشاد الساري (ج ٢ ص ٣): « كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيحيون الصلاة ليس يُنادَى لها » ثم « ذكروا ان يُعلموا وقت الصلاة بشيءٍ يعرفونهُ فذكروا ان ينوّروا نارًا او يضربوا ناقوسًا وأمر بلال (المؤذّن) ان يشفع الاذان » ثمَّ سُنَّ الاذان بعد ذلك في موضع بارز وموضع عالٍ . وربَّما صعد المؤذّن سور المدينة ليدعو الى الصلاة انشد ابن البرّي للفرزدق (لسان العرب ١٦ : ١٥٠) :

وحتى علا في سور كلّ مدينةٍ منادٍ يُنادي فوقها بأذانِ

واثبت غوتّيل انَّ اقدم مساجد المسلمين كمساجد بلد الحرام والمدينة والكوفة والبصرة ومسجد عمرو بن العاص في الفسطاط لم تُجهَّز لها المناور وانَّ اوّل ما ورد ذكر المنارة في خلافة معاوية اقامها زياد بن ابي سفيان في مسجد البصرة . قال البلاذريّ في فتوح البلدان (ص ٣٤٧–٣٤٨) : « لمّا استعمل معاوية زيادًا بن ابي سفيان على البصرة زاد في المسجد زيادةً كثيرة . . . وبنى منارتهُ بالحجارة وهو اوّل من عمل المقصورة »

والمِئذنة) محلّ التأذين اي النداء الى الصلاة وردت بمعنى المنارة والصومعة . قال في تاج العروس (٩ : ١٢١) : « المئذنة موضع الاذان للصلاة او المنارة كما في الصحاح . قال ابو زيد : المِئذنة والمُؤْذنة . وقال اللحيانيّ : هي المنارة يعني الصومعة على التشبيه . والمؤذّن المنادي للصلاة » . وقد جاءت في الشعر القديم قال عديّ بن زيد النصرانيّ (في معجم ما استعجم للبكري ص ٢٣٣) :

بتلّ جحوشَ ما يدعو مُؤذّنهم لأمر رُشْدٍ ولا يحثّ انفارا

ومن مرادفات المنارة عندهم ايضًا (المصباح) واصلهُ السراج وقد استعملهُ أوس بن حجر في شعرهِ بمعنى المشعل الذي يوقدهُ رؤساء النصارى في ليلة الفصح قال

---

١) اطلب مقالتهُ في المجلة الاسيوّية الاميركيّة (The Origin and History of the Minaret, JAOS, XXX, (1910) p. 132-154)

يصف سناناً (راجع شعراء النصرانيّة ص ٤٩٤ وديوانهُ ص ٢٠ ,ed. Geyer):

عليهِ كمصباح العزيزِ يشبُّهُ لِفصحٍ ويحشوهُ الذُّبالَ المفتَّلا

قال الشارح: «اراد السنان الشديد الإئتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم الشأن من بطارقة الروم لا سيَّما اذا ألهبه في ليلة فصح واذا كان في مثل هذه الليلة كان أنورَ واكثر ضوءًا»

واوَّل الفرائض المقامة في المساجد (الصلاة). وقد تكرر ذكرها في شعر النصارى قبل عهد الاسلام. قال منظور الاسديّ يصف بعيرًا شبَّه مَوقع ثَفِناتهِ اذا برك بموقع كفَّي راهب على الارض اذا صلَّى عند الفجر (الالفاظ لابن السكيت ص ٤١٢):

كأنَّ مهواهُ على الكلكلِ موقعُ كفَّي راهب يُصلّي

في غَبَش الصُّبح او التجلّي

وقال البعيث يذكر صلاة الرهبان وهم قيام (التاج ١٠ : ٥٣ واللسان ١٨ : ١١١):

على ظهر عاديٍّ كأنَّ أرومَهُ رجالٌ يتلُّون الصلاةَ قيامُ

(قال) «تلَّى فلان صلاتهُ اي أتبع الصلاةَ او اتبع المكتوبةَ التطوُّعَ». ثم كانوا يصلُّون على الخمر في التقديس قال الاعشى يصف خمرًا:

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهر بيتها وان ذُبِحتْ صلَّى عليها وزمزما

ببابلَ لم تُعصَرْ فسالت سلافةٌ تخالطُ قنديدًا ومسكًا مختَّما

ومثلهُ ما رويناهُ عن ايمن بن خُزَيم في خمر جرجان (الاغاني ١٦: ٤٥):

وصهباءَ جرجانيَّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم ينفرْ بها ساعةً قِدْرُ

ولم يشهد القسُّ المُهيمنُ نارَها طروقًا ولا صلَّى على طَبْخِها حَبْرُ

والصلاة اكثرما تتمُّ بالسجود والركوع والتسبيح. وكلُّ ذلك قد تكرَّر ذكرهُ عن نصارى العرب في الجاهليَّة. قال المضرَّس الاسديّ (معجم البلدان ٤ : ٣٧٥):

وسخالٍ ساجيةِ العيون خواذلٍ بجمادِ لينةَ كالنصارى السُّجَّدِ

(قال) «لينة ماء لبني غاضرة». وكذلك ورد في شعر لبيد مما قالهُ في الجاهليَّة (اطلب ديوانهُ في طبعة ڤينا ص ١١٣) وقد وصف الثور فشبَّههُ عند اكبابهِ بالمصلّي الذي يقضي نذرًا قال:

قبات كأنهُ يقضي نُذورًا يلوذُ بغَرْقَدٍ خَضِلٍ وضالٍ

(قال الشارح): ويروى: يُطيفُ بغرقدٍ. وبات اي الثور اي بات مكبًّا كأنَّهُ يصلي صلاةً يقضي بها نذرًا . والغرقد والضال نباتان

قال آخر يصف راهبًا (المفضَّليات ed. Lyall, p. 411) :

وأشعثَ عُنوانٌ بهِ من سجودهِ كركبةِ عَنْزٍ من عُنوزِ بني صخرِ

وأنشد في هذا الباب عن المرأة النصرانيَّة الساجدة (كتاب سيبويهِ طبعة بولاق ٢ : ٩٢):

فكلتاهما خرَّت وأسجدَ رأسها كما سجدت نصرانةٌ لم تَحَنَّفِ

ومن عادة النصارى ان يحنوا رؤوسهم اكرامًا لرؤسائهم قال حُمَيد بن ثور (المخصَّص لابن سيده ١٢ : ٨٧) :

فضولُ ازمَّتها أسجدت سجودَ النصارى لأربابها

ومن قبيل السجود (الركوع) وهو انخفاض المصلّي لرأسهِ وانكبابهُ لوجههِ . وقد ورد في شعر اميَّة بن ابي الصلت عن الملائكة قولهُ :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيَّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ
فساجدُهم لا يرفعُ الدهرَ رأسهُ يعظّم ربًّا فوقهُ ويمجّدُ
وراكعُهم يحنو لهُ الدهرَ خاشعًا يردّد آلاء الالهِ ويحمدُ

وكان الراهب لكثرة صلاتهِ يدعى راكعًا . ومثلهُ الحنيف مرادف الراهب كما مرَّ قال في تاج العروس (٥ : ٣٦٣) : «وكانت العرب في الجاهليَّة تسمّي الحنيف راكعًا اذا لم يعبد الاوثان ويقولون ركع الى الله قال الزمخشري: اي اطمأنَّ . قال النابغة الذبيانيّ :

سيبلغ عذرًا او نجاحًا من امرئ الى ربّهِ ربِّ البريَّة راكعِ

ومن آداب الصلاة (التسبيح) اي شكرُ الله وتقديس اسمهِ وتعظيم آلائهِ جاءت في الشعر الجاهليّ قال اميَّة (تاج العروس ٢ : ١٥٧) :

سبحانَهُ ثمَّ سبحانًا يعودُ له وقبلَنا سبَّح الجوديُّ والجُمُدُ

وقال الاعشى (لسان العرب ٣ : ٢١٠) :

وسَبّحْ على حين العشيَّات والضُّحَى ولا تعبد الشيطان واللهَ فاعبدا

وروي بيت عمرو بن عبد الحقّ للاخطل على هذه الصورة (ياقوت ٤ : ٧٨١) :

وما سَبَّح الرهبانُ في كلِّ بيعةٍ ايل الابيلين المسيحُ بن مريما

ومن الآداب الدينيَّة (الصوم)٠ والنصارى قد اشتهروا بهِ٠ قال النمر بن تولب (كتاب سيبويه طبعة بولاق ٢ : ٢٩) :

صدَّت كما صدَّ عمَّا لا يحلُّ لهُ ساقي نصارى قُبَيْلَ الفِصح صوَّامُ

وقال امية بن ابي الصلت عن الابرار في النعيم :

اذا بلغوا التي أَجرَوا اليها تقبَّلُهُم وحُلِّلَ مَن يصومُ

ومن الفرائض الدينيَّة (الحجّ) ويراد بهِ اصطلاحاً قصدُ مكَّة للنسك لكنَّ اللفظة في الاصل يراد بهِ مُطلق النسك ٠ وهي مشتقَّة من العبرانيَّة חג وتكرَّرت في الاسفار المقدَّسة بمعنى العيد والاحتشاد. وقد استعملها المقريزيّ في الخطط (ج ٢ ص ٤٧٤) لليهود. قال في ذكر اعيادهم في ايار : « وفيهِ عيد الموقف وهو حجُّ الاسابيع ... ويقال لهذا العيد في زماننا عيد العنصرة »٠ وكذلك استعملها الكتبة المسلمون لغير قصد مكَّة قال الادريسي في وصف المغرب (ed. Dozy et de Goeje, p. ٦٤) عن قبر ابن تومرت انَّ المَصَامِدة جعلوهُ « حجًّا يقصدون اليهِ من جميع بلادهم » ٠ ومثلهم نصارى العرب فانَّهم استعاروا اللفظة من السريانيَّة وهي عندهم كثيرة الاستعمال للدلالة على كلّ الحفلات الدينيَّة فاتَّخذوها بهذا المعنى وبمعنى زيارة الامكنة المقدَّسة ٠ فقد وردت في ذكرهم للكعبة اليمنيَّة اي كنيسة نجران وفي زيارة بيت المقدس وقد استعملها ابن القلانسيّ في كتابهِ ذيل تاريخ دمشق (ص ٦٩) لزيارة بيعة القيامة : « هذه بيعة ... تعظّمها النصارى افضل تعظيم وتحجُّ اليها عند فصحهم »٠ وقال ياقوت عن دير نجران (معجم البلدان ٢ : ٧٠٣) ان « بني عبد المدان بنوهُ مربَّعاً ... فكانوا يحجُّونهُ هم وطوائف من العرب ممَّن يحلّ الاشهر الحرم ولا يحجُّ الكعبة. ويحجُّهُ خثعم قاطبةً ... »

٤ الوحي وكتبهُ وائمَّتهُ

ليس الدين طبيعيًّا فقط يدرك حقائقهُ العقلُ البشري ويقرّرها بالادلَّة العقليَّة ٠ لكنَّهُ وضعيّ ايضاً وهو الذي اوحى بهِ الله الى عبادهِ وارشدهم اليهِ على يد بعض اصفيائهِ المعروفين بالانبياء كموسى كليمهِ تعالى ولاسيما السيد المسيح كلمة الله فطورًا اوحى بمناسك وفرائض معلومة كالختان والذبائح وطورًا انبأ باسرار تفوق ادراك البشر كاسرار العالم الآخر وبعض الحقائق الالهيَّة. ولا يخفى انَّ العرب في الجاهليَّة لم

يعرفوا وحياً ولم يدينوا بدين وضعيّ بل افسدوا الدين الطبيعيّ ولحقوا بالشرك وعبادة الاصنام كما تدلُّ عليهِ الآثار المتعدّدة المكتشفة في عهدنا

على انَّ جهلهم بالوحي انّما سبق عهد المسيح وقد بيَّنّا في القسم الاوَّل من مقالاتنا نفوذ النصرانيَّة بين العرب. ولنا في لغتهم العربيَّة قبل الاسلام ما يثبت هذا القول. وذلك في استعمالهم للالفاظ الدالَّة على الوحي وكتبهِ وائمّته كما سترى

(الوَحْي) هي اوَّل لفظة تدلّ على قولنـا . فانَّها وردت في الشعر الجاهليّ قبل القرآن بمعنى تبليغ الله كلمتهُ الى انبيائهِ . قال ورقة بن نوفل الراهب النصرانيّ :

وجبريلُ يأتيهِ وميكالُ مَعْهما من الله وَحْيٌ يشرحُ الصدْرَ مُنْزَلُ

فبقولهِ « الوحي المُنزَل » بيَّن كونهُ يريد ديناً وضعيًّا بلَّغ بهِ الله انبياءهُ . ومثلهُ قول اميَّة بن ابي الصلت في الملائكة واصاختهم لوحي الله :

وسبطٌ صفوفٌ ينظرون قضاءهُ يصيخون بالاسماع للوَحْي رُكَّدُ
امينٌ لوحي القدسِ جبريلُ فيهمِ وميكالُ ذو الروحِ القويّ المسدَّدُ

وقد انتقلوا من معنى اللفظة الاصليّ الى معناها المجازيّ فجعلوا الاسفار الالهيَّة وحياً والمكتوب فيها وحياً قال جرير بهذا المعنى (معجم ما استعجم للبكري ص ١٠٦) :

لمن الديارُ بعاقلٍ فالأنعَمِ كالوَحْي في ورق الزَّبورِ المُعْجَمِ

واذ كانوا يحفرون بعض آيات الوحي في الصخور اشاروا الى ذلك في اشعارهم . قال زهير يشبّه آثار الدار بكتابة الوحي (شعراء النصرانيَّة ص ٥٧٥) :

« لمن طَلَلٌ كالوَحْي عافٍ منازِلُهْ »

وعلى مثالهِ قال حسَّان بن ثابت (سيرة الرسول ص٤٥٤ .ed. Wüstenfeld)

عرفتُ ديار زينبَ بالكثيبِ كخطّ الوَحْي في الورق القشيبِ

وقد جاءت على لفظ الجمع في معلَّقة لبيد قال يشبّه مسايل جبل ريَّان ببقاء كتابة الوحي في الحجارة :

فَمَدَافعُ الريَّانِ عُرِّيَ رسمُها خلقاً كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها

وقد دعوا كتب الوحي بالفاظ اخرى تدلّ على احتوائها لكلام الله . فمنها (السِفْر) واصلها من العبرانيَّة ספר والسريانيَّة ܣܦܪܐ ومعناها الكتاب وقد

خصّوا بها الكتب الالهيّة . قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٣) : « السِفر الكتاب من التوراة والانجيل وما اشبههما ». وقد وردت في القرآن في سورة الجمعة وفي الحديث بالمعنى ذاته. وروى البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) دخول الحسين بن ضحّاك الى احد اديرة النصارى بينما كان الراهب يقرأ « سِفرًا من اسفارهم» اي كتبهم المقدّسة وكانوا يدعون كلًّا من تلك الاسفار (بكتاب الله). قال عديّ بن زيد (شعراء النصرانيّة):

ناشدتَنا بكتاب الله حُرمَتَنا ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ

وقد دعوا ايضاً كتب الوحي (مجلّة) وعلى هذا رُوي بيت النابغة في بني غسّان:

مجلّتهم ذات الإلهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غيرَ العواقبِ

قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩١) : « المجلّة الصحيفة يُكتَب فيها شيءٌ من الحكمة . واصل الكلمة من العبرانيّة מגלה اي الوحي والتبيان . وقد وردت في سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٥ .ed. Wüstenfeld) حيث ذكر « مجلّة لقمان يعني حكمة لقمان » وفي حديث انس « ألقى الينا مجالّ اي صُحُفاً »

وربمّا دعوا كتاب الوحي (بالصّحيفة) جمعها صحائف وصُحُف واصلها من الحميريّة والحبشيّة بمعنى الكتاب والرسالة مطلقاً. قال لقيط الاياديّ في اوّل قصيدةٍ يحذّر فيها قومهُ من كسرى (الاغاني ٢٠ : ٣٤) :

كتابٌ في الصحيفةِ من لقيطٍ الى مَنْ بالجزيرة من إيادِ

ومثلها « صُحُف موسى وابراهيم » في القرآن يُراد بها كُتُب منسوبة الى موسى وابراهيم

ومثلها (المُصحَف) بتثليث الميم اي الكتاب والمسلمون يخصّونها بالقرآن . وقد سبق شعراء الجاهليّة فنطقوا بها واطلقوها على اسفار النصارى قال امرؤ القيس (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص١٦١) وورد في قولهِ اسم (الآية) اشارة الى مضامين تلك الاسفار :

قفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ وعِرفانِ ورسمٍ عَفَتْ آياتُهُ منذ ازمانِ
أتَتْ حِجَجٌ بعدي عليهِ فأصبحَتْ كخَطِّ زَبُورٍ في مَصاحفِ رُهْبانِ

واصل الكلمة من الحبشية መጽሐፍ (مَصْحَف) من ጸሐፈ (صَحَفَ)
اي كَتَبَ

وقد استعملوا لفظة (القرآن) ولم يتّفقوا على اصلها فنهم مَن همزها وجعلها مصدرًا لقرأ بمعنى القراءة . ومنهم من رجّح عدم همزها فقال قُرَان واستشهدوا ببيت حسّان بن ثابت في هجوهِ لبني جمح (سيرة الرسول ص ٥٢٦) قال (١ :

جَحَدوا القُرَانَ وكذّبوا بمحمَّدٍ واللهُ يُظهِر دينَ كلِّ رسولِ

وعليهِ تكون القُران من قَرَنَ اي جمعَ بمعنى مجموع الآيات . وعلى رأينا انَّ الهمز افضل وهو الشائع وعلى هذا اللفظ وردت في لاميَّة كعب بن زهير قال :

مَهْلًا هداك الذي اعطاك نافلةَ م القُرآنِ فيهِ مواعيظٌ وتفصيلُ

وعندنا انَّ اصل الكلمة من السريانيَّة ܩܪܝܢܐ وهي مصدر ܩܪܐ ومعناها القراءة وقطعة من الكتاب لا سيا الكتاب المقدّس ويقال بهذا المعنى « رأس القِرْيان » (ܪܫ ܩܪܝܢܐ)

وقد استعملوا (الفُرْقان) بمعنى القُرآن قالوا دُعي بذلك لانهُ يفرق الحقَّ من الباطل . وجاءت الكلمة في القرآن في سورة البقرة بمعنى التوراة حيث قال : « آتَيْنا موسى الكتاب والفُرْقان » (راجع تاج العروس في مادّة فرق) . واصل هذه الكلمة على ما نرى من السريانيَّة وهي ܦܘܪܩܢܐ بمعنى النجاة والخلاص مع الاشارة الى الفصل والتفريق. وقد وردت بمعنى الخلاص في القرآن في سورة الانفال حيث قال : « إنْ تتَّقوا الله يجعَلْ لكم فُرْقانًا » فشرحهُ ابن سعيد بقولهِ : « الفرقان النصر على الاعداء » وكذلك شرح ابن دريد قول القرآن « يوم الفُرْقان » بيوم النصر

ثمَّ دعوا فصول القرآن (سُورة) فهمزها بعضهم واهمل هَمْزَها غيرهم فقالوا هي البقيَّة من الشيء والقطعة منهُ . وقال غيرهم هي من السُورة بمعنى الرتبة والشرف كما قال النابغة يمدح النعمان :

أَلَمْ تَرَ انَّ اللهَ أعطاك سُورَةً تَرى كلَّ مَلْكٍ دونها يَتَذَبْذَبُ

والمرجّح ما ارتآهُ في ذلك العلّامة نولدك (Gesch. d. Qorans, p. 24) انَّ اصلها من العبرانيَّة שורה معناها المِدْماك والساف من البناء ومجازًا هي سطور الكتابة والقطعة منها

ثمّ انّ وسيط الوحي بين الله والبشر (النبيّ) شرحهُ في تاج العروس (١ : ١٣٣) بقوله: « النبيّ على فعيل الطريق الواضح يُهمَز ولا يُهمَز .. ومنهُ أُخِذ الرسول لانهُ الطريق المُوضح المُوصل الى الله تعالى » وعلى رأي العلماء هذا شرح بعيد واللفظة من العبرانيّة נביא والسريانيّة ܢܒܝܐ اي الناظر والرائي سلفاً لما يوحي اليهِ الله من الامور المستقبلة (١ . وقد جاءت في الشعر الجاهليّ قال اميّة بن ابي الصلت عن مريم العذراء كتاب البدء للمقدسيّ (٣ : ١٢٣) :

فأدركها من ربّها ثمّ رحمةٌ   بصدقٍ حديثٍ من نبيّ مكلّمِ

وقال آخر :

كلّ اهل السماء يدعو عليكم   من نبيّ وملأك ورسولِ

ومثل النبيّ (الرسول) اي المرسل من الله الى الناس قال اميّة في بعثة الله لموسى الكليم (سيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٥) :

وأنت الذي من فضل منٍّ (٢ ورحمةٍ   بعثتَ الى موسى رسولاً مناديا

وقال ايضاً عن لسان الملاك جبرئيل الى مريم يبشرها بالمسيح (كتاب البدء ٣ : ١٢٣) :

أنيبي وأعطي ما سُئِلتِ فانّني   رسولٌ من الرحمان يأتيكِ بابنمِ (٣

وقد استعملوا بمعنى الرسول (النذير) قال اميّة بن ابي الصلت (كتاب البدء ٢ : ١٤٦) عن لسان ابليس :

يقول خزّانها ما كان عندكمُ   ألم يكن جاءكم من ربّكم نُذُرُ

*

واخصّ ما عرفهُ العرب في الجاهليّة من الكتب المنزلة (التوراة والزبور والانجيل) . فقالوا في التوراة (تورية) ايضاً وهي كتب موسى الخمسة اي التكوين والخروج والعدد وسفر الاحبار وتثنية الاشتراع . ثمّ اطلقوا على اسفار العهد القديم

١) راجع كتاب نولدك (Noeldeke: *Gesch. d. Qorans*, p. 25-27)

٢) وفي خزانة الادب (١ : ١١٩) : من فضل سَيْبٍ

٣) اي إرضَي يا مريم بما يطلب الله منك فابشرك بمولد ابن اي المسيح . وأبنم كابن والميم للتفخيم

اجمالًا . ومن غريب ما قالهُ بعض اللغويين في اصل هذه الكلمة انها مَصدر ورَّى الزِّنادَ تورِيةً اذا اخرج نارهُ وانَّ التوراة لغة طيٍّ في التورية وكلاهما بمعنى الاضاءة . وفي شرح المفضليَّات (ص٤٤٧ ed. Lyall) انَّ توراة اصلها وَوْراة بقلب الواو تاء . واصحُّ من هذا ما رواهُ صاحب التاج عن الزجَّاج حيث قال : « هو لفظ غير عربيّ بل هو عبرانيّ اتفاقاً » وهو في العبرانيَّة תורה ومعناها التعليم والحكمة . وقد وردت الكلمة في الشعر القديم . قال السموءَل (راجع طبعتنا لديوانهِ ص ١٢) :

وبقايا الاسباطِ اسباطَ يعقو ... بَ دِراسُ التَّوْراةِ والتابوتُ

وقد ذكروا (موسى) صاحب التوراة كما رأيت في باب (الرَّسول) . وقال السموءَل (ص ١٢) :

وانفلاقُ الأمواج طورَيْنِ عن مو ... سى وبَعدُ الملْكُ الطالوتُ

وقال المضرِّس بن ربعيّ (ياقوت ٣ : ٨٧) من ابيات :

فلمَّا لحقناهم قرأنا عليهمُ ... تحيَّةَ موسى ربَّهُ اذ يحاوِرُهْ

وقد اكثر العرب من ذكر (الزَّبور) . قال المرقِّش الاكبر (لسان العرب ١٦ : ٣) :

وكذاكَ لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائمْ

قد خُطَّ ذلك في الزبو ... رِ الاوَّليَّات القدائمْ

وقال امرؤُ القيس (شعراء النصرانيَّة ص ٦٥) :

لمن طَلَلٌ أبصرتُهُ فشجاني ... كخطِّ زَبُورٍ في عسيبِ يمانِي

قال ابن الكلبيّ في كتاب انساب العرب (Ms de Paris, ff. 160) : « انَّ امرء القيس اوَّل من شبَّه الطَّلل بوَحْيِ الزَّبور في عسيب يماني . وقد مرَّ بك قوله :

أتَتْ حججٌ بعدي عليها فاصبحتْ ... كخطِّ زَبُورٍ في مصاحفِ رهبانِ

وجمعوا الزَّبور (الزُّبُر) قال المرَّار بن منقذ في المفضَّليات يصف دارًا :

وترى منها رسوماً قد عفَتْ ... مثل خطِّ اللامِ في وَحْيِ الزُّبُرْ

ويشبههُ قول الآخر :

او زُبُرُ حِمْيَرَ بينها احبارُها ... بالحميريَّة في عسيبٍ ذابلِ

وقال كذلك اميَّة بن ابي الصلت (كتاب البدء ٢ : ١٤٦) في يوم الدين :

وأُبْرزوا بصعيدٍ مستوٍ جَرَزٍ (١ ... وأُنزل العرشُ والميزان والزُّبُرُ

١) الجَرَز الارض المجدبة . وفي الاصل : حرَز

اما اصل الكلمة فقد اشتقّوهُ من قولهم زَبَرَ الكتابَ زَبْرًا كتبهُ . قال صاحب التاج (في مادّة زَبَرَ): «قال الازهري: واعرفهُ النقش في الحجارة وقال بعضهم: زبرتُ الكتاب اذا اتقنتَ كتابتهُ» . وجعلوا الذَّبر كالزَّبر كما قال صخر الغيّ:

أبلغ كبيرًا مني مخلّفةً تبرقُ فيها صحائفٌ جُدُدُ
فيها كتابٌ ذَبرٌ لِمُقترئٍ يَعرفهُ البُهمُ ومن حَشَدُوا

ورُوي في حديث لابن الكلبي (ياقوت: معجم البلدان ٤ : ٩١) دَبَرَ بالدال قال في وصف صَنم ودّ: «قد دُبر عليهِ حلّتان اي نُقش» . (قلنا) والصواب عندنا أن الزُّبر من الزَّمر والزَّبور كالزمور وانما أُبدلت الميم باء كما جرى في لفظة «زمن» بالعربية وهي في السريانيّة ܙܒܢܐ بالباء. فكذلك الزَّبور او المزبور من. العبرانيّة מזמור وفي السريانيّة ܙܡܪܐ و ܡܙܡܘܪܐ وهو التسبيح

ومثل التوراة والزبور (الإنجيل) اخذها العرب من اليونان εὐαγγέλιον بوساطة السريانيّة ܐܘܢܓܠܝܘܢ او اخذوها توًّا من الحبشيّة ወንጌል على هذه الصورة. وعلى كلّ حال انّ اللفظة سبقت الاسلام . قال عديّ بن زيد (كتاب الحيوان للجاحظ . طبعة مصر ٤ : ٦٦ و Ms de Vienne. ff. 213^{r}):

وأُوتيا المُلكَ والإنجيلَ نقرأهُ نشفي بحكمتهِ أحلامَنا عَلَلا
من غير ما حاجةٍ الّا ليجعلَنا فوق البريّة اربابًا كما فعلا

وروى البكريّ في معجم ما استعجم (ص ٣٦١) لشاعر لم يذكر اسمهُ بيتًا هجا فيهِ راهبًا هجر الرهبانيّة:

هجر الانجيلَ حبًّا للصبى ورأى الدنيا غرورًا فركَنْ

وقال في محلّ آخر عن غلام يتغنّى بتلاوة الانجيل:

اذا رجّع الانجيلَ واهتزَّ مائدًا تذكَّرَ محزونُ الفؤادِ غريبُ

والمرجّح انّ النابغة اراد الانجيل في ذكرهِ لمجلّة غسّان لمّا قال:

مجلّتهم ذاتُ الإله ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وكذلك من المحتمل انّ اميّة بن ابي الصّلت اراد الانجيل في البيت التالي حيث وردت لفظة الرقّ ومعناها السِّفر (راجع الاضداد لابن الانباري ص ٨١ ولسان العرب ٩ : ٢٥٨) وهو يمدح بني اياد قومهُ النصارى:

قومٌ لهم ساحةُ العراقِ اذا ساروا جميعاً والقِطُّ والقَلَمُ

وكما ذكروا موسى وداوُود صاحبي التوراة والزبور كذلك ذكروا السيّد المسيح مع ذكرهم لانجيلهِ الشريف وهم يدعونهُ (عيسى) . روى ابن العربيّ في محاضرة الابرار (٢ : ٥٠) عن لسان قسّ بن ساعدة اسقف نجران : « الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث ولم يخلق الناس سدى من بعد عيسى واكثرث .....» وفي اسم عيسى هذا سرٌّ من اسرار الاشتقاق العربية . قال في التاج (٤ : ٢٠٠) : « قال الجوهريّ عيسى عبراني او سريانيّ . قال الليث : هو معدول عن ايشوع كذا يقول اهل السريانيّة» على انّ عدولهم هذا من باب الغرائب . ولا نجد عَلَماً قد تبدَّل في العربيّة على هذا المنوال . وعندنا انّ هذا التبديل جرى على يد اليهود الذين ادخلوهُ في العرب بغضاً بالنصارى فدعوا يسوع باسم عيسى او عيسو وهو اخو يعقوب الذي نفاهُ الله من شعبهِ وكان هو وقومهُ الادوميُّون يُعَدُّون رجساً في بني اسرائيل فقلبوا اسم يسوع ونقلوا عينهُ الى اوّلهِ فجعلوا الرأس ذنباً وزعم بعضهم انّ اصل عيسى « عِوْسَى » قلبوا الواو ياء فصارت « عِيسَى . قال امية بن ابي الصلت (كتاب البدء ٣ : ١٢٣) :

وفي دينكم من ربّ مريمَ آيةٌ منبّئةٌ بالعَبْد ١) عيسى بن مريم

وللسيّد يسوع اسمٌ آخر اشيع منـهُ عند العرب وهو « المسيح » من العبرانيّة משיח والسريانيّة ܡܫܝܚܐ وهما كالعربيّة مسيح واليونانيّة Χριστός اي الممسوح بدهن الكهنوت والملك كما كانوا يفعلون باحبار بني اسرائيل وملوكهم وقال العرب غير ذلك . روى في تاج العروس عن شمّر « انّ المسيح دُعي بذلك لبركتهِ اي لانهُ مُسح بالبركة . وقال الراغب : سُمّي عيسى بالمسيح لانهُ مُسِحَت عنهُ القوّة الذميمة من الجهل والشره والحرص وسائر الاخلاق الذميمة ... وفي بعض الاقاويل المِسيح من السِّيح لانهُ كان يسيح في البراري ويذهب في الارض فاينما ادركهُ الليل صفَّ قدميهِ وصلّى حتى الصباح » . وكل هذه آراء ضعيفة والصواب ما قلناهُ انهُ من المسح . وقد تكرَّر اسم المسيح في الشعر القديم . قال عمرو بن عبد الحقّ ويروى لغيرهِ (اطلب المعاجم في مادّة ابل) :

وما قدّس الرهبان في كلّ هيكل ابيل الابيلين المسيح بن مَرْيَما

١) في الاصل : والعبد ونظنُّها تصحيفاً . وقد دعا المسيح عبداً لله من حيث ناسوتهِ

ورُوي للسموءل (راجع ديوانهُ صفحة ٣٢) قولهُ :

وفي آخر الايَّام جاء مسيحُنا فأهدى بني الدنيا سلامَ التكامُلِ

وقال اميَّة يذكر مجيء المسيح في آخر الازمنة ليدين البشر :

ايَّام يلقى نصاراهم مسيحَهمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربانا

وذكر آخر محارَبة السيد المسيح للمسيح الدجال وانتصارهُ عليهِ (راجع اللسان في مادَّة مَسَحَ ٣ : ٤٣٠) :

إذِ المسيحُ يقتلُ المسيحا

وكانوا يسمُّون المسيح (بالابيل) ومعناهُ الناسك والزاهد بالدنيا ودعوهُ بابيل الابيلين لانهُ كان بزهدهِ قدوة الرهبان كما مرَّ بك

وقد عظَّموا ليلة مولد المسيح فدعوها ليل التام . قال في اللسان (في مادَّة تمَّ ١٤ : ٣٣٤) : « قال عمرو بن شميل : ليل التَّام اطول ما يكون من الليل .. قال الاصمعيّ . ويطول ليل التام حتى تطلع فيهِ النجوم كلها وهي ليلة ميلاد عيسى ... والنصارى تعظِّمها وتقوم فيها »

ولم يذكروا فقط السيِّد المسيح بل ذكروا امَّهُ مريم العذراء كما رأيت . وذكروا القديس يوحنا الصابغ المتقدِّم امام وجهِ وذكروا تلامذتهُ . ومما رووا عن (مريم العذراء) بتوليَّتها وبشارة الملاك اليها بابنها الالهيّ وحبلها الطاهر بابنها من الروح القدس . ورد ذلك في القرآن وسبقهُ اميَّة بن ابي الصلت فقال وفي قولهِ نظرٌ لما ادخلهُ فيهِ من المزاعم المنقولة عن الاناجيل غير القانونيَّة (راجع كتاب البدء للمقدسي ٣ : ١٢٣) :

وفي دينكم من ربّ مريم آيةٌ منبّئةٌ بالعبد عيسى بن مريمِ
انابت لوجه الله ثمَّ تبتَّلت فسبَّح عنها (١ لومةَ المتلوِّمِ
فلا هي همَّت بالنكاح ولا دنَت الى بشرٍ منها بفرجٍ ولا فمِ
ولطَّت حجابَ البَيْت من دون أهلها تغيَّبُ عنهم في صحاريِّ رِمرِمِ (٢

١) سبَّح عنها اي أبعد عنها ونزَّهها

٢) يقال لطَّ الباب اذا اغلقهُ . ورِمْرِم علَم مكان . والرِمرم ايضاً الحشيشة المشوكة المعروفة بالرَّمرام فنسب الصحاري اليها . يريد الشاعر ان مريم خرجت الى الصحراء وهناك بشَّرها الملاك بمولد ابنها وهو قول استعارهُ الشاعر من مزاعم الكتبة غير القانونيين

يجارُ بها الساري اذا جنَّ ليلُهُ وليس وان كان النهارُ بمُعلَمِ
تدلّى عليها بعد ما نام اهلُها رسول فلم يحصَر ولم يترَمرَمِ (١
فقال : ألّا تجزَعي وتكذّبي (٢ ملائكةً من ربّ عادٍ وجُرهُمِ
أنبي وأعطي ما سُئلتِ فإنّني رسولٌ من الرحمان يأتيكِ بابنمِ (٣
فقالت لهُ أنّى يكونُ ولم أكن بغيًّا ولا حُبلى ولا ذاتِ قيِّمِ (٤
أأحرجُ بالرحمان ان كُنتَ مؤمنًا كلامي فاقعُدْ ما بدا لكَ او قمِ (٥
فسبّح ثمّ اعترّها (٦ فالتقت بهِ غلامًا سويَّ الخَلْقِ ليس بتوأمِ
بنفختهِ في الصدر من جيب درعها وما يصرمِ الرحمنُ مِلْ أمرٍ يُصرَمِ (٧
فلمّا أتمّتهُ وجاءت لوضعهِ فآوى لهم من لومهم والتندّمِ (٨
وقال لها مَنْ حولها : جئتِ مُنكرًا فحقٌّ بأن تُلحَيْ عليهِ وتُرجَمي (٩
فأدركها من ربّها ثمّ رحمةٌ بصدقِ حديثٍ من نبيٍّ مكلّمِ
فقال لها : إنّي من الله آيةٌ وعلّمني واللهُ خيرُ معلّمِ
وأُرسِلتُ لم أُرسَل غويًّا ولم أكن شقيًّا ولم أُبعَثْ بفحشٍ ومأثمِ

امّا (يوحنّا المعمدان) السابق امام وجه المسيح فقد شـاع ذكرُهُ بين عرب الجاهليّة وقد رأيت انّ احدى الكتابتين العربيّتين السابقتين لعهد الاسلام كانت على باب كنيسة في حوران مشيّدة على اسم القدّيس يوحنّا (راجع الصفحة ٧١ مع رسم هذه الكتـابة في الجدول ٦٨ — ٦٩) . وقد ذكر القرآن في سورة عمران

١) حَصِر قصر عن الكلام . وترمرم حرّك شفتَيه بالكلام. يريد انّ كلامهُ لم يكن كمثل كلام البشر

٢) اي لا تخيبي ظنّهم فيكِ

٣) أعطي ما سُئِلتِ اي ارضَي بما يطلبهُ منك الربّ. وابنم تفخيم ابن

٤) ذات قيم اي ذات زوج. والبيت ترجمة قول العذراء (لوقا ١ : ٥) : «وكيف يكون ذلك وانا لا اعرف رجلًا»

٥) حرج بالرحمان اي كفر والاصل مصحّف بأخرجُ. والمعنى كيف آثمُ امام الرحمن. فان صدّقتَ قولي فبهِ والّا فافعل ما بدا لك من اقامة او ذهاب

٦) اعترّها اي اعترض لها. يشير الى قول الانجيل انّ الروح القدس ظلّلها فحبلت بنعمتهِ وقوّتهِ بابنها المسيح دون زرع بشريّ. فالنفخة في صدرها مجاز

٧) صرمهُ بتّهُ وفصلهُ. وقولهُ «مِلْ أمرٍ» اي من الامر

٨) في البيت تصحيف. والمعنى انّ اليهود لمّا رأوا ابنهـا شكّوا في برارتها. وهو زعمٌ من مزاعم اناجيل الزور ومثلهُ قولهُ عن المسيح انهُ تكلم في المهد ليبرّر والدتهُ الطاهرة وورد ذلك في انجيل الطفوليّة المصنوع

٩) لحاهُ بكّتهُ وعابهُ وفي الاصل: بأن تُلحَى وهو تصحيف

(ع ٣٣ و ٣٤) ما روى عنهُ القديس لوقا في الانجيل من بشارة الملاك لابيهِ زكريّا ومن مولدهِ العجيب ووصفهُ هناك بكونهِ « مصدّقاً بكلمة من الله وسيّدًا وحَصُورًا ونبيًّا من الصالحين » فاطرأ ايمانهُ ورفعة مقامهِ وعفّتهُ ونبوّتهُ

والعرب يدعون يوحنّا المعمدان باسم (يحيى) وهو ايضاً مع اسم عيسى احد ألغازِ التبديل التي لم يذكر اللغويّون سببها . ومن المعلوم انّ يوحنّا اسم عبراني مركّب من كلمتين « يوحنّن » (יוחנן) او « يهوحانن » (יהוחנן) اي حنّ اللهُ وترحّم ومنهُ السريانيّة ܝܘܚܢܢ فكيف اذن قُلب بيحيا . على رأينا انّ الاسم قد تصحّف في العربيّة وذلك انهُ كان في الاصل «يُحنّا» فكتبوهُ قبل وضع النقط والحركات « يحنا » فقرأوهُ « يَحيًا او يحيى ». ولا نرى وجهاً آخر لتعليل هذا التغيير الذي حدث كما نظنّ قبل الاسلام فجرى عليهِ المسلمون وهم يدعونهُ بيحيى بن زكريّا النبيّ او يحيى الحَصُور لعفافهِ عن النساء . وقد ورد اسم يحيى في الشعر الجاهليّ كما سترى

(والحَواريّون) تلاميذ السيّد المسيح عند العرب وقد اختلفوا ايضاً في اصل هذه اللفظة فقال البعض انّ معناها القصّار لانّ رسل المسيح كانوا يقصرون الثياب وهو قول لا سند لهُ اذ لم يُعرَف احد من الرسل بزاولة القصارة . وقال غيرهم هو من الحَوَر اي شدّة بياض العين في شدّة سوادها قالوا دُعوا بذلك لصفاء نيّاتهم وقيل بل لأنّهم كانوا صفوة الانبياء (راجع لسان العرب في مادّة حور) . وان صحّ ذلك يكون اشتقاق الكلمة من السريانيّة ܚܘܳܪܳܐ اولى ومعناها الابيض والصافي البياض والنقيّ . والصواب ان اللفظة حبشيّة ሐዋርያ (حَوَاري) ومعناها الرسول . وما لا ريب فيهِ انّ اللفظة سبقت الاسلام . وقد جاءت في القصائد المعروفة بالاصمعيّات (ص ٧٥ .Ahlwardt) في بيت للضابئ بن الحارث بن ارطاة البرجميّ يشير الى رغبة رسل المسيح في الموت لاجل سيّدهم استشهادًا :

وكرَّ كما كرَّ الحواريُّ يبتغي الى الله زُلفَى أن يَكُرَّ فيُقتَلَا (١

وقال السموءل يذكر الحواريّ (راجع طبعتنا لديوانهِ ص ١٢) :

وسُلَيمن والحواريّ يحيى ومَتَّى يوسفَ كأنيّ وليتُ

يريد بالحواريّ يحيى على ما نظن يوحنّا الحبيب وكذلك ذكر متّى الرسول فخفّف .

---

١) ويروى : فيُقبَلا

أمّا « يوسف » فلعلّهُ يوسف المعروف باخي الربّ (متّى١٣ : ٥٥) او يكون يوسف اسم ابي متى كأنّهُ اراد مُتّى بن يوسف

ومؤنّث الحواريّين (الحَوَاريَّات) قالوا هنّ نساء الأَمصار لبياضهنّ. قال ابو جلدة وهو مسهر بن النعمان اليشكريّ (لسان العرب ٥ : ٢٩٩) :

فَقُلْ للحَوَارِيَّاتِ يبكينَ غيرنا ولا تبكِيَنَّا الّا الكلابُ النوابحُ
بكينَ الينا خيفةً ان تُبيحها رماحُ النصارى والسيوفُ الجوارحُ

(قال) : « جعل اهل الشام نصارى لانها تلي الرومِ وهي بلادها »

٥ مفردات نصارى العرب الدالّة على روْسائهم ورهبانهم

وكان للنصارى في جزيرة العرب كما في بقيّة البلاد نظامهم الدينيّ ورُتَبهم من روْساء ومروْوسين يسوسهم الرُّعاة وزعماء الدين. ويمتاز بينهم العُبّاد والمتقطعون لخدمة الله في الرهبانيّة. والدليل على ذلك الفاظ متعدّدة وردت في آثار عرب الجاهليّة تشهد على قولنا شهادةً واضحة

فمن الفاظهم التي استعملوها للدلالة على رئيس النصارى (الأَبيل) وقد اتّخذوهُ للدلالة على السيّد المسيح كما ورد في البيت المنسوب للاعشى وللاخطل ولابن عبد الجن :

وما سبّح الرهبان في كلّ بيعةٍ ابيلُ الابيلين المسيحُ بن مريما

قال في لسان العرب (١٣ : ٦) « وكانوا يعظّمون الأَبيل فيحلفون بهِ كما يحلفون بالله ». وهذه اللفظة سريانيّة ܐܒܝܠܐ (من فعل ܐܒܠ اي ناح وبكى على خطاياهُ) ومعناها في السريانيّة الزاهد والناسك والراهب وكانوا يتّخذون عادةً روْساءهم من الرهبان المتبتّلين

ومن الفاظهم الخاصّة برئيس النصرانيّة « البَطْرَك » « وَالبِطرَك » على ما جاء في التاج (٧ : ١١١) قال : « هو مقدّم النصارى. وقال : البطرك هو البِطْريق ومنهم من جعل البطريق مقدّم جيش الروم » والصواب انّ البطرك كلمة يونانيّة (Πατριάρχης) معناها ابو الآباء امّا البطريق فلفظة لاتينيّة (Patricius). وقد جاء اللفظان في الشعر القديم قال الراعي يصف ثورًا (لسان العرب ١٢ : ٢٨١) :

يعلو الظواهرَ فردًا لا أليفَ لهُ مَشيَ البِطَركِ عليهِ رَيْطُ كتَّانِ

وقال امية بن ابي الصلت في البطريق (التاج ٦ : ٢٩٦) :

من كل بِطْرِيقٍ لِبِطْـريقٍ نقيّ الوجهِ واضِحْ

وكذلك انشد ابن برّي (اللسان ١١ : ٢٠٣) :

فلا تنكروني انّ قومي اعزَّةٌ بطارقةٌ بيضُ الوجوهِ كرامُ

ومن الفاظهم (الجاثليق) وهو دون البطرك واصل الكلمة من اليونانيّة ومعناها المسكوني (Καθολικός) وقد استعملوهُ لرؤساء النساطرة والارمن قال صاحب القاموس : « هو رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام ... ويكون تحت يد بطريق انطاكية ثمَّ المطران تحت يدهِ ثمَّ الاسقف يكون في كلّ بلد من تحت المطران ثمَّ القسيس ثمَّ الشمّاس ». وقد ورد اسم الجـاثليق في شعر بكر بن خارجة (معجم البكري ص ٣٧١) :

بمارَةِ مريمٍ وبدير زَكّى ومَرْ توما ودير الجاثليقِ

امّا (المطران) فأصلها على هذه الصورة من السريانيّة ܡܝܛܪܢ او ܡܛܪܢ والسريان اختصروها من ܡܝܛܪܘܦܘܠܝܛܐ اليونانيّة (μετροπολίτης) ولم نجدها في الشعر القديم

واشيع من المطران عند العرب (الأُسقُف) زعم ابن السكيت انهُ مشتقّ من السَّقَف اي طول في انحناء وهو تأويل غريب. والصواب انهُ مشتق من اليونانيّة (ἐπίσκοπος) بواسطة السريانيّة ܐܦܝܣܩܘܦܐ. وقد وردت اللفظة في الكلام القديم. روى ابن سعد في كتاب الوفود في شروط محمَّد الى اهل نجران : « لا يغيَّر أُسقف عن اسقفيّتهِ ولا راهب عن رهبانيّتهِ ولا واقف عن وقفانيّتهِ ». وكذلك روى البكريّ في معجم ما استعجم للحسين بن الضحّاك يصف دير العُمر (ص ٧٦٩):

عجّت اساقفها في بيت مذبحها وعجّ رهبانها في عرصة الدارِ

ومن الفاظهم الدالّة على رؤساء النصارى (الحَبْر) ويقال الحِبْر واصلها العالِم ثمّ خصّوها بكبير النصارى واستعملوها ايضاً لغيرهم . قال ابن بن خُزَيم يذكر خمر التقديس (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

ولم يشهد القسُّ المُهَيْنِمُ نارَها طروقًا ولا صلّى على طبخها حَبْرُ

وجاء في الجمهرة :

او زُبر حِمْيَرَ بينها احبارُها بالحميريَّة في عسيبٍ ذابلِ

وروى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٣٨٥) قول الشاعر :

لو كنتُ مرتَهَنًا في القُوسِ أَفتَنَني منها الكلامُ وربَّانيُّ أَحبارِ

قال ابن هشام : القُوس صومعة الراهب والربَّاني مشتقٌّ من الربّ اي السيّد ومثلهُ الحبر بمعنى « السيّد العالم » . وجاءت الحبر بمعنى العالم من اليهود او كبيرهم ومنهُ كعب الأَحبار . ويشبههُ قول الشمَّاخ (اللسان ٥ : ٢٢٩) :

كما خطَّ عِبْرَانيَّةً بيمينهِ بتَيْماء حبرٌ ثمَّ عرَّض اسطرا

وكما دُعي رؤساء النصارى بالاحبار دعوهم ايضاً (بالأَرْباب) . قال حُميد بن ثور (المخصَّص ١٢ : ٨٧) يصف بعيرًا يطأطئ برأسهِ ليُرْكَب :

فُضولَ ازمَّتها أَسجدتْ سجودَ النصارى لأَربابها

وروى في التاج (٢ : ٣٧١) : « لأَحبارها »

ومن الالفاظ المختصَّة برئيس النصارى عند العرب (الساعي) . قال في التاج (١٠ : ١٨٧) : « الساعي لليهود والنصارى رئيسهم الذي يصدرون عن رأيهِ ولا يقضون امرًا دونهُ . وبالمعنَيَيْن فُسّر حديث حذيفة في الامانة : ان كان يهوديًّا او نصرانيًّا ليردَّنَّهُ على ساعيهِ »

وممَّا ذكرهُ اللغويُّون (العَسَطُوس) قال في التاج (٤ : ١٩٢) : « هو رأس النصارى واللفظة روميَّة » لم يمكنَّا ردُّها الى اصلها ولعلَّها مصحَّفة

ومنها (القسّ) شرحهُ اصحاب المعاجم برئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم واللفظة سريانيَّة ܩܫܐ اي شيخ وتأتي على وزن فَعيل ܩܫܝܫܐ ومنها القسّيس في العربيَّة . قال جرير في القسّ (المعرَّب للجواليقي ص ٣٩) :

صبَّحن تُوماء والناقوسُ يقرَعُهُ قسُّ النصارى حراجيجًا بنا تجِفُ

قالوا تُوماء من اعمال دمشق . ورواية معجم المستعجم للبكري (١ : ٢١٥) : تُرماء . قال تُرْماء ماء لكندة . وروى في لسان العرب (١٤ : ٣٤٣) : « صبَّحن تَيْماء » . ومن الشواهد في القسّ قول الراجز (اللسان ٨ : ٥٨) :

لو عرضتْ لأَيبليّ قسٍ أشعثَ في هيكلهِ مُندسِّ حنَّ اليها كحنين الطَّسِّ

ومنهُ اسم قسّ بن ساعدة خطيب العرب واسقف نجران. ومما ورد في القسّيس قول عبدالله بن زبير لحجّار بن ابجر العجليّ (الاغـاني ١٣ : ٤٧) يقرّعهُ في نصرانيّتهِ :

وعندكَ قسّيسُ النصارى وصُلْبُها وغانيةٌ صهباءُ مثل جنى النَّحلِ

وجمعوهُ على قَساقسة . قال اميّة بن ابي الصلت (التاج ٤ : ٢٠٧):

لو كان مُنفلتٌ كانت قَساقِسةٌ يحييهم الله في ايديهم الزُّبُرُ

والاسم من القس (القسّيسيّة والقُسوسة) وفي الحديث «لا يغيَّر قسّيس من قسّيسيّتهِ» واللفظة مشتقّة من السريانيّة ܩܫܝܫܘܬܐ وبنى منها العرب فعل قسَّس

ودون القسّ (الشمّاس) عرّفهُ ابن سِيده في المخصّص بقولهِ (١٣ : ١٠٠): «من رؤوس النصارى يحلق وسط رأسهِ ويلزم البيعة» . واللفظة سريانيّة ܫܡܫܐ اي خادم البيعة. وقد تسمّى بعض العرب بالشمّاس كما ورد في الاشتقاق لابن دريد (٢٦٨) وفي حماسة ابي تمّام (ص ٢٥٥) . وجمعها خَلَفُ بن خليفة (كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٤٨ ed. Goeje) على شماميس فقال :

كأنّا شماميسُ في بيعةٍ تُقسّسُ في بعض عِيدانها

وجمعها البحتري على شمامِسُ حيث قال (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٨٣):

بين شمامسٍ وقسوسِ .

ومن الالفاظ التي وردت في المعاجم لرتب النصارى الواقف والوافه والواهف . (فالواقف) على ما ورد في لسان العرب والقاموس والتاج خادم البيعة مشتقّة من وَقَف النصرانيُّ وقِيفَى اذا خدم البيعة ونقل في التاج (٦ : ٢٦٩) الحديث في كتاب محمّد لاهل نجران «ان لا يُغيَّر واقفٌ من وِقّيفاهُ» (قال) : «الواقف خادم البيعة لانهُ وقف نفسهُ على خدمتها» . وروى ابن سعد (ed. Wellhausen. ٧٧) «من وقفانيّتهِ» . و(الوافه) قد عرّفوهُ «بقيّم البيعة التي فيها صليب النصارى بلغة اهل الجزيرة» (التاج ٩ : ٤٢١) . وروى الحديث السابق : «لا يغيَّر وافه من وَفهيّتهِ» . والوِفاهة كالوفهيّة والواقه بالقاف كالوافه وروى الحديث ايضاً : «ولا واقه من وقاهيّتهِ» . ومثلهما (الواهف) قال في التاج (٦ : ٣٧٣) : «الواهف سادن

البيعة التي فيها صليبهم وقيّمها كالوافه وعمَلها الوِهافة بالكسر والفتح والوُهفيّة والهَفيّة. وقد وَهفَ يهفُ وَهفاً وَوهافةً. وقال ابن دريد في المخصّص (١٣ : ١٠٠) : « الوافه مقلوب عن الواهف »

ومثل الوافه (السّاعور) شرحها في التاج (٣: ٣٦٨): « مقدّم النصارى في معرفة علم الطبّ وادواتهِ واصلهُ بالسريانيّة ساعورا ومعناهُ متفقّد المرضى ». والساعور (ܣܥܘܪܐ) في عهدنا تُقال في الجزيرة لقيّم البيعة وفي مصطلح السريان يُراد بها المدبّر والزائر مطلقاً

واكثر ما تعدّد عند العرب من المفردات النصرانيّة الالفاظ الدالّة على الرُّهبان ومساكنهم . فمنها (الأبيل) التي مرّ ذكرها ومعناها الزاهد والراهب . وقد ذكرنا اصلها السريانيّ . ومن غريب التأويل ما ذكرهُ في التاج (٧: ١٩٩): « الابيل الراهب سُمّي بهِ لتأبّلهِ عن النساء وترك غشيانهنّ قال عديّ بن زيد :

انّني واللهِ فاقبَلْ حِلفتي بأبيلٍ كلّما صلّى جأرْ

وقال ابن دريد : هو ضارب الناقوس وانشد:

« وما صكّ ناقوسَ الصلاةِ ابيلُها »

ومثل الأبيل (الأَيْبليّ والأُيبليّ والهَيْبليّ) وكلّها بمعنى واحد اي الراهب ولعلّها مقلوبة عن الابيل . قال الاعشى :

وَمَا أَيْبُليٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

واشهرُ من الابيل والايبليّ (الرّاهب) فأكثرَ من ذكرهِ شعراء العرب قال الاعشى (تاج العروس ١: ٢٨٠) يحلف بمسوح الرهبان والكعبة :

حلفتُ بثوبَيْ راهب الدير والتي بناها قُصيٌّ والمُضاضُ بن جُرْهُمِ

اراد بثوبيهِ مسحَيهِ كما قال جرير (التاج ٨: ٦٩ وسيرة الرسول ٣٨٥):

لا وَصْلَ اذ صرمَت هندٌ ولو وقفَتْ لاستفتنَتْني وذا المسحَيْنِ في القُوسِ

وروى البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨٩) بيت الاعشى : « بثوبَيْ راهب الطور » وروى ايضاً « وثوبَيْ راهب اللُّجِّ » (راجع المفضّليّات ed. Lyall ص ٤٨) واردف البكري قائلاً: « قيل انهُ اراد المسيح عليهِ السلام بقولهِ راهب اللج . . . والتي بناها قُصيّ يعني مكّة »

وكان رهبان جزيرة العرب يسكنون في التِلال واعالي الجبال كما يشهد عليهِ بيت انشدهُ ابن الاعرابيّ (التاج ١: ٢٨١):

لو كلَّمَتْ رُهْبانَ ديرٍ في القُلَل   لانحدر الرُّهْبانُ يسعى فنَزَلْ

قالوا الرُّهبان هنا مُفرد كالراهب. وقال ربيعة بن مقروم الضبّيّ يصف مقام الراهب ونسكَهُ (الاغاني ١٩ : ٩٢):

لو انها عرضَت لأَشْمَطَ راهبٍ   في رأسِ مُشرفةِ الذُّرى متبتّلِ
جئّارِ ساعاتِ النيامِ لربّهِ   حتى تخدَّد لحمهُ مُتَشَمِّلِ
لَصَبَا لبهجتها وحُسْنِ حديثها   ولَهَمَّ من ناقوسهِ يَتَنَزَّلِ

والمتشمعل المتغنّي في تلاوة الزبور. قال الراعي (معجم البلدان ٤ : ٥٠١):

وسِربٍ نساء لو رآهنَّ راهبٌ   لهُ ظلّةٌ في قُلّةٍ ظلَّ رانيا

يقال رنا اليهِ اي طرب لحديثهِ. ومما وصفوهُ وافاضوا في ذكرهِ مصباحُ الراهب الذي يوقدهُ ليلًا لصلاتهِ فيُرى عن بُعْد ويستهدي بهِ طارق الليل. قال امرؤ القيس في معلّقتهِ يصف لمعان البرق ويشبّههُ بسراج الراهب عند صبّهِ الزيت على الفتيلة ليذكيَهُ:

أصاحِ ترى برقًا أُريكَ وميضَهُ   كلَمْعِ اليدَيْن في حَبيٍّ مكلَّلِ
يُضيءُ سناهُ او مصابيحُ راهبٍ   أمالَ السليطَ بالذُّبالِ المُفتَّلِ

ومثلهُ قول كُثيّر (اللسان ١٥ : ١٧٩):

او مصابيحَ راهب في يَفاعٍ   سغَّمَ الزيتَ ساطعاتِ الذُّبالِ

وقال امرؤ القيس (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص ٢١):

نظرتُ اليها والنجومُ كأنها   مصابيحُ رُهبانٍ تُشَبُّ لقُفّالِ

قال الشرّاح: القفّال عبّاد النصارى لانهم قفلت جلودهم اي يبست من العبادة. وقال المزرّد اخو الشمّاخ (عن ديوانهِ المخطوط):

كأنَّ شعاع الشمس في حُجُراتها   مصابيحُ رُهبانٍ زهتها القناديلُ

وذكروا لبس الرهبان للسواد قال الاعلم (في الهذيليّات ص ٥٧) يصف قتمة جلد الضباع:

سودٍ سحاليلَ كأنَّ جلودهنَّ ثيابُ راهبْ

وقد وصفوا الرهبان بالتبتُّل . قال امرؤ القيس (ديوانهُ ص ١٤٨) :

تُضِيءُ الظلامَ بالعشاء كأنَّها منارةُ مُمسَى راهبٍ مُتبتّلِ

والصَّرورة مثل المتبتّل (١ قال النابغة الذبياني (ديوانهُ في العقد الفريد ص ١١) :

لو انَّها عرضت لأَشمط راهبٍ عَبَدَ الالهَ صَرُورةٍ متعبّدِ
لَرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخالهُ رُشدًا وان لم يرشدِ

كذلك وصفوا صلاة الرهبان في ليلهم وتشعُّث لُمَّتهم زهدًا واصواتهم . قال منظور الاسديّ (راجع تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص ٤١٢ ولسان العرب ١٣ : ٦) :

كأنَّ مهواهُ على الكَلْكَلِ مَوقِعُ كفَّيْ راهبٍ يصلّي
بازلٍ وَجْناء او عَيْهَلِ في غَبَشِ الصُّبح او التجلّي

وقال الآخر (اللسان ١٤ : ٨٩) :

عن راهبٍ متبتّلٍ متقهّلٍ صادي النهارَ لِلَيْلِهِ متهجّدِ

القَهَل يُبس الجلد من العبادة . والتهجُّد السهر للصلاة . وكانوا يتلون الزبور خصوصاً في صلاتهم كما قال امرؤ القيس يصف رسوم الدار (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٦١) :

أتت حِجَجٌ بعدي عليهِ فأصبحتْ كخطِّ زبورٍ في مصاحفِ رهبانِ

وكما افاضوا في ذكر الرهبان كذلك بيَّنوا منازلهم في بلاد العرب فخصُّوا منها بلاد مَدْين قال كثيِّر عزَّة (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مَدْينَ والذينَ عهدُتهم يبكون من حَذَرِ العقاب قُعودا
لو يَسْمعونَ كما سمعتُ كلامها خرُّوا لعزَّةَ رُكَّعًا وسجودا

وقال جرير (ياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مَدْيَنَ لو رأوكِ تنزَّلوا والعُصْمُ من شَعَفِ الجبالِ الفادرِ

وكذلك خصَّصوا وادي القرى كناسك للرهبان قال جعفر بن سراقة احد بني قرَّة (الاغاني ٧ : ١٠١) :

فنحنُ منعنا ذا القرى من عدوّنا وعذرةَ اذ نَلْقى يهودًا وبَعْبَرا

---

١) وفي الحديث . « لا صرورة في الإسلام » قال الزجاجيّ معناهُ التبتُّل وترك النكاح

منعناهُ من عليا معدّ وانتمُ سفاسيفُ روحٍ بين قرحٍ وخيبرا
فريقانِ رهبانٌ بأسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

وكذلك عيّنوا مَوْزَن وهو بلد بالجزيرة في ديار مُضر كاحد مناسك الرهبان. قال كثيّر (راجع التاج ٣ : ٤٩٩ وياقوت : ٤ : ٦٨٠) :

كأنّهمُ قَصْرًا مصابيحُ راهبٍ بِمَوْزَنَ رَوَّى بالسليط ذُبالَها
هم اهلُ الواحِ السريرِ ويُمْنِهِ قرابين اردافًا لها وشمالَها

قصرًا اي عشيًا . والسليط الزيت كما مرَّ . وعدَّد صخر الغيّ (لسان العرب ٩ : ٢٧ والتاج ٥ : ٢٨٣ والهذيليّات ص ١٣) امكنةً اخرى يسكنها الرهبان كبلاد الروم ومنازل تنوخ وصَوْران وزَبَد . قال :

والله لو اسمعتْ مقالتَها شيخًا من الشُّمْسِ رَأْسهُ لَبَدُ
مأْبهُ الرومُ او تنوخُ اوِ م الآطام من صَوْرانَ او زَبَدُ
لَفَاتَحَ البَيْعَ يوم رؤْيتها وكان من قبلُ بَيْعهُ لَكَدُ

فذكرُهم للرهبان في كلّ هذه الامكنة يؤيد قولنا في القسم الاوّل عن شيوع النصرانيّة في انحاء جزيرة العرب

وكانوا يدعون الرهبان بالحُبساء. و (الحبيس) في المعاجم المحبوس في سبيل الله اي المُفرَز لذلك فيقولون حبيس الله (١

وكذلك دعوا الرهبان (بالحُنفاء). وقد مرَّ لنا كلام في الحنيف في القسم الاوّل من كتابنا (ص ١١٩) حيث اثبتنا انَّ الحنيف جاءت بمعنى الراهب . كفى شاهدًا على ذلك قول صخر الغيّ في الهذيليّات (ص ٤٥ ed. Kosegarten) :

كأنَّ تواليَهُ بالمَلا نصارى يساقون لاقَوْا حنيفا

ومن اسماء الراهب عند العرب (الدَّيْرانيّ) قالوا انهُ صاحب الدير نسبةً اليهِ على شذوذ والصواب انهُ من السريانيّة ܕܝܪܝܐ . ومنها ايضًا (الرّبيط) قال الزجاجيّ : هو الراهب. وفي التاج (٥ : ١٤٣) : «الربيط الراهب والزاهد والحكيم الذي ظلفَ اي ربط نفسهُ عن الدنيا اي سدَّها ومنعها». ومنها (الجِلاذيّ) و(الجُلْذيّ)

١) اطلب كتاب المعمَّرين للسجستاني (Goldziher. *Abhandlungen*, XXXII)

قال في التاج (٢ : ٥٥٧) هو خادم البيعة والراهب والجمع الجَلاذيّ بفتح الاوّل وقد ورد في الشعر القديم قال تميم بن مُقبل :

صوتُ النواقيس فيهِ ما يفرّطهُ ايدي الجلاذيّ جونٌ ما يغفّينا
كأنّ أصواتها من حيث تسمعُها صوت المحارث يخلجن المحارينا

ورُوي البيت الاوّل : « الجلاذي وجون ما يغفّينا » والثاني : « صوت المحابض ينزعنَ المحارينا »

ومن اسماء الراهب ايضاً (النُّهاميّ) جاء في المخصّص لابن سيده (١٣ : ١٠٠) : « النهاميّ في قول ابن الاعرابيّ الراهب لانهُ ينهم اي يدعو . ومن المحتمل انّها مستعارة من السريانيّة ܢܗܘܡܐ اي الباكي والزاهد كما قالوا الابيل . او هي مشتقّة من الحبشيّة كما ارتأى العلّامة نولدك (Beitraege, p. 56) . وجاءت اللفظة في الشعر القديم قال الاسود بن يعفر (لسان العرب ٢٠ : ٦٦) :

وقالوا شريسٌ قلتُ يكفي شريسكم سنانٌ كنبراس النُّهامي مفتّقُ
نمتهُ العصا ثمّ استمرّ كأنّهُ شهابٌ بكفّي قابسٍ يتحرّقُ

وقد رأيت انهم دعوا الراهب (بالأشعث) لتشعُّث لمّتهِ قال الشاعر (لسان العرب ١٩ : ٣٤١ راجع ايضاً المفضّليات ص ٤١١) :

وأشعثَ عنوانٌ بهِ من سجودهِ كَرُكْبَةِ عَنْزٍ من عنوزِ بني نَصْرِ

وقال صخر الغيّ :

شيخاً من الشُّعثِ رأسهُ لبدُ

وقد سمّوا الراهب (المُقدّس) اذا زار بيت المَقدس كما قال امرؤ القيس يصف ثورًا ادركتهُ الكلاب فقطّعت جلدهُ :

فأدرَكْنَهُ يأخذنَ بالساقِ والنَّسا كما شَبْرَقَ الولدانُ ثَوْبَ المقدّسِ

قال في اللسان (٨ : ٥٠) شبرق جلدَهُ اي قطّعهُ . يقول قطّعهُ الكلاب كما شبرق ولدان النصارى الراهب الذي يجيءُ من بيت المقدس فقطّعوا ثيابهُ تبرُّكاً وكانوا يتبرَّكون بهِ وبمسحهِ الذي هو لابسهُ واخذ خيوط منه حتى يتمزّق ثوبهُ وقيل المقدّس الحبر »

ومن اسماء الراهب عندهم (المتعبّد) قال ابن سيده (١٣ : ١٠٠) : « هو المنقطع في الصومعة » وقد مرّ في الشعر

وقد ابتنوا من الراهب اسماً فقالوا « الرهبانيّة » ومنهُ ما ورد في سورة الحديد (ع ٢٧) : « وقفّينا بعيسى بن مريم واتيناهُ الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتّبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيّةً ما كتبناها عليهم الّا ابتغاء رضوان الله »

وكما ذكروا الراهب ذكروا (الراهبة) وجمعوها الرواهب . قال امرؤ القيس (العقد الثمين ص ١١٨ والتاج ٤ : ٤٣) :

فآنستُ سرباً من بعيدٍ كأنّهُ   رواهبُ عيدٍ في مُلاءٍ مُهدَّبِ

ودعوا الراهبة ايضاً (بالدَّيْرانيَّة) وردت اللفظة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٢٢٩) وفي معجم البكريّ (٣٧٧) . ودعوا الرواهب ايضاً (بالعذارى) ومنهُ عدّة اديرة وصفها العرب وسمّوها اديرة العذارى (راجع البكري ص ٣٧٦ وياقوت في معجم البلدان ٣ : ٦٧٨) ومنهُ صوم العذارى « للعذارى النصرانيّات من العرب شكرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار » (الآثار الباقية للبيروني ص ٣١٤)

وعلى ظنّنا انّ (الحَوَاريّات) ارادوا بها ايضاً العذارى الرواهب قال مُسهر اليشكري (اللسان ٥ : ٢٩٩) :

فَقُلْ للحَوَاريَّات يبكينَ غيرنا   ولا تبكينّا الّا الكلابُ النوابحُ

ويلحق باسم الراهب « المحرَّر والنَّذيرة » ورد ذكرهما في المخصَّص (١٣ : ١ : ١) في باب الرهبانيّة ونحوها قال : « هما الابن أو الابنة يجعلهُ ابواهُ قيِّماً وخادماً للكنيسة وانّما كان يفعل ذلك بنو اسرائيل كان ربّما ولد لاحدهم ولد فحرّرهُ اي جعلهُ نذيرةً في خدمة الكنيسة ما عاش لا يسعهُ تركها » . وقد وردت لفظة المحرَّر في القرآن عن لسان والدة العذراء مريم فقال (سورة آل عمران ٣ : ٣١) : « اذ قالت امرأتُ عِمران ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرَّرًا » . والنذيرة من العبرانيّة נזיר اي المنذور للربّ

وهذه الفاظ أخرى نردفها باسماء الرهبان وردت ايضاً في لغة اهل الجاهلية منها (السائح) بمعنى الراهب المتفرّد في الاقفار ذكرها ابن هشام في سيرتهِ (ص ٢٠)

عن اوَّل داعٍ للنصرانيَّة في نجران. وذكرها المؤرخون عن نعمان ملك الحيرة لمَّا ساح في الارض بعد تنصرهِ وزهدهِ. والاسم السياحة قال في التاج (٢: ١٦٨): «السياحة والسُّيوح والسَّيَحان والسَّيح الذهاب في الارض للعبادة والترهُّب (قال): ومنهُ المسيح عيسى بن مريم عليهِ السلام في بعض الاقاويل لانهُ كان يذهب في الارض فاينما ادركهُ الليل صفَّ قدميهِ وصلَّى حتى الصباح» وقد مرَّ بك ان هذا الاشتقاق ليس بصواب

ومنها (الناسك) وهو المتعبّد المتقرّب الى الله بالصوم والصلاة واعمال البرّ اطلقها العرب على الراهب. والاسم النُّسك بتثليث اوَّلها

وكان الرهبان يحلقون وسط رأسهم وهي (القُوقة) والرجل مقوَّق. جاء في كتاب الاضداد (ص ١٣٢. وفي اللسان ١٢: ٢٠٠):

أيُّها القسُّ الذي قد حلَّق القوقةَ حلقهْ
لو رأيتَ الدفَّ منها لنسقتَ الدفَّ نسقهْ

ومنها (الحازي والعرَّاف والكاهن) وهي الفاظ التبست عليهم فتردَّدوا في معانيها. ولا شكَّ انها أُطلقت ايضاً على نصارى الجاهلية. فالحازي عندهم «الكاهن والعائف والعالم بالامور» (راجع التاج في المادَّة) واللفظة معرَّبة من العبرانيَّة (חזה) اي الناظر والنبي او مأخوذة من السريانيَّة ܚܙܝܐ او ܚܙܘܝܐ اي المتفقّد والناظر والحكيم ارادوا بها رئيس الدين لحكمتهِ ولعلَّها ترجمة اليونانيَّة (ἐπίσκοπος) بمعنى الناظر اي الاسقف والراعي الديني

وكذلك (العرَّاف) ارادوا بها الساحر والمنبئ بالمستقبل عموماً. وقد خصُّوا بها النصارى قال جعفر بن سراقة في شعر مرَّ ذكرهُ (ص ٥٩٨):

فريقانِ رهبان بأسفل ذي القرى وبالشام عرَّافون فيمن تنصَّرا

ومثلهما (الكاهن) فانَّها وردت بمعنى مدَّعي معرفة الاسرار والمتعاطي اخبار الكائنات في الماضي والمستقبل. والاسم الكَهانة. لكن للكاهن معنى آخر لم يجهلهُ العرب في الجاهليَّة نريد بهِ معنى خادم الدين ومقرّب الاقداس للاله وهو معناها في العبرانيَّة כהן وفي الآرامية ܟܗܢܐ فلا بدَّ من القول انَّ العرب استعاروهُ منهما للدلالة على كهنة اليهود والنصارى وقد رأيت في فصولنا السابقة عن تاريخ

النصرانية في جزيرة العرب شيوع هذا الدين في كل انحاء العربيّة. والدين المسيحي لا يقوم الّا بالنظام الكنسيّ اي بوجود اساقفة وكهنة ومنهُ يتّضح انّهم لم يريدوا بلفظة الكاهن السّحرة والمشعوذين فقط بل اخذوها ايضاً بمعناها الخاصّ اي راعي الدين القويم وخادم الاسرار المقدّسة وان لم ينصّوا عليهِ. وقريب منهُ قول صاحب لسان العرب (١٧: ٢٤٥): «العرب تسمّي كلّ من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً ومنهم من كان يسمّي المنجّم والطبيب كاهناً» فطبيب الارواح احقّ بهِ من سواه. وفي تاريخ عرب الجاهلية اخبار بعض الكهّان الذين دعوا الى الله وردُّوا عن المنكر وارشدوا الى الخير ما يدلّ على انّهم كانوا ارفع مقاماً من السّحرة

٦ مفردات نصارى الجاهلية الخاصّة بكنائسهم واقداسها

سبق لنا عدّة الفاظ مشتركة استعملها نصارى العرب لمناسكهم وعباداتهم كما سبقوا غيرهم الى استعمالها كالمسجد والكعبة والمحراب والمنارة والمئذنة. ولهم الفاظ أُخرى خاصّة بهم تجري عندهم حتى اليوم وكانت شائعة قبل الاسلام كما سترى

منها (الكنيسة) وهي لفظة ساميّة معناها المجمع عبرانيّتها כנישתא وسريانيّتها ܟܢܘܫܬܐ فاتت بمعنى محلّ صلاة اليهود والنصارى ومنهم من يجعل الكنيسة للنصارى والكنيس لليهود. ومن الشواهد على استعمال اللفظة قديماً لمعبد النصارى قول جرير يهجو بني تغلب النصارى (الكامل للمبرّد ص ٤٨٥ ed. Wright):

ما في مقام ديارِ تغلبَ مسجدٌ وبها كنائسُ حَنْتَمٍ ودِنان

(قالوا) الحَنْتَم الخزف الاخضر

واشيع منها لفظة (البيعَة) وهي سريانيّة ܒܝܥܬܐ ومعناها البَيضة والقبّة اشارة الى شكل بناء الكنائس قديماً وذكرُها مكرَّر في الشعر الجاهليّ. قال ورقة ابن نوفل (الاغاني ٣: ١٦):

اقولُ اذا صلَّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمكَ داعيا

ومثلهُ للزبرقان بن بدر التميميّ لمّا وفد على نبيّ المسلمين (سيرة الرسول لابن هشام ص ٩٣٥):

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يعادِلُنا منّا الملوكُ وفينا تُنصَبُ البِيَعُ

واقدم منهما قول لقيط بن مَعْبد في عينيّتهِ التي وجّهها الى قومهِ ليحذّرهم من كسرى ذي الاوتاد (مختارات شعراء العرب لهبة الله العلويّ ص ٢ وتاج العروس ٥ : ٢٨٥) :

تامَتْ فؤَادي بذاتِ الخالِ خَرْعَبَةٌ مرَّت تُريد بذاتِ العَذْبَةِ البِيَعا

(قال) : ذات الخال وذات العذبة مكانان . ويروى : بذات الجذع . وروى في التاج « تامت .. خزعتهُ » وهو تصحيف . ومثلهُ قدماً قول عبد المسيح بن بقيلة (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥١) :

كم تجرَّعتُ بدَيْر الجَرَعَةْ غصصاً كَبْدي بها مُنْصَدِعهْ
من بدورٍ فوق اغصانٍ على كُثُبٍ زُرْنَ احتساباً بِيَعَهْ

ومنها (القُلَّيس) قال في المخصَّص (١٣ : ١٠٣) : « القُلَّيس بيعةٌ كانت بصنعاء للحبشة هدمَتْها حِمْيَرَ » . واللفظة دخيلة اصلها من اليونانيَّة Ἐκκλησία . وقد وصف قدماء الكتبة هذه الكنيسة باوصاف تدلُّ على حسنها وفخامة بنائها وكان بانيها الملك ابرهة (راجع ما نقلناهُ من اقوالهم في مجاني الادب ج ٣ ع ٤٠١ وج ٧ ص ١٢٩٦)

ومنها (السعيدة) جعلها ابن سيدة (١٣ : ١٠٣) وياقوت (٤ : ٧٥٦) في جملة مناسك النصارى وقالا عنها انَّها « بيتٌ كانت تحجُّهُ ربيعة في الجاهليَّة » وقد مرَّ بك ذكر تنصُّر ربيعة

واجلُّ ما في البيعة (هَيْكَلُها) وهو صدرها حيث تُقام الصلوات والرتب واللفظة عبرانيَّة היכל وآراميَّة ܗܝܟܠܐ وهي فيهما بناء العبادة الكبير . والهيكل في العربيَّة البناء العظيم واستُعمل لكلّ كبير الجسم . قال التبريزي في شرح الحماسة (ص ٢٩) : « الهيكل اصلهُ في البناء » . وقال في الاغانيّ : « الهيكل العظيم من الخيل والشجر . ومنهُ (؟) سُمّي بيت النصاري الهيكل » . وقد ورد بهذا المعنى في الشعر الجاهليّ . قال عنترة (راجع العقد الثمين ص ١٨١) :

تَمْشي النعامُ بهِ خَلاءً حولَهُ مَشْيَ النصارى حولَ بيت الهيكلِ

قال في المخصَّص (١٣ : ١٠٤) : « الهيكل بيت النصارى فيهِ صورة مريم عليها السلام ... وربَّما سُمّي بهِ ديرهم » وفي لسان العرب (١٤ : ٢٢٥) :

« الهيكل بيت النصارى فيهِ صورة مريم وعيسى » . وقال الاعشى (الاضداد ص ٢٤ ولسان العرب ٦ : ١٤٤) يذكر الهيكل :

وما ايبليٌّ على هيكل بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

ومثلهُ قول الآخر وقد مرَّ :

وما قدَّس الرهبانُ في كلّ هيكلٍ ابيلُ الابيلين المسيح بن مريما

وفي الهيكل (المَذْبَح) وهو محلّ التقديس والقربان . واصلهُ محلّ الذبح وتقدمة الذبيحة فاستعملوهُ مجازًا قال في التاج (٢ : ١٣٨) : « ومن المجاز المذابح للمحاريب والمقاصير في الكنائس وبيوت كُتب النصارى . سُمّيت بالمذابح للقرابين » . وقال في اساس البلاغة (١ : ١٩٢) : « مررتُ بمذابح النصارى وهي محاريبهم وموضع كتبهم ونحوها المناسك للمعتقدات »

قال الحسين بن الضحّاك (راجع معجم البكري ص ٣٦٩) :

عجَّت اساقفها في بيت مَذْبحها وعجَّ رهبانُها في عرصة الدارِ

وكان للكنائس (محاريبها) وقد مرَّت . واخصّ ما كانوا يزينون بهِ هياكلهم (الصَّليب) تنويهاً بموت السيّد المسيح مصلوباً . وقد تكرَّر ذكرهُ في الشعر الجاهلي وجمعوهُ على صُلب وصُلبان وصرَّحوا بعبادة النصارى للصليب وباتخاذهم لهُ كقبلة وكرأية . وقد أقسم بهِ عديّ بن زيد فقال (الاغاني ٢ : ٢٤) :

سعى الاعداءُ لا يألونَ شرًّا عليكَ وربِّ مكّةَ والصليبِ

راجع ايضاً ما قيل في القسم الاوَّل عن اكرام النصارى لمكّة في الجاهليّة (ص ١١٨) . وممَّن ذكروا الصليب النابغة الذبيانيّ (تاج العروس ١ : ٣٣٧) قال :

ظلّت اقاطيعُ انعامٍ مؤبَّلةٍ لدى صَليبٍ على الزوراء منصوبُ

قال الصغّاني (Lane s.v) : « سمّى النابغة العَلَمَ صليباً لأنَّهُ كان على صليب لانهُ كان نصرانياً » وقال شارح ديوان النابغة (شعراء النصرانيّة ص ٦٥٥) : « اراد النابغة صليب النصارى وكان النعمان نصرانياً » . وقد ذكر الاخطل خروج النصارى لحروبهم والصليب يتقدَّمهم (ديوانهُ ص ٣٠٩) :

لمَّا رأونا والصليبَ طالعا خلّوا لنا راذانَ والمزارعا

وممّن صرّحوا بعبادة العرب للصليب حجّار بن أبجر قال يهجو بني عجل النصارى (الاغاني ١٣ : ٤٧) :

تُعدّدني عجلٌ وما خلتُ أنّني خلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بَعلُ

اي تعبد المصلوب. وروى في التاج (١٠ : ٩٠) للأقيشر :

في فتيةٍ جعلوا الصليبَ إلهَهُمْ حاشايَ اني مُسلمٌ معذورُ

وكانوا يسمون جباههم بالصليب قال حجّة الدين الصقليّ في كتاب أنباء نجباء الأنباء لخالد بن يزيد في امرأته رَمْلة الزبيريّة (ص ٩٤) :

أحبُّ بني العوّامِ طُرًّا لاجلها ومن أجلها حبّبت أخوالها كَلْبا
فان تُسلمي أُسلِم وان تتنصّري يخطُّ رجالٌ بين اعينهم صُلْبا

وبنوا من الصليب فعلًا فقالوا صلّب اي رسم الصليب كما رأيت في شعر الاعشى :

فما أيبليٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلّب فيهِ وصارا

وكان نصارى العرب كما غيرهم يزينون كنائسهم بنقش الصور ونصب التماثيل فيكرمونها نسبةً الى ما تمثّلهُ لهم من اولياء الله وفضائلهم. ولنا في شعر اهل الجاهليّة عدّة شواهد على ذلك. فذكروا (الصورة) وهي هيئة الشيء وشكلهُ لا سيما هيئة اولياء الله. وقد سبق في باب تاريخ النصرانيّة بين عرب الحجاز (ص ١١٦–١١٧) انّ العرب كانوا وضعوا في الكعبة صورة «الملائكة والانبياء كموسى ومريم وعيسى» : وممّن ذكروا الصور النصرانيّة الاعشى كما سبق فبنى من الصورة فعل «صارَ» :

وصلّب فيهِ وصارا

يريد الراهب الذي نصب الصليب في الهيكل وزانهُ بالصور. وتسمّى الصورة (تمثالًا) قال في التاج (٨ : ١١١) : «التمثال الشيء المصنوع مشبَّهًا بخلق من خلق الله عزّ وجلّ. (قال) والتماثيل هي صور الانبياء وكان التمثيل مباحًا في ذلك الوقت». وكانت تلك الصور تُتقن بالفن وينقشونها بالالوان ويطلونها بالذهب. قال عبدالله بن عجلان (الاغاني ١٩ : ١٠٢) :

غرّاءُ مثل الهلالِ صورتُها ومثل تمثالِ صورةِ الذّهَبِ

(قال) ويروى : بيعة الذهب. وروى ياقوت لشاعر قديم (٣ : ٥٢٥) :

حتى اذا كُنَّ دُونَ الطِرْبالْ بَشَّرَ منهُ بصهيلٍ صَلْصَالْ
مطهَّر الصورة مثل التمثالْ

ومثلهُ للاخطل (ديوانهُ ص ١٢) :

حَلْيٌ يشبُّ بياضَ النَّحرِ واقدُهُ كما تُصَوَّرُ في الدير التماثيلُ

وكانوا يطوفون حول الصور لاسيما في اعيادهم. قال الحارث بن خالد المخزومي (الاغاني ١٥ : ١٣٣) :

وبشرةُ خَود مثل تمثالِ بيعةٍ تظلُّ النصارى حولَهُ يومَ عيدها

ومثل الصورة والتمثال (الدُّمية) جمعُها الدُّمى واصلها من السريانيّة ܕܘܡܝܐ ومعناها الشبه . قال في التاج (١٠ : ١٣١) : « الدُّمية الصورة المنقَّشة من الرخام (عن الليث). وفي الصحاح : الصورة من العاج ونحوه او عامٌّ من كلّ شيءٍ مستحسن في البياض او الصورة عامّة (وهو قول كراع). قال ابن الاثير: هي الصورة المصوَّرة لأنّها يُتنوَّق في صنعها ويُبالَغ في تحسينها . . . والدمية ايضاً الصَّنم . . . لتزيينها وتنقيشها كالدُّمى المصوَّرة ». ولذلك ضربوا المثل في حسنها فقالوا: « احسن من دُمية (امثال الميدانيّ ١ : ٣٠٠) وقد شبَّهوا بها نساءهم قال الاعشى (التاج ٩ : ٣٤٤):

وحُورٍ كأمثال الدُّمى ومناصفُ

وكان سبقهم داود النبيّ الى هذا التشبيه فوصف في المزامير (مز ١٤٣ : ١٢): بنات المنافقين « المتزيّنات كدُمى الهياكل ». ومعظم الشعراء القدماء الذين ذكروا الدُّمى خصُّوا بها بيَع النصارى ومحاريبهم دلالةً الى عادتهم المألوفة بتزيين كنائسهم بالصور ليكرموها لا ليعبدوها كالاصنام قال عديّ بن زيد (في الكامل للمبرّد : (ed. Wright, 460

كَدُمى العاج في المحاريب او كالـبَيْض في الروضِ زهرهُ مستنيرُ

ومثلهُ للاحوص في الاسلام (الاغاني ٤ : ١٤٢) :

كأنَّ لُبنى صَبيرُ غاديةٍ او دميةٌ زُيِّنت بها البِيَعُ

وقال عُمر بن ابي ربيعة (الكامل ص ٣٧٠) :

دميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ صوَّروها في جانب المحرابِ

وقال اميَّةُ بن ابي عائذ (ديوان الهذليّين ص ١٧٧) :

او دميةٌ المحراب قد لعبتْ بها ايدي البُناةِ بزُخرفِ الإتراسِ

وتبعهُ ابو العتاهية فقال (الاغاني ٣ : ١٥١) :

كأنَّ عتّابةَ من حسنها دُميةُ قسٍّ فتنت قسَّها

وممَّن وصفوا الدُّمى امرؤ القيس حيث قال (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٢٨) :

كأنَّ دُمًى سُقْفٍ على ظَهرِ مرمرٍ كسا مُزبَدَ الساجوم وشيًا مصوَّرا

ومثلهُ النابغة الذبيانيّ (العقد الفريد ص ١٠) :

او دميةٍ من مرمرٍ مرفوعةٍ بُنيتْ بآجرٍ تُشادُ وقرمَدِ

وكذلك قال عبيد بن الابرص (الاغاني ١٩ : ٨٦) :

واوانسٌ مثل الدُّمى حورُ العيونِ قد استُبِينا

وقال سُلمى بن ربيعة (الحماسة ص ٥٠٦ ed. Freytag) :

والبيض يرفُلْنَ كالدُّمى في الرَّيْط والمُذهبِ المَصُونِ

وقال زياد بن حَمل (الحماسة ٦١٤) :

فيها عقائل امثالُ الدُّمى خُرُدٌ لم يَغذُهنَّ شَقا عيشٍ ولا يَتمُ

ويظهر من شعرهم انَّ هذه الدُّمى كانت تُصطنع في بعض انحاء العرب كهَكِر قيل انهُ موضع في اليمن قال امرؤ القيس (ديوانهُ ص ١٢٤ في العقد الثمين) :

كناعجتَينِ من ظِباء تبالةٍ على جوءذرَينِ او كبعضِ دُمى هَكِرْ

وكذلك ميسنان وقيل انها مَيسان بين الواسط وبصرة قال سُحَيم :

وما دميةٌ من دُمى مَيْسَنا نِ معجبةٌ نظرًا واتصافا

ولعلَّهم اطلقوا ايضاً على الصورة اسم (النُّصْب) وهو في الاصل كل ما كان يُنصَب فيُعبَد من دون الله تعالى والجمع أنصاب ويقال نُصُب بضمَّتين والجمع نَصَائب. وقد خصُّوها بعبادة الاوثان فارادوا بها حجارةً كانت حول الكعبة كانوا يصبُّون عليها دماء الذبائح. ولعلَّ النصارى ارادوا بها معنى الصورة عموماً دون الوثن لورود اللفظة في شعر البعض منهم

وأعجب من هذا انهم استعملوا لفظة (الوثن) للدلالة على صورهم والكلمة حبشيَّة ወሐን بهذا المعنى وقد استعملها الاعشى بمعنى الصليب. قال (المفضليَّات ص ٥٤٩ ed. Lyall ولسان العرب ١٧ : ٣٣٤) :

يطوفُ العفاةُ بابوابهِ كطَوفِ النصارى ببيت الوَثَنْ

(قال) اراد بالوثن الصليب

وقد امتازت كنائس النصارى (بالناقوس) وكان قديماً خشبةً طويلة يقرعون عليها بخشبة قصيرة اسمها (الوَبيل) او (الأَبيل) يقال نَقَس بالوبيل الناقوس نَقساً اذا ضربهُ ثمَّ جعلوا بدلًا من الخشبة لوحاً من نحاس كانوا يقرعون عليهِ . وهو اليوم (الجَرَس) على صورة نصف المخروط وهو عربيّ ايضاً ذكرهُ في التاج قال (٤ : ١١٨) : « والجرس الجلجل ... والذي يُضرَب بهِ » . وتكرَّر في الشعر الجاهليّ ذكر النواقيس . قال المتلمّس يذكر خروجهُ الى بلاد غسّان حيث كثرت الكنائس والنواقيس (راجع طبعتنا لديوانهِ) :

حنَّت قَلُوصي بها والليلُ مُطَّرِقٌ بعد الهدوِّ وشاقتْها النواقيسُ

قولهُ « بعد الهدوّ » اي عند السَّحَر لانَّ عادة الرهبان ان يقرعوا نواقيسهم للصلاة قبل الفجر . ومثلهُ قال المرقّش الاكبر (المفضّليات ص ٤٦٥) :

وتسمعُ تَزْقاءً من البوم حولنا كما ضُرِبت بعد الهدوِّ النواقسُ

ومثلهما للأعشى (راجع الجوهري في مادَّة حدّ) ويروى لعنترة (العقد الثمين ص ١٧٩) :

وكأسٍ كعين الديك باكرتُ حدَّها بفتيانِ صدقٍ والنواقيسُ تُضرَبُ

وقال الاسود بن يعفر وجمعَ الناقوس على نُقُس (التاج ٤ : ٢٦٣) :

وقد سبأتُ لفتيانٍ ذوي كرمٍ قبلَ الصباح ولمّا تُقرَعِ النُّقُسُ

واكثر ما كانت النواقيس في الدساكر والقرى قال لبيد (ديوانهُ ص ١٣٧) :

فصدَّهم منطقُ الدُّجاجِ عن الـ ـعَهْد وضربُ الناقوس فاجتُنِبا

قال الشارح : « والناقوس انما يكون في القرى فلمّا مرُّوا بالقرى كرهوا دخولها فعدلوا عنها واجتنبوها وكانت قصدًا على الطريق » . ومثلهُ للجعديّ :

ودسكرةٍ صوتُ ابوابها كصوتِ المواتح بالحَوْأَبِ
سبقتُ صياح فراريجها وصوتَ نواقيسَ لم تُضرَبِ

وكان ضارب الناقوس الراهب والراهبة والقسّ . قال ربيعة بن مقروم من ابيات مرَّت ذكر فيها الراهب (الاغاني ١٩ : ٩٢) :

لَصَبا لبهجتها وحُسن حديثها ولَهَمَّ من ناقوسهِ يتنزّلِ

وروى في الاغاني لبعض الاغفال عن راهبة :

تضربُ بالناقوسِ وَسْط الدَّيرِ قبل الدَّجاجِ وزقاء الطَّير

ومثلهُ لجرير في القسّ (البكريّ ٢١٥) :

صبّحنَ تُوْماء والناقوسُ يقرعهُ قُسُّ النصارى حراجيجاً بنا تَجِفُ

وقال جرير ايضاً (البكري ٣٦٨) :

لمّا تذكّرتُ بالديرَين ارّقني صوتُ الدجاج وقرعٌ بالنواقيسِ

وقال الاعشى ودعا ضارب الناقوس بالأبيل وهو ايضاً الحبر كما مرّ (راجع حماسة البحتري ص ٥٦) :

فانّي وربّ الساجدينَ عشيّةً وما صكّ ناقوسَ الصلاة أبيلُها
أصالحكم حتى تبوءُوا بمثلها كصرخة حُبلى بشّرتها قَبُولها

ويؤيد ذلك قول المثل في القاموس: «رأيت أبيلًا على وَبيل» اي حبرًا على عصا رعايتهِ . وقيل بل الابيل هو عصا الناقوس كالوبيل

امّا (الجَرَس) فلم نجدهُ في شعر قديم . وانّما ورد ذكرهُ في الحديث قال في أسد الغابة لابن الاثير (١ : ٣٥١) عن لسان محمّد في الوحي : « احياناً يأتيني (اي الوحي) في مثال صلصلة الجَرَس ». وفي حديث آخر رواهُ مسلم (٤: ٤٥٠): « الجَرَس مزامير الشيطان (١ »

وكانوا ينيرون كنائسهم بالانوار ويسرجون فيها السُّرج ويضيئونها بالمصابيح قال عمر ابن ابي ربيعة (الاغاني ١٥ : ٧) :

نظرتُ اليها بالمحصَّب من مِنىً ولي نظرةٌ لولا التحرّجُ عارمُ
فقلتُ اشمسٌ ام مصابيحُ بيعةٍ بدت لكَ خلفَ السَّجفِ ام انتَ حالمُ

وكانوا على الاخصّ يقيمون فيها الرتب الدينيّة . مرّ ذكر صلاتهم وسجودهم وتسبيحهم في كنائسهم . وكانوا يقرّبون القرابين في القدّاس ومنهُ قول الاعشى :

وما قدَّس الرهبان في كلّ هيكلٍ . . .

ومثلهُ قول البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) يصف رتبة قدّاس النصارى « وضجّ الرهبان بالتقديس »

١) اطلب Goldziher: *Abhhandl. z. arab. Philologie*, p. 189

ومن مناسكهم (القُربان) هو في الاصل كلُّ ما يُتقرَّب بهِ الى الله . وقد خُصَّت بقربان النصارى. قال اميَّة (كتاب البدء ٢ : ١٤٥) :

ايَّام يَلْقى نصاراهم مسيحَهُمُ والكائنينَ لهُ ودًّا وقُرْبانا

وروى في اللسان لجرير (١٥ : ١٢٥) :

او تتركون الى القسَّين هِجْرَتكم ومَسْحكم صُلْبَهم رَحْمان قرْبانا

وقد بنوا منهُ فعلًا فقالوا (تقرَّب) اذا اخذ القربان. قال الاعشى يمدح هوذة بن عليّ النصرانيّ الذي اعتق منهُ من أسرى تميم يوم الفصح (تاريخ الطبري ١ : ٩٨٧) :

بهم تقرَّبَ يوم الفِصْح ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صَنَعا

ومثلهُ ما اخبر صاحب الاغاني (٢ : ٣٢) عن عديّ بن زيد وهند بنت النعمان كيف دخلا يوم خميس الفصح كنيسة الحيرة « ليتقرَّبا » يريد تناولهما القصحيّ

وكانوا يدعون القربان (الشَّبَر) ولعلَّ اللفظة سريانيَّة « ܫܒܪܐ » وهي الطعام والغذاء ارادوا بها قوت النفوس وقد وردت في الشعر القديم. قال عديُّ بن زيد يحلف بالقربان (شعراء النصرانيَّة ٤٥٢ ولسان العرب ٦ : ٥٨) :

إذ اتاني نبأٌ من مُنْعِمٍ لم أخُنْهُ والذي أعطى الشَّبَرْ

قال الشارح: « الشبر هو الانجيـــل والقربان » . وقد وردت الكلمة في شعر العجّاج فافتتح احدى اراجيزهِ بقولهِ :

الحمدُ لله الذي أعطى الشَّبَرْ

فشرحوا الشَّبر بالعطيَّة والموهبة. وكأنها تعريب اللفظـة اليونانيَّة افخارستيا (Εὐχαριστία) ومعناها الموهبة الصالحة فاطلقوها على القربان. وورد لابن السكيت في اصلاح المنطق (طبعة مصر ص ١٥٩) في شرح بيت عديّ: « قيل في الشبر ههنا انهُ القربان »

وقد خصُّوا بالذكر (خمر القربان) ورووا صلاة النصارى عليها وتقديسهم لها وقد مرَّت في ذلك ابيات لايمن بن خُرَيم (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

وصهباء جرجانيَّة لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم تنغرْ بها ساعةً قِدْرُ

ولم يشهد القسُّ المهينُ نارَها طروقًا ولا صلَّى على طبخها حَبْرُ

ومثلهُ فيها للاعشى (شعراء النصرانيَّة ص ٣٧٨) :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بيتها وان ذُبحتْ صَلَّى عليها وزَمْزما
ببابلَ لم تُعصَر فسالت سُلافة تخالط قنديدًا ومسكًا مختّما

فبذكره للصلاة عليها خصَّ الخمر المقدّسة . وقال الاعشى ايضاً :

وصهباء طاف خاميُّها وابرزَها وعليها خَتَمْ
وقابلها مستهامًا لها وصلّى على دنّها وارتسمْ
تمزّزْتها غيرَ مستكبرٍ على الشرب او مُنكر ما عُلِمْ

التهاميّ صاحب الدير وقد مرّت ورُوي(قطب السرور Ms de Paris ff. 67) : «طاف يهوديُّها » ولعلّهُ تصحيف لانَّ اليهوديّ لا يصلّي على الخمر ولا يطيف بها . وكذلك قال علقمة وذكر (الكأس) وخصَّ خمرها بصفات اقرب الى الخمر المقدّسة :

كأسُ عزيزٍ من الأعناب عتّقها لبعض أربابها حانيةٌ حومُ
تشفي الصُّداع ولا يؤذيكَ طالبُها ولا يخالطُها في الرأس تدويمُ
ظلّت ترقرقُ في الناجود يصفقُها وليدُ أعجمَ بالكتّانِ مفدومُ

قالوا اراد بالعزيز الملك . وقالوا بل اراد كبير النصارى كقول اوس بن حجر يذكر فصح النصارى :

عليهِ كمصباحِ العزيز يَشُبُّهُ لفِصْحٍ ويحشوهُ الذُّبال المفتّلا

وكما شربوا خمر القربان اكلوا خبزهُ المقدّس . وقد بيّنّا (ص ٧٢ و١٣٩) ان هجو بعض الشعراء لبني حنيفة النصارى على « اكلهم لربّهم » انّما ارادوا بهِ تقرّبهم من القربان الاقدس فقرّعوهم بما لم يدركوا معناهُ فقالوا :

أكلتْ حنيفةُ ربّها زمن التقحّم والمجاعَهْ
لم يحذروا من ربّهم سوءَ العقوبة والتباعَهْ

ومثلهُ قول الآخر :

أكلتْ ربّها حنيفةُ من جوعٍ قديمٍ ومن إعوازِ

والنصارى يشيرون الى القربان (بمائدة الربّ) كما دعاها بولس في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١٠ : ٢١) . واللفظة شاعت عند عرب الجاهليّة اخذوها ايضاً من نصارى الحبش وهي عندهم ማእድ وقد وردت في القرآن بهذا المعنى (في

سورة المائدة ع ١١٢ و١١٤) حيث يذكر انَّ الحواريين طلبوا من المسيح ان يُنزل عليهم مائدة من السماء فأنزلها . واراد بها العشاء السرّي

ولا شكَّ انهُ كان لهم في كنائسهم (مِنبَر) للكرازة واعظم شاهد على قولنا انَّ اللفظة ليست عربيَّة بل مستعارة من نصارى الحبش መንበር اي مجلس وكرسي الخطابة ثم اخذها المسلمون (١. قال الفرزدق في آل أبي العاصي (راجع ديوانهُ de. Boucher. p. 19) :

ولن يزالَ امامٌ منهمُ مَلِكٌ اليهِ يشخصُ فوق المِنبر البَصَرُ

٧ مفردات نصارى الجاهليَّة الخاصَّة بمساكن الرهبان

قد توفَّرت المفردات العربيَّة التي ورد ذكرها في المعاجم والشعر القديم دلالةً على مساكن الرهبان فجمعنا منها ما تيسَّر لنا على ترتيب حروف المعجم وفي وفرتها شاهد ناطق على شيوع العيشة الرهبانيَّة في انحاء العرب

فمن ذلك (الاسطوانة) وهي السارية وفقاً لمعناها الاصلي في اليونانيَّة (ἱστῶν) وقد اتخذها العرب بمعنى العمود الذي كان يتعبَّد فوقهُ بعض الرهبان المدعوين لذلك بالعموديين (Stylites) قال ذو الجدن (سيرة الرسول لابن هشام ص ٢٦ ed. Wüstenfeld)

فانَّ الموت لا ينهاهُ ناهٍ ولو شربَ الشفاء مع النَّشُوقِ
ولا مترهّب في أسطوانٍ يناطحُ جُدْرَهُ بيضُ الأنوقِ

قال الشارح: الاسطوان والاسطوانة هاهنا موضع الراهب المرتفع. وقال في التاج: الفرق بين الاسطوانة والعمود انَّ العمود حجر واحد والاسطوانة بناء

ومنها (الأَكيْرَاح) وهي قلّاية الراهب. ومثلها الكِرْح. واصل الكلمة من السريانيَّة ܟܘܪܚܐ قال في المخصَّص لابن سيده (١٣: ١٠): «الأَكيراح بيوت ومواضع تخرج اليها النصارى في بعض اعيادهم وهو معروف». وقال في معجم البلدان (١: ٣٤٥): «الأَكيْرَاح بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلاليَّ لهم» وهي ايضاً موضع بعينهِ وانشد لبكر بن خارجة :

---

١) راجع مقالة للمستشرق بكر (C. H. Becker) عنوانها المِنبر عند قدماء العرب (Orient. Stud. Theod. Noeldeke. t.1,331 - 351)

دعِ البساتينَ من آسٍ وتفَّاحِ واقصد الى الشيخ من ذات الأكيراحِ
الى الدساكر فالديرِ المقابلها لدى الأكيراحِ او دير ابن وضَّاحِ

ومنها (التامور) ويُروى بالهمز تأمور . قال في التاج (١ : ٢٠) : « التأمور صومعة الراهب وناموسهُ . . . وقال ابن دريد انَّ اصل هذه الكلمة سريانيَّة » . ولم نجدها في المعاجم السريانيَّة بهذا اللفظ . ولعلَّها من ܛܘܪܐ بالطاء فتكون كالطمورة في العربيَّة شبَّهوا بها مسكن الراهب . او كالطُّمار اي المحلّ المرتفع والله اعلم . وقيل انَّ اصلها من ተንኣ (تَبُر) الحبشيَّة فابدلوا الباء من الميم (١ ووردت الكلمة في الشعر الجاهليّ في قول الشاعر عن الراهب :

ولَهمَّ من تاموره يتنزَّلُ

ومن الفاظهم الشهيرة (الدَّير) وهي لفظة سريانيَّة الاصل (ܕܝܪܐ) ومعناها المسكن عموماً لا سيما المحصَّن ثمَّ خصُّوا بها مسكن الرهبان . قال ياقوت في معجم البلدان (٦ : ٦٣٩) : « الدَّير بيت يتعبَّد فيهِ الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الاعظم انَّما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال » . وقال في اللسان (٥ : ٢٨٧) عن ابن سيده : « الدَّير خان النصارى والذي يسكنهُ ويعمرهُ ديَّار ودَيْرانيّ » . وقال ابن الاعرابيّ : « يقال للرجل اذا رأس اصحابهُ : هو رأسُ الدير . وقد شاع استعمال الكلمة في الشعر القديم قال عديّ بن زيد (معجم البلدان ٢ : ٦٨٠) :

نادمتُ في الدير بني عَلقَمَا عاطيتُهم مشمولةً عَندما
كأنَّ ريح المسكِ من كأسها اذا مزجناها بماء السما

وقد عدَّد ياقوت والبكري وغيرهما في معاجم البلدان نيِّفاً ومئة دير مما ورد ذكرهُ في الشعر القديم . بل ذُكر لابي الفرج الاصفهانيّ كتاب في الديارات خصَّهُ بذكر الاديرة القديمة بين العرب

ومنها الرُّكح) قال في المخصَّص (١٣ : ١٠٢) : « من ابيات النصارى . (قال) ولستُ من هذه الكلمة على ثقة » . (قلنا) ولعلَّ الكلمة تصحيف (الكِرْح) الآتية

١) راجع المعرَّب للجواليقي ٢٧ ed. Sachau, وكتاب فرنكل Fraenkel: *Aram. Fremdw. in arabischen*, p. 269.

ومنها (الصَّرح) وهو في الاصل البناء العالي وقيل ان الصرح في النبطيّة القصر. ولعلّ الاصحّ انها حبشيّة ጸርሕ ومعناها الحُجرة والقلّاية (١

ومنها (الصَّومعة) ومثلها الصومع بناء للراهب محدَّد الطرف. قال في التاج (٧: ٤١١): «الصومعة كجوهرة بيت النصارى ومنار الراهب سُمّيت لدقّة في رأسها». وقال زين العابدين: «الصومعة المنارة وهي في الاصل مُتعبَّد للراهب. وقد مرَّ ذكرها في الفصول السابقة (راجع الصفحة ١٧٥). واصل الكلمة من الحبشيّة ጸማዕት ومعناها الدير والقلّاية. وقد وردت بهذا المعنى في القرآن (سورة الحجّ ع ٤١) ونطق بهذا الشعراء القدماء. روى سيبويه لاحدهم:

اوصاك ربُّك بالتُّقى وأُولو النُّهى اوصوا مَعَهْ
فاخترْ لنفسك مسجدًا تخلو بهِ او صومعَهْ

ومنها (الطِّرْبال) وهو كل بناء عالٍ مرتفع وقال ابو عبيدة هو شبيه بالمنظرة من مناظر العجم كهيئة الصومعة وانشدوا لدُكَيْن (راجع ياقوت ٣: ٥٢٥ والتاج ٧: ٤١٦):

حتى اذا كان دُوَيْنَ الطربالْ رجعْنَ منهُ بصهيلٍ صَلْصالْ
مطهَّر الصورة مثل التمثال

وقد وردت الكلمة بمعنى البيعة ومعبد النصارى ولعلّها اعجميّة

ومنها (العُمْر) قال في التاج (٣: ٣٢٠): «العُمر المسجد والبيعة والكنيسة سُمّيت باسم المصدر لانهُ يُعمَر» والصواب انّ الكلمة سريانيّة (ܥܘܡܪܐ) وهي الدير. قال المتلمّس (راجع معجم ما استعجم للبكريّ ص ٦٩٦):

ألكَ السديرُ وبارقٌ ومبايضٌ ولكَ الخورنَقْ
والعُمْر ذو الاحساء واللَّذَّات من صاعٍ ودَيْسَقْ

(قالوا) العُمر في شعر المتلمّس الدير او البيعة والكنيسة

ومنها (القلّاية) اصلها من السريانيّة ܩܠܝܬܐ اشتقّها السريان من اليونانيّة κελλίον. وقال البكري (في معجمهِ ص ٣٦٩): «ان كانت القلّاية مضافةً الى المواضع فانّما هو العُمْر والعمر عندهم اسم الدير قال الثرواني:

١) اطلب كتاب نولدك (Neue Beitraege z. semit. Sprachwissenschaft)

وان اتنا حيَّتُماني تحيَّة فلا تَعْدُوَا رَيْحان قلّايةِ القسّ»

ومنها ايضاً (القُوس) وهو الدير واصل الكلمة من الفارسيَّة قال صاحب اللسان (٨: ٦٩): «القُوس الصومعة او موضع الراهب. وقال ياقوت (٤: ٢٠٠): «هو معبد الراهب» وانشد في اللسان:

لا وَصْلَ اذ صُرِفَتْ هندٌ ولو وقفتْ لاستفتنتني وذا المسحَيْن في القُوسِ»

وانشد الاصمعي لذي الرُّمَّة:

على أَمْرِ منقدّ العفاء كأنَّهُ عصا قسّ قُوسٍ لينُها واعتدالُها

قال: القسّ القسّيس والقوس صومعتهُ

ومنها (الكرْح) وهو مقام الراهب من السريانيَّة ܟܘܪܚܐ بمعناه وقد مرَّ مع الأكيراح

ومنها (المَنْهمة) وهو مسكن النَّهام او النَّهاميّ اي الراهب قال ذو الجدن (سيرة الرسول ٢٦—٢٧):

وغُمْدانُ الذي حُدِّثْتَ عنهُ بنَوْهُ مسمَّكاً في رأس نيقِ
بمَنْهمةٍ واسفلُهُ جروبٌ وحُرُّ المَوْحَلِ اللَّثِقِ الزليقِ
بمرمَرةٍ واعلاهُ رُخامٌ تحامٌ لا يغيِّبُ في الشقوقِ
مصابيحُ السليط تلوح فيهِ اذا يُمسي كتَوْماضِ البُرُوقِ

قال الشارح: المنهمة موضع الراهب

ومنها (النَّاموس) قال في اللسان (٩: ١٣٠): «الناموس بيت الراهب ولعلَّهُ «اراد الناوس من اليونانيَّة ναός وهو الهيكل. وجاء في التاج: «الناوُوس مقبرة النصارى»

٨ مفردات لنصارى الجاهليَّة في اعيادهم ومواسمهم السنويَّة

نذكر هنا الاعياد النصرانيَّة الثابتة والمتنقلة التي شاعت عند عرب النصارى كما عرفها غيرهم

اولها عيد (السُّبَّار) يريدون بهِ ما ندعوهُ عيد البشارة واللفظة سريانيَّة الاصل (ܣܘܒܪܐ). قال البيروني في الآثار الباقية عن القرون الخالية (ص ٢٩٤): «السُّبَّار دخول جبرائيل عليهِ السلام على مريم مبشّرًا بالمسيح». ولم نجد اللفظة في الشعر الجاهلي وانَّما وصف اميَّة بن ابي الصلت البشارة بآيات رويناها سابقاً

ومنها عيد (الميلاد) وقد سمّاهُ البيروني (ص ٢٩٣) عيد يَلدا من السريانيّة ܝܠܕܐ اي ميلاد المسيح

ومنها (القَلَنْدَس) ذَكَرهُ المسعودي في مروج الذهب (٣: ٤٠٦) ودعاه البيروني القلنداس (ص٢٩٢) قال وهو رأس السنة وتمام الاسبوع من ولادة مريم. واللفظة لاتينيّة (Kalendæ) قال المسعودي:

يكون فيهِ بالشام لاهلهِ عيد يوقدون في ليلتهِ النيران ويظهرون (الافراح) لاسيما بمدينة انطاكية وما يكون في كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك سائر الشام وبيت المقدس ومصر وارض النصرانيّة كلها وما يظهر اهل دين النصرانيّة بانطاكية من الفرح والسرور وإيقاد النيران ويساعدهم على ذلك كثير من عوامّ الناس وكثير من خواصهم

ومنها (الدِنْح) ذكرهُ ابن سيده في المخصّص (١٣: ١٠٣) عن ابن دريد قال: «الدِنْح عيد من اعياد النصارى ولا احسبها عربيّة وقد تكلمت بها العرب» والكلمة سريانيّة ܕܢܚܐ ومعناها الظهور اي ظهور السيّد المسيح لبني اسرائيل يوم معموديّتهِ. قال البيروني (٢٩٣):

«وفي السادس من كانون الآخر دِنْحا وهو عيد الدنح نفسهُ ويوم المعموديّة الذي صبغ فيهِ يحيى بن زكريّا المسيحَ وغمسهُ في ماء المعموديّة بنهر الاردن عند بلوغ ثلثين سنة من عمرهِ واتصل بهِ روح القدس شبه حمامة نزلت من السماء على ما ذُكر في الانجيل»

ويعرف عيد الدنح بالغطاس ايضاً. وعلى هذا اللفظ وصفهُ المقريزيّ في الخطط (١: ٤٩٤). ويسمّى ايضاً بيوم العماد

ومنها (السَّباسب) قال في المخصّص (١٣: ١٠٢) وفي التاج (٤: ٢٩٤):

«يوم السباسب عيد للنصارى ويسمّونهُ يوم السعانين ويقال شعانين بالشين. والسباسب الاغصان يريدون بها سَعَف النخل الذي قطعهُ اليهود يوم استقبلوا المسيح في دخولهِ اورشليم. وقد دعوا ايضاً هذا العيد بعيد الزيتونة. امّا السعانين فمشتقّة من العبرانيّة הושענא (هوشعنا) التي كان يتهلّل بها اليهود امام المسيح. وقد وردت لفظة سباسب في الشعر القديم قال النابغة يذكر عيد السعانين بين بني غسّان:

رقاقُ النعالِ طيّبٌ حُجُزاتُهم يحيّون بالرَّيحان يوم السباسبِ

ومنها (خميس العهد) قال المقريزيّ: (١: ٤٩٥) ويسمّيهِ اهل مصر من العامّة خميس العدس ويعملهُ نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة ايام ويتهادون فيهِ. وقد

عرفهُ العرب ايضاً بخميس الفِصْح ورد على هذا اللفظ في ترجمة عدي بن زيد الشاعر الجاهليّ في كتاب الاغاني (٣: ٣٢) حيث ذكر دخول هند بنت النعمان كنيسة الحيرة قال: «خرجتْ في خميس الفصح وهو بعد السعانين بثلاثة ايّام تتقرّب في البيعة»

ومنها (الفِصْح) كانوا يقدّمون عليهِ الصوم الاربعينيّ وقد ذكرهُ العرب. انشد سيبويه لبعضهم (في كتابهِ ٢: ٢٧):

صدّت كما صدَّ عمّا لا يحلّ لهُ ساقي نصارى قُبَيْلَ الفِصْح صوّامُ

ومن كلامهم في ذلك «تنحّس النصارى» اذا تركوا اكل اللحم. وقال ابن دريد «تنحّس النصارى اذا تركوا اكل الحيوان. وهو كلام عربيّ صحيح ولا ادري ما اصلهُ (التاج ٤: ٢٥٥). ولعلّهُ من «تنحّس الرجل» اذا جاع. ويقول البعض تنهّس بالهاء وهو من تصحيف العامّة. امّا الفِصْح فمن السريانيّة ܦܨܚܐ واصلها פסח العبرانيّة وتكرّر ذكر الفصح في الشعر العربيّ الجاهليّ. قال الاعشى يمدح هوذة بن علي النصراني الذي كان اطلق اسرى بني تميم يوم عيد الفصح تقرّباً لله:

ففكّ عن مئةٍ منهم إسارهمُ واصبحوا كلّهم من غُلّهِ خُلِعا
بهم تقرّب يوم الفصح ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صنعا

وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل. قال اوس بن حجر يصف رمحهُ وقد شبّهَ سنانهُ بمصباح يوقدهُ رئيس النصارى يوم الفصح (شعراء النصرانيّة ص٤٩٤):

عليهِ كمصباح العزيز يشبّهُ لفصحٍ ويحشوهُ الذُّبالَ المفتّلا

قال الشارح: «اراد السنان الشديد الائتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم الشأن من بطارقة الروم لاسيما اذا الهبهُ في ليلة الفصح واذا كان في مثل هذه الليلة كان انور واكثر ضوءاً». وقال عدي بن زيد يشير الى تعمير قنديل الفصح (الاغاني ٩: ٥٣):

بكروا عليَّ بسحرةٍ فصبحتُهم باناء ذي كرم كقعب الحالبِ
بزجاجةٍ ملءِ اليدين كأنها قنديلُ فِصْحٍ في كنيسة راهبِ

وممّن اشاروا الى افراح النصارى في عيد الفصح عبدالله بن زبير قال (الاغاني ١٣: ٤٦) يهجو حجّار بن ابجر لمير بني عجل:

فكيف بعجلٍ ان دنا الفصحُ واغتدت عليك بنو عجلٍ ومرجلُكم يغلي
وعندك قسّيسُ النصارى وصُلْبُها وغانيةٌ صهباء مثل جنى النّحل

ويدعون ايضاً الفصح بالقيامة لتذكار قيامة السيّد المسيح من الموت يوم الفصح. ومن الالفاظ العربيّة في ذلك (الباعوث) ودعاها في المخصّص (١٣ : ١٠٢) الباغوت بالغين قال: اعجمي معرّب عيد النصارى . وفي تاج العروس (١ : ٦٠٢) : «الباعوث استسقاء النصارى وهو اسم سرياني . قيل هو بالغين المعجمة والتاء المنقوطة». وهو بالسريانيّة ܒܥܘܬܐ ومعناها الصلاة والدعاء . وقد خصّوا بها رتبةً تُقام ثاني يوم عيد الفصح. وقد وردت اللفظة في حديث عُمر لمّا صالح نصارى الشام شرط عليهم « ان لا يُحدثوا كنيسة ولا قليّة ولا يخرجوا سعانين ولا باعوثاً »

ومنها (السُّلّاق) قال البيروني في الآثار الباقية (ص ٣٠٨) : « وبعد الفطر (يريد الفصح) باربعين يوماً عيد السُّلّاق ويتّفق ابدًا يوم الخميس وفيه تسلّق المسيح مصعدًا الى السماء من طور زيتا وامر التلاميذ بلزوم الغرفة التي كان أفصَحَ فيها ببيت المقدس الى ان يبعث لهم الفارقليط وهو روح القدس » واصل الكلمة من السريانيّة ܣܘܠܩܐ ومعناها الصعود وروى البكري (٣٧٠) لشاعر اسلاميّ :

بحرمة الفِصْح وسُلّاقكم يا عاقد الزنّار في الخَصْرِ

ومما ذكروا من اعياد النصارى (الهِتزَمن) وروى ثعلب الهِتزَمر. قالوا عيد للنصارى (المخصّص ١٣ : ١٠٢) ولم يزيدوا ايضاحاً . وقد وردت اللفظة في شعر الاعشى :

اذا كان هِتزَمْنٌ ورُحتُ مُخشّا

قال صاحب التاج (٩ : ٣٦٨) : « الهِتزمن الجماعة معرّب هَنجُمَن او أنجُمَن عند الفرس ويُطلق على مجلس الشرب او لمجمع الناس مطلقاً او لعيد من اعياد النصارى». وقد دخلت اللفظة في السريانيّة ܗܢܙܡܢ ويراد بها الحفلة

ونضيف الى ما سبق لفظة (الشَّنعَلة) قالوا هي قراءة النصارى واليهود في اعيادهم. وذكروا عن الخليفة المتوكل انهُ حرم على النصارى « ان يظهروا في شعانينهم صلبياً وان يُشنعِلوا في الطريق (١ » . وقال جحظة يصف دير العذارى (ياقوت ٢ : ٦٩٧) :

١) اطلب المجلّة الاسيوية الالمانيّة ZDMG. XXIX, 639 et XLVI, 44

وقد نطق الناقوسُ بعد سكونهِ وشمْعَلَ قسّيسٌ ولاح فتيلُ

وقال مدرك الشيباني (تزيين الاسواق ص ٣٣٠) :

بحقّ قومٍ حلقوا الرؤوسا وعالجوا طول الحياةِ بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا مُشمْعلِين يعبدون عيسى

٩ مفردات جاهلية لوصف ملابس النصارى

كان نصارى العرب يلبسون الثياب كغيرهم من اهل البادية لا يمتازون بها غالباً عن سواهم . غير انَّ في المعاجم وبعض الشعر الجاهليّ مفرداتٍ وردت في وصفهم النصارى او شرحوها بقولهم انها من ثياب النصارى . نذكر هنا ما عثرنا عليه منها في مطالعاتنا

فمنها (الآخنيّ) قال في التاج (٩: ١١٩) : الآخنيّ الثوب المخطَّط . وقال ابو سعيد: الآخنيّ اكسية سود ليّنة يلبسها النصارى . قال البعيث :

فكرَّ علينا ثمَّ ظلَّ يجرُّهُ كما جرَّ ثوبَ الآخنيّ المقدِّسُ

(يريد بالمقدِّس الراهب الذي رحل الى زيارة القدس) . وقال العجّاج (ed. Ahlwardt, p. ٦٧) :

كأنَّهُ متوَّجٌ روميٌّ عليهِ كتّانٌ وآخنيُّ
او مِقْوَلٌ توّجَ حِمْيَريُّ

وقال ابو الخراش :

كأنَّ المُلاءَ المَحْض خلفَ كُراعهِ اذا ما تمطّى الآخنيُّ المخدَّمُ

ومنها (الإضريج) كساء احمر من الخزّ ويقال ايضاً للخزّ الاصفر . وقيل بل هو كساء يُتّخذ من المرعزّى من اجود صوفها . وقد ذكرهُ النابغة في ديوانهِ (العقد الثمين ص ٤) حيث قال يصف اعياد النصارى الغسّانيّين :

رقاقُ النعال طيّبٌ حُجُزاتهم يُحيَّون بالرَّيحان يوم السباسبِ
تُحيّيهمُ بيضُ الولائد بينهم وأكسيةُ الإضريج فوق المشاجبِ

ومنها (الأرَنْدَج واليَرَنْدَج) قال ابو عبيد في المخصَّص (٤: ١٠٣) : « هو بالفارسيَّة رَنْدَه . قالوا هو ضرب من الأدَم اسود» . وجاء في اللسان (١٨ : ٣٠٤)

والتاج (٢ : ٥٠) انَّ اليَرَنْدج جلد اسود تُعمل منهُ الخِفاف يحتذون بها: وقد خصَّها الشمَّاخ بالنصارى فقال يصف نعاماً في برّيَّة :

ودوّيَّةٍ قَفْرٍ تمشّى نَعامُها كمشي النصارى في خِفافِ اليَرَنْدَجِ

ومنها (الرَّيط) وهي الملاءة المنسوجة قطعةً واحدةً وقد ذكرها الراعي في وصف بطرك النصارى (التاج ٧ : ١١١) فقال يصف ثورًا وحشيًّا :

يعلو الظواهر فردًا لا أليفَ لهُ مَشْيَ البِطَرْكِ عليهِ رَيْطُ كَتَّانِ

ومنها (الزُّنَّار) قالوا هو ما على وَسْط النصارى . وقال في التهذيب: ما يلبسهُ الذميُّ يشدُّهُ على وسطهِ. وقد اشتقُّوا منهُ فعلًا فقالوا زَنَّرَهُ اذا البسهُ الزُّنَّار. وقد جاء الزنَّار في الشعر الجاهليّ قال عديّ بن زيد وكان معاوية يُعجب بهِ :

يا لِرَهْطي اوقدوا نارا انَّ الذي تهوون قد حارا
ربَّ نارٍ بتُّ ارمقُها تَقْضَمُ الهنديَّ والغارا
ولها ظبيٌ يؤجّجها عاقدٌ في الخَصْرِ زنّارا

ويروى :

عندها ظبيٌ يُثوّرها عاقدٌ في الجيد تِقْصَارا

التِقْصار القلادة . ومثلهُ لابن الضحَّاك (البكري ص ٣٧٠) :

بحُرمةِ الفِصْحِ وسُلَّافكم يا عاقد الزُّنّار بالخَصْرِ

ومنها (الكتَّان) كما رأيت في شعر الراعي والعجَّاج

ومنها (المُوق) جمعها أمواق قال ابن سيده: «هو ضرب من الخفاق وقيل خفٌّ غليظ يلبس فوق الخفّ وهو عربيٌّ صحيح». وكان العباديُّون يتنعلون بالامواق قال النمر بن تولب (التاج ٧ : ٧٣ واللسان ١٢ : ٢٢٧) ويروى لسلامة بن جندل :

فترى النعاج بها تمشّى خِلْقةً مَشْيَ العباديّين بالأمواقِ

وكانت هذه الخفاف تتَّخذ من الجلد المدبوغ بالقرظ فيدعونهُ السِّبْت وينتعل بهِ السادة قال عنترة في معلَّقتهِ :

بطلٌ كأنَّ ثيابهُ في سَرْحةٍ يُحذى نعالَ السِّبْتِ ليس بتوأمِ

ومن لبس زُهَّادهم (المِسْح) وهو ثوب الرهبان من شَعَر. قال جرير وسمّى الراهب ذا المسحَيْن (التاج ٨ : ٦٩) :

لا وَصْلَ اذ صرَمَتْ هند ولو وقفتْ لَاستفتَنَتْني وذا المِسْحَينِ في القَوسِ

هذه بعض الفاظ نقلناها وقد صرَّحوا فيها بذكر النصارى. ولا شكَّ انَّ الفاظاً أخرى دخلت في العربيَّة بواسطة النصارى من الحبش والروم والسريان كما يدلّ عليها اصلها الاعجميّ كالبُرجد والإكليل والتاج والبُرنس وابي قلمون والقَلَنسوة والجلباب والسندس وغيرها وان لم يخصّها الكتبة بالنصارى وحدهم

١٠ الفاظهم في الكتابة وادواتها

رأيت في فصل سابق انَّ الكتابة دخلت بين العرب بفضل النصرانيَّة. فلا عجب ان تكون الالفاظ الدالَّة على هذه الصناعة قد وردت خصوصاً في آثارهم ولذلك ترى ذكر ادوات الكتابة مقرونةً في اشعارهم بذكر الزبور وكتب الوحي التي كان الرهبان يتناقلونها في جزيرة العرب ويتأنّقون في كتابتها

فاوّل ما ذكروهُ (القَلَم) قال معاوية الجعفري (معجم البكري ص ٥٨٢) يصف منازل دارسة:

فانَّ لها منازلَ خاوياتٍ على نَمَلى وقفتُ بها الركابا
من الاجزاعِ اسفلَ من نُمَيلٍ كما رجَّعتَ بالقلمِ الكتابا

ومثلهُ لكعب بن زُهير (البكري ص ٤٤١):

أتعرف رسماً بين رُهمانَ فالرَّقمْ الى ذي مراهيطٍ كما خُطَّ بالقَلَمْ

وقال لبيد في معلَّقتهِ:

وجلا السُّيولُ عن الطلول كأنَّها زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها اقلامُها

وكانوا يكتبون على الجلود وجريد النخل والعظام والواح الرصاص. ومن اشهر الفاظهم (القِرطاس) وهي فارسيَّة كالكاغد ويقال قُرطَسٌ ايضاً. وقد وردت في الشعر الجاهلي قال المُخشّ العُقَيلي يصف رسوم دار شبَّهها بخطّ الزبور على القرطاس قال (التاج ٤: ٢١٥):

كأنَّ بحيث استَودعَ الدارَ اهلُها مَخَطَّ زَبُورٍ من دواة وقِرطَسِ

ومنها (الأديم) اي الجلد كانوا يصقلونهُ ويرقّقونهُ فيكتبون عليهِ. قال المرقّش:

الدار قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الاديم قَلَمْ

وكانوا يدعون الأَدَم الرقاق (ورَقاً) قبل ان يصطنعوهُ من القطن تشبيهاً بوَرق الشجر في تصفيحهِ قال جرير (البكري ص ١٠٦):

لمن الديار بباقلٍ فالأنعم كالوَحْي في ورَق الزَّبور المُعجَمِ

وهو (الرقّ) ايضاً جمعهُ الرقوق للجلد وللصحيفة البيضاء والكلمة حبشيَّة الاصل كما يُظنّ قال الخالد بن الوليد المخزومي (الاغاني ٣: ١١٢):

هل تعرفُ الدارَ اضحت آيُها عجَبا كالرقّ اجرى عليها حاذقٌ قلَما

وفي القرآن: «رقّ منشور». وقد دعوا الاديم والصحيفة البيضاء والحصير المنسوج خيوطهُ سيور (قضيماً) قال النابغة (التاج ٩: ٦٩) وفي وصف الرسوم:

كأن مجرّ الرامسات ذيولَها عليهِ قضيمٌ نمّقتْهُ الصوانعُ

وقد دعوا القرطاس والصُحُف البيض (بالمُهرَق) وهي لفظة فارسيَّة مُهرَه. قال الصغاني: المهرق ثوب حرير ابيض يُسْقى الصِمْغ ويُصقل ثمَّ يكتب فيهِ والكلمة قديمة قال الحارث بن حِلزَة في معلّقتهِ:

واذكروا حِلْفَ ذي المجاز وما م قُدِّمَ فيهِ العهودُ والكفلاءُ
حذَرَ الجَوْرِ والتعدّي وهل م ينقض ما في المهارِقِ الاهواءُ

وقال ايضاً (التاج ٧: ٩٦) في الأَطلال شبَّهها بكتابة الحبش:

آياتُها كمَهارقِ الحَبَشِ

وقال الاعشى يذكر الأَدعية المرقومة في المهارق (اللسان ١٢: ٢٤٧):

رَبّي كريمٌ لا يكدّر نعمةً فاذا تُنوشد في المهارِق أنشدا

وكذلك كتبوا على (العَسيب) اي جريد النخل قال امرؤ القيس:

لمن طَلَل ابصرتُهُ فشجاني كخطِّ زبور في عسيبِ يمانِي

وفي الهذليَّات قولهُ:

او زُبْر حِمْيَرَ بينها احبارُها بالحِمْيَريَّة في عَسيبٍ ذابلِ

وكتبوا ايضاً على الالواح (واللَوحُ) كلّ صفيحة عريضة من خشب او عظم كالكتف كانوا يكتبون عليها. وقد ورد في القرآن: «في لوح محفوظ» (والرَّقيم) اللوح من الرصاص. قال امية بن ابي الصلت يذكر اللوح الذي

كان مع اصحاب الكهف حيث رُقم نسبهم واسماؤهم ودينهم (البيضاوي طبعة ليدن ص ٥٥٥):

وليس بها الّا الرَّقيمُ مُجاورًا وصيدَمُ والقومُ في الكَهْفِ هُجَّدُ

وسمّوا مجموع الاوراق المكتوبة (كتاباً) قال زهير في معلّقته عمّا يخفى في قلوب البشر فيدينهُ الله في الآخرة:

يؤخَّرْ فيوضع في كتابٍ فيُدَّخَر ليوم الحساب او يُعَجَّلْ فيُنْقَمِ

وقال عديّ بن زيد الشاعر النصراني في الانجيل (شعراء النصرانيّة):

ناشدْتَنا بكتاب الله حُرْمتنا ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ

ودعوا الكتاب (بالقطّ) جمعهُ القُطوط وهو في الاصل الجلد الذي يكتب عليهِ وقال اميّة يذكر قومهُ بني اياد (التاج ٥: ٢٠٩):

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعًا والقِطُّ والقَلَمُ

وقيل اراد بالقطّ هنا الانجيل. وقال مثلهُ الاعشى:

ولا الملكُ النعمانُ يومَ لقيتُهُ بغبطتهِ يُعطي القطوطَ ويأفقُ

اي يمنح الصكوك للجوائز. وكذلك (الصحيفة) فهي الكتاب ايضاً قال لقيط الإيادي (تاريخ ابن الاثير ١: ١٥٧):

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ الى مَنْ بالجزيرة من إياد

ويروى: «كتابٌ في الصحيفة». وسمّوا الصحيفة (بالمُغَلْغَلة) قالوا انّها الرسالة المنقولة من بلد الى بلد. قال صخر الغيّ في الهذليّات (ed. Kosegarten, p. 13):

أبلغْ كبيرًا عني مغلغلةً تبرقُ فيها صحائفٌ جُدُدُ
فيها كتابٌ ذُبْر لِمُقترئٍ يَعْرِفُهُ البُهْمُ ومَنْ حَشَدوا

ومن اسماء الكتاب عندهم (المُصْحَف) ووردت في شعر امرئ القيس للدلالة على كتب الرهبان قال:

قفا نبكِ من ذكري حبيبٍ وعرفانِ ورسمٍ عفت آياتُهُ منذ أزمانِ
أتت حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحتْ كخطِّ زبورٍ في مصاحفِ رهبانِ

ومن اسماء الكتب (المجلّة) قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩٢): «المجلّة الصحيفة يُكتب فيها شيءٌ من الحكمة» واللفظة آراميّة. قال النابغة يذكر الكتب المقدّسة التي كانت في ايدي بني غسّان: (التاج ٧: ٢٦١)

بجلّتُهم ذاتُ الالهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجونَ غيرَ العواقبِ

ومثلها (السِفْر) للكتاب من التوراة والانجيل وقد مرَّت . وكذلك سمّوا الكتاب (سِجِلّا) كما ذكر في المخصَّص (١٣ : ٨) وفي التاج (٧ : ٣٧) والكلمة لاتينيَّة (sigillum) بمعنى الخاتم والكتاب المختوم . وقد عرفوا (القِمَطْر) وهو ما يُصان فيهِ الكتاب فانشدوا (التاج ٣ : ٥٠٦):

ليس بعلمٍ ما يعي قِمَطْرُ ما العلمُ الَّا ما وعاهُ الصَّدْرُ

وكما ذكروا الكتاب كذلك ذكروا (الخطّ) . قال حسَّان بن ثابت (سيرة الرسول ص ٤٥٤ ed. Wüstenfeld) في رسوم الدار :

عرفتُ ديار زينبَ بالكثيبِ كخطِّ الوحيِ في الورق القشيبِ

وكذلك قالوا في (السَّطْر) انهُ الخط والكتابة . واصل الكلمة من الآرامية . وروى في تاج العروس لبعضهم (٣ : ٦٧٢) :

اني وأسطارٍ سُطِرْنَ سطرًا لَقائلٌ يا نصرُ نصرًا نصرا

وقال الشمَّاخ (اللسان ٥ : ٢٢٩) :

كما خطَّ عبرانيَّةً بيمينهِ بتيماءَ حبرٌ ثمَّ عرَّض أسطُرًا

وكانوا يتخذون للكتاب سمةً وديباجة حسنة وهو (العُنْوَان) قال ابو دؤاد الايادي (التاج ٩ : ٢٧٢) :

« لمن طلَلٌ كعُنْوانِ الكتاب »

وكانوا يُعنَون بوشي الخطّ وتنميقهِ . قال علقمة بن عبَدة (معجم ما استعجم للبكري ص ٥٠٥) :

وذكَّرنيها بعد ما قد نسيتُها ديارٌ علاها وابلٌ متبعّقُ
بأكناف شمّاتٍ كأنَّ رسومَها قضيمُ صَنَاعٍ في اديمٍ منمّقِ

وقال المرقّش الاكبر وبهِ لقِّب مرقّشا :

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الاديمِ قَلَمْ

وقال حاتم الطائي (الاغاني ٧ : ١٣٢) :

أتعرفُ آثار الديار توهُّمًا كخطّك في رقٍّ كتابًا مُنَمْنَمَا

وخصَّ رؤية الانجيل بالتوشية فقال (ed. Ahlwardt., p. 149) :

انجيلُ اخبارٍ وحَى مُنَمْنِمُهُ ما خطَّ فيهِ بالمدادِ قلمُهُ

واشاروا الى بعض حروف الكتابة كقول مرّار بن منقذ في وصف رسوم الدار يشبّه بحروف اللام ما مثّلَ منها :

وترى منها رسوماً قد عَلَتْ مثل خطِّ اللام في وَحْيِ الزُّبُرْ

وكان الكتبة يضاعفون العناية في كتابة صورة العنوان . قال الاخنس بن شهاب (المفضّليّات ed. Lyall, p. 410) :

لابنةِ حطّانَ بن عوفٍ منازلُ كما رَقَّشَ العنوانَ في الرقِّ كاتبُ

وقال ابو الاسود على خلاف ذلك (الاغاني ١١ : ١١١) :

نظرتُ الى عُنوانهِ فنبذتُهُ كنَبْذِك نعلًا أُخلِقت من نعالِكا

وممّا ذكروهُ ايضاً من ادوات الكتابة (الدَّوَاة) قال سلامة بن جندل (ديوانهُ ص ١٥ من طبعتنا) :

لمن طَلَلٌ مثل الكتابِ المنمَّقِ خلا عهدُهُ بين الصُّلَيْبِ فَمُطْرِقِ
أكبَّ عليهِ كاتبٌ بدواتِهِ وحادثُهُ في العين جدَّةُ مُهْرَقِ

وكذلك صرّحوا بذكر (المداد) اي الحبر . قال المتلمّس يذكر الكتاب الذي اعطاهُ عمرو بن هند لعاملهِ في البحرين يسرّ اليهِ بقتلهِ (ياقوت ٤ : ٢٢٨) :

والقيتُهُ بالثِنْيِ من بطن كافرٍ كذلك أُقني كلَّ قطٍّ مضلّلِ
رضيتُ بها لمّا رأيتُ مدادَها يجول بها التيّارُ في كلّ جَدْوَلِ

ومثلهُ (النِقْس) جمعهُ أنقاس قال زهير بن عاصم (البكريّ ص ٥٢٤) :

انَّ بلادي لم تكن أملاسا جنَّ خطَّ القلَمُ الأنقاسا
من السبيّ حيث اعطى الناسا فلم يدَعْ لُبساً ولا التباسا

وفي الاصل : الانفاسا بالفاء . وهو تصحيف

١٢ بعض الفاظ اخرى متفرّقة لنصارى العرب

نذكر هنا بعض الفاظ وردت في اثار الجاهليّة بخصوص النصارى واولّها اسم (النصرانيّ) وجمعها النصارى . قال العجّاج في مفردها (ديوانهُ ص ٦٩) :

كما يعودُ العيدَ نَصْرانيٌّ وبيعةً لسُورِها عِلِيٌّ

وقال جابر بن حُنَيّ في جمعها (شعراء النصرانيَّة ص ١٩٠):

وقد زعمت بهراءُ انَّ رماحَنا رماحُ نصارى لا تخوضُ الى دمِ

وقال طُخَيم بن الطخمة الاسدي يمدح قوماً من اهل الحيرة من بني امرئ القيس ابن زيد مناة بن تميم رهط عديّ بن زيد (ياقوت معجم البلدان ٢ : ٩٥٧):

بنو السِمْط والجدَّاء كلّ سَمَيْدَعٍ لهُ في العروق الصالحات عروقُ

واني وان كانوا نصارى أُحبهم ويرتاحُ قلبي نحوهم ويتوقُ

وقال القطاميّ يذكر نساء النصارى في صومهنّ (التاج ٨ : ٩٩):

يَلُذْنَ بأعقار الحياضِ كأنَّها نساء النصارى أصبحت وهي كُفَّلُ

ومثلهُ لحسَّان (ص ٢٤ من طبعة تونس):

فرحت نصارى يثربٍ ويهودُها لمَّا توارى في الضريح المُلحَدُ

ولعبدالله بن الزبير في حجَّار بن ابجر العجليّ (الاغانيّ ١٣ : ٤٦):

سليلَ النصارى سُدْتَ عِجلًا ومن يكُنْ كذلك اهلٌ ان يَسود بني عجلِ

وقال في التهذيب: وجاءت أنصار جمع نَصْران (اي النصرانيّ) وانشد:

لمَّا رأيتُ نبطًا أنصارا

يريد نصارى من النبط (اللسان ٧ : ٦٨ والتاج ٣ : ٥٦٩)

وكذلك قالوا في مؤنث نَصْرَان « نَصْرانة » قال ابو الاخزر يصف ناقتين طأطأتا رأسيهما من الاعياء فشبههما بالنصرانيَّة تطأطئُ رأسها بصلاتها :

فكِلْتاهما خرَّتْ وأسجدَ رأسها كما أسجَدَتْ نَصْرانةٌ لم تحنَّفِ

وبنوا منهُ فعلًا فقالوا « تنصَّر » اي دخل في دين النصرانيَّة. قال حاتم الطائيّ يذكر ديار الحيان وكانوا نصارى (الاغاني ١٦ : ١٠٤):

وما زلتُ اسعى بين نابٍ ودارةٍ بِلِحْيانَ حتى خفتُ ان أتنصَّرا

وقال جعفر بن سراقة احد بني قرَّة يهجو جميل بن معمر وقومهُ (الاغاني ٦ : ١٥):

نحنُ منعنا ذا القرى من عدوّنا وعُذرةَ اذ نلقى يهودًا وبسْرا

منعناهُ من عليا معدّ وانتمُ سفاسيفُ روحٍ بين قرحٍ وخيبرا

فريقانِ رهبانٌ باسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصَّرا

ومما خصّوهُ بالنصارى (الإرَان) وهو سرير الميت او تابوت من خشب كانوا يحملون عليهِ موتاهم. هكذا رواهُ شارح ديوان طرفة (شعراء النصرانيَّة ٣٠٠) حيث قال في معلَّقتهِ يصف ناقتهُ :

أمُونٍ كألواحِ الإرَانِ نسأْتُها على لاحبٍ كأنَّهُ ظهرُ بُرْجُدِ

قال التبريزي في شرح المعلّقات (ed. Lyall, 33) : الإران تابوت كانوا يحملون فيهِ ساداتهم وكبراءهم دون غيرهم. وقال امرؤ القيس (ed. de Slane : p. ٣٠)

وعَنْسٍ كألواحِ الإرانِ نَسأْتُها على لاحبٍ كالبُرْدِ ذي الحِبَراتِ

قال الشارح (id., p. 99) : الإران سرير موتى النصارى

ومنها (الناؤوس) جمعها نواويس. قال في التاج (٤ : ٢٥٦) النواويس مقابر النصارى. والمرَّجح ان اصل الكلمة من اليونانيَّة (ναός) ومعناها الهيكل والمدفن

ومما ذكروهُ للنصارى (البُوق) وهو التفسير الذي يُنفَخ فيهِ. انشد الاصمعي (التاج ٦ : ٣٠١) للعلبكم (كذا) الكنديّ :

« زمْرُ النصارى زمَّرت في البوقِ »

يريد هنا الروم الذين كانوا ينفخون الابواق في حفلاتهم

ومن غريب ما نسبوا الى النصارى اكرام (الوثن) كما مرَّ سابقاً وقالوا « الوثن الصليب ». وكذلك دعوا الصليب والتماثيل التقويَّة عند النصارى (اصناماً). كما دعاها جرير (بالزُّون) بمعنى الصنم ايضاً. حيث قال (تاج العروس ٩ : ٢٢٩) :

« مَشْيَ الهرابذِ حجُّوا بيعة الزُّونِ »

وفي هذه الاقوال غلطٌ فاحشٌ لان النصارى لم يعبدوا قطُّ الوثن او الصنم او الزُّون. فضلًا عن كون الهرابذة هم المجوس وانَّما يكرّمون الصليب والصور لما تمثّل لهم من شخص السيّد المسيح المصلوب واولياء الله. وشتان بين هذا وعبادة الاصنام

الفصل الثالث

في الأعلام النصرانيّة

انّ اعلام الاشخاص في الأُمم القديمة من اصدق الشواهد على معتقداتها فلذلك اردنا ان نفرد باباً خاصاً للاعلام النصرانيّة التي نجد آثارها في جهات العرب قبل الاسلام فلعلّها تزيدنا علماً بما كان للدين المسيحي من النفوذ في الجزيرة العربيّة

وممّا ينبغي التنبيه اليهِ بادئ بدءٍ انّ الأعلام التي ذكرها قدماء الكتبة قبل المسيح للعرب والتي ورد ذكرها لهم في آثار الاشوريين ثمّ اليونان ثمّ الرومان لا تفيدنا شيئاً بالاطلاق على توحيدهم. بل كثير منها على خلاف ذلك يُوقفنا على عبادتهم للاوثان وخصوصاً للشمس والقمر والكواكب كما اثبتنا ذلك في مقدّمة القسم الاوّل من كتابنا هذا. وكذلك يُستدلّ من تلك الاسماء انّ العرب كانوا يعظّمون مواليد الطبيعة من جماد ونبات وحيوان فكثرة الاعلام الدالّة على هذه المواليد لا يمكن تعليلها الّا بالقول انّ العرب ألّهوا الطبيعة في مظاهرها من القوّة والجمال والحياة فرأوا فيها تجلّيات معبوداتهم

وممّا يولي العجب انّنا لا نجد بين هذه الاعلام القديمة السابقة لعهد المسيح اسماً واحدًا يثبت لنا ما زعمهُ بعض كتبة العرب بعد الاسلام حيث قالوا بلا سند انّ العرب كانوا موحّدين وانّهم اخذوا التوحيد عن ابرهيم الخليل وعن اسماعيل ابنه ثم توارثوهُ بتوالي الاعصار. فالأعلام الواردة في الآثار القديمة تنفي هذا الزعم حتى ان اسم اسماعيل ابي العرب عينهِ لم يُروَ لاحد منهم في تلك الكتابات وعلى خلاف ذلك انّنا نجد في تلك الاعلام ما لا يدع شُبهاً في شرك العرب كبقيّة الامم

هذا الى عهد المسيح. وليس الامر كذلك بعد ظهور النصرانيّة فاننا اذا استقرينا الاعلام العربية التي رواها اقدم كتبة العرب عن تاريخهم المتوسّط بين عهد السيّد المسيح الى ظهور الاسلام امكنّا ان نبيّن من تعدادها انّ النصرانية كانت نفذت في بلاد العرب وانّ تلك الاسماء انّما دخلت بينهم بانتشار الدين المسيحي

ولعلّ البعض يرون انّ عدد هذه الاعلام قليلٌ بالنسبة الى ما ذكرناهُ عن شيوع الدين النصراني بين العرب في الجاهلية فجوابنا على ذلك: اوّلًا انّ العرب النصارى

تبعوا غالباً في اسمائهم عادات قبائلهم القديمة دون ان يمتازوا باسماء جديدة لم يألفوها في سابق الاجيال

ثانياً انَّ منهم من كان لهُ اكثر من اسم واحد كما هي عادة كثيرين من نصارى الشرق في بلادنا فكانوا بالمعموديّة يسمُّون اولادهم باسم يدلّ على نصرانيتهم وامَّا في المعاملات العاديَّة فكانوا يطلقون عليهم اسماً آخر مألوفاً كمالك وصالح وحبيب وسعد

ثالثاً لا بل نعرف من شهادة تاريخهم انَّ بعض النصارى في جزيرة العرب تسمَّوا باسماء وثنية كانت جرت في الاستعمال ونُسي معناها الاصلي كعبد المدان ومنهم بنو عبد المدان النصارى في نجران وكعبد القيس الذي ينتسب اليهِ بنو عبد القيس النصارى الذين ذكرناهم قبلاً. وهكذا جرى ايضاً لنصارى اليونان والرومان والسريان فانَّهم بعد تنصُّرهم تسمَّوا باسماء كان اصلها وثنيًّا مشيرًا الى معبوداتهم كركوريوس وديونوسيوس وباخوس ومرطيوس لكنَّ تلك الاسماء كانت فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية

فاذا ادركت ما سبق فنقول انَّ الاعلام نصرانيَّة بين العرب على خمسة اشكال فمنها ما استعاروهُ من الاسفار المقدَّسة ومنها ما اشاروا فيهِ الى الاسم الكريم ومنها ما خُصَّ بالنصارى دون غيرهم ومنها ما كان تعريباً لاسماء نصرانيَّة ومنها اخيرًا ما دلّ على بعض الصفات الموافقة لاحوال النصارى

١ الاعلام النصرانية المستعارة من الاسفار المقدَّسة

هذه الاعلام مشتركة في بلاد العرب بين النصارى واليهود ونحن نضرب الصفح عن اسماء اليهود لخروج ذلك عن غرضنا فنذكر اسماء سواهم ممَّن ينتمون غالباً الى القبائل التي اثبتنا نصرانيَّتها وذلك على ترتيب حروف المعجم

(آدم) تسمَّى بعضهم في الجاهليَّة باسم ابي البشر. منهم « آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطَّلب » قال ابن دريد في الاشتقاق (ص٤٤): « قُتل في الجاهليَّة وهو الذي وضع النبيُّ صلعم دمهُ يوم فتح مكة ». ومنهم آدم مولى بَلْعَنْبَر ذكرهُ

ابو تمَّام في الحماسة ولعلَّهُ آدم بن شَدْقَم العنبري الذي روى لهُ ياقوت شعرًا في معجم البلدان (٣: ٣٧٣)

(ابراهيم) قال التبريزي في شرح الحماسة (١: ١٧٥ ed.Freytag): قال ابو العلاء : ابراهيم اسم قديم ليس بعربيّ وقد تكلَّمت بهِ العرب على وجوه فقالوا ابراهيم وهو المشهور وابراهام وقد قُرئ بهِ وإبْراهَم على حذف الياء وإبْرَهَم » وذكر هنـاك اسم شاعر قديم دعاهُ « ابراهيم بن كُنَيف النَّبهانيّ ». وممَّن تسمَّى بابراهيم ابراهيم بن أيوب بن محروف عمّ الشاعر النصرانيّ عديّ بن زيد (التاج ١: ١٥١). ومنهم قوم من الصحابة ذكرهم ابن الاثير في اسد الغابة في معرفة الصحابة (ج ١ ص ٤٠–٤٤) عُرفوا باسم ابراهيم تسمَّوا بهِ في الجاهليَّة كابراهيم الاشهليّ وابراهيم بن الحارث بن خالد التيميّ القرشيّ المهاجر وكابي رافع ابراهيم القبطيّ قال انهُ « كان مولى رسول الله صلعم » وابراهيم بن عبَّاد الاوسيّ الذي شهد موقعة أُحد وابراهيم بن قيس بن معـدي كرب الكنديّ ممَّن وفدوا على نبيّ المسلمين. وابراهيم النجَّار قال « انهُ صنع المنبر لرسول الله ». وقد جاء اسم ابراهيم على صورة اخرى وهو اسم أبرهة ذكرهُ العرب للحبشة وأشهر من دُعي بهِ أبرهة الذي حارب ذا نوَّاس وتملَّك على اليمن. وبهِ سمي قبلهُ ابرهة ذو المنار احد ملوك اليمن ابن الرائش الذي اشار اليهِ الشاعر في وصف نوب الدهر (حماسة البحتري ٨٣) :

وأَصَبْنَ ابرهةَ الذي سجدتْ لهُ صُمُّ الفُيُولِ صوامتًا لم تنطقِ

(إِدْرِيس) ليس هذا الاسم على لفظهِ في الاسفار المقدَّسة . والعرب يزعمون انهُ احد الآباء الاوَّلين قال في تاج العروس (٤: ١٤٩): « هو خنوخ او اخنوخ المذكور في التوراة ». وقد تسمَّى بهِ احد النصارى الوافدين على محمَّد رسول الاسلام كما رواهُ ابن الاثير في اسد الغابة (١: ٤٤ و٥٧)

(ارميا) راهب في طور سيناء مات شهيدًا قتلهُ البلاميُّون سنة ٤٧٣ وتذكارهُ في ١٤ كانون الاوَّل

(إِسْحاق) دُعي باسم اسحاق احد شعراء الحماسة في ابي تمَّام (ص ١٤٠) وهو اسحاق بن خَلَف. وذكر ابن الاثير من الصحابيّين (١: ٦٨) اسحاق الغنويّ. وممَّن اشتهر باسم اسحاق بين نصارى العرب راهب استشهد في طور سينـا قُتل مع

رهبان آخرين في سنة ٤٧٣ وتذكارهُ واقع في السنكسارين العربيّ والشرقيّ في ١٤ كانون الثاني ويدعونهُ اسحاق سلاثيل

(اسرائيل) لم نجدهُ بين الأعلام السابقة للاسلام وسُمّي بهِ بعد الاسلام قليلون كاسرائيل بن يونس الراوي ذكرهُ الطبريّ غير مرّة في تاريخهِ واسرائيل بن السَّمَيْدع ذكرهُ ياقوت في معجمهِ (١ : ٤٨٢) واسرائيل بن رَوْح (فيه ٢ : ٣٣)

(إسمَعِيل) اقدم ما نعرف ممّن تسمّوا بهذا الاسم شهيد نصرانيّ كان ارسلهُ ملك العجم سنة ٣٦٢ للمسيح سفيرًا الى يليانوس الجاحد القيصر الروماني ليبرم معهُ عهد الصلح وكان اسمعيل هذا مع اثنين آخرين نصرانيَّين مثلهُ اسمهما مانويل (اوعمّانويل) وسابيل فعرض عليهم يليانوس جحود دينهم فأبوا فامر بقتلهم فماتوا شهداء ايمانهم . وعيدهم واقع في الكنيسة في ١٨ حزيران (راجع اعمال البولنديين Acta Sanctorum, vol., IV Jun. pp. 231-246) . وسُمّي بهذا الاسم ايضاً رجلان من الصحابة اسماعيل الزَّبدي ورجل آخر ذكرهما ابن الاثير في أسد الغابة (ج١ص٧٩—٨٠)

(اشعيا) هو اسم احد الرُّهبان العرب في طور سيناء المستشهدين سنة ٤٧٣

(الياس) ورد هذا الاسم لاحد اجداد نبيّ المسلمين وهو الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . راجع كتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٠) وقد زعموا انّ الاسم مشتق من يئس والصواب انّ الاسم عبرانيّ الاصل وبهِ سُمّي النبي الياس الشهير وبهِ سُمّي بعد الاسلام الياس بن حبيب الفهري عامل افريقية (اطلب تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٦٤) . ومن المحتمل انّ اسم « اياس » الشائع عند العرب هو صورة مختلفة لاسم الياس . وبهذا الاسم عُرف احد النصارى وهو اياس بن قبيصة النصراني وقد ذكرنا في شعراء النصرانية (ص٩٣) شيئاً من شعرهِ . وكان احد سادة قومهِ وابنهُ اياس كان عاملًا لكسرى انوشروان على الحيرة . وممّن عُرف بين عرب النصارى باسم الياس راهبٌ استشهد في طور سينا سنة ٣٨٠ تذكارهُ في ٢٠ تشرين الثاني . وكذلك الياس بطريرك اورشليم (٤٨٠—٥١٨) القديس كان مولدهُ في جزيرة العرب

(أيّوب) هو اسم بعض العرب في الجاهليّة منهم أيّوب بن محروف وهو جدّ

الشاعر النصراني عديّ بن زيد . قال ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (٢ : ١٨) : «كان أيوب هذا فيما زعم ابن الاعرابيّ اوّل من سُمّي من العرب أيوب». وذكرهُ في تاج العروس (١ : ١٥١) مع ابنهِ ابرهيم عمّ الشاعر عديّ بن زيد وروى قول ابن الكلبيّ فيهما قال: «ولا اعرف في الجاهليّة من العرب أيوب وابرهيم غير هذين وانّما سُمّيا بهذين الاسمين للنصرانيّة» . وقد ذكر ابن الاثير في أُسد الغابة (١ : ١٦٢) رجلين من الانصار دُعيا بأيّوب ولا شكّ انّ هذا الاسم كان اسمهما في الجاهليّة وهما « أيوب بن بشير الانصاري وأيوب بن مكرز». وقد ذكر البحتري في حماستهِ (اطلب طبعتنا ص ٢٦٠ و٢٦١) مقاطيع من الشعر لشاعر دعاهُ عُبَيد بن أيوب . وكذلك ورد اسم ايّوب في شعر النابغة حيث قال (شعراء النصرانيّة ص ٦٥٥):

مستشعرينَ قدَ ٱلفَوْا في ديارهمُ دُعاء سُوعٍ ودعميٍّ وايُّوبِ

يريد انَّ بني قُيَيْن دعوا الى الحرب هذه الاحياء الثلاثة قال الشارح : «وهم احياء من اليمن من غسّان وهم نصارى وقيل هم رهبان»

(بَنْيَامين) هو احد شهداء طور سينا سنة ٤٧٣

(حنّة) هذا الاسم ورد للذكور والإناث فهو كحنّان ويوحنّا . امّا للاناث فهو كاسم حنّة امّ صموئيل . ومن الاوّل حنّة والد عمرو الصحابيّ الانصاريّ وابو حنّة البدري ذكرهما في تاج العروس (٩ : ١٨٥) . وامّا من الثاني فحنّة بنت هاشم بن عبد مناف القرشيّ عم محمّد ذكرها اليعقوبيّ في تاريخهِ (١ : ٢٨١ و٢٨٣)

(حَوّاء) ذكر ابن الاثير في أُسد الغابة (٥ : ٤٢٩) اربع نسوة من الانصاريّات عُرِفن باسم حوّاء فتسمَّين بهِ في عهد الجاهليّة وهنّ حوّاء بنت السكن امّ بجيد الحارثيّة زوجة قيس بن الخطيم الشاعر الذي قُتل قبل الهجرة . وحوّاء بنت رافع بن امرئ القيس . وحوّاء بنت زيد بن السكن وكلّهنّ من بني عبد الاشهل . والرابعة حوّاء بنت يزيد بن سنان زوجة قيس بن شمّاس . وقد اختلفوا في نسبهنّ وعددهنّ

(حَيقار) هو من الاسماء الكتابيّة ورد في سفر طوبيّا في الترجمة اليونانيّة (١ : ٢٣) . وفي تاريخ الطبريّ (١ : ٧٤٥) انّ احد بني معدّ بن عدنان الذين خرجوا مع اليمنيين الى الريف كان يدعى بالحَيْقار بن الحيق

(داوُد) هو احد اعلام النصرانيَّة المتواترة في الجاهليَّة. واقدم من عُرف بهِ احد ملوك الضجاعمة الذين سبقوا غسَّان وتنصَّروا مع بني سليح واسمهُ « داود اللثق » قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٣١٩) « هو الذي يُضاف اليهِ دير داوُود بالشام وقد ملك زماناً ». وقد روى الكلبي في الجمهرة نسبهُ فقال: « هو داود بن هبولة اخي هبالة بن عمرو بن عوف بن ضَجْعَم ». ويروى اسم داوُود على صورة دؤاد قال الاسود بن يعفر (حماسة البحتري ص ٨٣) يصف منازل آل محرّق:

ارضٌ تخيّرها لطيب مَقيلها كعبُ بن مامةَ وابنُ امِّ دؤادِ

ومن مشاهير شعراء بني اياد النصارى في الجاهليَّة « ابو دؤاد الايادي » اطلب شعرهُ في حماسة البحتري (ص ٨٧). وقد ذُكر هناك (ص ١٤٤) شاعرٌ آخر دُعي داوُد وهو داوُد بن حَمَل الهمذانيّ. ومن موالي الانصار داود بن بلال (ذكرهُ في اسد الغابة ٢ : ١٢٩)

(زكريَّا) دُعي بهذا الاسم احد بني خزاعة وهو زكريَّا بن علقمة الخزاعيّ ذكرهُ ابن الاثير في أُسد الغابة (٢ : ٢٠٥) وقال انهُ دُعي ايضاً كُرْزًا. وذكر في الاغاني (١٩ : ١٢) زكريَّا بن ثباة الثقيفي

(سُلَيمان) ذكر اليعقوبيّ في تاريخهِ (١ : ٢٩٩) بين حكَّام العرب في الجاهليَّة سليمان بن نوفل ممَّن حكَّموهم لشرفهم وصدقهم ورئاستهم. وذكر البحتريّ بين قدماء الشعراء (في حماستهِ ص ٢٢٦) سليمان بنَ المُهاجر العدويّ. وروى ابو تمَّام (ص٤٣٥) شعرًا لسُليمان بن قَتَّة. وذكروا بين الانصار عدَّة رجال دُعوا باسم سليمان كسُلَيمان الليثي بن اكيمة وسُلَيمان ابن ابي حثمة القرشي وسُلَيمان بن صُرَد الخزاعي وسُليمان بن عمرو بن حديدة الذي قُتل يوم أُحد وسليمان بن مُسْهِر وسليمان بن هاشم ابن عُتبة القرشي (اطلب أُسد الغابة ٢ : ٣٥٠ — ٣٥٢). ولعلَّ الذين تسمَّوا في الجاهليَّة بسُلَيم وسلَّام وسَلمان وسالم اشاروا باسمائهم الى سُلَيمان. والدليل عليهِ ما ورد من الشعر في سُلَيمان الحكيم بتغيير صورة اسمهِ فدعاهُ الاسود بن يعفر سلَّاماً قال (التاج ٨ : ٣٤٤):

ودعا بمحكمةٍ امينٌ سكُّها من نَسْج داودَ ابي سلَّامِ

ومثلهُ للحطيئة:

فيهِ الرماحُ وفيهِ كل سابغةٍ جلَّاء مُحْكَمَةٍ من نسجِ سلَّامِ

ودعاهُ النابغة سُلَيماً فقال ناسباً اليهِ نسج الدروع (ديوانهُ ص ٩٩)

وكلّ صَموتٍ نَثلةٍ تُبَّعيّةٍ ونسجُ سُلَيمٍ كلُّ قضاءَ ذائلِ

(سِمعان) من المحتمل ان يكون هذا الاسم كتابياً او نصرانياً محضاً وقد دُعي بهِ قوم في الجاهليَّة منهم سِمعان بن عمرو بن قريط سيّد بني كلاب الذي كتب اليهِ رسول المسلمين يدعوهُ الى الاسلام فرقع دلوَهُ بالكتاب كما ذكر ابن سعد (ص ١٩—٢٠ ed. Wellhausen) ثمَّ خاف واسلم . وذكر ابو حاتم سهل السجستاني في كتاب المعمَّرين (ص ٥٤ ed. Goldziher) سمعان بن هُبَيْرة قال: «وهو ابو السمَّال الاسديّ عاش ١٦٧ سنة» وقالوا انهُ كان في الردَّة . وفي أُسد الغابة لابن الاثير (٢ : ٣٥٥) صحابيَّان كان اسمهما سمعان وهما سمعان بن خالد الكلابي وسِمعان بن عَمرو بن حجر ولعلّ الاوَّل منهما هو الذي ذكرهُ ابن سعد . واسم سمعان ورد ايضاً على صورة شِمعون كما سترى (راجع ياقوت معجم البلدان ٢ : ٦٧٢)

(السَّمَوْءَل) وهو سموئيل وصَمُوئيل وشموئيل ايضاً . وقد اثبتنا في ديوان السموءَل ما يرجّح كون السموءَل بن عادياء نصرانياً وعليهِ يكون الاسم شاع ايضاً بين النصارى . وقد ذكر ابن هشام في سيرة الرسول حبرًا من اليهود يُدعى سَموئيل بن زيد (ص ٣٥٢ و٣٩٨ ed. Wüstenfeld)

(عِمران) ومثلهُ (عَمرو) اسمان شائعان بين عرب الجاهليَّة ولعلّهم استعاروهما من عَمرام وعُمري الواردين في التوراة فعَمرام هو ابو موسى وهارون ومريم (عدد ٣ : ١٧) ورُوي في القرآن عِمران فجعلهُ كابي العذراء مريم (٣ : ٣١و٦٦ : ١٢) . وعُمري اسم لاحد ملوك اسرائيل ولبعض ابناء اسرائيل . وممن شتهروا باسم عمرو في الجاهليَّة عمرو بن كلثوم التغلبيّ الشاعر النصراني الشهير وعمرو بن قميئة وعمرو بن الاهتم التميمي وغيرهم . واشتهر باسم عِمران عِمران ابن مرَّة بن الحارث وعمران بن الحصين الصحابي

(مريم) تعدَّدت نساء العرب المدعوَّات بمريم نذكرهنَّ في الباب الثالث

(موسى) دُعي بهِ بعض العرب قبل الاسلام كموسى بن الحارث (سيرة الرسول ص٢١١) وابي موسى الاشعريّ (ابن سعد ٧٠) وموسى بن جابر الحنفيّ احد شعراء الحماسة قال في خزانة الادب ولبّ لُباب لسان العرب (١ : ١٤٦) : «هو احد شعراء

بني حنيفة المكثرين يقال لهُ ابن الفريعة وهي امُّهُ ويقــال كان نصرانياً ». وكان اسم رسول الغسّانيين موسى وهو منصّرهم في القرن الرابع كما مرَّ في القسم الاوّل . وكذلك احد المستشهدين من نسّاك العرب في جبل سينا سنة ٤٧٣ كان يُدعى موسى

(لوط) ذكر ابن سعد في الوفادات (ص١٩ ed. Wellhausen) في جملة الرواة المعــاصرين لنبي المسلمين « لوط بن يحيى الازديّ »

(النُّعمان) اقدم من ذكرهُ التاريخ بهذا الاسم النُّعمان بن بنيامين بن يعقوب (تكوين ٤٦ : ٢١) وبهِ عُرف قائد ملك سوريّة الذي ابرأهُ اليّا النبيّ . وقد شاع بعد ذلك بين العرب ولعلّهم استعاروهُ من الاسفار المقدّسة

(نوح) سُمّي باسم نوح احد نصارى ربيعة وهو نوح بن مُجلد ورد ذكرهُ في أسد الغابة (٥ : ٤٥) . وذكر في الاغــاني (٢١ : ٩٠) رجلاً دعاهُ بابن نوح كان في اوائل الاسلام

(هارون) لم يحضرنا. اسم احد من الجاهليّة دُعي بهارون . ولعلّ هــارون بن النعمان بن الاسلت الاوسي (الاغــاني ١٥ : ١٦١) الذي كان في اوائل الاسلام سُمي بهِ قبل الاسلام

(يَعْقُوب) كان من شهداء طور سينا سنة ٤٧٣ المسمّى يعقوب . وذكر ابن الاثير (اسد الغابة ٥ : ١٢٧) بهذا الاسم من اهل الجاهليّة الذين أسلموا يَعْقُوب بن اوس ويَعقوب بن الحُصَين ويعقوب بن زَمَعة ويعقوب القبطي . وذكر في الاغاني (٤ : ٦٤) من جملة المغنّين في اوّل عهد الاسلام يعقوب بن المبّار

(يُوسف) عُرف بهذا الاسم احد شهداء المدائن سنة ٣٥٠ (Acta Sancto-rum, III Apr., p. 19) . ومن المدعوّين بهِ يوسف بن الحكَم الثقفي وكان في اوّل ظهور الاسلام . وذكر ابن الاثير (٥ : ١٣٢) يوسف الفهري من جملة الصحابة

(يونس) هو اسم يونان النبيّ . وذكروا بين الانصار يونس بن شدّاد الازديّ ويونس الظفَري الاوسي (اسد الغابة ٥ : ١٣٢) فالاسم سبق الاسلام . والدليل عليهِ ايضاً اسماء رهبان كانوا في جزيرة العرب وعُرفوا باسم يونس (Jonas) . ثمّ انَّ هذا الاسم اذا شُدّدت النون يراد بهِ اسم يوحنَّا النصراني على لفظ اليونانيّــة (Ἰωάννης) كما سنبيّن

٢ الاعلام المتضمّنة للاسم الكريم او لبعض صفاته

هو الصنف الثاني من الاعلام النصرانيّة وما تختصّ بهِ هذه الاعلام انها تحتوي على الاسم الكريم بلفظهِ او ببعض صفاتهِ الالهيّة

فمن ذلك الاسماء التي تُختم بإيل. ورد في تاج العروس (٧: ٢١٨): «قال الاصمعي في معنى جبريل وميكائيل: معنى ايل الربوبية فأضيف جَبْر وميكا اليهِ فكأن معناه عَبد إيل ورَجُل ايل. وقال الليث: هو بالعبرانيّة وهو اسم من اسماء الله تعالى» وقد مرَّ في ذكرنا للملائكة ما ورد في الشعر الجاهلي من ذكر جبريل وميكائيل واسرافيل وما اشبهها. واماَّ هل دُعي احدٌ في الجاهليّة بهذه الاسماء فلم يحضرنا من ذلك شيء الَّا جبرئيل بن ناشرة المَعافري احد رفقة عمرو بن العاص (اطلب معجم البلدان لياقوت ٣: ٨٩٦)

ولا يبعد انَّ اسم «جَبر» الشائع في الجاهليّة كان مقتصر عن «جبريل» كجَبر بن عتيك وجَبر بن عبدالله القبطيّ وجَبر الكندي كانوا في اوَّل الاسلام وقد سبقت اسماؤهم الاسلام (اطلب أُسد الغابة لابن الاثير ١: ٢٦٥ — ٢٦٧). ويدخل في هذا الباب اسماء عبرانيّة ورد ذكرها في الفصل السابق في جملة الاعلام المنقولة عن الاسفار المقدَّسة كاسرائيل واسمعيل

ومنها (شَراحيل) احد الاسماء الشائعة في الجاهلية كشَراحيل بن مالك بن ذبيان من اشراف العرب وشراحيل بن مرَّة الهمداني وشراحيل بن زرعة الحضرميّ (تاج العروس ٧: ٣٨٩) وشراحيل بن عبد قيس البلويّ (حماسة البحتري ص ١٩٦) وبني شراحيل بن الشيطان بن حارث (اشتقاق ابن دريد ص ٢٤٣) وغيرهم ايضاً. والاسم آرامي معناه «أطلق الالهُ»

ومنها (شُرَحبيل) شاع ايضاً في الجاهليّة كشُرَحبيل بن السِّمط (اشتقاق ابن دريد ص ٢١٨) وشُرحبيل ذي رُعَين الحميري (ص ٣٠٧) وشرحبيل بن حَسَنة وشرحبيل بن عبدالله من الصحابة المهاجرين الى الحبشة (سيرة الرسول ص ٢١٣) وشُرَحبيل بن غيلان (ص ٩١٥) وغيرهم. ولعلَّ هذا الاسم هو كالاسم الآرامي

شربيل (ܫܪܒܝܠ) عُرف بهِ احد شهداء النصرانيَّة في مدينة الرها ودُعي بهِ احد جثالقة الكلدان

ومنها (شَمُويل) ولا نعرف نصرانيًا دُعي بهِ في الجاهليَّة وقد ذكر ابن هشام من يهود قريظة الذين اسلموا (ص ٣٥٢) شَمُويل بن زيد وعزّال بن شمويل والاسم عبرانيّ معناهُ عَظم الله. وقد سبق ان اسم « السموءل » هو كشموئيل او صموئيل

ومنها (شَنْعَلة) وهو اسم بعض شعراء النصارى اخصُّهم شَنْعَلة بن فائد وشمعلة بن الاخضر الضبيّ (تاج العروس ٧: ٣٩٩ وحماسة ابي تمّام ٢٨٢ و ٦٤٠). وذكر ابن سعد بين الوافدين على محمَّد المسمَّى شمعلة. وفي الاغاني (١٠: ٩٩) شَنعلة بن عامر شاعر نصراني حملهُ بعض خلفاء بني اميَّة على الاسلام فلم يُسلم « فغضب فامر بهِ فقُطعت بضعة من فخذهِ وشُويت بالنار واطعمها ». ويقال شَنعل ايضاً (كامل المبرّد ed. Wright, p. 524) وعلى رأينا انَّ هذا الاسم تعريب إسمعيل ومعناه « سمع الرب »

ومنها (شَهْبِيل) وقيل شِهْميل ابو بطن من العرب وهو اخو العتيك بن الاسد بن عمران بن عمرو مزيقيا. ولعلَّ معناه « عزّ الرب وجل »

ومن هذه الاسماء ما أُضيف الى اسم الله وقد مرَّ الكلام في هذا الاسم الكريم واصلهِ. فمن ذلك (أَحمَس الله) ورد في كتاب الوفادات لابن سعد (Wellhausen Skizzen, ٦٩ ص) « وأَنس الله » (ص ٦٦ .Ibid وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٢١٩) « وأَوْس الله » بمعنى عطاء الله (تاج العروس ٤: ١٠٢ — ١٠٣) و « تيم الله » بطن من بني بكر بن وائل وبطن من النمر بن القاسط (التاج ٨: ٢١٦) و « وهب الله » في الكتابات الحورانيَّة وغيرها (Journ. As., 1882, p. 8-10)

فهذه الاسماء باضافتها الى الاسم الكريم تدلُّ على توحيدهِ تعالى الذي دخل كما سبق الى بلاد العرب على يد دُعاة النصرانيَّة خصوصاً

واشهر منها اسم « عبدالله » الذي كان يعمّ كل انحاء جزيرة العرب. وهذا الاسم ورد على صورتين امَّا باضمار الاسم الكريم وامَّا بالتصريح بهِ وكلاهما قد تسمَّى بهِ نصارى كثيرون في الجاهلية

فاماً الصورة الاولى فقد جاء على صورة (عَبْد) كعبد بن حنيف احد بني لِحيان من لخم باني دير الأُكَيراح (معجم المستعجم ص ٣٧٣) وكطرَفة بن العبد الشاعر الشهير وعلى صورة (عَبْدَة وعَبَدَة) كعَبَـدة بن الطبيب (الاغاني ١٨ : ١٦٣) وعلقمة بن عَبَدة وكلاهما من فحول الشعراء

وعلى صورة (عَبْدان) اسم رجل من اهل البحرين (التاج ٢ : ٤١١) وعلى صورة (عُبَيد وعَبِيد) كعَبِيد بن الابرص الشاعر الشهير (الاغاني ١٩ : ٨٤) وعُبيد بن عُوَيج القرشي (الاغاني ٦ : ٦٠) وعُبيـد بن اوس الظفري وعُبيد بن رفاعة الزرقيّ (أُسد الغابة لابن الاثير ٣ : ٣٤٦ — ٣٤٨) . وعـلى صورة (عُبَيْدَة) كعُبَيْدة بن عبد المطلب (اشتقاق ابن دريد ص ٥٤) . وعلى صورة (عابد) كعابـد بن عبدالله بن مخزوم (تاج العروس ٢ : ٤١٤) . وقد مرَّ ان « العِبَـاد قبائل شتى من العرب اجتمعوا بالحيرة على النصرانيَّة » (ابن دريد ص ٧) . وقد وردت ايضاً على صورة (عُبادة) كعُبادة بن عقيل (ابن دريد ص ١٨٢) وصورة (عَبُّود) روى في التاج (٢ : ٤١٣) اسم رجل يُدعى عبُّودًا آمن بالانبياء . وعلى صورة (عبَّاد) كعبَّاد بن عمرو بن كلثوم الشاعر النصراني (الاغاني ٩ : ١٨٣) وكالحـارث بن عباد سيّد بني بكر في حرب البسوس (شعراء النصرانيَّـة ص ٢٧٠) . وعلى صورة (عُبادى) قال في التاج (٨ : ٤١٤) انهُ « اسم نصرانيّ » . وعلى صورة (عَبدون) المنسوب اليهِ دَيْر عَبدون (مستعجم البكريّ ٤٧٤)

اما المضاف الى الاسم الكريم (فعَبْدالله) وهو اسم كثُر مَن تسمَّى بهِ من اهل الجاهليَّة حتى بلغوا المئين كعبدالله بن جدعان سيد قريش وممدوح اميَّة بن ابي الصلت (الاغاني ٨ : ٢ — ٦) وعبدالله ابي رسول الاسلام . وكالشاعرَين عبدالله بن رواحة (الاغاني ٤ : ٤ — ٧) وعبدالله بن الزِّبَعْريّ (أُسد الغابة ٣ : ١٥٩) وعبدالله بن غَطَفان (التاج ٧ : ٢٣٩) الخ . وقد جاء على صورة التصغير (عُبَيْد الله) كعُبَيْد الله ابن الحرّ الجعفيّ الفارس الشاعر (ابن دريد ٢٤٣ وحماسة البحتري ص ١٠٣) وعُبَيد الله بن عبـد المدان (حماسة البحتريّ ص ١٣٧) . وكذلك اختصروه (بعَبْدَل) كعَبدل بن حارث العِجْلي وعبدل بن حنظلة احد شرفاء العرب (التاج ٢ : ٤١٤)

وقد اضافوا العبد الى الاسماء الحُسنى الدالَّة على الاله الحقّ فقالوا (عَبد الواحد)

كعَبْد الواحد بن منيع السَّعْديّ (حماسة ابي تمَّام (ص ٣٠٣ ed.Freytag)
وقالوا (عَبْد الرَّحمان) كعَبد الرحمان بن رَواحة من الصحابة (ابن دُريد ٢٦٨) وعبد الرحمان بن كعب (فيهِ ٢٧١) وعبد الرَّحمان بن رِبْعي (حماسة البحتري ص ٣٣) وغيرهم كثيرين . روى ابن دريد في الاشتقاق عن ابن الكلبي (ص ٣٦) انَّ «الرَّحمان صفة منفردة لله تبارك وتعالى اسمهُ لا يوصف بها غيرهُ . . . وقال ابن الكلبي وقد سمَّت العرب في الجاهليَّة عبد الرحمان . . . ورُوي للشنفرى في الرَّحمان:

لقد لطمَتْ تلك الفتاةُ هَجينها ألَا بَتَرَ الرحمنُ ربّي يمينَها»

واقدم الآثار التي ورد فيها اسم الرحمان الكتابة الحميريَّة التي رُقمت على سُدّ مأرب سنة ٥٤٢ — ٥٤٣ للمسيح بامر أبرهة ملك الحبش ففي اوَّلها ما تعريبهُ «بقوَّة ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحهِ وروحهِ القدُّوس» (راجع الصفحة ٦٣ من الجزء الاوَّل) وعليهِ قد ثبت انَّ اسم الرحمان اسم نصراني واليهِ انتسب الذين دُعوا باسم عبد الرحمان . ومثلهُ (الرحيم) كعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي (حماسة ابي تمام ص ٤٩ و ٥٤)

وقد اضافوا العَبْد الى اسماء حُسنى غيرها كالأعلى من صفاتهِ تعالى فقالوا (عَبد الأعلى) كعبد الاعلى بن صامِت العَنَدي (حماسة البحتري ص ٢٠٣) . وكذلك اضافوا الى الملك فقالوا (عَبد الملك) كعبد الملك المذكور آنفاً . وعبد الملك بن أُكَيدر صاحب دومة الجندل النصراني السابق ذكرهُ وعبد الملك بن علقمة الثقفيّ (أُسد الغابة ٣ : ٣٣٢) . واضافوا الى المنَّان فقالوا (عبد المنَّان) منهم عبد المنَّان بن عبد المسيح المتلمّس الشاعر النصراني (الاغاني ١١ : ١٨٧) . والى الحَميد فقالوا (عَبد الحَميد) منهم عبد الحميد ابن حفص بن المغيرة المخزومي (أُسد الغابة ٣ : ٢٧٦)

فهذه الاسماء كلها تشير الى توحيد اصحابها في الجاهليَّة وقد سبق القول انَّ اعتقاد الاله الواحد في الجاهليَّة دخل خصوصاً بواسطة الدين المسيحي

ويوجد اسماء أُخرى لنصارى من العرب يشير ظاهرها الى الوثنيَّة وانما سقطت عن معناها الاوَّل كما حدث عند اليونان والرومان بعد تنصُّرهم . فمن ذلك (عبد قيس) و (امرؤ القيس) تسمَّى بها النصارى كما مرَّ وان كان اسم قيس يدلُّ على بعض اوثانهم القديمة . وكذلك (المَدَان) من اوثان حمير كما قالوا وكان بنو عبد المدان

في اليمن من اشراف نصارى نجران. ومثلهُ (كِلَال) واليه نُسب عبد كِلَال احد ملوك حمير المتنصرين كما سبق. ومثلهُ ايضاً (العزيز) كان من اصنام بعض قبائل العرب. وبه عُرف عَبد العزيز بن سيف بن ذي يزن الحميري. وذُكر في تاج العروس (٢: ٤١٢) خمسة من نصارى الحيرة في جملتهم عبد عمرو وعبد ياليل. وقالوا ان ياليل اسم صنم (١

ومثلهُ (يَغوث) تسمَّى به عبد يغوث الحارثيّ سيّد بني مذحج (الاغاني ١٢: ١٥٣)

هذا ما حضر لنا من اسماء اهل الجاهليَّة الدالة على دين التوحيد والمحتوية لصفاته تعالى. ولا شكّ انها دخلت بينهم بتأثير النصرانيَّة

٣ الاعلام النصرانية المحضة

هو الصنف الثالث من الاعلام النصرانيَّة التي شاعت بين عرب الجاهليَّة وهذه الاعلام يستدلّ من مجرَّد منطوقها انها لنصارى ليست لسواهم وها نحن نروي ما لقينا منها على ترتيب حروف المعجم:

(أبجَرْ) قد دُعي بعض نصارى العرب بهذا الاسم كأبجر بن جابر سيد بني عجل النصارى (الاغاني ١٠: ٢٧) والعرب يشتقُّونهُ من «بَجرَ» اي عظم بطنُهُ. ولعلّ الاصحّ اشتقاقهُ من السريانيَّة ومعناهُ فيها الاعرج وبهِ عُرف ملوك الرُّها الاباجرة

(أفريم) هو اسم نصراني يُشار بهِ الى ملفان السريان القديس افرام الكبير. وقد عُرف بهِ أفريم أسقف الحيرة الذي ذكرتهُ هند الكبرى في كتابتها التي اوردناها في الجزء الاول (ص ٩١)

(إيشوع) و (يَشوع) ورد في الاسم الاضافيّ عبد يشوع كما سترى.. وجاء مفردًا ايضاً لبعض اساقفة العراق كايشوع بَرْنون (كتاب المجدل لماري بن سليمان ص ٧٥)

(ايليا) هو اسم الياس الذي مرَّ ذكره ولعلَّهُ على هذه الصورة شاع بين

١) راجع كتاب ڤلهوزن (Wellhausen: *Reste arabischen Heidentums*, 2 ed., p. 4)

النصارى خصوصاً . وممَّن تسمَّى بهِ ايليا اسقف نجران الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٨) وايليا الكشكراني (المجدل ٣٨)

(بولس) جاء في اعمال شهداء نجران انَّ ذا نوَّاس لمَّا دخل نجران غيلةً وقتل اهلها نبش قبر اسقفها « بولس » المتوفَّى قبل ذلك بسنتين فأحرق رمَّتهُ

(جرجس) شهيد النصرانيَّـة المعروف . وبهذا الاسم عُرف جرجس اسقف العرب الكاتب السريانيّ الشهير . وكان اسقفاً على بني طيّ في اواسط القرن السابع (Duval : *Littérature Syriaque*, p. 377)

(جُرَيْج) وقيل (جَريج) عُرف بهِ جُرَيْج الراهب (الطبريّ ١ : ٣٨٣ وسيرة الرسول ٤٠٧) وعبد الملك بن جريج وشَبَث بن قيس بن جريج (تاج العروس ٢ : ١٥) وورد جُرَيج بين اعلام اليمنيين (الاشتقاق لابن دريد ٣٢٩) . والاسم على رأينـا شبيه بجرجس او مشتقّ منهُ (اطلب الملحقات بتاريخ الطبري .Add (DLXXXIII وقد ورد عند العرب على صورة جُرْجه . قال في التاج (٢ : ١٥) : « بنو جُرْجه المكيُّون » ولعلّ بعض هذه الاسماء العربيَّة مشتقَّـةً عن اسم القديس جرجنسيوس رسول عرب اليمن واسقف الحميريين (راجع القسم الاوَّل ص ٦٤)

(رُومان) عُرف بهذا الاسم عند العرب بنو رُومان بطن من بني طي (ابن دريد في الاشتقاق ٢٢٨) وكان لنبي المسلمين مولى يُدعى رومان الرومي ذكرهُ في التاج (٨ : ٣٢٠) . وذكر معهُ صحابياً يُدعى رومان بن نعجة من الصحابة . وامُّ رومان بنت عويمر الكنانية هي والدة عائشة زوجة نبي الاسلام . وكذلك ذكر ابنُ سعد (ص ١٩) في كتاب الوفود يزيدَ بن رومان . ولا نشكّ في ان هـذا الاسم تعريب رومانوس احد مشاهير القديسين في حدود العرب . وقد جاء على لفظهِ الاعجميّ في تاريخ الطبري (١ : ٢٠٢٢) حيث ذكر حروب المسلمين لنصارى الانبار فقال ان قضاعة كان عليها رئيساً « رومانوس بن وبَرَة » . وكذلك ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٧٩) ذكر « ابن رومانوس الكلبيّ » وقال هناك انهُ « كان اخا النعمان »

(سَرْجِس) اسم شهيد عظيم استشهد مع القديس بكُس او باخوس على عهـد مكسيميانوس المغتصب في اوائل القرن الرابع . وقـد عرف العرب النصارى امرهُ

وكان على اسمهِ عدَّة اديرة (راجع معجم البلدان ٢: ٦٦٧ ومعجم ما استعجم للبكري ص ٣٧٤). لا بل تسمَّى باسمهِ بعض نصارى العرب. فقد ذكر الطبري (١: ١٨١٢) راوياً كان في بدء الاسلام دعـاه موسى بن سَرجِس. وكذلك ذكر للزُبَير غلاماً باسم سَرجس (١: ٣١٨٥). وقد روى عبد المسيح بن اسحاق الكندي في ردّهِ على الهاشميّ (طبعة لندن سنة ١٨٨٠ ص ٧٢) انَّ الذي تردَّد على محمَّـد نبيّ الاسلام كان اسمهُ سرجيوس. ولقبهُ بُحيرا معناهُ العالِم وهو الذي اشار اليهِ في القرآن في سورة النحل (عدد ١٠٥) حيث قال عن المكيين: «ولقد نَعلم انهم يقولون انَّما يعلّمهُ بشرٌ». ولعلَّ اسم سرجون صورة أُخرى من هذا العلَم. وقد عُرف في دمشق يوم فتح العرب «سرجون بن منصور الروميّ» الذي دعـاهُ الطبري (٢: ٢٠٥ و٢٢٨) «كاتب معاوية وصاحب امرهِ». وهو ابو القديس يوحنـا الدمشقي الذي عُرف بابن سرجون او سُمّي بجدّهِ ابن منصور وعنده كان ينزل الاخطل (الاغاني ٧: ١٧٤). وقد ذكر في الاغاني (١٤: ٩٤ و ١٦: ٢٢) كنديم النعمان بن المنذر المسمى «سرجون بن نوفل»

(سمعان) و (شمعون) قلنا سابقاً (راجع الصفحة ٢٣٣) انهُ من المحتمل ان يكون ايضاً هذا الاسم نصرانيًّا محضاً وذلك امَّـا اشارةً الى القديس سمعان بطرس ويقال شمعون الصفا هامة الرسل او الى سمعان العمودي الشهير بين العرب. وممَّن يضاف الى من ذكرنا سابقاً «اوس بن سمعان» الصحابيّ (اسد الغابة ٢: ١٤٦) وابو ريحانة شمعون بن يزيد الازدي (التاج ٥: ٤٠٣ وأسد الغابة ٣: ٤). وشمعون اسم لاساقفة وحبساء اشتهروا قبـل الاسلام في العراق وجهات العرب كشمعون اسقف الانبار في ايام الملك انو شروان (تاريخ ماري بن سليمان ed. Gismondi. 53) وشمعون اسقف الحيرة (فيهِ ص ٥٦) وشمعون بن صباعي الشهيد اسقف المدائن (ص ١٦)

(شمَّاس) قد كثر هذا الاسم في الجاهلية وبهِ عُرف بطن من تميم «بنو شمَّاس» ومنهم قيس بن شمَّاس ذكرهُ في الحماسة وشمَّاس بن عثمان بن الشريد الذي قُتل يوم أُحد (الاشتقاق لابن دريد ص ٦٤) وغيرهم ايضاً. والبعض يشتقُّون هذا

الاسم من شِماس الفرس اي جموحهِ . ومن المحتمل ان اصل هذا الاسم من السريانية (ܡܫܡܫܢܐ) بمعنى خادم الدين . والله اعلم

(عبد المسيح) هو ادلُّ الاسماء العربيَّة على نصرانيَّة الذين تسمَّوا بهِ وعددهم بين العرب ليس بقليل واقدمهم عبد المسيح بن باقية بن جرهم سادس ملوك جرهم على مكَّة الذي ذكرناه في القسم الاوَّل من كتابنا (ص ١١٦) . ومنهم عبد المسيح ابن عَسلة الذي روينا شعرهُ في شعراء النصرانيَّة (ص ٢٥٤) نقلًا عن المفضليات . ومنهم عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغسَّاني كان سيد اهل الحيرة واحد المعمَّرين . قال ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين (ص ٣٨ : ed. Goldziher) انهُ « ادرك الاسلام فلم يسلم وكان منزلهُ في الحيرة وكان شريفاً في الجاهليَّة » . وذكر لهُ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٧٧) ديرًا بناهُ عُرف باسمهُ كان بظاهر الحيرة وفيهِ وُجد قبره وكان عليهِ مكتوباً :

حلَبْتُ الدهر أشطُرَهُ حياتي ونلتُ من المُنَى فوق المَزيدِ
فكافحتُ الامور وكافحتني فلم اخضع لمُعضِلةٍ كَؤُودِ
وكدتُ انالُ في الشرفِ الثريَّا ولكن لا سبيلَ الى الخلودِ

ولعبد المسيح هذا شعر رُوي في كتب الادب سنجمعهُ ان شاء الله . وممَّن دُعوا باسم عبد المسيح الشاعرُ الجاهلي الشهير بالمتلمس واسمهُ عبد المسيح بن جرير (راجع شعراء النصرانيَّة ص ٣٣٠) . ومنهم عبد المسيح بن الديَّان من سادة نجران قال الاعشى يمدحهُ وآلهُ (شعراء النصرانيَّة ٣٨٢) :

وكَعْبَةُ نجرانَ حتمٌ عليكِ حتى تُناخي بأبوابها
تزور يزيدًا وعبدَ المسيح وقيسًا وهم خيرُ أربابها

وذكر ياقوت (٤ : ٧٥٦) بين سادة نجران عبد المسيح بن دارس بن عديّ بن معقل وقال هناك انَّ كعبة نجران كانت لهُ وهي قبَّة من أَدَم وثلثمائة جلد يؤمّن فيها الخائف ويُرفَد المسترفد وتُقضى حاجة كل طالب (قال) وكانت على نهر بنجران . ومن وفود نجران على نبي المسلمين احد اساقفتهم يدعى العاقب قال ابن سعد في كتاب الوفود (ص ٧٦) انهُ كان من كندة وان اسمهُ عبد المسيح . ومنهم ايضاً « عبد المسيح بن المؤهّب » الذي روى لهُ البحتري شعرًا في حماسته (اطلب الصفحة ١٩٦ من طبعتنا) .

هذا فضلًا عن اساقفة بهذا الاسم تولّوا رعية كنائس العراق ورد ذكرهم في تواريخ النصرانيّة وكان بينهم رجال من اصل عربي

(عبد يسوع) ذكر صاحب التاج (٢: ٤١٢) هذا الاسم لاحد عرب الحيرة المعروفين بالعباد. واشهر منهُ (عبديشوع) او (عبد ايشوع) على اللفظ السرياني. وبه عُرف في جهات العراق قبل الاسلام عدة اساقفة ورهبان كعبد ايشوع الحبيس ذكره ابن ماري في المجدل (ص ٢١) وعبد ايشوع الميشاني صاحب العمر (ص ٢٨) وعبد يشوع القناني رسول العرب (فيه)

(عديّ) هو اسم شاع في الجاهليّة وتسمّى بهِ كثير من نصارى العرب كعدي ابن زيد الشاعر النصراني الشهير (شعراء النصرانيّة ص ٤٣٩) وعدي بن حنظلة (تاريخ الطبري ٢: ١٠١٦) وعدي بن اوس ابن مارينا (فيهِ ايضاً ١: ١٠١٨) وعديّ بن حاتم الطائي (١: ١٧٠٦–١٧١٠). وعلى ظنّنا ان هذا الاسم اعجمي اصلهُ ادّي او عدّي كان احد تلامذة المسيح ومبشرًا لايمانهِ بين الكلدان والعرب وقد افاض المؤرخون في ذكرهِ

(عيسى) هو اسم السيد المسيح في القرآن. ومن العجب العجاب اننا لم نجد ذكرًا لهذا الاسم بين اعلام العرب في الجاهليّة. ولعلّ رسول الاسلام اخذه على هذه الصورة من يهود يثرب الذين رووهُ كذلك بغضاً بالنصارى واشارةً الى عيسو

(فراسية) ورد هذا العلَم في مروج الذهب للمسعودي (ed, Barbier de Meynard,III, 200) فقال هناك انّ المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة كانت أمّهُ « الفراسيّة » بنت مالك بن المنذر من آل نصر ». وهذا الاسم نصراني بَحْت كما نبّه اليهِ الطابع (ص ٤٥٠) وهو تصحيف « اوفراسية » (Euphrasie) اسم عدّة شهيدات نصرانيّات

(فيليبُّس) اسم احد رسل السيد المسيح . وهو اسم فيليبُّس العربي اوّل القياصرة المتنصّرين (راجع القسم الاوّل ص ٣٢)

(فيميون) هو اسم الراهب السائح الذي دخل نجران ونصّرها كما روينا في القسم الاوّل (ص٥٩–٦٠) والاسم اعجميّ لا محالة لعلّهُ معرّب من اليونانيّة Εὔφημος اي البليغ والحسن النطق

(قسّ) اسم معرّب من السريانيّة وهو فيها ܩܫܝܫܐ اي الشيخ يدلُّ خصوصاً على الكــاهن النصراني وبهِ دُعي خطيب العرب اسقف نجران « قسّ بن ساعدة الايادي » (اطلب شعراء النصرانيّة ص ٢١١) . ومن إياد ايضاً كان المسمّى الحُسّ ابن حابس ابو هند بنت الخس الايادية » (التاج ٤ : ١٣٧) الشهيرة بفصاحتها . وعلى ظنّنا انّ « الحُسّ » هنا كالقُس

(ماري) هو اسم التلميذ الذي دعا الى الايمان بالمسيح في جهات العراق وانشأ على ما يقال كرسي المدائن . وبهذا الاسم عُرف قبل الاسلام ماري الفارسي اسقف بيت اردشير (اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني ج ٣ ص ١٧١)

(مارية) هو اسم مريم على لفظهِ اليوناني واختصّت بهِ نساء النصارى على هذه الصورة مشيرات بهِ الى العــذراء الطاهرة . منهنّ « مارية بنت الحارث » الكنديّة قرينة المنذر ملك الحيرة ووالدة ابنهِ الاسود (الاغاني ٢ : ٣٢) . ومنهن مارية بنت الارقم بن ثعلبة من ملوك بني جفنة الغسّانيين (التاج ١٠ : ٣٤١) وابنهــا الحارث الاعرج الذي فيهِ قال حسّان :

اولادُ جَفْنةَ حولَ قبرِ ابيهمِ   قبرَ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفضلِ

ومنهنّ مارية بنت ظالم بن وهب اخت هند الهنود امرأة حجر الكندي وامّ عمرو بن الحارث صاحبة القُرْطَيْن اللذين بحسنهما يُضرَب المثل « خذهُ ولو بقُرْطَي مارية » (امثال الميداني ١ : ٢٠٤) . ومنهنّ « مارية ابنة حنظلة » امّ جابر بن ابجر سيّد بني عجل النصارى (الطبري ١ : ١٠٣٣) . و « مارية بنت الصبّاح الشيبانيّة » من بني هند (الاغاني ٦ : ١٧٨—١٧٩) وابنهــا قيس بن شراحيل الذي فيهِ قال الحارث بن حلزة يشير الى الصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس :

فهلّا سعيتَ لصلحِ الصديقِ   كصلحِ ابن مارية الأقصمِ

ومنهنّ « مارية أمة هند ابنة النعمان » (الاغاني ٢ : ٣٢) . . ومنهنّ ايضاً « مارية القبطيّة » ابنة شمعون التي اهداها صاحب مصر المقوقس الى نبيّ المسلمين فولدت لهُ ابنهُ ابراهيم (تهذيب الاسماء للنووي ص ٨٥٣) وذكر ابن عبد البرّ النمريّ القرطبي في كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب (ج ٢ ص ٧٨٣) أمتين لمحمّد اسمها « مارية »

(مَرْقُس) هو اسم احد الانجيليين وتلميذ بطرس زعيم الرسل . وبهِ عُرف احد شعراء الحماسة (حماسة ابي تمام ص ٢٩٧ ed. Freytag) وقد ضُبط هناك بفتح القاف مَرْقَس . (قال) واسمهُ عبد الرحمان المعني احد بني معن بن عَتُود

(مَرْيَم) هذه صورة اخرى لاسم مريم العذراء وفيهِ اشارة ايضاً الى مريم اخت موسى . وممَّن تسمَّى بمريم بين العرب مريم ابنة عثمان من زوجتهِ نائلة ابنة الفرافصة النصرانيَّة (الطبري ١ : ٣٠٥٦) ولهُ ابنة اخرى بهذا الاسم من امّ عمرو (فيهِ) . كذلك ذكروا « مريم ابنة اياس الانصاريَّة » (الاستيعاب ٢ : ٧٨٢) . وقد تكنَّى بابي مريم عدَّة من العرب منهم احد بني حنيفة « ابو مريم الذي قتل زيد بن الخطَّاب » (الاشتقاق ٢٠٩) و « ابو مريم البَلَوي » (تاريخ الطبريّ ١ : ٢٣٨٥) وقد ورد الاسم على صورة مريام كابي مريام الاسقف (الطبري ١ : ٢٥٨٤—٢٥٨٥)

(مَرينة) او (مَرينا) اسم نصراني لاحدى الصالحات . وكان في الحيرة « قوم من اهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون الى لخم وكانوا اشرافاً » (الاغاني ٢ : ١٢) وقد عدَّهم في محلّ آخر (٨ : ٦٤) من « العباديين »

(ميكَال) هو اسم ميخائيل الملاك الذي مرَّ . وقد ورد في تاج العروس (٩ : ١١٩) اسم جدّ البيت الميكالي بنيسابور فدعاهُ « ميكال بن عبد الواحد » ورقَّى نسبهُ الى ملوك الفرس

(هِرْمِز) او (هرمزد) احد شهداء النصرانيَّة في العراق . وبهِ تسمَّى بعض نصارى العرب كهرمز اسقف مدينة عمَّان الذي حضر المجمع الخلقيدوني واثبت اعمالهُ بامضائهِ

(هُود) احد الانبياء على ما يقال أُرسل الى العرب . ومن المحتمل انَّهُ اسم نصراني وانَّهُ صُحِّف عن يَهُوذا احد رسل السيد المسيح الذي يذكرهُ القدماء كداعي العرب الى النصرانيَّة . ولعلّ اسم « هَوْذة » صورة اخرى لهذا الاسم عُرف بهِ هَوذة بن عليّ ذو التاج احد بني حنيفة النصارى الذي ذكرناهُ سابقاً

(الهَيْجُمانة) كذا دعاها المسعودي في مروج الذهب (٣ : ١٩٩ و ٤٥١) وسمَّاها الطبري (١ : ٨٨٢) الحَيْجُمانة وهي امّ ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس

وقال الطبري انها كانت ابنة عمرو بن ابي ربيعة بن ذُهل. واسمها اعجمي يوافق اليونانيَّة Ἡγουμένη ومعناها الرئيسة والسيّدة

(يحنّه) اسم نصراني شهير. وقد اشتهر بهِ ملك أَيلة « يحنّه بن رؤبة » الذي كتب اليهِ رسول الاسلام يدعوهُ الى طاعتهِ (راجع كتاب الوفود لابن سعد ٢٧ : ١٧ ,ed. Wellhausen) وكتبهُ الطبري (١: ٢٣٧٤) « يوحنّة بن رؤبة ».

وورد في التاج (٩ : ١٨٥) اسم « حنّة » كوالد عمرو الصحابي وهي صورة اخرى للاسم ذاتهِ

(يونس) مرَّ بك انهُ تعريب اسم يونان النبيّ. ولا نشكّ في انهُ اسم يوحنّا على لفظهِ اليوناني فشأنهُ ان يحرّك يُونُس . Ἰωάννης لا سيما اذا كان المتسمّون بهِ من النصارى وتجد في تاريخ نصارى العراق ممّن دُعوا بهذا الاسم وهم يكتبونهُ يُوانّيس (راجع تاريخ ماري بن سليمان ص ٧٦ و٨٣ و٩٩) وقد ذكر ياقوت (٢ : ٧١٠) بين اديار مصر « دير يُحَنِّس » وهو اقرب الى الاصل

٤ الاعلام النصرانية الوصفيَّة والمعدول بها والمعرَّبة

هو الضرب الاخير من الاسماء التي تسمَّى بها بعض نصارى العرب في الجاهليَّة فنها ما هو صفة محضة كصفات شائعة في زماننا مثل نجيب وانيس الَّا انها ادلّ على احوال النصارى ومعتقداتهم . ومنها ما عُدل بهِ عن منعوت نصراني او نُقل معناهُ الى العربيَّة. ولا نطرق هذا الباب الَّا بكل حذر لئلَّا ينسبنا القارئ الى المبالغة ولعلَّ غيرنا يتَّسع فيهِ

(امرؤ القيس) لا بدع انَّ بعض نصارى الجاهليَّة دُعوا بهذا الاسم ولعلَّ اقدمهم هو امرؤ القيس المعروف بالبدء الذي ذكر ابن الكلبي وابن خلدون (راجع الجزء الاوَّل ص ٧٧) انهُ اوَّل من تنصَّر من ملوك آل نصر في العراق. ومنهم امرؤ القيس الشاعر الكندي الذي اثبتنا نصرانيَّتهُ في مقالة سابقة ردًّا على حضرة الاب انستاس (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٩٩١—١٠٠٦). ولعلَّ سائلًا يسأل وما اصل هذا الاسم ؟ قد اجاب الكاتب المتفنّن جرجي افندي زيدان في « كتاب العرب قبل الاسلام » (ص ١٦٦) انَّ هذا العلَم احد الاسماء « التي اقتبسها العرب من الامم المجاورة لهم

كاليونان والسريان وقد حرَّفوها » (قال): «فامرؤ القيس مثلاً نظنُّهُ تحريف ماركوس (مرقس) وربَّما تعمَّدوا تحريفهُ ليكون لهُ صبغة عربيَّة ... ويؤيد ذلك انَّ هذا الاسم (امرؤ القيس) لم يكن معروفاً عند العرب قبل النصرانيَّة او قبل مجاورتهم اليونان». هذا رأي رصيفنا جرجي افندي ويا ليتهُ صحيح لكنَّهُ لا يقنعنا والمرجح ما يقولهُ المستشرقون انَّ الاسم مركَّب من «امرئ» و«قيس» اي رجل قيس او عابد قيس من معبودات العرب القديمة وقد بقي الاسم مع سقوط معناه الوثني. والله اعلم

(بَحِير او بَحِيرا) على رأينا انَّ هذين الاسمين بمعنًى واحد وانهما من السريانيَّة «ܒܚܝܪܐ» ومعناهُ الرجل الحاذق والعالم والاغلب انهُ لقب. وقد عُرف بهذا الاسم بحيرا الراهب الذي اجتمع بمحمَّد صاحب الشريعة الاسلاميَّة وكان اسمهُ سرجيوس كما قلنا. وذكر في أسد الغابة لابن الاثير (١: ١٦٧) رجلاً آخر شآمياً بهذا الاسم قدم على رسول المسلمين مع سبعة آخرين. وكذلك اسم بَحِير كان شائعاً في الجاهليَّة ذكر في تاج العروس (٣: ٢٩) اربعة من الصحابيين بهذا الاسم اشهرهم بَحِير بن ابي ربيعة المسمَّى عبدالله وبَحِير الاغاري

(بِشر وبَشِير) كلا الاسمين كان شائعاً في الجاهليَّة وكثر في القبائل التي مرَّ بيان نصرانيَّتها كبشر بن الحارث الصحابي وبشر بن المعلَّى سيّد بني عبد القيس النصارى المعروف بجارود (الاشتقاق لابن دريد ١٨٦) وبشر بن ابي خازم الاسدي الشاعر. وبشير الكعبي احد بني الحارث بن كعب اصحاب نجران النصارى (أسد الغابة ١: ٢٩٣). وعلى رأينا انَّ في هذا الاسم اشارةً الى اسم البشارة او انَّهُ استعير من الآراميَّة بهذا المعنى فاتخذهُ النصارى في الجاهليَّة كما يدعون اليوم باسم بشارة وبشير

(البَعيث) هو اسم بعض اهل الجاهليَّة النصارى اخصُّهم بعيث بن حُرَيث الحَنَفي وبعيث بن رزام التغلبي. واشهر منهما بعيث اليشكري الشاعر واسمهُ خداش بن بشير من بني مجاشع واسم امّهِ وردة. قالوا انهُ دُعي بعيثاً لقولهِ:

تبعَّث مني ما تبعَّث بعد ما أُمرَّت قواي واستمرَّ عزيمي

وعندنا انَّ لهذا الاسم علاقةً مع البَعْث اي المنبعث من الموت كما دعا نصارى الغرب بهذا المعنى «Anastase» ونذكر انَّ الاب انستاس الكرملي اتحفنا في

المشرق بمقالة تحت امضاء « البعيث الحضري » وهو تعريب اسم حضرتهِ الكريم

(تَوْبة) هو اسمٌ يُشعر بزهد النصارى تسمّى بهِ في الجاهليّة او في اوائل الاسلام تَوْبة بن عمران الاسدي (ياقوت ٣: ١٠٥) وتوبة السَّلُولي واسمهُ عبد الملك (فيهِ ١: ٥٨٧) وتَوْبة بن الحُمير الخفاجي الشاعر (الاغاني ١٠: ٦٧)

(ثابت) شاع هذا الاسم في اواخر عهد الجاهليّة ولا سيما بين القبائل المتنصّرة من تنوخ وعبد قيس وتميم وثعلبة وغيرها . ولعلّهُ احد الاسماء المنقولة عن الاعلام النصرانيّة الاجنبيّة كمثل « Constans » اللّاتينيّة او « Firmus »

(جابر) ممّا دُعي بهِ بعض النصارى في الجاهليّة كالشاعر التغلبي جابر بن حُنَيّ (شعراء النصرانيّة ص١٨٨) وجابر بن شمعون اسقف الحيرة في ايّام النعمان بن المنذر (الاغاني ٢: ٢٦) لعلّهُ من الاسماء المستعارة من اوصاف اللاهوت كجَبْر وجبّار وجبرائيل كما مرّ

(الحارث) احد الاعلام التي استحبّها النصارى في الجاهليّة فتسمّى بهِ ملوكهم الغسّانيّون وكثيرون من اساقفتهم الذين وقّعوا على اعمال المجامع بهذا الاسم منقولًا الى اللاتينيّة (Aretas) ومن رؤساء قبائلهم كالحارث بن كعب الذي ذكرنا وصيّتهُ الى ابنائهِ (ص ١٢٨) او كصاحب نجران المستشهد على عهد ذي نواس (ص ٦٠) واشتهر ايضاً الحارث بن عبّاد شاعر بني بكر وسيّدهم (شعراء النصرانيّة ص ٢٧٠) . والحارث بن حلّزة البكري (شعراء النصرانية ص٤١٦) وابو الحارث الاسقف احد وفود اليمنيّين على محمّد في السنة ٩ للهجرة (الطبري) . امّا اصل هذا الاسم فليس بثابت . وقد زعم الكاتب الاديب جرجي افندي زيدان في كتابهِ العرب قبل الاسلام (ص١٦٦) انّهُ معرّب من اليونانيّة (قال) « فالحارث يجوز ان يكون ترجمة جيورجيوس اليونانيّة ومعناها العامل بالارض » . وفي قولهِ نظرٌ لأنّ هذا الاسم سبق عهد النصرانيّة وبهِ عُرف ملوك من النبط

(حبيب) هو عند النصارى لقب للرسول يوحنّا بن زبدى لانّ السيّد المسيح خصّهُ بمحبّتهِ بين تلاميذهِ (١ . وعلى ظنّنا انّ النصارى الذين سُمّوا بهِ اشاروا الى

١) وفي شرح المفسّرين للقرآن يدعونهُ « حبيباً النجّار » وقالوا ان ما ورد في سورة يس « اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث » يراد جم حبيب النجّار (اي يوحنا الحبيب) ويعقوب وسمعان بطرس

ذاك الرسول. ومنهم من ذُكروا في جملة الصحابة (راجع أسد الغابة لابن الاثير ١: ٣٦٨–٣٧٥). ومن شهداء النصارى في مدينـــة الرها على عهد ديوقلطيانوس المسمّى بحبيب استشهد مع گورياس وشامونا (BHO, p. 84) وعُرف بهِ شهيدان آخران في صور وفي العراق في ايام سابور. وبينهم واحد نُسب اليهِ دير حبيب (ياقوت ٢: ٦٥٣)

(حكيم) من المحتمل انّ الذين دُعوا في الجاهليّـــة باسم حكيم كحكيم بن حزام بن خويلد (اشتقاق ابن دريد ٥٨) وحكيم بن قبيصـــة بن ضرار التغلبيّ (حماسة ابي تمّام ص ٧٩٢ وحماسة البحتري ص ٦١) وحكيم بن جبلة العبدي من بني عبد القيس (أسد الغابة ١: ٣٩) وغيرهم انّما أُشير باسمائهم الى سليمان الحكيم

(خالد) هو ايضاً احد الاسماء التي تشعر باعتقاد النصرانيّة بالآخرة وخلودها فلا عجب ان يكون النصارى دعوا بهِ اولادهم في الجاهليّـــة كخالد بن سنان العبسيّ النبيّ الذي كان يدعو قومهُ الى النصرانيّة (راجع الصفحة ١٣٥) وخالد بن عمرو الشيبانيّ (حماسة البحتري ص ٣٦) وخالد بن حِقّ الشيبانيّ (سيرة الرسول ٤٦). ومن المحتمل ايضاً انّهم عرّبوا ذلك من اعلام نصرانيّة يونانيّة (ἀΐδιος) او رومانيّة (Perennis, Perpetuus, f. Perpetua). ومثل خالد تسميتهم بخالدة وخُلدة وخُوَيلد وخليدة وخلّاد (اسد الغابة ١: ١١٩–١٢٢ و ١٢٧)

(الخِضْر) هذا الاسم الذي اختلف فيهِ المسلمون ايّ اختلاف فقالوا انّهُ النبيّ الياس او النبيّ اليشاع او النبيّ ادريس او القديس جرجس وجعلوهُ من غلمان موسى في شرحهم على سورة الكهف لم نجد لهُ اثرًا بين اعلام الجاهليّـــة. ولو كان قديمًا لدُعي بهِ احد النصارى او اليهود قبل الاسلام وقد زعم البعض انهُ تعريب «Horus»

(الخليل) اسم ابراهيم ابي المؤمنين الذي اصطفاهُ الله واحبَّهُ. ورد هذا الاسم في شعر ورقة بن نوفل الراهب النصرانيّ (اطلب شعراء النصرانيّة ص ٦١٨):

تُلاقي خليل الله فيها ولم تكن من الناس جبّارًا الى النار هاويا
فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مقامُها تُعَلَّلُ فيهـا بالكرامةِ لاهيا

وجاء في القرآن في سورة النساء (٤: ١٢٤): «واتّخذ اللهُ ابرهيمَ خليلًا». وسبقهُ السموءل فقال (راجع ديوانهُ الذي طبعناهُ ص ٣٠):

فهذا خليلٌ صيّر النار حولهُ رياحين جنّات الغصون الذوابلِ

(سَعْد وسَعِيد وأسعَد) دُعِي بهذه الاسماء بعض نصارى العرب في الجاهليَّة كسَعْد بن مالك ابي المرقّش الذي دفع ابنهُ الى احد نصارى الحيرة ليعلّمهُ الخطّ (الاغاني ٥: ١٩١) وسعد بن الضباب صاحب امرئ القيس (٨: ٧١) وسعد الذي نُسب اليهِ دير سَعْد (ياقوت ٢: ٦٦٩) وأسعد بن زُرارة (أسد الغابة ١: ٧١) فلا يبعد انَّ النصارى اتَّخذوا هذه الاسماء معرَّبةً عن لغات الشعوب المجاورة كاسم الشهيد « Felix » مثلاً. والى هذا الباب يعود اسم سَعْدان وبهِ سُمّي « سَعْدان بن عبد يسوع » المذكور في الاغاني (٢٠: ١٢٨) في حروب قيس وتغلب

(سالم) نجد هذا الاسم لاحد اساقفة بلاد العرب الذي حضر المجمع الخلقيدوني ووقَّع على اعمالهِ في اليونانية « Σωλῆμος » (راجع الشرق المسيحي Lequien: *Oriens Christianus*, II, 866)

(صالح) هذا الاسم سبق الاسلام. ومؤرخو العرب يزعمون ان نبيًّا بهذا الاسم أُرسل الى قوم ثَمُود يدعوهم الى الله والى نبذ عبادة الاصنام واجترح الآيات تأييدًا لدعوته فأبى اكثرهم ان يرعووا عن غيّهم فضربهم ضربةً عظيمة واهلكهم الّا الذين آمنوا فتوجَّه بهم الى مكة . وليس بالمستبعد انَّ النبي المذكور احد دُعاة النصرانيَّة الذين سبق لنا ذكرهم. وما يؤكدهُ كتبة العرب (راجع سيرة الرسول لابن هشام ص ٢١ ,ed. Wüstenfeld) انَّ فيميون الذي دعا اهل نجران الى النصرانية صحبهُ في دعوتهِ ولزمهُ رجل اسمهُ صالح من عرب الشام وذُكر في أُسد الغابة (٣: ٩) مولًى لرسول المسلمين يُدعى صالحًا كان اصلهُ من نصارى الحبش . وكذلك ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ٥٨) صالح بن عبدالله قال « قُتل بقُدَيد وكان صالحًا ديّنًا ». فهذا الاسم على ما نرى مستعار من اعتقاد نصراني او هو معرَّب عن اسم اجنبي نحو « Justus » او « Innocens » او « Pius »

(صخر) احد اعلام الجاهليَّة المستفيضة فهو بمثابة كيفا (ܟܐܦܐ) السريانيَّة وPetrus اللاتينية والصفا العربيَّة وهو الاسم الذي ميَّز بهِ السيد المسيح هامة رسلهِ اذ جعلهُ كصفاةٍ عليها تُبنى بيعتهُ. وليس لدينا برهان قاطع على انَّ العرب ارادوا باسم صخر الاشارة الى القديس بطرس كما زعم جرجي افندي زيدان (في كتاب العرب قبل الاسلام ص ١٦٦) حيث قال ان العرب ترجموا الاسماء اليونانية فتسمَّوا بها

وضرب مثلًا على ذلك اسم الحارث كما مرَّ واسم « صخر » فقال انهُ « ترجمة بطرس»

(مالك) نظنّ انَّ هذا الاسم بين نصارى الجاهليــة امَّا معرَّب عن اليونانية وامَّا مشير الى احد اولياء النصارى . والدليل على الاوَّل ما رويناهُ سابقاً (ص ٨١) عن احد امراء العرب الوافدين على القديس سمعان العمودي سمَّاهُ الكاتب (Basilicus) اي مالكاً . والدليل على الثاني اسم رجلين من نسَّاك النصارى اشتهرا باسم Malchus في ما بين النهرين والعراق (BHO,pp. 131-132)

(محمَّد) مرَّ في الفصول السابقة (ص ١٢٦ و١٤٨) انَّ اسم محمَّد من اعلام زمن الجاهليَّة . وانَّ النصارى عُرفوا بهِ كمحمَّد بن سفيان بن مجاشع احد اساقفة تميم وكذلك محمد بن حمران من نصارى مذحج ومحمد بن خزاعي من ذكوان ومحمد احد بني سليم (Sprenger I, 161) . وهذا الاسم يشبه بمعناه عدَّة اسماء يونانيَّة لرجال اشتهروا في بلاد العرب اخصُّهم اوتيميوس رسول العرب واودوكسيوس احد الشهداء الاوَّلين فمن المحتمل ان يكون عُرِّب عن بعضها

(منصور) نجد هــذا الاسم بين اعلام الجاهليَّة . منهم في بني اياد النصارى منصور بن يقدم بن افصى بن دعمي بن اياد . ومن بني ربيعة منصور بن جَعْوَنة قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٨٠) : « كان شريفاً بالشام سيِّداً » . ومن قضاعة منصور ابن جُمهور من رجال كلب . واشتهر في دمشق ابن منصور في عهد بني اميَّة وهو القديس العلَّامة يوحنَّا الدمشقي . وليس بالمستبعد ان يكون هذا الاسم معرَّب من اسم يوناني مثل (Nicon, Nicolas) او لاتيني مثل (Vincent, Victor)

٥ الاعلام النصرانيَّة الجغرافيَّة

نضيف الى اعلام الاشخاص النصرانية الاعلام الجغرافية التي تدلُّ على معرفة العرب لمزارات النصارى واكرامهم لها

(أُوريشَلِم) عاصمة اليهود قبل المسيح اضحت بعدهُ مدينــة مقدَّسة يكرمها النصارى ويتبرَّكون بزيارتها . والعرب لم يدعوها بعد الاسلام بهذا الاسم وانَّما جاءت على هذا اللفظ القديم في شعر الاعشى قال (معجم البلدان ١ : ٤٠٢ واللسان ٥ : ٩٦) :

وطوَّفتُ (١ للمال آفاقَهُ عُمانَ فحِمْصَ فأُورِيشَلِمْ

١) ويروى : وقد طفتُ

اتيتُ النجاشيَّ في دارهِ وارضَ النبيطِ وارضَ العَجَمْ

ورووا: أُورِيشَلِم وأُوراَسلَمْ. وذكروا حديثاً لعطاء (اللسان ٥: ٩٦): «أَبشري أورَى شَلّم براكبِ الحمار» قالوا يريد بيت المقدس. وهذا الحديث منقول عن نبوّة زكريّا في السيّد المسيح ودخولهِ الى اورشليم (متى ٢١: ٥): «قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيكِ وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان»

(إيلياء) هو اسم آخر لبيت المقدس لكنهُ رومانيّ الاصل دعاهُ بهِ ادريانوس الملك بعد محاربتهِ لليهود في القرن الثاني للمسيح فخرب بقايا المدينة اليهودية وشيّد هيكلًا للمشتري ودعى المدينة لذلك «Ælia Capitolina» وروى ياقوت انّ معنى ايلياء بيت الله. والصواب انّها مشتقّة من اسم اسرة القيصر ادريانس المدعوّة ايليا. وانشد في معجم البلدان (١: ٤٢٤) لبعض الاعراب يصف بعيرهُ وسيرهُ الحثيث في جهات فلسطين:

فلو انّ طيرًا كُلِّفتْ مثلَ سيرهِ الى واسطٍ من إيليًا لكَلَّتِ
سمَى بالمهارى من فلسطينَ بعد ما دنا الفيءُ من شمس النهار فولّتِ
فما غاب ذاك اليومُ حتى اناخها بمَيْسانَ قد حُلَّت عُراها وكلَّتِ

وكذلك دعاها الفرزدق بهذا الاسم فقال (ياقوت ١: ٤٢٤):

وبيتانِ بيت الله نحنُ وُلاتُهُ وقصرٌ بأعلى ايلياءَ مُشرِفُ

(سَدُوم) مدينة ورد ذكرها في سفر التكوين عاقب الله اهلها لآثامهم. وقد عرف العرب في الجاهليّة امرها فقال عمرو بن درّاك العبديّ (في التاج ٨: ٣٣٥ واللسان ١٥: ١٧٧):

واني وان قطعتُ حبالَ قيسٍ وخالفتُ المرونَ على تميمِ
لأَعظمُ فجرةً من ابي رِغالٍ وأَجوَرَ في الحكومةِ من سَدُومِ (١

وقال اميّة بن ابي الصلت (صحاح الجوهري ٢: ٢٩٧):

كذلك قومُ لوطٍ حين أمسوا (٢ كعَصْفٍ في سَدُومِهِمُ رميمِ

(سِينا) قال ياقوت (٣: ٢٢٠): «موضع بالشام يضاف اليهِ الطور فيقال طُور سينا وهو الجبل الذي كلّم الله تعالى عليهِ موسى بن عمران عم ونُودي فيهِ».

١) يريد بابي رغال احد ملوك الطائف الذي دلّ الحبشة على الكعبة يوم اتوا ليخربوها. ويروى: لاعظم صفقةً من شيخ مَهْوٍ

٢) وروى ياقوت (٣: ٥٩): حين أضحوا

وورد هذا الاسم في القرآن قال في سورة المؤمنين (٢٣: ٢٠): « وشجرة تخرجُ من طور سيناء ». وربَّما دُعي بالطور دون اضافة كقوله (في سورة مريم ١٩: ٥٣): « وناديناهُ (اي موسى) من جانب الطور الأيمن وقرَّبناهُ نجيًّا ». ومثلهُ قولهُ عن رؤيا موسى للعوسجة (سورة القصص ٢٨: ٢٩): « آنسَ من جانب الطور نارًا »

(صِهيَون) احدى تلال القدس الشريف التي احتلّها الملك داود ويراد بها مجازًا مدينة القدس او احدى كنائسها. وقد ورد الاسم في شعر الاعشى قال يمدح يزيد وعبد المسيح ابني الديَّان وقيل يمدح السيّد والعاقب اسقفَيْ نجران (ياقوت ٣: ٤٣٨):

أَلَا سيّدَيْ نجرانَ لا يوصيَنْكما بنجرانَ فيما نابها واعتراكما
فان تفعلا خيرًا وتَرْتديا بهِ فانكما اهلٌ لذاك كلاكما
وان تكفيا نجران أمرَ عظيمةٍ فقبلَكما ما سادها ابواكما
وان اجلبَتْ صِهيَونُ يومًا عليكما فانَّ رحا الحرب الدكوكِ رحاكما

(القُدْس والمَقدِس ويقال بيت المَقدس) من اسماء مدينة القدس الشريف. قال مروان بن الحكم يتهدَّد الفرزدق (الاغاني ٢١: ١٩٧):

قُل للفرزدقِ والسَّفاهةُ كاسمِها ان كنتَ تاركَ ما نهيتُكَ فاجلِسِ
ودَعِ المدينةَ انَّها مذمومةٌ واقصِدْ لمكَّةَ او لبيت المقدسِ

روى في التاج (٤: ٢١٣) لشاعر يخاطب ناقتهُ:

لا نومَ حتى تَهبطي ارض العُدُسْ وتَشربي من خيرِ ماءٍ بقُدُسْ

وورد في شعر العجّاج (ص ٨٠ ed. Ahlwardt):

ضراغمٌ تنفي بأخذ همْسِ عن باحة البطحاء كلَّ جرْسِ
حتى تزول هَضَبات قُدْسِ

وقد مرَّ بنا (ص ١٩٨) انَّهم كانوا يدعون بالمُقدِّس الزائر لبيت المقدس ويتباركون بثوبهِ كما اشار الى ذلك امرؤ القيس في وصف كلاب تنهش الثور:

فادركنَهُ يأخذنَ بالساقِ والنَّسا كما شَبرَقَ الولدانُ ثوبَ المقدِّسِ

الفصل الرابع

الاحداث النصرانيّة بين عرب الجاهليّة

ظهر من الفصول السابقة ما استمدَّهُ عرب الجاهليَّة من النصارى في مفرداتهم اللغويَّة واعلامهم الشخصيَّة. وفي هذا الفصل الجديد نبيّن مــا اخذوهُ عنهم من معارفهم التاريخيَّة سواء جرت في العهد القديم من اوَّل العالم الى السيّد المسيح او من ميلاد المسيح الى الهجرة. فنقسم الفصل قسمين وفقاً لهذين الطورَيْن

١ أحداث العهد العتيق

امكن العرب ان ينقلوا اخبــار العهد العتيق عن اليهود او عن المسيحيين الَّا انَّنا نروي هنا ما قالهُ الشعراء النصارى او من عاشوا في جهات الجزيرة التي ازهرت فيها النصرانيَّة. واليهود كما لا يخفى قلَّما يختلطون بامم غريبة عنهم. وزد عليهِ انَّ الاسفار الالهيَّة والاناجيل المقدَّســة كما يظهر من عدَّة شواهد تؤيد ذلك كانت معرَّبةً وان كانت تلك الترجمة القديمة هي اليوم مفقودة . وها نحن نتتبَّع تلك الاحداث مع ما ينوّه بها من اقوال العرب

١ ﴿ التكوين ﴾ هو اوَّل ما تُفتتَح بهِ توراة موسى حيث يذكر اوَّلاً خلق الله عزَّ وجلَّ للسماء ثمَّ الارض مباشرةً بالجماد ثمَّ النبات ثمَّ الحيوان. امَّا تكوين السماء فقد مرَّ ذكرهُ في ما اوردناهُ من الالفاظ الدالَّة على الخالق سبحانَهُ وتعالى ثمَّ السماء وزينتها وعلى الارواح الساكنة فيهــا (المشرق ١٦ [١٩١٣]: ٢٢٩و٢٩٢). فبقي تكوين الارض في سبعة أيَّام الخليقة. فمما جاء من ذلك ما رواهُ المقدّسي (كتاب البدء ١ : ١٥٠–١٥١) فقال: «وقد ذكرت حكماء العرب ومن كان يدين الله (كذا) منهم بدين الانبياء في اشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق. فمنهُ قول عديّ بن زيد وكان نصرانيًّا يقرأ الكتب :

اسمعْ حديثًا لكي يومًا تجاوبهُ عن ظهر غيبٍ اذا ما سائلٌ سألا
أنْ كيف أبدى إلهُ الخلق نعمتَهُ فينا وعرَّفنا آياتِهِ الأُوَلا
كانت رياحًا وماءً ذا عُرَانيَةٍ وظلمةً لم يدَعْ فتقًا ولا خَلَلا

فأمر الظلمةَ السوداءَ فانكشفَتْ وعزَّل الماء عمَّا كان قد شغلا
وبسَّط الارض بسطًا ثمَّ قدَّرها تحتَ السماء سواءً مثل ما فعلا (١
وجعل الشمس مصرًا (٢ لا خفاءَ بهِ بين النهار وبين الليل قد فصلا (٣
قضى لستَّةِ أيَّام خلائقَهُ وكان آخرُ شيءٍ صوَّر الرَّجُلا»

روى في تاج العروس (٣:٥٤٣) البيتين الخامس والسادس لاميَّة بن ابي الصلت وكذلك ابن سيده في المخصَّص (١٣:١٦٤) روى البيت السادس لاميَّة الَّا انَّ شهادة كتاب البدء وكتاب الحيوان للجاحظ (٤:٦٥) اقدم واصحّ وكلاهما يروي الابيات لعديّ بن زيد

وروى في كتاب البدء (١:٦٥) وفي سيرة الرسول (ابن هشام ص ١٤٨) لزيد بن عمرو بن نوفل في تكوين الارض قولهُ :

واسلمتُ وَجْهي لمن أَسلمتْ لهُ الارضُ تحملُ صخرًا ثقالا
دحاها فلمَّا رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
واسلمتُ وجهي لمن أَسلمتْ لهُ المُزنُ تحملُ عذبًا زُلالا
اذا هي سِيقت (٤ الى بلدةٍ اطاعت فصبَّت عليها سِجالا

ومثلها لاميَّة بن ابي الصَّلت (شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٦) :

وشقَّ الارضَ فانبجست عيونًا وأنهارًا من العَذْب الزُّلالِ
وباركَ في نواحيها وزكَّى بها ما كان من حَرْثٍ ومالِ

وقال يذكر خلق الله للنيّرين الكبيرين (شعراء النصرانيَّة ٢٢٩ وسيرة الرسول ٤٠) :

انَّ آياتِ ربّنا باقياتٌ ما يُماري فيهنَّ الَّا الكفُورُ

---

١) رواهُ في تاج العروس (٣:٥٤٣) على صورة اخرى :
والارض سوَّى بساطًا ثمَّ قدَّرها تحتَ السماء سواءً مثل ما ثَقُلا

٢) روى الجوهري (١:٣٩٩) : وجاعل الشمس. وورد في الاصل: «مصيرًا» وهو غلط كما يظهر في كتاب المخصَّص (١٣ : ١٦٤) وفي تاج العروس (٣:٥٤٤) : قالوا «والمصر» الحاجز والحدّ بين الشيئين

٣) في الاصل «فضلًا» وهو تصحيف اصلحهُ في المخصَّص وفي تاج العروس

٤) وفي كتاب البدء روى: اذا هي سوقت. وهو غلط

خلقَ الليلَ والنهارَ فكلٌّ مستبينٌ (١ حسابُهُ مقدورُ
ثمّ يجلو النهارَ (٢ ربٌّ كريمٌ بمهاةٍ شعاعُها منشورُ

ولهُ ايضاً (شعراء النصرانية ٢٢٨) :

هو اللهُ باري الخَلْقِ والخَلْقُ كلُّهم إماءٌ لهُ طوعاً جميعاً وأَعبُدُ
تسبّحهُ الطيرُ الجوانحُ في الخَفَى واذ هي في جوّ السماءِ تصعّدُ
ومن خوفِ ربّي سبّح الرعدُ فوقَنا وسبّحهُ الاشجارُ والوحشُ أُبَّدُ
وسبّحهُ النينانُ والبحرُ زاخرًا وما ضمّ من شيءٍ وما هو مُتْلِدُ (٣

وقال اميّة يصف تكوين الحيوانات (كتاب الحيوان للجاحظ Ms de Vienne, ff.397 طبعة مصر ٢ : ١١٨) :

هو أبدأ (٤ كلَّ ما يأثرُ النا سُ من اماثيلَ باقياتٍ سُفورا
خلق النحلَ مصراتٍ تراها تقصف اليابساتِ والمخضورا (٥
والتماسيحَ والسنادل (٦ والايّلَ م شتّى والرئمَ واليعفورا
وصوارًا من النواشط عيناً ونعاماً صواحباً (٧ وحميرا
واسودًا عواديًا وفيولًا وسباعاً والنملَ (٨ والخنازيرا
وديوكاً تدعو الغراب لصلحٍ وإوزّينَ اخرجت وصقورا

ثمّ ذكروا تكوين جسم الانسان من طين الارض ونفسهُ من نفخة خالقهِ. قال الجاحظ في كتاب الحيوان (Ms de Vienne , ff. 213 وطبعة مصر ٣ : ٦٥) :
« سانشدك لعديّ بن زيد وكان نصرانياً ديّاناً وترجماناً وصاحب كتاب ومن دهاة ذلك الدهر قال يذكر شأن آدم . . » :

---

١) ويروى: يخلق . . . فكل مستبيرٌ . .
٢) ويروى : ثمّ يجلو الظلام
٣) رواهُ في اللسان وفي اساس البلاغة والتاج في مادّة « تلد » . قالوا أَتْلد البحرُ على الخَلْق اي أرتج عليهم وغرّقهم وجعلهم في جوفهِ. ويروى : والبحرُ زاخرٌ
٤) في طبعة مصر (٢ : ١١٨): « هو ابدى » فيختلّ الوزن
٥) في طبعة مصر: خلق النخل مصعدات . . . والخُضورا
٦) السنادل طيور كبار. وفي طبعة مصر: « والتاثيل » وهو غلط
٧) في طبعة مصر: خواضباً
٨) وفي طبعة مصر: وذياباً والوحش

قضى لستَّة ايّام خلائقهُ (١ وكان آخرُها أن صوَّر الرجلا
دعاهُ آدمَ صوتاً فاستجاب (٢ لهُ بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا

وقال اميَّة بن ابي الصلت (حياة الحيوان ٢ : ١١٣) :

والارضُ معقلُنا وكانت امَّنا فيها مقابرُنا وفيها نُولَدُ

وقال ايضاً في الارض وخلقة الانسان (فيهِ) :

منها خُلقنا وكانت أمَّنا خُلقت ونحنُ ابناؤها لو أنَّنا شُكُرُ
والطُّوطُ (٣ تزرعهُ فيها فنلبَسُهُ والصوفُ نجتزُّهُ ما أدفأَ الوَبَرُ
هي القرارُ فما نبغي لها بدلًا ما ارحمَ الارضَ الَّا انَّنا كُفُرُ

وقال ايضاً (جمهرة شعراء العرب ص ١٨) :

كيف الجحودُ وانَّما خُلِقَ الفتى من طينٍ صلصالٍ له فخَّارُ

٢ ﴿ سكنى آدم في الفردوس وخطيئتهُ ﴾ لعديّ بن زيد وصف حلول آدم في الجنّة وتكوين حوّاء من ضلعهِ وتجربة الشيطـان لهما على صورة الحيَّة ثمَّ عقاب الابوين الاوَّلين وطردهما من الفردوس فقـال عن آدم (طبعة مصر ٤ : ٦٦ = (Ms de Vienne, ff.213,

ثُمَّتَ اورثَهُ (٤ الفردوسَ يعمرُها وزوجةً صنعةً من ضلعهِ جملا
لم يَنْهَهُ ربُّهُ عن غيرِ واحدةٍ من شجرٍ طيّبٍ ان شمَّ او اَكلا
تعمَّدا (٥ للَّتي من اكلها نُهيا بأمر حوّاءَ لم تأخذ لهُ الدَّغَلا
كلاهما خاط اذ بزَّ (٦ لُبوسهما من ورق التين ثوباً لم يكن غُزِلا



١) وفي طبعة مصر : خليقة . والبيت مختلّ الوزن
٢) في طبعة مصر: إسجاب . غلط
٣) الطوط هو القطن
٤) طبعة مصر بالغلط : اورثة
٥) فيها : فعمدا
٦) فيها : اذبرا (كذا)

فكانت الحيّةَ الرقشاء اذ خُلقت كما ترى ناقةً في الخَلْق او جملا (١
فلاطها اللهُ اذ أغوت خليقتهُ (٢ طول الليالي لم يجعل لها أجلا
تمشي على بطنها في الدهر ما عمرتْ والتربُ تأكلُهُ حزنًا وان سهلا
فأتعبا (٣ ابوانا في حياتهما ووجدا (٤ الجوع والاوصابَ والعِللا

ولعديّ وصف آخر لتجربة ابليس لحوّاء وعقاب الحيّة رواهُ العصاميّ في تاريخهِ بسط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي (نسخة مكتبتنا الشرقيّة ص ١٩) قال:

سعى الرجيمُ الى حوَّا بوَسْوَسةٍ غوتْ بها وغوى معها ابو البشرِ
خلقانِ من مارجٍ انشا خليقتَهُ وآخرَ من ترابِ الارض والمَدَرِ
انشاهما ليطيعاهُ فخالَفَهُ ابليسُ عن امرهِ للحيْنِ والقدَرِ
فأبلسَ الله ابليساً واسكنَهُ (٥ دارًا من الخُلد بين الروضِ والشجَرِ
فاغتاظَ ابليسُ من بغيٍ ومن حسدٍ فاحتال للحيَّة الرَقطاءِ والطيْرِ (٦
فأدخلاهُ بأيمانٍ مؤكَّدةٍ إعطاهما بيمينٍ كاذبٍ قذِرِ
هناك سار الى حوَّا بوسوسةٍ أزْدت بغرَّاتها معها ابا البشرِ
فأهبطوا من معاصيهم وكلُّهمُ نائي المحلّ فقيدُ العينِ والأثرِ
واهبط الله ابليساً واوعدهُ نارًا تلهَّبُ بالإسعار والشرَرِ
وانزل اللهُ للطاووس رَحمتَهُ من صوتهِ ورمى رجليهِ بالنكَرِ
وأعقب الحيَّةَ الحسناءَ حين عفت مَسْخَ القوائمِ بعد السعْي كالبقرِ
وأعقب اللهُ حوَّا بالذي فعلَتْ بالطمثِ والطَلْقِ والاحزانِ والفِكَرِ

---

١) هذا البيت في طبعة مصر مقدَّم على الاثنين السابقين. امَّا قولهُ انَّ الحيَّة كانت كالناقة او الجمل فذلك من مزاعم العرب الذين ذهبوا الى انها كانت مجنَّحة ذات اربعة قوائم فعُوقبت بنقص جناحها وقطع ارجلها والمشي على بطنها وباعراء جلدها حتى يقال « اعرى من حيَّة » وبشقّ لسانها. (راجع كتاب الحيوان للجاحظ ٤: ٦٦)

٢) في طبعة مصر: خليفتَهُ بالفاء

٣) في طبعة مصر: فأبقيا

٤) فيها: واوجدا

٥) الضمير الى الانسان اي اسكن الانسان

٦) يريد بالطير الطاووس والعرب يزعمون انَّ ابليس استعان بهِ وبالحيَّة ليدخل الفردوس ويخدع الانسان فسخهُ الله بتغيير صوتهِ ودقَّة رجليهِ

وروى في كتاب البدء (١ : ٦١) وفي اللسان (١٣ : ٤٥٧) والتاج (٦ : ٦٥) عن الحيّة قول اميّة :

والحيّة الحَتَفة الرَّقشاء اخرجَها من بيتها أَمِناتُ اللهِ والكَلِمُ
اذا دعا باسمه الانسانُ او سمعتْ ذات الالهِ يُرَى في سعيها زَرَمُ

ورواها الزمخشري في الاساس: « اخرجها من جُحْرها أُمَيْنات اللهِ والقَسَمُ » (قال) « ويُقال حيّة حَتَفَة اي قاتلة كما يقال امرأة عَدْلَة »

ونروي هنا ابياتاً من ارجوزة نقلها صاحب كتاب البدء (٢ : ٨٥) والمسعودي في مروج الذهب لعليّ بن جهم عن بدء الخليقة كما رواها لهُ النصارى وان تأخّر زمانهُ عن الجاهليّة :

يا سائلي عن ابتداء الخَلْقِ مسألةَ القاصدِ قَصْدَ الحقِّ
أخبرني قومٌ من الثقاتِ أُولو علومٍ وأُولو هيئاتِ
تفرّعوا في طلب الآثارِ وعرفوا مواردَ الاخبارِ
ودرسوا التوراةَ والانجيلا واحكموا التأويلَ والتنزيلا
انّ الذي يفعلُ ما يشاء ومَنْ لهُ القدرةُ والبقاء
انشأ خَلْقَ آدمٍ إنشاء وقدَّ منهُ زوجَهُ حوَّاء
مبتديًا وذاك يومَ الجُمُعَهْ حتى اذا أكمل فيهِ الصَّنْعَهْ
اسكنَهُ وزوجهُ الجِنانا فكان من امرهما ما كانا
غرَّهما الشيطانُ واغترَّا بهِ كما ابانَ اللهُ في كتابهِ
غرَّهما الشيطان في ما صنعا فأُهبطا منها الى الارض معا
فوقع الشيخُ ابونا آدمُ بجبل الهند ويُدعى واسمُ
لبئس ما اعتاضَ من الجِنانِ والضعفُ من جِبلّة الانسانِ
فشقيا وورَّثا الشقاء نَسلَهما والكدَّ والعناء
ولم يزل مفتقرًا (١ من ذنبهِ حتى تلقّى كلماتِ ربّهِ
فأَمِن السُّخْطة والعذابا واللهُ توَّابٌ على من تابا

والعرب يضربون المثل بآدم في القِدَم قال الاخطل بن ربيعة (الاغاني ١٢ : ١٦٥) يهجو بني منقر :

يا منقرَ بن عُبَيْدٍ انَّ لُؤْمَكُمُ مذ عهد آدمَ في الديوان مكتوبُ
للضيف حقٌّ على من كان ذا كرمٍ والضيفُ في منقرٍ عُريانُ مسلوبُ

١) لعلّ الصواب : مغتفرًا

٣ ﴿ بنو آدم ﴾ وقد عرف شعراء العرب في الجاهليّة نَسْل آدم وقصّة ولديهِ كما ورد في قصيدة ابن جهم حيث قال عن آدم وحوّا :

ثمَّ تنسّلا احبّاً (١ النّسلا فحبلتْ حَوّاء منهُ (٢ حَمْلا
واقتنيا الابن فسُمّي قاينا وعاينا من نَشْئِهِ (٣ ما عاينا
فشبَّ هابيلُ وشبَّ قاينُ ولم يكن بينهما تبايُنُ

ومن الشعر المتضمّن لاخبار بني آدم رثاء يرويهِ العرب على لسان آدم وحوّاء عند قتل قاين (ويقولون قابيل) لاخيهِ هابيل وهو لا محالة مصنوع الّا انّهُ قديم يُروى في اقدم كُتُب المسلمين كتاريخ الطبرى (١:١٤٦) ومروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس ١:٦٥) وغيرهما كثيرين (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٤٩٢) وهم ينسبون انشادَهُ الى علي بن ابي طالب ما يدلُّ على انَّ الشعر سبق الاسلام . قال آدم :

تغيّرت البلادُ ومَن عليها فوجهُ الارضِ مغبرٌّ قبيحُ
تغيّر كلُّ ذي حسن ولونٍ وقلَّ بشاشةً وجهٌ صبيحُ (٤
وجاوَرَنا عدوٌّ ليس يفنى لعينٌ لا يموتُ فنستريحُ
وقابيلٌ أذاق الموت هابيـلَ وأحزَنا لقد فُقد المليحُ (٥
فما لي لا اجودُ بسكب دَمْعي وهابيلٌ تضمّنهُ الضّريحُ
ارى طولَ الحياة عليَّ غمّاً وما انا من حياتي مستريحُ

ونسبوا الى حوّاء قولها كجواب على قول آدم :

دع الشكوى فقد هلكا جميعاً بهُلْكٍ ليس بالثمن الربيحِ (٦
وما يُغْني البكاء عن البواكي اذا ما المرءُ غُيّب في الضريحِ

١) في الاصل « واحبّ » وهو غلط
٢) في الاصل « منهُ حوّاء » بكسر الوزن
٣) هكذا روى المسعودي (١:٦٣) وفي كتاب البدء: وولدت ابنًا . . . من امرء . . .
٤) والبيت يروى عادةً بالاقواء: بشاشةُ الوجهِ الصبيحِ . وروى المسعودي : كل ذي طعمٍ
٥) رواية المسعودي :
وقتّل قاينُ هابيل ظلماً فوا اسفًا على الوجهِ المليحِ
٦) رواه الطبري (١:١٤٦) :
ابا هابيلَ قد قُتلا جميعاً وصار الحيُّ كالميت الذبيحِ

فبكِّ النفسَ منكَ ودَعْ هواها فلستَ مخلَّدًا بعد الذبيحِ

واضافوا الى هذه الابيات قولًا على لسان ابليس لآدم :

تنحَّ عن البلادِ وساكنيها ففي الجنَّات ضاقَ بك الفسيحُ
وكنتَ بها وزوجَك في رخاءٍ وقلبُكَ من اذى الدنيا مُريحُ
فما زالت مكايدتي ومكري الى ان فاتك الثمنُ الربيحُ
فلولا رحمةُ الجبَّار اضحى بكفِّك في جنانِ الخلدِ ريحُ

وممَّن اشاروا في الجاهليَّة الى ولد آدم افنونُ الشاعر التغلبي (المفضَّليات ص ٥٢٤ ed. Lyall) قال :

قد كنتُ اسبقُ من جارَوْا على مَهَلٍ من ولد آدمَ ما لم يخلعوا رَسَني

٤ ﴿ نوح والطوفان ﴾ ليس في الكتاب الكريم بعد ذكر التكوين واقعٌ اخطر من الطوفان في عهد نوح. ولا شكَّ انَّ عرب الجاهليَّة نقلوا الخبر عن اهل الكتاب ولا سيما النصارى. منهم الاعشى الكبير حيث قال يمدح اياساً ويشبهُ بنوح في صنع سفينتهِ (شعراء النصرانيَّة ص ٣٨٩) :

جزَى الالهُ اياساً خيرَ نعمتهِ كما جزى المرءَ نوحاً بعد ما شابا
في فُلكهِ اذ تبدَّاها ليصنعها وظلَّ يجمع ألواحاً وابوابا

ومنهم اميَّة ابن ابي الصلت روى لهُ الجاحظ في كتاب الحيوان (طبعة مصر ٢ : ١١٨ = Ms de Vienne, 212ᵛ) والمقدّسي في كتاب البدء (٣ : ٢٤) ابياتاً منها قولهُ يذكر نجاة نوح واهله وحلولهُ على جبل الجوديّ الذي فوقهُ نزلت سفينتهُ على زعم العرب :

الى أن يفوتَ المرءَ رحمةُ ربِّهِ وان كان تحت الارض سبعون (١ واديا
كرحمة نوحٍ يوم حلَّ سفينة (٢ لشيعتهِ كانوا جميعاً ثمانيا
فلمَّا استنارَ (٣ اللهُ تنُّور ارضهِ ففارَ وكان الماء في الارض ساجيا
ترفَّع في جريٍ كأنَّ اطيطَهُ صريفُ مُحالٍ يستعيد الدواليا
على ظَهرِ جونٍ لم يُعَدَّ لراكبٍ سراهُ وغيمٍ ألبس الماء داجيا (٤

---

١) في كتاب البدء (٣ : ٢٤) : سبعين

٢) كذا في كتاب البدء ولعلَّ الصواب : سفينَهُ

٣) كذا فيهِ ولعلَّ الصواب : استثار او استفار

٤) في طبعة مصر: « راجياً » وهو تصحيف

فصارت بها ايامُها ثُمَّ سبعةً وستَّ ليالٍ دائبات عواطيا
تشقُّ بهم تهوي باحسن إمْرة (١ كأَنَّ عليها هاديًا ونَوَاتيا
وكان لها الجوديُّ نَهيًا وغايةً واصبحَ عنها موجُهُ متراخيا

ومثلها قولهُ (كتاب البدء ٣: ٢٤) :

مُنْجي ذي الخَيْر من سفينة (٢ نوحٍ يومَ بادت لبنان من أُخراها
فار تنُّورُهُ وجاشَ بماء طمَّ فوق الجبال حتى علاها
قيل للعبد سِرْ فسار وبالله على الهول سَيْرُها ومُسْراها
قيلَ فاهبطْ فقد تناهَتْ بك الفُلْـكُ على رأسِ شاهقٍ مرساها

ولهُ ايضاً (رواهُ صاحب خزانة الادب ولبُّ لباب لسان العرب ٤: ٤) :

عرفتُ أن لن يفوتَ اللهَ ذو قِدَمٍ وانَّهُ من امير السوءِ ينتقمُ
المُسبحُ الخُشْب فوق الماء سخَّرها خِلالَ جريَتِها كأنَّها عُوَمُ (٣
تجري سفينةُ نوحٍ في جوانبهِ بكلِّ موجٍ مع الارواح تقتحمُ (٤
مشحونةٌ ودخانُ الموج يرفعُها ملأى وقد صُرعت من حولها الاممُ (٥
حتى تسوَّت على الجوديِّ راسيةً بكلِّ ما استُودِعَتْ كأنَّها أُطُمُ (٦

وروي لهُ ايضاً في كتاب الحيوان للجاحظ (Ms de Vienne, ff 396ᵛ)
بيتان في البهائم التي كانت في سفينة نوح :

تصرخُ الطيرُ والبريَّةُ فيها مع قويِّ السباعِ والافيالِ
مرَّ فيها من كل ما عاش زوجٌ بين ظَهْرَيْ غواربٍ كالجبالِ

---

١) في الاصل: امره
٢) لعل الصواب: من سفينه
٣) وفي الاصل عن شارح ديوان اميَّة ما نصّهُ: « يُقال سَبَّح الرجلُ واسبَحهُ الله. والعُوَم جمع العُومة كأنَّها حيةٌ تكون بعمَّان. والعامَةَ شبه الطَّوْف الَّا انَّها اصغر منهُ يركب فيهِ البحر » وروى في لسان (١٥: ٣٢٨) : في اليمِّ جريتُها
٤) في الاصل : في جوانبهِ اي جوانب الماء
٥) في الاصل : مشحونة اي مملوءة يقال : اشحنْ سفينتك اي املأها . وفي خزانة الادب قبل هذا البيت بيت آخر أُقحم في القصيـدة بالغلط وهو من بحر المنسرح كما نبَّهَ عليهِ في الهامش والابيات كلها من البسيط وهو قولهُ :
نُودي قُمْ واركَبَنْ باهـلك م انَّ الله موفٍ للناس ما زعموا
٦) الأُطُم والجمع آطام

ويحسن بنا ان نروي هنا ما قال القطاميّ الشاعر النصراني في عهد بني اميّة عن نوح وسفينته (ديوانهُ ص ٨٤ ed. Barth ولسان العرب ٦ : ٣٣٤) :

وأُنذِرُكم مصايرَ قومِ نوحٍ وكانت امّةً فيها انتشارُ
وكان يسبّح الرحمانَ شكرًا ولله المحامِدُ والوقارُ
فلمّا ان اراد اللهُ امرًا مضى والمشركون لهم جُؤّارُ (١
ونادى صاحبُ التنّور نوحًا وصبّ عليهمُ منهُ البَوارُ (٢
وضجّوا عند جيئَتهِ وفرُّوا (٣ ولا يُنجي من القَدَر الحِذارُ
وجاش الماء منهمرًا اليهم كأنّ غُثاءهُ خِرَقٌ نِشارُ (٤
وعامت وهي قاصدةٌ بإذنٍ ولولا اللهُ جار بها الجَوَارُ (٥
الى الجوديّ حتى صار حِجْرًا وحان لِتالكَ الغُمرِ انحسارُ (٦
فهذا فيهِ موعظةٌ وحكمٌ ولكني امروٌ فيّ افتخارُ

وذكر اميّة الجُوديّ في محلّ آخر مشيرًا الى حلول سفينة نوح عليهِ (كتاب سيبويهِ ١ : ١٣٦ ed. Derenbourg) والبيت يُروى لورقة بن نوفل في جملة ابيات (شعراء النصرانيّة ص ٦١٧) :

سبحانَهُ ثمّ سبحانًا يعودُ لهُ وقبلنا سبّحَ الجوديُّ والجُمُدُ

ولاميّة يذكر امر الغراب والحمامة اللذين ارسلهما نوح ففرّ الغراب وعادت الحمامة بغصن الزيتون فقال (كتاب الحيوان للجاحظ طبعة مصر ٤ : ٦٥ ثمّ Ms de Vienne, ff. 212ᵛ ثمّ كتاب البدء ٣ : ٢٥) :

واذ هم لا لَبوسَ لهم تقيهم واذ صمُّ السِلامِ لهم رطابُ (٧

١) قالوا الجؤار الماء الكثير ٢) في لسان العرب : نوحٌ . وفي الديوان : الوَبَارُ . ونظنّها تصحيفًا ٣) رواية الديوان : جيئتهِ اليهم . وجيئتهُ اي حين جاء الطوفان

٤) في الاصل : « يريد كأنّ زَبَدَهُ ملاءة منتشرة مبسوطة » . وفي اللسان : خِرَق قُسارُ

٥) شرحهُ في الديوان : عامت سبحت الى الجوديّ . والجَوَار الجَوْر اي لولا الله لجار بالسفينة الخَيْرة فكانت تجور ولا تهتدي

٦) قال في اللسان : الحِجْر المنوع الـذي لهُ حاجز . وفي الديوان اي منع الجودي السفينة ان تبرح . الغُمَر والغَمَرات الشيءُ الذي يُغْمَر ويغرق . والانحسار الانكشاف . وتالِك مثنّى تلك كتانِك

٧) رواهُ الالوسي في بلوغ الارب (٣ : ٢٢١) عن الثعـالبي « لهمُ عراةٌ . . . صمّ الصلاب » . وفي كتاب البدء : « واذ صخر السِلامِ » وفي البيت اشارة الى مـا كان يزعمهُ العرب انّ الحجارة كانت قبل الطوفان رطبةً والطيور ناطقة ومن امثالهم « كان ذلك اذ كان كلّ شيءٍ ينطق » و « كان ذلك والحجارة رطبة » ويدعون ذلك العهد « زمن الفِطَحْل »

عشيَّةَ أُرسِل الطوفانُ يجري وطاف الماءُ ليس لهُ جرابُ
على امواج أخضرَ ذي حبيكٍ كأنَّ سُعارَ زاخرهِ الهضابُ
بآيةِ قام ينطقُ كلُّ شيءٍ وخانَ امانةَ الديكِ الغرابُ (١
وأرسلت الحمامةُ بعد سبعٍ تدلُّ (٢ على المهالك لا تهابُ
تلمَّسُ هل ترى في الارض عيناً وعاينَةً بها الماءُ العُبابُ (٣
فجاءت بعد ما ركضت بقِطفٍ عليهِ الثأطُ والطينُ الكُبابُ (٤
فلمَّا فرَّسوا الآيات صاغوا لها طوقاً كما عُقد السِّخابُ (٥
اذا ماتت تورِّثهُ بنيها وإن تُقتَل فليس لها استِلابُ (٦
جزى (٧ الله الاجلُّ المرء نوحاً جزاء البرِّ ليس لهُ كذابُ
بما حملت سفينتهُ وانجت غداةَ اتاهمُ الموتُ القُلابُ
وفيها من أرومتهِ عيالٌ لديهِ لا الظماءُ ولا السغابُ

وقال ايضاً في حمامة نوح وطوقها (حياة الحيوان للجاحظ ٢ : ١١٩) :

وما كان اصحاب الحمامة خيفة غداةَ غدت منهم تضمُّ الخوافيا
رسولاً لهم واللهُ يحكم امرَهُ يبين لهم هل يؤنس الثوب باديا
فجاءت بقِطفٍ آيةً مستبينةً فأصبح منها موضعُ الطين جاريا
على خطمها واستوهبت ثمَّ طوقَها وقالت ألا لا تجعلِ الطوق حاليا
ولا ذهباً اني اخافُ نبالهم يخالونهُ مالي وليس بماليا
وزدني على طوقي من الحلي زينةً تُصيب اذا أُتبعتُ طوقي خضابيا
وزدني لطَرْف العين منك بنعمةٍ ووَرِّث (٨ اذا ما متُّ طوقي حماميا
يكونُ لأولادي جمالاً وزينةً وجوين زيني زينةً أن يرانيا (٩

---

١) روى في كتاب البدء : « بانَّهُ قام » . وروى الالوسيّ : « وكان امانة الديك » وكلاهما تصحيف ٢) في كتاب البدء : تزلُّ ٣) في كتاب البدء : وعائنةٌ . وفي كتـاب البدء : « بهِ تيبُّس واضطراب » وهي رواية مصحَّفة

٤) القِطف ما قُطف من الاغصان . والثأطُ الحمأة . والكُبابُ الطين اللازب . وفي كتاب البدء : « عليهِ الشلط والطين الكثاب » وهو تصحيف

٥) في كتاب البدء : فرَّشوا الآيات . ولعلَّ المعنى ميَّزوا وفصَّلوا . والسِّخـاب القلادة . ويروى : السحاب وهو تصحيف

٦) في كتاب البدء : « تورِّثها . . وان قُتلت » . وفي البيتين اشارة الى زعم العرب بان الطوق الذي يحلّي عنق الحمامة انَّما هو جزاء امانتها لمَّا عادت الى سفينة نوح

٧) في كتاب البدء : فجازى . والبيت مختلّ الوزن

٨) في الاصل : وأرِّث

٩) وللشاعر بعد هذا ابيات ذكر فيها قصَّة يرويها العرب جرت على زعمهم بين الديك والغراب . يقولون انَّ الديك نادم الغراب وشربا الخمر ولم يعطيا الخمَّار حقَّهُ فرهنَ الغرابُ

وروى البحتري في حماسته (راجع طبعتنا ص ١٢٤) لرجل الكنديّ في نوح وسفينته فقال في تصرُّف الايّام :

وأصبنَ نوحاً بعد ما بلغَتْ بهِ أُفُقَ البلاد سفينةٌ لم تغرَقِ

وممّن ذكروا نوح وسفينته في الجاهليّة النابغة الجعديّ في ميميّتهِ التي اولها :

الحمدُ لله لا شريك لهُ من لم يَقُلْها فنفسهُ ظلَمَا

ثمّ قال يذكر بامر الله الى نوح ليُعدّ لهُ فلكاً (خزانة الادب ٤:٤) :

نُودِيَ قُمْ وارْكَبَنْ باهلك انَّ الله موفٍ للناس ما زعما (١

وفيها زعم الجعديّ انَّ سفينة نوح كانت من خشب الجوز لصلابتهِ وجودتهِ قال (لسان العرب ٧:١٩٥) :

يرفع بالقار والحديدِ من الجَوْز طوالاً جذُوعها عُمُما (٢

ويضربون المثل في نوح بطول العمر ورووا لرؤبة (ديوانهُ ص ١٢٨) :

فقلتُ لو عُمّرتُ سنَّ الحسلِ او عُمْرَ نُوحٍ زمنَ الفِطَحْلِ (٣
والصخرُ مبتلٌّ كطين الوَحْلِ صرتُ رهين هرَمٍ او قَتْلِ

ومثلهُ لابي العتاهية ديوانهُ ص ٦٧) :

نُحْ على نفسك يا مسكينُ ان كنتَ تنوحُ
لستَ بالباقي ولو عُمّرتَ ما عُمّرَ نوحُ

٥ ﴿ ابناء نوح ﴾ لم نجد في شعر عرب الجاهليّة ذكرًا لابناء نوح الّا في قصيدة لصلاءة بن عمرو الشهير بالافوه الاوديّ (راجع شعراء النصرانيّة ص ٧٠) ذكر فيها ملوك التبابعة والمثامنة وقد ورد منها ابيات في كتاب وصايا ملوك العرب (ص٢٠) فقال :

فلو دام البقاءُ إذَنْ جدودي وأسلافي بنو قَحْطانَ داموا
ودام لهم تبابعُهم ملوكاً ولم تَمُتِ المَثامنةُ الكرامُ
وعاش المَلْكُ ذو الأذعار عمروٌ وعمروٌ حولهُ النُّجبُ اللُّهامُ
ملوك ادَّتِ الدنيا اليها إتاوَتَها ودان لها الانامُ

الديكَ على حجّة ان يذهب ويأتي بالثمن فلمّا ذهب خاس بالديك وسخر بهِ ولم يرجع فبقي الديك محبوساً ١) وفي بعض الروايات: « ما زعموا ». وهو غلط . وقد مرَّ انَّ هذا البيت قد رُوي سهوًا في جملة ابيات اخرى لاميَّة بن ابي الصلت من بحر البسيط

٢) العُمَم جمع عَميم وهو المجتمع الكثير

٣) الحِسْل ولد الضب ويروى : عُمْرَ الحسلِ . والفِطَحْل السيل والطوفان . (راجع الصفحة ٢٨٨)

ولمّا يَعصِها سامٌ وحامٌ ويافثُ حيثما حلّت ولامُ (١

٦ ﴿ ذكر ابرهيم الخليل وابنهِ اسحاق ﴾ ورد اسم ابرهيم في الشعر الجاهلي ويقال ابراهِم وابراهَم. قال عبد المطّلب (المعرَّب للجواليقي ص ٩ واللسان ١٤ : ٣١٤) ينسب ابتناء الكعبة الى ابراهيم :

عُذتُ بما عاذَ بهِ ابراهيمُ مُستقبِلَ القبلةِ وهو قائمُ اني لك اللهمَّ عانٍ راغمُ

ولهُ : نحنُ آلُ اللهِ في كعبتهِ لم يزل ذاك على عهد ابرَاهَمِ

ودعاهُ ورقة بن نوفل باسم الخليل فقال (شعراء النصرانيَّة ٦١٨) يخاطب زيد بن عمرو :

فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مقامُها تُعلَّلُ فيها بالكرامة لاهيا
تُلاقي خليلَ الله فيها ولم تَكُنْ من الناس جبّارًا الى النار هاويا

وكذلك قال جرير (الطبري ١ : ٤٣٣) :

ابونا خليلُ اللهِ واللهُ ربُّنا رضينا بما أعطى الالهُ وقدَّرا

وفي شعرهم اشارة الى اسحاق ويدعونهُ الذبيح لما ورد في التوراة من طاعة ابراهيم لمّا امتحنهُ الله وامره بتقدمة ابنهِ. قال الاعشى يشبّه لون الخمر بلون دم الذبيح :

ومُدامةٍ ممّا تُعتِّقُ بابلٌ كدمِ الذبيح سلَبْتُها جِرْيالَها

وقد وصف اميَّة بن الصلت تقدمة ابراهيم كما رُويت في التوراة فقال (تاريخ الطبري ١ : ٣٠٨ وكتاب البدء ٣ : ٦٥ وقصص الانبياء ٩٣ وخزانة الادب ٢ : ٥٤٣) :

سبّحوا للمليك كلَّ صباحٍ طلعتْ شمسُهُ وكلَّ هلالِ (٢
ولابراهيمَ الموفيَ بالنَّذْ رِ (٣ احتسابًا وحاملِ الأجذالِ (٤
بِبِكرهِ لم يكُن ليصبرَ عنهُ لو رآهُ في معشرٍ أقتالِ (٥

١) جاء في كتب العرب انَّ لام ابنٌ لنوح كسام وحام ويافث

٢) رُوي هذا البيت لابن صرمة الانصاري (خزانة الادب ٢ : ٥٤٣)

٣) كذا روى الطبريّ. وروى صاحب كتاب البدء : الموفي بنذر. وروى في شواهد مغني اللبيب (ص ٢٤١) : « لابراهيم الوافي بالنذر » والبيت مكسور

٤) الأجذال جمع جِذْلٍ وهو القطعة الكبيرة من الحطب. وروى الثعلبي في قصص الانبياء (ص ٨٢) : « حامد الاجزال » وهو غلط. وكذلك روى في كتاب البدء « الاجزال » بالزاي ٥) الأقتال جمع قِتْل وهو القِرْنُ والنظير والمقاتل. وروى الطبري : او يراهُ. ويروى في بعض نسخهِ : معشرٍ أقيال

ولهُ مُدْيَةٌ تَخايَلُ في اللحــمِ حُذَامٌ حنيَّةٌ كالهلالِ (١
أَبُنَيّ انّي نذرتُكَ للّــــهِ شَحيطًا فاصبرْ فدىً لك حالي (٢
فأجاب الغلامُ أن قال فيهِ كلُّ شيءٍ لله غير انتحالِ (٣
ابني انّي جزيتُكَ باللّــــهِ تقيًّا بهِ على كلّ حالِ (٤
فاقضِ ما قد نذرتَ لله واكْفُفْ عن دَمي أن يَمَسَّهُ سِرْبالي
واشْدُدِ الصَّفْدَ لا أَحيدَ عن الســــكّينِ حَيْدَ الأسيرِ ذي الأغلالِ (٥
انّني آلَمُ المحزَّ وانّي لا أَمَسُّ الأَذقانَ ذات السِبالِ (٦
جعل اللهُ جيدهُ من نحاسٍ اذ رآهُ زَوَلًا من الازوالِ (٧
بينا يَخلَعُ السرابيلَ عنهُ فكّهُ ربُّهُ بكبشٍ جُلالِ (٨
قال خُذهُ وأرسِلِ ابنك اني للذي قد فعلتُما غيرُ قالِ (٩

١) مدية حُذام وحُذام اي قاطعة. وحنيَّة مستديرة. وتخايل اي تلوح. وروى في قصص الانبياء: «تخايَلُ في اللحم غلاماً جبينهُ كالهلال» وهي رواية مصحَّفة. ورواهُ في خزانة الادب:

ولهُ مديةٌ تخيَّلُ في اللــحم هُذَامٌ جليَّةٌ كالهلالِ

قال جامع ديوان اميَّة محمَّد بن حبيب: المدية السكّين. تخيّل في اللحم تمضي فيهِ من الخيلاء. وهُذام القاطعة السريعة من الهذم وهو القطع والاكل في سرعة. وجليَّة مجلوَّة

٢) الشحيط الذي يَتَشحَّط اي يضطرب في دمهِ يريد نذرتُ ان اضحّيك لله. وروى في كتاب البدء: سحيطًا. وفي قصص الانبياء: فذلك حالي. وفي خزانة الادب: فدًا لك حالي. ولعلَّها كلّها مصحَّفة

٣) قال شارح الديوان: غير انتحال اي غير كذب وادّعاء بل هو حقّ

٤) ورد هذا البيت وما يليهِ في خزانة الادب. قال: «جزيتُكَ بالله أطمَنْتُك بالله»

٥) قولهُ «لا أَحيدَ» اي لئلّا احيد. ويروى: «أن احيد» قالوا معناها خشية ان احيد اي اميل عنهُ. ويروى: من السكّين. والصفد الحبل الذي يُربط بهِ

٦) قال الشارح في خزانة الادب: يقول لم أُمْسَس ذَقَني اي لا اجزع ولا امنعك. وذقن الانسان يجمع لحيَتهِ واصلهُ في الجمل يحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض فيعتمد بذقنهِ على الارض. والسِبال جمع سَبَلة وهي عند العرب مقدَّم اللحية

٧) الزَّوَل الشجاع والعجب. والجيد العُنُق. ويروى: جعل الله حَيْدَهُ. والحيد المثل والنظير

٨) روى في قصص الانبياء وشواهد المغني: «بينا يخلع السراويل... بكبش حَلال». والجُلال الجليل والعظيم

٩) روي في شرح شواهد المغني: فخُذَنْ ذا فداء ابنك أني. وروى الطبري: فخذا ذا. وفي قصص الأنبياء: فخذن ذا فدًى لإبنك. ويروى: فأرسل ابنك عنهُ اني ما قد فعلتما. وقولهُ «غير قالٍ» اي غير مبغض لهُ اي راضٍ بهِ

والدٌ يتّقي وآخَرُ مولو دٌ فطارا عنهُ بسَمْعٍ مُعالِ (١
رُبّما تجزَعُ النفوس من الأمـــر لهُ فَرْجَةٌ كحَلّ العِقالِ (٢

وقد اختصر ذلك السموءل في ديوانه (راجع طبعتنا ص ٣٠) فقال :

فهذا خليلٌ صيّر الناسَ حولهُ رياحينَ جنّات النصون الذوابلِ
وهذا ذبيحٌ قد فداهُ بكَبْشه براهُ بدجاً لا نِتاجَ النّيائلِ

٧ ﴿ ذكر لوط وعقاب سَدُوم ﴾ لوط اخو ابراهيم. ذكرهُ العرب ورووا ما جرى لسَدُوم من العقاب في عهده. ورد في المعاجم (الصحاح والتاج واللسان في مادّة سَدَمَ) لشاعر لم يذكروا اسمهُ ولعلّهُ هو الشاعر الآتي ذكرهُ :

كذلك قومُ لوطٍ حين أمسوا (٣ كعَصْفٍ في سَدُومهم الرَّميمِ

وجاء في التاج واللسان لعمرو بن درّاك العبدي يشير الى مثل العرب: «أجوَر من قاضي سدوم» فقال :

وإنّي وان قطعتُ حبالَ قيسٍ وخالفتُ المُرونَ على تميمِ
لأعظمُ فجرةً مِنَ أبي رِغالٍ وأجوَرُ في الحكومةِ من سَدُومِ

وقال اميّة بن ابي الصلت يذكر قصّة سدوم وجور اهلها وعقابهم (سفر التكوين ف ١٩ ثم معجم البلدان لياقوت ٣: ٥٩ وكتاب البدء ٣: ٥٨ وآثار البلاد للقزويني) :

ثمّ لوطٌ اخو (٤ سدومٍ اتاها اذ أتاها برُشْدها وهُداها
راودُوهُ عن ضيفهِ ثمّ قالوا قد نهيناك ان تُقيم قراها
عَرضَ الشيخُ عند ذاك بناتٍ كظباءٍ بأجرَعٍ ترعاها (٥

١) قال الشارح: اي ذهب سمعهُ في الناس. والمُعَال المرتفع اي صار لهما شرفاً يُذكَران به . ويروى: «بسمعٍ فعالِ» وهو تصحيف

٢) رُوي هذا البيت لشعراء كثيرين والارجح انّهُ من هذه القصيدة لاميّة. قال في خزانة الادب : «المشهور انهُ لاميّة من قصيدة طويلة عدّتها تسعة وتسعون بيتاً ذكر فيها شيئاً من قصص الانبياء داؤد وسليمان ونوح وموسى وذكر قصّة ابراهيم واسحق وزعم انه هو الذبيح وهو قول مشهور للعلماء». وروي في كتاب البدء: «رُبّما تكرهُ النفوس». وفي الخزانة: «من الشرّ» ٣) وفي معجم البلدان لياقوت (٣: ٥٩) : حين أضحوا

٤) في كتاب البدء: ثمّ لوطاً اخا

٥) روى القزويني: «غرض الشيخ» وهو تصحيف. وفي كتاب البدء: فرعاها

غضبَ القوم عند ذاك وقالوا أيُّها الشيخ خطبةٌ تأباها
أجمعَ القوم أمرهم وعجوزٌ خيَّبَ اللهُ سَعْيَها ولحَاها (١
أرسلَ الله عند ذاك عذاباً جعلَ الأرضَ سُفْلَها أعلاها
ورماها بحاصبٍ ثمَّ طينٍ ذي جروفٍ مُسَوَّمٍ إذ رماها (٢

٨ ﴿ يعقوب وبنو اسرائيل ﴾ يعقوب ابو الاسباط الاثني عشر الذي دُعي اسرائيل ويقول العرب اسرائين. قال بعض القدماء (اللسان ١٧ : ٣٥١):

قد جَرَتِ الطيرُ أيامنينا قالت وكنتُ رجلًا فطينًا هذا لعمرُ اللهِ اسرائينا

رواهُ في القلب والابدال لابن سكّيت (ص ٩ ed. Haffner): « هذا وربّ البيت اسرائينا ». وسمّاهُ اميَّة بن ابي الصلت إِسرال (نقد الشعر لقدامة ص٨٣):

ما ارى مَنْ يعيثني في حياتي غيرَ نفسي الّا بني إِسرالِ

وروى الجاحظ (في البيان والتبيان ١ : ١٩٠) لبعض بني اياد النصارى قولهُ وفيهِ اشارة الى رؤيا يعقوب عند مسيرهِ الى ما بين النهرين اذ رأى سلّماً تصعد عليهِ ملائكة الله وتنحدر (تكوين ٢٨ : ١٢) فقال :

ونحن ايادٌ عبيدُ الالهِ ورهطُ مناجيهِ في السُّلَّمِ

ونسبوا الاسباط الى يعقوب. قال السموءَل (اطلب طبعتنا لديوانهِ ص ١٢):

وبقايا الاسباطِ اسباطَ يعقو بَ دراسِ التوراة والتابوتِ

وذكرهُ في محلّ آخر وخصَّ بالذكر يوسف ابنهُ وقصَّتهُ في مصر (ص ٣١) :

وهذا رئيسٌ مجتبىً ثمَّ صَفْوُهُ وسمَّاهُ اسرائيلَ بكْرِ الاوائلِ
ومن نسلهِ الساميُّ ابو الفضلِ يوسفٌ م الذي اشبع الاسباط قَمْحَ السنابلِ
وصار بمصرٍ بعد فرعون امرهُ بتعبيرِ احلامٍ لحلّ المشاكلِ
ومن بعد احقابٍ تَنَسُّوا ما اتى لهم من الخيرِ والنصرِ العظيمِ الفواضلِ

٩ ﴿ موسى الكليم ﴾ قد اكثر شعراء الجاهليَّة النصارى من ذكر موسى كليم الله ورووا ما جرى لهُ مع فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدهِ من رقّ المصريين. فمن ذلك ما ورد في كتاب البدء (١ : ٧٥) وفي سيرة الرسول (ابن هشام ص١٤٥—

---

١) لحاها اي لعنها. روى القزويني: « عزم القوم امرهم بعجوز... وعجاها ». وفي ياقوت: سَعْيها ورجاها

٢) في معجم البلدان: ذي حروفٍ. والمسوَّم المكلَّف والمسخَّر

١٤٦) وفي خزانة الادب (١: ١١٩ و٤: ٢٤٣ في الهامش) لزيد بن عمرو ورُويت ايضاً لأُميَّة :

رضيتُ بكَ ٱللّهمَّ ربًّا فلن أرَى أَدينُ الهًا غيرَكَ الله ثانيا (١
وانتَ الذي من فَضْل منٍّ (٢ ورحمة بعثتَ الى موسى رسولًا مناديا
وقُلتَ لهُ فاذهب وهارونَ فادعُوَا الى الله فِرْعَوْنَ الذي كان طاغيا (٣
وقولا لهُ أأنتَ سوَّيت هذه بلا وتَدٍ حتى اطمأنَّت (٤ كما هيا
وقولا لهُ أأنت رفَعتَ هذه بلا عَمَدٍ أرْفِقْ اذًا بك بانيا (٥
وقولا لهُ أأنت سوَّيت وسطها مُنيرًا اذا ما جنَّهُ الليلُ ساريا
وقولا لهُ من يُرسِلُ الشمس غدوةً فيُصبحُ (٦ ما مسَّت من الارض ضاحيا
وقولا لهُ مَن أنبت الحبَّ في الثرى فاصبح منهُ البقلُ يهتزُّ رابيا (٧
ويخرجُ منهُ حبَّهُ (٨ في رؤوسهِ وفي ذاك آياتٌ لمن كان واعيا

وروى المقدسي في كتــاب البدء (٣: ٨٢) لأُميَّة بن ابي الصلت يذكر صَلَف فرعون وعقابهُ :

ولفرعونَ اذ تُساقُ لهُ الما ء فهلَّا لله كان شكُورا
قال اني انا المُجيرُ على النا سِ ولا ربَّ لي عليَّ مُجيرا
فمحاهُ الالهُ من درجاتٍ ناميات ولم يكن مقهورا (٩
سُلب الذِكرَ في الحياة جزاءً وأراهُ العذابَ والتغييرا
وتداعى عليهمِ البحرُ حتى صار موجًا وراءهُ مستطيرا

---

١) وفي خزانة الادب (٤: ٢٤٣) : راضيا
٢) فيها (١: ١١٩) : من فضل سَيْبِ
٣) روى في كتــاب البدء : فادعو . وهو مكسور الوزن . وروى في الخزانة : « وقلت لهارون اذهبا فتظاهرا على المرء . . . » وهي رواية مغلوطة
٤) في كتاب البــدء : أأنت سمَّكتَ هذه بلا عمد حتى استقرَّت . وفي بلوغ الارب لشكري افندي الالوسي (٢: ٢٨٣) : « أأنت الذي سوَّيت » ووزنهُ مختلّ
٥) في سيرة الرسول : بك هاديا
٦) في كتاب الخزانة : « من اخرج الشمس بكرةً فاصبح »
٧) صحَّفهُ في كتاب البدء بروايتهِ : « من ينبت الحي والثرى فتصبح . . . راسيا »
٨) في الخزانة : « فأصبحَ منهُ حبُّهُ »
٩) كذا في الاصل . ولعلَّ في البيت تصحيفاً . والمقهور المغلوب

فدعا الله دعوةً لا تُعنّى بعد طغيانهِ فصار مُشيرا (١

وممن ذكروا موسى وفرعون السموءل حيث قال (راجع ديوانهُ ص ٣١):

ألسنا بني مصر المُنكَّلة التي لنا ضُربت مصرٌ بعشرِ مناكلِ
ألسنا بني البحر المفرّق والتي لنا غُرِق الفرعونُ يوم التحاملِ

ومثلهُ للقطامي في غرق فرعون (ديوانهُ ص ٨٤ ed. Barth):

وشُقَّ البحرُ عن اصحاب موسى وغُرِّقت الفراعنةُ الكِفارُ

وقال الاعشى مشيرًا الى اكل بني اسرائيل المنَّ والسلوى في البرّية (سيرة الرسول لابن هشام ٣٦٨ ولسان العرب ١٩: ١١):

لو أُطعموا المنَّ والسلوى مكانَهُمُ ما ابصرَ الناس طُعمًا فيهم نجعا

وللسموءل يصف ما جرى في البرية لبني اسرائيل (ديوانهُ ص ٣١):

واخرجهُ الباري الى الشعبِ كي يرى اعاجيبَهُ مع جودهِ المتواصلِ
وكيما يفوزوا بالغنيمة اهلُها من الذهب الابريزِ فوق الحمائلِ
ألسنا بني القُدس الذي نُصب لهم غمامٌ يقيهم في جميعِ المراحلِ
من الشمس والامطار كانت صيانةٌ تجيز نوادحهم نزول النوائلِ
ألسنا بني السلوى مع المنّ والذي لهم فجَرَ الصوّانُ عذبَ المناهلِ
على عدد الاسباط تجري عيونها فُراتًا زلالًا طعمُهُ غير حائلِ
وقد مكثوا في البرّ عمرًا محدَّدًا (٢ يغذّيهمُ العالي (٣ بخيرِ المآكلِ
فلم يبلَ ثوبٌ من لباسٍ عليهم ولم يحوجوا للنعل كلّ المنازلِ
وارسل نورًا (٤ كالعمودِ امامهم يُنير الدُّجى كالصُّبح غيرَ مُزايلِ
ألسنا بني الطور المقدَّس والذي تَدَخْدَخَ (٥ للجبّار يوم الزلازلِ
ومن هيبة الرحمان دُكَّ تذلّلًا (٦ فشرَّفهُ الباري على كل طائلِ
وناجى عليهِ عبدَهُ وكليمهُ فقدَّسنا للرب يوم التباهلِ

١٠ ﴿ القضاة الى داود ﴾ كان خلفُ موسى في قيادة شعب اسرائيل يشوعَ بن نون ولم نجد اسمهُ في الشعر الجاهلي. وانما ذكر الشريشي في شرح مقامات الحريري (١: ٨٠) بيتين للرصافي الشاعر يخاطب وجيهاً اسمهُ موسى فيهما اشارة ايقاف يشوع للشمس فقال:

---

١) نظن انَّ الرواية مصحَّفة ٢) في الاصل: بجدَّدًا ٣) ويروى: الباريُّ
٤) ويروى: وانصب نورًا ٥) ويروى: تدكدك
٦) ويروى: أليس تطأطا بالجليلِ تذلُّلًا

وعشيّ أُنسٍ للسرور وقد بدا من دون قرص الشمس ما يتوقّعُ
سقطتْ ولم تَمْلِكْ يمينكَ ردَّها فوددتُ يا موسى لوَ انّك يوشعُ

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ١: ٩٨) ابياتاً لشاعر جاهلي اسمهُ عوف بن سعد الجُرهُميّ يذكر فيها حرب يشوع للعمالقة وقتلهُ لملكهم ملك ايلة الذي دعاه السَّمَيْدع بن هوبر فقال:

أَلَم تَرَ انَّ العِملقيَّ بن هَوْبَرٍ بأَيْلَةَ أَمسى لَحمُهُ قد تمزَّعا
تداعت عليهِ من جنودٍ جحافلٌ ثمانين الفًا حاسرينَ ودُرَّعا
فأَمست عدادٌ للعماليق بعدَهُ على الارضِ مشياً مُصعِدين وفُرَّعا (١
كأن لم يكونوا بين اجبال مكّةٍ ولم يَرَ راءٍ قبل ذاك سميدعا

ثمَّ ذكروا اوَّل ملك بني اسرائيل المسمَّى شاؤل وهم يدعونهُ طالوت قال السموءَل (ديوانهُ ص ١٢):

وانفلاقُ الامواجِ طُودَينِ عن موسى وبَعْدُ المملَّكُ الطالوتُ

وذكره صاحب القرآن في سورة البقرة (٢٤٨ : ٤): « ان الله قد بعث لكم طالوتَ ملكاً »

١٢ ﴿ داوُود الملك ﴾ تكرَّر اسمهُ في الشعر الجاهلي. ولم يكد الشعراء يذكرون من امرهِ غير وضعهِ للزَّبور وسردهِ للدروع. الَّا انَّ السموءَل اشار الى قتلهِ جُليات وهو يدعوهُ جالوت قال (ديوانهُ ص ١٣):

ومُصاب الافريس حين عَصَى اللـهَ واذ صابَ حَيْنَهُ الجالوتُ

وفي القرآن (٢ : ٢٥٢): « وقتل داوُد جالوت »

وقد ذكرهُ عبيد بن الابرص (خزانة الادب ١: ٣٢٣) بياناً لطول عمرهِ:

وطلبتُ ذا القرنَيْن حتى فاتني رَكضاً وكدتُ ان ارى داوُودا

وقال الاعشى يذكر حوادث الدهر (حماسة البحتري ص ٩٠):

ومرُّ الليالي كلَّ وقتٍ وساعةٍ يُزَعْزِعنَ ملكاً او يباعدنَ دانيا
وردنَ على داوُودَ حتى أَبَدْنَهُ وكان ينادي العيشَ اخضر صافيا

وقد اكثروا من ذكر داوُود ونسجهِ للدروع ولا نعلم على ايّ نصٍّ استندوا في اثبات ذلك قال طرفة (شعراء النصرانية ٣٠٩ وديوانهُ ص ٥٨ ed. Seligson):

---

١) وفي طبعة مصر (١: ٢٣): « فزَّعا » بالزاي

وهُمُ ما هُمْ اذا ما لَبِسوا نَسْجَ داؤودَ لبأسٍ مُحْتَضِرْ

وقال حُصَين بن الحُمَام المرّي (حماسة ابي تمّام ص ١٨٩) يصف كتائب كان يقودها عمرو بن هند ملك الحيرة الملقّب بالمحرّق:

عليهنّ فتيانٌ كساهم مُحرِّقٌ وكان اذا يكسو أجادَ وأكرما
صفائحَ بُصْرى أخلصَتْها قيونُها ومطّردًا من نسج داؤودَ مُبْهما (١

وكذلك جاء في حماسة ابي تمام (ص ٢٨٤) لحُسَيل بن سُجَيع الضبيّ في وصف الدرع:

وبيضاء من نسج ابن داوُدَ نَثْرةٍ تخيّرتُها يوم اللقاء ملابسا

ومثلهُ للبيد (حماسة البحتري ص ٨٤ وديوانهُ طبعة الخالدي ٨٣) في كوارث الزمان:

وتزعْنَ من داوُدَ احسن صُنْعِهِ ولقد يكونُ بقوّةٍ ونعيمِ
صنَعَ الحديدَ لحفظهِ اسرادَهُ لينال طول العيش غير مَرُومِ

ومثلهم قال الاعشى (شعراء النصرانية ٣٨٨) :

واعددتُ للحرب اوزارَها رماحًا طوالًا وخيلًا ذُكُورا
ومن نسج داوودَ يُحْدَى بها على أثر العِيس عِيرًا فَعِيرا

وكذا لسلامة بن جندل (الاصمعيات ص ٥١) في وصف درع:

مداخَلةٍ من نسجِ داوودَ شكُّها كحبِّ الجنا من أبْلَمٍ متفرّقِ

ولهُ ايضاً (راجع طبعتنا لديوانهِ ص ١٤):

لبسوا من الماذيِّ كلَّ مفاضةٍ كالنِّهْيِ يوم رياحهِ الرَّقْراقِ
من نَسْجِ داوودَ وآلِ محرّقٍ غالٍ غرائبُهُنّ في الآفاقِ

امّا زَبُور داؤود فقد مرّ لنا ما ورد فيهِ من شعر العرب (راجع ما سبق ص ١٨٤):

﴿ سليمان الحكيم ﴾ اطنب شعراء الجاهليّة في حكمة سليمان وسموّ سلطانهِ وابنيتهِ العجيبة التي ذكرها الكتاب الكريم في سفر الملوك الثالث واخبار الايّام الثاني ويزيد العرب انّ سليمان كان يقهر الحيوان ويسخّر الجنّ للقيام باعمالهِ الجبّاريّة ٠ فمن

١) وفي المعرّب للجواليقي (ص ٣٥) : محكما

ذلك قول النابغة من قصيدة مدح فيها النعمان فجعلهُ مقتفياً لآثار سليمان في تسخيره الجنّ لبناء تدمر (ديوانهُ في العقد الثمين ص ٧ وشعراء النصرانيَّة ٦٦٣) :

ولا أرى فاعلًا في الناس يشبههُ ولا أُحاشي من الاقوام من أحَدِ (١
الّا سليمانَ اذ قال الالهُ لهُ قُمْ في البريَّةِ فاحدُدْها عن الفنَدِ (٢
وخيِّس الجنَّ اني قد اذنتُ لهم يبنونَ تدمر بالصفَّاح والعمَدِ (٣
فمن أطاعك فانفعْهُ بطاعتهِ (٤ كما اطاعكَ وادلُلْهُ على الرَّشَدِ
ومَن عصاك فعاقِبْهُ معاقبةً تنهى الظَّلُوم ولا تَقعُدْ على ضَمَدِ (٥

وكذلك قد نسب اعشى قيس بناء قصر الابلق الفرد الى سليمان بن داؤود حيث قال (معجم البلدان ١ : ٩٣ وشعراء النصرانيَّة ص ٣٧٥) :

ولا عاديا لم يمنع الموتَ مالُهُ ووِرْدٌ بتَيماء اليهوديّ ابلقُ
بناهُ سليمانُ بن داوودَ حقبةً لهُ أزَجٌ عالٍ وطيٌّ موثَّقُ
يوازي كُبَيْداءَ السماءِ ودونَهُ بلاطٌ ودارات وكلس وخندقُ

وللاعشى ايضاً في سليمان وسعة ملكهِ وتسخيرهِ للجنّ (كتاب البدء ٣ : ١٠٨) :

فلو كان حيٌّ خالدًا ومعمَّرًا لكان سليمانُ البريُّ من الدهرِ
براهُ الهي واصطفاهُ عبادةً وملَّكهُ ما بين سرفى الى مصرِ (٦
وسخَّر من جنّ الملائك شيعةً (٧ قياماً لديهِ يعملون بلا أجرِ (٨

---

١) ويروى : «وما ارى . . وما احاشي»

٢) ويروى : ولا سليمان اذ قال المليكُ لهُ . ويروى : كُنْ في البريَّة . ‹عن العَنَد› . ويروى : وارددُها عن الفند . ويروى : وازجرها عن الفَنَد . والفند الخطأ

٣) خيِّسهُ ذلَّلهُ . وتدمر المدينة الشهيرة التي ذُكر في سفر الملوك الثالث (٩ : ١٨) ان سليمان بانيها . والصفَّاح الحجارة العراض . وروى الثعلبي في قصص الانبياء :

وجيِّش الجيش اني قد أبحتُ لهم بناءَ تدمر بالاحجار والعمَدِ

٤) ويروى : فاعقبهُ لطاعتهِ اي جازِهِ

٥) الضَّمَد الذلّ والظلم

٦) قولهُ «عبادةً» لعلَّهُ تصحيف «عبادهُ» . امَّا سرفى فلم نجد لها ذكرًا في كتب البلدان وقد زعم المسيو هوارت (Ch. Huart) انها صرفند وانَّ الاعشى اشتقها من اليونانيَّة «Σαρεφθά»

٧) روى في لسان العرب (١٦ : ٢٥١) والتاج (٩ : ١٦٥) : تسعة

٨) روى في التاج (٩ : ١٦٥) : « يعملون محاربا » بتغيير القافية غلطاً

وقال الاعشى (حماسة البحتري ص ٩٠) في تسخير الجنّ لسليمان:

فذاك سليمانُ الذي سخّرت لهُ مع الانس والجنّ الرياحَ المَرَاخيا

ولاميّة بن ابي الصلت في قهر سليمان للجنّ (اللسان ١٩: ٢١٥):

أيُّما شاطِنٍ عصاهُ عكاهُ ثمَّ يُلقَى في السجن والأغلالِ

ومثالهُ لشاعر حميري (حماسة البحتري ص ٨٧) في صروف الدهر:

خطفنَ سليمانَ الذي سُخِّرت لهُ شياطينُ جنٍّ من بريءٍ وذي جُرْمِ

وكذا قال عدي بن زيد (حماسة البحتري ص٨٦):

ومُلكَ سليمان بن داوُودَ زلزلَتْ وريدانَ قد ألحَقْنَهُ بالصعائدِ

وقد مرَّ سابقاً ان اسم سليمان ورد على صور اخرى كسالم وسلّام وسُلَيم (راجع الصفحة ٢٣٢):

﴿ يونان النبي ﴾ لم نجد في الشعر الجاهلي ذكرًا لاحد ملوك بني اسرائيل بعد سليمان. وكذلك الانبياء الّا يونان النبي فانّهم يدعونهُ يونس ويشيرون الى قصّتهِ وبعثتهِ الى اهل نينوى فيذكرون ابتلاع الحوت لهُ. قال اميّة بن ابي الصلت (شعراء النصرانية ص ٢٣١ وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦):

وانت بفضلٍ منك نجّيتَ يونساً وقد بات في أضعاف حوت لياليا
رسولًا لهم واللهُ يُحكم امرهُ يُبين لهم هل يؤنِسُ التربُ باديا

وقد ضربوا المثل في حوتهِ فقالوا: «آكل من حوت يونس» و«أنهم من حوت يونس» وكذلك ورد ذكرهُ في القرآن في سورة الصافات حيث قال (ع ١٣٩ — ١٤٨): «وانّ يونس لمن المُرسَلين اذ ابق الى الفُلك المشحون فساهَمَ فكان من المُدحَضين فالتقَمَهُ الحوت وهو مُليم. فلولا انهُ كان من المسبّحين للَبِث في بطنهِ الى يوم يُبعَثون فنبذناهُ بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليهِ شجرةً من يقطين وارسلناهُ الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتّعناهم الى حين». وقد ورد للفرزدق ابيات في نجاة يونان من بطن الحوت فقال في ابن هبيرة حين ثقب سجن خالد بن عبد الله القسري وعبر الفرات (محاضرات الادباء ٢: ١١٤ والفرج بعد الشدّة للتنوخي ١: ١٢٨):

ولمّا رأيتَ الارض قد سُدَّ ظهرُها ولم ترَ الّا بطنَها لك مخرجا
دعوتَ الذي ناداهُ يونسُ بعد ما ثوى في ثلاثِ مظلماتٍ ففرّجا

وروى في كتاب البدء (١: ٧٣) بيتاً لصرمة بن أنس المعروف بالراهب فيهِ اشارة الى قصّة يونس. ولعلَّ البيت مصحَّف:

ولهُ الراهبُ الحبيسُ تراهُ رَهْنَ يونس (١ وكان ناعمَ بالِ

وقد وجدنا في بعض مخطوطات باريس العربيّة «كتاب تاريخ الحيوان والنبات والجماد» (Ms 687 de Paris, ff. 65) بيتاً لاميّة يذكر فيهِ اليقطينة التي انبتها الله ليستظلّ تحتها وايبستها الشمس (سفر يونان ٤: ٣-٧):

فأنبَت يقطيناً عليهِ برحمةٍ من الله لولا الله أُبقي (٢ ضاحيا

ونضيف الى ما سبق بيتاً رواهُ الجاحظ لاميّة (كتاب الحيوان ٧: ١٧) ذكر فيهِ نبوّة حزقيال التي رآها حيث ظهر لهُ رجل ثمَّ اسد ثمَّ ثور ونسر وهي الحيوانات الرمزيّة المشار بها الى الاربعة الانجيليين اعني متّى الذي بدأ انجيلهُ بذكر ناسوت السيد المسيح ونسبهِ ثمَّ مرقس الذي افتتح انجيلهُ ببشارة يوحنا المعمدان كزئير الاسد في البرية ثم لوقا الذي ذكر في بدء انجيلهِ ضحية زكريا في الهيكل واخيرًا يوحنا الذي ارتفع كالنسر بوصف مولد ابن الله الكلمة الازلية. وهذا هو البيت:

رجلٌ (٣ وثورٌ تحت رِجْل يمينهِ والنَّسْرُ للأُخرى وليثٌ موصدُ (٤

وكذلك ورد في الشعر الجاهلي اسم حيقار او حَيقَر المذكور في الترجمة اليونانيّة من سفر طوبيا (١: ٢٣) ولهُ قصّة طويلة عند العرب نشرها حضرة الاب انطون صالحاني في ملحقات الف ليلة وليلة. قال عدي بن زيد (حماسة البحتري ص ٨٦) في بلايا الدهر:

عصَفْنَ على الحيقارِ وسطَ جنودهِ وبيَّتن في لذَّاتهِ ربَّ ماردِ

هذا ما وقفنا عليهِ في الشعر الجاهلي من منقولاتهم عن العهد القديم الّا انَّ في رواياتهم النثرية ما كان اوسع وادلّ لولا انَّ معظمها قد فُقد وانما حُفظ منها قسم في تاريخ المؤرخين الاقدمين كتاريخ الطبري او كتبهم الادبية ككتب الجاحظ وكثير

١) كذا في الاصل. ولعلّ الصواب: « رهن يونا » بدلًا من يونان ليستقيم الوزن

٢) كذا في الاصل ونظنّ الصواب: ما يقي ضاحيا

٣) رواهُ الدميري في حياة الحيوان: « زحل » وهو تصحيف

٤) وفي عجائب المخلوقات للقزويني (ص ٥٦) وليث ملبدُ

منها مدوَّن في القرآن. ومن هذه الروايات ما هو موافق لنصوص الكتب المقدسة منقول عنها بحرفها او بمعناها. ومنها ما تجدهُ في كتب مصنوعة نُسبت زورًا الى انبياء او رسل او صالحين كبعض كتب الرؤى (Apocalypses) او الوحي المزعوم كوصيَّة آدم وكتاب اخنوخ وصعود اشعيا ومناجاة موسى وكتاب مغارة الكنوز المنسوب الى مار افرام وكتب أُخرى عديدة دخلت في بلاد العرب بواسطة النصارى لاسيَّما الرهبان او بواسطة اهل البدع واليهود فشاعت مضامينها الفريَّة ولم يميزوا بين صحيحها وكاذبها وربَّما استند اليها بعض اعداء النصرانية في عهدنا لتخطئة الكتب المنزلة لكنَّ سهامهم طائشة لا تصيب هدفًا

٢ أحداث العهد الجديد

كما عرف العرب في الجاهليَّة الاخبار المدوَّنة في اسفار العهد العتيق كذلك عرفوا احداث العهد الجديد واشاروا اليها نظمًا ونثرًا

ومعلوم انَّ مدار اخبار هذا العهد على ما رواهُ الانجيليُّون الاربعة عن السيد المسيح وسيرة حياتهِ وتعليمهِ وموتهِ وقيامتهِ يُضاف اليها امور ورد ذكرها في التقليد الراقي الى قرون النصرانيَّة الاولى ودوّنت في تآليف عديدة بعضها صحيحة صادقة كمصنَّفات الآباء والكتبة القدماء وبعضها امتزج فيها الغثُّ بالسمين واختلط الباطل باليقين كبعض اناجيل الزور التي سبق لنا وصفها في المشرق سنة ١٩٠٨ (١١: ١٦٤—٢٠٥) وانتشر قسمٌ منها في بلاد العرب بين اهل الجاهليَّة

فممَّا عرفوهُ انَّ عيسى اي يسوع الناصري هو المسيح. قال السموءل (راجع طبعتنا لديوانه ص ٣٢):

وفي آخر الأيَّام جاء مسيحُنا فأهدى بني الدُّنيا سلامَ التكامُلِ

والعرب لم يُطلقوا هذا الاسم على غيرهِ بل صرَّحوا انهُ هو اسمهُ الخاص بهِ. وكذلك نسبوهُ الى امهِ مريم كما مرَّ لعمرو بن عبد الحق:

وما سبَّح الرهبانُ في كلِّ هيكلٍ ابيل الابيلين المسيح ابن مريما

يؤيدهُ قول القرآن في سورة آل عمران (ع ٤٠): «اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشِّركِ بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيح عيسى ابنُ مريم»

وقد عرفوا من التقليد انَّ مريم العذراء مباركة بين النساء تفوق شرفًا على نساء

العالمين فطهّرها الله مُنذ حُبل بها بالبطن وذلك بنعمة خاصّة منهُ تعالى حتّى انّ الثعلبي روى في كتاب قصص الانبياء المسمّى بالعرائس (ص ٣٣٧ من طبعة مصر) حديثاً رفعهُ باسنادهِ الى ابي هريرة عن نبي المسلمين وهو قولهُ: « ما من مولود الّا والشيطان يَمَسّهُ حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان الّا مريم وابنها » ولعلّ القرآن اشار الى هذه النعمة الجلية حيث يقول (سورة آل عمران (ع ٣٧): « يا مريم انّ الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين »

وذكر الثعلبي ايضاً (ص ٣٣٥—٣٣٨) وروى قبلهُ المَقدسيّ ابن طاهر في كتاب البدء والتاريخ (ج٣:١١٨—١٢٠ ed.Huart) خبر مَولد مريم العجيب من حنّة العاقر بعد نذر والدتها ثمّ اعتزالها في هيكل اورشليم لخدمة الكهنة ثمّ كفالة زكريّا لها في الهيكل الى حين اقترانهــا بالقديس يوسف وكل ذلك منقول عن التقليد المسيحي القديم وهو مرويّ في سورة آل عمران (ع ٣١—٣٣):

« اذ قالت امرأة عمران: ربِّ اني نذرت لك ما في بطني محرَّرًا فتقبَّل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت: ربِّ اني وضعتُها أنثى والله اعلم بما وضعتْ وليس الذكرُ كالانثى واني سمّيتها مريم واني اعيذُها بك وذرّيتها من شيطــان الرجيم فتقبّلها ربّها بقَبُول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكرياء كلّما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم: انّى لكِ هذا. قالت: من عند الله ان الله يرزُق من يشاء بغير حساب »

ولم يَفُتهم ذكر يوحنّا المَعمدان السابق أمام وجه المسيح فرووا ما ورد مسطّرًا في انجيلي لوقا ومرقس عنهُ اعني ميلادهُ العجيب على كبر سنّ والديهِ وبيّنوا مقامهُ بين الانبياء وتقدّمهُ امام وجه المسيح وموتهُ على يد هيرودوس انتيباس اذ نهاهُ عن الزواج بأمرأة اخيهِ كما ورد في تاريخ الطبري (ج ١ ص ٧١١—٧٢٠) وفي كتاب البدء والتاريخ (٣:١١٦—١١٨)

وممّا رووهُ بتفصيلهِ بشارة الملاك للعذراء مريم بالمسيح وحَبَلها من الروح القدس وإنْ دخل في رواياتهم منقولات ضعيفة عن كتب غير قانونيّة كما رأيت في القصيدة التي اثبتناها سابقاً (ص ١٨٧—١٨٨) عن اميّة بن ابي الصلت التي اوّلها :

وفي دينكم من ربِّ مريم آيةٌ منبّئةٌ بالعبد عيسى بن مريما

ومثلها ما رووهُ من المعجزات عن يسوع الطفل كتكلّمهِ في المهد وكآياتهِ في هربهِ الى مصر من وجه هيرودوس وفي حياتهِ في الناصرة كانحناء اغصان النخل امام

امّهِ لتجني من ثمرها وكنبات البلسان في المطريّة لمّا سقت ارضها بماء غسلهِ وكإلهام يسوع لاستاذهِ في الناصرة بما كان يعرضهُ عليهِ من المشاكل وكنفخهِ في طيرٍ يصطنعهُ من طين فيحيا ويطير واخبار كثيرة مثلها رُويت في الاناجيل الموضوعة التي شاعت في جزيرة العرب اخصّها انجيل الطفوليّة فتناقلها اهل الجاهليّة ورُوي بعضها في القرآن في السُّوَر الموسومة بآل عمران والنساء والمائدة ومريم

وذكروا من حياة المسيح العلنيّة جَمعَهُ لرسلهِ وانصارهِ الحواريّين فنوّهوا بهم في شعرهم (راجع الصفحة ١٨٩—١٩٠ وكرّر ذكرهم في القرآن. وذكروا ايضاً الآيات التي اجترحها ورُويت في الاناجيل كتطهير البرص وفتح عيون العميان وردّ النطق للبُكم والسمع للصُّمّ واحياء الموتى حتى ضُرب المثل بطبّ عيسى وشفاء عيسى قال الثعالبي في كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (طبعة مصر ص ٤٧):

طبّ عيسى — يُضرَب بهِ المثل لانهُ كان يبرئ الأكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله. ومن امثال العرب: فلان يتطبَّب على عيسى بن مريم قال المتنبّي :

فآجَرَك الالهُ على عليلٍ بعثتَ الى المسيح بهِ طبيبا

وكثيرًا ما ذكروا الانجيل الذي بشّر بهِ السيّد المسيح فاشاروا الى ما فيهِ من الهدى والنور والموعظة للمتّقين» (سورة المائدة العدد ٥٠) قال عديّ بن زيد (كتاب الحيوان للجاحظ ٤: ٦٦):

وأُوتيا المُلكَ والانجيلَ نقرأُهُ نشفي بحكمتهِ احلامَنا علَلا
من غير ما حاجةٍ الّا ليجعلَنا فوق البريّة اربابًا كما فعَلا

ومثلهُ قول النابغة في بني غسّان وقد دعا الانجيل بالمجلّة :

مجلّتُهم ذاتُ الالهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وأدركوا اسرار حياة المسيح في ختامها كدخولهِ اورشليم يوم الشعانين (راجع الصفحة ٢١٥) وكعشائهِ السرّي في خميس العهد ورسمهِ لسرّ القربان الاقدس وآلامهِ وصلبهِ وموتهِ وان اختلطت في اقوالهم شُبهات نقلوها عن الكتب المزوّرة التي رذلتها الكنيسة منذ ظهورها. وقد سبق لنا (ص ٢٠٩—٢١٠) ايراد اقوالهم في القربان. وتسميتهم لهُ بالشّبر. وقلنا هناك انّهُ ليس بمستبعد انّ القرآن في سورة المائدة (ع ١١٢—١١٦) بذكرهِ للمائدة التي انزلها السيّد المسيح على الحواريين انما

اشار الى المائدة السمويّة اي القربان الاقدس (راجع تاريخ الطبري ج ١ ص ٧٣٥)
وكذلك عرفوا في عهد الجاهليّة انّ النصارى يعبدون المصلوب (راجع الصفحة
٢٠٣ — ٢٠٤) كقول حجّار بن ابجر في بني عجل النصارى :

جدّدني عجلٌ وما خلتُ انّني خلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ

وكقول الأُقيشر :

« في فتيةٍ جعلوا الصليبَ إلهَهم »

وممّا ألمعوا اليهِ ذكر قيامة المسيح يوم الفصح وابتهاج النصارى فيهِ بعد الصوم
الاربعيني (راجع الصفحة ٢١٦) كما قال الاعشى في هوذة بن علي لمّا فكّ اسارى
تميم :

ففكّ من شنّةٍ منهم إسارَهمُ واصبحوا كلّهم من غُلّهِ خُلَعا
بهم تقرّب يوم الفصحِ ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صنعا

وآخِر ما رووا من اعمال المسيح صعودهُ الى السماء وهو عيد الشّلّاق (راجع ص
٢١٧) وقد دعا القرآن ذلك برفع عيسى (سورة آل عمران ع ٢٨) حيث قال :« قال
الله يا عيسى انّي متوفّيك ورافعُك اليّ »

ويضيفون الى ذلك انّ السيّد المسيح هو الذي يدين البشر في آخر العالم بعد
انتصاره على المسيح الدجّال كقول القائل « اذ المسيحُ يقتلُ المسيحا « (لسان
العرب ٣ : ٤٣٠) وكما قال اميّة بن ابي الصلت (راجع الصفحة ١٧٨):

ايّام يلقى نَصاراهم مسيحَهُمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربانا

وهذا بلا شكّ اخذوهُ من قول السيد المسيح في انجيل يوحنّا (٥ : ٢٢):
« انّ الآب لا يدين احدًا بل اعطى الحكم كلّهُ للابن ليُكرم الابنَ جميعُ الناس »
او من قولهِ في انجيل متى (١٦ : ٢٧):« ان ابن البشر مزمع ان يأتي في مجد ابيهِ
مع ملائكتهِ ليجازي كل احد بحسب اعمالهِ »

وكما وقف العرب في الجاهلية على كثيرٍ من اخبار السيد المسيح المدوّنة في
اسفار العهد الجديد اطّلعوا ايضاً على بعض الاحداث التي جرت للنصارى في الفترة التي
كانت بين السيّد المسيح وظهور الاسلام . من ذلك بعثة رسل المسيح الى اقطار العالم
ليدعوا الأمم الى دينهِ كما روى ذلك اقدم كتبة العرب كالطبري في تاريخهِ (ج١ص

٧٣٧–٧٣٩) وابن طاهر المقدسيّ في كتاب البدء والتاريخ (ج٣ ص١٢٧). ويقول مفسّرو القرآن انَّ ما ورد في سورة يس عن مُرسَلَين أرسلا الى قرية ليدعوا اهلها الى نفي عبادة الاصنام والايمان بالله انَّما يشير الى حواريَّين وهما شمعون الصفا هامة الرسل وبولس الرسول قدما الى انطاكية ليردَّا اهلها فقبل دعوتهم رجلٌ يدعونهُ حبيباً النجّار قُتل شهيدًا عن ايمانه وعاقب الله قاتليهِ (اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٧٨٩–٧٩٣)

وممَّا رووهُ من اخبار النصارى نقلًا عن كتبتهم قصَّة شهداء أفسس السبعة الذين اراد الملك دقيوس في اواسط القرن الثالث للمسيح ان يضطرَّهم على عبادة الاصنام فهربوا من وجه الحكّام واختفوا في مغارةٍ حيث قيل انَّ الله ضرب على آذانهم فناموا ولم يستيقظوا الّا بعد سنين طويلة مرَّت عليهم كليلةٍ فبعثهم الله ليكونوا آيةً لقيامة الموتى. فهذه القصَّة التي شاعت في عدَّة بلاد وروتها مجاميع اخبار القديسين تحت اسم « السبعة النوَّام » (les Sept Dormants) بلغت عرب الجاهليَّة فدعوهم اصحاب الكهف اشارةً الى الكهف الذي رقدوا فيهِ. وقد ذكرهم اميَّة بن ابي الصلت في ابيات لم يُعرَف منها غير بيت استشهد بهِ البيضاوي في تفسير القرآن (طبعة ليدن ص ٥٥٥):

وليس بها الّا الرقيمُ مجاورًا وصِيْدَهُمُ والقومُ في الكهف هُجَّدُ

وكذلك وردت اخبارهم في القرآن في سورة الكهف. وقد اتَّسع كتبة العرب في تفاصيلها كما نقلناها في كتابنا مجاني الادب (٢:٢٣٦) ملخَّصةً عن الدميري وتجدها ايضاً مفصَّلة في تاريخ الطبري (ج ١: ٧٧٥ – ٧٨٢)

وقد عرف العرب في الجاهليَّة شهيدًا آخر للنصرانيَّة وهو القديس جرجس المستشهد في عهد ديوقلسيانوس في اوائل القرن الرابع للمسيح نحو السنة ٣٠٢ وهم يدعونهُ بالخضر جعلوهُ من الانبياء وزعم الطبري (ج ١ ص ٧٩٥) « انَّهُ ادرك بقايا من حواريّي عيسى ابن مريم » ورووا في استشهادهِ العجائب الغرائب (١). وقد وجدوا بين الكنائس المشيَّدة لاكرامهِ كنيسةً ترقى الى القرن الرابع للمسيح في

(١) راجع في المشرق ٦ [١٩٠٣]: ٢٨٥ – ٢٩٥) مقالةً جمعنا فيها ما يُعرَف من آثار هذا الشهيد ثمَّ اضفنا اليها اثرًا آخر اثبتناهُ في المجلَّة عينها (١٠ [١٩٠٧]: ٤١٤ – ٤٣٠) اطلب ايضاً تاريخ الطبري (١ ص ٧٩٥ – ٨١٣)

جهات العرب وهي اقدم الكنائس على اسم ذاك الشهيد العظيم بُنيت سنة ٣٦٧ في مدينة شقّة من اعمال حوران (١

وقد سبق لنا (اطلب الجزء الاوَّل ص ١٠٣ — ١٠٤) انَّ عرب الجاهليَّة عرفوا ايضاً القديسَين الشهيدَين سرجيوس وباخوس وانَّ اقدم أثرٍ كُتب بالعربيَّة انَّما كان لتذكارهما . وقد رسمنا هناك صورة ذاك الأثر الراقي الى سنة ٥١٢ للمسيح وروينا ما اثبتهُ احد مشاهير السريان عن تعبُّد العرب في الجاهلية للقديس سرجيوس كما انَّنا ذكرنا اقوال الشعراء في خروجهم الى الحرب تحت راية ذاك الشهيد (ص ٩٩—١٠٠)

واشتهر بينهم شهداء نجران الذين ماتوا في سبيل دينهم في وسط العرب فعرفوهم باصحاب الاخدود لانَّ ذا نوَّاس الطاغية الحميري اليهودي القاهم في اخاديد اضرم فيها النار فاستشهدوا لكرامة دين المسيح واليهم اشار القرآن في سورة البروج حيث قال (ع ١ — ٩) :

والسماء ذات البروج واليومِ الموعود وشاهدٍ ومشهود قُتل اصحاب الاخدود النار ذات الوَقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الَّا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي لهُ ملك السماوات والارض واللهُ على كل شيءٍ شهيد

امَّا ذو نوَّاس فحاربهُ الحبش وغلبوهُ وانتزعوا بلاد اليمن من يدهِ وفيهِ يقول عمرو بن معدي كرب (كتاب العرائس للثعلبيّ ص ٣٨٦ وكتاب البدء والتاريخ ٣ : ١٨٣) :

أتُوعدُني كأنَّك ذو رُعينٍ بأنعم عيشةٍ او ذو نوَّاسِ
وقدماً كان قبلك في نعيم (٢ وملكٍ ثابت في الناسِ راسي
فقدُم عهدهُ (٣ من عهد عادٍ عظيمٍ قاهر الجبروت قاسي
فأمسى اهلهُ بادُوا وامسى يُنَقَّلُ (٤ في أناسٍ من أناسِ

ومما درى بهِ ايضاً عرب الجاهليَّة من امور النصارى نظام كنيستهم من رئيس

---

١) راجع مجموع الكتابات اليونانيَّة (CIG n° 8609) وكتابات وادنتن (Wadington, n^os 1981, 2038,2092, etc)

٢) روى في كتاب البدء والتاريخ (٣ : ١٨٣) : وكائن كان قبلك من نعيم

٣) وفيهِ : قدمٌ عهدهُ ٤) وفيهِ : يحوَّلُ

ومرؤوس كالبطاركة والمطارنة والكهنة والمؤمنين مع ما لهم من الطقوس الدينيّة والاسرار المقدّسة والعادات التقويّة وقد اثبتنا ذلك في الفصول السابقة بياناً لانتشار النصرانية في جزيرة العرب فليُراجع

الفصل الخامس

في الامثال العربية المنقولة عن الاسفار المقدّسة

يعرف القرّاء ما كان للامثال الدارجة من الشهرة والاعتبار بين عرب الجاهليّة فانهم اودعوها اخبارهم وضمّنوها حكمهم وكانوا يُحلّون بها صدور محافلهم ويُدرجونها في خطبهم وينظمونها في اسلاك قصائدهم وينقلونها في انحاء جزيرتهم حتى ضُرب المثل في سيرها فقالوا: أسيَر من مثل وانما فضّلوها لاربع فوائد وجدوها فيها كما قال احدهم: اجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيره من الكلام ايجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية. وهذه الخواصّ تنطبق كلها مع غرائز العرب واطباعهم اذ عُرفوا بالرزانة والتروّي في الكلام وايراد الحكم البليغة باللفظ الوجيز. وقد اشار صاحب سفر الملوك الثالث الى حكمة العرب هذه عند كلامهِ عن حكمة سُليمان وقد سماهم هناك باهل المشرق فقال (٤: ٣٠): «ففاقت حكمة سليمان حكمة جميع اهل المشرق» ثمّ ذكر بعض العرب المشهورين بذلك

ولمّا ظهر الاسلام واخذ اللغويّون يجولون في احياء العرب ليجمعوا شعرهم ومآثرهم الادبيّة جعلوا لامثالهم شأناً عظيماً. وكان اوّل من اخذ بجمعها عبيد بن شريّة وصُحار العبدي كانا في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان ولكليهما كتاب في الامثال واشتهر بعدهما المفضّل الضبّي في اوائل الدولة العبّاسيّة وقد طُبعت امثالهُ في الاستانة ثمّ تبعهُ ابو عُبيد القاسم بن سلام ولهُ كتاب الامثال السائرة ثمّ الاصمعي وابو زيد وابو عبيدة النحوي ثمّ هشام الكلبي صاحب كتاب امثال حِمْيَر ثم ابن الاعرابي ولهُ تفسير الامثال وابن قتيبة مؤلف حكم الامثال ثم العسكري مؤلف جمهرة الامثال حتى قام الميداني شهاب الدين احمد النيسابوري (+٥٣٩-١١٤٥ م) فوضع كتابهُ مجمع الامثال وضمّنهُ نيّفاً وستّة الاف مثل جمعها من اكثر من خمسين

كتاباً ورتَّبها على حروف المعجم (ونحن نشير في كلامنا الى طبعة بولاق سنة ١٢٨٤)

وقد راجعنا ما تيسَّر لنا من هذه المجاميع لعلَّنا نقف على اصول تلك الامثال فوجدنا عددًا منها نُقل بلفظهِ او بمعناهُ عن اسفار العهدين القديم والحديث ما يدلُّ على انَّ قائليها عرفوا كتب النصارى المنزلة وخالطوا النصارى ولعلَّ قوماً منهم كانوا نصارى فلم يصعب عليهم ان يضربوا الامثال نقلًا عن كتب كانوا يسمعونها في مجتمعاتهم الدينيَّة

وها نحن نورد هنا هذه الامثال اثباتاً لقولنا ونشير الى الآيات الكتابيَّة المأخوذة عنها . ولم ننقل غير الامثال الراقية الى عهد الجاهليَّة او اوائل الاسلام ما يدلُّ على هذا النفوذ النصراني بين العرب ونقسم هذا الفصل اربعة اقسام

١ انَّ بين الامثال العربيَّة قسماً كبيرًا ورد على صورة أفعَل التفضيل ذكرهُ الميداني في آخر كل باب من حروف المعجم . وهذه الامثال مبنيَّة على ما خُصَّت بهِ المواليد الطبيعيَّة من الصفات اللازمة لها كنور الشمس وحلاوة العسل وشجاعة الاسد . فهذه الامثال التي نُقلت عن العرب ليست خاصَّة بهم وقد سبقهم الى استعمالها اصحاب الاسفار المنزلة في العهدين القديم والحديث سواء قيل انَّ العرب استعاروها من تلك الاسفار او انَّهم اوردوها بمجرَّد نظرهم الى الطبيعة

فمنها امثال مبنيَّة على الطبيعة الجامدة كالفلك وظواهر الجوّ والمعادن نذكر هنا ما عثرنا عليهِ من ذلك . يقول العرب : احسن من الشمس والقمر (الميداني ١ : ٢٠١) وابهى من القمرين (م ١ : ١٠١) واشهر من البدر (م ١ : ٣٤٣) واثقب من النجوم وارفع من السماء (م ١ : ٢٧٨) وأبيَن من فلَق الصبح (م ١ : ١٠٣) وأنور من وضح النهار (م ٢ : ٢٦٢) فهذه الامثال قد سبق اليها كلّها الكتاب الكريم مثال ذلك قول سفر الحكمة (٧ : ٢٩) عن الحكمة : « انَّها ابهى من الشمس واسمى من كل مركز للنجوم واذا قيست بالنور تقدَّمت عليهِ » وكقول ابن سيراخ (١٧ : ٣٠) : « ايُّ شيءٍ اضوأ من الشمس » وكقول سفر الاناشيد (٦ : ٩) : « مَنْ هذه المُشرقة كالصُّبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس »

ويقول العرب آكَلُ من النار (م ١ : ٧٤) وقال اشعيا النبيّ قبلهم (٣٠ : ٢٧) : « هوذا اسم الربّ يأتي من بعيد . . . وشفتاهُ مملوءتان سخطاً ولسانهُ كنار

آكلة ». وضربوا المثل في سرعة البرق (م ١ : ٣١٥) وقـال الربُّ قبلًا في الانجيل عن سقوط ابليس من السماء (لوقاء ١٠ : ١٨) : « اني رأيتُ الشيطـان ساقطاً من السماء كالبرق »

ومن امثالهم في الحسن : « احسن من الدُّمية » (م ١ : ٢٠٠) وكان داوُد قال في مزاميره (١٤٣ : ١٢) : « انَّ بناتنا كاعمدة الزوايا مزيَّنات كدُمية هيكل »

وقد ضربوا المثل بصلابة الصخر فقالوا : « أقسى من صخرة ومن حجر » (م١ : ٦٢) وايبس من صخر (م٢ : ٣٢٢ وارسب من حجـارة (١ : ٢٧٨) ومثلهُ في اشعيا (٥٠ : ٧) عن ثبات المسيح بازاء اعدائهِ : « السيد الرب ينصرني لذلك لم اخجل بل جعلتُ وجهي كالصوَّان » وقال : موسى في تثنية الاشتراع (٨ : ١٣) لبني اسرائيل عن الرب : « انهُ اخرج لك المـاء من صخرة الصوَّان » وقد اشار السيد المسيح الى ثبات بيعتهِ لمَّا دعا رسولهُ بطرس الهامة بالصخرة وأكَّد لهُ انهُ « يبني بيعتهُ على تلك الصخرة فلا تقوى عليها ابواب الجحيم » (متَّى ١٦ : ١٨) . ويشبههُ مثل العرب في ثقل الرصاص فقالوا : اثقل من الرصاص (م١ : ١٣٨) وارسى من الرصاص (م١ : ٢٧٨) وقد شبَّه موسى قبلهم غرق المصريين في البحر بالرصاص (خروج ١٥ : ٥ و ١٠) : « غطَّتهم اللُّجج فهبطوا في الاعماق كالحجارة . . . وغرقوا كالرصاص في غمر المياه » وكذلك قولهم : « اثقل من طَوْد » (م ١ : ١٣٨) وقد شبَّه الملك داود في الزبور (١٢٤ : ١) المتَّكلين على الرب « بجبل صهيون الغير المتزعزع الثابت الى الابد »

وممَّا ضربوا فيهِ الامثال من الجمادات مُروق السهم ومضاء السيف وحدَّة الموسى وعدل الميزان وسحابة الصيف وحلاوة العسل وشهوة الخمر وحقارة الارض فقالوا : « أمرَق من السَّهم » (م ٢ : ٢٣٣) وامضى من السيف (م ٢ : ٢٣٦) وأحدُّ من مُوسى (م ١ : ٢١٢) واعدل من ميزان وأخلَف من سحابة صيف وأحلى من العسل (م ١ : ٢٠١) واشهى من الخمر (م ١ : ٣٤٢) واحقر من التراب (م١ : ٢٠٢) . وكلٌّ ذلك قد شبِّهت بهِ الكتب المقدَّسة فقال اشعيا (٤٩ : ٢) « جعل (الربُّ) فمي كسيفٍ ماضٍ . . وجعلني سهماً مختارًا وفي جعبتهِ سترني » وقال بولس الرسول في رسالتهِ الى العبرانيين (٤ : ١٢) : « انَّ كلمة الله هو حيٌّ عامل أمضى من كلِّ سيفٍ ذي حدَّين » وقال داود النبيّ (مز ٤٤ : ٦) : « نبـالك مسنونة . . هي في

قلوب اعدائك » وقال ايضاً (مز ٥١ : ٤) في الرجل الظالم : « لسانك يخترع الظلم عاملًا بالغش كالموسى المسنونة » وقال موسى في عدل الميزان (اخبار ١٩ : ٣٥-٣٦) : « لا تجوروا في الوزن والكيل بل موازين عادلة وعيارات عادلة تكون لكم » وقد شبَّه القديس يهوذا في رسالته (١ : ١٢) المنافقين بالسحابة المخلفة فقال : « هؤلاء سُحُب بلا ماء تحملها الرياح » . امَّا حلاوة العسل فتكرَّر ذكرها في الكتاب المقدَّس قال ابن سيراخ عن لسان الحكمة (٢٤ : ٢٧) : « انَّ روحي احلى من العسل وميراثي ألذُّ من شَهْد العسل » وقال صاحب المزامير (١٨ : ١١ : « خشية الربّ اشهى من الذهب والابريز الكثير واحلى من العسل وقَطْر الشهاد » . وقال في سفر نشيد الاناشيد في شهوة الخمر (١ : ٣) : « نفرح ذاكرين حبَّك الذي هو اطيب من الخمر » . وقال في المزامير (١١٢ : ٧) في حقارة التراب : « انَّ الربَّ يُنهض المسكين عن التراب ويقيم البائس من المزبلة ليجلسَهُ مع عظماء شعبهِ »

وكما سبقت الكتبُ المقدَّسة العربَ في امثالهم المنقولة عن الجماد كذلك تقدَّمتهم في استعارة الامثال عن الحيوان ومميّزاته . فمن ذلك ضربُهم المثل بشجاعة الاسد فقالوا : « اجرأ من قَسْوَرة ومن ذي لُبَد » (م ١ : ١٦٤) واشجع من أُسامة واشدّ من أَسد (م ١ : ٣٤٣) . وقال قبلهم بقرون عديدة صاحب سفر القضاة (١٤ : ١٨) : « اي شيءٍ احلى من العسل واي شيءٍ اشدُّ من الأَسد » . وقال في سفر الامثال (٢٨ : ١) : « الصدّيقون كشِبْل يطمئنُّون » . وقال يعقوب في نبوَّتهِ على يهوذا (تك ٤٩ : ٩) : « يهوذا شبلُ اسدٍ . . . جثمَ وربض كأَسد وكلبوَّة فمن ذا يقيمهُ »

وضربوا المثل في ظلم الذئب وعداوتهِ وفي خبث الثعلب فقالوا : « أظلم من ذئب » (م ١ : ٣٩٢) وأعدى من ذئب (م ١ : ٤٣٠) وأسلط من سِلقة وهي الذئبة (م ١ : ٣١١) وأروغ من ثُعالة . قال طرفة : « كلهمُ اروغ من ثعلب » (م ١ : ٢٧٩) . وتقدَّمهم الكتاب الكريم فقال يعقوب (تك ٤٩ : ٢٧) : « بنيامين ذئبٌ يفترس » وقال السيّد المسيح لتلاميذهِ (لو ١٠ : ٣) : « ها انا مُرسلكم مثل خراف بين ذئاب » وقال ايضاً (متى ٧ : ١٥) : « احذروا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحُملان وهم في الباطن ذئاب خاطفةٌ » وقد شبَّه لذكره المجد هيرودوس بالثعلب لخبثهِ (لو ١٣ : ٣٢) . وقالوا على خلاف ذلك : « اذلُّ من النَّقَد »

اي الغنم. وقال اشعيا يصف وداعة المسيح بازاء اعدائه (٥٣: ٧): « كشاة بِيق الى الذبح وكحَمَل صامت امام الذين يجزُّونهُ »

وقد ضرب العرب الامثال في الفرس وسرعته وشدّته وكرم طباعه فقالوا: « أجود من الجواد المُبِرّ » (م ١: ١٦٧) وأسرع من فريق الخيل (م ١: ٣٠٧) وأشأى من فرس واشدّ من فرس (م ١: ٣٤١). وقد وصف الكتاب الكريم الفرس بكل هذه الصفات في آيات شتى ولا سيما في وصف سفر أيوب (٣٩: ١٩ — ٢٥): « أأنت الذي يؤتي الفرس قوّة ويقلّد عنقهُ رعداً . . . »

وكذلك ضربوا الامثال في الكلب وفي السوس وفي النملة فقالوا: « آلف من كلب (م ١: ٧٥) وأطوَع من كلب (م ١: ٣٨٧) وأحرص من كلب على جيفة (م ١: ٢٠١) وقالوا: « آكل من السوس (م ١: ٧٤) ووصفوا النملة بالحرص فقالوا: أجمع من النملة (م ١: ١٦٦) وأكسب من نملة وذرّة (م ٢: ٩٨) واحرص من نملة (م ١: ٢٠٢). وفي الكتب المنزلة اوصاف مثلها فجاء في سفر طوبيا (٦ و ١١) وصف ألفة الكلب. وقال اشعيا يصف رقباء اسرائيل وطمعهم (٥٦: ١١): « كلاب نهمة النفوس لا تعرف الشبع ». وقال في سفر الامثال (٢٥: ٢٠) عن السوس والعث: « كالعثّ في الثوب والسوس في الخشب هكذا الكآبة في قلب الرجل » . وقال الرب لتلاميذه (متى ٦: ١٩): « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون فيسرقون » واما النملة وحرصها على جمع الطعام فقد المع اليها سفر الامثال بقوله للكسلان (٦: ٦): « اذهب الى النملة ايها الكسلان انظر طرقها وكن حكيماً »

ومن امثالهم في الطيور ما قالوهُ في منعة العقاب وسرعة طيرانه وحدّة بصره وفي عمر النسر وفي ألفة الحمام ونهَم الجراد: « اعزّ من عقاب الجوّ » (م ١: ٤٣٧) وأبصر من عقابِ مَلاعٍ (م ١: ١٠٠) وأعمَرُ من نسر (م ١: ٤٣٤) وآلف من حمام (م ١: ٧٥) واجرد من الجراد (م ١: ١٦٧). وكذلك ورد في الكتب المنزلة عن منعة النسر قول ايوب (٣٩: ٢٧): « أبأمرك يحلّق النسر ويجعل وكره في العلاء مسكنهُ الصخر وفيهِ مبيتهُ وعلى انف الصخر معقلهُ من هناك يبحث عن قوتهِ وعيناهُ تنظران من بعيد » وقال داود في رثائه لشاول وليوناثان (٢ ملوك ١:

٢٣) : « أسرع من النسور واشدّ من الاسود » . وقال السيّد المسيح ممثّلًا بوداعة الحمام (متى ١٠ : ١٦) : « كونوا ودعاء كالحمام ». ثمّ في تثنية الاشتراع (٢٨ : ٣٩) يتهدّد الرب شعبهُ « بالجراد القارض »

وقد قالوا في الحيّة والافعى : « اظلم من حيّة واظلم من أفعى » (م ١ : ٣٩١) واعدى من الحيّة (م ٢ : ٤٢٩). ومثل هذا في سفر ايّوب يصف المنافق (٢٠ : ١٦) : « يرضع سُمّ الأصلال فتقتلهُ لسان الأفعى » وفي الكتب المقدّسة آيات كثيرة تشير الى خبث الحيّة وسمّها القاتل. وفي الانجيل الكريم (متى ١٠ : ١٦) : « كونوا حكماء كالحيّات » قال ذلك لأنّ الحيّة تحرص على رأسها لئلّا تصاب بأذى فتصونهُ دون جسمها. ولعلّ العرب ارادوا ايضاً ذلك بقولهم « أعدى من الحيّة » يريدون العَدْو اي السرعة لتسرّعها الى جحرها لتنجو من العدو. هكذا شرحها الدميري في حياة الحيوان (١ : ٣٢٠) بخلاف الميداني الذي اشتقّها من العداوة والظلم. وقد روى ابن قتيبة هذا المثل في عيون الاخبار (ed. Brockelmann, p. 459) على صورة اخرى فقال : « احلم من الحيّة » ثمّ روى (ص ٤٦٠) كلام الانجيل هكذا : « انّ المسيح (عم) قال للحواريين : كونوا حكماء كالحيّات وبُلهاً كالحمام »

*

٢ ومن امثال العرب الدالّة على اختلاطهم باهل الكتاب وعلى الاخصّ بالنصارى ما رووهُ منسوباً الى الانبياء او الى مشاهير رجال العهد القديم والجديد وقد جاء اشياء كثيرة من ذلك في كتاب الامثال للميداني (م) وقد صنّف ابو منصور الثعالبي كتاباً جليلًا في هذا المعنى دعاهُ « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » في مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة حسنة وقد طُبع في مصر طبعاً سقيماً سنة ١٣٢٦ نشير اليهِ بحرفي « مض » ونتّبع زمن التاريخ مباشرةً بآدم

(آدم) عرفوهُ بابي البشر وضربوا بهِ المثل بالشهرة (مض ٢٩) وبالقِدَم (اطلب الصفحة ٢٨٣) = (أنوش) هو ابن شيث ويدعى اخنوخ ينسب اليهِ العرب الآثار القديمة والخطّ فقالوا : « انّما خدَشَ الخدوشَ أنوشُ (م ١ : ١٥) » = (نوح) ذكروا سَفينة نُوح وغراب نُوح وعُمر نُوح (مض ٢٩–٣١ اطلب ص ٢٨٥) = (ابراهيم الخليل) ذكروا (مض ٣١ – ٣٤) « مقام ابراهيم » فضربوا بهِ المثل

لكل مكان شريف. ونار ابراهيم زعموا انهُ نجا منها باذن الله. وصُحُف ابراهيم لِحِكَمٍ قالوا انَّ الله انزلها عليهِ. وضيف ابراهيم وتُحفة ابراهيم اشارة الى الله تعالى الذي ترآءى لابراهيم على صورة ثلثة رجال (سفر التكوين ف ١٨) فاضافهم وقدَّم لهم خبزًا ولحماً. (اطلب القرآن سورة الحجر ٤٩): «ونبّئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليهِ فقالوا سلاماً...» = (اسماعيل) نسبوهُ الى الصدق فقالوا: «صدق اسماعيل» (مض ٣٣ — ٣٤ وسورة مريم) = (يعقوب) قالوا «احزان يعقوب» مشيرين الى حزنهِ على يوسف لمَّا اخبرهُ بنوهُ بموتهِ (مض ٤٤) = (يوسف الصدّيق) ضربوا المثل (مض ٣٤ — ٣٨) برؤيا يوسف اشارةً الى الرؤيا الصادقة. وبذئب يوسف لتُهمة كاذبة. وبقميص يوسف المضرَّج بالدم. وبحُسن يوسف. وسني يوسف السبع المخصبة ثمَّ السبع المجدبة: (راجع سفر التكوين ف ٣٧ وما يليهِ ثمَّ في القرآن سورة يوسف) = (موسى) ممَّا يذكرون لهُ (مض ٣٨) عصاة موسى التي فلق بها بحر القلزم. ونار موسى التي تجلَّى لهُ فيها الله. ويد موسى التي لاحت عليها آثار البرص. وصُحُف موسى المنزلة عليهِ ومناجاتهُ لله (راجع سفر الخروج وبعض سور القرآن كالبقرة والاعراف) = (فرعون) نسبوا اليهِ الصَلَف والنخوة فقالوا: «نخوة فرعون» (مض ٦٣) = (قارون) هو قورح احد الذين خُسفت بهم الارض لمعارضتهم موسى. وقد زعموا انهُ كان مثرياً فقالوا «كنوز قارون» (مض ٦٤ والقرآن سورة القصص ٧٦) = (بنو اسرائيل) ضربوا بهم المثل في التيه فقالوا (م ١ : ١٣١): «أتيه من قوم موسى عم» = (أيوب) ضربوا بهِ المثل في الصبر «صبر ايوب» (مض ٤١) = (داود) ذكر العرب في امثالهم مزامير داود ونغمته في تلاوتها وزعموا انهُ برع في نسج الدروع (مض٤٣—٤٤ واطلب فصولنا السابقة ص٣٤٩) = (سليمان) ضربوا بهِ المثل في عزَّة الملك واتّساعهِ فقالوا: «مُلك سليمان» ونسبوا الى خاتمهِ المعجزات فقالوا: «خاتم سُليمان» كما قالوا: «جنّ سليمان وسَيْر سليمان» لزعمهم بانَّ الله سخَّر لخدمته الجنّ والشياطين وانهُ كان يعلم منطق الطير والحشرات (راجع سورة النمل في القرآن) ويسير على بساط الريح (سورة سبأ في القرآن. اطلب مض ٤٤—٤٦ وفصولنا السابقة ص٣٥٠) = (الخُضر) قيل انهُ الياس النبيّ فقالوا: «فلان خليفةُ الخضر» اي جوَّاب في الآفاق (مض٤٢) = (يونس) هو النبيّ

يونان ضربوا المثل في الحوت الذي ابتلعهُ فقالوا: « أنهَم من حوت يونس » (مض٤٣) = (عُزَيْر) هو عزرا صاحب السفرَيْن الواردَين باسمهِ في الكتاب المقدَّس. ضربوا بحماره المثل فقالوا: « حمار عُزَيْر » لأنَّ الله على زعمهم أمدَّهُ بهِ في نكبتهِ (مض٤٦) = (هامان) وزير الملك احشورش نسبوا اليهِ صَرحاً فقالوا « صَرح هامان » زعموا انَّهُ بناهُ لفرعون (راجع القرآن سورة القصص ومض٦٣) = (عيسى) اي السيّد المسيح ضربوا المثل في نطقهِ بالمهد (مض٤٠) ثمَّ في طبّهِ فقالوا: « طبّ عيسى » لكثرة معجزاتهِ في احياء الموتى وشفاء المرضى (مض ٤٧) وفي حمارهِ الذي ركبهُ يوم دخولهِ اورشليم في احد الشعانين (مض ٤٦) ونسبوهُ الى الله فقالوا « روح الله » و « كلمة الله » (مض ١٥) = (مريم العذراء) ضربوا المثل بعفَّتها فقالوا « عفَّة مريم » (مض ٤٤ وسورة آل عمران) وقالوا « تُحفة مريم » كما قالوا تحفة ابراهيم يريدون بها الرُّطَب اي التمر (مض ٣٣) وكذلك قالوا « نخلة مريم » لأنّهم زعموا انَّها كانت تنحني أمامها لتأكل من ثمرها (مض ٢٤٤) = (يحيى) وهو يوحنَّا المعمدان فقالوا « دم يحيى ابن زكريَّا » (مض ٤٧) لقتلهِ ظلماً على يد هيرودوس = (الحواريُّون) وهم رسل السيّد المسيح ضربوا المثل في صفاء قلوبهم (قصص الانبياء للثعلبي ص ٣٤٣) = ومن امثالهم النصرانيَّة (كعبة نجران) وهي كنيسة كان يحجّ اليها اهل اليمن لحسنها (مض ٤١٢) و (قسّ نجران) وهو قسّ بن ساعدة المضروب بهِ المثل في الخطابة (مض ١٨٥) و (أَبدَال اللُّكام) و (أبدال لبنان) وهم قوم من النسَّاك الصالحين زهدوا في الدنيا وعبدوا الله في جبل اللُّكام وجبل لبنان (مض ١٨٦ — ١٨٧) و (نوم اصحاب الكهف) وهم شهداء النصرانيَّة في افسس قيل انهم أووا الى مغارة لينجوا من المتعصبين فباتوا فيها نائمين سنين عديدة (مض ٦٥ وسورة الكهف في القران) و (كنيسة الرها) قالوا انها من عجائب الدنيا (مض ٤١٦) و (دير هِرَقل) كانوا يعالجون فيهِ المجانين (مض ٤١٩)

*

٣ وبين امثال العرب في الجاهليَّة واوَّل الاسلام ما هو منقول بحرفهِ او بمعناه من الكتب المقدسة. فدونك ما اخذوهُ عن اسفار العهد القديم

بين الامثال التي رواها الميداني في مجموعهِ (طبعة بولاق ٢: ٢٢٩) قولهم:

« المرأة من المرء وكل ادماء من آدم ». واردف: « ويقال انّ هذا اوّل مثل جرى للعرب » . وهو منقول عن سفر التكوين (٢:٢٣) حيث روى موسى كيف خلق الله حوّاء من ضلع آدم فقال: « هذه تسمّى امرأةً لأنّها من امرئ أُخذتْ »

ومنها مثلهم (م ١:٤٣): « ان لم يكن وِفاق ففراق » ينظر الى قول ابراهيم الى لوط في السفر المذكور بعد نزاع حصل بين رعاتهما (١٣:٨ — ٩): « لا تكن خصومة بيني وبينك انّا نحن رجلان اخوان .. اعتزل عني امّا في الشمال فأتيا مَن عنك وامّا الى اليمين فأتياسر »

ومنها قولهم (م ١:٢١٣): « خيرٌ قليل وفضحتُ نفسي » لا يبعد عن قول يوناتان لمّا اراد ابوهُ شاوُل ان يقتلهُ لقليل من عسل ذاقهُ وقت الحرب (١ملوك ١٤:٤٣): « ذُقتُ ذوقاً برأس العصا قليلَ عسلٍ وهاءنذا اموت »

ومن امثالهم لمن يسهو عن الحديث (م ١:٤٠): اليكَ يُساقُ الحديث » فكأنهُ ترجمة قول ناتان النبي لداود (٢ مل ١٢:٧) بعد ان عرض عليهِ مثل الغنيّ المضحّي لشاة الفقير اشارةً الى خطيئتهِ مع امرأة اوريّا: « انت هو الرجل »

ومنها ايضاً (م ٢:٨٤): « كلّ امرئ فيهِ ما يُرمى بهِ » هو كآية سفر الملوك الثالث (٨:٤٦): « ليس انسانٌ لا يخطئ » وكذلك ورد في سفر الجامعة (٧: ٢١): « ليس من صدّيق على الارض يصنع الخير بغير ان يخطأ » . ويشبههُ قول السيّد المسيح في الانجيل (مرقس ١٠:١٨): « لا صالح الّا الله وحدهُ »

وممّا رُوي بين امثال عليّ (١ (ص ٨): « جُدْ بما تجدْ » فهو مثل قول طوبيّا (٤:٨) يوصي ابنهُ: « تصدّق من مالك . ان كان لك كثير فابذل كثيراً وان كان لك قليل فابذلْ عن نفس طيّبة »

ومن امثال العرب في الميداني (٢:٢١٥): « المنيّة ولا الدنيّة » نظمهُ الحريري فقال:

المنايا ولا الدنايا وخيرٌ من رُكوب الخنى رُكوبُ الجنازهْ

وقد سبق العازر الشيخ فقال في سفر المكابيين الثاني (٦:٢٣—٢٧): « اسبقُ

١) نشير الى مجموع امثالهِ الذي طُبع في اوكسفرد سنة ١٨٠٦: Corn. van Waenen *Sententiæ Ali ebn Abi Taleb*

الى الجحيم . . . ولا اجلب على شيخوختي الرجس والفضيحة »
وقالوا (م ١ : ٩٢) : « البطنة تأفُنُ الفطنة » ومثلهُ قول علي : « البطنة تذهب بالفطنة » وقد قال النبيّ هوشع قبلًا (٤ : ١١) : « الزنى والخمر والسلاف تستهوي القلب »

وروى الميداني (١ : ٢٥) للعرب : « ان كنتَ ريحًا فقد لاقيت اعصـارًا ».
ومثلهُ لهوشع ايضاً (٨ : ٧) : « انهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة »

ولهُ (م ٢ : ٢٠٣) عن لسان احد الاعراب لكلبهِ : « مـا لك لا تنبح يا كلب الدوْم قد كُنتَ نبّاحاً » وجاء في نبوَّة اشعيا (٥٦ : ١٠) الى رقباء بني اسرائيل : « انَّ رقباءهُ كلهم كلاب بُـكم لا يستطيعون النباح »

ومن امثالهم في من لا يميّز الخير من الشرّ (م ٢ : ١٨٦) : « ما يعرف قبيلًا من دبير » او : « ما يعرف الحوَّ من اللوّ » وجاء قبلهُ عن لسانه عزَّ وجلَّ في سفر يونان (٤ : ١١) : « افلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمـة التي فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من اناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم »

وممَّا ورد بين امثال علي (ص ٨٦) : « طعنُ اللسان امضى من جرح السنان » سبق اليهِ النبي داوُد في مزاميرهِ (٥٦ : ٥) عن المنافقين : « أسنانهم اسنَّة وسهام والسنتهم سيوف حادَّة »

ومنها ايضاً قولهُ (ص ١٦) : « زينة الباطن خير من زينة الظاهر » فكأنهُ نظر الى قول صاحب المزامير في وصفهِ للملكة السرِّيَّة (مز ٤٤ : ١٤) : « بنتُ الملك جميع مجدها في الداخل »

وللعرب عدَّة امثال في الاخاء والصداقة فيقولون (م ١ : ٦٣) : « انَّ اخاك من آساك » ويقولون (م ١ : ٤٢٢) : « عنـد الامتحان يكرم المرء او يهان » ويقولون ايضاً : « عند النازلة تعرف اخاك » ومثلهُ قول علي (ص ٢) : « اخوك من واساك في الشدَّة » وقول اكثم بن صيفي (العقد الفريد لابن عبد ربه ١ : ٣٢٨) : « اخوك من صدقك » وقولهُ : « خيرُ اهلك من كفاك » وقول الشاعر :

فما اكثر الاصحاب حين تعدُّهم ولكنَّهم في النائبات قليلُ

فهذه كلُّها كالآية الواردة في سفر امثال سليمان (١٧ : ١٧) : « الخليل عند

الضيق يُضحي اخاً » وكقولهِ (١٨ : ٢٢) : « رُبَّ صديقٍ اقرب علاقةً من الاخ » وقولهِ (٢٧ : ١٠) : « جارٌ قريبٌ خيرٌ من اخ بعيد » وقول ابن سيراخ (١٢ : ٨) : « لا يُعرف الصديق في السرَّاء ولا يُخفى العدوّ في الضرَّاء »

ومن امثال العرب عن المشابهة بين الاقران والاخلّاء قولهم (م ٢ : ١٩١) : « المرء بخليلهِ » اي مقيسٌ بخليلهِ قال الميداني : « يروى عن النبيّ صلعم » ومثلهُ لعليّ (ص ٨) : « جليس المرء مثلهُ » ولهُ (ص ١٠) : « خليل المرء دليلُ عقلهِ » . ولهُ (ص ٣٠) : « قرين المرء دليل دينهِ » ولطرفة الشاعر في معلَّقتهِ :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ   فكلُّ قرينٍ بالمقارَن يقتدي

وكلّ ذلك في معنى قول سليمان (امثال ١٣ : ٢٠) : « مُسايِر الحكماء يصير حكيماً ومؤانس الجهلاء يصير شرّيرًا »

وممَّا قالوا في حفظ اللسان (م ٢ : ٢١١) : « مَن أكثرَ أهجَرَ » وقالوا (م ١ : ١٤) : « انَّ البلاء موكَّل بالمنطق » وقالوا (م ٢ : ١٨١) : « مقتل الرجل بين فكَّيْهِ » وقول عليّ : « بلاء الانسان من اللسان » وقولهُ : (ص ٢٠) : « صلاح الانسان في حفظ اللسان » وقد قال قبلهم سليمان في امثالهِ (١٠ : ١٩) : « كثرة الكلام لا تخلو من زلَّة ومَنْ ضبط شفتَيْهِ فهو عاقل » وقال (١٣ : ٣) : « مَن ضبط فاهُ صان نفسَهُ ومن فتق شفتيهِ فحظُّهُ الدمار » وقال (١٨ : ٧) : « فم الجاهل دمارهُ وشفتاهُ شرَكٌ لنفسهِ » . وقال (٢١ : ٢٣) : « من يحفظ فاهُ ولسانهُ يحفظ من المضايق نفسَهُ » وللقديس يعقوب في رسالتهِ (٣ : ٢) : « ان كان احد لا يزلّ في الكلام فهو رجل كامل » فكأنَّ الشاعر عقد هذه الامثال فقال :

احفظ لسانك أيُّها الانسانُ   لا يلدغنَّك انَّهُ ثعبانُ
كم في المقابر من قتيل لسانهِ   كانت تهاب لقاءهُ الشجعانُ

ومن امثال عليّ (ص ١٨) : « سموّ المرء التواضع » فهو على شبه قول سليمان امثال (١٥ : ٣٣) « قبل المجد التواضع »

ومن امثال العرب : « كل طير يأوي الى جنسهِ وقد سبق ابن سيراخ (١٣ : ١٩) فقال : « كل انسان يحب قريبهُ وكل حيوان يحب نظيرهُ »

ورُوي بين امثال علي وغيرهِ من العرب قولهم : « رأس الحكمة مخافة الله »

واوّل من قال ذلك بلفظه داود في مزاميرهِ (١١٠: ١٠) وابن سيراخ (١: ١٦). وروى سليمان في امثالهِ (١: ٧): «مخافة الرب رأسُ العلم»

ومن امثالهم (م ١: ٩): «انَّ الحديد بالحديد يُفلَح» او (م ٢: ١٥٢): «لا يفلُّ الحديدَ الَّا الحديد» نظمهُ الشاعر فقال:

قومُنا بعضُهم يقتّلُ بعضاً لا يفلُّ الحديدَ الَّا الحديدُ

وكان سليمان قد قال (امثال ٢٧: ١٧): «الحديد يصقل الحديد»

ويقول العرب (م ١: ١٢٧): «تضرَّع الى الطبيب قبل ان تمرض» كانهم اخذوهُ من قول ابن سيراخ (٣٨: ١): «اعطِ الطبيب كرامتهُ لاجل فوائدهِ (اي وقت المرض)»

ومن امثال العرب (م ٢: ٢٢): «في التجارب علمٌ مستأنف» وكان ابن سيراخ قال (٣٤: ١٠): «الذي لم يختبر يعلم قليلًا»

وكذلك قالوا في النظر الى العواقب (م ٢: ٢٢): «في العواقب شافٍ او مُريح» ومثلهُ قولهم (م ٢: ١٢٨): ليس للامور بصاحب من لم ينظر في العواقب» سبق ايضاً اليهِ ابن سيراخ قائلًا (٧: ٤٠): «في جميع اعمالك اذكر عواقبك فلن تخطأ الى الابد»

ومن امثال العرب (م ٢: ٢٠٤) في الاستشارة: «ما هلك امرؤ عن مشورة» قالهُ ابن سيراخ (٣٢: ٢٤): «لا تعمل شيئاً من غير مشورة فلا تندمَ على عملك»

ويقول العرب في امثالهم (م ٢: ٢١١): «من حفر مغواة وقع فيها» ومثلهُ لحسّان بن ثابت (حماسة البحتري ص ٧١):

وكم حافرٍ حفرةً لامرئٍ سيصرعهُ البغيُ فيما احتفرْ

وكان داوُد قال في مزاميرهِ (٧: ١٦) يصف الشرير: «كرى بئرًا وحفرها فسقط في الهوَّة التي صنع» ولسليمان ابنهِ (امثال ٢٦: ٢٧): «من يحفر هوَّة يسقط فيها» راجع ايضاً سفر الجامعة (١٠: ٨) وابن سيراخ (٢٧: ٢٩)

ولا يبعد ان يكون قول العرب في الخيبة (م ٢: ٨٠): «كالقابض على الماء» منقولًا عن امثال سليمان (٢٧: ١٦): «انما يضبط على الريح ويقبض بيمينهِ على زيت»

ومن امثال العرب (اغاني ١٥: ١٢١): «التوبة تُذهب الحوبة». وقد تكرّر هذا مرارًا في الاسفار المقدّسة على صور شتى (راجع نبوة حزقيال ف ١٤و١٨). وفي اعمال الرسل (٣: ١٩) «توبوا وارجعوا تُغفر خطاياكم»

ومن امثالهم ايضاً (م١: ١٧): «انّ من لا يعرف الوحي احمق» ومثلهُ ما ورد في سفر الحكمة (١٣: ١): «ان جميع الذين لم يعرفوا الله حُمْق»

٤ وكما اخذ العرب كثيرًا من امثالهم عن اسفار العهد القديم كذلك رووا عدّة امثال عن اسفار العهد الجديد ولا سيما الانجيل الطاهر

فمن ذلك مثل لعلي (ص٢): «أحسن الى المسيء تَسُدْ» فهو صدًى ضعيف لقول الرب في متى (٥: ٤٤): «أحسنوا الى من يبغضكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السموات»

ومثلهُ المثل الذي رواهُ ابن قتيبة في عيون الاخبار (١: ٣٣٢): «احلُم تَسُدْ» فانهُ كقول الانجيل (متى ٥: ٤): «طوبى للودعاء فانهم يرثون الارض»

وروى الميداني في امثالهِ (م١: ٢٩٧): «اسمَح يُسمَح لك» وكذلك روى ابن عبد ربه (١: ٣٢٨): بين امثال اكثم بن صيفي: «أَحسِنْ يُحسَن اليك» وكلاهما كقول الرب في لوقا (٦: ٣٨): «أعطوا تُعطَوا». ومثلهُ قول اكثم ايضاً: «إرْحم تُرحَم» وقولهُ: «من بَرَّ يوماً بُرَّ بهِ» نُقل عن تطويبات الرب (متى ٥: ٧): «طوبى للرحماء فانهم يُرحَمون» وكان سليمان قال في امثالهِ (١١: ١٧): «ذو الرحمة يُحسن الى نفسهِ»

ومن اقوال الرب الشهيرة (متى ٧: ٧-٨): «اسألوا تُعطَوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يُفتَح لكم لأنَّ كل من يسأل يُعطَى ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح لهُ» اخذهُ العرب فقالوا في امثالهم (م ١: ٣٠٢): «سائل الله لا يخيب» وقالوا (م١: ٣٨٣): «اطلب تظفرْ» وقالوا (م٢: ٢٢٦): «من طلب شيئاً وجدهُ» وقالوا (م ٢: ٤٧): «اقصدي تصيدي» وكذلك نظم صالح بن عبد القدوس هذا المثل فقال (حماسة البحتري ص١٣٤):

مَنْ يَسَلِ يُعطَ ومَنْ يستفتح م الباب يَفْتَحهُ بطيءٌ او سريع

ومن اقوال السيّد المسيح ايضاً (متى٧: ١-٢ ولوقا ٦: ٢٧): «لا تدينوا لئلا

تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون وبالكيل الذي بهِ تكيلون يكال لكم » . فقد اخذه العرب بلفظهِ « كما تدين تُدان » هكذا رواهُ الميداني (٢: ٨٥) وقد رواهُ ابن عبد ربه (١: ٣٢٨) للأكثم بن صيفي . وروى في التاج (٩: ٢٠٧) لخويلد بن نوفل الكلابي يخاطب الحرث بن شمّر :

يا حارِ أيقن انَّ مُلكك زائلٌ واعلم بأنَّ كما تَدينُ تُدانُ

ومثَل الكيل رواهُ الميداني (١: ١٤٨) على هذه الصورة : « جزيتُهُ كيلَ الصاعِ بالصاع »

وقال الرب (متى ٧: ٣ ولوقا ٦: ٤١) لن يعيّر غيرَهُ داء يكون في نفسهِ اعظم : « ما بالك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك » نقلَهُ العرب فقالوا (م٢: ٨٥) : « كيف تبصر القذى الذي في عين اخيك وتدع الجِذع المعترض في عينك »

وقال الرب ايضاً (متى ٧: ١٦ ولوقا ٦: ٤٤) : « هل يُجتنى من الشوك عنب او من العوسج تين » اخذهُ العرب فقالوا (م٢: ١٥٢) « لا تجنِ من الشوك عنباً » رُوي لاكثم بن صيفي . وقالوا (م ١: ٤٣٦) في العجز : « أعجزُ من جاني العنب من الشوك » وقال الشاعر (م ٢: ١٥٢):

اذا وترتَ امرءًا فاحذَر عداوَتَهُ مَن يزرَعِ الشوك لا يحصُدْ بهِ العنبا

ومن اقوالهِ تعالى (متى١٩ : ٢٤ ومر ١٠ : ٢٥) : انهُ لأسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غنيٌّ ملكوت الله » . فاخذه العرب وضربوهُ مثلًا للضيق فقالوا (م١: ٣٧٤): « اضيق من خَرْت الابرة وسمّ الخِياط » وضربوه مثلًا ايضاً لصعوبة الشيء فقالوا (م٢: ١٤٤) : « لا افعل كذا حتى يلج الجمل في سمّ الخِياط » ومثلهُ في القرآن في سورة الاعراف (٧: ٣٨) : « لا يدخلون الجنَّة حتى يلج الجمل في سمّ الخِياط »

وقال في الانجيل (لو٦: ٣٩) : « هل يستطيع اعمى ان يقود اعمى أليس كلاهما يسقطان في حفرة » فرووهُ بين امثال علي (ص١٠٠) على هذه الصورة : « كيف يهدي غيرهُ من يُضلُّ نفسهُ »

وكذلك رووا لعلي (٦٦) : « خيرُ الصَّدَقة إخفاؤها » وكان الربُّ اعلن في

انجيلهِ (متى٦ :٣-٤) : « اذا عملت صدقةً فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك لتكون صدقتك في خفيةٍ وابوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك »

ومن امثال الميداني (١: ٢٧٥) : « رُبَّ زارعٍ لنفسهِ حاصد سواهُ » قالهُ الرب في انجيلهِ (يوحنا ٤: ٣٧) : ان واحدًا يزرع وآخر يحصد »

وللرب في الانجيل اقوال كثيرة في الصبر كقولهِ تعالى (لو ٢١: ١٩) : بصبركم تقتنون انفسكم » وقولهِ (متى١٠: ٢٢) : « الذي يصبر الى المنتهى فذلك يخلص » . وقال يعقوب في رسالتهِ (١: ٤) « العملُ الكامل للصَّبر » . والى ذلك تنظر اقوال العرب (م١: ١٣٥) : « ثمرة الصبر نُجح الظفر » وقولهم وهم يروونهُ لاكثم بن صيفي (العقد الفريد ١: ٣٢٩) : « عواقب الصبر محمودة » وقول عليّ (ص٨) : « بشّر نفسك بالظفر بعد الصبر » وقولهُ (ص٢٠) « صبرك يورث الظفر »

وكذلك التواضع فقد وردت فيهِ آيات عديدة في الانجيل كقولهِ (لوقا١٤: ١١ و١٨: ١٤) : « كل من رفع نفسَهُ اتَّضع » . وقال القديس بطرس في رسالتهِ الاولى (٥: ٦) : « اتَّضعوا تحت يد الله القادرة ليرفعكم » . فروى العرب لعليّ قولهُ (ص ٥٨) وهو كالآيات السابقة : « تواضع لربّك يرفعْك » . وقولهُ : « التواضع يرفع والتكبر يضع » وقولهُ (ص١٠٦) : « من توقَّر وُقّر ومن تكبر حُقّر » ويشبهُ قول سويد ابن ابي كاهل (شعراء النصرانية ص٤٣١ والمفضَّليات ص٣٩٩) :

كتب الرحمانُ والحمدُ لهُ سعةَ الاخلاق فينا والضَلَعْ
وبناءٌ للمعالي انَّما يرفعُ اللهُ ومن شاء وضَعْ

وعلى شبه هذا قول العرب (حماسة ابي تمام ١٢٢) : « سيّد القوم خادمُهم » وهو عين ما قالهُ الرب لتلاميذهِ (لوقا٢٢: ٢٦) : « ليكن الاكبر فيكم كالاصغر والذي يتقدَّم كالذي يخدم . . . وانا في وسطكم كالذي يخدم »

وكذلك يُروى للعرب (م٢: ١٨٨) : « ما جُعل العبدُ كربّهِ » وهو عين قول الرب (متى ١٠: ٢٤) : « ليس عبدٌ افضل من سيّدهِ » كما انَّ مثلهم (م٢: ١٣٥) : « ليس عبدٌ باخٍ لك » هو مثل قولهِ (يوحنا ١٥: ١٥) : « لا اسمّيكم عبيدًا بعد لأنَّ العبد لا يعلم ما يصنع سيّدهُ ولكني سمَّيتكم احبَّائي »

وقال الرب لبطرس لمَّا سلَّ سيفَهُ فقطع اذن عبد رئيس الكهنة (متى ٢٦:

٥٢) : « اردُدْ سيفك الى غمدهِ لأنَّ كلَّ من يأخذ بالسيف بالسيف يَهلك » رُوي لعليّ في نهج البلاغة على صورة : « من سلَّ سيف البغي قُتل بهِ »

ومن الامثال التي استشهد بها المخلِّص في الناصرة (لو ٤ : ٢٣) : « أيُّها الطبيب اشفِ نفسك » وهو كمثل العرب (م٢ : ٢٠٧) : « يا طبيبُ طبَّ لنفسك »

ورووا بين امثال عليّ بن ابي طالب قولهُ (ص ١٠٦) : « من أكرم نفسَهُ اهانَتْهُ » وقولهُ (ص١٠٨) : « من اطاع نفسَهُ قتلَها » وهو من اقوال الربّ (يوحنَّا ١٢ : ٢٥) : « من احبَّ نفسَهُ فانَّهُ يهلكها ومن ابغض نفسَهُ في هذا العالم فانَّهُ يحفظها للحياة الابديَّة »

ومن امثال العرب (م ٢ : ٣٢١) : اليسير يجني الكثير » يروى لاكثم بن صيفي . وقريب منهُ قولهم (م ١ : ٣٢١) : الشرُّ يبدؤُهُ صغارهُ » . وقد قال الرب في معناه (لوقا ١٦ : ١٠) : « الامين في القليل يكون اميناً في الكثير والظالم في القليل يكون ظالماً في الكثير » والى هذا المعنى يعود قول ابن سيراخ (١٩ : ١) : الذي يحتقر اليسير يسقط شيئاً فشيئاً »

وقال الرب في عدم الاهتمام بالغد (متى ٦ : ٣٤) : « فلا تهتمُّوا بشأن الغد فالغد يهتمُّ بشأنهِ يكفي كلَّ يوم شرُّهُ » اخذهُ العرب فقالوا (م١ : ٦١) : « انَّ غداً لناظرهِ قريب » وهو يُروى لامرىء القيس الذي قال ايضاً (م ٢ : ٣١٣) : « اليوم خمر وغداً امر » وكذلك يقول العرب في امثالهم (م٢ . ١٢٩) . « لكل غد طعام »

وقال الرب ايضاً في شر الاقارب (متى ١٠ : ٣٦) : اعداء الانسان اهل بيتهِ (راجع نبوة ميخا ٧ : ٦) . وهو شبه مثل العرب المروي لاكثم بن صيفي : « الاقارب عقارب »

وقال العرب في الشهرة (م ١ : ٣٤٣) : « اشهر من علَم » و « واشهر من نار على علَم » وعلى ظنّنا انهُ مأخوذ من قول الرب (متى٥ : ١٤ — ١٥) : « لا يكن ان تخفى مدينة مبنية علي جبل ولا يوقد سراج ويوضع تحت مكيال ولكن على المنارة لينير على كل من في البيت » (راجع ايضاً نبوة ميخا ٤ : ١)

وكذلك في قول العرب (م ١ : ٣٣) : « ان اردتَ المحاجزة فقبل المناجزة »

وفي قولهم (م٢ : ٢٣٧) : « من سئم الحرب اقتوى للسِّلم » تنويهٌ الى قول الرب في لوقا (١٤ : ٣١–٣٣) : « ايُّ ملك يخرج ليحارب ملكاً آخر ولا يجلس اولًا ويشاور نفسهُ هل يستطيع ان يلاقي بعشرة آلاف من يأتي اليهِ بعشرين الفاً والَّا فيرسل سفارةً وهو بعيد ويلتمس ما هو من امر الصلح »

ومن امثالهم في التقريع (م١ : ٢٣) : « انهُ لَصِلُّ أَصلال » وقد سبق يوحنا المعمدان (لوقا ٣ : ٧) فقرَّع بني اسرائيل فدعاهم « باولاد الافاعي »

وقد روى العرب بعض الامثال التي ضربها السيد المسيح دون الاشارة الى اصلها . فمن ذلك مثل ربِّ البيت الذي شارط العمَلة على دينار واعطاهم أجرتهم على اختلاف ساعات شغلهم (متى ف ٢٠) فدونك هذا المثل كما رواه البخاري في صحيحهِ في كتاب الاجارة ونسبهُ الى محمد (طبعة ليدن ٢ : ٥٠) :

« حدَّثنا اسمعيل بن ابي اويس ... عن عمر بن الخطَّاب انَّ رسول الله صلعم قال : إنَّما مَثَلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالًا فقال : من يعمل لي الى نصف نهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط ثمَّ عملت النصارى على قيراط قيراط ثم انتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغارب الشمس على قيراطَيْن قيراطَيْن فغضبت اليهود والنصارى وقالوا : نحن اكثر عمَلًا واقلّ عطاء . قال : هل ظلمتُكم من حقكم شيئاً . قالوا : لا . قال فذلك فَضْلي أُوتيهِ من اشاء »

وكذلك ابو الحسن عليّ بن هذيل (ص ٨٨–٨٩) روى مثل السيِّد المسيح للزراع الذي وقع زرعهُ في الطريق وبين الاشواك وعلى الصخور وفي الارض الجيِّدة (لوقا ف ٨) ونسبَهُ الى بعض الحكماء قال :

وقد ضرب بعضُ الحكماء مثل الحكمة والحكيم الذي يُلقيها الى القلوب قال : انَّ الباذر خرج ببَذْرهِ الطيِّب ليبذرهُ فنثرهُ فوقع بعضهُ في ارضٍ محجرة بل في جَنَبات الطريق فلم يلبث ان اختطفهُ الطير فذهب بهِ . ووقع بعضهُ في ارضٍ مُحجرة الَّا انَّ عليها ندًى وطيناً فرسخ البذر في ذلك الندى والطين ونبت شيئاً حتى اذا وصلت عروقهُ الى الحجر لم يجد مساغاً ينفذ فيهِ فتلف وفسد ويبس . ووقع بعضهُ في ارضٍ رخوة الَّا ان فيها شوكاً نابتاً فنبت حتى اذا كان عند الإثمار خنقهُ الشوك فلم يأتِ بثمَره . ووقع بعضهُ في ارضٍ طيِّبة نقيَّة ليست على ظهر طريق ولا على حجر ولا فيها شوك فنما وطاب وزكا ونبت واثمر فجاءت الحبَّة بأضعافٍ مضاعفة . ثمَّ فسرهُ فقال : فالباذر هو الحكيم الزارع الحكمة في القلوب وبذرهُ الطيِّب هو حكمتهُ وموعظتهُ الحسنة التي يلقيها الى القلوب وهي في تلقاء ذلك منقسمة الى الاقسام الاربعة المذكورة فمنها القاسي الذي اذا سمع الحكمة لم يعقد عليها لقساوتهِ فلم تلبث فيهِ . ومنها قلبٌ

ظاهرهُ رقّةٌ وباطنهُ قساوة فهو في اوّل سماع الحكمة يرقّ لها ويلذّ بسماعها ويحنّ الى ذلك بتلك الرقّة الظاهرة على قلبهِ ولا يعقد عليها بعزم لقساوتهِ . ومنها قلب يسمع الحكمة ويحبّها ويحبّ العمل بها الّا انهُ قلبٌ قد اشحن بلصوق الشهوات بهِ حتى صارت لهُ طباعاً فاذا عزم على العمل بما سمع اعترضت لهُ تلك الشهوات فنعتهُ من اقامة وظائفها وافسدت عليهِ ما سمع فاختلط عليهِ امرهُ ولم يتمّ لهُ مرادهُ . ومنها القلب النقي الصافي العالم بفضل الحكمة المؤثر لها الذي لا همّة لهُ في غيرها ولا شغل لهُ الّا بها ولم تعلق بهِ شهوة تناقضها ولا داء يقطع عنها فهذا القلب الذي تنمي فيهِ الحكمة ايماناً وفهماً وحفظاً وعلماً وقولاً وعملاً وتبلغ بهِ افضل العواقب واعلى المراتب »

فهذه كلها من الاناجيل يضاف اليها بعض امثال من بقيّة اسفار العهد الجديد كقولهم (م١ : ١٢٠) : « اترك الشرّ يتركك » وقولهم (م٢ : ١١٩) : « ليس اخو الشرّ من توقّاه» فمثلهُ قول القديس يعقوب في رسالتهِ (٤: ٧):« قاوموا ابليس فيهرب منكم » وكان ابن سيراخ قال قبلاً (٧: ١) : « لا تعمل الشرّ فلا يلحقك الشرّ »

ويقول العرب (م ٢ : ١٩٣) : « كما تزرع تحصد » فهو كما قال بولس في رسالتهِ الى اهل غلاطية (٦ : ٨) : « الانسان انما يحصد ما زرع » وفي امثال سليمان (٢٢ : ٨) « مَنْ زرع الظلم حصد السوء »

وجاء في امثال علي (ص٨) :«جلّ من لا يموت» وقال الرسول بولس في رسالتهِ الاولى الى تيموثاوس:« لله وحده الخلود . . . لهُ الكرامة والعزّة المؤبدة »

ويضرب العرب المثل بالسحابة الفارغة من المطر المخيّبة لامال الزارع فقالوا (م ٢ : ٢٠٢) :« ما هو الّا سحابة ناصحة » وقالوا (م ١ : ٢٦٧) : « ارى خالًا ولا ارى مطرًا » وكان الرسول يهوذا سبق ووصف المنافقين بقولهِ (١ : ١٢) : « هؤلاء سحبٌ بلا ماء تحملها الرياح » .

ولعلّ مثلهم (م٢ : ١٩٧) :« ما انت بخلّ ولا خمر » لهُ علاقة بقول صاحب الرؤيا (٣ : ١٦) : « انك لستَ باردًا ولا حارًا . . . فقد اوشكتُ ان اتقيأك من فمي»



الجزء الثاني مع الفهارس

الفصل السادس

في ما ورد في الاسفار المقدَّسة من حكم العرب والحديث

كنَّا انتهينا في فصلنا السابق الى ذكر الامثال التي اخذها العرب في الجاهليَّة او اوائل الاسلام عن الاسفار المقدَّسة من العهدين القديم والحديث • ويلحق بهذا الباب باب حكم العرب مع الحديث المرويّ عن نبي الاسلام افردنا لذلك هذا الفصل بحيث يظهر من المقابلة ما كان للنصرانيَّة من النفوذ بين العرب في اواخر ايَّام الجاهليَّة وظهور الاسلام

١ الحكم

جاء في ديوان سلامة بن جندل (ص ١٩):

عجلتم علينا حجَّتَين عليكمُ ومما يشا الرحمنُ يَعْقِد ويُطلِقِ
هو الكاسرُ العظمِ الامينُ وما يشا من الأمر يَجْمَعْ بينهُ ويفرِّقِ

ومثلهُ لسُوَيد بن ابي كاهل (شعراء النصرانيَّة ٤٣١):

انمَّا يرفعُ اللهُ ومن شاءَ وَضَعْ

فهو من قول الله عزَّ وجلَّ (١ ملوك ٢ : ٦–٧): «الربُّ يميت ويحيي يُحدر الى الجحيم ويُصعد الربُّ يُفقر ويغني يَحُطّ ويرفع»

وجاء في سفر الامثال (١٣: ٢٠) : « مُسايِر الحكماء يصير حكيماً ومؤانس الجهّال يصير شرّيرًا » . يشبههُ قول طرفة :

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارِنِ يقتدي

وقال عبد القيس بن خُفاف (المفضّليات ٧٥٠) :

اللهَ فاتَّقِيَنْ وأوفِ بنذرِهِ وإذا حلفتَ ممارياً فتحلَّلِ

اقتبسه من سفر الجامعة (١٢ : ١٣) : « اتّقِ الله واحفظ وصاياه » ومن المزامير (٤٩ : ١٤) : « أَوْفِ العليَّ نذورك » . ومن سفر الخروج (٢٠ : ٧) : « لا تحلف باسم الرب الملك باطلًا فانَّ الرب لا يزكّي من يحلف باسمهِ باطلًا »

وورد في شعر المرقّش الاكبر (شعراء النصرانيّة ص٢٨٦) :

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احد بدائِمْ
قد خُطَّ ذاك في الزَّبو رِ الاوَّليّات القدائمْ

يشير الى المزمور المئة والواحد حيث يقول داود للربّ : « انَّ الارض والسماوات تزول وانت تبقى وكلّها تبلى كالثوب . وانت انت وسنوك لن تفنى » . ومثل هذا قول اميّة بن ابي الصلت (شعراء النصرانيّة ٢٢٨) :

ونفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي يُميت ويحيي دائبًا ليس يَجْهَدُ

وممّا اقتبسهُ لبيد من سفر الجامعة قولهُ :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

ومن مقتبسات لبيد من الاسفار المقدّسة (دانيال ٤ : ٣٢ وخروج ٣٣ : ١٣) قولهُ :

انَّ تقوى ربّنا خيرُ نَفَلْ وبإذنِ الله رَيْثي وعَجَلْ
احمدُ اللهَ ولا نِدَّ لهُ بيدَيْهِ الخيرُ ما شاء فعَلْ
مَن هداهُ سُبُل الخير اهتدى ناعِمَ البالِ ومن شاء أَضَلْ

وقال أُفنون (شعراء النصرانيّة ١٩٣) :

لعمرك ما يدري امرؤٌ كيف يتّقي اذا هو لم يجعل لهُ اللهَ واقيا

وقال الآخر :

اذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فاوّلُ ما يجني عليهِ اجتهادُهُ

وقال عليّ في المغنى (ص٤): توكَّل على الله يَكفِكَ . وهذا كثير في الاسفار المقدَّسة . قال في المزامير (٥٤ : ٢٣) : «ألقِ على الربّ همَّك وهو يَعولك» . وقال (١٢٦ : ١): «وان لم يبنِ الربُّ البيت فباطلاً يتعب البنَّاؤون» . وقال بطرس في رسالتهِ الاولى (٥:٧): «ألقوا عليهِ همَّكم فهو يعتني بكم»

وفي ديوان حاتم الطائي قولهُ (شعراء النصرانيَّة ص١٢١):

كُلُوا الآنَ من رِزْقِ الإلهِ وأَيسِرُوا   فانَّ على الرحمانِ رزقكمُ غدا

هو كقول المخلّص في انجيل متّى (٦ : ٣٤): «لا تهتمّوا بشأن الغد فالغد يهتمُّ بشأنهِ»

وقد اقتبس اميَّة بن ابي الصلت تسابيحهُ من تسبحة الثلثة الفتية (دانيال ف ٣) فقال (شعراء النصرانيَّة ٢٢٧):

تسبّحهُ الطيرُ الجوانحُ في الخفى   واذ هي في جوّ السماء تُصعِّدُ
ومن خوف ربّي سبّح الرعد فوقنا   وسبَّحهُ الاحجار والوحش أُبَّدُ
وسبَّحهُ النينانُ والبحرُ زاخرًا   وما طمَّ من شيءٍ وما هو مُقلَدُ

واستمدَّ من سفر حزقيال (ف ١٠) وصف الملئكة فقال :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً   كروبيَّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ
ومنهمُ مُلِفٌّ في الجناحَينِ رأسَهُ   يكادُ لذِكرى ربّهِ يتفصَّدُ

واقتبس الآخر قول اشعيا (٤٠:١٨) : «بمن تشبّهون الله وايّ شيء تعادلون بهِ» فقال :

وليس كمثل الله شيءٌ ولا لهُ   شبيهٌ تعالى ربُّنا أن يُحدَّدا

وشبَّه داود في المزامير (٣٢ : ١٤) واشعيا في سفر نبوَّتهِ (٤٠ : ٢٤) زعماء الارض بعصافة يتلاعب بها الريح فأخذ هذا التشبيه الحريث بن عنَّاب (الاغاني ١٤ : ١٠٢) فقال :

كأنَّما ريشةٌ في ارضِ بلقعةٍ   من حيثُما وجَّهتْها الريحُ تنصرفُ

وجاء في الاغاني (٢ : ٥٠) ان كعب الاحبار سمع رجلاً ينشد بيت الحطيئة :

مَن يفعل الخيرَ لم يعدم جوازيَهُ   لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والناسِ

فقال : والذي نفسي بين يديهِ انَّ هذا البيت لمكتوب في التوراة . قال العمري والذي صحَّ عندنا في التوراة : «لا يذهب العرف بين الله والعباد» . والشطر الاوَّل ورد في رسالة القديس بولس الى اهــل افسس (٦ : ٨) : « مهما عمل كلّ واحد من الخير فسينالهُ من الربّ »

واقتبس الحطيئة ايضاً من الكتاب المقدَّس قولهُ :

ولستُ أرى السعادة جَمْعَ مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السَّعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذخراً وعند الله للأتقى مزيدُ

ومثلهُ لامرىء القيس :

وٱللهُ أَنجَحُ ما طلبتَ بهِ والبرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحْلِ

فهو في المزامير (مز ١١١ : ١) . وقــال ايضاً بولس في رسالتهِ الاولى الى تيموتاوس (٤ : ٧ — ٨) : « روّض نفسك على التقوى فانَّ التقوى تنفع في كلّ شيءٍ »

وقــد ذكر الربّ في انجيل لوقا (٤ : ٢٢) المثل: « أيها الطبيب اشفِ نفسك » وحذَّر عن المرائي الذي يرى القذى في عين اخيهِ ويغفل عن الخشبة التي في عينــهِ (متّى ٧ : ٢ — ٤) فاخذهُ ابن معاوية الجعفريّ فقال :

ولا تقربنَّ الصَّنيعَ الذي تلومُ اخاك على مثلهِ

وقال الآخر (الأغاني (٢٠ : ٥٧) :

وعاملٍ بالفجور يأمرُ بالبرّ م كهادٍ يخوضُ في الظُّلَمِ
او طبيبٍ قد شفَّهُ سقَمٌ وهو م يداوي من ذلك السقمِ
يا واعظَ الناسِ غير متَّعظٍ نفسك طهّرْ او لا فلا تَلُمِ

ومثلهُ لعليّ : من أبصر عيب نفسهِ اشتغل عن عيب غيرهِ

وقد اقتبس يحيي بن زياد قول سليمان في امثــالهِ (١٠ : ١٢) : « البغض يثير النزاع والحبّ يستر جميع المعاصي » فقال :

وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ كما انَّ عين السُّخط تبدي المساويا

يقول العرب (الميداني ١ : ٢٩٥) : رُبما كان السكوت جواباً . ومثلهُ قول الشاعر :

اذا نطقَ السفيهُ فلا تُجبْهُ فخيرٌ من اجابتهِ السكوتُ

وهذا قد ورد في امثال سليمان الحكيم (٢٦ : ٤) : « لا تجاوب الجاهل بحسب سَفَهِهِ لئلّا تكون انت نظيرهُ » . وقال (٢٩ : ٩) : « الحكيم الذي يخاصم سَفيهاً لا يجد راحةً »

وقال الربّ (في متى ١٠ : ٢٨) : « ليس خفيّ الّا سيُظْهَر ولا مكتوم الّا سيُعلَن » . قال زهير بمعناهُ :

ومهما تكُنْ عند امرىء من خليقةٍ ولو خالَها تخفى على الناس تُعلَمِ

ومن حكم العرب : الصدقُ منجاة والكذبُ مهواة . ومثلهُ في سفر ابن سيراخ (٢٠ : ٢٦) : « الكذب عارٌ قبيح في الانسان » . وقال (٢٠ : ٢٨) : « شأن الانسانِ الكذوب الهوان وخزيهُ معهُ على الدوام »

من اقوال العرب الشائعة : « العاقل لسانهُ في قلبهِ » وروي بين حكم عليّ بن ابي طالب (ص ٩٨) : قلب الاحمق في فيهِ ولسان العاقل في قلبهِ . قالهُ ابن سيراخ (٢١ : ٢٩) : « قلوب الحمقى في افواههم وافواهُ الحكماء في قلوبهم » . وقال في امثال سليمان (١٦ : ٢٣) : « قلب الحكيم يفقّهُ فمهُ ويزيد شفتَيهِ فائدةً »

وروي ايضاً لعليّ قولهُ (ص ٣٢) : لين الكلام قيد القلوب . وورد مثلهُ في ابن سيراخ (٦ : ٥) « الفم العذب يكثر الاصدقاء واللسان اللطيف يكثر المؤانسات »

وبين حكم عليّ ايضاً (ص ٧٢) : ذكر الآخرة دواءٌ . وقال ابن سيراخ (٧ : ٤٠) : « في جميع اعمالك اذكر اواخرك فلن تخطأ الى الابد »

ومن حكم العرب (٢ : ٦٧) : كلام كالعَسَل وفعل كالأَسَل . كأنهُ تعريب آية الزبور (٦١ : ٥) : « يباركون بافواههم وفي باطنهم يلعنون » . ولابن سيراخ (١٢ : ١٥) : « العدوّ يظهر حلاوة من شفتيهِ وفي قلبهِ يأتمرُ ان يُسقطك في حفرة »

ومما رواهُ الميداني للعرب (٢ : ١٧٩) : ما على الارض شيءٌ احقّ بطول سجن من لسان . قال القديس يعقوب في رسالتهِ (٣ : ٨) : « لا يستطيع احد من الناس ان يقمع اللسان فهو شرٌّ لا يُضبط »

يقول العرب : ان شئتَ ان تُطاع فسَلْ ما يُستطاع . ومثلهُ في امثال الميداني (٢ : ١٩٩) : المرء توّاق الى ما لم ينَلْ . وقد سبق ابن سيراخ فقال (٣ : ٢٢) : « لا تطلب ما يصعبُ نيلهُ ولا تبحث عمّا يتجاوز قدرتك »

وورد بين الحكم المنسوبة الى عليّ (ص ٦) : ثبات الملك بالعدل . وفي امثال سليمان (١٤ : ٣٤) « العدل يُعلي الأُمّة » :

وروي لهُ (ص ١٠٨) : من اضاع نفسَهُ قتلها ومن عصى نفسَهُ وصلها . وهو منقول عن كلام الرب (متى ١٦ : ٢٥) : « من اراد ان يخلّص نفسَهُ يُهلكها ومن اهلكَ نفسَهُ من اجلي يخلّصها »

وروي ايضاً بين حكم عليّ قولهُ (ص ٧٠) : درهم الفقير ازكى عند الله من دينار الغنيّ . وهو كمثل قول الربّ عن فلس الارملة (مرقس ١٢ : ٤٣) : « انّ هذه الارملة الفقيرة ألقت اكثر من كلّ الذين القوا في الخزانة »

ومنها (ص ٣٢) : كلام الله دواء القلوب : وقد سبق اليهِ في المزامير حيث قال (مز ١٨ : ٨) : « شريعة الربّ كاملة تردّ النفوس . امر الرب مستقيم يفرّح القلب »

ومنها ايضاً (ص ١٤) . ذليل الخلق عزيز عند الله . وورد في رسائل بولس (١ كو ١ : ٢٥) : « مستجهَل الله احكم من الناس ومستضعف الله اقوى من الناس »

٢ الحديث والتوراة

رأيت في الفصل السابق كم للعرب من حكم اقتبسوا معانيها في عهد الجاهلية واوائل الاسلام من الاسفار المقدّسة . على أننا لم نروِ منها الّا النزر القليل لما يستدعي جمعُها في الكتب القديمة من الزمن الطويل ولا شكّ انّ من ينتبه الى ذلك ويحسن معرفة الكتب المقدّسة لا سيّما الاسفار الحكميّة يجد مقتبسات عديدة غيرها ولنا على ذلك شاهد آخر في الاحاديث النبويّة التي رواها اقدم المحدّثين عن نبيّ الاسلام ننقل بعض ما وقفنا عليهِ منها فيظهر للقرّاء الكرام كم كانت شائعة في ذلك الوقت التعاليم النصرانيّة . وفيهِ برهان جليّ على كون التوراة واسفار العهدين القديم والجديد كانت منذ زمن الجاهليّة واوّل الاسلام معرَّبة وان لم نعرف ماذا جرى لتلك التعريبات القديمة (راجع في المشرق ٤ : ٩٩ — ١٠٨) مقالتنا المعنونة « نسخ عربيّة قديمة في الشرق من الانجيل الطاهر » . امّا ما نرويه هنا من الحديث فقد وجدناهُ في مجاميع المحدّثين الاثبات كصحيح الامام البخاري (+ ٢٥٦ هـ = ٨٦٩ م) وصحيح مسلم بن الحجّاج (+ ٢٠١ هـ = ٨٧١ م) وفي

بجاميع ابي عبد الرحمان النسائي (+ ٣٠٣ ﻫ = ٩١٥) ومحمّد بن مـاجه القزويني (+ ٢٧٣ ﻫ = ٨٨٧ م) وابن عيسى الترمذيّ (+ ٢٧٩ ﻫ = ٨٩٢ م) وقد وفّر علينا السيوطي في كتاب كنوز الحقائق وفي الجامع الصغير (جس) وشرحه للمناوي (من) ذكر كلّ محدِّث بغردهِ واشار اليهم بحروف اصطلح عليها بعد كلّ حديث البخاري (خ) مسلم (م) الترمذي (ت) النسائي (ن) ابن ماجه (ه). ومن هذه الكتب نسخ مخطوطة في مكتبتنا الشرقية . ثم اننا سنذكر كلّ حديث كما رواهُ اصحـاب الحديث ونرسم بازائهِ مـا وافقهُ من آيات الكتب الكريمة مباشرةً بالعهد العتيق ثم الكتب التاريخيَّة ثمَّ الحكميَّة ثم النبوَّات ومن بعدهـا العهد الجديد اي الانجيل والرسائل ورؤيا مار يوحنا

سفر التكوين (تك)	الحديث
خلق الله الانسان على صورتهِ . على صورة الله خلقهُ (تك ١ : ٢٧)	خلق الله آدم على صورتهِ (جس ٢٠٤ من نسختنا الخطّيَّة) = لا تقبّحوا الوجه فانَّ الله خلقهُ على صورة الرحمان (من ١٩٣)
انَّ الله جبل الانسـان ترابًا من الارض (تك ٢ : ٧)	خلق الله آدم من تُراب (جس ٧٢)
غرس الربّ الاله جنَّةً في عدَن (تك ٢ : ٨)	انَّ الله بنى جنَّات عدَن بيدهِ (جس ٣٣ من ٣١)
رأى الله انَّ جميع مـا صنعهُ هو حسن جدًّا (تك ١ : ٣١)	كل خَلْق الله حسَن (جس ١١٣)
ولَدَ نوح سامًا وحامًا ويافث (تك ٥ : ٣٢)	وُلِد نوح ثلاثة سام وحام ويافث (جس ١٧٨)
رُوي في الفصل ١٨ من سفر التكوين ذكر اضافة ابرهيم للربّ المتجلي لهُ على صورة ثلاثة رجال	كان اول من اضاف الضيف ابرهيم (جس ١١٣)

سفر الخروج (خر)	الحديث
أكرمْ اباك وامَّك لكي يطول عمرك في الارض (خر ٢٠ : ١٠)=وفي تثنية الاشتراع (٥ : ١٦) : أكرمْ اباك وامَّك لكي	ان الله تعـالى يزيد في عمر الرجل ببرّ والديهِ (جس ١٠٠) = مَنْ برَّ والديهِ طوبى

تطول ايامك = وفي سفر الأمثال (٢٣ : ٢٢) اسمع لأبيك الذي ولدكَ

مَن ضرب اباهُ او امّه فليُقتَل قتلًا (خر ٢١ : ١٥)

لهُ زاد الله في عمره (جس ١٥٠) = أطع أباك (جس ١٨)

مَنْ ضرب والدَيهِ فاقتلوهُ (جس ١٥٤)

سفر الاحبار (اح)

لا تبِتْ أُجرَةَ الاجير عندك الى الغد (اح ١٩ : ١٣) . ومثلهُ في طوبيا (٤ : ١٥) : أُجرةُ أجيرك لا تَبْقَ عندك ابدًا. كلّ من خدمك بشيءٍ فأوفهِ اجرتَهُ

إنْ غشيَ رجلٌ بهيمةً فليُقتَل قتلًا . والبهيمة ايضًا فاقتلوها (ا ح ٢٠ : ١٥)

الحديث

أعطوا الأجير أُجرتهُ قبل ان يجفّ عَرَقُهُ جس ٦١ من ١٩) = أَوْفُوا الاجير أجرَه (من ٥٠)

من أتى بهيمةً فاقتلوهُ واقتلوها معهُ (جس ١٤٦)

سفر تثنية الاشتراع (تث)

انّ الربّ هو الاله ليس إله سواهُ (تث ٤: ٣٥ و ٣٩) = ومثلهُ في الملوك الثالث (٨: ٦١) الخ

ملعون من يُضِلُّ اعمى من الطريق (تث ٢٧ : ١٨)

ملعون المستخفّ بابيهِ وامّهِ (تث ٢٧ : ١٦)

الحديث

لا إله الّا الله هي الموجبة (جس ١٨٠) = السيّد هو الله (من ٨٧)

لعن الله من أكمهَ الاعمى عن السبيل (جس: ١٣٠)

ملعون مَنْ سبّ اباهُ . ملعون من سب امّهُ (من ٤٠٤)

سفر يشوع (يش)

قال يشوع : يا شمس قِفي . . . وقفت الشمس الى أن انتقم الشعب من اعدائهم (يش ١٠ : ١٢ ـ ١٣)

الحديث

ما حُبست الشمسُ على البشر قطّ الّا على يشوع بن نون (من ٣٨٩)

سفر الملوك الاوّل (١مل)

انّ الانسان انّما ينظر الى العينين وامّا الربّ فانّهُ ينظر الى القلب (١ مل ١٦ : ٧)

الحديث

انّ الله لا ينظر الى صوركم واموالكم انّما ينظر الى قلوبكم واعمالكم (جس ٩٧)

سفر اخبار الايام (اخ)

انت وحدك تعرف قلوب بني البشر (٢ اخ ٦ : ٣٠)

انك تزكّي البارّ وتُعطيهِ بحسب برّهِ (٢ اخ ٦ : ٢٣)

الحديث

علم الباطن سرّ من اسرارهِ عزّ وجلّ وحكم من احكامهِ (من ٢٧٩)

انّ الله لا يضيع أجرَ المحسنين (غ ٣ : ١٩٠)

سفر طوبيًا (طب)

الصَّدقة تنجّي من كل خطيئة (طب ٤ : ١١). الصدقة تمحو الخطايا (طب ١٢ : ٩)

الذين يعملون المَعْصية والاثمّ هم اعداءُ لانفسهم (طب ١٢ : ١٠)

الحديث

الزكاة طَهور من الذُّنوب (جس ٨٣)

انّما المجنون المقيم على معصية الله (مز ٤٥)

سفر أيُّوب

الذين يحرثون الاثم ويزرعون المشقَّة هم يحصدونها (أيُّوب ٤ : ٨). ومثلهُ في سفر الامثال (٢٢ : ٨): من زرع الظلم يحصُدُ السوء. وفي ارميا (١٢ : ١٣): زرعوا حنطةً فحصدوا شوكًا

المنافق لا يقوم امام الله (أيُّوب ١٣ : ١٦)

الحديث

قال داود يا زارع السيئات انت تحصد شوكها وحسكها (جس ١٠٧) (قد نُسب هذا لداود وليس في مزامير داود آية كهذه)

ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا (في البخاري ومسلم)

سفر المزامير (مز)

جانب الشرّ واصنع الخير (مز ٣٣ : ١٥ و ٣٦ : ٢٧)

علّمني يا ربّ طريقك (مز ٨٥ : ١١) = أدلُلْني يا ربّ على طريق رسومك ... أَسلكني في سبيل وصاياك (مز ١١٨ : ٣٣ — ٣٥) = أسلكهم في سبيل مُستقيم (مز ١٠٦ : ٧)

الحديث

إيثِر المعروف واجتنب المُنكر (الجامع الصغير)

ربّ اغفر وارحم واَهْدني للسبيل القويم (من ٨) ومثلهُ في سورة الفاتحة: إِهْدنا الى السراط المستقيم

تلذّذ بالربّ فيُعطيك سُؤل قلبك (مز ٣٦ : ٤)

اذكر الله فانّهُ عونٌ لك على ما تطلب (جس ٤٨ من ١٤)

ان كُنت للآثام راصدًا يا ربّ فمَنْ يَقِفُ (مز ١٢٩ : ٣)

مَن نُوقش المحاسبةَ هلك (جس ١٦١)

انّ الف سنة في عينيك كيوم امس العابر (مز ٨٩ : ٤) . وفي رسالة بطرس الثانية (٣ : ٨) : انّ يومًا واحدًا عند الربّ كألف سنة

انّ يومًا عند ربّك كألف سنة ممّا تعدّون (سورة الحجّ ٢٢ : ٤٦)

انّ يومًا في ديارك خيرٌ لي من الف (مز ٨٣ : ١١)

رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الف يوم فيما سواهُ (جس ٢٣٧)

رأس الحكمة مخافة الرب (مز ١١٠ : ١٠) = وكذا في الامثال (٩ : ١٠) وفي ابن سيراخ ١ : ١٦)

خشيةُ الله رأس كلّ حكمة (جس ٢٠٣) = رأس الحكمة مخافةُ الله (المسعودي ٤ : ١٦٨) = رأس الحكمة معرفة الله (جس ٧٩)

الصدّيقون يرثون الارض ويسكنونها الى الابد (مز ٣٦ : ٢٩)

ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر انّ الارض يرثها عبادي الصالحون (سورة الانبياء ١٠٥)

يا ربّ من يحلّ في مسكنك . . السالك بلا عيب وفاعل البرّ والمتكلّم بالحقّ في قلبه والذي لا يغتاب بلسانه (مز ١٤ : ١ - ٣)

قد افلح مَن أخلص قلبهُ الايمان وجعل قلبهُ سليمًا ولسانهُ صادقًا ونفسهُ مطمئنّةً (جس ٣١١)

الربّ رؤوف كثير الرحمة لا على حسب خطايانا عاملنا ولا حسب آثامنا كافأنا (مز ١٠٢ : ٩ - ١٠)

عفو الله أكبر من ذنوبكم (جس ٢٧٧)

ايّام سنينا سبعون سنةً ومع القوّة فثمانون سنة ورَغَدُها انّما هو ضرَر (مز ٨٩ : ١٠)

اعمار أُمّتي بين الستين والسبعين (خ)
قال الشعبيّ : مكتوب في الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علّة (العقد الفريد ١ : ٣٣١) ومثلهُ قول التميميّ (البيان للجاحظ ٢ : ١٠٨) :

وانّ امرءًا قد سار سبعين حجّةً — الى منهلٍ من وِردهِ لَقريبُ
اذا كانت السبعون سنّك لم يكن — لدائك الّا ان تموتَ طبيبُ

سفر الامثال (مث)

من يرحم الفقير يقرض الرب (مث ١٩ : ١٧)

الحديث

انّ الصدقة تقع في يد الله (جس ٣٧)

اذهب أيها الكسلان الى النملة أنظر الى طُرُقها وكن حكيماً . تُعِدُّ في الصيف طعامها للشتاء (مث ٦:٦-٨)

مثل المؤمن كمثل النملة تجمع في صيفها لشتائها (جس ١٤٣)

مُساير الحكماء يصير حكيماً ومؤانس الجهّال يصير شرّيرًا (مث ١٣ : ٢٠)

المرء على دين خليلهِ فلينظر المرء من يُخالّ (مز ١٦٤) = إيّاك وقرين السوء فانّك بهِ تُعرَف (جس ١٥٣)

الذي يسودُ على روحه أفضل ممّن يأخذ المدن (مث ١٦ : ٣٢)

ليس الشديد بالصُّرَعة إنّما الشديد مَنْ يملك نفسَهُ (خ من) = افضلُ الجهاد ان يجاهد الرجل نفسَهُ وهواهُ (جس ٦٥)

الموت والحياة في حكم اللسان (مث ١٨ : ٢١)

البلاء موكَّل بالمنطق (جس ١٦٨)

الانسان المُطيع يتكلّم كلام المنتصر (مث ٢١ : ٢٨)

من اطاع الله فاز (من ١٤٨)

الاخ امنع من مدينة محصّنة (مث١٨ : ١٩)

انّ المرء كثير باخيه (جس ١١٠)

ككلبٍ عائد على قيئهِ هكذا الجاهل المكرّر سفهَهُ (مث ٢٦ : ١١) ومثلهُ في رسالة بطرس الثانية (٢ : ٢٢)

العائد في صدقتهِ كالكلب يعود الى قيئهِ (البخاري ٢ : ١٣٢)

من يجد المرأة الفاضلة . انّ قيمتها فوق اللآلئ (مث ٣١ : ١٠)=من وجد زوجة صالحة وجد خيرًا (مث ١٨ : ٢٢)

زوجة صالحة خيرٌ ما كنز الناس (جس ٣١٣)

سفر الجامعة (جا)

الحديث

انّ البشر لا يعلمون احبًّا يستوجبون أم بغضاً (جا ٩ : ١)

عجبتُ لطالب دنيا . . وهو لا يدري أرضِي عنهُ او سُخِطَ (جس ٣٧٥)

انّ الله سيُحضِر كلّ عملٍ ليـدين على كلّ خفيٍّ خيرًا كان او شرًّا (جا ١٢ : ١٤) ومثلهُ في رسالة بولس الرسول الى اهل افسس (٦ : ٨)

من يعمل مثقالَ ذرَّةٍ خيرًا يَرَهُ ومن يعمل مثقال ذرّة شرًّا يَرَهُ (خ-٣ : ١٩٩)

لكلّ امر أوان ولكلّ غرضٍ تحت السماء وقت (جا ٣ : ١)

لكلّ شيءٍ ميقاتُهُ (من ١٥٨) . ومثلهُ للشاعر :

وللامور مواقيتٌ مقدَّرة   وكلّ امرٍ لهُ حدٌّ وميزانُ

وقال ايضاً :

فاذا الشيء اتى في وقتهِ   زاد في العين جمالًا لجمال

سفر الحكمة (حك)

الربّ يفحص اعمالكم فأربابُ القوَّة بالقوَّة يُفحَصون وانَّ للاشدَّاء امتحاناً شديداً (حك ٦ : ٤-٧)

نفوس الصدّيقين بيد الله لا يمسُّها عذاب وفي ظنّ الجهَّال انَّهم ماتوا . . امَّا هم ففي السلام (حك٣ : ١-٣)

محّص الله الصديقين كالذهب في البُودقة . . . فهم في وقت افتقادهم يتلألأون (حك ٣ : ٦-٧)

الحديث

اشدُّ الناس عذاباً للناس في الدنيا اشدُّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة (جس ٥٥)

في سورة آل عمران (٣ : ١٣٣) : لا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء . . . ولا هم يحزنون

مثَل المؤمن حين يصيبهُ البلاء كمثل الحديدة تُدخَل النار فيذهب خبثُها ويبقى طيبُها (جس ١٣٥)

نشيد الاناشيد (نش)

انيّ نائمةٌ وقلبي مستيقظ (نش ٥ : ٢)

الحديث

تنام عيناي ولا ينام قلبي (جس ١٧٥) = انَّا معشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا (جس ١٣٣ خ ٢ : ٤٤)

سفر يشوع بن سيراخ (سخ)

يا بُنيَّ اتّخذ التأديب منذ شبابك . . . تروَّ في اوامر الربّ فهو ينيلك ما تتمنَّاه (سخ ٦ : ١٨ و٣٣)

لا تسلِّم نفسك الى المرأة لِئلّا تتسلَّط على قدرتك (سخ ٩ : ٢)

لا تشمت بموت احدٍ . اذكر انَّا باجمعنا نموت (سخ ٨ : ٨)

الماء يطفىء النار المُلتهبة والصدقة تكفّر الخطايا (سخ٣ : ٣٣) = وفي لوقا (١١ : ٤١) : تصدَّقوا ممَّا في ايديكم فيطهر لكم كل شيء

الحديث

انَّ الله يحبُّ الشابَّ الذي يفني شبابَهُ في طاعة الله (جس ٩٨)

طاعة المرأة ندامة (جس ٩٤)

لا تظهر الشماتة باخيك فيرحمه الله ويبتليك (جس ١٩١)

الصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار (جس٩٢)=تصدَّقوا فانَّ الصدقة فِكاكُكم من النار (جس ٣٣)

في جميع اعمالك اذكُرْ أواخرك فلن تخطأ الى الابد (سخ ٧ : ٤٠)

أكثروا ذكر الموت يُسلِّك عمّا سواه (جس ٢١٣) = أكثروا ذكر الموت فانهُ يمحص الذنوب ويزهّد في الدنيا (جس ٧١)

اوصاهم (اي البشر) كلّ واحدٍ في حقّ القريب (سخ ١٧ : ١٢)

كلّكم راعٍ وكلّ راعٍ مسئول عن رعيّتهِ (من ١١٥ م ٦ : ٨ خ ١١٥)

كلّ رِجسٍ مُبغَض عند الرب (سخ ١٥ : ١٣)

انّ الله يُبغض الفاحش البذيّ (من ٣٤)

الهدايا والرُّشى تُعمي أعين الحكماء وكلِجام في الفم تحجز توبيخاتهم (سخ ٢٠ : ٣١)

الهديَّة تعوّر عين الحكيم = الهدايا للامراء غُلول = الهديّة تذهب بالسمع والقلب والبصر (جس ١٧٦)

الإفراط من شرب الخمر خصومة ونزاع ومرارة للنفس (سخ ٣١ : ٣٨) وفي رسالة القديس بولس الى افسس (٥ : ١٤) : لا تسكروا من الخمر التي فيها الدعارة

اجتنبوا الخمر فانّها مفتاح كلّ شرّ (جس ١٤) = الخمر جماعُ الاثم (جس ٧٥)

عجّل الزمان واذكر الأجل (سخ ٣٦ : ١٠)

اغتنموا العمل وبادروا الأجل (جس ٣٠)

الغُمَّة تأتي بالشيخوخة قبل الاوان (سخ ٢٦ : ٣) = كالعث في الثوب والسوس في الخشب هكذا الكآبة في قلب الرجل (سخ ٢٥ : ٣٠)

الهمُّ نصفُ الهَرَم (جس ١٧٦) . وقال المتنبي في هذا المعنى :

والهمُّ يخترم الجسيمَ نحافةً
ويشيبُ ناصيةَ الصبيّ فيهرمُ

سفر اشعيا (شع)

إنطلقْ وقُلْ لهؤلاء الشعب اسمعوا سماعاً ولا تفهموا وانظروا نظرًا ولا تعرفوا (شع ٦ : ٦)

ان هذا الشعب يكرمني بشفتيهِ واماَّ قلبهُ فبعيد عني (شع ٥٢ : ١٣ مت ١٥ : ٨)

انا الربّ وهذا اسمي ولا أُعطي لآخر مجدي (شع ٤٢ : ٨) = ليس الربّ العزَّة وتمنطق بها (مز ٩٢ : ٢)

الحديث

يدعو الله المنافق فلا يسمع ينظر ولا يُبصر (من ٢٣٠) = وفي سورة الاعراف (٧ : ١٩٧) : وان تدعوهم الى الهُدَى لا يَسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يُبصرون

ويل لمن يذكر الله بلسانهِ ويعصي الله في عملهِ (جس ١٧٨)

قال الله الكبْر ردائي والعظمة إزراري فمن نازعني واحدًا منهما قذفتهُ في النار (جس ٣٠٦)

سفر ارميا (ار)

ملعون الرجل الذي يتوكّل على البشر وقلبهُ ينصرف عن الربّ (ار١٧ : ٥)

الحديث

مَنْ سعى الى الناس فهو لغير رُشْدهِ (جس ١٥٥) . ومثلهُ لعليّ بن ابي طالب(ص٢٢) : ضلّ سَعْيُ من رجا غير الله

سفر حزقيال (حز)

المنافق اذا تاب عن جميع خطاياه . . . فانهُ يحيا حياةً ولا يموت (حز١٨ : ٢١) وفي سفر الحكمة(١١ : ٢٤) : انك تتغاضى عن خطايا الناس لكي يتوبوا

الحديث

التائب من الذنب كمن لا ذنب لهُ(جس ١٧٧) وفي الايجاز والاعجاز (ص٦) : من كلام النبي: التوبة تهدم الحَوْبة

سفر دانيال (دا)

يضيء العقلاء كضياء الجَلَد والذين هدوا الى البرّ كثيرين كالكواكب الى دهر الداهرين (دا ١٢ : ٣)

وفي دانيال تسبحة الثلاثة الفتية في اتون النار يدعون الخلائق الى تسبحة خالقها

الحديث

انّ مثَل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يُهتدَى بها (جس ١٣٧)

ورد في الحديث وفي السور الصفّ(٦١ : ١)والجمعة (٦٢ : ٣)والتغابن(٦٤ : ١) والملك (٦٧ : ١)مثلها معنًى ولفظًا

سفر زكريّا النبيّ (زك)

ابتهجي جدًّا يا بنت صهيون واهتفي يا ابنت اورشليم هوذا ملكك يأتيكِ مخلّصاً وديعاً راكباً على اتان (زك ١١ : ٩)

الحديث

قال في لسان العرب (٥ : ٩٦) : في حديث عطاء : أَبْشِري أُورَى شَلَّم براكب الحمار (قال يريد بيت الله المقدَّس)

الانجيل الشريف

الانجيل الشريف (متّى : مت .لوقا : لو. مرقس: مر . يوحنّا : يو)

الربُّ معكِ . مباركةٌ انتِ بين النساء (لو ١ : ٢)

الحديث

كل بني آدم يمسّهُ الشيطان يوم ولدتهُ أمّهُ الّا مريم وابنها (جس٢١٩) = ما من بني آدم مولود الّا يمسهُ الشيطان غير مريم وابنها (جس ٢٩٨)

امتلأت اليصابات من روح القدس وارتكض الجنين في بطنها (لو ١ : ٤١)

خلق الله يحيى بن زكريا في بطن امهِ مؤمناً (جس ٢٠٥)

كان قد أُوحي اليهِ (الى سمعان الشيخ) انهُ لا يرى الموت حتى يعاين مسيح الربّ (لو ٢ : ٣٦)

ان روح القدس نفثَ في رُوعي انَّ نفساً لن تموت حتَّى تستكمل أَجلها . . (جس١١٨)

ليس امرٌ غير ممكن لدى الله (لو١ : ٣٧) = كلّ شيء عند الله مستطاع (مر ١٠ : ٢٧)

اذا اراد الله خَلْق شيء لم يمنعهُ شيء (جس ٢٥)

كونوا كاملين كما انَّ اباكم السماوي كامل (مت ٥ : ٤٨)

انَّ الله تعالى مُحْسِن فأَحسن (جس ٩٥)

الذي يعمل ويعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات (مت ٥ : ١٩)

كلّ علم وبالٌ على صاحبهِ الّا ما عُمِل بهِ (جس ١١٤) = تعلّموا من العلم ما شئتم فوالله لا تؤْجَروا بجمع العلم حتَّى تعملوا بهِ (جس ١٧٣)

الويل لكم أيّها الاغنياء (لو ٦ : ٢٤) = طوبى للمساكين بالروح فانَّ لهم ملكوت السماوات (مت ٥ : ٣)

ويلٌ للأغنياء من الفقراء (جس ٤٥٥) = نعم الشيء الفقر (جس ١٦٦) = قمتُ على باب الجنَّة فاذا عامَّة من دخلها المساكين (جس ٣١٤) = الفقر شَيْن عند الناس زين عند الله يوم القيامة (جس ٣٠٣)

انتم نور العالم . . لا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال لكن على المنارة . . فليضيء نوركم قدَّام الناس (مت ٥ : ١٤ – ١٥)

اتبعوا العلماء فانهم سُرُج الدنيا ومصابيح الآخرة (جس ١٠)

انتم ملح الارض فاذا فسد الملح فبماذا يُملَّح (مت ٥ : ١٣)

مثَل اصحابي كالمِلْح لا يُصلَح الطعام الّا بهِ (جس ٤٠٣ الايجاز والاعجاز للثعالبي ص ٦) = قُرَيش صلاح الناس ولا يَصلُح الناس الّا بهم كما انَّ الطعام لا يَصلُح الّا بالملح (جس ٣١٣) . ومثلهُ للشاعر:

بالملح تُصلِح ما تخشى تغيُّرهُ
فكيف بالملح ان حلَّت بهِ الغِيَرُ

كونوا وُدعاء كالحمام (مت ١٠ : ١٦)

كونوا بُلْهاً كالحمام (احياء علوم الدين للغزّالي) = دخلتُ الجنَّة فاذا اكثر اهلها البُلْه (جس ٢١٧)

لا تدينوا لئلاَّ تُدانوا . فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون وبالكيل الذي بهِ تكيلون

مكتوب في الانجيل كما تدين تُدان وبالكيل الذي تكيل تُكتال (جس ٤٠٤) =

يُكال لكم (مت ٧ : ١-٢)

طوبى للرُّحماء فانهم يُرحَمون (مت ٥ : ٧) = كونوا رُحماء كما انَّ اباكم هو رحيم (لو ٦ : ٣٦)

اغفروا يُغفَر لكم (لو ٦ : ٢٧) = هكذا ابي السماوي يصنع بكم ان لم تغفروا من قلوبكم كلٌّ واحدٍ لاخيهِ (مت ١٨ : ٣٥)

قال يسوع : يا ابتِ اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يعملون (لو ٢٣ : ٣٤)

لا يسقط عصفور على الارض بدون ابيكم ... فلا تخافوا فإنكم افضل من عصافير كثيرة (مت ١٠ : ٢٩-٣١)

كلُّ ما تُريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوهُ انتم بهم (مت ٧ : ١٢ ؛ لو ٦ : ٣١) ؛ ومثلهُ في طوبيا (٤ : ١٦) : كلُّ ما تكرهُ ان يفعلهُ غيرك بك فايَّاك ان تفعلهُ انت بغيرك

انَّ ابن البشر لم يأتِ ليهلك نفوس الناس بل ليخلّصها (لو ٩ : ٥٦)

ما بالك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك يا مرائي أخرج اوَّلًا الخشبة من عينك (مت ٧ : ٣ لو ٦ : ٤٣) = أيها الطبيب اشفِ نفسك (لو ٤ : ٢٣)

انتم جميعًا أُخوة (مت ٢٣ : ٨) . وفي رسالة بولس الى اهل غلاطية (٣ : ٢٨) : ليس عبد ولا حرٌّ لأنكم جميعكم واحد في المسيح

أحبُّوا أعداءكم وأحسنوا الى من

البرُّ لا يَبلَى والذنبُ لا يُنسَى والديَّان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان (جس ١٦٦)

من يَرحَم الناس يرحمهُ الله . ومن لا يرحم الناس لا يرحمهُ الله (جس ١٦٣) = كونوا رحماء فانَّ الله رحيم يحبُّ كلَّ رحيم (من ١١٥)

اسمحوا يُسمح لكم (جس ٥٥) = من لا يغفر لا يُغفَر لهُ . من لا يرحم مَن في الارض لا يرحمهُ مَن في السماء (جس ٤٣٦)

اللهمَّ اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (من ٣٥) = ارحم يا ربّ امتي لأنهم لا يعلمون ما يصنعون (رواية احياء علوم الدين للغزالي)

الله ارحم بعبادهِ من هذا العصفور بفرخهِ (جس ٢٤)

أحبب للناس ما تحبُّهُ لنفسك (جس ١٦ الاغاني ١٩ : ٥٥) = لا يؤمن احدكم حتى يحبَّ لاخيهِ ما يحبُّهُ لنفسهِ (من ١٨٦) . ونظمهُ الشاعر فقال :

واصنع الى الناس كمثل الذي
تختارُ ان يصنعهُ الناس بِكْ

انما بُعثتُ رحمةً ولم أُبعَثْ عذابًا (جس ١٢٥)

اذا اردت ان تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك (جس ٣٦) = روى في الاغاني لسكينة بنت الحسين بن علي (١٤ : ١٧٠) : اني والله وايّاك كالذي يرى الشعرة في عين صاحبهِ ولا يرى الخشبة في عينهِ = يُبصر احدكم القذى في عين اخيهِ وينسى الجذع في عينهِ (جس ٤٦٧)

المسلم اخو المسلم (جس ٤٤٠) = العبيد اخوانكم فأطعموهم مما تأكلون (خ ٣ : ١١٣)

صِلْ مَنْ قطعك وأحسن الى مَنْ اساء

يُبغضكم (مت٥ : ٤٤ ؛ ولو٦ : ٢٧) = ان احببتم من يحبكم فايُّ أجرٍ لكم أليس العشّارون يفعلون ذلك (مت ٥ : ٤٦)

أعداء الانسان اهلُ بيتهِ (مت١٠ : ٣٦) ومثلهُ في نبوّة ميخا (٧ : ٦)

كم مرَّةً يَخطأ اليَّ اخي فأغفِرَ لهُ أإلى سبع مرَّات. قال لهُ يسوع . . . بل الى سبعين مرَّةً سبع مرَّات (مت ١٨ : ٢١-٢٢)

ملكوت السماوات يُغصَب والغاصبون يختطفونهُ (مت ١١ : ١٢)

من يُنكرني امام الناس يُنكَر امام ملائكة الله (لو ١٢ : ٩) وفي متّى (١٠ : ٣٣) . . . انكرهُ انا قدام ابي الذي في السماوات

لو كان لكم ايمان مثل حبَّة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هاهنا الى هنـاك فينتقل (مت ١٧ : ١٩)

قال الرسل للربّ : زِدْنا ايمانًا (لو ١٧ : ٥)

من أحبَّ ابًا او امًّا اكثر مني فـلا يستحقّني . . . ومن اهلك نفسهُ من اجلي يجدُها (مت ١٠ : ٣٧-٣٩)

طوبى لعيونكم لأنها تنظر ولآذانكم لأنها تسمع . . انَّ كثيرين من الانبياء والصدّيقين اشتهوا ان يروا ما انتم راؤون ولم يروا وان يسمعوا ما انتم سامعون ولم يسمعوا (مت ١٣ : ١٦-١٧)

قال يسوع : لأنك رأيتني يا توما آمنت فطوبى للذين لم يروني وآمنوا (يو ٢٠ : ٢٩)

اليك (جس ٢٥٦) = الفَضْل في ان تَصِل مَنْ قطعك وتعفو عمَّن ظلمك = أفضلُ الفضلِ ان تَصِل مَن قطعك وتُعطي من حرمك وتَصفح عمَّن ظلمك (جس ٦٦ و٣٠٣)

اعدى عدوّك زوجتك وما ملكتْ يمينك (جس ٦٠)

أُعفُ عن الخادم كلَّ يوم سبعين مرَّةً (من ١٩) = اني لأتوب الى الله في اليوم سبعين مرَّةً (من ٤٧)

حُفَّت الجنَّة بالمكاره (الثعالبي المحاضرة والتمثيل ص١٠ من نسختنا وفي الايجاز والاعجاز لهُ ص٦-٧ ؛ من ٦٩) = انَّ ابواب الجنَّة تحت اظلال السيوف (خ ٣ : ١٩١ جس ١١٣)

اذا سُئِل احدكم أمؤمن هو فلا يشكّ (جس ٣٧)

لا يدخل النار من كان في قلبهِ حبَّة خردل من الايمان (رواهُ الغزّالي في احياء علوم الدين) = يدخل اهل الجنَّة الجنَّةَ واهل النار النارَ ثمَّ يقول الله : أخرجوا من كان في قلبهِ حبَّة خردلٍ من الايمان فيخرجون (خ ١ : ١٠)

قُل: ربِّ زِدْني علمًا (سورة طه ١١٣)

لا يؤمن احدكم حتَّى أكون احبَّ اليهِ من ولدهِ ووالدهِ والناس اجمعين (خ ١ : ٩) = لا يؤمن احـدكم حتَّى أكون احبَّ اليهِ من نفسهِ (من ١٨٦ . وفي إحياء علوم الدين للغزّالي)

انَّ اناسًا من امَّتي يأتون بعدي يودُّ احدهم لو اشترى رؤيتي باهلهِ ومالهِ (جس ١١٥)

طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرَني (جس ٢٧١) . وفيه: طوبى ثمَّ طوبى ثمَّ طوبى لمن آمن بي ولم يرَني = رحم الله

من سمع منكم فقد سمع مني ومَن احتقركم فقد احتقرني ومن احتقرني فقد احتقر الذي ارسلني (لو ١٠ : ١٦) = مَن قبلكم فقد قبلني ومَنْ قبلني فقد قبل الذي ارسلني (مت ١٠ : ٤٠) = الحقّ اقول لكم انّ الذي يقبل مَن أُرسلهُ يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي ارسلني (يو ١٣ : ٢٠)	اخواني الذين آمنوا بي ولم يَرَوْني (من ٨٨) = طوبى لمن رآني او رأى مَن رآني (من ٩٥) تسمعون ويُسمَع منكم (جس ١٧١) = أكرموا العلماء . . فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسولهُ (جس ٧٢) = من احبَّ الانصار احبَّهُ الله ومن أبغض الانصار ابغضهُ الله (جس ٤٠٨) = من أحبَّني فقد احبَّ الله ومن اطاعني فقد أطاع الله . (من ١٤٦) = من احبَّ العرب فقد احبَّني حقًّا (من ١٤٧) = من احبَّ عليًّا فقد احبَّني ومن ابغضهُ فقد ابغضني (جس ٤٠٨) = من آذى عليًّا فقد آذاني (من ٢٠٤) = من احبَّ الحسَن والحسين فقد احبَّني ومن ابغضهما فقد ابغضني (جس ٤٠٨)
انّ الكتبة والفرّيسيين جالسون على كرسيّ موسى فمهما قالوا لكم فاحفظوهُ واعملوا بهِ واماً بمثل اعمالهم فلا تعملوا (مت ٢٣ : ٢-٣)	انظروا قُريشًا فخذوا من قولهم وذَرُوا فِعلَهم (جس ١٤٣)
أوفوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله (مت ٢٢ : ٢٠)	أدّوا للأُمراء حقَّهم واسألوا الله حقَّكم (رواية احياء علوم الدين للغزالي)
حينئذٍ يُضيء الصدّيقون مثل الشمس في ملكوت ابيهم (مت ١٣ : ٤٣)	انّ اهل عِلّيين يُشرف احدهم على اهل الجنّة فيُضيء وجههُ لاهل الجنّة كما يضيء القمر ليلة البدر لاهل الدنيا (جس ١١٦)
احذروا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحُملان وهم في الباطن ذئاب خطِفة . . (مت ٧ : ١٥)	انّ بين يدي الساعة كذّابين فاحذروهم (صحيح مسلم ٦ : ٤) – ومثلهُ للشاعر : وإذا الذئابُ استنعجَتْ لك مرّةً فحذارِ منها ان تعودَ ذئابا فالذئبُ اخبثُ ما يكون اذا بدا متلبّسًا بين النعاج إهابا
صلّوا في كلّ حين (لو ٢١ : ٣٦) = الحقّ اقول لكم انّ كلّ ما تسألون الآب باسمي يعطيكموهُ (يو ١٦ : ٢٣)	الصلاة خير موضوع فمن استطاع ان يستكثر فليستكثر (جس ٢٦٥) = الصلاة مفتاح كلّ خير (من ١٩٣) = ما اذن الله لعبد في الدعاء حتى أذن لهُ في الاجابة (جس ٣٨٥)

اذا صلّيت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصلِّ الى ابيك في الخفية (مت ٦ : ٦)

اسألوا فتُعطَوا اطلبوا فتجدوا اقرعوا فيفتح لكم (مت ٧ : ٧)

انظروا الى طيور السماء فانّها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الاهراء وابوكم السماوي يقوتها (مت ٦ : ٢٦)

وانتم فصلّوا هكذا ابانا الذي في السماوات ليتقدّس اسمك ليأتِ ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض (متى ٦ : ٩-١٠)

حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا اكون هناك فيما بينهم (مت ١٨ : ٢٠)

اذا صنعتَ صدقةً لا تعلم شمالك ما تصنع يمينُك لتكون صدقتك في خفيةٍ وابوكم الذي يرى في الخفية هو يجازيك (مت ٦ : ٤-٥) = ارملة فقيرة ألقت فلسَين . . انّ هذه قد القت اكثر من كلّ الذين القوا في الخزانة (مر ١٢ : ٤٣-٤٤)

كلّ من ترك بيتاً او اخوةً . . . لاجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابديّة (مت ١٩ : ٢٩)

من سقى احد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط . . . فالحقّ اقول لكم انهُ لا يضيع اجرهُ (مت ١٠ : ٤٢)

كلّ من رفع نفسهُ اتّضع ومن وضع نفسهُ ارتفع (لو ١٤ : ١١) = حطّ المقتدرين عن الكراسي ورفع المتواضعين (لو ١ : ٥٢)

اذا دُعيتَ فامضِ واتّكئ في آخر موضع (لو ١٤ : ٧)

من اراد ان يكون فيكم عظيماً يكون

صلّوا ايها الناس في بيوتكم فافضل صلاة صلاة المرء في بيته الّا المكتوبة (جس ٦٦)

مَن طلب شيئاً وجدَّ وجَدَ . مَن قرع الباب ولجَّ ولجَ (من ١٣٠) = سَلْ تُعطَ (جس ٨٥)

لو انّكم تتوكّلون على الله حقَّ توكّلهِ لَرزقكم كما يُرزَق الطير تغدو خِماصاً وتروح بِطاناً (جس ٣٦٨)

اذا تألَّم احد او تألَّم اخوهُ فليَقُل : ربّنا انت في السماء ليتقدّس اسمك ليكن ملكوتك في السماء والارض (حديث ابي داود ١ : ١٠١)

عليكم بالجماعة فانَّ الله لن يجمع امّتي الّا على هدًى (جس ١٣) = يدُ الله مع الجماعة (الثعالبي الاعجاز والايجاز ٦-٧)

في صحيح البخاري (١ : ٧١) يعدّ الله يوم الدين مَن عمل الصدقة سرًّا بحيث لا تعلم يدهُ الشمال ما فعلتهُ يمينهُ = افضل الصدقة سرٌّ الى فقير وجُهد من مُقلّ (جس ٦٥) = صدقة السرّ تطفئ غضب الله (الاعجاز والايجاز للثعالبي ٦-٧) = من كنوز البرّ كتمان الصدقة (جس ١٧٠)

انّ الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنةً يُعطى عليها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة (جس ٩٦)

من سقى عطشاناً فأرواهُ فُتح لهُ باب الجنّة (من ١٠٤)

من تكبّر وضعهُ الله (من ١٥١) = من تواضع لله رفعهُ ومن تجبّر قمعهُ (جس ٤١٤) = التواضع لا يزيد العبد (ويروى : العالم) الّا رفعةً فتواضعوا يرفعكم (جس ١٧٧)

انّ من التواضع الرضى بالدون من شرف المجالس (جس ٤٣)

سيّد القوم خادمهم (جس ٣٤٤ من ٨٦)

لكم خادماً ومن اراد ان يصير فيكم الاوّل يكون عبدًا للجميع (مر ١٠ : ٤٣-٤٤)

انهُ لأسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غنيٌّ ملكوت السماوات (مت ١٩ : ٢٤)

إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الصبيان فلن تدخلوا ملكوت السماوات (مت ١٨ : ٣)

لا تُعطوا القدس للكلاب ولا تُلقوا جواهركم قُدَّام الخنازير (مت ٧ : ٦)

من احبَّ نفسهُ فهو يهلكها ومن ابغض نفسهُ في هذا العالم فانَّهُ يحفظها للحياة الابديَّة (يو ١٢ : ٢٥)

اكنزوا لكم كنوزًا في السماء (مت٦ : ٢٠)

انَّما يتكلَّم الفم من فضل ما في القلب (مت ١٢ : ٣٤)

ذُكر في لوقا (١٥ : ٤-١٠) فرح واجد الخروف الضالّ والدرهم المفقود ثمَّ قال الربّ : هكذا يكون في السماء فرح بخاطئ يتوب اكثر ممَّا يكون بتسعة وتسعين صديقًا لا يحتاجون الى توبة

الويل لكم ايُّها الضاحكون الآن انكم ستنوحون وتبكون (لو ٦ : ٢٥)

بصبركم تقتنون انفسكم (لو ٢١ : ١٩) = الذي يصبر الى المنتهى فذلك يخلص (مت ١٠ : ٢٢)

الرجل الصالح من كنزهِ الصالح يُخرج الصالحات والرجل الشرّير من كنزهِ الشرّير يُخرج الشرور (مت ١٢ : ٣٥)

قال لهم: انَّ موسى لاجل قساوة قلوبكم أذن لكم ان تُطلّقوا نساءكم (مت ١٩ : ٨)

في اصحابي اثنا عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنَّة حتَّى يلج الجمل في سمّ الابرة (جس ٤٠١) = وفي سورة الاعراف ٣٨: لا يدخلون الجنَّة حتى يلج الجمل من سمّ الخياط

لا يدخلنَّ الجنَّة الَّا مُرْد (من ٧٨)

لا تطرحوا الدرَّ في افواه الكلاب (جس ٤٦١) = لا تطرحوا الدرَّ تحت ارجل الخنازير (من ١٩٢ وفي التمثيل للثعالبيّ)

من أحبَّ دنياهُ اضرَّ بآخرتهِ ومن احبَّ آخرتَهُ اضرَّ بدنياهُ فآثروا ما يبقى على ما يفنى (جس ٤٠٨)

من يتزوَّد في الدنيا ينفعهُ في الآخرة (جس ٤٣٦)

من احبَّ شيئاً أكثر من ذكرهِ (جس ٤٠٨ من ١٤٦)

الله افرحُ بتوبة عبدهِ من العقيم الوالد ومن الضالّ الواجد ومن الظمآن الوارد (جس ٣٥٧)

مَنْ أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي (جس ٤١٠)

النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وانَّ مع العسر يسرًا (جس ٤٤٤) = الصبر مفتاح الفرج (من ٩٢)

الرجل الصالح يأتي بالخبر الصالح والرجل السوء يأتي بالخبر السوء (جس ٢٣٣)

ما أحلَّ الله شيئاً ابغض اليهِ من الطلاق (جس ٣٨٤ من ١٣٩)

انَّ كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبهِ (مت ٥ : ٢٦)

زنا العينين النظر (جس ٢٣٤) = ما من مسلم ينظر الى امرأة اوَّل دفعة ثمَّ يغضُّ بصرهُ الَّا احدث الله تعالى لهُ عبادةً يجد حلاوتها في قلبهِ (جس ٣٩٩)

الويل لكم ايُّها الكتبة والفرّيسيُّون المراؤون فانكم تشيّدون قبور الانبياء وتزيّنون مدافن الصدّيقين . . . تشهدون على انفسكم انكم قتلة الانبياء (مت ٢٣ : ٢٩)

لعن الله اليهود . . . اتّخذوا قبور انبيائهم مساجد (خ ٢ : ٨٣) = قاتل الله اليهود اتّخذوا قبور انبيائهم مساجد (جس ٣٠٤)

الويل لكم ايُّها الكتبة والفرّيسيون انكم تشبهون القبور المجصَّصة التي تُرى للناس من خارجها حسنةً وهي من داخلها مملوَّة عظامَ اموات وكلَّ نجاسة (مت ٢٣ : ٢٧)

مثل الفاجر كمثل القبر المشرَّف المجصَّص يعجب من رآهُ وجوفهُ ممتلىء نتنًا (جس ٤٠١)

اكبَّ يسوع يخطُّ باصبعهِ على الارض . . . . فلمَّا سمعوا طفقوا يخرجون واحدًا واحدًا (يو ٨ : ٦-٩)

قد كان نبيٌّ يخطُّ فمن وافق خطَّهُ ذلك الخطَّ علم (من ١٠٨)

انَّ في انطلاقي خيرًا لكم (يو ١٦ : ٧)

حياتي خير لكم ومماتي خير لكم (من ٦٩) = حياتي خير لكم . . . فاذا انا متُّ كانت وفاتي خيرًا لكم (جس ١٩٧)

اقول لكم انَّ الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادًا لابرهيم (مت ٣ : ٨)

لو انَّ الماء الذي يكوَّن منهُ الولد اهرقتهُ على صخرة لأخرج الله منها ولدًا (جس ٣٦٧ من ١٦٣)

ان كنت تريد ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا (مت ١٩ : ١٧)

من اشتاق الى الجنَّة سابَقَ الى الخيرات (جس ١٤٨)

كثيرون من الاوَّلين يكونون آخرين ومن الآخرين يكونون اوَّلين (مت ١٩ : ٣٠)

في صحيح البخاري عن ابي هُريرة : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة

القصل العشرون في متَّى (١-١٦) يذكر الفعلة الذين اخذوا جميعهم دينارًا مع اختلاف ساعات شغلهم

روى ذلك البخاري في صحيحهِ (١ : ١٣٩ و ٣ : ٤٦-٤٧) . . . أُوتي اهل التوراة فعملوا حتَّى نصف النهار فأعطوا قيراطًا قيراطًا . ثمَّ أُوتي اهل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر فأعطوا قيراطًا قيراطًا . ثمَّ اوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين الخ

واخرج يسوع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل (مت ٢١ : ١٢)

نهى عن الشري والبيع في المسجد (جس ٤٤٥)

امّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الّا الآب (مر ١٣ : ٣٢)

انّها ستأتي ساعة يسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن الله فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيّئات الى قيامة الدينونة (يو ٥ : ٢٨)

انّ الآب لا يدين احدًا بل اعطى الحكم كلّهُ للابن (يو ٥ : ٢٢)=وحينئذ يشاهدون ابن البشر آتيًا على سحابة بقوّة وجلال عظيمين الخ (لو ٢١ : ٢٧) = انّا جميعًا سنقف امام منبر المسيح (رو ١٤ : ١٠)

ستقوم أمّة على امة ومملكة على مملكة وتكون زلازل شديدة . . . واوبئة ومجاعات وتكون من السماء مخاوف وعلامات عظيمة الخ (لو ٢١ : ١٠-١١)

اعمال الرسل (عم)

اجاب الرسل وبطرس وقالوا انّ الله أحقّ من الناس بأن يطاع (عم ٥ : ٢٩)

رسائل القديس بولس

اعلموا وافهموا انهُ ليس للزاني او النجس او البخيل الذي انّما هو عابد وثن ميراثٌ في ملكوت السماوات (افسس ٥ : ٥)=أما تعلمون انّ الأثمة لا يرثون ملكوت الله (ا كور ٦ : ٩)

انّهُ بالقلب يؤمن الانسان للبرّ ويعترف للخلاص (رو ١٠ : ١٠)

أُوتيتُ مفاتيح كلّ شيء الّا الخمس انّ الله عنده علم الساعة . . (جس ١٤٤) = يسألك الناس عن الساعة قُل انّما علمُها عند الله وما يدريك لعلّ الساعة تكون قريبًا (سورة الاحزاب ٣٣ : ٦٣)

انّ الساعة آتية لا ريب فيها وانّ الله يبعث من في القبور . . . المُلْكُ يومئذٍ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنّات النعيم والذين كفروا . . . فأولئك لهم عذاب مهين (سورة الحجّ ٧ و ٥٥)

ليهبطنّ عيسى بن مريم حَكَمًا وإمامًا مُقسطًا (جس ٣٨٢) = كيف انتم اذا نزل ابنُ مريم فيكم وإمامكم منكم (جس ٣٣٦) = ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق (؟ جس ٤٦٨)

في صحيح البخاري (٢ : ٢١) : لا تقوم الساعة حتى يُقبَض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج . . .

الحديث

طاعة الامام حقٌّ ما لم يأمر بمعصية الله (جس ٢٦٨) = مَن امركم من الولاة بمعصية الله فلا تطيعوهُ (جس ٤١٦) = لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (من ١٨٤)

الحديث

انّ الجنّة لا تحلّ لعاصٍ (من ٣٦) = لا يدخل الجنّة لا خبٌّ ولا خائن ولا منّان (جس ٤٦٦)

الايمان اقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالاركان (جس ٢٦٣) = الايمان معرفة

كل انسان كاذب (رو ٣ : ٤) وكذلك في المزامير (١١٥ : ١١) . وفي الجامعة (٧ : ٢١) : ليس من صدّيق على الارض يصنع الخير بغير ان يخطأ

روّض نفسك على التقوى . . . انّ التقوى تنفع في كلّ شيء ولها موعد الحياة الحاضرة والمستقبلة (١ تيم ٤ : ٧-٨)

لتخضع كلّ نفس للسلاطين العالية . . فمن يقاوم السلطان يعاند ترتيب الله (رو ١٣ : ٢)

ما لم ترهُ عين ولا سمعت بهِ أذن ولا خطر على قلب بشر ما اعدّهُ الله للذين يحبّونهُ (١ كور ٢ : ٩)

ان بشّرناكم نحن او ملاك من السماء بخلاف ما بشّرناكم بهِ فليكن مبسلًا (غلاطية ١ : ٨)

ذُكر (في ١ كور ١١ : ٢٣-٣٠) اكرام الربّ للخبز اذ كرّسهُ وجعلهُ قرباناً

هو (الله) يرحم من يشاء ويقسّي من يشاء (رو ٩ : ١٨)

الذي يأكل فللربّ يأكل لانهُ يشكر الله والذي لا يأكل فللربّ لا يأكل ويشكر الله (رو ١٤ : ٦)

إعرضْ عن الكلام الباطل المتلبس بالبدَع . . . الذي انتحلهُ قوم فزاغوا عن الايمان (١ تيم ٦ : ٢٠-٢١) = رَجُل البدعة أعرِضْ عنهُ (تيطس ٣ : ١٠)

لا بُدّ ان يظهر انسان الخطيئة ابن الهلاك . . ويُري من نفسهِ انهُ هو الله . . . فيهلكهُ الربّ يسوع بنفَس فيهِ (تس٢ ٢ : ٣-٨)

بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان (من ٥٥)

كلّ ابن آدم خطّاء (جس ١١٤)

عليك بتقوى الله فانّها جماع كلّ خير (جس ٣٨٠ من ٩٨) = اوصيك بتقوى الله فانّهُ رأس كلّ شيء (جس ١٤٥)

السلطان ظلّ الله في الارض فمن اكرمهُ اكرمهُ الله ومن اهانهُ اهانهُ الله (جس ٢٤٧)

انّ في الجنّة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد (جس ١٣٠) = قال الله تعالى اعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الخ (جس ٣٠٥)

لو نزل موسى فاتّبعتموهُ وتركتموني لضللتم (جس ٢٧١)

أكرموا الخبز فانّ الله اكرمهُ فمن اكرم الخبز اكرمهُ الله = اكرموا الخبز فانّ الله انزلهُ من بركات السماء واخرجهُ من بركات الارض (جس ٧٣)

يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء (سورة المدّثر ٣٤)

الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر = الطاعم الشاكر لهُ مثل اجر الصائم الصابر (جس ٢٧١)

ايّاكم ومحدثات الامور فانّ كلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلال (ارشاد الطالبين ص٨)

لم يسلّط على الدجّال الّا عيسى بن مريم (جس ٢٦٥) = ليقتلنّ ابنُ مريم الدجّالَ بباب لدّ (جس ٢٨١)

رسائل يعقوب الرسول (يع)

الايمان ان كان بغير اعمال فهو ميّت في ذاتهِ (يع ٢ : ١٥ و ١٦)

اللسان نار وعالم من الاثم . . . هو شرٌّ لا ينضبط مملوء سمًّا مُميتًا (يع ٣ : ٦-٨) = ان كان احد لا يزلُّ في الكلام فهو رجل كامل (يع ٣ : ٢)

انَّ محبَّة العالم عداوة لله فمن آثر ان يكون حبيبًا للعالم فقد صار عدوًّا لله (يع ٤ : ٤) — حبّ المال اصل كل شرّ ١ تيم ٦ : ١٠)

صلاة الايمان تخلّص المريض والربّ يُنهضهُ (يع ٥ : ١٥)

الحديث

الايمان قول وعمل (جس ٥٦) = الايمان والعمل اخوان . . . لا يقبل الله احدهما الَّا مع صاحبهِ (جس ١٦٣)

اكثرالناس ذنوبًا يوم القيامة اكثرهم كلامًا = اكثر خطايا ابن آدم في لسانهِ (جس ٧٠) = احبُّ الاعمال الى الله حفظ اللسان (جس ١٥ من ٦)

حبُّ الدنيا رأس كلّ خطيئة (جس ١٩٣ من ٦٨)

قمْ فصلِّ انّ في الصلاة شفاء (جس ١١٠)

رسائل بطرس الرسول (بط)

في ايَّام نوح بُني التابوت الذي خَلَص فيهِ نفرٌ قليل (بط ٣ : ٢٠)

اكرموا الملك . . اخضعوا لسادتكم (١ بط ٢ : ١٧-١٨)

الحديث

انّ مثَل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك (جس ١٢٧ و ٤٠٢)

بجّلوا المشايخ (من ٥٦)

رسائل يوحنا الرسول (يو)

نحن ابناء الله . . . نعلم انهُ اذا ظهر . . سنعاينهُ كما هو (١ يو ٣ : ٢)

لا تكن محبَّتكم بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحقّ (١ يو ٣ : ٨) = وفي انجيلهِ (١٧ : ٢٣) : مَن احبَّني يحفظ كلمتي

من يعمل الخطيئة فهو من ابليس . . . ولهذا ظهر ابنُ الله لينقض اعمال ابليس (١ يو ٣ : ٨)

الحديث

انكم سترَون ربَّكم يوم القيامة عيانًا (من ٤٥)

من احبّ الله حفظ وصيَّتهُ — قال الشاعر:
اذا نُدبوا للقول قالوا فأحسنوا
ولكنَّ حُسْن القول خالفهُ الفعلُ

كلّ بني آدم يطعنهُ الشيطان في جنبَيهِ باصبعهِ حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعنَهُ فطُعن في الحجاب (جس ٣١٩)

كتاب رؤيا يوحنّا الرسول

اني كلّ من أُحبُّهُ اوبخهُ واؤدّبهُ (رؤيا ٣ : ١٩)ومثلهُ في الرسالة الى العبرانيين(١٢ : ٦) وفي سفر الامثال (٣ : ١٢) : انّ الذي يحبُّهُ الربّ يؤدبهُ

طوبى للاموات الذين يموتون في الربّ . . . لأن اعمالهم تابعة لهم (رؤيا ١٤ : ١٣)

(السماء) لا يدخلها شيء نجس ولا فاعل الرجس (رؤيا ٢١ : ٢٦)

انا الاوّل والآخر كنتُ ميتاً وها انا حيّ . . . ولي مفاتيح الموت والجحيم (رؤيا ١ : ١٨) = انا الألف والياء البداءة والنهاية (١ : ٨)

الحديث

اذا احبّ الله عبدًا ابتلاهُ (جس ٢٣) =
اذا اراد الله بقوم خيرًا ابتلاهم (من ٨) =
انّ عظم الجزاء مع عظم البلاء وانّ الله اذا احبّ قوماً ابتلاهم (جس ١١٩)

انّ ممّا يلحق المؤمن من عملهِ وحسناتهِ من بعد موتهِ علماً نشرَهُ وولدًا صالحًا تركهُ . . وحياتهُ تلحقهُ من بعد موتهِ (جس ٢١٥)

تنظّفوا فانهُ لا يدخل الجنّة الّا نظيف (جس ١٠٣ و ١٦٣)

انمّا بُعثتُ فاتحًا وخاتمًا (جس ١٣٤) =
أُعطيتُ فواتح الكلام وجوامعهُ وخواتمهُ (جس ٦١) = كنتُ اوّل الناس في الخَلْق وآخرهم في البَعْث (من ١١٥) : انيّ أُعطيتُ مفاتيح خزائن الارض (بخاري ٢ : ٨٦)

الفصل السابع

في الخطابة النصرانيّة بين عرب الجاهليّة

بعد كلامنا عن المفردات النصرانيّة في لغة عرب الجاهليّة واعلامها وامثالها وحكمها يقتضي ان نبيّن نفوذ هذا الدين بينهم بما هو ادلّ على آدابهم . وليس اكثر دلالةً على ذلك من فنّ الخطابة

قد افتخر العرب في كلّ اجيالهم بمقدرتهم على البلاغة والتبسُّط في الكلام وقوّة العارضة حتّى انّهم لجهلهم آداب ما سواهم من الشعوب كاليونان والرومان نسبوا الى قومهم الامتياز بفنّ الخطابة دون سواهم . ومهما كان من الصحّة في هذا الادّعاء لا مراء في انّهم عُرفوا في كلّ آن بذلاقة اللسان وطلاقة الكلام

فيا تُرى ماذا كان مبلغ نصارى العرب في هذا الفنّ وهل بقي شيءٌ من آثارهم المنبئ ببلاغتهم الخطابيّة بين اهل جلدتهم

فقبل الجواب على هذا السؤال لا بدّ من تقديم ملحوظين: الاوّل انّ ما بلغنا من خطب عرب الجاهليّة لم يُجمع الّا بعد الهجرة بعدّة مديدة فدوّنهُ الرواة في القرن الثاني للاسلام. فمن البديهي انّ كثيرًا من تلك الآثار الخطابيّة قد ضاع بطول الزمان وآفة النسيان او لم يبلغنا منهُ الّا نُتَف قليلة لا تكفي لأن نبني عليها الحكم الصواب في مقدرة نصارى العرب على القاء الخطب

الملحوظ الاخر انّ الرواة الذين رووا تلك المقاطيع كانوا من أهل الاسلام لا يهمّهم كثيرًا الاشارة الى دين خطباء العرب في الجاهليّة وكلّهم في مظنّتهم من اهل الشرك لا يختلف في عرفهم النصرانيّ عن اليهودي او الوثني

فلم يبقَ لكشف القناع عن الحقيقة الّا ان نجري على الاستقراء والدلائل التي سبق لنا جمعها في الفصول السابقة للتمييز بين النصارى والمشركين واثبات ما يمكن استخلاصهُ لبيان علمهم بالخطابة فنقول:

معلوم انّ الخطابة على اختلاف اغراضها من تثبيت ومشورة ومشاجرة على قسمين كبيرين دينيّة ومدنيّة. وفي كليهما آثار باقية تدلّ على امتياز النصارى فيهما على عهد الجاهليّة وأوّل ظهور الاسلام

١ الخطابة الدينيّة بين نصارى عرب الجاهليّة

بيّنا في فصول مطوّلة سبقت لنا في القسم الاوّل من هذا الكتاب كم كانت النصرانيّة منتشرة في انحاء العرب فتتبّعنا كلّ جهات جزيرتهم واثبتنا قولنا استنادًا الى المؤرخين القدماء من يونان ورومان وسريان معاصرين ثم عرب كتبوا بعد الاسلام بقليل. هذا فضلًا عن الآثار الحجريّة في الحميريّة والآثار الفنيّة المختلفة. فان كان الامر كذلك يلزم القول بانّ الخطابة الدينيّة كانت شائعة بين تبعتها لأنّ الديانة النصرانيّة تنتشر عادةً بالتعليم الشفاهي اذ قال السيّد المسيح لرسله (متى ٢٨: ١٩—٢٠): «اذهبوا وتلمذوا كلّ الامم ... وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم بهِ» فلا يجوز استثناء المبشرين بالنصرانيّة بين العرب من هذا الحكم. ولا سيَّما أنهم كانوا شيّدوا بينهم كنائس عديدة واقاموا لهم اساقفة وكهنة وشمامسة كما قرّرنا ذلك بالشواهد. وهؤلاء كلّهم في مقدّمة واجباتهم الارشاد والخطابة في عقائد الدين

ليرسخوها في عقول رعاياهم ويثبتوها للخوارج وللطالبين التديُّن بالنصرانيَّة . فليت شعري ماذا بقي من تلك الآثار الطيّبة والخطب او الميامر . ولا ننكر انَّ اللغة الكنسيَّة كانت في بعض جهات العرب الكلدانيَّة او اليونانيَّة الَّا انَّهُ كان للغة العربيَّة حصَّتها ايضاً في النواحي التي كان اهلها من اصل عربي محض كاليمن والحجاز وبين عرب المدر الساكنين في الخيم حيث كان يسكن بينهم اساقفة يتنقَّلون معهم في مناجعهم كما صرَّحت الآثار الكنسيَّة والمجامع الدينيَّة بذلك ودوَّنَا اقوالهم

وممَّا عرَّض الى الفقدان تلك البقايا الجليلة انَّ الخطَّ العربيَّ الذي علَّمهُ النصارى لاخوانهم العرب كما أيَّدنا ذلك بالشواهد لم يكن بعد انتشر انتشارًا كافياً ليحفظ ذلك القلمُ الحديث كنوزَهم الادبيَّة . ولمَّا جاء الاسلام اتَّجهت الافكار الى الدين الجديد وجعلوا القرآن الكلَّ في الكلِّ لفوز ذويهِ بقبائل العرب

هذا مجمَل ما يقال عن الخطابة الدينيَّة النصرانيَّة ولكنَّنا لم نيأس من التقاط بعض الحبوب من تلك السنابل المحصودة وبعض الفتات من تلك الموائد الفاخرة . فمن ذلك خطيبٌ دينيٌّ شاع اسمهُ في بطون بلاد العرب وانجادها اجمع كلُّ اهل البادية من حضر ومدر على انهُ كان آيةً في البلاغة الخطابيَّة نريد بهِ قسّ بن ساعدة الذي يدلُّ مجرَّد اسمهِ على نصرانيَّتهِ وضُرب بهِ المثل في اساليب البيان . ولو لم يكن في جزيرة العرب غير قسّ اشتهر في البلاغة والخطابة لكفى النصارى بهِ فخرًا . اما ما يُروى عنهُ تأييدًا لهذه السمعة العظيمة فأسطُر قليلة نقلناها في كتابنا شعراء النصرانيَّة (ص ٢١٢ — ٢١٣) وهناك اخبار رويناها على علَّاتها تثبت رفعة مقامهِ بين العرب لكنها لا تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا . وكذلك اخبارهُ المرويَّة عن كتَبة العرب فانَّها اقربُ الى اساطير الاوَّلين وخرافات الاقدمين فيقول الرواة هناك انهُ ادرك زمن بقايا الحواريّين ورأسهم سمعان الصفا وانهُ عاش ستّمائة بل سبعمائة سنة (ص ٢١٦) وانَّهُ بشَّر بمجيءُ نبي المسلمين وانَّ محمَّدًا رآهُ في سوق عكاظ يخطب على جمَل لهُ أورَق (راجع الشرشي ٢ : ٢٧٥) واشياء أخرى اقرب الى الترَّهات منها الى صحيح الروايات . ولعلَّهم اصابوا بقولهم انَّهُ «كان اسقفاً على نجران وانهُ كان زاهدا في الدنيا يلبس المسوح ويتبع السيَّاح على منهاج المسيح» وكذلك قولهم انهُ «كان يتَّكئ على عصا في خطبهِ» (لا سيفاً كما روى البعض) . فان اساقفة النصارى

يسكون في ايـديهم عكّازًا وهم يخطبون • وخلاصة الكلام انّ قسًّا كان خطيبًا مصقعًا اثّر كلامهُ البليغ في قلوب العرب حتّى نسبوا اليه من الاقوال والاعمال ما يردّه النقد الصحيح ولا يقبلهُ الذوق السليم • وها نحن نروي ثلث خطب من خطبه فاتنـا ذكرُها في شعراء النصرانيّة لا تأييدًا لصحّتها بل اعلانًا بما تناقلهُ العرب عن قسّ غثًّا كان او سمينًا وهذه الخطب وجدناها في التذكرة الحمدونيّة (نسخة باريس الخطّيّة ص 84v)

أيها الناس الحِلم شرف والصبر ظفر والجود سرور والمعرفة كنز والجهل سفَه والعجزُ ذلّة والحرب خُدعَة والظفر دُوَل والايّام عِبَر والمرء منسوب الى فعلهِ مأخوذ بعملـهِ فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد واستشعروا الجدّ تفوزوا بهِ ودَعُوا الفضول يجاريكم السفهاء وأكرموا الجلوس يعمر ناديكم وحاموا عن الحقيقة يُرغَب في جواركم وأنصفوا مَن أنفكم يرفق بكم وعليكم بمحاسن الاخلاق فانها رفعة وإيّاكم والاخلاق الدنيّة فانها تضع الشرف وتهدم المجد

(خطبة) ايها الناس شارفوا بابصاركم في كرّ الجديدين ثم أرجعوها كليلةً عن بلوغ الامل فان الماضي عظة للبـاقي ولا تجعلوا الغرور سبيل العجز فتنقطع حجتكم في موقف الله سائلكم فيه ومحاسبكم على ما اسلفتم • ايها الناس امس شاهد فاحذروهُ واليوم مؤدب فاعرفوهُ وغدًا رسول فاكرموهُ وكونوا على حَذَر من هجوم القدَر فان اعمالكم تطلق ابدانكم والصراط ميدان يكثر فيه العثار فالسالم ناجٍ والعاثرُ في النار

(خطبة) اتقوا عباد الله وانتم في مَهل بادروا الأجل ولا يغرّنّكمُ الامل فكأن بالموت وقد نزل فشغلت المرءَ شواغلهُ وتركت عنهُ بواطلهُ وهيأت أكفانهُ وبكاهُ جيرانهُ وصار الى المنزل الخالي بجسده البالي قد فارق الرفاهية وعـاين الداهية فوجهُهُ في التراب عفير وهو الى ما قدَّم فقير

هذه كما ترى حِكَمٌ اكثر منها خطب • والعجب انّ الكتبة السريان المعاصرين الذين استفدنا من تواريخهم عدّة اخبار عن العرب لم يأتوا بذكر قسّ بن ساعدة

على انّهم ذكروا خطيبًا آخر وكاتبًا بليغًا اشتهر بالكوفة في القرن الاوّل من الاسلام وكان اسقفًا على نصارى الكوفة وعاقولاء يُدعى جرجس اسقف العرب • فهذا كان متعمّقًا في درس كتب اليونان ونقل قسمًا منها كاورغنون ارسطوطاليس وكتب شروحًا على الاسفار المقدّسة ولهُ عدّة خطب وميامر لم تزل بين مخطوطات عواصم اوربّة كلندن وباريس وورومية يتّضح منها ما اتّصف بهِ جرجس اسقف العرب من العلم والبلاغة في الخطب الدينيّة • بيد انّ هذه الآثار كلّها لم تبلغ الينا الّا بالسريانيّة • ومن المحتمل انّ عربيّتها ضـاعت فبقيت ترجمتها السريانيّة • كانت وفاة

جرجس المذكور في اواخر القرن الاوّل للهجرة

وممَّن يجب نَظمهم في سلك خطباء النصرانيّة اولئك السيّاح والرهبان الذين تكرَّر ذكرهم في الشعر العربيّ المرويّ سابقاً فانَّهم لم ينقطعوا فقط الى الصلاة والزهد بل كثيرًا ما كانوا يختلطون بالعرب ويدعونهم الى نبذ اديانهم الباطلة ويرشدونهم الى الصلاح بالخطب والمواعظ . كما ورد في تراجم البعض منهم كالقديس هيلاريون والقديس افتيموس بين عرب الشام والقديس جرجنسيوس رسول عرب اليمن وموسى رسول الغسّانيين وغيرهم كثيرين سبق ذكرهم . فينبغي اذن القول بان الخطابة النصرانيّة الدينيّة قد ازهرت بين العرب كما ازهرت بين غيرهم من الامم وان لم تبلغ الينا صورتها بسبب آفات الزمان وكوارث الحدثان

٢ الخطابة المدنيّة بين نصارى الجاهليّة

ان كانت الآثار الدينيّة من خطب نصارى الجاهليّة الباقية الى عهدنا نزرةً قليلة فكان أملنا في جمع مآثرهم المدنيّة اعظم لتكلّف الرواة بما هو اقرب الى اخلاقهم وافكارهم . الَّا انَّهم ما رووهُ منها لا يكاد يستحقُّ الذكر او هو فصول حكميَّة ليست خطباً وُضعت للإقناع والإمتاع كما لا يُخفى هو غاية الخطيب ومحور الخطابة

ولكن اذا كانت الخطب المرويَّة لا يكاد يُعبأ بها انَّا نجد في مآثر العرب ما يثبت شيوع الخطابة بين القبائل النصرانيَّة . واوَّل هذه القبائل واقدمها قبيلة اياد التي روينا اخبارها واثبتنا تنصُّرها (ص ٧٥ – ٧٦ و ١٢٤) عن عدَّة كَتَبة . ومنها كان قس بن ساعدة الاياديّ المارّ ذكرهُ . فاياد هذه نسب اليها قدماء العرب البراعة في الخطابة لنا على ذلك شاهد حسن في مديح الشعراء لاياد وذكرهم لخطبائها منها قول الشاعر في وصف خطبهم :

يَرْمون بالخطب الطوال وتارةً وَحْيَ الملاحظ خيفةَ الرُّقباء

وصفهم بتطبيق خطبهم على مقتضى الحال تارةً بالطول والتصريح وتارة بالوجازة والكناية والاشارة . وقال احدهم يرثي ابا دوَّاد بن جرير الايادي :

نعى ابنَ جريرٍ جاهلٌ بمُصابهِ فعمَّ نزارًا بالبُكا والتحوُّبِ
نعاهُ لنا كالليث يحمي عرينَهُ وكالبدر يُعشي ضوءُهُ كلَّ كوكبِ

واضرَبُ من حدّ السنان لسانُهُ وامضى من السيف الحُسام المشطَّبِ
زعيمُ نزارٍ كلّها وخطيبُها اذا قال طأطا رأسَهُ كلُّ مُشغِبِ
سليلُ قرومٍ سادةٍ ثم قالةٍ يبزّون يوم الجمع اهلَ المُحَصَّبِ
كقسّ ايادٍ او لقيط بن معبدٍ وعذرةَ والمِنطيق زيدِ بن جندُبِ

فأثنى الشاعر على ابي دؤاد الايادي واطرأ بلاغتهُ في الخطـابة ثمَّ ذكر اربعةً غيرهُ كلهم خُطباء وكلهم من اياد . ذكر لقيطَ بن يَعمُر الايادي الذي انذر قومهُ غزوَ كسرى لهم وارسل اليهم قصيدتهُ العينيَّة التي هي خطبةٌ بليغة حاكت في صدورهم فنجوا من عدوّهم . ومنها قولهُ :

أبلغ ايادًا وخلّلْ في سُراتهم انّي أرى الرأيَ إن لم أُعصَ قد نَصَعا
يا لَهفَ نفسيَ ان كانت اموركمُ شتّى وأُحكمَ امرُ الناسِ فاجتمعا
ألّا تخافونَ قومًا لا أبا لكمُ امسوا اليكم كامثالِ الدَّبي سُرُعا
ما لي اراكم نيامًا في بُلَهنيَةٍ وقد ترَونَ شهاب الحربِ قد سطعا
صونوا جيادَكُمُ واجلوا سيوفكمُ وجدّدوا للقسيّ النَّبل والشُّرُعا
يا قومُ لا تأمنوا ان كنتمُ غُيُرًا على نسائكمُ كِسرى وما جمعا
وقلّدوا امركم للهِ درّكمُ رحبَ الذراعِ بأمر الحرب مُضطلعا
لقد بذلتُ لكم نُصحي بلا دَخَلٍ فاستيقظوا انَّ خيرَ العلم ما نَفَعا
هذا كتابي اليكم والنذيرُ لكم لمن رأى رأيَهُ منكم ومَن سمعا

وهي طويلة بليغة . وفيها كما ترى كلّ صفات الخطابة الحماسيَّة . وقد ذكر في مطلعها بيَع قومهِ النصارى

امّا الخطيب الثاني المذكور فهو عُذرة بن حجرة الخطيب الايادي الذي وصفهُ الشاعر وشبَّهُ بقس بن ساعدة بقولهِ :

فانَّك ضحّاكٌ الى كل صاحبٍ وانطقُ من قسٍ غداةَ عُكاظها

لكنَّ آثارهُ الخطابيَّة مجهولة . ومثلهُ زيد بن جُندب المنعوت بالمِنطيق اي الخطيب المفوَّه البليغ فانَّ خطبهُ لم تبلغ الى يدنا . ويروى عنهُ انهُ كان خطيباً وشاعرًا معاً

وكما اشتهرت اياد في الخطابة بين قبائل العرب كذلك قرنوا بها قبيلة تميم وهي ايضاً من القبائل التي غلبت عليها النصرانيَّة كما دلَّت اليه كتبة العرب (راجع الصفحة ١٢٦ من كتابنا) . فمن خُطبائهم اكثم بن صيفي بن رباح التميمي . قال ابن نباتة في كتابهِ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون (ص ١٢) انهُ « اشهر حكّام

العرب في الجاهليّة وحكمائهم وخطبائهم » وقد جمعوا من كلامهِ حكماً وامثالاً ووصايا لقومهِ منها قولهُ :

يا بني تميم لا يفوتنّكم وعظي ان فاتكم الدهرُ بي . يا بني تميم إنّ مَصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومَن سلك الجدّ أمن العثار . ولن يعدم الحسود ان يُتعب فكرهُ ولا يجاوز ضرُّهُ نفسهُ والسكوت عن الاحمق جوابهُ . . . .

ومما رُوي لأكثم خطابةُ لكسرى لمّا اوفَدهُ اليهِ النعمان بن المنذر (اطلب عقد الفريد لابن عبد ربّهِ ١ : ١٢٧) قال :

« انّ افضل الاشياء أعاليها وافضل الخطباء اصدقها . الصدقُ منجاة والكذبُ مَهْواة . والشرُّ لجاجة والحزمُ مركبٌ صعب والعجز مركبٌ وطيٌ . آفةُ الرأي الهوى والعجزُ مفتاح الفقر وخير الامور الصبر . حسنُ الظنّ ورطة وسوء الظنّ عصمة . اصلاح فساد الرعيّة خير من اصلاح فساد الراعي . مَنْ فسدت بطانتهُ كان كالغاصّ بالماء . شرُّ البلاد بلاد لا امير بها . شرُّ الملوك من خافهُ البريءُ . . . خير الاعوان من لم يُراء بالنصيحة . احقُّ الجنود بالنصر من حَسُنت سريرتُهُ . حسبُك من شرّ سماعهُ »

ومن اقوالهِ ما اوصى بهِ اولادهُ ليبقوا متحدين وضرب لهم مثل السهام المجتمعة :

كونوا جميعاً يا بنيّ اذا اعترى خَطْبٌ ولا تتفرّقوا آحادا
تأبى القداحُ اذا اجتمعنَ تكسُّرًا واذا افترقنَ تكسّرت افرادا

ومن خطباء تميم النصارى حاجب بن زرارة اثنى العرب على بلاغتهِ واوفدهُ النعمان ايضاً الى كسرى فخطب امامهُ مدافعاً عن العرب مستعطفاً لرضاهُ عليهم (العقد الفريد ١ : ١٢٧) :

« وَرَى زندُكَ وعلت يدُك وهيبَ سلطانُكَ .. انّ العرب امّةٌ قد غلظت اكبادُها واستحصدت مرَّتها ومُنعت دَرَّتها . وهي لك وامقةٌ ما تألّفتَها مسترسلةٌ ما لاينتَها سامعةٌ ما سامحتَها وهي العلقمُ مرارةً وهي الصابُ غضاضةً والعسلُ حلاوةً والماء الزلالُ سلامةً . نحنُ وفودها اليك وألسِنتُها لديك ذمّتُنا محفوظة واحسابُنا ممنوعةٌ وعشائرنا فينا سامعة مطيعة . أن نؤوب لك حامدين خيرًا فلكَ بذلك عموم محمدتنا وأنْ نُذَمّ لم نخص بالذمّ دونها »

ومن خطباء تميم الذين ذكرهم ايضاً العرب في اواخر الجاهليّة واوائل الاسلام الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وعدُّوهما مع عطارد بن حاجب من اكابر السادات وبلغاء الخطباء وذكروا دخولهم على نبي الاسلام وكلامهم بحضرتهِ (اطلب الاغاني ٤ :

١٠ ـــ ١٢) وهو لا يدلّ على كبير امرٍ لا لفظاً ولا معنًى اذ لم يدوّنهُ كاتبٌ وقت القائه وانّما رُوي بعد نيّف ومئة سنة . ويصحّ هذا في اساقفة نجران الوافدين على محمّد كما ذكرهم ابن سعد وصاحب الاغاني وغيرهما ,فلا يمكنّا ان نبدي حكماً في عارضتهم نظرًا للقليل المصنوع المروي عنهم . وكذا قُل ايضاً عن بقيّة خطباء العرب الذين اشتهروا بالخطابة فبقيت اسماؤهم وضاع كلامهم . وانّما ثبت قولنا انّ الخطابة النصرانيّة دينيّةً كانت او مدنيّةً بلغت في الجاهليّة مَقاماً رفيعاً شهد لهُ التاريخ وان فُقد معظم آثارها

الفصل الثامن

في التاريخ النصرانيّ بين عرب الجاهليّة

انّ ما قيل في آثار الخطابة بين نصارى العرب في عهد الجاهليّة يصحّ في آثارهم التاريخيّة فانّها قليلة جدًّا كأنّ العرب ظلّوا في جزيرتهم معتزلين عن بقيّة الشعوب المسيحيّة لم يعرفوا منها شيئاً . وليس الامر كذلك كما سترى وانّما سبب ندرة هذه المآثر انّ اهل الجاهليّة لم يدوّنوا معارفهم في بطون الدفاتر لقلّة انتشار علم الخطّ بينهم فصحّ فيهم قول المثل « كلُّ علم ليس في القرطاس ضاع »

ويُضاف الى هذا السبب سببٌ آخر وهو قلّة اكتراث الرواة المسلمين لتدوينها حين باشروا بجمع آثار الجاهليّة في القرن الثاني للهجرة . فكان حينئذٍ معظمُ همّتهم ان يرووا ما يسمعونهُ من عرب الحضَر والمدَر من الشعر الجاهليّ والمفردات اللغويّة والامثال والحكم وما اشبه ذلك . امّا ما عرفهُ اجدادهم من تاريخ النصرانيّة فلم يعيروهُ بالًا

على انّنا لو نقّبنا في الامر ودقّقنا النظر في تلك المرويّات السالمة من تيّار الحروب الاسلاميّة لوجدنا انّ عرب الجاهليّة عرفوا اشياء كثيرة من تاريخ النصرانيّة واثبتوا بذلك شيوعها في ظهرانيهم

١ واوّل دليل الى قولنا معرفتهم بالاسفار المقدّسة من العهد القديم ليست

الاوّليّة فقط الشائعة عند اليهود بل الثانويّة ايضاً التي وردت في النسخة السّبعينيّة وكان النصارى يعتبرونها كمنزلةٍ بالوحي الالهي مثل الاوّليّة . فمن راجع ما نقلناهُ سابقاً في الفصلين الثاني والرابع من هذا الجزء وما ورد فيهما من اخبار العهد العتيق في شعر اميَّة بن ابي الصلت وعديّ بن زيد وزيد بن عمرو بن نوفل وغيرهم تحقَّق انَّ عرب الجاهليَّة اطَّلعوا بفضل النصرانيَّة على كلّ اخبار التاريخ المقدَّس قبل المسيح

٢ وفي ذينك الفصلين بابٌ آخر يثبت معرفة اهل الجاهليَّة بتاريخ العهد الجديد ايضاً اعني اخبار السيّد المسيح واعمالهُ وانجيلهُ ومجيئهُ في آخر الازمان ليدين العالم . وورد مثل ذلك في القرآن والحديث كما روينا سابقاً . وكلُّهُ يشهد على معرفة العرب بزبدة تاريخي العهد القديم والعهد الجديد معاً

٣ وممَّا يُستفاد من فصولنا السابقة ولاسيَّما ما اوردناهُ من الشعر الجاهليّ انَّ العرب قبل الاسلام عرفوا ايضاً حقّ المعرفة : ١ً رُسُلَ المسيح وحواريّيه وامَّهُ مريم البتول الطاهرة ويوحنّا المعمدان السابق امام وجههِ وبعض المبشّرين بهِ في بلادهم من تلاميذهِ . ٢ً كنيسةَ المسيح ونظامها من بطاركة واساقفة وكهنة وشمامسة . ٣ً رُهبانَ النصارى واديرتهم وصوامعهم وقلاليّهم ومناسكهم في اعلى الجبال وسُرُجهم المتّقدة ليلاً وعيشتهم الشظفة . ٤ً بِيَعَ النصارى ومعابدهم وما تمتاز بهِ من هياكل ومحاريب ومنابر ومنارات ومصابيح وصلبان وصُوَر ودُمى ونواقيس . ٥ً أسرار النصارى وخصوصاً المعموديَّة والقربان الاقدس والذبيحة الالهيَّة المقدَّسة تحت شكلَي الخبز والخمر . ٦ً اعياد النصارى كالدنح (الغطاس) والسباسب (الشعانين) وخميس العهد والفصح والسُّلَّاق (الصعود) . ٧ً عادات النصارى في صومهم وصلواتهم وطوافهم حول الكنائس وحجّهم الى القدس الشريف وملابسهم الخاصَّة . ٨ً امتياز احبارهم وعلمائهم بعلم الكتابة وبنقل المصاحف الدينيَّة من توراة وزبور وانجيل مع تنميقها ووَشْيها بالرسوم وضروب النقوش الملوَّنة . فكلّ هذه المعلومات تقوم مقام سِفر جليل ينبئنا بشيوع التاريخ المسيحيّ بين عرب الجاهليَّة

٤ وقد اورثنا نصارى العرب فوائد تاريخيَّة جمَّة منها ما نُقل عنهم بالتقليد في اقدم التواريخ الاسلاميَّة كالطَّبري يؤخذ منها خبر دخول النصرانيَّة بين عرب العراق والشام وانتشار الدين المسيحيّ في جهات اليمن قبل وبعد استيلاء الحبش

عليها . ومنها كتابات حجريَّة رُقمت على الصخور بالقلم المسند الحميريّ فاكتشفها السيَّاح في ايَّامنا واشرنا اليها في مقالاتنا السابقة وممَّا ورد في مضامينها ذكر سدّ مأرب والسيل العرم . ومنها عاديَّات خلَّفتها الامم السالفة كبعض القصور التي ينسبها العرب الى قدماء النصارى وبعض البِيَع مثل كنيسة صنعاء المعروفة قديمًا بالقُلَّيس التي صبرت بعض آثارها على آفات الدهر او كمثل كعبة نجران وغير ذلك ممَّا يُتَّخذ حجَّة لنسبة المعارف التاريخيَّة وغيرها اليهم

٥ وممَّا وقف عليهِ العرب من اخبار الكنيسة ذكر بعض شهدائها كالقديس جرجس الشهيد الذي شاع بين العرب اسمهُ ومنهم مَن دعاهُ بالخضر . ويشهد على انتشار اكرامهِ في جهاتهم ان اقدم الكنائس النصرانيَّة التي بُنيت على اسمهِ انما شُيّدت سنة ٣٦٧ في مدينة شقَّة من اعمال حوران (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٣٨٧)وقد تكرَّر اسمهُ في الكتابات اليونانيَّة المكتشفة هناك. ومثلهُ القديسان الشهيدان سرجيوس وباخوس المكرَّمان بين العرب في الرصافة والرقَّة وجهات الفرات . وكان بنو تغلب اتَّخذوا صورة الاوَّل كراية تتقدَّمهم في الحرب (ديوان الاخطل ص٣٠٩)قال :

لمَّا رأونا والصليبَ طالعا ومار سرجيسَ وسمًّا ناقعا
وابصروا راياتنا لوامعا خلَّوا لنا راذانَ والمزارعا

وقد ذكرنا سابقًا انَّ اوَّل اثر من الخطّ العربيّ قد كُتب سنة ٥١٢ للمسيح اي ١١٠سنوات قبل الهجرة على مشهد القديس سرجيوس في زَبد وصوَّرنا هناك صورتهُ (الجزء الاوَّل ص ٢٠٣–٢٠٤) . والاثر الثاني من الخطّ العربي يرقى الى السنة ٥٦٨ م وُجد في حران مُن اعمال حوران كُتب على مَشهد أُقيم تذكارًا للقديس يوحنَّا المعمدان المكرَّم هناك

وكذلك اصحاب الكهف وهم شهداء أفسس الذين رُوي عنهم انَّهم هربوا من وجه المتعصب في عهد دقيوس قيصر فالتجأوا الى كهف اي مغارة وظلُّوا فيها نائمين السنين الطوال حتَّى افاقوا من سُباتهم باذن الله وصاروا آيةً للقيامة . وقد ورد ذكرهم في القرآن وفي شعر اميَّة بن ابي الصلت كما ورد ذكر اصحاب الاخدود اي شهداء نجران الذين القاهم ملك اليمن اليهودي ذو نوَّاس في أتون النار (راجع سورة البروج في القرآن) —وذكروا تاريخ حبيب النجَّار زعموا انهُ رافق تلاميذ المسيح

الى انطاكية وساعدهم في نشر دينهِ بين اهلها

٦ امَّا التاريخ المَدَنيّ فقد عرف منهُ نصارى العرب نُتَفاً لاسيَّما تاريخ الامم المجاورة للعرب من فرس وحبش ورومان . فمن ذلك ما انشدهُ امية بن ابي الصَّلت في محاربة سيف بن ذي يزن للحبش بمساعدة الفرس وطردهم من جزيرة العرب (راجع في شعراء النصرانيَّة لاميَّتهُ ص ٢٣١) التي اوَّلها :

ليطلب الوِتْرَ امثالُ ابنِ ذي يَزَنٍ في البحر خيَّم للاعداء احوالا

وربَّما ذكروا ملوك الروم باسمهم العام « قيصر » كقول امرئ القيس عند رحلتهِ الى حاضرة ملوك الروم يستنجدهم على قَتَلة ابيهِ :

بكى صاحبي لمَّا رأى الدرب دونهُ وايقَنَ انَّا لاحقانِ بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُك انَّما نحاول ملكاً او نموتَ فنُعْذَرا

وخصُّوا بالذكر بعضهم كمُورِق اي موريقيوس قيصر . قال الكندي يذكر بعض مَن فتك بهم الدهر (حماسة البحتري ع ٣٨٣)

وأَصبْن أَبرهَة الذي سجدتْ لهُ صُمُّ الفيول صواتناً لم تَنطِقِ
وأَجَبْنَ كسرى وابن كسرى بعدَهُ والمرءَ قيصرَ وانتَحَيْنَ لمُورِقِ

وكذلك ذكروا منهم هِرَقْل او هِرَقَل . قال لَبيد (ديوانهُ ص ٣٥) :

غلب الليالي مُلْكَ آلِ محرِّقٍ وكما فَعَلْنَ بتُبَّعٍ وبِهِرَقْلِ

امَّا ملوك العجم فقد ذكروا معظم اسماء ملوك سلالتهم الساسانيَّة مثل كسرى وسابور وازدشير وهرمز

٧ ومن المرويَّات العديدة التي نقلها اوَّل كتبة الاسلام على علَّاتها فاثبتوها باسانيدها الى بعض اهل الكتاب من نصارى ويهود ممَّا لا يخلو منهُ تأليف واحد من تآليفهم القديمة وربَّما اشار اليها القرآن او نقل عنها الحديث يظهر انَّهُ شاعت في جزيرة العرب مصنَّفات شتَّى معظمُها لبعض المبتدعين او لكتبة مجهولين لا صفة لهم رسميَّة في الكنيسة . وقد بقي منها اشياء في قصص الانبياء للثعلبي وغيرهِ . وفيها الغثّ والسمين . ومن هذه التآليف ما ورد ذكرهُ في الشعر القديم ولا نعلم من امرهِ شيئاً كقول بشر بن ابي خازم وقيل الطرمَّاح في كتاب بني تميم (المفضَّليات ص ٦٧٦) :

وجدنا في كتاب بني تميمٍ احقُّ الخيلِ بالرَّكض المُعارُ

وكانت بعض هذه التآليف مكتوبة بالسريانيَّة او الحبشيَّة فوقف على مضامينها

العرب ونقلوا اشياء منها خصوصاً من كتاب « مغارة الكنوز » المنسوب زورًا الى القديس افرام . وكان في هذه الكتب الصحيح والسخيف فلم يفرز العرب العليل من السالم

هذا ما استطعنا استخلاصهُ من الآثار الباقية فهو مع قلّتهِ شاهد صادق على ما توخّينا اثباتهُ عن شيوع التاريخ المسيحيّ عند قدماء العرب

الفصل التاسع

التعاليم الفلسفيّة واللاهوتيّة بين نصارى الجاهليّة

اثبتنا في مقدّمة ابحاثنا عن النصرانيّة وآدابها في عهد الجاهليّة انّ العرب كانوا مشركين كبقيّة الامم ما خلا الشعب الاسرائيليّ وانّهم عبدوا الاصنام قبل التاريخ المسيحي وفي القرون الاولى بعدهُ وان اختلف شركهم بعض الاختلاف في جنوب جزيرتهم وشمالها وغربها

امّا الآثار المتأخرة الباقية من القرن السادس واوائل السابع للمسيح فعلى خلاف ذلك فانّها الى التوحيد اقربُ منها الى الشرك بل لا تكاد تجد في الشعر الجاهليّ المجموع في ذلك العهد اثرًا للشرك اللهمّ الّا بقايا قليلة لا يُعبأ بها

وعندنا انّ هذا الانقلاب انّما كان سببهُ شيوع النصرانيّة في ظهراني العرب كما بيّنّا ذلك بالشواهد المتعدّدة في القسم الاوّل من كتابنا . وان تقصّينا البحث في ما خلّفوهُ من الآثار وجدنا فيها من المبادئ الفلسفيّة والتعاليم اللاهوتيّة ما هو دليل لامع على قولنا

١ الفلسفة النصرانية في عرب الجاهلية

ليس احدٌ من قرّائنا ينتظر منّا ان نعدّد لهُ ما وضعهُ نصارى العرب في الجاهليّة من التآليف الفلسفيّة فانّ اهل الجزيرة قبل الاسلام وبعدهُ لم يشتهروا مطلقاً في النظريّات اذ كان همّهم الاعظم ان يعيشوا في مواطنهم عيشةً فطريّةً لا يزعجها ضنك الفكر ولا يخالطها التعمّق في غوامض الكون . وان قيل لنا ألاّ تحصي بين كبار فلاسفة العرب الرئيس ابن سينا والفارابيّ وابن رشد اجبنا انّهم اعاجم ليسوا عرباً . وان وُجد

بينهم افراد احرزوا لهم ذكرًا في ذلك كالكندي فانّهُ من باب الشذوذ

لكنّ الفلسفة لا تظهر فقط في المؤلّفات النظريّة بل ربّما ظهرت في مطاوي الكلام نثرهِ ونظمهِ حيث تلوح المبادئ التي يجري المرء بموجبها ويرتشد بنورها وذلك خصوصاً في فروعها الثلثة اعني بها علم الاله ثمّ علم النفس ثمّ علم الآداب والحقوق وكل ذلك متوفّر في آثار الجاهليّة كما سترى

﴿ ١ علم الاله الحقّ ﴾ يُثبت الفيلسوف بالبراهين العقليّة وجود الله ووحدانيّتهُ وخلقهُ للعالم وصفاتهِ الحسنى من قداسة وحكمة وعلم وقدرة وعدل وعناية بالمخلوقات وهذا كلّهُ تجدهُ في شعراء الجاهليّة الذين روينا اقوالهم في القسم الثاني (ص١٥٨—١٦٢) كقول زيد بن عمرو :

الى الله أُهدي مدحتي وثنائيا وقولاً رصيناً لا يني الدهرَ باقيا
الى الملك الاعلى الذي ليس فوقهُ إلهٌ ولا ربٌّ يكون مدانيا
رضيتُ بك اللهمَّ ربًّا فلن أُرى أدينُ الهًا غيرك الله ثانيا

وكقول قس بن ساعدة خطيب العرب :

الحمدُ للهِ الذي لم يخلقِ الخَلْقَ عَبَثْ

وكقول ورقة بن نوفل :

ادينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أُرى ادينُ لمن لا يسمع الدهرَ واعيا
اقول اذا صلّيتُ في كل بيعة تباركتَ قد اكثرتُ باسمك داعيا

وكقول عبد القيس بن الخُفاف (المفضّليات ص ٧٥٠ ed. Lyall) :

اللهَ فاتّقهِ وأوفِ بنذرهِ وإذا حلفتَ مماريًا فتحلّلِ

وكقول طرفة (شعراء النصرانيّة ٣١٩) :

لتُنقِبَنْ عنّي المنيّة انّ م اللهِ ليس لحكمهِ حكمُ

وكقول سويد بن ابي كاهل :

انّما يرفع اللهُ ومن شاء وضعْ

وكقول حاتم الطائي :

كُلُوا اليوم رزق الإلهِ وأيسروا فانّ على الرحمن رزقكم غدا

واقوال كثيرة لاميَّة بن ابي الصلت ولا سيَّما داليَّتهُ العجيبة التي اوّلها :

لك الحمدُ والنعماءُ والفضلُ ربَّنا فلا شيء اعلى منك حمدًا وامجدُ

وفيها يقول :

هو الله باري الخلقِ والخلقُ كلُّهُ إماءٌ لهُ طوعًا جميعًا واعبدُ

أُعجب بها نبيُّ الاسلام فقال لمّا سمعها من الشريد بن سويد : لقد كاد امية ان يُسلِم بشعرهِ (اطلب حياة الحيوان للدميري ٢ : ١٩٥)

فهذه واقوال غيرها كثيرة تثبت انَّ العرب في الجاهليّة عرفوا الاله الحقيقيّ ولا شكَّ بانَّ هذه المعرفة اتتهم من مبشّرين نصارى سبق لنا ذكرهم في تاريخ النصرانيّة بين العرب (اطلب القسم الاول)

﴿ ٢ علم النفس ﴾ كان لقدماء العرب قبل ان يستنيروا بنور الانجيل اراء باطلة في النفس واصلها ومصيرها فيهيمون بزاعمهم في كل وادٍ . فلمَّا هداهم الله الى الحقّ عدلوا الى ما هو اقرب الى الصواب فأقرّوا بخلود النفس وحرَّضوا على تُقَى الله وممارسة الاعمال الصالحة واشاروا الى ما ينتظر النفسَ من الحساب يوم الدين فتُجازى عن اعمالها ثوابًا او عقابًا . وهذا كلُّهُ مجمل ما يُستفاد من التعاليم الفلسفيَّة . فدونك بعض الشواهد على قولنا . اوردنا في شعر عديّ بن زيد (ص ٢٥٢) ما قال في تصوير الله للانسان ونفخهِ فيهِ من روحهِ . ولطرَفة قولهُ في عقل الانسان (شعراء النصرانيّة ص٣١٧) وما خُصَّ بهِ من الادراك :

للفتى عقلٌ يعيشُ بهِ حيث تَهدي ساقَهُ قدمُهُ

وقد ميَّزوا بين الروح الخالدة والجسد الفاني كقول ذي الرمّة مستغيثًا :

يا نازعَ الروحِ من جسمي اذا قُبضَتْ وفارجَ الكَرْبِ أنقذني من النارِ

واشاروا الى وقوف النفس امام الديَّان واداثها الحساب عن اعمالها والى جزائها خيرًا او شرًّا على موجب سلوكها . قال الحارث بن عِبَاد (شعراء النصرانيّة ٣٧٠) :

كلُّ شيءٍ مصيرُهُ للزوالِ غيرَ ربّي وصالحِ الاعمالِ

وقال مرَّة بن ذُهلٍ في مراقبة الله لاعمال البشر (فيهِ ص ٢٤٨) :

اللهُ للأقوام بالمرصادِ

وقال طرفة (فيه ٣١٧) :

وكيف يرجّي المرءُ دهرًا مخلَّدًا واعمالهُ عمّا قليلٍ تحاسبُهْ

وقال اميَّة بن ابي الصلت (القسم الاوَّل ص ١٦٨) :

يوقف الناس للحساب جميعًا فشقيٌّ معذَّبٌ وسعيدُ

وقال عديّ بن زيد :

أعاذِلَ من تُكتَبْ لهُ النارُ يَلْقَها كفاحًا ومَنْ يُكتَب لهُ الفوزُ يَسْعَدِ

ومثلهُ لزهيرٍ في معلقتهِ :

فلا تكتُمُنَّ الله ما في صدورِكم ليَخفَى ومَهما يُكتَمِ اللهَ يَعلَمِ
يؤخَّر فيوضع في كتابٍ فيُدَّخَرْ ليوم الحساب او يعجَّلْ فيُنقَمِ

وللبيد ايضاً :

وكلُّ امرئٍ يومًا سيُعلَمُ سعيهُ اذا كُشِفَت عند الإلهِ المحاصلُ

وكأنَّ حاتمًا الطائي (شعراء النصرانية ١٢١) نظم آية الكتاب «من يُعطِ الفقير يقرض الربّ» بقولهِ :

ولكنَّما يبغي بهِ اللهَ وحدَهُ فأعطِ فقد أربحتَ في البَيْعة الكَسْبا

واقوال عديدة مثلها تنطق بمعرفتهم لاحوال النفس والمعاد . وقد ذكرنا سابقاً (ص ٣٢) كيف ردَّ العلّامة اوريجانس بعض المبتدعين من العرب عن ضلالٍ سقطوا بهِ في امر النفس اذ زعموا انها تفنى كالجسد ثمَّ تُبعَث معهُ في الدينونة

(٣ علم الآداب والحقوق) مرجع هذا العلم أن يُعطى كلُّ ذي حقٍ حقَّهُ مع مراعاة الاحوال والمقامات من رؤساء ومرؤوسين وافراد وجماعات الخ . وبديهيّ ان احوال اهل البادية تختلف عن احوال سكّان المدن وسُنَنهم عن سُنَنِهم . ولشعراء الجاهليّة تأييدًا لهذه المبادئ الصحيحة اقوال لا تُحصى جمعها القدماء فنحيل اليها . منها حماسة البحتري الذي نشرناه منذ عهد قريب . قسمةٌ جامعةٌ على ١٧٤ بابًا تتناول معظم الآداب والاخلاق التي يتباحث بها الفلاسفة فيثبتون وجوبها وقوانينها وفقًا لتعاليم العقل واحكامهِ المصيبة . انظر مثلًا ما يقولهُ الافوهُ الاوديّ في النظام السياسي وحكم ارباب الامر (شعراء النصرانيّة ص ٧٠) :

لا يصلح الناس فوضى لا سَراةَ لهم ولا سراة اذا جُهّالهم سادوا
تُهدى الامورُ باهل الرأي ما صلحت فان تولّت فبالاشرار تنقادُ
اذا تولّى سراةُ الناسِ امرَهمُ نما على ذاك امرُ القوم فازدادوا

وهذا النابغة الذبياني يعزو الى الله سلطة الملوك حيث يقول للملك النعمان (شعراء النصرانية ٦٥٦) :

أَلَمْ ترَ انَّ الله أعطاك سُورةً ترى كلَّ مَلْكٍ دونها يتذبذبُ

وكلُّ اديبٍ يعرف خاتمة معلّقة زُهير وما في ابياتها الاخيرة من الحكم المبنيَّة على علم الاخلاق والآداب الاجتماعيَّة . ومثلها في معلَّقة الحارث بن الحلزة . ولطرفة يطالب بحقوق امّه وردة (شعراء النصرانية ٢٩٨) :

ما تنظرون بحقِّ وردةَ فيكمُ صَغُرَ البنونَ ورهطُ وردةَ غُيَّبُ
قد يبعثُ الامرَ العظيمَ صغيرُهُ حتَّى تظَلَّ لهُ الدماءُ تَصبَّبُ
قد يوردُ الظلمُ المبينُ آجِنًا مِلْحًا يُخالَطُ بالذعافِ ويُقْشَبُ
والاثمُ داءٌ ليس يُرجَى بُرؤهُ والبِرُّ برءٌ ليس فيهِ معطَبُ
أدُّوا الحقوقَ تَفِرْ لكم أعراضُكُمْ انَّ الكريمَ اذا يُحرَّبُ يغضَبُ

فهذه كلُّها اقوال من الفلسفة العقليَّة ابرزها عرب الجاهليَّة في صورةٍ شعريَّة

٢ التعاليم اللاهوتيَّة بين نصارى الجاهليَّة

اللاهوت كما هو معلوم اساسهُ الوحي سواءٌ كان مدوَّنًا في الاسفار المقدَّسة ام شائعًا بتعليم الكنيسة . وقد عرف نصارى العرب الوحي وكتبهُ وائمّتهُ الانبياء والرسل كما اثبتنا ذلك في الفصول السابقة (ص ١٧٩ — ١٩٠) . مثل قول الراهب ورَقة بن نوفل :

وجبريلُ يأتيهِ وميكالُ معهما من اللهِ وحيٌ يشرحُ الصدرَ مُنْزلُ

وقد ورد هناك ذكر التوراة والزبور والانجيل وبعض الانبياء والرسل كموسى وداود وسليمان ويونان . ومما اخذوهُ عن الوحي معلومات عديدة عن الله جلّ جلالهُ كتوحيدهِ وصفاتهِ العلويَّة . فانَّ منها ما يُستدَلُّ عليهِ بالوحي اكثر من القياس النظريّ والبرهان العقليّ . فايُّ فيلسوف مثلًا وصفهُ تعالى كما فعل اميَّة بن ابي الصلت حيث قال :

لك الحمدُ والنَّعماء والملكُ ربَّنا فلا شيءَ اعلى منك مجدًا وامجدُ

مليكٌ على عرشِ السماء مُهَيمِنٌ لعزَّتهِ تعنو الوجوهَ وتسجُدُ
عليهِ حجابُ النور والنورُ حولَهُ وانهارُ نورٍ حولَهُ تتوقَّدُ
مليكُ السماوات الشدادِ وارضها وليس لشيء من قضاه تأوُّد الخ

وهو الوحي قد انبأهم بوجود الملائكة واوقفهم على مقامهم وجوهرهم وخدمتهم أمام الله وطبقاتهم فذكروا منهم باسمائهم جبرائيل وميكائيل ومن طبقاتهم السرافيل (الساروفيم) والكروبيّة (الكروبيم) والملائكة الحرّاس (راجع الصفحة ١٦٤ — ١٦٧)

وقد افادهم الوحي تكوين الله للعالم من العدم وإبداعهُ للكائنات جمادها ونباتها وحيوانها ثمَّ خلقهُ للابوين الاوَّلين ووضعهُ لهما في جنَّة عدَن ثم سقوطهما بتجربة ابليس ونفيهما من الفردوس ثم ما جرى لهما ولنسلهما ولا سيما بوقوع الطوفان. فكلّ هذه الامور التي اثبتناها بالنصوص المتعدّدة لم يعرفها العرب الَّا بواسطة الوحي (راجع الصفحة ٢٥٤ — ٢٦٦)

ومن الوحي استفاد العرب ايضاً معرفة امور الآخرة كالنعيم في السماء للابرار والجحيم في جهنَّم للاشرار وبعث الاجساد في آخر العالم. وقد اتينا على كلّ ذلك بشواهد متعدّدة لا تبقي في الامر ريباً (اطلب الصفحة ١٦٣ — ١٦٤ و١٦٧ — ١٧٠)

وممَّا توفَّق العرب الى معرفتهِ بفضل الوحي سرُّ بشارة الملاك جبرئيل لمريم العذراء وبقاء مريم على بتوليَّتها مع ولادة ابنها. وعرفوا السيّد المسيح ورسالتهُ الى العالم وما اتاهُ من المعجزات واختيارهُ لرسلهِ الحواريين ودعوهُ «بأبيل الأبيلينَ المسيح بن مريما» وانهُ هو الذي سيدين الاحياء والاموات (ص ١٨٦ — ١٩٠) وذكروا السابق امام وجههِ يوحنَّا المعمدان ودعوهُ يحيى

وقد عظَّم عرب الجاهليَّة تعليم المسيح ونعتوا دينهُ بالدين القويم كما قال النابغة عن نصارى غسَّان :

مجلَّتهم ذاتُ الإله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وقد عرف العرب كنيسةَ المسيح وما فيها من رؤساء كالبطاركة والاساقفة والقسوس والشمامسة ولا سيَّما الرهبان والنسَّاك (ص ١٩٠ — ٢٠١)

وكذلك اطَّلعوا على اسرار الكنيسة كالمعموديَّة والقربان والقدَّاس وعلى اعيادها

كالسبَّار (البشارة) والدنح (الغطاس) والسباسب (الشعانين) والفصح والسلّاق (الصعود) (ص ٢٠٨ — ٢١٠ — ثمّ ٢١٤ — ٢١٨)

وعرفوا مناسك النصرانيَّة وكنائسها وهياكلها وما تزان بهِ من النقوش والصور وخصوصاً الصليب لحلفوا بهِ كقول عديّ بن زيد :

سعى الاعداء لا يألون شرًّا عليك وربِّ مكّةَ والصليبِ

وقد حلف الآخر بالقربان ودعاهُ الشَّبر

الحمد لله الذي أعطى الشَّبَرْ

ومثلهُ عديّ :

اذ أتاني خبرٌ من مُنعمٍ لم أخُنهُ والذي أعطى الشبرْ

وحلف الاعشى بالرهبان الساجدين وبالناقوس فقال :

إنّي وربِّ الساجدين عشيَّةً وما صكَّ ناقوسَ النصارى ابيلُها
أُصالحكم حتَّى تبوْوا بمثلها كصرخة حُبلى اسلمتها قبيلُها

فهذه كلُّها ادلَّة اوضح من النور تبيّن ما كان للتعاليم اللاهوتيَّة من النفوذ بين نصارى العرب استخلصناها من الشعر الجاهليّ فقط وهي احسن برهان على نفوذ الآداب النصرانيَّة بينهم

الفصل العاشر

الفنون الجميلة بين نصارى العرب

ليس شيءٌ يدلّ على رقيّ الامم كشيوع الفنون الجميلة بينهم . لأنَّ الجمال كما لا يُخفى يسبي قلب الانسان ويجرِّدهُ عن الامور السافلة الدنيَّة ليسمو بهِ الى عالم العقل فيقرِّبهُ الى مصدر الجمال سبحانهُ وتعالى . ولذلك قد قيل انَّ الفنون الجميلة هي اثمن درَّة في تاج الحضارة والمدنيَّة

على انَّ العرب من هذا القبيل قد تخلَّفوا عن بقيَّة الشعوب المتمدّنة كالكلدان والاشوريين والفرس والمصريين واليونان والرومان فلا تكاد تجد لهم اثرًا يذكر في القرون السابقة لتاريخ الميلاد . والسبب في ذلك عيشتهم الفطريَّة البعيدة من الحضارة

وانتقالهم في البوادي انتجاعاً لمراعي الابل والمواشي واشتغالهم بالغزوات والحروب اما القرون التابعة للسيد المسيح فانها لا تخلو من بعض آثار هذه الفنون الجميلة ولا جرم انَّ النصرانيَّة بدخولها في جزيرة العرب ادخلت معها عنايتها الدائمة بترقية دعائم الحضارة ولا سيَّما في الازمنة التي سبقت قليلاً عهد الاسلام وفي اوائل ظهوره كما سترى

وبياناً لذلك قد عوَّلنا على كتابة فصل في ما نعرفهُ من تأثير النصرانيَّة في ترقية الجمال ونشر اصحابها لاخصّ فنونهِ بين العرب . واشهر هذه الفنون اربعة : هندسة البناء والتصوير والحفر والموسيقى نفرد لكلّ منها باباً

١ هندسة البناء

البناء اوَّل صنائع العمران البشري لانَّ الانسان في حاجة اليهِ لاتّقاء عوامل الطبيعة وأذى العدوّ . على ان البناء لا يُعَدّ من الفنون الجميلة الّا اذا كانت المباني شاهقة البنيان واسعة الارجاء ذات اوضاع هندسيَّة ونقوش فنيَّة وفقاً لقواعد راهنة تجعلها من الابنية المعتبرة فنها قصور الملوك والمعاقل والحصون والهياكل والكنائس وغيرها من الابنية الدينيَّة والمدنيَّة . وها نحن ندوّن هنا ما يعود فضلهُ الى النصرانيَّة مباشرةً بالمباني الدينيَّة ثم المدنيَّة

﴿ المباني الدينيَّة ﴾ انَّ ما قدَّمناهُ من الشواهد العديدة في انتشار النصرانيَّة في كلّ انحاء جزيرة العرب في عهد الجاهليَّة يستلزم توفير الابنية الدينيَّة والكنائس والاديرة حيثما وُجد النصارى . وربما صرَّح المؤرخون بذكرها دون وصفها فلا يسعنا ان نقطع بهندامها وحسن هندستها . ولا مراء انهُ كان بينها الابنية الفخيمة والهياكل البديعة

فممَّا جاء ذكرهُ من ذلك في اليمن ما رواهُ المؤرخ فليسترجيوس في مطاوي كلامهِ عن قسطنسيوس بن قسطنطين الكبير حيث قال انَّ تاوفيل الهندي الذي كان اوفدهُ هذا الملك الى الحميريين نحو السنة ٣٥٦ م شيَّد في اليمن ثلاث كنائس في ظفار حاضرة اليمن ثمَّ في عدن وفي هرمز (راجع الصفحة ٥٦ — ٥٧)

وقد ذكر كنائس اليمن قزما الرحَّالة الكاتب اليوناني نحو السنة ٥٣٥ م فقال :

«حيثما سرت تجد كنائس للنصارى واساقفة وشهداء وسيَّاحاً حتى بين اهل عربيَّة السعيدة الذين يُدعَون بالحميريين كما في كلّ العرب ايضاً» (راجع الصفحة ٦٥)

وقد خصّ كتبة العرب فصولاً من تواريخهم في وصف كنيسة صنعاء اليمن التي شيَّدها أَبرهة بعد فتح الحبش لليمن وهم يدعونها بالقُلَّيس اشتقُّوها من لفظة Εκκλησία اليونانيَّة وتعريبها الكنيسة. وقد روينا في مجاني الادب (٣ : ٣٠٢) بعض اوصافهم. راجع معجم البلدان لياقوت (في مادَّة قليس ٤ : ١٧٠) وتاريخ الطبري (١ : ٩٣٤ — ٩٣٥) وتاريخ الشيخ صالح الارمني (طبعة اوكسفرد ص ١٣٩). وأَقدمُ من كلّ هؤلاء صاحب «اخبار مكَّة» ابو الوليد محمَّد بن عبدالله الازرقي من كتبة القرن الثالث للهجرة والعاشر للمسيح (طبعة ليبسيك ٨٨ — ٩٠) وهذا بعض ما رواهُ قال:

«كان القُلَّيس مربَّعاً مستوي التربيع جعل (ابرهة) طولهُ في السماء ٦٠ ذراعاً وكَبْسهُ من داخلهِ ١٠ اذرع في السماء وكان يُصعَد اليهِ بدرج الرخام وحولهُ سورٌ بينهُ وبين القليس مائتا ذراع يطيف بهِ من كلّ جانب وجعل بين ذلك كلّهِ حجارة يسمّيها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين اطباقها الابرة مطبقَّة بهِ. وجعل طول ما بنى بهِ من الجروب ٢٠ ذراعاً في السماء ثمَّ فصل ما بين حجارة الجروب بحجارة مثلَّثة تشبه الشُّرَف مداخلة بعضها ببعض حجراً اخضر وحجراً احمر وحجراً ابيض وحجراً اصفر وحجراً اسود وفيما بين كلّ سافَين خشب ساسَم مدوَّر الرأس غِلَظُ الخشبة حَضَنُ الرجل ناتئة على البناء ... ثمَّ فصل بافريز من رخام منقوش طولهُ في السماء ذراعان وكان الرخام ناتئاً على البناء ذراعاً. ثمَّ فصل فوق الرخام بحجارة سود لها بَريق من حجارة نُقُم جبل صنعاء المشرف عليها ثمَّ وضع فوقها حجارة صفر ثم حجارة بيض لها بريق. فكان هذا ظاهرَ حائط القليس وكان عرض حائط القليس ستة أَذرع... وكان لهُ باب من نحاس ١٠ اذرع طولاً في ٤ عرضاً وكان المدخل منهُ الى بيت في جوفهِ طولهُ ٨٠ ذراعاً في ٤٠ ذراعاً معلق (؟) العمل بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضَّة. ثمَّ يُدخل من البيت الى ايوان طولهُ ٤٠ ذراعاً عن يمينهِ وعن يسارهِ وعقودهُ مضروبة بالفسيفساء مشجَّرة بين اضعافها كواكبُ الذهب ظاهرة. ثمَّ يُدخل من الايوان الى قبَّة ٣٠ ذراعاً في ٣٠ ذراعاً جُدُرُها بالفسيفساء وفيها صلُب منقوشة بالفسيفساء والذهب والفضَّة وفيها رخامة ممَّا يلي مطلع الشمس من البَلَق مربَّعة ١٠ اذرع في ١٠ تُغشي عينُ مَن نظر اليها من بطن القبَّة تؤدّي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبَّة. وكان تحت الرخامة منبر من خشب اللَّبخ وهو عندهم الابنوس مفصَّل بالعاج الابيض ودرج المنبر من خشب الساج ملبَّسة ذهباً وفضَّة وكان في القبَّة سلاسل فضَّة ....»

ثمَّ ذكر ما حلَّ بهذه الكنيسة بعد الهجرة وكيف هدمها ابو جعفر المنصور ثاني

خلفاء بني عبّاس باغراء احد ابناء الوهب بن المنبّه وبعض يهود صنعاء.

وقد ذكر ابو صالح الارمنيّ في تاريخهِ (ص ١٤٠ من طبعة اوكسفرد) كنيسةً أخرى في بلاد اليمن دعاها « مَرُور الدير » قال انهُ كان عليها حصن منيع وتسمى في زمانهِ بمقبرة الحكماء

وممّا رواهُ السيّاح المحدثون انّ جامع صنعاء الباقي الى اليوم كان في سابق الزمان كنيسةً حولّها المسلمون الى جامعٍ . وكذلك روى الرحّالة الالماني الشهير غلازر (Glaser : *Skizze*, I:15,37) انهُ دخل سنة ١٨٨٦ مسجداً يدعى مسجد نُجَيْم يريم قريباً من ظفار حاضرة اليمن سابقاً فوجد في ابنيتهِ وعمدهِ وجدرانهِ آثاراً نصرانيّة ونقوشاً تدلّ على انهُ كان سابقاً كنيسة مسيحيّة

وقد اشتهرت في تاريخ النصرانيّة مدينة نجران التي استشهد اهلها في عهد ذي نواس (راجع ص٥٩—٦١) فلمّا عاد اليها السلام ورجعت النصرانيّة الى رونقها بُني فيها كنيسة كبيرة عرفها العرب بكعبة نجران فورد ذكرها في شعر الاعشى حيث انشد يخاطب ناقتهُ :

فكعبةُ نجرانَ حتمٌ عليكِ حتّى تُناخي بابوابها
تزور يزيد وعبد المسيح وقيساً هو خيرُ اربابها

فمدح الاعشى هنا بني عبد المدان الحارثيين سادة نجران النصارى . قال ابو الفرج الاصفهاني (الاغاني ١٠ : ١٤٢) : « والكعبة التي عناها الاعشى هاهنا يقال انها بيعةٌ بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاةً للكعبة وسمّوها كعبة نجران وكان اذا نزل بها مستجير أُجير او خائف أُمن او طالب حاجة قُضيت او مسترفد أُعطي ما يريدهُ »

***

وان عدلنا بالنظر عن اليمن الى العراق وجدنا هندسة البناء الدينيّة رائجة فيه ايّ رواج لنمو النصرانيّة بين اهلهِ واتساع نطاقها في كلّ انحائهِ . فهنالك شاعت الطرائق الرهبانيّة شيوعها في ارض الصعيد . هناك توفّرت المناسك والاديرة التي بلغ عدد المترهّبين في بعضها المئات بل بضعة الوف . وقد عدّدنا في ما سبق اسماء كثير من هذه الاديرة التي عُني بتشييدها الملوك واعيان الدولة كدير اللجّ الذي بناهُ

النعمان بن المنذر ابو قابوس . قال ياقوت: «ولم يكن في ديارات الحيرة احسن بناءً منهُ» ودير الاعور المنسوب الى النعمان الذي تنصَّر وزهد بالدنيا . ودير الجَرَعة المنسوب الى عبد المسيح بن بُقَيلة الغساني . ودير هند الكبرى بنتهُ ام عمرو بن هند «أمة المسيح وامّ عبده وبنت عبيده» (ياقوت ٢ : ٧٠٩) ودير هند الصغرى . ودير حنظلة . وغيرها كثير (راجع القسم الاوَّل ص ٨٢ — ٨٦) . ولا شكَّ انَّ بناة هذه الاديرة لم يدَّخروا وسعاً في حسن بنائها واتقان هندستها اذ كانوا من اصحاب الثروة والتقى معاً . وفي بعض بقاياها الى اليوم ما يدلُّ على عظم شأنها . وهكذا يقال عن الكنائس فانها كانت غالباً هياكل واسعة الارجاء شاهقة البنيان ذات اسواقٍ متعدّدة جامعة بين متانة البنيان وحسن الشكل وقد بقي في الشعر القديم عدَّة اقوال لفحول الشعراء وصفوا فيها كنائس النصارى وهياكلها ومحاريبها وصلبانها وما تزان بهِ من النقوش (راجع الصفحة ٢٠١ — ٢١٠) وقد خصَّ الهَمْداني بالذكر في كتابهِ جزيرة العرب «كنيسة الباعونة في الحيرة» . وبعض هذه الكنائس في العراق باقية الى اليوم فاخذ الاثريون يدرسون هندستها ويبيّنون خواصّها منهم تلك الآنسة الشهيرة الانكليزية المسّ بل (Miss Bell) التي وضعت كتاباً ضخماً في وصف كنائس ما بين النهرين التي سبق عهد البعض منها عهد الاسلام فترتقي الى القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح واثبتت صور كثيرٍ منها

وان اقتربنا في جزيرة العرب الى بادية الشام ومملكة بني غسَّان وجدنا فيها من المباني الدينيَّة ما يُقضى منهُ العجب . وقد اثبتنا في الصفحات السابقة (راجع الصفحة ٣٠) ما رواهُ مؤرخو العرب عن ملوك غسَّان الاوَّلين وما بنوهُ من الاديرة كدير أيوب ودير حالي ودير هند ودير ضخم ودير النبعة ودير بصرى ودير سعد . ومن هذه الاديرة ما بقي عامرًا بعد الاسلام والى اليوم يُطلق اسم الدير على بعض جهات الصفا وحوران كدير الكهف ودير قنّ

وقد اختلط بنو غسَّان في منازلهم شرقي الشام وفي جنوبها الشرقيّ بالرومان واليونان النصارى فجاروهم في حضارتهم وتعلَّموا منهم هندسة البناء فشيَّدوا مثلهم البيع والكنائس التي يُرى بعضها حتَّى اليوم في جهات حوران والصفا واللجا وجولان وفي عبر الاردن وبلقاء (راجع الصفحة ٣٣) وهي من البنايات الفخيمة وعليها الرموز

النصرانيَّة والكتابات اليونانيَّة واللاتينيَّة . وعلى اثرٍ منها كتابةٌ عربيَّة وجدت في حوّان سبقت الهجرة باربع وخمسين سنة كُتبت على « مرتول » اي مشهد القديس يوحنَّا المعمدان الذي شيَّدهُ احد شيوخ القبائل العربيَّة المدعوّ شراحيل (ص ٣٤)

وترى مثل هذه الابنية الدينيَّة في الجزيرة وديار ربيعة وديار بكر وشمالي سوريَّة قد اشرنا اليها سابقاً (ص ٩٣ — ١٠٦) فان كتبة العرب وشعراء الجاهليَّة قد ذكروا نحو خمسين ديرًا منها نعتوا بعضها باجمل النعوت كقول ياقوت في معجم البلدان عن دير الرصافة (٢ : ٥٦٠) انهُ « من عجائب الدنيا حسناً وعمارة » . وفي زَبد شمالي سوريَّة أُقيم سنة ٥١٢ للمسيح مشهدٌ لذكر القديس الشهيد سرجيوس عليهِ اوَّل اثر من الخطّ العربيّ في تلك السنة (ص ١٠٣—١٠٤)

ولم تخلُ اواسط جزيرة العرب كنجد والحجاز واليامة من الابنية النصرانيَّة كالاديرة والبيع والصوامع (اطلب الفصل العاشر من القسم الاوَّل ص ١٠٦—١٢٣) وهناك كانت قبائل نصرانيَّة كطيّ وتميم التي افتخر خطباؤها لمَّا وفدوا على نبيّ الاسلام بتشييدهم للكنائس فقال الزبرقان :

نحن الكرامُ ولا حيٌّ يعادلنا منَّا الملوك وفينا تُنصَبُ البِيَعُ

ثمَّ ورد في كتاب الوفادات لابن سعد ذكر كنيسة بني حنيفة وراهبها (ص ١٢٩ — ١٣٠) . وقد وُجِد ايضاً في الحجاز ونجد اديرة للنصارى في الجاهليَّة كدير خِندف ودير غطفان وغير ذلك ممَّا مرَّ وصفهُ وقد ذكر الطبري في تاريخهِ (١ : ٣٠٤٧) دير سَلع قُرب المدينة المنوَّرة يثرب وفيهِ دُفن الخليفة الثالث عثمان بن عفَّان .

وما قولنا بالابنية الجليلة التي امر ببنائها الملك يستنيان في طور سينا ذكرًا لتجلّي الرب فيهِ لبني اسرائيل واكراماً للقديسة كاترينا الشهيدة وهذه الابنية تشهد الى اليوم على براعة مهندسيها

***

وممَّا يدخل في هذا الباب ما بناهُ النصارى من الابنية الدينيَّة لغير ملَّتهم فمن ذلك بناء الكعبة نحو السنة ٦٠٥ للميلاد تولَّى بناءها روميٌّ اسمهُ باقوم مع رَجُل قبطيّ كما روى النهروانيّ في كتاب إعلام الأعلام ببيت الله الحرام (ص ٤٩ — ٥٠) قال :

« انَّ امرأة جمَّرت الكعبة بالبَخُور فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترق اكثر اخشابها ودخلها سَيْل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها فأرادوا ان يشدُّوا بنيانها ويرفعوا

بابها حتّى لا يدخلها الّا مَنْ شاؤوا وكان البحر قد رمى بسفينة الى ساحل جُدَّة لتاجر رومي اسمهُ باقوم وكان بنّاءً نجّارًا فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش الى جُدَّة فابتاعوا خشب السفينة وكلّموا باقوم الرومي ان يقدم معهم الى مكّة فقدم اليها واخذوا اخشاب السفينة أعدُّوها لسقف الكعبة المشرفة . قال الاموي : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم يحمل فيها الرخام والخشب والحديد مع باقوم الى الكنيسة التي احرقها الفرس بالحبشة . فلمّا بلغت قريب مرسى جُدَّة بعث الله عليها ريحًا فحطّمتها ... قال ابن اسحاق وكان بمكّة قبطيّ يعرف نَجر الخشب وتسويتهُ فوافقهم ان يعمل لهم سقف الكعبة ويساعدهُ باقوم (١)»

وليست هذه المرّة الوحيدة التي عمّر النصارى ما خرب من الكعبة . اخبر الازرقي في اخبار مكّة (ص ٣٩٥ — ٣٩٦) انهُ وقع سيل جُحاف في سنة ثمانين (٧٠٠ م) في خلافة عبد الملك بن مروان دخل المسجد واحاط بالكعبة فكُتِب في ذلك الى عبد الملك فبعث بمالٍ عظيم وكتب الى عامله على مكّة لاصلاح ما خرب قال : «وبعث رجلًا نصرانيًّا مهندسًا في عمل ضفاير المسجد الحرام وضفاير الدور في جنبتي الوادي فامر بالصخر العظام فنُقلت على العجل وحفر الارباض دون دور الناس فبناها واحكمها من المال الذي بعث بهِ »

وكذلك جرى في عهد الوليد بن الملك فانّهُ اراد توسيع المسجد الحرام وزخرفتهُ فاستقدم لذلك مهندسين نصارى . قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٤٦٦) : «في ايّام الوليد استقدم من ملك الروم اربعين روميًّا واربعين قبطيًّا ليعمروا المسجد فعمّروه سنة ٨٧—٨٨ (٧٠٩ — ٧١٠ م) مائتي ذراع» . قال الازرقي (ص ٢٠٩): «وهو (اي الوليد) اوّل من نقل الى المسجد الحرام اساطين الرخام .. وسقّفهُ بالساج المزخرف وجعل على رؤوس الاساطين الذهب على صفائح الشَّبَه من الصفر وأزّر المسجد بالرخام من داخلهِ وجعل في وجه الطيقان في اعلاها الفسيفساء» . فكل هذه الاعمال قام بها عملة النصارى

وما صنعهُ النصارى في الكعبة والمسجد الحرام في مكّة قاموا بهِ ايضًا في المدينة في مسجد النبيّ لمّا اراد الوليد ان يجدّد بناءهُ . قال الطبريّ (٢ : ١١٩٤) في تاريخ سنة ٨٨ هـ (٧٠٩م):

«بعث الوليد بن عبد الملك الى صاحب الروم يعلمهُ بانهُ امر بهدم مسجد رسول الله صلعم وان

١) راجع ايضًا كتاب اخبار مكّة للازرقي (ص ١٠٤ — ١١٠)

يعيّنهُ فيهِ فبعث اليهِ بمائة الف مثقال ذهب وبعث اليهِ بمائة عامل وبعث اليهِ من الفسيفساء باربعين حملاً وامر بأن يتتبّع الفسيفساء في المدائن التي خربت فبعث بها الى الوليد فبعث الوليد بذلك الى عمر بن عبد العزيز . . وفيها ابتدأ عمر بن عبد العزيز ببناء المسجد »

ومثلهُ ايضاً مسجد دمشق المعروف بالجامع الامويّ الذي خلف كنيسة مار يوحنّا بعد الفتح الاسلاميّ . فانَّ الوليد اذ اراد تجديد عمارته التجأ ايضاً الى ملك الروم ليوجّه اليهِ مائة صانع كما روى ابن عساكر في تاريخ دمشق (١ : ٢٠٢). فاجتهدوا في بنيانهِ وترويقهِ وزخرفتهِ حتَّى عُدَّ مع كنيسة الرها ومنارة الاسكندريّة من جملة عجائب الدنيا . وقد ذكرنا في المشرق (١٤ [١٩١١]: ٦٣٩) اعمال الفسيفساء الراقية الى عهد بنائها التي ظهرت قبل بضع سنين في مصلّى الجامع وقناطره وكواه بعد تنظيفها من سخام حريق تيمورلنك ومن الملاط والكلس فلاحت بزهو الوانها العجيبة ومحاسنها الباهرة وتفنُّن مهندسيها النصارى في النقش وتصوير مجالي الطبيعة من زهور واشجار وانهار وصروح وقصور . وكلّ يعلم ان ترميم الجامع الاموي وتجديد زخارفهِ القديمة تولّاها في الحقبة الاخيرة المهندس أبيري النصراني

ومن رأى المسجد الأقصى في بيت المقدس ودرس هندستهُ لا يلبث ان ينسب ايضاً بناءَهُ الى صَنَعة من الروم الذين انتدبهم الى تشييدهِ الخليفة عبد الملك بن مروان . وبأمرهِ قُلعت قبّة كانت للنصارى في كنيسة مدينة بعلبك وهي من نحاس مطليّ بالذهب فنصبها على صخرة هيكل سليمان (تاريخ ابن البطريق ٢: ٤٢). وقال ابن خلدون في مقدّمته «انَّ عُمَر لمّا حضر لفتح بيت المقدس وكشف عن الصخرة بنى عليها مسجداً على طريق البداوة ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجدهِ على سنن مساجد الاسلام . . . والزم ملك الروم ان يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد وان ينمّقوها بالفسيفساء فاطاع لذلك وتمّ بناؤها على ما اقترحهُ »

ولما ابتنى عمرو في جهات منف جامع الفسطاط وكلَ بتشييدهِ الى النصارى وروى المقريزي في الخطط (٤: ١٢٤ من الطبعة الجديدة) « انَّ بعض عمدهِ او اكثرها ورخامه من كنائس الاسكندريّة وارياف مصر » وكذا قال عن جامع الجيزة

فيثبت من هذه الشواهد كلّها شيوع الهندسة النصرانيّة في كلّ انحاء جزيرة العرب قبل الاسلام ونسبة كل الابنية الاسلاميّة الاولى اليها

وقد استبان علماء المستشرقين في عهدنا تأثير الهندسة النصرانيَّة في ابنية الاسلام الدينيَّة . فانَّ المسلمين عند الفتح العربيّ لم يحوّلوا فقط كنائس النصارى الى جوامع ومساجد كما يتّفق عليهِ المؤرخون لكنَّهم تقلّدوا ايضاً هندسة البيع المسيحيَّة فانَّهم اذ كانوا يجهلون فنَّ البناء كما قال ابن خلدون التجأُوا في الشام والعراق ومصر والاندلس الى مهندسين وطنيّين مسيحيين كان البعض منهم دانوا بالاسلام فهؤلاء جروا في تشييد مقامات الاسلام الدينيَّة على ما اعتادوهُ في اوطانهم وقد درس الاختصاصيُّون بقايا تلك الابنية فقابلوا بين كلّ اقسامها واقسام الكنائس الوطنيَّة فاثبتوا العلاقة التامَّة بينهما حتَّى في اخصّ مميّزات الجوامع كالقبلة والمحراب والمنبر والمأذنة والحرم فانَّ كلّ ذلك منقول دون فرق يُذكر عن المباني النصرانيَّة التي وجدها العرب في فتوحاتهم . وقد بيّن ذلك العلّامة جيرو دي پرانجه (Giraud de Prangey) في كتابين ممتّعين خصَّهما بابنية العرب في الاندلس وصقلّية ومرّاكش (اطلب الجرنال الاسيوي J.As. 1842[a], 336 – 357) والمستشرق الاختصاصي ڤان برکم (Max Van Berchem) في مقالة بديعة نشرها هناك (J. As. 1891[a], 411–495;) وفي كتاب الصناعة العربيَّة للمهندس غايه (A. Gayet; *L' Art arabe*) وغيرهم فكلّهم لسان واحد في اثبات شبه مباني الاسلام الدينيَّة بالكنائس النصرانيَّة في ذلك العهد . فمنها ما يشبه الطرز القبطيّ ومنها ما هو اشبه بالطرز البوزنطي او الطرز السوريّ على اختلاف الصَّنعة والبنَّائين النصارى الذين كانوا ملتزمين العمل بحيث لا يجوز انَّ يُدعى بناؤها بهندسة عربيَّة البتَّة (١ . فشتَّان بين قولهم ورأي بعض المتهوّسين كالمسيو سيديليو والمسيو غوستاف لوبون الذين بخسوا حقوق اليقين ونسبوا الى العرب ما كان للذمّيّين

(١ ودونك ما كتبهُ المسيو غايه في فاتحة كتابهِ L'Art arabe

C'est à regret qu'en tête de ce livre je me suis vu contraint d'inscrire ce titre consacré par l'usage « *l'Art arabe* » ... si jamais titre fut vide de sens , voire même en opposition absolue avec la chose qu'il définit , c'est assurément celui-là. L'Arabe n'a jamais été artiste ...

﴿ الهندسة المدنيَّة ﴾ قد اتَّسعنا في ذكر الهندسة النصرانيَّة الدينيَّة في عهد الجاهليَّة واوائل الاسلام بين العرب . وفي جزيرتهم ايضاً ابنية غيرها مدنيَّة كالقصور والحصون وغير ذلك ممَّا يشيّدهُ الملوك والذوات لاغراضهم الخاصَّة او لشؤون مملكتهم . وهذه الآثار كثيرة في كلّ انحاء العرب ولاسيَّما في ممالكها الثلث اي التابعة في اليمن والمناذرة في العراق والغساسنة في الشام وردَ شيءٌ من ذكرها في الشعر الجاهليّ والتقليد القديم وكشف على بعضها اصحاب الرحل الى جزيرة العرب في الحقبة الاخيرة . فهذه المباني لا يُعرَف لها غالباً تاريخ ولم تُذكَر اسماء بُناتها ولا جرم انَّ للنصارى في قسم منها نصيباً صالحاً

وان باشرنا بالعراق وشمالي الجزيرة وجدنا في شعر الاسود بن يَعفر بعض قصور لآل محرّق ولبني إياد فقال :

ماذا اؤمّل بعد آل محرّقٍ تركوا منازلهم وبعد إيادِ
اهل الخَوَرنق والسدير وبارقٍ والقصر ذي الشُّرفات من سِنداد

فهذه القصور بُنيت لملوك نصارى وقد تولَّى بناءها مهندسون نصارى ذكروا احدهم وهو رجل روميّ يقال لهُ سِنِمَّار بنى الخورنق للنعمان الكبير (ياقوت ٢ : ٤٩١)

وقد اطرأ العرب محاسن الخَوَرنق دون ان يدقّقوا في وصف بنائهِ . ولعلَّهُ هو القصر الذي زارهُ المستشرق البارع لويس ماسينيون سنة ١٩٠٨ المعروف بقصر الأُخيضر وألفتَ اليهِ نظر العلماء في جمعيَّة الكتابات والفنون سنة ١٩٠٩ ثمَّ زارتهُ الآنسة الانكليزيَّة مس بَلْ سنة ١٩١٠ واحسنت وصفهُ في كتابها المدعو (Amurath to Amurath) واثبتت صورهُ (ص ١٤٧ — ١٥٨) وهو بناء عظيم ذو طابقين تدلُّ بقاياهُ الجليلة على عظم شأنهِ امَّا اسمهُ الاخَيضر فقد اختلفوا في اصلهِ ولعلَّ اصحَّ ما قيل في ذلك انهُ تصحيف الأُكَيدِر صاحب دومة الجَندَل النصراني الذي مرَّ لنا ذكرهُ (ج ١ ص ١٠٨) . وقد جاء هناك عن البلاذريّ ان عمر بن الخطَّاب نفاهُ من وطنهِ لمخالفتهِ دين الاسلام فنزل موضعاً قرب عين تمر في جهات العراق وبنى بهِ منازل سمَّاها دومة باسم حصنهِ (راجع مجلَّة لغة العرب ٢ : ٤٧)

وممَّا ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (٤ : ١١٦) من الابنية النصرانيَّة المدنيَّة قصر العَدَسيّين قال « انهُ في طرف الحيرة لبني عمَّار بن عبد المسيح نُسبوا الى جدَّتهم

عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي»

ولا نشكُّ في انَّ النصارى هم الذين شيَّدوا للخلفاء وامراء العراق مبانيهم . فانَّ الالمانيين ارباب الحفريَّات في سامرَّا وجدوا بين انقاضها صورًا وتماثيل اشخاصٍ بالوانها مع رسوم هندسيَّة متنوعة وصلبان كثيرة موقعة باسم شمَّاس نسطوريّ بارع بالتصوير ورد اسمهُ على صورة الاسم الكلدانيّ «مسمس» (ܡܫܡܫܢܐ)

وقد افادنا ياقوت الروميّ (٤: ٤١٣) انَّ قصر الخليفة المتوكل المعروف بالجعفري الجامع لكل محاسن البناء كان بانيهِ دليل بن يعقوب النصرانيّ كاتب بغا الشرابيّ

وممَّا وقف عليهِ الاثريُّون والسيَّاح في ايَّامنا من الابنية الجليلة والآثار البديعة في جهات العرب في انحاء موآب غربيّ وادي سرحان عدَّة قصور فخيمة ومعاقل جليلة سبق لنا ذكرها في المشرق غير مرَّة (١ [١٨٩٨]: ٤٨١ و ٦٣١ ثم ٤ [١٩٠١]: ٧٦٥ — ٧٦٦ الخ) كالمشتَّى وقُصَيْر عَمْرة وطوبة وفيهما من الآثار الهندسيَّة ومن التصاوير وتمثيل احوال البادية كالصيد والغزوات والمآدب والصنائع ما انذهل العلماء لوجودهِ في البراري . واتَّسعت مذ ذاك الحين مجلَّات العلماء ولاسيَّما تاليف المستشرقين في وصفها والبحث عن بُناتها ومصوّريها . واليوم قد رجَّح العلماء انَّ هذه الابنية من عهد الوليد بن يزيد الخليفة الامويّ . وكان يفضِّل العيش في البادية على المدن . فصرف القناطير المقنطرة لبناء تلك الآثار لسكناهُ وسكنى جنودهِ وحاشيتهِ . امَّا مهندسو هذه القصور فكانوا ايضاً من نصارى الشام ومصر والجزيرة وقد نسبها العلماء اوَّلًا الى بعض ملوك العجم ثمَّ الى بني غسَّان او الى بني لخم حتَّى رجَّحوا آخرًا كونها للوليد بناها لهُ النصارى الوطنيُّون . وفي هندسة هذه القصور ما استدلُّوا بهِ على بلادهم المختلفة فكأنَّ كلَّ فريقٍ منهم تتبَّع طريقتهُ الهندسيَّة التي اعتادها في موطنهِ . وقد وقف حضرة الاب هنري لامنس في تاريخ بطاركة مصر لساويروس بن المقفَّع على ما يؤيّد نسبة هذه البنايات في بوادي العرب للوليد . قال ابن المقفع ما حرفهُ :

« وضبط المُلك (بعد هشام) الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان جنسهُ يبغضهُ فبدأ يبني مدينة على اسمهِ في البريَّة وجعل انساناً عليها وكان الماء بعيدًا منها خمسة عشر ميلًا وجمع الناس من كلّ موضع وبنى فيها بيد قويَّة ومن كثرة الناس كان يموت كلَّ يوم فيها جماعة من قلَّة الماء

وكان يحمل لها الماء الف وماتتا جمل وما يكفيهم كلّ يوم وكانوا الجمال فرقتين ٦٠٠ تحمل يوماً و ٦٠٠ تحمل يوماً فوثب عليهِ رجل اسمهُ ابراهيم (١ فقتلهُ واخذ الملك منهُ واطلق الاسارى فمضى كلّ منهم الى موضعهِ»

ولو تتبَّعنا بعد هذا المآثر البنائيَّة العربيَّة في شمالي الشام وفي باديتها وما وراء الاردن وفي الحجاز واليمن وفي مصر لوجدنا آثار الهندسة المدنيَّة النصرانيَّة في كثير منها غير ان هذه الفنون الهندسيَّة لم يُحكم العلماء درسها ليتحقَّقوا اصلها ودقائق صُنعها وفي القليل ممَّا ذكرناهُ دَليل كافٍ لاثبات قولنا بانَّ للنصارى اكبر فضل في البناء العربيّ الدينيّ والمدني معاً

٢ و ٣ التصوير والنحت

يظهر الجمال في البناء بحسن رسمهِ وبراعة هندستهِ وانتقاء موادّه ووحدة أقسامهِ واتقان نظامه . امَّا في فنَّي التصوير والنَّحت فانَّ الجمال يلوح بتمثيلها لمواليد الطبيعة الثلثة جمادها ونباتها وحيوانها فيخرجها المصوّر بهيئاتها والوانها وملامحها وعواطفها فيكاد يحييها بقلمهِ الساحر . ويجسّمها النحّات فيظهرها بنتوآتها وتداويرها الطبيعيَّة فيُحكم صورة وجدانها كأنها لا ينقصها سوى الحركة والنطق

وكما شاع بين نصارى العرب في الجاهليَّة فنّ هندسة البناء كذلك استخدموا فنَّي التصوير والنَّحت . واوَّل شاهد يمكن الاستدلال بهِ ما ورد في الشعر الجاهليّ من ذكر الصور والدُّمى والتماثيل في بيَع النصارى واديرتهم فأُعجبوا بجمالها ونقوشها البديعة حتَّى ضربوا بها المثل في الجمال فقالوا (الميداني ١ : ٣٠٠) : «احسن من دمية» . وقال عديّ بن زيد (شعراء النصرانيَّة ص ٤٥٥) :

كدُمَى العاج في المحاريبِ او كالـ ـبَيْض في الرَّوْض زهرُهُ مُستنيرُ

وقال عبدالله بن عَجْلان (الاغاني ١٩ : ١٠٢)

غرّاء مثل الهلالِ صورتُها ومثلُ تمثالِ بيعة الذَّهبِ

وقال الاحوص (الاغاني ٤ : ٤٩ والشريشي ١ : ٢٩١) :

١) والصواب ان الوليد قُتل في محاربة يزيد الثالث ابن عمهِ قتلهُ بعد انتصارهِ عليهِ ولم يطل زمن ملك يزيد ثم ملك بعده ابراهيم المذكور هنا

كأنّ لُبنَى صبيرُ غادية او دُمية زُيّنت بها البيَعُ

ومثلهُ للاخطل (ديوانهُ ص ١٢) :

حُلْيٌ يشبُّ بياضَ النّحرِ واقدُهُ كما تُصوَّرُ في الدّينِ التماثيلُ

وقال عُمَر بن ابي ربيعة (الكامل للمبرد ص ٣٧٠) :

دميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ صوّروها في جانب المحرابِ

وقال اميّة بن ابي عائذ (ديوان الهذيليّين ص ١٧٧) :

او دُمْيةٌ بالمحْراب قد لبسَتْ بها ايدي البُناةِ بزُخرفِ الإتراصِ

وقال الاعشى (لسان العرب ٦ : ١٤٤) وبنَى فعلَيْن من لفظ الصلبان والصُّوَر :

وما أيبُليٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

ومن العجب انَّ بعض الشعراء اذ رأوا هذه التماثيل في كنائس النصارى دعوها اصناماً واوثاناً . قال ابو قطيفة (معجم البلدان لياقوت ٣ : ٦٦١)

ولَحَيٌّ بين العُرَيضِ وسَلْعٍ حيث أرْسى اوتادَهُ الإسلامُ
كان أشهى اليَّ قربُ جِوارٍ من نصارى في دورها الاصنامُ

وروى في المفضليّات (ed. Lyall ص ٥٤٩) :

يطوفُ العُفاةُ بأبوابهِ كطَوْفِ النصارى ببيت الوَثَن

قالوا : اراد بالوثن الصليب . وكانوا ينصبونهُ في وسط الكنائس . وقال بشر بن ابي خازم يمدح بني الحذّاء النصارى (البيان للجاحظ ٢ : ٧١)

لله درُّ بني حذّاءَ من نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جيرانهِ كَلِبُ
اذا غدَوْا وعِصِيُّ الطلح ارجلهم كما تُنَصَّبُ وَسْط البيعةِ الصُلُبُ

فهذه الشواهد وغيرها مثلها تدلُّ كلُّها على شيوع فنّ التصوير ونحت التماثيل بين نصارى العرب . قال صاحب تاج العروس (٨ : ١١١) : « التمثال الشيءُ المصنوع مشبَّهاً بخَلْق من خلق الله عزَّ وجلَّ . . والتماثيل هي صور الانبياء وكان التمثيل مباحاً في ذلك الوقت . . »

وممّا تكرَّر ذكرهُ في الشعر الجاهليّ نقش النصارى لكتبهم الدينيّة كقول رؤبة (ديوانهُ ص ١٤٩) :

انجيلُ أحبارٍ وحَيٌ مُنَمْنَمُهُ . ما خطَّ فيهِ بالمداد قَلَمُهْ

وكقول المرقّش يصف رسوم الدار :

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الاديم قَلَمْ

وقال في المفضَّليات (ص ٦٩٨) :

كتابُ مُحبِّرٍ هاجٍ بصيرٍ يُنَمِّقُهُ وحاذرَ ان يُباعا

وقد ورد في تواريخ العرب القديمة ذكر آثار دينيَّة من النحت والتصوير عُني بها النصارى في انحاء الجزيرة . فمن ذلك ما رويناهُ سابقاً (ص ٣٣٤) عن نقوش وتصاوير القُلَّيس التي زان بها ابرهة تلك الكنيسة الشهيرة . وقد ذكر بعضهم تماثيلها فعدَّها لجهله اصناماً (اطلب في معجم البلدان وصف القُلَّيس وما قال هناك عن كُعَيْت ٤ : ١٧٢)

وما قيل عن كنيسة صنعاء يصحّ عن بيعة نجران المعروفة بكعبة نجران التي عُني ببنائها بنو عبد المدان فان قدماء الكتبة يشيدون بمحاسنها ولعلَّ صورها انَّى بها الحبشة بعد محاربتهم لذي نوّاس وفتحهم نجران فانَّ الحبش كانوا يحسنون التصوير . وفي الحديث الاسلامي انَّ بعض نساء محمَّد اللواتي كنَّ هاجَرْنَ الى ارض الحبشة ذكرْنَ امامهُ حسن كنيسة مارية هناك وتصاويرها . فقال لهنَّ محمَّد وهو في مرض الموت : « اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبرهِ مسجداً ثمَّ صوَّروا فيهِ تلك الصور » (اطلب البخاري في باب المساجد)

وقد ورد في معجم البلدان لياقوت (٢ : ٧٠٣) ذكر كعبة نجران وصورها مع شهادةٍ لعموم نصارى العرب باتّخاذ الصور في كنائسهم . قال في وصف دير نجران :

« موضع باليمن لآل عبد المدان بن الديَّان من بني الحارث بن كعب . . . بنَوهُ مربَّعاً مستوي الاضلاع والاقطار مرتفعاً عن الارض يُصعَد اليهِ بدرجة على مثال بناء الكعبة فكانوا يحجُّونهُ وهم طوائف من العرب ممَّن يحلُّ الاشهرَ الحُرُم ولا يحجُّ الكعبة . ويحجُّهُ خثعم قاطبةً وكان اهل ثلاث بيوتات يتبارون في البِيَع وربُّها اهل المنذر بالحيرة وغسَّان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور . كان بنو الحارث بن كعب على ذلك الى ان جاء الاسلام »

ومن التصاوير التي لا تزال آثارها الى يومنا في جزيرة العرب ما تزدان به كنيسة طورسينا

الراقية الى القرن السادس للمسيح فانَّ فيها من النقوش والفسيفساء والصور المختلفة اشياء كثيرة اتّسع في وصفها زوّار ذلك المقام الجليل وهي لمصوّرين وصنّعة بوزنطيين ارسلهم يوستنيانوس الملك لتشييد تلك المقامات وتزيينها بضروب النقوش

وكذلك مكّة كان للمصوّرين والنحاتين النصارى فيها آثار ذكرها اقدم مؤرخ لتلك المدينة وهو ابو الوليد الازرقي في كتاب اخبار مكّة (ص ١١٠–١١١ طبعة ليبسيك) قال يذكر بناء قريش الكعبة في الجاهليّة :

«وزوّقوا سقفها وجدرانها من بطنها ودعائمها وجعلوا في دعائمها صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة فكان فيها صورة ابراهيم خليل الرحمن (١ . . . وصورة عيسى بن مريم وأمّهِ وصور الملائكة عليهم السلام اجمعين فلمّا كان يوم فتح مكّة دخل رسول الله صلعم البيت . . . وامر بطمس تلك الصور فطُمست ووضع كفّيهِ على صورة عيسى بن مريم وأمّه عليهما السلام وقال : امحوا جميع الصور الّا ما تحت يدي . فرفع يديهِ عن عيسى بن مريم وأمّهِ . . .»

ثمَّ روى عن عطاء بن ابي رباح «انهُ ادرك في البيت تمثال مريم مزوّقاً في حجرها عيسى قاعدًا مزوّقاً» وذلك « في العمود الذي يلي الباب » وانَّهُ « هلك في الحريق في عصر ابن الزبير » . وروى عن ابن شهاب (ص ١١٣) « انَّ امرأة من غسّان حجّت في حاجّ العرب فلمّا رأت صورة مريم في الكعبة قالت : بأبي وامّي انكِ لعربيّة . فامر رسول الله صلعم ان يمحوا تلك الصور الّا ما كان من صورة عيسى ومريم » . وذكر الازرقيّ ايضاً (ص ٤٥٠) انَّ في مكّة « دارًا لسعد القصير غلام معاوية بناها سعد بالحجارة المنقوشة فيها التماثيل مصوّرة في الحجارة » . فلا شكَّ انَّ هذه التماثيل والصور اصطنعها النصارى في عهد الجاهليّة . كما عُهد اليهم في زمن المهدي بناء مسجد مكّة وتزويقهُ . قال المقدّسي في كتابهِ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص٧٣) يذكر المهدي : «المسجد اليوم من بنائهِ وقد أُلبست حيطان الأروقة من الظاهر بالفسيفساء حمل اليها صنّاع الشام ومصر ألا ترى اسماءهم عليهِ»

١) ذكر المسعودي في مروج الذهب (٤: ١٢٦) : « انهُ لما انهدمت الكعبة بالسيل سُرق منها غزال من الذهب وحلى وجواهر فنقضتها قريش وكان في حيطانها صُور كثيرة بانواع من الاصباغ عجيبة منها صورة ابراهيم الخليل في يدهِ الازلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنهِ يجير بالناس مفيضاً والفاروق قائم على وفد الناس يقسّم فيهم . وبعد هذه الصورة صور كثيرة من اولادهم الى قُصَيّ بن كلاب وغيرهم في نحو ٦٠ صورة مع كلّ واحدةٍ من تلك الصور إلهُ صاحبها وكيفيّة عبادتهِ وما اشتهر من فعلهِ »

والى هؤلاء الصُنعة النصارى تُعزى ايضاً النقوش والتصاوير المختلفة بالفسيفساء التي مرَّ لنا ذكرها في الكلام عن الجامع الاموي في دمشق وفي الاقصى في القدس الشريف وفي جامع النبيّ في المدينة . وكذلك النقوش والتصاوير التي اشرنا اليها في الهندسة المدنيَّة في قصور المشتّى وقُصَير عمرة والأُخَيضِر فانَّها كلّها اعمال صنَعة يُدعون في الغالب روماً وهم من نصارى الشام ومصر والعراق

وممَّا وقف عليهِ ارباب العاديَّات والسياح في الحقبة الاخيرة كنائس قديمة بعضها مطمور في الارض يرتقي عهدها الى القرون الثلثة قبل الاسلام في العراق وما بين النهرين وجهات الاناضول والارمن على جدرانها تصاوير شتَّى يدلُّ بعضها على براعة اصحابها في الفنّ ونُقلت رسومها في المجلَّات الاثريَّة او في تآليف مستقلَّة

وكان صَنَعة الحياكة ينسجون الاقمشة ويزينونها بالصلبان والتصاوير فشاعت بين العرب وقد ورد ذكرها غير مرَّة في اخبار نبيّ الاسلام وفي الحديث (اطلب مجلَّة المنار في مجلدها العشرين ص ٢٢٠—٢٣٠) فمن ذلك ما رواهُ عن مسلم انَّ عائشة «سترت جانب بيتها بقِرام (اي سِتْر احمر) عليه تصاوير وتماثيل» وانها «اشترت نُمرقةً عليها تصاوير» وانَّها «سترت بابها بدرنوك (اي طنفسة) فيهِ الخيل ذات الاجنحة» . وكانت هذه الانسجة يحيكها اهل اليمن النصارى كما سترى فيزينون نقشها بالتصاوير

وكانوا يصوّرون على بعضها الصليب وصور القديسين ويتّخذونها كألوية كما ذكرنا سابقاً (ص ٣٣٤) عن راية بني تغلب الممثلة لمار سرجس . ومن هذا القبيل راية العُقاب التي اتّخذها خالد بن الوليد في اوَّل عهد الاسلام (اطلب ياقوت ٣ : ٦٩٠ — ٦٩١) دُعيت بذلك لصورة عُقاب كان منسوجاً فيها

ومما يدخل في هذا الباب نقود نصرانيَّة عليها صور ملوك وقديسين اتّخذها اولياء الامور والخلفاء في اوَّل الاسلام فطبعوا عليها شعارهم او عبارة قرآنيَّة يوجد منها شيء في المتاحف الكبرى . وقد ذكرنا في مجلَّة المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٧٩٩) نقوداً للسلجوقيين وللأُرتقيين مصوَّرة فيها صور ملوك الروم او اوليائهم وبعضها يمثّل شخص السيّد المسيح وامّه الطاهرة

وبالاجمال يمكننا القول بانَّ فنّ التصوير لولا الصَّنَعةُ النصارى في انحاء الشرق كان فُقد بعد ظهور الاسلام لانَّ اصحابهُ استنكفوا من صناعة التصوير لما وجدوا فيها من

المأثرة وخطر الشرك واستنادًا الى ما رُوي في الحديث: «ان الملائكة لا تدخلُ بيتاً فيهِ كلبٌ او تصاوير» وانهُ « اشدّ الناس عذاباً عند الله المصوّرون » وانّ « كلّ مصوّر في النار» فكسد لذلك فنّ التصوير بين المسلمين الّا العجم منهم الى أن عادوا فاتّخذوهُ زينةً وفرقوا بين صور العبادة وغيرها . ولا شكّ انّهم التجأُوا الى النصارى فتعلّموهُ منهم . وبرع فيهِ بعض المسلمين كالكتاميّ والتازوك والقصير وابن العزيز الذين ذكرهم المقريزي في كتاب الخطط(٢: ٣١٨) في وصف جامع القرافة وذكر شيئاً من اعمالهم . وقد قال العلّامة غايه (Al. Gayet) في كتابهِ الصناعة العربيّة (ص٢٥٠–٢٥٢) «انّ ما يوجد في مصر من آثار التصوير والحفر والاشغال الخشبيّة ونقوش الانسجة والزجاج كلّها مأخوذة عن الصَّنَعة الاقباط الذين علّموا هذه الفنون المسلمين في مصر كما يقرّ بهِ المسلمون انفسهم »

٤ فنّ الموسيقى والغناء

الموسيقى من اجلّ الفنون الجميلة غايتها تأليف الالحان وتناسب النغمات وتنظيم الاوزان المحرّكة للنفس تحريكاً ملذّاً . فمنها الموسيقى الطبيعيّةُ لتلحين الاصوات البشريّة والآليّةُ المتّخذة من آلات الطرب كالعود والارغن . وكلتاهما امّا دينيّة لتمجيد الله وتحريك القلوب على خدمته ولمّا مدنيّة ليسلو بها الانسان عن اشجانهِ وتطرب بنغماتها الصدور وتتشنّف بالحانها الآذان فتهيّج في سامعيها مختلف العواطف الليّنة او الشديدة المحزنة او المبهجة على حسب ايقاعها . ولذلك قال بعضهم : انّ الغناء غذاء الارواح كما انّ الشراب غذاء الاشباح

ولم يكن العرب ليجهلوا هذا الفنّ وبعض اصولهِ في الجاهليّة كما يؤخذ من روايات شتّى اثبتها ابو الفرج الاصفهاني في كتابهِ الشهير بالأغاني وربما دلّ على بعض اوزانهِ ونغماتهِ بمفردات كان اصطلح عليها قدماء المغنّين فكشف بعض المحدثين شيئاً من اسرارها (١

١) اطلب مقالات حضرة الاب كولنجت عن الموسيقى العربيّة في المجلّة الاسيويّة الفرنساويّة(Journal Asiatique, 1905. IV. 365 et VIII. 149)

هذا في غناء اهل الحضر امَّا عرب البادية فلم يعرفوا الَّا القليل من هـذا الفنّ كالحُداء لسَوْق ابلهم وكالبسيط من التـلاحين يسمُّونها بالترنُّم والتهليل والسناد والهزج. قال ابن خلدون في المقدّمة (٢: ٣٥٩ من طبعة باريس): «وهذا كلّهُ من اوائل التلاحين لا يبعد ان تتفطَّن لهُ الطباع من غير تعليم شأن البسائط كلها من الصنائع ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليَّتهم»

ولا نشكّ انَّ نصارى العرب في الجاهليَّة احرزوا لهم فخرًا في هـذا الفنّ كما اصابوهُ بالفنون الجميلة السابق ذكرها وذلك في قسمَي الموسيقى الدينيَّة والمدنيَّة معاً

﴿الموسيقى الدينيَّة﴾ اثبتنا في ما سبق لنا من الكلام كم كان لنصـارى العرب من كنائس واديار وصوامع ومقامات دينيَّة شتَّى في كلّ انحاء الجزيرة في شمالها وجنوبها واواسطها كانت تقام فيها الحفلات الدينيَّة. ومن المعلوم انَّ الرتب النصرانيَّة تُباشَر غالبـاً بالغناء والترتيل سواء أُنشدت التسـابيح التقويَّة او تُليت المزامير والصلوات الفرضيَّة وذلك منذ اوائل النصرانيَّة كـما ورد في رسائل القديس بولس حيث قال لاهل افسس (٥: ١٨-١٩): «أمتلئوا من الروح متحـاورين فيما بينكم بمزامير وتسابيح واغانيّ روحيَّة ومرنّمين ومرتّلين في قلوبكم للرب». ومثلهُ قولهُ لاهل كولسيّ (٣: ١٦)

وقد ورد في كتب العرب انَّ الرهبان كانوا اذا خافوا الملالة والفتور على ابدانهم ترنَّموا بالالحان واستراحت اليهِ انفسهم. وقال الابشيهيّ في المستطرف في كلّ فنّ مستظرف (٢: ١٧٧): «لاهل الرهبانيَّة نغمات والحان شجيَّة يمجّدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكَّرون نعيم الآخرة». وقد قيل في مغنٍّ منهم (ياقوت ٢: ٦٩١)

اذا رجَّع الانجيلَ واهتزَّ مائدًا ... تذكَّر محزونٌ وحنَّ غريبُ
وهاج لِقلبي عند ترجيع صـوتهِ ... بلابـلُ اسقـامٍ بهِ ووجيبُ

وقيل في غيرهم (٢: ٦٩٥):

انّي طَرِبْتُ لرُهْبـان تُجاوبة ... بالقُدْسِ بعد هدوّ الليلِ رُهبانا

وفي الشعر الجاهلي الفاظ اطلقوها على غناء القسوس والرهبـان. فيقولون «هينَمَ القسّ» اذا نغَّم بخفوت الصوت. قـال ايمن بن خُرَيم يشير الى تقديس الكأس عند النصارى (الاغاني ١٦: ٤٥):

ولم يشهد القسُّ المُهَيْمِن نـارَها طروقاً ولا صلَّى على طبخها حَبْرُ

ومثلهُ «زَمْزَم» اي طرَّب في صوتهِ خفيّاً . قال الاعشى في المعنى (شعراء النصرانيَّة ص ٣٧٨) :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بيتها وإن ذُبحت صلّى عليها وزَمْزما

واذا رفع صوتهُ بالدعاء قالوا «سبَّح» وانشدوا :

وما سبَّحَ الرهبانُ في كلّ بيعةٍ ابيلُ الابيلين المسيحُ بن مَرْيما

واذا تغنَّى القسُّ بقراءتهِ قيل شَمْعل . واذا اطلق صوتهُ بالدعاء قيل جأر . قال ربيعة بن مقروم في وصفهِ راهباً (الاغاني ١٩ : ٩٢)

يَجأَر ساعات النيام لربّهِ حتّى تحدَّد لحمُهُ مُتَشَمْعِلِ

(قال) المُتَشمعل المتغني في تلاوة الزبور . وقـال عديٌّ بن زيد النصرانيّ يقسم برئيس دينهِ :

انّني واللهِ فاقبلْ حَلْفتي بأبيلٍ كلَّما صلَّى جأَرْ

وقولهم « رجَّع الانجيل » اذا ردَّد نغماتهِ في حلقهِ . وقد مرَّ . ومثلهُ التلحين في قراءة الانجيل . وجاء في الحديث (ارشاد الانام للشيخ عليّ سالم ص ١٩ وفي الجامع الاصغر) : « ايَّاكم ولحون اهل الكتابين . اي التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى فانهم كانوا يُراعون حُسْن الصوت ولا يلتفتون الى تدبُّر المعنى » (كذا) . فمن هذا كلّهِ ترى ما كان من المقام السنيّ للغناء الديني بين نصارى العرب .

ولمَّا ظهر الاسلام وشاع القرآن بين اهلـهِ اخذوا قراءتهُ وتلحينهُ من قراءة وتلحين نصارى العرب . روى الفاكهي في كتاب اخبار امّ القرى (ص٩) عن عائشة قالت : سمع النبي صلعم قراءةَ ابي موسى الاشعريّ فقال : لقد أُوتي هذا من مزامير داوُد . وجاء في الحديث في الجامع الاصغر (اطلب ارشاد الانام للشيخ عليّ سالم ص ١٧و١٩) : «سيجيءُ بعدي قوم يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبـانيَّة والنَّوح لا يجاوز حناجرهم مفتونةٌ قلوبهم بقلوب من يعجبهم شأنهم» . وروى ايضاً في الحديث : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وايَّاكم لحون اهل الكتابين »

﴿ الموسيقى المدنيَّة ﴾ راجت في الجاهليَّة في دور المـلوك من تبابعة وغساسنة

ومناذرة . وقد عرف القرّاء من فصولنا السابقة نفوذ النصرانيّة بين هؤلاء الملوك الذين تقلّدوا في افراحهم عادات الشعوب المجاورة لهم لا سيّما اليونان والفرس والروم والدليل على ذلك ما قالهُ المسعودي في مروج الذهب (٨ : ٩٩) : « انّ العودَ عند اكثر الامم وجُلّ الحكماء يوناني صنعَهُ اصحاب الهندسة على هيئة طبائع الانسان» . ثمّ انّ كثيرًا من الالفاظ الدالّة على ادوات الغناء دخيلة فممّا استعاروهُ من الروم الارغن (ὄργανον) والبَربط (βάρβιτος) والسَّنطور (ψαλτήριον) والقانون (κανών) والقيثار (κιθάρα) . وكانوا يأتون بالقيان الروميّات وغيرهنّ كما روى حسّان بن ثابت في وصفهِ لبعض الحفلات التي احتفل بها ملك غسّان جبلة بن الايهم قال (اغاني ١٦ : ١٥) : « لقد رأيتُ عشر قيان خمس روميات يغنّين بالروميّة بالبرابط وخمس يغنّين غناء اهل الحيرة » اهداهنّ اليهِ اياس بن قبيصة

ومنهُ يتّضح انّ الغناء والادوات الموسيقيّة استعارها العرب من الامم المجاورة لا سيّما النصرانيّة . امّا اهل البادية فبقي هذا الفنّ بينهم في بساطتهِ على موجب معرفتهم الفطريّة . وقد شهد على ذلك ابو الفرج في كتابهِ الاغاني قال يذكر عمر بن الخطّاب اوّل الخلفاء الراشدين ومفنّدًا قول ابن خرداذبه (٨ : ١٣٩) :

« ولا كان الغناء العربي ايضًا عُرف في زمانهِ الّا ما كانت العرب تستعملهُ من النَّصب والحداء وذلك جارٍ مجرى الإنشاد الّا انهُ يقع بتطريب وترجيع يسير ورَفع للصوت ... واوّل من دُوّنت لهُ صنعته منهم (اي من الخلفاء) عمر بن عبد العزيز فانهُ ذُكر عنهُ انهُ صنع في ايّام امارتهِ على الحجاز سبعة الحان ... ومن الناس من ينكر ان تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصنعة ... ولم يوجد في وقت من الاوقات ولا حالٍ من الحالات اشتهر بالغناء ولا عُرف بهِ ولا بمعاشرة اهلهِ ... ومخالفوهم قد ايّدتهم اخبارٌ رويت »

وفي ايّام بني اميّة اشتهر اوّل المغنّين من العرب وهم : ابو يحيى عبيد الله بن سريج المتوفّى بالجذام في زمن هشام بن عبد الملك . ثمّ ابو الخطّاب مسلم بن محرز وكان اصلهُ من الفرس . ثم سعيد بن وهب كان ابوه اسود وكان هو خلاسيًّا مات في ايّام الوليد بن يزيد في دمشق . ثمّ الغريض واسمهُ ابو يزيد وقيل ابو مروان عبد الملك . وابو الوليد مالك بن ابي السمح . وسبقهم ابو عثمان سعيد بن مُسجح وكان في ايّام معاوية

ولا شكّ انّ نصارى العراق والروم مع اهل فارس هم الذين علّموا هؤلاء فنّ

الغناء. قال ابو الفرج في كتاب الاغاني (ص ٣ : ٨٤) وقولهُ حجّة في هذا الباب في ترجمة ابن مُسجح انهُ :

« مكّي اسود مغنٍّ متقدّم من فحول المغنّين واكابرهم واوّل من صنع الغناء منهم ونقل غناء الفرس الى غناء العرب ثمَّ رحل الى الشام واخذ الحان الروم والبربطيّة والاسطوخوسيّة (اي تنظيم الاوزان (στοιχείωσις) وانقلب الى فارس فاخذ بها غناء كثيرًا وتعلّم الضرب. ثمَّ قدم الى الحجاز وقد اخذ محاسن تلك النغم وألقى منها ما استقبحهُ من النبرات والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب وغنّى على هذا المذهب فكان اوّل من اثبت ذلك ولحّنهُ وتبعهُ الناس بعد ... وهو الذي علّم ابن سريج والغريض »

وجاء لهُ في محلّ آخر عن الغريض (٢ : ١٤٦) :

« قال هارون بن محمّد الزيّات حدَّثني حمّاد بن اسحاق عن ابيهِ انَّ الغريض سمع اصوات رهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها فقال لهُ مَنْ معهُ : يا ابا يزيد صُغْ على مثل هذا الصوت لحنًا فصاغ مثلهُ في لحنهِ : « يا امَّ بكرٍ ... » فما سُمع باحسن منهُ »

فترى تأثير غناء النصارى والرهبان في الغناء العربيّ في الاسلام. ولنا ما هو اشهر من ذلك نريد بهِ ترجمة بعض المغنّين من الذين ذكرهم ابو الفرج وغيرهُ من كتبة العرب. فمنهم حُنَيْن الحيري من فحول المغنّين روى ابو الفرج ترجمتهُ (١ في الاغاني (٢ : ١٢٠–١٢٧) وقال هناك أنهُ من العباديين واخوالهُ من بني الحرث ابن كعب النصارى كان في ايّام بني اميّة وهو من اهل الحيرة وكان مغرمًا بالغناء فاتّصل الى أن نبغ فيهِ وفي صناعة العود وكان نسيج وحدهِ في العراق فبلغ خبرهُ المغنّين في الحجاز ابن سريج والغريض ومعبد فكتبوا اليهِ ووجّهوا اليهِ نفقةً ليشخص اليهم فخرج الى الحجاز وسكن في بيت سكينة بنت الحسين بن علي ابي طالب فمات عندها وذلك لأنَّ الناس ازدحموا على سطح بيتها ليسمعوا غناءهُ فسقط الرواق ومات حنين تحت الردم. وجاء في الفهرست لابن النديم (ص ١٤١) انَّ لاسحاق الموصليّ كتاباً في اخبار حُنَيْن الحيريّ

واشتهر في الغناء في اوائل الاسلام من النصارى غير حنين. منهم عَوْن الحيريّ وكان عباديًّا ايضاً ذكرهُ صاحب الاغانيّ (٢ : ١٢٥و١٠ : ١٣٥). وذكر برصوما المزمّر (٥ : ٣٤و٤٦ الخ) وذكر ايضاً بعض الحيريّين وبهِ يثبت قولنا انَّ للنصرانيّة

١) اطلب مجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (Journ. As., 1873b, 425-4333)

في عهد الجاهليَّة واوائل الاسلام فضلًا في اشاعة الغنــاء والموسيقى العاميَّة والمدنيَّة كما اشاعوا بين العَرب الغناء والموسيقى الدينيَّة . وكانت طريقتهم في الغناء على النمط القديم المستحسن الى ان اشتهر في ايَّام الرشيد اخوه ابراهيم بن المهديّ الذي قال عنهُ ابو الفرج في الاغاني (٩ : ٣٥) انهُ « هو اوَّل من افسد الغناء القديم وجعل للناس طريقاً الى الجسارة على تغييره »

الفصل الحادي عشر

العلوم والصنائع بين نصارى العرب

بديهيّ انَّ عيشة العرب الساذجة في البوادي تحت الخيم بين الشاء والنوق لا تحتاج الى علوم واسعة وصنائع راقية . واحسن ما قيل في ذلك ما ورد في كتاب طبقات الامم للقاضي ابي قاسم صاعد الاندلسيّ (١ حيث بيَّن إجمالاً مــا كان عليهِ العرب من البداوة وقلَّة الاكتراث بالعلوم سواء كانوا من اهــل المدَر او اهل الوبر حتَّى قال انهم «لم يكن فيهم عالم مذكور ولا حكيم مشهور» على انَّهُ استثنى منهم اهل اليمن وبني حمْير فسلَّم لهم بالمعارف الدالَّة عليها الآثار الباقية من عهدهم وخصَّ منهــا علم النجوم وعلم الهندسة . وكذلك لم ينكر انَّ لبقيَّــة العرب في عهــد الجاهليَّة واوَّل ظهور الاسلام الماماً في مرئيَّات الفلك والمواقيت والطبّ. ومعرفة ببعض الصنائع . وها نحن نذكر هنا ما يثبت قولنا في نفوذ النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة من جهة بعض العلوم والصنائع

١ العلوم بين عرب الجاهليَّة

ذكرنا منها في فصل الفنون الجميلة (علم الهندسة) وما كان للنصارى من الفضل

(١) راجع طبعتنا (ص ٤١—٤٧) التي سعينا بنشرها مع شروح وفهارس سنة ١٩١٢ فاختلسها عبد الرؤوف افندي الدبّاغ ونشرها في مصر بعد تجريدها من فوائدها

في الآثار البنائيّة الدينيّة والمدنيّة قبل الهجرة وفي اوّل الاسلام فليراجع . ونضيف الى قولنا هناك انّ النصارى اوّل من نقل الى العربيّة كتب اوقليدوس في الهندسة وذلك في صدر الدولة العبّاسيّة نقلهُ اوّلاً الحجّاج بن يوسف بن مطر ثمّ ثابت بن قرّة . فبقي علينا ان نثبت ما اداهُ النصارى للعرب من الخدم في علوم الطب والنبات والنجوم والفقه . امّا الشعر والعلوم اللغويّة فسنفرد لها باباً آخر

﴿ الطبّ ﴾ قال صاعد (ص ٤٧) : « انّ صناعة الطبّ كانت موجودة عند جماهير العرب لحاجة الناس طرًّا اليها » . لكنّ هذا العلم قد اقتبسوهُ من الامم النصرانيّة المجاورة ولا سيّما من الكلدان والسريان واليونان . وكان للسريان مدارس طبيّة ومستشفيات في العراق وفارس في جنديسابور وكذلك اليونان اشتهرت مدرستهم الطبيّة في الاسكندريّة . فان تصفّحنا التواريخ القديمة وجدنا ان الطبّ شاع بين العرب بواسطة حكماء نصارى او متطبّين من تلامذتهم

فممّن سبقوا الاسلام وجاء ذكرهم في تواريخ الاطباء تيادروس . قال ابن النديم في الفهرست (ص ٣٠٣) ونقلهُ عنهُ ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء في طبقات الاطبّاء (١ : ٣٠٧) : « تيادروس كان نصرانيًّا ولهُ معرفة جيدة بصناعة الطبّ ومحاولة لاعمالها وبنى لهُ سابور ذو الاكتاف البيَع في بلدهِ ويُقال انّ الذي بنى لهُ البيَع بهرام جور ولتيادروس من الكتب كنّاش (اي مجموع طبيّ) »

وقد سبقَ عهد الاسلام ايضاً اطبّاء سريان او روم شاعوا عند العرب كاهرن بن اعين المعروف بالقسّ الذي وضع كنّاشاً بالسريانيّة في ٣٠ مقالة قال ابن جلجل انّ عمر بن عبد العزيز وجدهُ في خزائن الكتب فامر ماسرجويه اليهودي باخراجهِ فوضعهُ في مصلّاهُ واستخار الله في اخراجهِ الى المسلمين للانتفاع بهِ » (ابن ابي اصيبعة ١ : ١٦٣) . وكشمعون الراهب المعروف بطيبويه (١ : ١٠٩) وكسرجيس الراسعينيّ اوّل ناقل كتب اليونان الى السريانية . وكسرابيون ويوحنّا ابنهِ من اهل باجرمي . فليوحنّا كتاب كنّاش كبير في سبع مقالات . وذكر ابن بختيشوع في تاريخهِ من الاطبّاء الروميين اصطفن الحرّاني واقرن الروميّ (تاريخ الحكماء للقفطي ص ٥٦) . وذكروا طبيباً آخر روميًّا يدعونهُ انسطاس ولم يعرّفوا زمانهُ ضربوا بهِ المثل في الحذق بالطبّ . وقيل من اسمهِ اشتقّوا اللفظة العربيّة النِّطيس او النطاسيّ (تاج العروس ٤ : ٢٥٨) .

قال اوس بن حَجَر يذكر رجلًا من تَيم الرِّباب اسمهُ حِذْيَم ضُرِب المثل بحذقهِ في الطبّ:

فهل لكمُ فيها اليَّ فانّني طبيبٌ بما أعيا النِّطاسيَّ حِذْيَمَا

واشهر من هؤلاء الحارث بن كَلَدة الثقفيّ المعروف بطبيب العرب كان من نصارى النساطرة. وقد اتّسع في ترجمتهِ وذكر مآثرهِ الطبيّة كثيرون من كتبة العرب كالقفطيّ في تاريخ الحكماء (ص ١٦١) وابن ابي اصيبعة (١: ١٠٩) وابن قتيبة في المعارف (ص ٩٨) وذكر لهُ ابن عبد ربّه شعرًا (في العقد الفريد ٣: ١١٤) قالوا انهُ كان من الطائف وسافر الى بلاد فارس واخذ الطبّ من نصارى جنديسابور وغيرها وبرّز في صناعة الطبّ وطبّب في فارس وعالج بعض اجلّائهم فبرئوا وحصل لهُ بذلك مال كثير ثمّ رجع الى بلدهِ الطائف وادرك الاسلام فاتّخذهُ صاحبهُ كطبيب. وكان محمَّد يأمر من بهِ علّة انيأتيهُ وبقي الى ايام معاوية. قال ابو زيد: «وكانت للحارث معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتادهُ وتحتاج اليه». وقد ذكروا لهُ حِكَماً واقاويل عديدة تدلُّ على ثقوب عقلهِ وكثرة علمهِ. وقالوا انهُ أسلم لكنّ اسلامهُ لم يصحّ

وتبع الحارثَ ابنهُ النضرُ بن الحارث بن كَلَدة وهو ابن خالة نبيّ المسلمين قال ابن ابي اصيبعة (١: ١١٣): «وكان النضر قد سافر البلاد ايضاً كأبيهِ واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكّة وغيرها وعاشر الاحبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر واطّلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة وتعلّم من ابيهِ ايضاً ما كان يعلمهُ من الطبّ وغيرهِ» ثم ذكر معاداتهُ لمحمَّد وسعيهُ بأذاهُ الى ان كان يوم بدر فانتصر محمَّد وانصارهُ على اعدائهم وكان النَّضر من جملة المأسورين فامر بقتلهِ (سنة ٦٢٤ م). وقد روينا سابقاً رثاء اختهِ قتيلة لهُ (اطلب الاغاني ١ : ١٠) وقول محمَّد عند ما سمع ابياتها: «لو سمعتُ هذا قبل ان اقتلهُ ما قتلتُه»

وقد ذُكر من الاطباء النصارى في صدر الاسلام عبدُ الملك بن ابجر الكنانيّ. قال فيهِ ابن ابي اصيبعة (١: ١١٦): «كان طبيباً عالمًا ماهرًا وكان مقيماً في اوَّل امرهِ في الاسكندريَّة لانَّهُ كان متولّي التدريس بها من بعد الاسكندرانيّين وذلك عند ما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى. ثمّ ان المسلمين لمّا استولوا على البلاد وملكوا الاسكندريَّة أسلم ابنُ ابجر على يد عمر بن عبد العزيز وكان

حينئذٍ اميرًا قبل ان تصل اليهِ الخلافة وصحبهُ . فلمَّا افضت الخلافة الى عمر وذلك في صفر سنة ٩٩ للهجرة نقل التدريس الى انطاكية وحرَّان وتفرَّق في البلاد وكان عمر بن عبد العزيز يستطبّ ابنَ ابجر ويعتمد عليهِ في صناعة الطبّ »

واشتهر في الطبّ غير هؤلاء من نصارى العرب في اوائـل الاسلام ذكر منهم القفطيّ وابن ابي اصيبعة الطبيبَ ابن الأثال . قال في طبقات الاطبَّاء (١ : ١١٦) : «كان طبيباً متقدّماً من الاطبَّاء المتميّزين في دمشق نصرانيَّ المذهب ولمَّا ملك معاوية ابن ابي سفيان دمشق اصطفاهُ لنفسهِ واحسن اليه وكان كثير الافتقاد لهُ والاعتقاد فيهِ والمحادثة معهُ ليلًا ونهارًا وكان خبيرًا بالادوية المفردة والمركَّبة» . وقد روى في الاغاني (١٥ : ١٣) كيف قتلهُ خالد بن المهاجر لانهُ سقى بامر معاوية سمًّا عمَّهُ عبد الرحمان بن خالد

واشتهر ايضاً في ايَّام معاوية الطبيب النصرانيّ ابو الحكَم الدمشقيّ . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٩) : «كان طبيباً نصرانيًّا عالمًا بانواع العلاج والادوية ولهُ اعمال مذكورة وصفات مشهورة وكان يستطبُّهُ معاوية ويعتمد عليهِ في تركيبـات ادوية لاغراضٍ قصدها منهُ . وعُمّر ابو الحكم عمرًا طويلًا حتى تجاوز المئة سنة » . ثم ذكر ابنهُ الحكَم وحفيدهُ عيسى بن الحكَم وجرى كلاهما على خطَّتهِ متطبّبَين وماتا في عهد الدولة العبَّاسيَّة

ومن مشاهير الاطبَّاء المسيحيين في اوائل الدولة الامويَّة تيـاذوق وثاودون «كان تياذوق طبيباً فاضلًا ولهُ نوادر والفاظ مستحسنة في صنـاعة الطبّ وكان في اوَّل دولة بني اميَّة ومشهورًا عندهم بالطبّ . وصحب ايضاً الحجَّاج بن يوسف الثقفي المتولّي من جهة عبد الملك بن مروان وخدمهُ بصناعة الطبّ وكان يعتمد عليهِ ويثق بمداواتهِ وكان لهُ منهُ الجامكيَّة الوافرة والافتقاد الكثير . . ومات تياذوق بعد ما اسنَّ وكبر وكانت وفاتهُ في واسط في نحو سنة ٩٠ للهجرة . ولهُ من الكتب كنَّاش كبير الَّفهُ لابنهِ وكتاب ابدال الادوية وكيفيَّة دقّها وايقاعها واذابتها » (ابن ابي اصيبعة ١ : ١٢١) . امَّا ثاودون فذكرهُ ابن العبري في تاريخـهِ (ص ١٩٤) وذكر لهُ ايضاً كنَّاشاً ولم نجد لهُ ذكرًا في غيرهِ

فترى صدق قولنا في فضل النصارى العرب في فنّ الطبّ والمعالجات . امَّا فنّ

الجراحة فزاولها رجل نصراني من تميم على عهد رسول الاسلام اسمهُ ابن ابي رِمْثة ذكرهُ ابن ابي اصيبعة(١: ١١٦)قال انه كان مزاولًا لاعمال اليد وصناعة الجراحة وقد صحَّفهُ المرحوم جرجي زيدان في كتاب التمدُّن الاسلامي (٣: ٢١) بابن ابي رومية

﴿علم النبات﴾ يُلحق العرب علمَ النبات بعلم الطبّ الذي يستمدُّ منهُ موادَّهُ وادويتهُ وذلك ما يدعونهُ بالمفردات ومنها يستحضر الاطبَّاء أدويتهم فيعدُّون المركَّبات. ولا جرم انَّ العرب في الجاهليَّة عرفوا كثيرًا من النباتات التي تنمو في جزيرتهم وعلموا بالتجربة فوائدها الغذائيَّة والعلاجيَّة . والدليل عليهِ ما ورد في معاجمهم من اسماء النباتات التي جمع منها الاصمعيّ كتاباً دعاهُ كتاب النبات والشجر نشرهُ الدكتور هفنر في مجموعنا الموسوم بالبلغة في شذور اللغة (ص١٧—٦٢) ونشر ايضاً للاصمعي كتاب النخل والكرم (٦٣—٩٨)

غير ان هذه اللغويات لا يحصل منها علمٌ مفيد الَّا بمعرفة خواصّ تلك المفردات ومنافع كل صنف من النبات .وقد اصبح النصارى في هذا العلم كما في علم الطب قوماً وسَطاً بين القدماء والعرب. فانَّ الاطباء الذين ذكرهم اذ درسوا في مدارس الاسكندرية وجنديسابور اقتبسوا منها ايضاً علم النبات الصالح للطب والغذاء . والدليل عليهِ فصول اوردها ابن ابي اصيبعة وغيرهُ من الكتبة للحارث بن كلَدة فيها عدَّة اوصاف للادوية النباتيَّة وللاشجار والاثمار والحشائش ذكرها في محاورة جرت لهُ بينهُ وبين كسرى انوشروان

وكذلك تآليفهم التي دعوها بالكنَّاشات وهي لفظة سريانيَّة يراد بها المجاميع الطبيَّة واوصاف الادوية المتَّخذة عموماً من النبات

ولعلّ هؤلاء الاطبَّاء درسوا كتاب ديسقوريدس العين زربيّ اليوناني في النبات والحشائش والادوية المفردة في اصلهِ اليونانيّ وعليهِ كان المعوَّل في الطب القديم. امَّا ترجمتهُ العربية فكان النصارى ايضاً اوَّل المُقدمين عليها . قال ابن جُلجل (في طبقات الاطبَّاء ٢: ٤٦—٤٨) : « انَّ كتاب ديسقوريدس تُرجم بمدينة السلام في الدولة العبَّاسيَّة في ايَّام جعفر المتوكل وكان المترجم لهُ اصطفن بن بسيل الترجمان من اللسان اليونانيّ الى اللسان العربيّ وتصفَّح ذلك حنين بن اسحاق المترجم فصحَّح الترجمة واجازها» . ثمَّ قال ما خلاصتهُ انَّ اصطفن كان ابقى اسماء كثيرة من النباتات على

لفظها اليوناني لجهلهِ ما يوافقها في اللسان العربي . وبقي الامر كذلــك الى ان ارسل ملك الروم الى صاحب الاندلس الملــك الناصر عبد الرحمان نسخةً من كتاب ديسقوريدس مع صور الحشائش بالوانها ثمَّ إرسل اليــهِ راهباً يدعى نيقولا جاء الى قرطبة سنة ٣٤٠هـ (٩٥١ م)وأعاد النظر في ترجمة اصطفن فصحّحها ووضع للنباتات اسماء عربيَّة موافقة لها وذلك بصحبة اطبَّاء وجدهم هنــاك ذوي معرفة بالنباتات والعقاقير فصارت هذه الترجمة هي المعوَّل عليها واستفاد منها ابن جلجل وابن البَيْطار في تآليفهما عن المفردات . ثمَّ كان لجالينوس ايضاً تأليف في النبات عرَّبهُ حنين بن اسحاق

﴿ علم النجوم ﴾ انَّ صفاء اديم السماء في انحاء جزيرة العرب في معظم ليــالي السنة لمَّا ألفتَ انظار اهلها الى مــا زيَّن بهِ الله الافلاك من النجوم والكواكب والسيَّارات فعرفوها منذ سالف الاعصار ودلُّوا اليها باسماء شاعت بعدئذٍ بين الامم الغربيَّة وهي لا تزال الى اليوم جاريةً على لفظها العربي بين ارباب الفلك . وكان ممَّا يبعث همَّتهم الى رصد الفلك ومراقبة النجوم حاجتهم اليها ليهتدوا بها في اسفارهم وهم قوم رُحَّل يقطعون البراري والاقفار . ومنهم القوافل التي كان عليهــا المعتمد في المواصلات بين الهند وفارس وسواحل الشام . وكانوا استفادوا شيئــاً كثيراً من ذلك بمجاورتهم للكلدان اللذين سبقوا جميع الامم في علم الفلك . فاخذوا عنهم علم الانواء الجوّيَّة وحركات السيَّارات ومنازل القمر ومنطقة البروج . وفي الشعر القديم آثار من ذلك

ولنا شاهد في سفر ايوب على معرفة العرب لاسماء النجوم وحركاتهــا في الفلك اذ كان ايوب النبيّ عربيّ الاصل عــاش في غربيّ الجزيرة حيث امتحن الله صبره . وكذلك في المجوس الذين اهتدوا بالنجم الى مذود السيّد المسيح شاهد آخر على قولنا والمجوس على رأي كثيرين من الآباء من شيوخ العرب . على انَّ هذا العلم كبقيَّــة العلوم كان عند العرب عمليّاً ليس نظريّاً . ربَّما قام بينهم وفي جيرتهم مَن يبحث فيهِ بحثاً مدقّقاً . وكان السريان اوَّل من فعلوا ذلك منهم بردَيصان المبتدع (راجــع ترجمتهُ في المشرق ١٨ : ٩٧٧) . ومنهم سرجيوس الراس عيني ويعقوب الرهاوي وجرجس المعروف باسقف العرب وساويرس سِبوكت وغيرهم . وتآليفهم باقية الى يومنــا

في خزائن كتب اوربة الكبرى . منها ترجمتهم لعدة مصنفات يونانية لجالينوس ولاسيما لبطلميوس القلوذي فانهم نقلوا كتابهُ المجسطيّ وهو افضل وامتع كتاب وضعهُ اليونان في علم الهيئة . ثمَّ تولّى بعدهم تعريبهُ وتفسيرهُ علماء النصارى اولهم حنين بن اسحاق ثمَّ الحجّاج بن يوسف بن مطر الكوفي وثابت بن قرّة في عهد المأمون ثمَّ عبد المسيح بن ناعمة الحمصيّ فاصبح مذ ذاك علم النجوم زاهرًا في الاسلام

﴿ الفقه ﴾ هو علم الاحكام الشرعيّة العمليّة . ولم يكن للعرب ان يستغنوا عنهُ وهو اما دينيّ واما مدنيّ . وللنصارى في كليهما بعض الآثار بين عرب الجاهلية

فاما الفقه الديني فكان نصارى العرب يتّبعون احكامهُ المنصوصة في المجامع الكنسيّة العموميّة والخصوصيّة التي كان يُعلن بها اساقفتهم في انحاء الجزيرة . وكانت هذه الاحكام مكتوبة اما باللغة السريانيّة كما ترى في المجامع النسطوريّة التي نُشرت بالطبع (راجع القسم الاوَّل ص ٧١) واما باللغة اليونانيّة كالحقوق القانونيّة التي وضعها القديس جرجنسيوس رسول الحِمْيريين بعد موت شهداء نجران (القسم الاوَّل ص ٦٤)

واما الفقه المدنيّ فغلب على المتنصرين من بني غسَّان والقبائل المجاورة للفرات وما بين النهرين الفقهُ الرومانيّ كما نظَّمهُ الملك يوستنيان . ولما جاء الاسلام ادخلوا كثيرًا من احكامهِ في الفقه الاسلاميّ كما بيَّن ذلك العلماء الاوربيّون

وكان لقبائل العرب قضاةٌ نجد بينهم بعضاً من الدائنين بالنصرانيَّة نخصّ منهم بالذكر قسّ بن ساعدة اسقف نجران المدعو بحكيم العرب وحَكَمهم . وزهير بن جناب القضاعيّ وذو الاصبع العَدْوانيّ (راجع تراجمهم في شعراء النصرانيّة)

وقد اشتهر في الجاهليَّة قضاة بني تميم واغلبهم نصارى بينهم اسقف نصرانيّ مرَّ لنا ذكرهُ (ص١٢٦ و٢٥١) وهو محمَّد بن سفيان بن مجاشع بن دارم (نقائض جرير والفرزدق ص٤٥٣) . وقد ورد هناك عن حكام تميم ما حرفهُ (ص ١٣٩) : «كان حكّام بني تميم في الجاهليَّة ستّةٌ : ربيعة بن مخاسن احد بني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم . وزُرَارة بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم . وضَمْرة بن ضَمْرَة النَّهْشَليّ . وأكثم بن صيفيّ . وابوه صيفيّ من بني أُسَيِّد بن عمرو . والأقرع بن حابس حتى بَعَث الله نبيَّهُ محمَّدًا صلعم وهو الاقرع بن حابس بن عقال بن محمَّد بن سُفين بن

مجاشع» . وقال في تفسير قول جرير (ص٤٣٨) : «ونحنُ الحاكمون في عكاظٍ» : انَّ الحكّام والائمة في الموسم (اي عكاظ) كانوا بعد عامر بن ظَرِب في بني تميم فكان الرجل يلي الموسم منهم ويلي غيرهُ القضاء . فكان من اجتمع لهُ الموسم والقضاء جميعاً سَعْدُ بن زيد مناة بن تميم . ثمّ وليَ ذلك حنظلة بن مالك بن زيد مناة ووَليَهُ ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم . ثمّ وليهُ مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . ثمّ الأَضبط بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد . ثمّ صَلصل بن أَوس بن مخاشن بن معاوية بن شُريَف بن جُرْوة . وكان آخر تميميّ اجتمع لهُ القضاء والموسم سُفيان بن مجاشع فمات حتّى جاء الاسلام وكان محمّد بن سفين بن مجاشع يقضي بعكاظ فصار ميراثاً لهم فكان آخر من قضى منهم الذي وصل الى الاسلام الاقرع بن حابس»

٢ الصنائع بين عرب الجاهليّة

ان كان العرب في الجاهليّة قد استغنوا عن كثير من العلوم لعدم حاجتهم اليها ليس الامر كذلك في الصنائع . فانهم كانوا مع سذاجة عيشهم يحتاجون الى كثير من المصنوعات التي لا تُنال الّا بالحِرَف والصناعات كالمأكول والملبوس والاسلحة والمعاملات التجاريّة . وقد كان للنصارى من العرب اليد الطولى في كلّ ذلك كما سترى

﴿صناعة النسيج والحياكة﴾ هذه الصناعة من مذاهب الحضارة . فكان عرب البادية يجهلونها وانّما شاعت بين عرب الحَضَر . واكثر ما نرى شيوعها بين نصارى العرب في جهات اليمن والبحرين والشام وفي بلاد قضاعة وكانوا يبيعون بعضها من اقباط مصر . وهذه بعض الشواهد على اثبات قولنا

قال الثعالبيّ في لطائف المعارف (طبعة ليدن ص ٢٨) انَّ اهل اليمن «كانوا يعيَّرون بالحياكة» . وكان المثل يضرب برياط اليَمَن وبِبُرود اليمن وربّما كانوا يخطّطونها . قال اوس بن حَجَر :

فاني رأيتُ العِرضَ احوجَ ساعةً الى الصَّوْن من رَيْطٍ يَمانٍ مُسهَّمِ

وكانت البرود اليمانيّة غالية الثّمن (التاج ٢ : ٣٠٠) ومنها ما كان يُصطنع في نجران . جاء في صحيح البخاريّ في باب البرود انَّ صاحب الاسلام كان يلبس «بُرْدًا

نجرانيًّا غليظ الحاشية » . وقد وصفوا انواعاً من برود اليمن ذكرها ابن سيده في المخصّص (٤ : ٧٢) كالعَصْب قال « هو ضرب من الثياب يُعْصَب غزلهُ ويُدْرَج ثم يُصْبَغ ويُحاك يقال بُرْدُ عَصْبٍ» . وكالمَرَاجل يقال ثوب مُمَرْجَل اي على صنعة المِرْجَل وهو ضَرْب من الوشي . وكالحَال وهو الثوب الناعم . وكالحِبَرة والعَبَرَة وكلّها من برود اليَمَن

وممّا نُسب من الثياب الى مخاليف اليمن الوشيُ العَبْقري المنسوب الى عَبْقَر من ارض اليمن والطنافس العبقريّة . قال ياقوت (في مادّة عبقر) : «بنو يزيد ينسجون الصوف فعملوا منهُ الزرابيّ العبقريّة وعملوا البرود اليزيديّة» . وممّا نُسب الى شرْعب المخلاف باليمن البرود الشرعبيّة . ونُسب الى مخلاف جَيشان الخُمُرُ الجيشانيّة . والى سَحُول ورَيدة قريتين في اليمن الثياب السَّحُولية المصنوعة من القطن الابيض قال طرفة (ديوانهُ ٧٦) :

وبالسَّفْح آياتٌ كأنَّ رسومها يَمَانٍ وشَتْهُ رَيدَةٌ وسَحُولُ

والى السَّدير من ارض اليمن نسبوا البرود السَّديريّة قال الاعشى :

وبيداء قفر كبُرْد السدير مشاربُها دائراتٌ أُجُنْ

وكان اليمنيّون يعملون الرحال وينقشونها ويحسنون صنعها قال جرير (نقائض ٧٥٦) يصف رحالًا :

ومنقوشةٍ نقشَ الدنانير عوليَتْ على عجَلٍ فوق العتاق العيامِ

ومن ثياب اليَمَن الرَّقْمُ والعَقْلُ وهما أحمران كانوا يسدلونهما على هوادج النساء (المفضّليات ص ٥٧٨) . ومثلها النزل اليماني ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني (١ : ٣٢) . وما يدل على انّ هذه المنسوجات كانت من صنع النصارى ما ذكرهُ ابن سعد في طبقاته في باب الوفود قال عن وفد نجران وكلّهم من النصارى انّ رسول الاسلام صالحهم « على الف حُلّة في رجب والف في صَفَر اوقيّةُ كلّ حلّةٍ من الاواق وعلى عاريّة ثلثين درعاً وثلثين رمحاً وثلثين بعيرًا وثلثين فرساً » . وقد تكرّر في كتب الحديث ذكر الحلل والانسجة والحرائر النجرانيّة

وكان العرب قبل الهجرة وفي اوائل الاسلام يقتنون ايضاً ملابسهم عند نصارى منبج واليها نسبوا الاكسية المنبجانيّة ويقال الانبجانيّة

وقد اشتهرت بين العرب المنسوجات القبطيّة . فانّ بعض مدنها كالاسكندريّة ودمياط وتنّيس والفرما كانت تحتوي على معامل شائعة الذكر قال ياقوت(٢ : ٦٠٣) : «ان دمياط كان يُعمل فيها القَصَب البلخيّ من كلّ فنّ والثياب البيض الغالية الثمن والفرش القلموني من كلّ لون المعلَم والمطرّز» . والى القبط نُسبت القباطيّات وكانت ثياباً معروفة بالرقّة والدقّة والبياض . قال الكميت يصف ثورًا :

لَباحٌ كأنْ بالأتحميَّة مُسْبَعٌ ازارًا وفي قبطيَّــةٍ متجلببُ

وفي الحديث انّ محمّدًا كان يجلّل بدنَهُ القباطيّ والأغماط . والنمَط ضرب من الثياب المصبغة . وقد ذكر المقريزي في الخطط (١ : ١٨١) أنّهم في الاسلام كانوا يأخذون كسوة الكعبة من تنّيس وذُكر عن الفاكهيّ انهُ رأى لهارون الرشيد كسوة من قباطيّ تاريخها سنة ١٩٠هـ (٨٦٠ م) . وذكر ايضاً الثيــاب القيسيّة والثياب الدبيقيّة المنسوبة الى دَبيق مدينة بين الفرما وتنّيس وكانت من ادقّ الثياب المنسوجة بالذهب

وكان اكثر الحرير يأتي بهِ العرب من بلاد الروم . قال الاخطل (راجع ديوانهُ ص ٣٨٧) :

بناتُ الروم في سرَقِ الحرير

والسَّرَق واحدتُهُ سرَقة وهي شقائق الحرير او اجودهُ وقال في ذلك :

يرْفُلْن في سَرَقِ الفِرِنْدِ وقَزّهِ يَسْحَبْن من هُــدّابهِ أذيــالا

ومن الانسجة الثمينة التي كان يتزاحم عليها امراء العرب الدَّفنيّ من مصنوعات اليمن . قال الاعشى يصف بعض الاعيان (شرح المفضّليات ص ٥٢٨ ,éd. Lyall) :

يَمْشون في الدَّفنيّ والأبرادِ

ومثلها السِّيَراء من برود اليمن الموشّاة المخطّطــة التي يخالطها الحرير كالسُّيور كان يحيكها نصارى نجران ودومة الجندل . وفي الحديث انّ أُكيدِر بن عبد الملــك النصراني صاحب دومة اهــدى الى محمّد حُلّةً سيَراء (التاج ٣ : ٢٨٧) . وكذلك عرف اهل مكّة الارجوان من مصنوعات سواحل الشام وورد ذكرهُ في تاريخ اليعقوبي

(٢: ٢٣) في وصف زينة نبيّ الاسلام وفي حديث الخليفة عثمان بن عفّان (النهاية لابن الاثير ٢: ٧١) . وقد ورد في صحيح مسلم (٢: ١٥٢) وصحيح الترمذي (١: ٣٣١) وفي انساب البلاذري (٣٣٢) وغيرها ذكر حلل الديباج والثياب المُعَصْفَرة والحِبَر المفوَّفة اي الرقيقة الوشاة والطيالسة التي كان يهديها الوفود من اهل اليمن ومن الرهبان الى صاحب الشريعة الاسلاميَّة واكثرها من صنع نصارى اليمن او الشام. قال ابن الاثير في أُسد الغابة في اخبار الصحابة (٢: ٤١١) انَّ عطارد بن حاجب الذي وفد على نبيّ الاسلام مع وجوه تميم النصارى وكان سيّداً في قومه اهدى محمّداً ثوب ديباج. وروى المسعودي في مروج الذهب (٤: ١٧٨) انّ ملوك اليمن قدموا الى ابي بكر وعليهم الحُلَل والحِبَر وبرود الوشي. وذكر ايضاً (١: ٢٢١) الساج والطيلسان فيما فرضهُ خالد بن الوليد على النصارى العباديّين وزعيمهم عبد المسيح بن بقيلة من اهل الحيرة. وكذلك صاحب بانقيا بُصْبُهْر بن صَلوبا ذكر البلاذريّ في فتح البلدان (ص٢٤٤) انَّهُ «صولح على الف درهم وطيلسان»

وكان اليمنيُّون يحسنون عمل الرحال وينقشونها قال جرير (النقائض ص٧٥٦):

ومنقوشةٍ نقش الدنانير عُورِيَتْ على عَجَلٍ فوق النِياق العياهِمِ

ومن منسوجاتهم ايضاً الطنافس والبُسُط والأَنطاع . اتَّخذوا بعضها لكسوة الكعبة قال البلاذريّ في الفتوح (ص٤٧) : «وكانت كسوة الكعبة في الجاهليَّة الانطاع والمنافر (والصواب المعافر وهي منسوجات يمنيَّة) فكساها الرسول صلعم الثياب اليمنيَّة ثمَّ كساها عُمر وعثمان القباطيّ ثمّ كساها يزيد بن معاوية الديباج... وكساها بنو اميَّة في بعض ايَّامهم الحلل التي كان اهل نجران يؤدُّونها». ومن الطنافس الشهيرة الطنافس العبقرية التي كان يصطنعها نصارى تنوخ وقضاعة. قال ابن خلدون في تاريخه (٢: ٢٤١): «انّ التنوخيين نزلوا عَبْقَرة من ارض الجزيرة ونسج نساؤهم البرود العبقرية». وقال ياقوت في معجم البلدان (٣: ٩٠٧) ان عبقرة كان يوشى فيها البسط وغيرُها فنُسب كل شيء جيد الى عبقرة. وقال الفرَّاء هي الطنافس الثخان . وقال مجاهد : العبقريّ الديباج. وقد ذكر المقريزي في الخطط مصانع البُسط في صعيد مصر ممَّا كان يشتغله نصارى الاقباط في البهنساء ودمياط وتنّيس ودابق. ذكر انَّ بعض البسط كان يبلغ طولهُ ٣٠ ذراعاً وكان يباع الزوج منها

مائتي مثقال ذهب. وروي انّ فسطاطاً صنعوهُ في تنيس منسوجاً بالذهب بيع بقيمة ١٤٠٠٠ دينار ما يساوي اليوم من نقودنا نحو ٢٠٠٠٠٠ فرنك وكانوا ينقشون على هذه البُسط صورًا شتّى من الرجال والسباع والخيل والطيور. وفي متاحف اوربّة منها بقايا (Gayet : l'Art Arabe, 248-252) وكان البعض منها مصلّباً اي منقوشاً عليها الصلبان (١. وروى في التاج في حديث جرير (١ : ٣٣٨) قولهُ: «رأيتُ على الحُسَين ثوباً مصلّباً اي فيهِ نقش امثال صلبان»

﴿النجارة﴾ هي ايضاً احدى الصنائع التي شاعت بين النصارى فاستفاد منها العرب في الجاهليّة واوائل الاسلام وذلك لندورة الخشب في انحاء كثيرة من جزيرة العرب الّا اطرافها ولبُعد العرب عن العمران الحضَري . قال ابن خلدون في المقدّمة (٢ :٣١٣ طبعة باريس) : «انّ العرب ابعد الناس من الصنائع والسبب في ذلك انهم أعرق في البدو وأبعد من العمران الحَضَري . والعجم من اهل الشرق وامم النصرانيّة عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها لأنهم اعرق في العمران الحَضَري وابعد عن البدو» ثم ذكر كيف ان العرب استجلبوا صنائعهم من عند تلك الامم

وقد مرَّ لنا شيءٌ من اعمال النصارى الخشبيّة في جزيرة العرب منها ما سبق في ذكر القليس (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٥٢٥) وما دخل فيهِ من الاخشاب الثمينة كالسأسم والساج والابنوس اشتغلها النصارى فزيّنوا بها كنائسهم قبل الاسلام

ومثل ذلك ما رواهُ ابو الوليد محمّد الازرقيّ في كتاب اخبار مكّة (ص ١٠٥ ، ١٠٧، ١١٤) عن باقوم الروميّ النجّار والبنّاء الذي وكلت اليهِ قُرَيش بناء الكعبة بعد حريقها وتصدُّع جدرانها فبناها بما اشتراهُ القريشيُّون من الخشب الذي اقبلت بهِ سفينةٌ الروم الى جُدّة . وهم نصارى الاقباط والروم ايضاً الذين سقّفوا بالساج المزخرف المسجد الحرام في مكّة في ايّام الوليد بن عبد الملك (الازرقيّ ص٢٠٩)

وممّا صنعهُ النصارى في اوّل الاسلام لخدمة نبيّه وخلفائهِ الراشدين المنبر اصطنعهُ اوّلًا روميٌّ نجّار كما روى ابو سعيد وقيل «انّ اسمهُ باقوم او ياقول الروميّ غلام سعيد بن العاص» وقيل انّ اسمهُ ابرهيم النجّار (اسد الغابة في معرفة الصحابة

(١ اطلب ايضاً H. Lammens : Fâtima, 70-71

لابن الاثير ١ : ٤٣) كان يجلس عليهِ محمَّد للجمعة

وكان في خدمة نبيّ الاسلام صانعٌ نصرانيّ آخر اسمهُ تميم بن اوس الداري من نصارى لخم أسلم سنة ٩ للهجرة وخدم محمَّدًا وكان يسكن معهُ المدينة ويدعونه راهب الأمّة (١ ثم اقطعهُ قرية عينون عند بيت المقدس (اسد الغابة ١: ٢١٥)

ثمَّ اضافوا الى المنبر عرشاً كان يجلس عليهِ محمَّد اذا خطب كما جاء في طبقات ابن سعد (ج ٢ ق ٢ ص ١١) وكان ايضاً من عمل النصارى . وبعد موت نبيّ المسلمين تردَّد الخلفاء الراشدون في رقيّ المنبر وقد اخبر المقريزيّ (الخطط ٢: ٢٤٧) ان عَمرو بن العاص اتّخذ منبرًا فكتب اليهِ عمر بن الخطّاب يعزم عليهِ في كسرهِ ويقول « أما حسبُك ان تقوم قائمًا والمسلمون جلوس تحت عقبَيْك » فكسرهُ . لكنَّهم ما لبثوا أن اقاموا المنابر في المساجد . روى المقريزيّ (٢: ٢٤٨) عن والي مصر قُرَّة بن شريك العبسيّ انَّهُ نصب منبرًا جديدًا في السنة ٩٤ هـ (٧١٣م) . (قال) « وذُكر انهُ حُمل اليهِ من بعض كنائس مصر وقيل انَّ زكريا بن برقنى ملك النوبة النصراني اهداهُ الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح وبعث معهُ نجّارًا حتّى ركَّبهُ واسم هذا النجّار بقطر من اهل دندرة ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتّى زاد قرَّة بن شريك في الجامع فنصب منبرًا سواهُ »

وكان العرب يلتجئون ايضاً الى اهل الارياف من الشأم واليمن والعراق فيتّخذون من نجّاريهم العَمَد والاوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرماح والقسيّ والسهام لسلاحهم لأنَّ الخشب مادَّةٌ لكلّ هذه كما بيّن ابن خلدون في مقدّمتهِ (٢ : ٣٢٤) ولا تصير الى الصورة الخاصّة بها الَّا بالصناعة والقائم على هذه الصناعة هو النجّار . وقد بقي من اعمال النصارى الدالّة على براعتهم في هذه الحرفة عدَّة آثار تُرى في كنائس واديرة اقباط الصعيد وطورسيناء والجزيرة ومنها ما تحوَّل الى جوامع ومنها المقاصير القديمة والشعازي والمشارب كان النصارى يهندسونها قديمًا وصبر بعضها على آفات الدهر

﴿ الحدادة ﴾ كما التجارة كذلك الحدادة خدم بها نصارى اليمن والشام والبحرين قبائلَ عرب البادية . وكان الحدّاد يُدعى في الجاهليَّة قَيْناً . والقيون عند العرب بنو

١) اطلب مجلّة تاريخ الاديان- Revue de l'Hist. des Religions, 1920. p. 250

اسد قيل انّ اوّل من عمل الحديد منهم كان الهالك بن عمرو بن اسد بن خزيمة فدُعي ايضاً الحدّاد هالكيًّا . وممّن ورد ذكرهم في اوائل الاسلام من ارباب الحدادة خُباب بن الارت من نصارى بني تميم سُبي من وطنهِ وبيع في مكّة فحصل في خدمة نبي المسلمين والخلفاء الراشدين من بعدهِ توفّي سنة ٣٧ ﻫ (٦٥٨م)

وكان اكثر اتّخاذ العرب للحديد لتهيئة آلات حربهم اعني السيوف والدروع ونصال الرماح والسهام والخُوَذ . امّا السيوف فمن اكرمها واشهرها المَشرفيّات المنسوبة الى المشارف من قُرى الشام . ومنها السيوف الحاريّة وهي التي كان يصنعها نصارى الحيرة في العراق . ومنها السُّريجيّات وكانت سيوفاً منسوبة الى قَيْن يُدعى سُرَيجاً مصغَّر سرجيس . وفيها يقول العجّاج :

وبالسُّرَيجيّات يَخْطِفْنَ القَصَرْ

وقد ذكروا سبعة من مشاهير السيوف زعموا انّ بلقيس ملكة سبأ اهدَتْها الى سليمان الحكيم وفي ذلك دلالة على اهلها اليمن وهي ذو الفِقار كان لمنبّه بن حجّاج فصار الى نبيّ الاسلام ثم ذو النون والصمصامة كانا لعمرو بن معدي كرب ثمّ مِخْذم ورَسُوب كانا للحارث بن جبلة ملك غسّان النصراني ثم ضِرْس الحمار وقيل ضرس العَير او ضرس البعير كان لعلقمة بن ذي قيفان الحميريّ ثم الكَشُوح ولم يذكروا صاحبهُ

امّا الدُّروع فممّا يدلُّ على علاقتها بالنصارى واهل الكتاب ان العرب ينسبون نسجها الى داود وسليمان كما رويناهُ سابقاً (راجع الصفحة ٢٣٣ و٢٧٢-٢٧٣) . وكل يعرف خبر الدروع التي اودعها امرؤ القيس الكندي الشاعر النصراني عند السموأل (اطلب ديوان السموأل الذي نشرناهُ آنفاً ص ٨) . وقد عُرف ايضاً اهل نجران بصناعة الدروع والدليل عليه انّ محمّدًا صالحهم على ثلثين درعاً كما سبق . ومن دروع البحرين الرُّدَينيّات نُسبت الى امرأة تدعى رُدَينة كانت تبيعها او تصنعها . ومنها ما كان يُنسج حلقتَين حلقتَين وهي المضاعفة قالت الخنساء تصف لأمة اخيها صخر :

اذا تَلأم في زَغْفٍ مضاعَفَةٍ   وصارمٍ مثل لون المِلْح جرّادِ

امّا نصال الرماح والسهام فزعم الثعالبي في لطائف المعارف (ص ٧ ,éd. de Jong)

«انّ اوّل من عُمل لهُ سنان من حديد سيف ذو يزن الحميري واليهِ نُسبت الرماح اليزنيّة وانّما كانت اسنّة العرب صَياصيّ البقر» والله اعلم وانّما يُرجَّح الرأي بانّ اصل النصال من اليمن ومن الامم النصرانيّة المجاورة للعرب. وقد امتازت بين الرماح العربيّة السَّمهَريات نسبةً الى سَمْهَر اسم رجل قيل انهُ زوج رُدَينة ورفيقتها في الحدادة. ومنها الخطّيّات وهي رماح كانوا يستجلبونها من الخطّ وهو مرفأ للسفن في البحرين وعمان. وكذلك السهام الصاعديّة منسوبة الى قريةٍ صَعْدة في اليمن على غير قياس

واتّخذوا ايضاً من الحديد الجواشن ومثلها الخُوَذ يقتِعون بها رؤوسهم تعلّموها من الروم والفرس وهي البَيض. ثم انتشر استعمالها في بلاد الاسلام حتّى انّهم أحصوا ما في خزانة السفّاح اوّل خلفاء بني عبّاس فوجدوا خمسين الف درع وخمسين الف سيف وثلثين الف جوشن ومائة الف رمح. وزادت على ذلك في ايام هارون الرشيد فاحصاها الفضل بن الربيع فوجد عشرة آلاف سيف محلّاة بالذهب وخمسين الفاً للشاكريّة والغلمان ومائة وخمسين الف رمح ومائة الف قوس والف درع خاصّة محلّاة والف درع عامّة وعشرين الف بيضة وعشرين الف جوشن ومائة وخمسين الف ترس واربعة آلاف سرج محلّاة خاصّة وثلثين الف سرج عامّة (مطالع البدور للغزولي ٢ : ١٦٢)

وممّا يدلّ على اتّساع فنّ الحدادة بين نصارى العرب وَفرة اسلحة ملوك الحيرة. فقد ذكر ابو الفرج في الاغاني (٢٠ : ١٣٢) انّ النعمان بن المنذر لمّا خاف كسرى وحاول الفرار من وجهِ استودع مالهُ هانئَ بن مسعود الشيباني وكان في جملة وديعتهِ «الف شِكّة ويقال اربعة آلاف شكّة. والشكّة السلاح كلّه». وكان للنعمان بن المنذر كتائب مدجّجة بالاسلحة الحِيريّة اخصّها كتيبتاهُ الشهباء والدَّوْسر. وقد ذكر ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ١٨٠) : «الباهوت مَسلحة كسرى في الحيرة»

وكانت في بُصرى ايضاً في حوران مصانع اسلحة مشهورة. قال الحصين بن الحُمام يذكر عمرو بن هند ملك الحيرة المعروف بالمحرّق (شرح المفضّليات ص ١٠٨ éd. Lyall) :

عليهنّ فتيانٌ كساهُمْ محرّقٌ وكان اذا يكسو أجاد وأكرما

صفائحَ بُصرى أخلصَتْها قيونُها ومُطَّرِدًا من نسجِ داوودَ مُبهما
يهزّون سُمرًا من رماحٍ رُدَينيّةٍ اذا حُرِّكت بَضَّت عواملُها دَما

وكانوا يطبعون اسلحتهم ويرسمون عليها النقوش والتماثيل فكان على سيف الحارث بن ظالم صورة حيّتين وانشد (شرح المفضّليّات ص ٦١٦):

علَوتُ بذي الحيّات مَفرِقَ رأسهِ وهل يَركبُ المكروهَ إلّا الاكارمُ

اراد بذي الحيّات سيفهُ لِما كان عليهِ من تمثال الحيّات. وذكر الآخر سيفاً عليهِ صورة سمكة فعُرف بذي النون ومرّ ذكرهُ:

ويُخبِرهُ مكانُ النُّونِ منّي وما اعطِيَتْهُ عَرَقَ الخِلالِ

﴿التجارة﴾ قد اشتهر العرب منذ القديم بالتجارة كما ورد ذلك في سفر التكوين (٣٧: ٢٥) في قصّة يوسف الحسن الذي باعهُ اخوتهُ للاسمعيليين المنحدرين بتجارتهم الى مصر. على انّ هذه التجارة راجت اسواقها بعد المسيح بهمّة الامم النصرانيّة المجاورة للعرب لاسيّما الرومان والحبش. وقد سبق لنا (ص٥٧) ذكر الوفد الذي ارسلهُ الى الحميريين الملك قسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير لعقد معاهدة تجاريّة مع ملكهم. وذكرنا هناك ايضاً ما ورد في الدستور التيودوسيّ لثاودوسيوس الكبير بخصوص متاجرة الرومان والحبشة مع العرب

وقد اشتهر نصارى الحيرة بالتجارة. وقد ذكر ابو الفرج الاصبهاني (الاغاني ٢٠: ١٣٤) لَطيمتَهم قال: «وهي عِيرٌ كانت تخرج من العراق فيها البزّ والعطر والالطاف يرسلونها الى اليمن». وقال في التاج (٩: ٦٠): «اللَّطيمة وعاء المسك او سوقهُ وقيل كلّ سوق يُجلَب اليها غير ما يؤكل من حرّ الطيب والمتاع غير الميرة»

وكانت قريش في الجاهليّة ترتزق بالتجارة وربّما رحلوا الى الحيرة. وقد ذكر في الاغاني (٨: ٤٨-٤٩) خروج مسافر بن ابي عمرو بن اميّة من سادة قُريش وابي سفيان بن حرب الى الحيرة لامورهم التجاريّة. وقال الثعالبيّ في لطائف المعارف (éd. de Jong, ص ٧-٨) انّ هاشماً وهو عمرو بن عبد مناف كان «اوّل من سنّ الرحلتين في التجارة رحلة الشتاء والصيف وهو اوّل من خرج الى الشام من قُريش ووفد على الملوك وأبعد في السّفر ومرّ بالاعداء واخذ منهم الإيلاف الذي ذكره الله تعالى» يُشير الى سورة قُريش (١٠٦: ١-٢) حيث يقول: «لإيلاف قُرَيش

إيلافهم رِحلةَ الشتاء والصيف». قالوا الايلاف العهد والذمام قال الفيروزابادي: «الإيلاف شبه الاجازة بالخفارة واوّل من اخذها هاشم من ملك الشام». وورد في تفاسير القرآن انّ اصحاب الايلاف كانوا اربعة اخوة وهم بنو عبد مناف اوّلهم هاشم وكان يؤالف ملك الشام باع منهُ خيلًا فسمح لهُ ان يتاجر في الشام. والثاني عبد شمس وكان يؤالف الى الحبشة. والثالث المطّلب وكان يرحل الى اليمن. والرابع نوفل وكان يرحل الى فارس وكان هؤلاء يسمّون المتجرين. وفيهم قال الشاعر:

يا أيّها الرجلُ المحوّلَ رحلهُ هلّا نزلتَ بآلِ عبد منافِ
الآخذون العهدَ من آفاقها والراحلون لرِحلةِ الايلافِ
والرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلمَّ للأضيافِ
والخالطون غنيّهم بفقيرهم حتّى يصير غنيُّهم كالكافي

وقال الثعالبي في ثمار القلوب (ص٩): «انّ قريش زهدوا في الغصوب فلم يبقَ لهم مكسبةٌ سوى التجارة فضربوا في البلاد الى قيصر بالروم والنجاشي بالحبشة والمقوقس بمصر وصاروا باجمعهم تجارًا خلطاء» وقال في الاغاني (٨: ٥٢): «وكانت ارض الحبشة لقريش متجرًا». وذكر هناك عمارة بن الوليد المخزوميّ وعمرو بن العاصي بن وائل السهميّ وخروجهما الى النجاشي في الجاهليّة للاتّجار

وكان للعرب عدّة اسواق يجتمعون فيها للمقايضات وضروب المبايعات قد ذكرها في المشرق (١ [١٨٩٨]: ٨٦٧) جناب الاديب محمود شكري افندي الالوسيّ. وكان معظم هذه الاسواق في جهات الجزيرة العربيّة التي يغلب فيها عدد النصارى في الجاهليّة واكثرهم من الحضَر يرتزقون بالتجارة كأسواق البحرين في عمان وهَجَر والمشقَّر وصُحار وكأسواق حضرَموت والشِحر وكأسواق اليمن مثل سوق صنعاء وكسوق دَوْمة الجندل وكسوق عُكاظ في الحجاز التي كان يقوم فيها قسّ بن ساعدة واعظًا وخطيبًا مصقعًا

وممّا لم يذكرهُ هناك من الاسواق العربيّة النصرانيّة سوق الحيرة وقد ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني قال (١٦: ٩٩) قال: «وكان بالحيرة سوقٌ يجتمع اليهِ الناس كلّ سنةٍ» وروى هناك خروج الحكم بن ابي العاصي اليه ومعهُ عطرٌ يريد بيعهُ واخذ حسّان بن جَبَلة الخير على نفسهِ ان يقدّم للقوم «كلّ خمر او لحم او طعام ما اقاموا

في سوق الحيرة » . وقصد حاتم الطائي هذه السوق ايضاً واظهر فيها شيئاً من كرمهِ الذي ضُرب بهِ المثل بنحرهِ الجزور وإطعام الناس

وما لا يُنكر انَّ اهل اليمن وعمان والبحرين وهَجَر والحيرة كانت تجارتهم واسعةً رابحة ومعائشهم رغدة والخصبُ والرخاء غالبين على اطرافهم مع ما فيها من وفرة الغلّات والذخائر وصنوف المعادن والارفاق بخلاف عرب نجد والحجاز فكانت بلادهم مجدبة قاحلة كثيرة الرمال والصحارى . وقد جاء في سيرة نبيّ الاسلام انهُ تعاطى التجارة في شبابهِ استأجرتهُ خديجة بنت خويلد في مالها فكان يخرج بهِ الى الشام تاجرًا فرأى اهلها النصارى ودخل صوامع رهبانها وكان محظوظاً في تجارتهِ فدعا ذلك خديجة الى ان تقترن بهِ

وكما كان العرب يخرجون الى بلاد النصارى المجاورة لبلادهم كذلك كان النصارى يقدمون الى الحجاز ويبيعون اهلها محصولات اوطانهم . ولنا على ذلك عدَّة شواهد . منها « موقف النصارى » في مكّة قال في التاج في مادَّة حسر(٣ : ١٤٠) : « بطن مُحَسِّر وادٍ قرب مُزدلفة بين عرفات ومِنًى . وفي كتب المناسك هو وادي النار لانهُ موقف النصارى . وانشد عُمر رض حين افاض من عَرَفة الى مزدلفة وكان في بطن مُحسِّر :

اليكَ يعدو قَلِقاً وضينًا   مخالفًا دين النصارى دينا »

وكذلك « مقبرة النصارى » في مكّة ايضاً ذكرها الازرقي في اخبار مكّة (ص ٥٠١) وقال انها دُبر المَقلع اي الجبل الذي باسفل مكّة على يمين الخارج الى المدينة على طريق بئر عَنبسة

وكان بعض هؤلاء التجار ينشرون النصرانيَّة في مكّة . جاء في أُسد الغابة لابن الاثير (٥ : ١٧٢) انَّ ولدين لابي حصين الانصاري تنصَّرا على يد تجّار من الشام اتوا الى مكّة وانهما لحقا معهم بالشام

ومن سِلَع تجار النصارى في الجاهليَّة وبعدها الخمرُ كانوا يعصرونها ويبيعونها ويشربونها في مجالس الانس . وقد وصفها شاعرهم الاعشى بقولهِ :

وكأسٍ شربتُ على لذَّةٍ   وأُخرى تداويتُ منها بها
ليعلمَ مَنْ لام انّي امرؤٌ   اتيتُ المروءة من بابها

وقد اعتادوا عَصْر المدامة لدخولها في مشاعرهم الدينيّة في القربان . كما مرّ سابقاً . وتغنّوا في معانيها الرمزيّة كما فعل ابن الفارض في ميميّته

ومما تاجر به نصارى اليمن والعراق والبحرين الجواهر والحجارة الكريمة كالجَزْع والياقوت واللآلئ وقد اشتهر الجَزْع السماني وقد عُرف ايضاً بالخرز السماني (conque de Vénus) وكان يتاجر بهِ اهل ظَفار فنُسب اليهم . قال المرقّش الاصغر يصف ظعائن يقطَعْنَ القفار :

تحلَّيْنَ ياقوتاً وشَذْرًا وصِيغَةً   وجَزْعاً ظَفاريًّا ودُرًّا تَوائما

وقد ذكر في الاغاني (١١ : ١٦٣) دَرْجاً لطلحة الطلَحات كان فيه حجارة ياقوت يساوي ثمنُ كلّ حجرٍ منها اربعين الف درهم

وروى البكري في مُعجَم ما استعجم يصف ركوب ملك الحيرة الى دير اللجّ (ص ٣٦٦) : « وكان النعمان يركبُ في كلّ احوالهِ وفي كلّ عيدٍ ومعهُ اهلُ بيتهِ خاصّةً من آل المُنذِر مَن يُنادمُهُ عليهم حُلَلُ الديباج المذهَّبة وعلى رؤُوسهم اكاليل الذهب وفي اوساطهم الزنانير المفضَّضة بالجوهر وبين ايديهم اعلامٌ فوقها صُلبان الذهب فاذا قضَوا صلاتهم انصرفوا الى مستشرفة على النجف »

اما اللآلئ والدُرر الثمينة فكان يغوص عليها اهل البحرين منذ زمن الجاهليّة . قال النابغة الذبيانيّ :

او دُرَّةٍ صَدَفيّةٍ غوّاصُها   بَهِجٌ متى يرَها يُهِلّ ويَسجُدِ

وقد احسن المسيّب بن علَس في وصفهِ الغائص على اللآلئ وانتخابهِ الثمين بينها واستخراجها من البحر قال (شعراء النصرانيّة ٣٥٦ وخزانة الادب ١ : ٥٤٤)

كجُمانة البحريّ جاء بها   غوّاصُها من لُجّة البحرِ
صَلْبُ الفؤادِ رئيسُ اربعةٍ   متخالفي الألوان والنَّجْرِ
فتنازعوا حتّى اذا اجتمعوا   ألقوا اليهِ مقالدَ الأمرِ
وعلَتْ بهم سَجْحاء خادمةٌ (١   تهوي بهم في لُجّة الغَمرِ
حتّى اذا ما ساء ظنُّهُمُ   ومضى بهم شهرٌ الى شهرِ
ألقى مراسيَهُ بتَهلكةٍ   ثبتَتْ مراسيها فما تَجري

١) اراد بالسَّجْحاء السفينة الطويلة الظهر

فـأنصبَّ أسقفُ رأسِهِ لَبِدٌ ... نُزِعت رباً عيناهُ للصَّبْرِ (١
أشفى يمجُّ الزيتَ (٢ ملتمسٌ ... ظمآنُ ملتهبٌ من القفْرِ
قتلتْ اباهُ فقال أتبعُهُ ... أو استفيدَ رغيبةَ الدهرِ (٣
نصفَ النهار الماءُ غامرُهُ ... وشريكُهُ بالغيب ما يدري
فاصاب منيتَهُ فجاء بها ... صدفيَّةً كمضيئةِ الجمرِ
يُعطَى بها ثمناً فيمنعُها ... ويقول صاحبُهُ ألا تشري
وترى الصواري (٤ يسجدون لها ... ويضمُّها بيديهِ للنَّحْرِ
فلتلك شبهُ المالكيَّةِ اذ ... طلعت ببهجتها من الخِدْرِ

(الملاحة) كما اشتهر نصارى العرب بالتجارة البرّيّة كذلك اصابوا في التجارة البحريّة سهماً فائزاً . وقد بيّنا سابقاً انتشار النصرانيّة في سواحل جزيرة العرب في اليمن وعمانَ والبحرين فوجدوا في مجاورة البحار وسائلَ جديدة لتنمية ثروتهم وزيادة ارباحهم . فكان الحميَريون واهل البحرين يحسنون اصطناع السفن وعمارتها فيقطعون بها خليج العرب الى الحبشة وبحر عمان الى الهند وخليج فارس الى جهات العجم . وقد اشاروا الى ذلك في شعرهم قال عمرو بن كلثوم التغلبيّ في معلّقته يفتخر بكثرة سفن قبيلتهِ تغلب النصرانيّة :

ملأنا البرَّ حتّى ضاق عنَّا ... وظهرِ البحرِ نملأُهُ سَفينا

وقد احسن طرفة في وصفهِ لسُفن قومهِ في البحرين فذكر بعض اشكالها العظيمة وهي الخلايا والعَدَوليّة من سفن البحرين وذكر احد رؤساء البحر المدعو ابن يامن ومَخْر سفينتهِ غمرَ المياه فقال :

كأنَّ حُدوجَ المالكيَّةِ غُدوَةً ... خلايا سَفينٍ بالنواصف من دَدِ
عَدَوليَّةٌ او من سَفينِ ابن يامنٍ ... يجورُ بها المَلّاحُ طوراً ويهتدي
يَشُقُّ حَبابَ الماءِ حيزومُها بها ... كما قَسَمَ التُّرْبَ المُفايلُ باليَدِ

وذكر الأعشى النوتيَّ السائر بسفنهِ على الفرات عند طغيانهِ :

١) اي رمى بنفسهِ في البحر وغاص لإخراج الدُّرّ . والأسقفُ الطويل المنحني ليغوص. واللّبد اي المتلبّد ٢) اراد بالزيت الماء اي اشرف يقذف الماء من فيهِ كعادة الغائص

٣) يريد انَّ ابا هذا الغائص هلك في تحصيل هذه الدرَّة غرقاً فقال ابنهُ أتبعهُ او انالها

٤) الصواري جمع صارٍ وهو الملّاح والبحري . ويُروى : الشواري جمع شارٍ اي المشتري . وسجودهم لفخر الدرَّة ونفاستها

مثل القُراقيّ اذا ما طما يَقذِفُ بالبوصيّ والماهرِ

واشار امرؤ القيس الى طَلي السُّفن بالقير :

فشبَّهتُم في الآلِ حين زَهاءُمُ عصائبَ دَوم او سفيناً مُقيَّرا

وقال الشمّاخ يذكر سُفن البحرين وغواربها الكبيرة :

رِماح رُدَينيّةٍ وبحارٍ لُجٍّ غواربُها تَقاذفُ بالسَّفينِ

وكانوا يدعون النوتيّ ملّاحاً وصراريّاً جمعهُ صراريّ ايضاً وصُرّاء قال ربيعة ابن مقروم :

واعرضَ واسطُ فعدَلنَ عنهُ كما عَدلَ الصراريُّ السفينا

وقال الممزّق العبديّ :

الا ابنَ المُعلّى خِلتَنا وحَسِبتَنا صراريَّ نُعطِي الماكسينا مُكُوسا

على انّ فنّ الملاحة الذي كان يعرفهُ ويزاولهُ عرب الحضَر في سواحل الجزيرة كان في الغالب مجهولًا لدى عرب الحجاز ونجد. بل كانوا يعدُّون ركوب البحر كالطامّة العظمى فبعد انتشار الاسلام وثبوت قدمهِ اذ رأوا في سواحل الشام ومصر سفن الروم ارادوا ان يعبروا البحر ليغزوا الجزائر كقبرس او سواحل اليونان وآسية الصغرى فالتجأوا الى من كان في حوزتهم من الروم في الشام والاقباط في مصر ومن نصارى العرب في جهات البحرين فتعلّموا منهم صناعة السفن كما اخذوا صناعة التجارة لأنّ انشاء السُّفن يحتاج اليها لما يدخلها من الالواح والدُّسُر والصواري والمجاذيف مع هندسة اجزائها فعمّروا لهم السُّفن وجهّزوها لحروبهم في ايّام معاوية ودولة بني اميّة

وفي اللغة ما يدلُّ على اصل فنّ الملاحة الاجنبيّ فترى فيها الفاظاً متعدّدة امّا رومية وامّا آراميّة او حبشيّة تثبت حدوث الملاحة في الحقبة الاولى من الاسلام وقد تقلّدوا في صنعها صورة مراكب الروم واليونان في هيئاتها المختلفة واجرامها المتباينة . فممّا استعاروه من اليونانيّة : اسطول (στόλος) أَنجر (ἄγκυρα) نوتي (ναύτης) . ومن السريانيّة او الآراميّة : سفينة . قارب . قُرقور . دَقَل . ربّان . ملّاح . سُكّان . قِلع . مجذاف . صارٍ . ومن الحبشيّة : بحر . شِراع . مرسى

(النُّقود) انّ التجارة والمقايضات في البيع والشراء لا تجري عادةً الّا بمسكوكات ونقود تُدفع بدلًا من السِّلَع والبضائع . وكان للدول النبطيّة ولملوك ميشان وخراسان

في العراق والملوك الجزيرة في جهات الرها وحضر . والملوك تدمر نقود ضربوها باسمهم ذهبيّة وفضيّة ونحاسيّة منهـا امثالٌ حسنة في متاحف اوربّة وعند بعض الخـاصّة فوصفوها ورسموا صورها وفنّدوا بذلك ما كتبهُ المقريزيّ في كتـابهِ النقود القديمة الاسلاميّة حيث قال :

« كانت نقود العرب في الجاهليّة التي تدور بينها الذهب والفضّة لا غير ترد اليها من الممالك دنانير الذهب قيصريّة من قبل الروم ودراهم فضّة على نوعين سوداء وافية وطبريّة عتقاً وكان وزن الدراهم والدنانير في الجاهليّة مثل وزنها في الاسلام مرّتين ويسمّى المثقال من الفضّة درهماً ومن الذهب ديناراً ولم يكن شيء من ذلك يتعامل بهِ اهل مكّة في الجاهليّة وكانوا يتعاملون باوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم»

فانّ علماء النقود العربيّة كالمسيو ڤكتور لنغـلوا (V. Langlois) في كتابهِ عن نقود العرب قبـل الاسلام (Numismatique des Arabes avant l'Islamisme) والمسيو هنري لاڤوا (H. Lavoix) في كتابهِ عن النقود الاسلاميّة المصونة في مكتبة باريس العموميّة والمسيو دي تيسنهَوْزن (de Tiesenhausen) وغيرهم اثبتوا استعمال عرب الجـاهليّة للنقود النحاسيّة واستغربوا قول المقريزي عن الدراهم السوداء والطبريّة واستنتجوا من كلامهِ جهلهُ بالنقود القديمة

وما لا يُنكر انّ العرب قبل الاسلام تداولوا في بلادهم ومع الامم المجاورة لهم النقود النصرانيّة فراجت بينهم ايّ رواجٍ على اختلافهـا ذهبيّةً كانت ام فضيّة او نحـاسيّة واغلب ما عرفهُ العرب من النقود ممّا كانوا يتعاملون بهِ نقودٌ قيصريّة روميّة ذات رسوم دينيّة .وقد اشتهرت بينهم نقود هِرَقل قال المسعودي في مروج الذهب (٢: ٣٢٣) : « وهو الذي ضرب الدنانير والدراهم الهرقليّة » وقال البلاذري في فتح البلدان(ص ٤٩٦) : « وكانت دنانير هرقل ترِد على اهل مكّة في الجاهليّة » وروى في الاغاني (١١: ٥٢) لكُثَيِّر عزّة قولهُ :

يروقُ عيونَ الناظراتِ كأنّهُ   هِرَقليُّ وزنٍ احمرُ التِبر راجحُ

وروى الانباري في شرح معلّقة عنترة (éd. Rescher, 61) :

دنانيرُ ممّا شِيفَ في ارضِ قيصرِ

اراد الدنانير الجليّة المُعلَمة الموسومة بالكتابة . وقـد ذكر أُحيحة بن الجلاح

دنانير مدينة أيلة التي كان صاحبها الامير النصراني يوحنَّا بن روبة قال يرثي ابنهُ (ياقوت: معجم البلدان ١: ٤٢٢) :

ألا انَّ عيني بالبكــاء تهلَّلُ جزوعٌ صبورٌ كلَّ ذلــك تفعلُ
فما هبرزيٌّ من دنانير أيلةٍ بأيدي الوشاةِ ناصعٌ يتأكَّلُ
بأحسنَ منهُ يومَ اصبح غاديــاً ونفَّسني فيهِ الحِمامُ المعجَّــلُ

(قال) «يتأكَّل اي يأكُل بعضهُ بعضاً لحسنهِ . والوشاة الضرَّابون» . وقد وصفوا كذلك الدراهم الروميَّة . قال عنترة يصف روضةً اصابها المطر الجَوْد فأنعشها :

جــادت عليهِ كلُّ بِكرٍ ثرَّةٍ فتركنَ كلَّ حديقةٍ كالدرهمِ

ومثلهُ الاسود بن يَعفُر (شعراء النصرانيَّة ص ٤٨٢) :

من خمرِ ذي نَطَفٍ اغنَّ مُنطَّقٍ وافى بهــا كدراهم الأسجادِ

(قال) اراد بالاسجاد اليهود والنصارى . وكانوا يدعون النقود الخفيفة النحاسيَّة نُمِّياً وفلوساً . قال اوس بن حَجَر (ديوانهُ éd. Haffner) :

وفارقتْ وهي لم تَجرَبْ وباع لها من الفصافِص بالنُّمِّيِّ سِفْسِيرُ

وقال جرير يهجو الاخطل (الاغاني ٧ : ١٧٨) :

والتغلبيَّة مُهرُها فَلسانِ

ومن الادلَّة التي تشهد على رواج النقود الروميَّة بين عرب الجــاهليَّة انَّ معظم الالفاظ الدالَّة عليها يونانيَّة او لاتينيَّة الاصل كدينار (δηνάριον) ودرهم (δράχμη) وقيراط (κεράτιον) ونُمِّي (νοῦμμος) وفلس (φόλλις) وقنطار (centenarium)

ثمَّ ظهر الاسلام والمسلمون لم يعهدوا ضرب النقود فتعاملوا بمسكوكات الروم التي كانوا يربحونها بتجارتهم مع بلاد الشام ومصر والعراق او وجدوها في فتح البلدان فأخذوها غنيمةً واقتسمها جنودهم . ولجهلهم لغة البــلاد التي استولوا عليها اقاموا لهم عمَّالًا من نصارى الوطنيين ولَّوهم على دواوينهم الماليَّة لجباية الخراج والضرائب المختلفة . وكان من جلتهم في دمشق سرجيوس او سرجون جدُّ القــديس يوحنَّا الدمشقيّ المعروف بابن منصور

ففي ايَّام الخلفاء الراشدين ولاسيَّما عمر بن الخطَّــاب وعثمان بن عفَّان وفي

اوائل الدولة الاموية ضُربت نقود العرب على هيئتها النصرانية السابقة. ففي متاحف اوربة عشرات من النقود التي ضُربت في دمشق وحمص وبعلبك وطبرية في ايام عمر في السنة ١٧ للهجرة وما بعدها وكلها عليها رسم هرقل ملك الروم مع صورتهِ وسائر أشعرة النصرانية كاول حروف اسم السيد المسيح وكصليبهِ المقدس وصورة النسر. وعلى بعضها شعار قسطنطين الكبير: بهذه العلامة انتصر (ἐν τούτῳ νίκα) ثم سمة النقود M مع اسم المدينة باليونانية او بالعربية هكذا: «ضرب. دمشق (حمص. طبرية. بعلبك. ايليا. انطاكية) .جايز». ومعظم هذه النقود فلوس من نحاس. وقد وُجد على بعضها اسم عمر بالاختصار (عمر بن الخط) واسم خالد بن الوليد واسم يزيد بن ابي سفيان واسم ابي عبيدة (١

ونرى البسملة «باسم الله» مرقومة على عدة نقود من ذلك العهد كلمة وقال ياقوت في معجم البلدان (٤: ٨٨١) انّ الحجّاج بن يوسف اول من ضرب درهماً عليهِ شعار الاسلام «لا اله الّا الله ومحمّد رسول الله». وليس قوله بسديد لانهُ تُعرف نقود لعليّ ابن ابي طالب ضُربت في البصرة سنة ٤٠ ﻫ عليها هذا الشعار «لا اله الّا الله وحده لا شريك له» وعلى الوجه الآخر «محمّد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحقّ يظهرهُ على الدين كله ولو كره المشركون (٢»

ومن هذا ترى غلط معظم مؤرخي العرب الذين زعموا انّ اوّل من كتب على النقود الاسلامية بالعربية هو الخليفة عبد الملك بن مروان. قال الثعالبي في لطائف المعارف (ص١٣): «اوّل من نقش على الدراهم والدنانير بالعربية عبد الملك بن مروان فانهُ عُني بذلك وكتب الى الحجّاج في إقامة رسمهِ»

وقد اخبر المقريزي في كتاب النقود الاسلامية (ص٥ طبعة الجوائب) ان معاوية ابن ابي سفيان كان قبل ذلك ضرب دنانير عليها تمثالهُ متقلّدًا سيفاً. ومثل هذه الدنانير لم يجدها بعد الاثريون لكنهم وجدوا فلوساً تمثّل معاوية واقفاً وشعرُ رأسهِ مفروق على

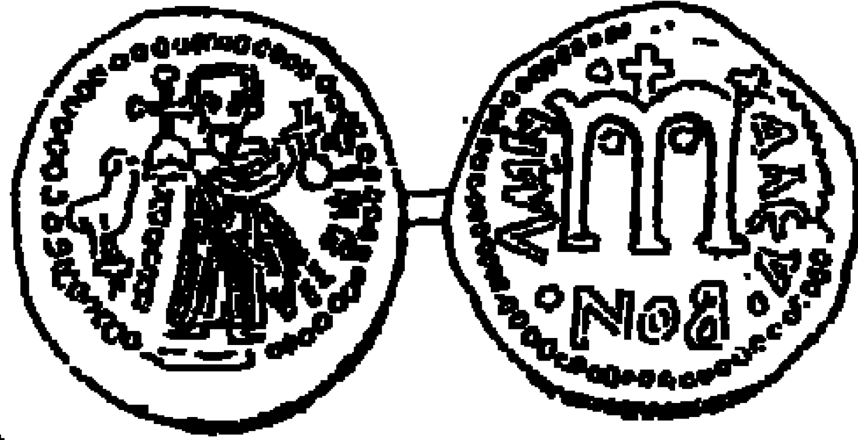
---

١) اطلب مقالةً في نقود الاسلامية الاولى للبارون دي سلان في المجلة الاسيوية الفرنسوية (J. A., 1871², 199-211)

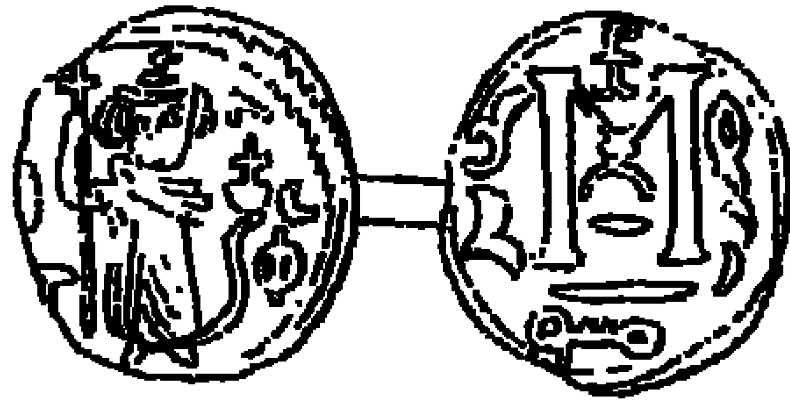
٢) اطلب المجلة الاسيوية الالمانية (ZDMG. XVII, 39)

جبهتهِ وفي يمناهُ السيف وفي ظهر الفــلس اسمُ ايليا وفلسطين مع صليبٍ على هذه الهيئة ⊕ . فلمَّا ملك الخليفة عبد الملك جرى اوَّلًا على مثال اسلافهِ وابقى الصليب مع صورتهِ واسمهِ في الدنانير والفلوس الى السنة العاشرة من ملكهِ ويوجد من هذه النقود بعض الامثلة في المتاحف وهي مضروبة في حمص ودمشق وعمان وقِنّسرين ومنبج وسرمين وغيرها

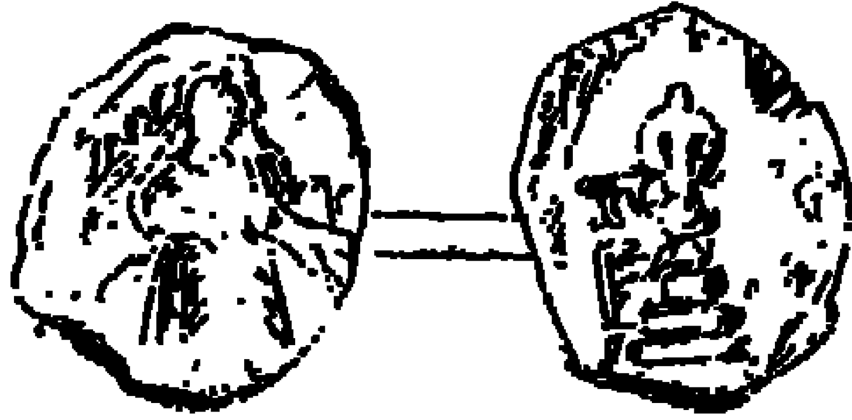
وها نحن ننقل هنا صور ثلثة نقود عربيَّة ترتقي الى اوائل الاسلام وعليها صور ملوك الروم ورموزهم المسيحيَّة



A دينار عربيّ على وجههِ صورة هرقل ملك الروم وفي يمنــاهُ الصليب وفي يسراهُ كرة يعلوها صليب صغير . مع اسم طبريّة باليونانيَّة . وعلى ظهر الدينار سمة النقود M مع اسم خالد (بن الوليد) باليونانيَّة



B فلس عربيّ على وجهه صورة هرقل الموصوفة . وعلى ظهرهِ مع سمة النقود هذه الالفاظ بالعربيَّة : صدر . دمشق . جائز



C فلس عربي على وجههِ صورة الخليفة «عبد الملك امير المؤمنين» وعلى ظهرهِ صورة الصليب المرتكز على سارية مع اسم سِرين حيث ضُرب . وهذا الفلس ممسوح اكـثرهُ وانما وُجدت منهُ نقود اخرى اجلى صورة مع كتابتهِ العربيَّة

وهذه النقود في متحف باريس

ففي السنة العاشرة من خــلافتهِ عدل عن النقود السابقة واتَّخذ نقودًا جديدة خالية من الرسوم النصرانيَّة ولذلك عدَّهُ كتبة العرب كأوَّل خليفة نقش الدنانير قال

الطبري في تاريخه (٢ : ٩٣٩—٩٤٠) : «اوّل نقش الدنانير والدراهم على عهد عبد الملك ابن مروان سنة ٧٦ هـ» . والصواب انهُ ضرب اوّلًا النقود القديمة ونقش فيها صورًا انكرها عليهِ بقايا من الصحابة كما يقرّ بذلك المقريزي في كتاب النقود الاسلاميَّة (ص٦) . وفي السنة ٧٦هـ (٦٩٦م) ضرب نقودًا اسلاميَّة محضة وازال منها الصور والرسوم النصرانيَّة . لكنَّهُ بقي شيء منها لعلَّهُ ضُرب بدون علمهِ ففي متحف باريس دينار ضُرب سنة ٧٧ هـ عليهِ صورة عبد الملك مع سارية نصرانيَّة . وفيهِ ايضاً نقود نحاسيَّة ضُربت في السنة ٨٠ عليها رسم صليب

امَّا سبب اتّخاذه السكَّة الاسلاميَّة فنفورهُ ممَّا كانت الروم ترسمهُ على سكَّتهم من تعظيم الصليب والاعلان بلاهوت المسيح . وهذا ايضاً ما دفعهُ الى ان يُحدث كتابات الطوامير والقراطيس التي كان في صدرها مثل هذه الأشعرة النصرانيَّة . وقد اخبر بذلك البلاذريّ في فتح البلدان (ص٢٤٠) :

«قالوا كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من ارض مصر ويأتي العربَ من قبَل الروم الدنانير فكان عبد الملك بن مروان اوَّل من أحدث الكتاب الذي يُكتب في رؤوس الطوامير من «قُلْ هو الله احد» وغيرها من ذكر الله . فكتب اليهِ ملك الروم : انكم احدثتم في قراطيسكم كتاباً تنكرهُ فان تركتموهُ والَّا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيّكم ما تكرهونهُ . (قال) فكبر ذلك في صدر عبد الملك فكره ان يدع سنَّةً حسنة سنَّها فارسل الى خالد بن يزيد ابن معاوية فقال لهُ : «يا با هشام احدى بنات طبَق» واخبره الخبر فقال : أفرخ رَوْعك يا امير المؤمنين حرّم دنانيرهم فلا يُتعامَل بها واضرب للناس سككاً ولا تُعفِ هؤلاء الكفرة ممَّا كرهوا في الطوامير» . فقال عبد الملك : «فرَّجتَها عني فرَّج الله عنك» وضرب الدنانير . قال عوانة بن الحكم وكانت الاقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبهُ الى الربوبيَّة تعالى علوًّا كبيرًا وتجعل الصليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتدّ عليهِ تغيير عبد الملك ما غيَّرهُ»

وقد اتى هذا الخبر مفصَّلًا في كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي (éd. Schwally, p.498-502) نقتطف منهُ ما يأتي :

قال الكسائي : دخلتُ على الرشيد ذات يوم وهو في ايوانهِ وبين يديهِ مال كثير قد شقّ عنهُ البدَرَ شقًّا وامر بتفريقهِ في خدَم الخاصَّة وبيدهِ درهم تلوَّح كتابتُهُ وهو يتأمَّلهُ وكان كثيرًا ما يحدّثني فقال : هل علمت مَنْ اوّل مَنْ سنَّ هذه الكتابة في الذهب والفضَّة ؟ قلت : يا سيّدي هذا عبد الملك بن مروان . قال : فما كان السبب في ذلك ؟ قُلتُ : لاعلمَ لي غير انهُ اوّل من أحدث هذه الكتابة . فقال : سأُخبرك . كانت القراطيس للروم وكان اكثرُ مَنْ

بمصر نصرانياً على دين ملك الروم وكانت تُطرَّز بالروميَّة وطرازها« آبا وابنا وروحا قدّيشا» (ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ) فلم يزل كذلك صدر الاسلام كلَّهُ يمضي على ما كان عليهِ الى ان ملك عبد الملك فتنبَّه عليهِ وكان فطيناً فبينا هو ذات يوم اذ مرَّ بهِ قرطاس فنظر الى طرازهِ فامر ان يُترجم بالعربيَّة ففُعل ذلك فانكرهُ . . . فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عاملهُ بابطال ذلك الطراز . . . . وان يأخذ صنَّاع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد . . .

ثم اخبر استياء ملك الروم من هذه الكتابة وتهديدهُ بنقش شتم نبيّ الاسلام وكيف استقدم عبد الملك من المدينة محمَّد بن علي بن الحسين ليستشيرهُ في ذلك فدلَّهُ على ضرب سكك الدراهم والدنانير كما روى البلاذري عن خالد بن يزيد بن معاوية فأبطلت مذ ذاك السكك الروميّة والطراز الروميّ

وقد ضرب امراء المسلمين في افريقية والاندلس بعد فتحها نقودًا عليها ايضاً شارات النصرانيَّة كالصليب واسم السيّد المسيح باللاتينيَّة مع اسماء الامراء المسلمين

وقد سبق لنا القول انَّ السلجوقيين في بلاد الروم والارتقيين في ما بين النهرين ضربوا ايضاً نقودًا عليها صور ملوك النصارى مع علامات النصرانيَّة بينها صورة السيّد المسيح والبتول مريم والدتهِ الطاهرة (اطلب مجلَّة المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٧٩٩)

﴿التعليم﴾ ومن الصنائع الشريفة التي دخلت بين العرب بفضل النصرانيَّة صناعة التعليم . وكان شيوع المدارس اوَّلًا بين الامم المجاورة للعرب كالكلدان والسريان في العراق وما بين النهرين وكالروم في جهات الشام وفلسطين فلمَّا تنصَّر العرب اخذ احداثهم يتردَّدون على المعلّمين المنصوبين للتعليم في الجهات المجاورة لمساكن قبائلهم في مدارس كانوا يدعونها بالاسكولات وهي كلمة دخيلة استعارها السريان من اليونانيَّة (σχολή) اشتهر منها مدارس الرها ونصيبين والمدائن والحيرة ودمشق . ومع انَّ التعليم في هذه المدارس كان في السريانيَّة او اليونانيَّة لم يعدم العرب فيها وسائل لدرس لغتهم

وممَّا يؤيّد الامر اخبار بعض شعراء العرب . فمن ذلك ما ورد في كتاب الاغاني (٥ : ١٩١) عن المرقّش الاكبر حيث قال : « وكان مرقّش يكتب وكان ابوهُ دفعهُ واخاهُ حرملة وكانا احبَّ ولدهِ اليهِ الى نصراني من اهل الحيرة فعلَّمهما الخطّ » . ورُوي عن عديّ بن زيد (الاغاني ٢ : ٢٠) انَّ اباهُ زيد طرحهُ في الكتَّاب مُذ نشأ ثمَّ ارسلهُ

مع شاهان مُرْد الى كتّاب للفارسيّة حيث « تعلّم الكتابة والكلام بالفارسيّة حتّى خرج من افهم الناس بها وافصحهم بالعربيّة » الى ان صار كاتباً للملك النعمان. وجاء ايضاً في اخبار طرفة والمتلمّس (الاغاني ٢١: ١٩٣—١٩٥) انَّ المتلمّس لمَّا اراد ان يطّلع على ما كتبهُ في حقهما عمرو بن هند الى المكعبر عامله في البحرين عدل الى غلام عباديّ من غلمان الحيرة فاعطاهُ الصحيفة ليقرأها لهُ ففعل ووقف على مضمونها اذ اوصى بقتلها فألقى المتلمّس الصحيفة في النهر وفرَّ سالماً بنفسهِ وقُتل طرفة . فيتَّضح من ذلك انَّ العباديين وكانوا من نصارى العرب كانوا يواظبون على المدارس . وقد ذُكر في محلّ آخر (اغاني ١٨ :٧٨) فَضْل معلّم نصرانيّ على سواهُ في البصرة في عهد بني اميّة وولاية الحجّاج. وفي طبقات ابن سعد(٣: ٢٥٨)انَّ في عهد عُمر بن الخطّاب كان جُفَيْنة النصرانيّ من اهل الحيرة يعلّم الكتّاب في المدينة وذلك بعد أن امر عُمر بخروج النصارى من جزيرة العرب . وفيهِ دليل على حاجة المسلمين في اوائل الاسلام الى المعلّمين. وفي قائمة المعلّمين التي سردها قدماء الكتبة كالجاحظ في البيان والتبيين (١: ١٠١) وابن قتيبة في كتاب المعارف (ص ١٨٥) وابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص٢١٦) اسماء ذمّيين ومَوالٍ من نصارى ويهود كانوا يتعاطون مهنة التعليم

هذا فضلًا عمَّن كانوا يختلفون الى الرهبان والكهنة النصارى في صوامعهم واديرتهم ليتعلّموا القراءة والكتابة. كما ذُكر عن ابي نصر البرّاق بن رَوْحان (شعراء النصرانيّة ص ١٤١)انّهُ كان يتردَّد الى راهب فيتعلّم منهُ تلاوة الانجيل. وكما قال في الاغاني(٣: ١٤) عن ورقة بن نوفل انهُ «كان يكتب بالعبرانيّة (يريد السريانيّة) من الانجيل ما شاء ان يكتب». ولعلَّ الراهب الذي اشار القريشيُّون اليهِ بقولهم عن محمّد (سورة النحل) «انَّما يعلّمهُ بَشَرٌ» كان احد معلّمي النصارى في مكّة . كما تعلَّمَ اهلُها الكتابة من بشر بن عبد الملك النصراني اخي اكيدر الكندي صاحب دومة الجندل (السيوطيّ في المزهر ١: ٣٩٠) وكانوا يسمُّون هذه الكتابة بالجزم اي[الفصل سواء. فصلوها عن خطّ حمير المعروف بالمُسْنَد كما ارتأى ابو حاتم (التاج ٨: ٢٢٨) او بالحري لفصلها عن الحروف الكلدانيّة وهي اقرب اليها . وفي فضل بشر على قريش قال احد شعراء كندة منشدًا :

لا تجحدوا نَعْماء بِشْرٍ عليكمُ فقد كان ميمونَ النقيبةِ أزهرا

أتاكُمْ بخطِ الجزم حتّى حفظتمُ من المال ما قد كان شتّى مبعثرا
وأبقيتمُ ما كان بالمال مُهملا وطامنتمُ ما كان منهُ مُبعثرا
فأجريتمُ الاقلامَ عوداً وبدأةً وضاهيتمُ كتّاب كسرى وقيصرا
وأغنيتمُ عن مُسنَدِ الحيّ حِميرا وما زبرت في الصُحف اقلامُ حميرا

وممّا نسبوهُ الى قسّ بن ساعدة اسقف نجران في كتاباتهِ انهُ اوّل من كتب في رسائلهِ «من فلان الى فلان بن فلان» ونسبوا اليهِ فصل الخطاب بأن قال بعد حمد الله والدعاء «اما بعد» افتتاحاً للخطاب. ومثلها قولهم « باسمك اللهمَّ » زعموا انَّ اوّل من كتبها الشاعر النصراني اميَّة بن ابي الصلت الثقفي

فكلّ هذه الشواهد تدلُّ على شيوع صناعة التعليم بين نصارى العرب واجتهادهم في تعميمها . وقد سبق لنا بين القبائل المتنصّرة (ص ١٢٤) ذكر قبيلة اياد وقد روينا انهم اشتهروا بمعرفة الكتابة فقال فيهم اميَّة شاعرهم (سيرة بن هشام ص ٣٢) :

قومي ايادٌ انّهم أممٌ او لو أقاموا فتهزلُ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ساروا جميعاً والقطُّ والقلمُ

ومثلهم الحميريّون ولاسيَّما نصارى نجران وانَّما كانوا يكتبون الخطَّ المعروف بالمُسنَد . قال ابن خلدون في مقدّمتهِ : « ومن حمير تعلّمت مُضر الكتابةَ العربيَّة » . والى حذاقة حمير في الكتابة يشير ابو ذؤَيب بقولهِ (لسان العرب ١٨ : ٣٠٦) :

عرفتُ الديار كخطِ الدُويِّ م حبّرهُ الكاتبُ الحِميريّ

وممّن سعى في نشر التعليم من اساقفة النصارى في عهد بني اميَّة فثيون احد جثالقة الكلدان قال عنهُ ابن ماري في تاريخ بطاركة كرسيّ المشرق من كتابهِ المجدل (ص٦٦) انهُ « نصب في كرسيهِ اسكولًا فتشبَّه بهِ الاساقفة في عمارة البيَع والاسكولات » . أمّا المسلمون فانَّهم لم يُنشئوا المدارس الّا بعد هذا العهد بزمن طويل . قال المقريزيّ في الخطط (٢ : ٣٦٣) : « المدارس ممّا حدث في الاسلام ولم تكن تُعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانَّما حدث عملها بعد الاربعمائة من سني الهجرة (كذا) واوّل من حُفظ عنهُ انهُ بنى مدرسةً في الاسلام اهل نَيسابور فبُنيت بها المدرسة البيهقيَّة . . . واوّل مدرسة أُحدثت في ديار مصر المدرسة الناصريَّة نسبة الى السلطان الناصر صلاح الدين يوسف »

الفصل الثاني عشر

العادات النصرانيّة بين عرب الجاهليّة وفي اوّل الاسلام

قد شاعت في جزيرة العرب في عهد الجاهليّة واوائل الاسلام عادات لا يمكن تعليلها الّا بنفوذ النصرانيّة واندماجها في القبائل العربيّة · فمن هذه العادات ما هو دينيّ بَحْت · ومنها ما هو شرعيّ · وبعضها مدنيّ واجتماعيّ · فهــا نحن نتتبّع هذه الاقسام الثلثة بالتوالي

١ العادات الدينيّة

﴿ الصلاة ﴾ هي في مقدّمة الواجبات الدينيّة بها يرتفع الانسان عن حضيض عالمهِ هذا الهيوليّ الى ربّهِ وخالقهِ ليسجد لهُ ويشكرهُ ويستغفرهُ من ذنوبهِ ويلتمس نعمهُ · على انّ اهل البادية كانوا في كلّ اطوار تاريخهم قلّما يكترثون لهذه الفريضة كأنّ لسان حالهم يقول مع احدهم (١ :

لا لصلّي (نصلّي) ولا لصوم (نصوم) ولا لذكر (نذكر) ربّنا حمًّا (لمًّا) لقوم (نقوم)

فلمّا دخلت النصرانيّة بينهم أَلِفت القبائل المتنصّرة الصلاة والدعاء الى الله كما يلوح من عدد الكنائس التي كان النصارى اقاموها في جهات العرب وكما بيّنّا في القسم الاوّل من كتابنا بشواهد مختلفة رويناها عن كلّ ناحية من جزيرة العرب

ولمّا ظهر الاسلام فرض صاحبهُ على تَبَعتهِ خمس صلوات في النهار فاستعار ذلك ممّا وجدهُ شائعاً بين الرهبان الذين كانوا يقيمون صلواتهم السبع في خمس قومات من النهار والليل · جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص٥٢٥) عن صلوات النصارى : « وكانت اخصّ صلواتهم خمساً قال الفرزدق يذكر عجوزًا من بني جعفر عاذت بابيه غالب :

عجوزٌ تصلّي الخمس عاذت بغالبٍ فلا والذي عاذت بهِ لا أُضيرُها »

واخصّ صلوات المسلمين في طرفي النهار حين يصبحون وحين يُمسون (سورة هود ع ١١٦ وسورة الروم ع ١٧) وهكذا كان رهبان جزيرة العرب يبكّرون الى الصلاة ويواظبون عليها في ليلهم · قال مجنون ليلى

١) اطلب كتاب الكولت لندبرغ Landberg : *Dialectes de l'Arabie Méridionale*

كأنّهُ راهبٌ في رأس صومعةٍ يتلو الزَّبور ونجمُ الصبحِ ما طلعا

وقال الآخر (اللسان ١٤: ٨٩):

عن راهبٍ متبتّلٍ متفصّلٍ صادي النهارَ لِلَيْلهِ متهجّدِ

ومن سُنَن الاسلام (الوضوء) والاغتسال قبل الصلاة. وهي عادة كان سبق اليها نصارى الشرق فتجدها في قوانينهم القديمة. ففي كتاب الايثيقون اي الآداب لابي الفرج ابن العبري بابٌ وهو الثالث من مقالتهِ الثالثة قسمَهُ الى عشرة فصول يجث فيها عن طهارة الجسد واحكامها وشروطها كما كانت شائعةً في كنائس ملّتهِ اليعقوبيّة. وذكر الاحواض التي كانت في ساحات الكنائس لإتمام فريضة الوضوء. وقد وصف حضرة الخوري ابراهيم حرفوش في المشرق (٦[١٩٠٣]: ١١٦-١٢٣) احد مخطوطات دير مار شليطا القديمة وفيهِ قوانين جارية في الاعصار السالفة في ٥١ باباً ورد في احدى صفحاته (ص ١٠٨) شروط الصلاة وحدودها على هذه الصورة:

«فامّا حدودها (اي الصلاة) وشروطها فانّها تحتاج في اوّل شيء الى الطهارة وهو الاغتسال بالماء في إثر الحدث. فان لم يجد الماء فليتجمّر بثلاثة حجار وما زاد عليها حتّى ينفي اثر النجوى. ثمّ غَسْل اليدين بالتسمية وغسل الوجه برسم الصليب المحيي ويستحبُّ ايضاً غسلُ الرجلين في كلّ غداة. فامّا مَن لم يُحدث فلا يحتاج الى الاستنجاء بل يستحبُّ منهُ غسل اليدين والوجه وغاية الغسل ان يعمَّ الماء العضو الذي يغسلهُ وعوماً كاملاً الخ. (ثمّ يليه فصلٌ في الاغتسال من الجنابة غسلاً عامّاً .. مع الاعتراف الى الكاهن وقبول صلاة الاستغفار)»

ومن شروط الصلاة في الاسلام الاتّجاه الى (القِبْلة) وهي ايضاً عادة مستعارة من قدماء النصارى الذين كانوا يتّجهون في صلاتهم الى الشرق اذ يتّخذون الشمس الشارقة رمزًا عن السيّد المسيح المعروف بشمس العدل والموصوف بالشرق. قال صرمة ابن أنس قبل الاسلام (كتاب البدء ١: ٧٦) يصف صلاة النصارى الى مطلع الشمس:

ولهُ شمَّسَ النصارى وقاموا كلَّ عيدٍ لهم وكلَّ احتفالِ

فاتّخذ محمّد على مثالهم قبلةً للصلاة كانت اوّلاً اورشليم ثمّ حوّلها الى الكعبة في مكّة

وفي الصلاة الاسلاميّة (القيام والسُّجود والركوع ورفع الايدي) وكلّ ذلك سبق اليهِ النصارى ووصفهُ شعراء العرب. وقد وصف البعيث رهبان النصارى عند وقوفهم في الصلاة (اطلب الصفحة ١٧٧ من الجزء السابق):

رجالٌ يُتَلُّون الصلاةَ قيامُ

وقال المضرّس الاسدي في سجودهم :

ومِخال ساجيةِ العيونِ خواذلٍ بجماد لينَةَ كالنصارى السُّجَّدِ

وقال النابغة الذبياني في الراهب الراكع (تاج العروس ٥ : ٣٦٣) :

سيبلغُ عُذْرًا او نجاحاً من امرئٍ الى ربّـهِ ربِّ البريَّـةِ رَاكعِ

وقال اخر في رفع اكفّهم في الصلاة :

فذا فضلُ ايدي المستغيث المُسبّحِ

واذا تلا المسلمون القرآن لحّنوا فيهِ (بالتجويد) ولعلّهم اخذوهُ عن تلحين الرهبان بالزبور والتسابيح . قال ابن قتيبة في المعارف (ص ١٨٠) :

كان اوّل من قرأ بالالحان عبيد الله بن ابي بكرة وكانت قراءتهُ حزنًا ليست على شيء من الحان الغناء ولا الحداء فورث ذلك عنهُ ابن ابنهِ عبدالله بن عمر بن عبيد الله فهو الذي يقال لهُ قراءة ابن عُمَر واخذ ذلك عنهُ الاباضيّ واخذ سعيد العلّاف واخوهُ عن الاباضيّ قراءة ابن عمَر وكان هرون الرشيد معجباً بقراءة سعيد العلّاف . . . وكان القرّاء كلهم الهيثم وابن اعين وغيرهم يُدخلون في القراءة من الحان الغناء والحداء والرهبانيَّة فنهم من كان يدسُّ الشيء من ذلك دسًّا رفيقًا ومنهم من كان يجهر بذلك »

فلا مراء انَّ القراءة المُحزنة والحان الرهبانيَّة تدلُّ هنا صريحًا الى نفوذ الغنـاء الرهباني في التجويد

ويجوز ان نضيف الى هذا الباب (السُّبحة) التي يدعوها النصارى المسبحة يتلون عليهـا صلوات معلومة اختلفت مع الازمنة وقد وُجد منها في مقابر سيّاح الاقباط في الصعيد . وهي قديمة في الاسلام لورود ذكرها في كتاب العين للخليل قال (١ : «السبحة خرزات يُسَبَّح بعددها» وجاء في مجلّة المنار المصريّة لمنشئها محمّد رشيد رضا (١٥ : ٨٢٣) فصل في السبحة واصلها في الاسلام قال :

«كنّا نرى هذه السُّبَح في ايدي القسّين من النصارى والرهبان والراهبـات ونسمع انّها مأخوذة عن البراهمة . . . والظاهر انَّ المسلمين اخذوهـا اوَّلًا عن النصارى فكانوا في مهد الاسلام عند ظهوره في جزيرة العرب وفي البلاد المجاورة لها كالشام ومصر فلا بُدَّ ان يكونوا

١) اطلب مجلّة لغة العرب (٢ : ٢٤٥)

قد اخذوا السُّبحة عنهم فيما اخذوهُ من اللباس والعادات . والامر في السبحة ينبغي ان يكون اشدّ من اخذ غيرها عنهم لأنّها تدخل في العبادة وتُعدّ شعارًا . . . فالسبحـة من البدع الداخلة في العبادة (كذا) »

﴿ الصوم ﴾ احد اركان الاسلام لم يعرفهُ المشركون من العرب في الجاهليّة وانّما كان المتنصّرون منهم يقومون بهِ على مقتضى نواميسهم ولعـلّهم كانوا يصومونهُ في رَجب وهو وقتئذٍ من اشهُرهم الثابتة يوافق شهرنا نيسان قـال المقريزي في الخطط (١ : ٢٨٢) :

«رَجبٌ شهر حرام ويقولون لهُ الاصمّ لانهم كانوا يكفُّون فيهِ عن القتال فلا يُسمع فيه صوت سلاح . . . ورجب الاصمّ هو شهرُ مُضَر وكانت العرب تصومُهُ في الجـاهلية وكانت تمتار فيه وتمير اهلها وكان يأمن بعضُهم بعضاً فيهِ ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون»

قال اميَّة ابن ابي الصلت يذكر جزاء الصائمين في دار النعيم :

اذا بـلغوا التي أُجرَوا اليهـا تقبَّلهـم وحُلـِّل مَن يَصُومُ

وكان اخصُّ اصوامهم صوم الفِصح قال نمر بن تولب :

صدَّت كما صدَّ عمّاً لا يحلُّ لهُ ساقي نصارى قُبَيْل الفِصح صوَّامُ

ومن صوم النصارى اقتبس محمّد صومَ رمضان ثلثين يوماً وكان صوم الفصح لا يزيد على ذلك في بعض الكنائس (١ . ومنهم ايضاً اخذ عادةَ الإفطار بعد غروب الشمس الّا أنّ النصارى لم يأكلوا حينئذٍ الّا مرّة واحدة على خلاف المسلمين الذين حلّل لهم الأكل طول الليل . وكذلـك كان النصارى لا يأكلون الّا الاعشاب والبقول والاثمار دون اللحم والبيـاض وكلاهما مسموح بهِ للمسلمين . قال العلّامة توماس بتريك هيوس (U. Patrik Hughes) في معجم الاسلام (ص٥٣٤) (Dictionary of Islam) : « انّ الارجح عنـدنا انّ محمّدًا اخذ عن النصـارى ناموس الصوم ثلاثين يوماً . وكان صوم النصارى في الشرق غاية في الشدَّة يمتدُّ الى النهار والليل معاً فخفّف محمّد هذه السُّنّة وحصرها في النهار دون الليل تلطيفاً لشدَّتهِ كما قال (سورة البقرة ع ١٧١) : « يريد اللهُ بكم اليُسر ولا يريد بكم العُسر »

امّا الخيط الابيض والخيط الاسود اللذان ذكرهما هناك (ع ١٨٣) فانّ اميّة بن

١) اطلب معجم العاديات النصرانيّة Dict. d'Archéologie et de Liturgie. *art.* Carême

ابي الصلت كان سبق الى الاشارة اليها بقولهِ (تاج العروس ٥ : ١٣٧) :

الخيطُ الأَبيضُ ضوءُ الصُّبح منفلقٌ والخيطُ الأَسودُ لونُ الليل مركومُ

﴿ الزكاة ﴾ هي ايضاً من اركان الاسلام المفروضة على ذويهِ بقولـهِ (سورة البقرة ٢ : ٧٧) : « أَقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » اي الصدقة وما يُرصَد من الاموال لوجه الله واعانة الفقراء. وعندنا انَّ صاحب الشريعة الاسلاميَّة تقلَّد فيهِ اهل الكتاب اي اليهود والنصارى فان موسى في كتاب التثنية الاشتراع وسفر اللاويين يفرضُ على بني اسرائيل تعشير مالهم لخدمة الكهنة والهيكل . . امَّا النصارى فمن وصايا كنيستهم الراقية الى قرون النصرانيَّة الاولى الوصاة بوفاء العُشر

ولمَّا دخل النصارى في طاعة المسلمين من العرب وُضعت عليهم العشور والمكوس. قال المقريزي في الخطط (٢ : ١٢٢) :

« قال زياد بن جرير: اوَّل من بعث عمر بن الخطَّاب رضَ منَّا على العشور انا فامرني ان لا افتّش احدًا وما مرَّ عليَّ من شيء اخذتُ من حساب اربعين درهمًا درهمًا من المسلمين واخذتُ من اهل الذمَّة من عشرين واحدًا وممَّن لا ذمَّة لهُ العُشر. وامرني ان اغلّظ على نصارى بني تغلب . . . فلعلَّهم يسلمون »

﴿ الحجّ ﴾ هو ايضاً من اركان الاسلام ومعلوم انَّ الحجَّ الى مكَّة سبق الاسلام. وكان نصارى العرب يحجُّون في الجاهليَّة لمزارات مختلفة ولاسيَّما للقدس الشريف فانَّ القديس ايرونيموس في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس ذكر في رسائلهِ (Migne, P. L., XXII, 489, 870) بين زوَّار الاراضي المقدَّسة الذين كان يشاهدهم في بيت لحم عرب اليمن وهو يدعوهم على موجب اصطلاح ذلك العهد باهل الهند. وقد وصف امرؤ القيس تزاحُم الاولاد على الراهب المقدِّس اي العائد من زيارة القدس الشريف بقوله (اللسان ٨ : ٥٠) :

كما شَبرَق الولدانُ ثوبَ المقدِّسِ

وفي ذلك القرن الخامس كان عَرَب حمير والعراق يحجُّون زرافات الى مقام القديس سمعان العمودي كما روى ذلك في تاريخه تاودوريطس الذي عاينهم هناك (Migne, P.G., LXXIV. 104)

ومن مزارات العرب التي كانوا يحجُّون اليها مشهد القديسين سرجيوس

وباخوس في الرصافة وقد مرّ لنا ذكر الكتابة العربيّة السابقة للإسلام التي وَردت هناك
وكانوا يحجّون في جزيرة العرب الى كنيسة القُلَيس التي شيّدها ابرهة في صنعاء بعد فتح اليمن (راجع الجزء السابق ص ٦٤ و ٣٣٤) ومثلها كنيسة ظفار

ومن المحاجّ التي كان يقصدها ايضاً النصارى العرب في الجاهليّة طور سينا ومعابدهُ الشهيرة المقامة في مشارف ذلك الجبل حيث يروي التقليد مناجاة الله عزَّ وجلَّ لموسى النبيّ واوحى اليه بشريعتهِ

بل كان نصارى العرب واليهود في الجاهليّة يحجّون الى مكّة كما روى ذلك ياقوت في معجم البلدان لأنهم كانوا يرون في الكعبة تذكاراً لما ورد في سفر التكوين (ف ٢١) عن هاجر واسمعيل بن ابرهيم الخليل متّفقين في ذلك مع تقليد عرب الحجاز . وقد ذكر في الاغاني (٢١ : ١٦٤) خروج هدبة بن خشرم الى الحجّ وكان نصرانيّاً كما ذكر التبريزي في شرح الحماسة (ص ٢٣٥)

وقد مرَّ لنا (ص ٦٤ و ١٧٤) انَّ النصارى كانوا يدعون بعض بيَعهم بالكعَبات مثل كعبة نجران الوارد ذكرها في شعر الاعشى وكعبة اليمن . وقال عبَدة بن الطبيب (المفضّليات ٢٩١) :

في كعبةٍ شادها بانٍ وزيَّنها   فيها ذُبالٌ يُضيءُ الليلَ مفتولُ

وكان لكعبة مكّة منذ عهد الجاهليّة حَرَمٌ اي حدود تُحدق بها لا يجوز انتهاكها . ووضع محمّد حَرَماً لمسجد النبيّ في المدينة . وانّما الحَرَم شاع قبلًا عند اليهود حول هيكل اورشليم واتّخذهُ النصارى لبعض كنائسهم الكبرى لامتيازها وهو الحِمَى كان الداخلون فيهِ في امان . وقد ورد في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٧١) اكتشاف المسيو نويل جيرون لنُصْب اي عمودٍ ضخمٍ من الحجر المانع في دمشق كان دالًّا على حِمَى كنيسة دمشق قبل الفتح الاسلامي كما تُبيّنهُ كتابة يونانيّة اثبتناها هناك . وكان للنصارى قرب بعض الكنائس بروجٌ للاطيار لا يجوز صيدها كحمام مكّة التي يضرب المثل في امانها فيقال آمَن من حمام مكّة

وكان العرب يطوفون حول الكعبة . وكانت تلك عادةً جاريةً بين النصارى العرب ان يطوفوا حول الكنائس . قال الشاعر الجاهليّ يذكر طواف النصارى حول الصليب فدعاهُ زُوراً بالوثن (لسان العرب ١٧ : ٣٣٤) :

يطوفُ العُفاةُ بأبوابهِ كطَوْفِ النصارى بِبَيْتِ الوَثَنْ

ومما رواهُ في الاغاني (٧ :١٤٨) لعنترة وقيل بل لعبد قيس بن خفاف البُرجمي قولهُ :

تمشي النَّعامُ بهِ خَلاءَ حولهُ مَشْيَ النصارى حول بيت الهيكلِ

وقال الحارث بن خالد يصف بشرة أَمة عائشة بنت طلحة (اغاني ١٥ :١٣٣):

وبشرةُ خَوْدٌ مثلُ تمثالِ بيعةٍ تَظَلُّ النصارى حولَه يومَ عيدها

﴿ استلام الحجر الاسود ﴾ ومن المعلوم انَّ المسلمين اذا حجُّوا الى الكعبة وطافوا حولها استلموا الحجر الاسود الذي فيها ولعلَّهم يفعلون ذلك احتذاء بنبيّهم . قال البخاري في الصحيح (٢ :١٤٧) : « جاء عُمر الى الحجر الاسود فقبَّلهُ فقال : اني اعلم انك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلعم يقبّلك ما قبَّلتُك » . قلنا ولا يبعد ان العرب اخذوا ذلك عن النصارى الذي يقبّلون حجارة كنائسهم تعبُّدًا او كحجَّاجهم الى القدس الشريف حيث يقبِلون قبر السيّد المسيح او الحجر الذي صعد من فوقهِ الى السماء في جبل الزيتون وعليه رسمُ أثرِ قدمهِ المبارك

وقد سبق لنا ذكر حمام مكّة ومأمنها من الصيد . ودونك ما رُوي عن حمام الكنائس . روى الطبري في تاريخهِ (٢ :٨٦١) لرجل من بكر بن وائل ونسبهُ في الاغاني (٢ :٧٢) لعبد الرحمان بن الحكم :

أتَتْكَ العيسُ تنفخُ في بُراها تُكشِّفُ عن مَناكِبِها القُطُوعُ
كأنَّ مواقعَ الأكْوار منها حمامُ كنائسٍ بُقْعٌ وُقُوعُ

﴿ النذور ﴾ يروى عن عرب الجاهليّة انهم كانوا ينذرون مواليدهم للكعبة . ذكر ابو الوليد الازرقيّ في اخبار مكّة (ص ١٢٨-١٢٩) عن امرأة اخزم بن العاص الجرهميَّة انَّها كانت عاقرًا فنذرت إن ولدت غلاماً ان تتصدَّق بهِ على الكعبة عبداً لها يخدُمها ويقوم عليها فولدت من اخزم الغَوْثَ فتصدَّقت بهِ عليها فكان يخدمها مع اخوالهِ من جُرْهم . (قلنا) انَّ هذه العادة اعني نذر المولود الى الله كان سبق العربَ اليها اصحابُ الكتاب من يهود ونصارى . وكلّ يعرف كيف نذرت حنَّة العاقر ان ولدت غلاماً تجعلهُ في خدمة الله فولدت صموئيل فوفت بنذرها . وقد ورد في

القرآن في سورة آل عمران نذر امرأة عِمْران (يعني القديسة حنَّة) بابنتها مريم العذراء فخدمَتْهُ تعالى بالمحراب تحت كفالة زكريّا الكاهن

﴿ المساجد وبناؤها على شكل الكنائس ﴾ لا مراء في ان المسلمين اوّل ما شيَّدوا المساجد لصلاتهم بنوها على صورة الكنائس فضلًا عمّا حوّلوهُ منها الى جوامع عند فتحهم البلاد النصرانيّة كالجامع الامويّ في دمشق والجامع الاقصى في القدس الشريف وجوامع حمص وحماة وحلب فكل من يدخل هذه الجوامع من المهندسين يحتم لاوّل وهلة انّها من هندسة النصارى الاقدمين كما اثبتنا ذلك في فصل الفنون الجميلة (ص٣٤٣–٣٥٠) . فلمّا حاول المسلمون تشييد مساجد جديدة تقلّدوا فيها الكنائس النصرانيّة وكان بُناتُها في الغالب نصارى من الروم والقبط واهل الشام لا يعرفون الّا هندستهم الدينيّة

وقد قابل المرحوم فان برخم (M. van Berchem) بين كل اقسام الجوامع كصحنها ورواقها واركانها وعواميدها وسقفها وقِبْلتها ومحرابها ومنبرها ومقصورتها ومنارتها وبين الكنائس النصرانيّة واقسامها المختلفة عند ظهور الاسلام وختم بقولهِ « انّ وَضْع الجوامع يُشبه شبهاً تامًّا واضحاً بناء الكنائس القديمة (١ » يريد الكنائس المعروفة بالكنائس الملكيّة (Basiliques) .

وما نقولهُ هنا اجمالًا عن هندسة الجوامع نستطيع ان نثبتهُ ايضاً لكل قسم منها مفردًا كالمآذن والمنارات التي تقلّدوا فيها الصوامع النصرانيّة وكالمنبر الذي مرَّ لنا ذكرهُ في باب النجارة وهلمَّ جرًّا

﴿ الخطابة في المساجد ﴾ وممّا استحدثهُ الاسلام الخطب الدينيّة في الجامع . يروى لصاحب الشريعة الاسلاميّة بعض الخطب التي القاها في قومهِ يذكّرهم ويحضّهم على الاعمال الصالحة وانّما تقلّد في ذلك ما وجدهُ من العادات الجارية بين النصارى

---

١) راجع (Encyclopédie de l'Islam, art. Architecture, p. 428b) اطلب ايضاً كتاب سلادين في الفنون الاسلاميّة H. Saladin: Manuel d'Art Musulman, I, 7-10 وكتاب تواريخ الاسلام للبرنس كايتّاني L. Caetani: Annali dell' Islam, I, 432 ومجلّة الاسلام لبكر Beker, Islam, III, 392 وكتاب الصناعة العربيّة لغايه Gayet: l'Art arabe, p. 27-58

المجاورين لهُ الذين كان اربابهم وكهنتهم يرشدون في الكنائس رعاياهم. وقد مرَّ لنا فصل في الخطابة بين نصارى العرب في الجاهليّة مع ذكر إمامهم المضروب فيه المثل قسّ بن ساعدة

وكان منبر الخطابة بين النصارى رمزًا عن الرئاسة والسلطة الدينيّة . وكذلك اعتبرهُ محمّد والمسلمون بعده. فكان الخلفاء يرقونهُ ايّام الاعياد والصلوات العموميّة فيلقون منهُ الخطب كما كان يفعل اساقفة النصارى في كنائسهم. وقد سبق لنا (ص ٣٧٥) ذكر العرش الذي اضافوهُ الى المنبر وكان يجلس عليهِ محمّد كما روى ابن الاثير في اسد الغابة وابن سعد في طبقاتهِ. وكان ذلك على مثال العرش الذي يجلس عليهِ رؤساء الدين النصراني في كنائسهم

وكذلك اعتاد الاساقفة اذا خطبوا او صلّوا صلاةً عموميّة ان يمسكوا بيدهم العصاة الرعويّة المعروفة بالعكّاز. وقد مرَّ في خبر قسّ بن ساعدة انهُ كان اذا خطب يتكئ على عصاً (وقيل على سيفٍ) وممّا رواهُ البخاريّ في صحيحهِ في كتاب الصلاة (١ : ١٣٥) «انّ النبيّ امر بحربةٍ فتوضع بين يديهِ فيصلّي اليها»

وللجوامع مآذن او منارات يؤذنون منها بالصلاة. وهي ايضاً ممّا تقلّد فيهِ المسلمون النصارى. فانّ المسلمين كانوا يؤذنون اوّلًا بالصلاة على باب مساجدهم ثمّ علوا سطوحها للاذان او اذّنوا فوق اسوار المدن كما ورد في شعر الفرزدق قال (تاج العروس ٩ : ١٢٠) :

وحتّى علا في سُورِ كلّ مدينةٍ   منادٍ ينادي فوقها بأذانِ

ثمّ تقلّدوا اخيرًا صوامع الرهبان وهي قلاليّ محدَّدة الطرف او أبراج كان يسكنها الراهب لعبادتهِ ويقرع منها الناقوس . فصارت المأذنة مرادفة للصومعة . وورد ذلك في كتب الادباء كابي الفرج الاصبهاني في الاغاني (٢٠ : ٨٥) اذ ذكر مأذنة المدينة فدعاها ايضاً هناك بالصومعة (١. وروى عن بعض الموسوسين انهم « كانوا يصفعون المشايخ في الصوامع اذا اذّنوا » . وفي خطط المقريزي (٢ : ٢٤٨) انّ معاوية امر مسلمة بن مخلد ببناء الصوامع للأذان في جامع فسطاط العتيق المعروف بجامع عمرو

١) اطلب مجلّة الجمعيّة الشرقيّة الاميركانيّة JAOS., XXX, 132-154, art. Gottheil

قال «وجعل مسلمة للمسجد الجامع اربع صوامع في اركانهِ الاربع . . . وامر ان لا يُضرب بناقوس عند الاذان يعني الفجر » . وكذلك ورد في تاريخ الشيخ ابي صلح الارمنيّ (ص ٥٤ éd,. Evetts) : « وكان فتوح مصر في المحرَّم سنة ٢٠ للهجرة ومن الصوامع ما هو باقٍ الى الآن جعلهم المسلمين مواذن (كذا) »

﴿المجامر في المساجد والجنازات﴾ معلوم انّ النصارى في مناسكهم الدينيَّة في الكنائس وفي جنازات موتاهم يضرمون المجامر ويحرقون البخور ويوقدون الشمع والمشاعل . قال الحسين بن الضحَّاك يصف كنيسةً (البكري ٣٦٩) :

عجَّت اساقفُها في بيت مَذْبحها اذكى مجامرهـا بالعودِ والنارِ

وقد روى الترمذي في صحيحهِ (١ : ١١٦) عن محمَّد انَّهُ كان يجمّر المسجد قبل وفود الجماعة . وذكر ابن الاثير في النهاية (١ : ١٧٥) نعيماً المجمّر الصحابيّ قال «وهو الذي كان يلي إجمار مسجد رسول الله صلعم » وهكذا فعل الخلفاء الراشدون بعدهُ ثم معاوية وبعض خلفاء بني اميَّة

وممَّا ورد في كتاب تحقيق النصرة لابي بكر المراغي انَّ عُمر بن الخطَّاب عند رجوعهِ من غزوة الشام اتى «بمجمرة من الفضَّة فيها تماثيل وكان يجمّر بها المسجد ثمَّ تُوضع بين يدي عمر بن الخطَّاب » . وممَّا ورد في تجمير المسلمين للموتى ما ذكرهُ ابن الاثير في أسد الغابة في معرفة الصحابة (٥ : ٥٤٥) وابن حجر العسقلاني في الاصابة في تمييز الصحابة (٨ : ١٨٧) عن مرضية الصحابيَّة قالت : « اراكم تنكرون شيئاً رأيتهُ يُصنَع على عهد رسول الله صلعم رأيت الميت على عهد رسول الله صلعم يُتبَع بالمِجْمَر » . وكذلك روى ابن سعد في طبقاتهِ (٨ : ٥٣—٥٤) عن عائشة زوج نبيّ الاسلام انهُ حُملت في دفنها المشاعل من الجريد الملفوف بالخرق والمغموس بالزيت . ثمَّ أفتوا بتحريم التجمير وفي صحيح ابن ماجة « انهُ لا يجوز اتباع الجنائز بالمجامر وما يشابهها لأن ذلك من فعل الجاهليَّة » يعني النصرانيَّة (١

﴿ اكرام القبور ﴾ يروى في الحديث (جامع السيوطي ص ٣٥٧) : « قاتل الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور انبيائهم مساجد» كأن صاحب الشريعة الاسلاميَّة

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG.1905, 403-404): وتاريخ معاوية للاب لامنس **Lammens:** Mo'âwia, (367, 436)

حرم بذلك اكرام الموتى وزيارة قبورهم . الَّا انَّ المسلمين لم يعيروا بالَّا الحديث المذكور كما يثبت ذلك مألوف عاداتهم في اكرام قبر نبيّهم في المدينة وقبور الخلفاء الراشدين هنالك مع ما يزين تلك القبور من الحليّ ويُوقد فوقها من السُّرج ويقدّمون اليها من الهدايا . ومن ذلك يتَّضح انَّ العادة النصرانيَّة غلبت عليهم الَّا بعض المتطرّفين منهم كالوهابيين الذين ينكرون كلّ اكرام للاولياء . وممَّا يستند اليهِ اهل السنَّة في اكرام الاولياء ما رواهُ ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير (ج ٢ ق ٢ ص ٩—١٠) « انَّ رسول الله صلعم صلَّى على اهل البقيع اي قتلى أُحد بعد ثماني سنين » وقد اخبر الواقدي عن فاطمة الزهراء ابنتهِ انَّها كانت تخرج الى أُحد لزيارة قبر حمزة عمّ محمَّد (١

﴿الاستشهاد﴾ واخصّ من يكرمهم النصارى شهداء دينهم الذين بموجب وصاة السيّد المسيح فضَّلوا الموت في سبيل ايمانهم على الحياة والغنى والشهوات . وليس للنصارى شهداء غيرهم . فرأى صاحب الشريعة الاسلاميَّة ما في هذه الميتة الشريفة من المجد فعظَّم الاستشهاد ورغَّب فيه بالمواعيد الجليلة في الآخرة . لكنَّ بين هذا الاستشهاد والاستشهاد النصرانيّ بوناً عظيماً . فبينما النصارى لا يعدّون شهيداً الَّا من مات لاجل الدين المستقيم ترى المسلمين يكرمون كشهداء كلّ من مات في الحرب والجهاد بل يعتبرون كشهداء غيرهم ايضاً . جاء في الحديث (جامع السيوطي ص٢٩٣) : « الغريق شهيد والحريق شهيد والغريب شهيد والملدوغ شهيد » . وروى حديثاً آخر (ص٢٧٢) : « الطاعون والغرق والبَطن والحرق والنفساء شهادة لأُمَّتي » وفي صحيح البخاري (٣ : ١٩٣) : « الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغَريق وصاحب الهدَم والشهيد في سبيل الله »

٢ العادات الشرعية والاجتماعية

﴿اصول الشرع الاسلاميّ﴾ لمَّا ظهر الاسلام كان معظم العرب لا يعرفون من الشرع الَّا ما يفي بامورهم ويكفي لمعاملاتهم في حياتهم الساذجة . فلمَّا فتحوا البلاد الراقية في التمدُّن كالشام ومصر والعراق والعجم احتاجوا الى شرائع اوسع وادقّ

١) اطلب كتاب الاستاذ غولتسيهر **Goldziher:** Culte des Saints chez les Musulmans. *Paris*, 1880

وكان نصارى تلك البلاد يتبعون الشرائع الرومانيّة التي نقّحها ونظّمها يوستنيان الملك فعليها جرى العرب اوّلًا بمساعدة عمّال من نصارى الروم والسريان والاقباط وانّما ثبتوا على بعض نواميسهم الاصليّة في عيشتهم الفطريّة مع ما استخلصهُ الفقهاء من القرآن او الحديث. وبقوا على ذلك الى اواسط القرن الثاني للهجرة اذ ظهر كبار الائمّة كالشافعي وابي حنيفة ومالك وابن حنبل فوضعوا الفقه الاسلامي اصولًا ثابتة يرجع اليها المسلمون حتّى يومنا هذا . على انّ الذين يدرسون هذا الفقه لا يزالون يقابلون بينهُ وبين الشرع الرومانيّ ويلحظون اشياء كثيرة مصدرها الحقوق الرومانيّة

﴿الدواوين﴾ لا قيام لدولة كبيرة الّا بانشاء دواوين مختلفة يُعهد الى كلّ منها تدبير بعض امورها كبيت المال وتدبير الجُند وديوان الانشاء وديوان التوقيع وديوان الاعمال وديوان الجباية وديوان الخاتم. ولم يكن للعرب الفاتحين دُربة في كلّ ذلك ومن ثمّ اقرُّوا الدواوين على ما كانت عليهِ قبل فتحهم في ايدي عمّال من نصارى البلاد. وجاء في كتاب لطائف المعارف للثعالبي (ص١٠) «انّ اوّل من دوّن الدواوين عمر بن الخطّاب عملًا بما قال لهُ رجلٌ: رأيتُ الاعاجم يدوّنون ديوانًا لهم فدوِّنْ لنا. انت ديوانًا فامر بوضع الديوان» على انّ هذه الدواوين تولّاها اوّلًا النصارى لعلمهم بتدبيرها . لنا على ذلك مثال جليل في أُسرة ابن منصور الدمشقيّة التي اشتهر منها سرجه او سرجون بن منصور من ندماء يزيد بن معاوية (الاغاني ١٦ : ٧) وكاتب معاوية بن يزيد وعبد الملك بن مروان على ديوان الخراج والجند (الطبري ٢ : ٨٣٧ ابن عبد ربّهِ ٢ : ٣٢٢) وابنهُ يوحنّا هو ملفان الكنيسة اليونانيّة العظيم المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي . وكان هؤلاء العمّال يكتبون في الروميّة او القبطيّة او الفارسيّة الى ان تمكّن العرب من نظارة تلك الدواوين فنقلوها الى العربيّة وذلك في عهد عبد الملك بن مروان ثمّ الوليد بن عبد الملك

﴿التاريخ﴾ كان للامم المجاورة للعرب تواريخ للاعوام والشهور يعرّفون بها ازمنة الوقائع والحوادث المهمّة فكان اليونان يؤرخون بسني الخليقة وبتاريخ الاسكندر ذي القرنين وبمولد السيد المسيح . وكان الفرس يؤرخون بيزدجرد بن شهريار او احد ملوكهم. وأرّخ العرب قبل الاسلام بعام الفيل او ببعض ايّامهم المشتهرة كيوم جَبَلة ويوم الكُلاب ويوم ذي قار . امّا المسلمون فقيل انّ عمر اوّل

من ارّخ منهم في السنة ١٩ او ٢٠ هجريّة تعلّموا ذلك من جيرتهم . جاء في كتاب الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي (éd. Seybold ص٩) « انّ رجلًا من المسلمين قدم من ارض اليمن فقال لعمر: رأيتُ باليمَن شيئاً يسمّونهُ التاريخ يكتبون من عام كذا وشهر كذا . فقال عُمر: انّ هذا لحسَن فارخوا » ثمّ اختلفوا في بدء التاريخ الى ان اصطلحوا على سنة هجرة محمّد من مكّة الى المدينة وجعلوا اوّل العام شهر المحرّم شهر حرام ومنصرَف الناس من الحجّ . قالوا انهُ يوافق يوم الخميس الثامن من شهر ايّار لانهُ سنة ٩٣٣ للاسكندر

﴿الحَلف﴾ قد اعتاد العرب على القسَم بالله وبما يقرب اليهِ كالملائكة والاولياء . قال عبيد بن الابرص (ديوانهُ éd. Lyall ص ٦٧) :

حلفتُ بـالله انّ الله ذو نعَمٍ   لِمن يشاء وذو عفوٍ وتَصفـاحِ

وقال الآخر (امالي القالي ٣ : ٢٩)

امَا والذي لا يعلمُ الغيبَ غيرُهُ   ومن هو يحيي العظم وهو رميمُ
لقد كنتُ اطوي البطنَ والزادُ يُشتهى   محـافظـةً من ان يقـالَ لـئيمُ

وكانوا في الجاهليّة يحلفون باصنامهم كاللات والعزّى ونَسر . ثمّ شاع ذلك بينهم حتّى النصارى واليهود دون اشارة الى معتقدهم بها كما يقال باللاتينيّة حتّى في عهدنا بحق هِركل (mehercle) او بالايطاليّة بحق بخُوس (per Bacco) فكذلك نصارى العرب حلفوا باصنام الجاهليّة وبالانصاب على سبيل العادة ليس عن اعتقاد دينيّ . فمن ذلك قول عبد المسيح المتلمّس يهجو عَمْر بن المنذر :

أطرَدتني حَذَرَ الهِجاء ولا   والـلاتِ والانصاب لا تئِلُ

ويروى : واللهِ والانصاب . ومثلهُ مهلهل التغلبيّ حلف بالانصاب :

كلّا وانصـابٍ لنـا عاديَّة   معبودةٍ قـد قُطّعَتْ تَقطيعـا

وحلف اوس بن حَجَر باللات والعزّى فقال :

وباللات والعُزّى ومَن دان دينَها   وبـالله انّ الله منهنّ اعـظمُ

وحلف الاخطل بالعزّى وبنَسْر وما يُضَحّى عليهما من الضحايا :

أما ودماءٍ مائراتٍ تخالُها على قُنَّةِ العزَّى وبالنَّسرِ عَنْدَما

وذكر لهُ في الاغاني (٧ : ١٧٣) حلفاً قالهُ افتخاراً على جرير والفرزدق : « انا واللاتِ اشعرُ منهما » فاردف الراوي قائلًا : « حلف باللات هزؤاً واستخفافاً بدينهِ » (قلنا) بل حلف بها جرياً على عادة العرب دون حملهِ ذاك الحلف على الدين مع ما نعلمهُ من تشبُّث الاخطل بدينهِ حتَّى في مجالس الخلفاء . ومما حلف بهِ مشيرًا الى دينهِ ما رواهُ ايضاً ابو الفرج في الاغاني (في الصفحة المذكورة :) «وحقّ الصليب» . « وحقّ الصليب والقربان » وروى لهُ في محلّ آخر (٨ : ٨٥) : « قدُّوس قدُّوس .. وحقّ الصليب» وقد ذكر لهُ في نقائض جرير والفرزدق حلفاً بالمسيح

وكذلك لم يأنف النصارى عن الحلف بمكَّة ومناسك الحجّ قال الاخطل (اطلب ديوانهُ ص ١١٩ وشرح مغني اللبيب للشيخ محمَّد الامير (١ : ٢١٠) :

اني حلفتُ بربّ الراقصات وما أضحى بمكَّة من حُجبٍ وأستارِ
وبالهدايا التي احمرَّت مذارعُها في يوم نسكٍ وتشريقٍ وتَنْحارِ
وما بزمزمَ من شُمطٍ محلَّقةٍ وما بيثربَ من عُونٍ وأبكارِ
لألجأتني قريشٌ خائفاً وَجِلًا وموَّلتني قريشٌ بعد إعسارِ

وحلف الآخر بالكعبة وإله اسرائيل (امالي القالي ٢ : ٤٦) :

قُلْت وكنتُ رجلًا فطينا هذا وربّ البيت اسرائينا

وقد جمع عديّ بن زيد الشاعر النصرانيّ الشهير في حلفهِ بين مكة والصليب (الاغاني ٢ : ٢٤) :

سعى الاعداء لا يألون شرًّا عليك وربّ مكَّة والصليبِ

ومثلهُ الاعشى حلف باسكيم الرهبان وبالكعبة :

حلفتُ بثوبَيْ راهبِ الدير والتي بناها قُصيٌّ والمضاض بن جُرهمِ

وورد في الاغاني (١٢ : ٧٥) لعبد الرحمان بن الحكم بن ابي العاص :

حلفتُ بربّ مكَّةَ والمصلَّى وبالتوراة احلفُ والقرآنِ

وهو القائل ايضاً (اصلاح المنطق ص ٢٢٤) :

واني وربّ الساجدين عشيَّةً وما صكَّ ناقوس النصارى ابيلُها

أصاالحكم حتى تبوُّوا بثـلهـا كصرخة حُبلى اسلمَتْهـا قبيلُهـا

وممّا لا شبهة فيهِ عن ايمانهم بالمسيح قول عمر بن عبد الحقّ :

وما قدَّس الرهبان في كل بيعةٍ ايل الايلين المسيح بن مريا

قال في اللسان (١٣ : ٦) : وكانوا يعظّمون الابيل ويحـلفون به . وحلف عديّ ابن زيد بالقربان ودعاهُ الشّبر (اصلاح المنطق ١٦٩)

اذ اتاني خبرٌ من مُنعمٍ لم أَخُنْهُ والذي اعطى الشّبَرْ

﴿ الختانة ﴾ معلومٌ انهُ لا ذكر للختانة مطلقاً في القرآن وانّمـا يجري عليها المسلمون بموجب السنة والتقليد . والشائع بين الكتبة المحدّثين انّ العرب قبل الاسلام كانوا يختتنون . وفي زعمهم هذا نظر فانّ لنا عدّةُ شواهد تثبت ان كثيرين من العرب لم يألفوا الختانة ومن المحتمل انّ النصرانيّة ابطلَتْهـا بينهم . روى صاحب الاغـاني لحاجب يزيد بن المهلّب ابياتاً في هجو اليمن وممّا ينسبهُ اليهم انهم غُرْل غير مختتنين قال (١٣ : ٥١) :

فلَلزنجُ خيرٌ حين تنسب والدًا من ابناء قحطانَ العفاشلةِ الغُرْلِ

وجاء في التاج (٢ : ٣٢٤) بيت للفرزدق عن آل حوران غير المختتنين . وكذلك هجا حريث بن عنّـاب بني ثُعَل ودعاهم بالقُلْف (اغاني ١٣ : ١٠٣) . ومما ورد في نقائض جرير والفرزدق (ص ٦٦٩) انّ بني عامر يوم شِعب جَبلة قتلوا ثمانين غـلاماً أَغرل . وفي امالي القالي (٣ : ٤٦) ما يثبت رأينا قال : « روى الاصمعيّ عن سَلم بن قتيبة قال : كانت اياد ترِدُ المياه فيُرَى منها مائتا شاب على مائتي فرس بشيةٍ واحدة وكانوا أَعدَّ العرب وانهم استقلّوا بعشرين الف غلام أَغرل فاوغلوا حتّى وقعوا ببلاد الروم »

وقـد ذكر ابن الاثير في تاريخهِ في وصف أيام العرب انّه كان ٦٠،٠٠٠ منهم غُلفاً دون ختانة . فلا شكّ انّ النصرانيّة بانتشارهـا في جزيرة العرب قبل الاسـلام كانت ابطلت تلك السنّة بين كثير من القبائل

﴿ الحجاب ﴾ قد فرض الشرع الاسـلاميّ التحجّب على نساء المسلمين . وليس المسلمون اوّل من سبقوا الى الامر بهِ . فانّ الامم القديمة كانت تحجب الفتيـات الى

عهد زواجهنّ فاذا تزوّجنَ أسفرنَ عن وجوههنّ . ولنا على ذلك شواهد في سفر التكوين (٢٤: ٦٥ و ٣٨: ١٤) . وقد ورد مثل هذا في الآثار الاشوريّة والرومانيّة وغيرها . وكذلك الكنيسة لم تزل توصي النساء بالحشمة وتغطية رؤوسهن ولاسيّما وقت الصلاة في الكنيسة (١ كور ١١ : ٣-١٧)

على انّ صاحب الشريعة الاسلاميّة عمّم ذلك وفرض بهِ على جميع النساء مطلقاً ناهياً عن سفور وجوههنّ الّا بازاء اقاربهنّ الادنين . وهذه سنّتهم الى يومنا الّا من تقلّدوا الآداب العصريّة وتمثّلوا بامم الغرب فيعتبرون الحجاب مضرّاً بتربية الاناث مانعاً لترقية جنسهنّ باخساً من قدرهنّ

وما لا شكّ فيهِ انّ عرب البادية لايحجبون نساءهم . تلك عادةٌ جروا عليها منذ القديم . وما القناع والنصيف والخمار الّا اكسية كانت نساؤهم يسترنَ بها رؤوسهنّ دون الوجوه وعلى الاقلّ دون العيون كما ترى في وصاوص المصريّات . وفي الشعر الجاهليّ ما يؤيّد زعمنا قال المثقّب العبديّ (المفضّليات ص ٥٧٩) :

أَرَيْنَ محاسناً وكَنَنَّ أُخرى من الأجياد والبَشَرِ المصونِ

وورد هناك بين الشروح عن منجول البراقع : « لا يلبس منجولَ البراقع الّا الحسانُ لأنهنّ يحببْنَ أَنْ تُرى وجوههنّ منها لحسنها والقباحُ تلبس الوصاوص لضيقها حتّى لا تُرى وجوهها لقبحها . وقال عمر بن ابي ربيعة (المفضّليات ص٢٥٩) :

ولمّا تواقفنا وسلّمْتُ اقبلَتْ وجوهٌ زهاها الحسنُ ان تتقنّعا

وروى في الحماسة (ص٥٥٣) : « ولما تفاوضنا الحديث واسفرت » . قال : « وهكذا كانت نساء العرب تفعل اذا كانت جميلةً » بل نبذت كثير من نساء الاسلام الحجاب كما روى المؤرخون . اخبر الصفدي في شرح لاميّة العجم (١ : ٦٨) : « كانت عائشة بنت طلحة بن عبيدالله لا تستر وجهها بشيءٍ فلمّا دخل بها مُصعب ابن الزبير كلّمها في ذلك فقالت : انّ اللهَ عزّ وجلّ قد وَسَمني بوَسم جمال فأَحببتُ ان يراهُ الناس واللهِ ما فيَّ وصمةٌ استترُ لها »

وقد ذكر صاحب الاغاني (١٠ : ١٢٨) انّ الخليفة المأمون كان يخرج الى الشمّاسيّة ليتنزّه بعد قدومهِ من خراسان . ثمّ اخبر ان ابراهيم الموصلي دخل اليهِ « وهو يشرب مع الجواري وما كانوا يحجبون جواريهم في ذلك الوقت ما لم يلدْنَ »

﴿ الردافة ﴾ هي من العادات التي اتخذها العرب من الامم النصرانيَّة المجاورة لهم وهي كالوزارة شاعت عند ملوك الحيرة وملوك غسَّان النصارى . (قال في التاج ٦ : ١١٥) : كانت الردافة في الجاهليَّة لبني يربوع لانهُ لم يكن في العرب احد اكثر غارةً على ملوك الحيرة من بني يربوع فصالحوهم على ان جعلوا لهم الردافة ويكفُّوا عن اهل العراق الغارةَ . . . قال جرير وهو من بني يربوع :

ربَعْنا واردَفنا الملوكَ فظلَّلوا   وطاب الاحاليب الثمامَ المنزَّعا

وقال المبرّد (الكامل ٧٦٣) : « للردافة موضعان احدهما ان يردفهُ الملوك دوابّهم في صيد والآخر ان يخلف الملكَ اذا قام عن مجلسهِ فينظر في امر الناس . (قال) كان الملك يردف خلفهُ رجلاً شريفاً وكانوا يركبون الابل وارداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بامر المملكة بمنزلة الوزراء في الاسلام واحدُهم رِدف والاسم الردافة كالوزارة » . وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٥١٨) في مادَّة طِخْفة اليوم المنسوب الى هذا المكان بين بني يربوع وجيش ملك الحيرة لمَّا اراد بعد موت ردفهِ عتَّاب بن هرمي بن رياح بن يربوع ان ينقل الردافة الى غيرهم فأبت بنو يربوع ذلك ورحلت فنزلت طخفة وبعث الملك اليهم جيشاً فيهِ قابوس ابنهُ وابن لهُ آخر وحسَّان اخوهُ فانتصر عليهم بنو يربوع وبقيت الردافة فيهم

﴿ العمامة ﴾ تُنعَت العمامة عند العرب بتاجهم . وقد وصفها ابو الاسود الدولي بقولهِ : العمامة جُنَّة في الحرب ومكنَّةٌ من الحرّ ومدفأةٌ من القرّ ووقار في النوادي وزيارة في القامة وهي تُعَدّ من ميزة سادة العرب : قالت الخنساء في اخيها :

فارسُ الحرب والمعمَّم فيها   مدرهُ الحرب حين تلقى نطاحا

وقد شاعت العمامة خصوصاً بين نصارى اليمن والعراق : ومما يروي صاحب الاغاني في خبر اساقفة نجران مع نبيّ الاسلام انهم كانوا « من السادة المعمَّمين » وترى الى يومنا العمامة من مميّزات كهنة واساقفة وبطاركة الكلدان في العراق وجهات ما بين النهرين

الفصل الثالث عشر

الشعر النصراني وشعراء النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة واوَّل الاسلام

هذا آخر فصل من كتابنا « النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة » نختم بهِ القسم

الثاني منهُ المختصّ بآداب النصرانيّة . وقد اجّلناهُ الى آخر الكتاب لنجعل كلّ ما سبق كتوطئة لهُ اذ كان غرضنا ان نبيّن نصرانيّة معظم الشعراء الذين سبقوا الاسلام

١ اصل الشعر العربي

زعم بعض الثرثارين المتفيهقين انّ الشعر العربي سبق الاسلام بمئين من السنين بل سبق ميلاد السيّد المسيح باجيال عديدة حتّى نسبوا منهُ نُتَفًا الى زمن نبيّ يدعونهُ هودًا يزعمون انهُ عاش قبل ابرهيم الخليل في الالف الثالث قبل المسيح . وتوغّل غيرهم في غلوّهم واوهامهم فرووا لآدم ابي البشر ابياتًا رثى بها على رأيهم ابنهُ هابيل القتيل فعارضهُ فيها ابليس الرجيم (١

تلك مزاعم يضحك منها العلماء ويضرب بها عرضَ الحائط كلُّ من لهُ ادنى إلمام بتاريخ اللغات عمومًا واللغة العربيّة خصوصًا

وقد ارتأى البعض انّ سِفر أيوب المورود في التوراة عربيٌّ الاصل عربيٌّ اللهجة والتصوُّرات شعريُّ الصورة وقد استوطن أيوب صاحبهُ غَرْبيَّ جزيرة العربيّة في البَثَنيَّة وضمَّن آياتهِ كثيرًا من التشابيه والاوصاف الشائعة بين العرب كذكر النجوم ووصف الخيل وغير ذلك . نجيب على هؤلاء انَّ في هذا الرأي نظرًا لاسبابٍ منها انّ سفر أيوب لا يعرف منهُ منذ نحو ثلاثة آلاف سنة غير ترجمتهِ العبرانيّة ثم ليس لدينا حجّة قاطعة يُمكننا ان نستند اليها لنثبت كتابتهُ في لغة اخرى فانّ مضامين هذا السفر والتقليد اليهودي القديم لا يذكرانِ شيئًا من ذلك . وعلى كلّ حال اذا صحّ قول العلماء بان سفر أيوب كُتب بالاصل في العربيّة فلا شكّ ان تلك العربيّة كانت مختلفة عن عربيّتنا التي هي لهجة بعض قبائل الحجاز لهجة قريش التي لم تشِعْ الّا بعد قرون عديدة . ولعلّها النبطيّة او لغة أخرى اقرب الى الارامية منها الى العربيّة . ومن ثمّ ليس من الممكن الاستناد الى هذهِ اللغة المزعومة لنجعلها اصل شعرنا العربي في الوقت الحاضر

وان تتبّعنا بعد ذلك سياق الاجيال منحدرين الى اوائل النصرانيّة لا نجد ذكرًا للغة العربيّة الّا بعض تقاليد مستحدثة رواها الرواة بعد الاسلام لا يوثق بها . ولسنا

١) اطلب مجلّة المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٤٨٩-٤٩٣)

لننكر انَّ العرب في تلك الاثناء تكلَّموا بلغةٍ خاصَّة لكنَّ تلك اللغة كانت تختلف اختلافاً عظيماً في كل قبيلة على اختلاف مواقعها في انحاء الجزيرة وتأثير اللغات المجاورة لها وحالة المتكلمين بها من اهل حضَر او اهل المدَر فيطلقون على كلّ هذه اللهجات اسم اللغة العربيَّة كما يطلقون اسم العرب على اهل الجزيرة مع اختلاف عناصرهم القحطانيَّة والعدنانيَّة والاسمعيليَّة

ولعلَّ بعض رجال تلك القبائل بعد ان بسط الرومان سيطرتهم على نواحي العرب فقلَّدوهم بعض اعمالها دوَّنوا شيئاً من مآثر لغتهم فأخذتها ايدي الضياع . ومن الشواهد الحسنة التي يمكننا ان نثبت بها قولنا كتابةٌ حجريَّة وُجدت في رومية سنة ١٧٧٣(١ راقية الى اوائل القرن الثاني للمسيح في عهد تراجانوس القيصر . وهذه الكتابة لاتينيَّة كتبها ورَّاق عربيّ اسمهُ مرقس اوليبوس كستوراس كان رافق حملتي الرومانيين في غالية وفي سوريَّة فجعلها على ضريح رجل اسمهُ مرقس اوليبوس سيمفورس كان معهُ في الحملتين :

M. Ulpius Symphorus vixit annis XXIV . . . Ulpius Castoras librarius Arabicus bene merenti quod is expeditionibus duabus Galliæ et Syriæ secum fuerat

فذكرُ ورَّاقٍ او كاتب عربيّ في ذلك العصر من الامور الغريبة التي تثبت ما كان للعربيَّة من الشأن في تلك الأيَّام . ولكن ما هي تلك العربيَّة التي يُشار اليها أهي عربيَّة قريش ؟ او النبطيَّة او الحميريَّة او لغة قبائل الشام الخاضعة للرومان ؟ كلّ ذلك محتمل ولا يمكن بتُّ الحكم بهِ . وما لا شكَّ فيهِ انَّ ذلك الكاتب لم يخطّ كتاباتهِ بالقلم العربيّ الذي برز للوجود في اواسط القرن السادس للمسيح فقط . وانَّما كانوا يكتبون قبل ذلك بأقلام لغات أُخرى اخصُّها في جنوبي جزيرة العرب الحميريَّة والمينويَّة وفي الشمال بالنبطيَّة والثموديَّة واللحيانيَّة والصفويَّة وقد وُجدت من كلّ هذه الخطوط امثال مختلفة في جهات العرب يرقى بعضها الى ما قبل المسيح

وقد سبق لنا القول انَّ اقدم كتابة تقربُ لهجتها من عربية قريش هي الكتابة الضريحيَّة التي وُجدت في جهات الصفا على قبر ملك العرب امرئ القيس بن عمرو

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة (J. As. 1840 I. p. 199) وكتاب لينورمان في الكتابة الفينيقيَّة Essai sur la propagation de l'Alphabet Phénicien. II, 145

وتاريخها في ٧ من شهر كانون الاوّل سنة ٣٢٨ للمسيح · وهي مكتوبة بالحرف النبطي الجميل اوردنا سابقاً رسمها · امّا لغتها فمع قربها من لغة قريش اي لغتنا الفصحى لا تزال مضطربة مشوّشة مختلطة بالفاظ غريبة

فان كان المنثور في القرن الرابع للمسيح على هذه الصورة فا قولنا بالموزون ؟ ولنا هنا ايضاً شاهد صادق على انّ العرب في ذلك الجيل لم يجهلوا الشعر · وهو لاحد المعاصرين المؤرخ اليوناني سوزومان (١ فانّهُ في تاريخهِ الكنسيّ في الفصل الثامن والثلثين منهُ يذكر محاربة ماوية ملكة عرب الشام للرومانيين وانتصارها على جيوشهم ثمّ تنصُّرها وتنصُّر قومها على يد احد السيّاح الدعو موسى · فهناك يصرّح المؤرخ بما شاع من الاغاني الحماسيَّة بين رعايا ماوية يعدّدون فيها مآثرهم وغاراتهم على الرومان وهذا نصُّهُ (١ :

Hæc ita gesta multi ex earum regionum incolis etiamnum commemorant et apud Saracenos vulgo cantibus celebrantur.

وما يقولهُ المؤرخ سوزومان عن الاغاني الحماسيَّة يجوز ان نطلقهُ على بقيَّة امورهم كالافراح والاحزان والمديح والغزل والفخر لأنّ الغناء غريزة في الانسان · ولكن يا تُرى ماذا كانت اوزان تلك الاغاني ؟ كم كانت اجزاؤها ؟ كيف كان ايقاعها ؟ وهل كانت لغتها فصيحة كلغتنا او بالاحرى كانت لهجة خاصّة لتلك القبائل ؟ أنّنا نجهل كلّ ذلك

فلكي نستطيع ان نبني كلامنا على اساسٍ متين لا بُدّ ان نتقرّب الى زماننا بزهاء مائتي سنة اعني الى اوائل القرن السادس للمسيح فان الشعر العربي الموزون ذا الابحر المتعدّدة والايقاع الثابت لا تُرى آثارُهُ قبل ذلك

ويؤيد قولنا اتّفاق كتبة العرب الاقدمين · قال الجاحظ في كتاب الحيوان (١ : ٢٧) : « امّا الشعر فحديث الميلاد صغير السنّ اوّل من نهج سبيلهُ وسهّل الطرق اليهِ امرؤ القيس بن حُجر ومهلهل بن ربيعة . . . فاذا استظهرنا الشعر وجدنا لهُ الى ان جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام »

وذكر السيوطي في المزهر (٢ : ٢٣٨) لعمر بن شبَّة في طبقات الشعراء قولهُ :

1) **Sozom.** : **H.E,** *L. VI, ch.* 38,; *Migne, pp. GG, LXVII, col.* 1410

« وهؤلاء النفر المدّعى لهم التقدُّم في الشعر متقاربون لعلّ اقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة او نحوها »

على انّ هذا القول يصحّ في القصائد المطوّلة ليس في الابيات القليلة التي لعلّ بعضها يرتقي الى اواسط القرن الخامس ؛ قال محمّد بن سلّام الجمحيّ في طبقات الشعراء (ص ١٨) : « لم يكن لاوائل العرب من الشعر الّا الابيات يقولها الرجل في حادثةٍ وانّما قُصّدت القصائد وطُوّل الشعر على عهد عبد المطّلب وهاشم بن عبد مناف »

فيبقى البحث عن تلك الابيات المفردة والقليلة فكيف اهتدى الى نظمها العرب ؟ هل ابتكروها دون علم سابق ؟ او حذوا فيها حذو غيرهم من الامم المجاورة لهم كالحبش والروم والسريان ؟

قلنا انّ الغناء غريزة في الانسان والغناء يحتاج الى بعض الوزن والايقاع فلمّا اراد الناطقون بالعربيّة المحضة وهي عربيّتنا التي اخذت بالثبات في القرن الخامس للمسيح ابتدأوا بالتعبير عن عواطفهم واحساساتهم في الحبّ والتحمّس والغضب والوصف بما يقرب من الشعر الموزون اعني بالكلام المسجّع الذي روى منهُ الرواة الاقدمون بعض المقاطيع كان يرتجلها الكهّان والعرّافون وبعض القوّالين . فمن اقدم ما رووا من ذلك قول طريفةَ الخير الكاهنة تنذر زوجها الملك عمرًا بسيل العرم (المسعودي في مروج الذهب ٣ : ٣٧٩) :

« ما رأيتُ اليوم . قد ذهب عني النوم . رأيتُ غيماً أبرق . وارعد طويلًا ثم أصعق . فما وقع على شيءٍ الّا احترق . فما بعد هذا الّا الغرق » . (وقالت ص ٣٨٢) : « هي داهيةٌ ركيمة . ومصيبةٌ عظيمة . بامور جسيمة . . . انّ لي فيها الويل . ممّا يجيءُ بهِ السَّيل . . . خطبٌ جليل . وحزن طويل . وخلفٌ قليل . وعدٌ من الله نزلْ . وباطلٌ بطَلْ . ونكالٌ بنا نكلْ . فبغيرك يا عمرو فليكن الثُّكل »

فترى في هذه الاقوال اسجاعاً متتالية بينها شيءٌ من الموازنة فانتقلوا منها الى ابسط البحور وهو الرجز فلزموا التقفية كلزومهم الاسجاع في المنثور وراعوا فيهِ عدد الاجزاء والوزن مع جوازات كثيرة . وكانت ابياتهُ قليلة . قيل انّ من اقدم ما ورد منهُ قول دُوَيد بن زيد بن نهد حين حضرهُ الموت :

اليوم يُبنَى لـدُوَيدٍ بيتُـهُ   لو كان لـلدهر بلًى أبـليتُهُ
او كان قرني واحدًا كفيتُهُ   يا رُبَّ نهبٍ صالحٍ حويتُهُ
وربَّ غيلٍ حسنٍ لويتُهُ

وقول امرئ القيس اذ بلغهُ خبر قتل ابيهِ بدمُّون في نواحي اليمن :

تطاولَ الليل علينا دمُّونْ   دمُّونُ انّا معشرٌ يمانونْ
وانّنا لقومنا محبُّونْ

ومثلهُ لـكُلَيب اخي المهلهل وتروى لطرفة ارتجز بها اذ رأى قنابر تلتقط حبًّا يُنثر لها :

يـا لـكِ من قبَّرةٍ بمَعْمَرِ   خَلاَ لكِ الجوُّ فبيضي واصفري
قـد رُفع الفخُّ فـماذا تحذري   ونقّري مـا شئتِ أن تنقّري
قد ذهب الصيَّادُ عنكِ فابْشري   لا بُدَّ يومًا ان تُصادي فاصبري

فان كان السجع والرَّجز المذكوران هما كـما يظهر اصـل الشعر العربيّ ترتقي آثارهما الى اوائل القرن السادس او اواخر الخـامس فيجب البحث عن امّة مجـاورة للعرب امكنهم ان يتقلّدوها في سجعهم ورجزهم السابقين . وانّنا نرى ان تلـك الأمّة كانت الأمّة الارامية اي الكلدان والسريان الذين كانوا منذ اواسط القرن الرابع بعد تنصُّرهم زيَّنوا كلامهم المنثور بالسَّجع والفواصل ونظموا شعرًا يقرب من اراجيز العرب . ولمّا كان الاراميُّون يستوطنون حدود العرب وكثيرًا ما امتزجوا بهم امتزاج الماء بالراح وبنوا في جزيرتهم العدد العديد من الاديرة والمناسك حيث كان الرهبان يتغنَّون بالتسابيح ويحيون لياليهم بالاناشيد الروحيَّة فيسمعهم اهل البادية ويردّدون نغماتهم فتبعثهم على الاقتداء بهم كما فعلوا بعد ذلك في تجويد القرآن على ما اثبتنا سابقًا . فلا نشكّ ان العرب اخذوا ايضاً عن نصارى السريان والكلـدان تسجيع الكـلام وموازينهُ الشعريّة البسيطة كما ترى في الاراجيز العربيَّة . ولعلّ القبـائل القريبة من الروم وجدت ايضاً في تلحينهم وغنائهم وشعرهم ما دفعهم الى التشبُّه بهم في آدابهم

ويؤيّد قولنا هذا ان كثيرًا من القبائل العربيَّة المتنصِّرة كانت تحضر ما يقيمهُ في وسطها من الرتب الدينيَّة الاساقفة والكهنة خصوصاً في جهـات الشمال والشمال الغربيّ حيث توفَّرت الكنائس النصرانيَّة الكلدانيَّة والسريانيَّة وفي جهـات الشام شرقيّ دمشق وفي نواحي الاردن حيث انتشرت اليونانيَّة وأُقيمت الطقوس الكنسيَّة

في تلك اللغة . امّا القبائل المتنقّلة فكان يرافقها اساقفة او كهنة يُدعَون باساقفة المضارب كما شرحنا ذلك كلّهُ في القسم التاريخي . فلا غرو ان العرب الذين كانوا يعاينون تلك المحافل الدينيَّة ويسمعون ألحانها تأثّروا منها فاستفزّتهم قريحتهم الى ان يجروا عليها نوعاً سواء كان في غنائهم او في شعرهم

ولنا في ما رويناهُ عن سوزومان المؤرخ شاهد آخر على رأينا اذ ينسب الى بني غسّان تلك الاغاني العربيَّة التي كانوا ينشدونها بعد محاربتهم للرومان . وهو في الفصل عينهِ يذكر تنصُّرهم وفي ذلك دليل على اصل كلامهم الموزون وعلاقتهِ مع دينهم النصرانيّ سواء كانت تلك الاغاني اسجاعاً مرصوفةً او اراجيز موزونة

٢ في ترقّي الشعر العربي وتقصيد القصائد

كان بحر الرجز كأساس اوّل للشعر العربيّ . على انَّ تفاعيلهُ بما فيها من الجوازات الشعريَّة العديدة ما لبثت ان برزت على صور شتّى تفنَّن بها الشعراء بتركيب الاسباب والاوتاد فاخرجوها على اوزان مختلفة جروا عليها بفطرتهم دون ان يدوّنوها بكتاب مكتوب فبقيت سماعيَّةً تقليديَّة الى ان قام الخليل في القرن الثاني للهجرة وامعن النظر في صورها واوزانها واستخرج اعاريضها واثبتها على قواعد صحيحة . والى ذلك اشار ابن الرشيق في العمدة (ص ٥) بقولهِ في اصل الشعر العربيّ : « كان الكلام كلّهُ منثورًا فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم اخلاقها . وطيب أعراقها . وذكر ايّامها الصالحة . واوطانها النازحة . وفرسانها الانجاد . وسُمحائها الأجواد . لتهزّ نفوسها الى الكرم . وتدلّ ابناءها على حسن الشيم . فتوهّموا اعاريض جعلوها موازين الكلام . فلمّا تمّ لهم وزنهُ سمّوهُ شعرًا لأنهم قد شعروا بهِ اي فطنوا لهُ »

وهنا لا نتردَّد في القول بانَّ الذين قاموا بذلك فوضعوا هذه الاوزان انّما كانوا من العرب المتنصّرين من قبائل غلبت عليها النصرانيَّة بشهادة قدماء المؤرخين لاسيما المسلمين كقبائل ربيعة التي منها بكر وتغلب ويشكر وحنيفة وكقبائل قضاعة ومنها كلب وتنوخ وكقبائل اليمن ومنها كندة ولخم وغسّان وبعض قبائل قيس كذبيان وعبس . نُحيل القرّاء لاثبات نصرانيَّتهم الى قسمنا الاوّل في تاريخ النصرانيَّة في عهد الجاهليَّة

وعلى رأينا انَّ شعراء الجاهليَّة الاوَّلين اذ اكتحلوا بنور النصرانيَّة واحتكُّوا باهلها من الامم المجاورة كالسريان واليونان والحبش ودخلوا على ملوكها العرب الغساسنة والمناذرة وبني الحارث وكان تمدُّن اليونان والروم والفرس غلب عليهم تأدَّبوا بآدابهم وجاروا اولئك الطوائف في بلاغتهم وتأنَّقوا بالنظم على مثالهم

وساعد الشعراء في تقصيد قصائدهم ما جرى في القرن السادس للمسيح من الوقائع والحروب التي اشتهر فيها العرب سواء كانت تلك الحروب اهليَّة بين القبائل كحرب البسوس او جرت لهم مع الاجانب كحرب ذي قار بين العرب والفرس ٠ فانَّ الشعراء وجدوا فيها ما استفزَّ قريحتهم وهيَّج احساساتهم فوصفوها بقصائدهم وللنصارى منهم فيها حظٌّ وفيٌّ كما سترى

٣ الشعر النصراني

رأيت في ما سبق انَّ النهضة الشعريَّة كانت خصوصاً في القرن السادس للمسيح اي القرن السابق لظهور الاسلام. وفي تأخر تلك النهضة سرٌّ غامضٌ ارتاب في فكهِ الباحثون عن اخبار الجاهليَّة . فهذه امَّة عظيمة منتشرة في بلاد تكاد مساحتها تساوي مساحة اوربَّة على اطرافها الممالكُ الوطنيَّة ذات الجاه والشرف والسلطان سبقت الاسلام بعدَّة قرون لا ينقصها شيٌ من اسباب الحضارة والعمران بينها ارباب العقول الراجحة والاذهان المتَّقدة لسانُها من اغنى الالسنة واشرفها واقدرها على التعبير عن كلّ العواطف البشريَّة وهي مع ذلك لم تنتج شاعرًا مفلقاً قبل اوائل القرن السادس وذلك باقرار اقدم الكتبة من العرب. فكيف يا تُرى يمكن تعليل ذلك الخمول ؟

إنَّنا طالما امعنَّا النظر في هذا الامر واستقصينا البحث فيهِ فلم نجد لهُ شرحاً مقبولًا الَّا بان نقول ان النصرانيَّة كانت اصل تلك النهضة ولأنها لم تبلغ في جزيرة العرب نفوذها وعزّها الَّا في القرن السادس وان كان دخولها الى الجزيرة سبق ذلك العهد فكذلك بلغت النهضة الادبيَّة معها الى اوج عزّها في ذلك الجيل

١ً وكان من نتائج توغُّل النصرانيَّة في جهات العرب انَّها سوَّلت لهم طرقاً للكتابة التي لا تستطيع الآداب ان تنتشر وتترقَّى دونها. فاستمدَّ العرب فنَّ الكتابة من نصارى العراق والنبط والحبش. تلك المصادر الثلثة للاقلام العربيَّة الاولى اعني

القلم النسخي والمسند والكوفيّ . وقد اثبتنا ذلك في باب خاصّ عليك براجعته (ص ١٥٢ — ١٥٨) . وناهيك بهِ على ما كان النصرانيّة من السهم الافوز في حفظ المآثر الادبيّة ونشرها . وقد وقع ذلك في القرن السادس

٢ً وكان للنصرانيّة فضلٌ آخر على ترقية الآداب بين العرب انّ اربابها مع نشر الكتابة نشروا ايضاً التعليم امّا بفتح المدارس للناشئة وامّا بالتعليم الخاصّ وقد جمعنا في فصل سابق (ص٣٨٩ — ٣٩١) بعض الشواهد المثبتة لقولنا منها المدارس المتعدّدة المنشأة في العراق في اديرة الرهبان وغيرها كان يحضرها احداث العرب كما ذكرنا هناك عن المرقّشَيْن الاكبر والاصغر وعن عديّ بن زيد وعن ورقة ابن نوفل والبرّاق ابن روحان . ونوّهنا ايضاً بذكر معلمين نصارى في مكّة والمدينة وغيرهما . فليت شعري أيحتاج الى برهان اعظم لبيان تأثير النصرانيّة في آداب الجاهليّة وشعرائها المبرّزين في ذلك القرن السادس ؟

٣ً ومن الأدلّة المقنعة على انّ النصرانيّة هي التي بعثت الشعر العربيّ واخرجتهُ من مهدهِ في القرن السادس انّ ذلك الشعر كان ظهورهُ اوّلًا بين القبائل النصرانيّة . فان استفتينا على ذلك اقدم الكتبة كابن قتيبة في كتابَيْه المعارف وفي الشعر والشعراء وابن سلّام الجمحي في طبقات الشعراء (ص٢٢) وابن الرشيق القيرواني في العمدة (ص٥٤) ثمّ السيوطي في المزهر (٢ : ٢٣٨) أجابونا باتّفاق الاصوات انّ الشعر العربي كان اوّلًا في ربيعة . وقد اثبتنا شيوع النصرانيّة في ربيعة كما اجمع عليهِ الرواة كابن قتيبة (في المعارف ص٣٠٥) وابن رُسته في الاعلاق النفيسة (ص٢١٧) وغيرهما (راجع الصفحة ١٣٠) . ومن ربيعة كانت تلك القبائل العظيمة التي كادت تستولي على جزيرة العرب كبكر وتغلب ابني وائل وكبني امرئ القيس وشيبان وعجل وحنيفة وقد تحقّقنا نصرانيّتها كلّها استناداً الى معظم الكتبة . فالنتيجة بعد ذلك ظاهرة وهي نصرانيّة الشعراء المنتمين اليها الذين سبقوا غيرهم زمناً كما سبقوهم الى تقصيد القصائد . قال الفرزدق يذكر المهلهل التغلبيّ :

ومهلهلُ الشعراء ذاك الاوّلُ

٤ً ولنا بيّنة أُخرى على نصرانيّة هؤلاء الشعراء الاوّلين نعني بها منازلهم التي كانوا يسكنونها مع قبائلهم فانّ قبائل ربيعة كانت تحتلُّ مفاوز ما بين النهرين من الفرات

شرقيّ حلب وجنوبها الى جهات الموصل والعراق ولا يزال يُطلق على قسم كبير منها اسم ديار بكر وديار ربيعة٠ وكانت هناك النصرانيّة راسخة القدم منذ القرن الرابع للمسيح فتنسَّك فيها الحبساء بعدد وافر كصعيد مصر وتشيَّدت فيها اديرةٌ ذكر منها كتبة السريان والعرب ما ينيف على المئة عدًّا . فما لبثت تلك القبائل العربيَّة ان جحدت الشرك ودانت بدين المسيح وقد روينا في القسم التاريخيّ كثيرًا من اخبارها والشواهد على تنصُّرها نقلناها عن اصدق الرواة من يونان ولاتين وسريان بينهم كتبة كانوا معاصرين للامور التي يخبرون بها وشهود عيانيُّون لِما يدوّنونهُ في بطون التواريخ فتارةً يذكرون كنائسهم وتارةً اساقفتهم الساكنين بينهم في الحضَر والمدَر وتحت الخيم وحيناً مزاراتهم الدينيَّة الى غير ذلك من الدلائل الصريحة على ايمانهم

فلمَّا ظهر الاسلام اقرَّ كتبتهم بما تحقَّقوهُ من تنصُّر تلك القبائل وقد دوَّنا ما اعلنوا بهِ حيث قالوا « انَّ من قبائل العرب المتنصِّرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وتنوخ وجذام » وكلهم من ربيعة او من القبائل اليمنيَّة المحالفة لها

وممَّا يجدر بالاعتبار انَّ بين هؤلاء الشعراء قرابةً يُستدلُّ بها ايضاً على وحدة دينهم فانَّ كليباً والمهلهل كانا خالي امرئ القيس بن حجر الكندي وامُّهُ فاطمة اختهما . وكان المرقّش الاكبر عوف بن سعد عمّ المرقّش الاصغر عمرو بن حرملة وكان هذا عمّ طرفة ابن العبد وكانت امّ طرفة وردة وهي اخت المتلمّس جرير بن عبد المسيح

٥ ويؤيّد قولنا في نصرانيَّة هؤلاء الشعراء انَّ من يراجع دواوينهم او ما رُوي عنهم من القصائد لا تجد فيها اثرًا للشرك وعبادة الاصنام اللهمَّ الَّا في بعض الاقسام التي بيَّنَّا انَّها كانت الفاظًا جارية على السنتهم كما ترى من اشكالها في أَلسِنة كلّ الشعوب دون اشارة الى معتقد البتَّة (اطلب الصفحة ٤٠٤)

٦ وعلى خلاف ذلك تجد في شعرهم آثارًا بيّنة لاعتقادهم بالاله الواحد وبخلود النفس مع اقتباسات واشارات واضحة الى الأسفار المقدَّسة والى الانبياء والى العادات النصرانيَّة وقد جمعنا منها فصولًا واسعة مرَّ ذكرها في كتابنا هذا فلتُراجع . وهذا يصحُّ ايضاً في معظم الشعراء الذين جمعنا قصائدهم في كتاب شعراء النصرانيَّة سواء كانوا من اياد او مضر او قضاعة او طيّ او من القبائل اليمنيَّة

ولا شكَّ انَّنا كنَّا وجدنا في منظوماتهم ما هو ادلّ على دينهم لو لم يُفقَد كثير

منها. وزد على ذلك انّ اهل اللغة الذين حاولوا جمع تلك الآثار لم يباشروا بتدوينها الّا في اواسط القرن الثاني للهجرة اذ كان قسم كبير منها قد اخذتهُ يد الضياع او تلف بالنسيان. وكان هؤلاء الرواة مُسلمين لا يهمّهم غير الفرائد الادبيَّة والنوادر اللغويَّة فيضربون الصفح عمّا يعزّز ديناً غير الدين الاسلامي. ويثبت ذلك ما تجد في المعاجم من ابيات متفرّقة دُوّنت في مظانّها يُستفاد منها اشياء كثيرة عن نصرانيّة اهل الجاهليّة رويناها في ما سبق كلآلئ فريدة من قلائد منفرطة

وان قيل ما لهم لم يصرّحوا بنصرانيَّة هؤلاء الشعراء فيزيلوا بذلك الشكّ والريب ؟

السبب (الاوّل) لذلك كما قلنا انّ الرواة السابق ذكرهم قلّما سعوا في البحث عن اديان اولئك الشعراء. واذا تصفّحت ما نقلوهُ من اخبار شعراء الجاهليَّة لا تكاد تجد تنويهاً باحوالهم الدينيَّة. وان ذكروا شيئاً من ذلك رووهُ استطراداً لا تعمُّداً. ولولا اشارات خفيفة عن البعض الذين لا شبهة في نصرانيّتهم لَما تحقّقنا دينهم كقسّ بن ساعدة وعديّ بن زيد وجابر بن حني والبرّاق بن روحان وبسطام بن قيس

السبب (الثاني) لسكوت الرواة عن نصرانيَّة اولئك الشعراء أنّهم كانوا من قبائل عصاميَّة صحيحة النَّسب فما كانوا يرون داعياً الى ذكر دينها وكلّها متساوية في شرف جنسها العربيّ من قحطان او من عدنان على خلاف القبائل اليهوديّة فانَّ الكتبة الاقدمين يميّزونها عن القبائل العربيَّة ويصرّحون بيهوديّتها نسباً وديناً كقُرَيظة والنضير

والسبب (الثالث) الذي قضى على الرواة المذكورين الإضراب عن ذكر اديان الشعراء ما وجدوهُ من الاختلاف في نصرانيّتهم. فانَّ دعاة النصرانيَّة الذين دخلوا في جهات العربيَّة لم يكونوا على معتقد واحد فكان بينهم الصحيح الايمان كالقديس بنتانوس (S^t Pantène) واوريجانوس وموسى رسول الغسّانيين والقديسين هيلاريون ونيلوس وافتيموس ثم عقبهم النساطرة في العراق وفي سواحل البحرين وعُمان واليمن واليعاقبة في جهات الفرات وما بين النهرين وبادية الشام. وكان فرَّ الى جزيرة العرب كثيرون من المبتدعين لينجوا من نقمة ملوك الروم وغيرهم كاللاأدريين والمنداثيين ومتنصّري اليهود المدعوّين بالإبيونيين والكسائيّين وهلمَّ جرًّا حتّى انَّ القديس ابيفانيوس منذ القرن الرابع كان يصف جزيرة العرب بكثرة بدعها واضاليلها

ومن ثمَّ اذا تكلّمنا عن شيوع النصرانيّة في جزيرة العرب لسنا نقصد بها الديانة الكاثوليكيّة الخالية من كلّ ضلال بل الدين المسيحي عموماً مع ما اختلط بهِ من آراء المراطقة الباطلة . والحقّ يقال انَّ توفُّر هذه الشيع وتعاليمها المتناقضة هي التي سوَّلت للاسلام الفوز بالنصرانيَّة في جزيرة العرب وفي البلاد الخارجة عنها. وقد ظهر بعد ذلك في نفس الاسلام شيءٌ كثير من تلك البدع كما ترى في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ولابن حزم وغيرهما فكانت كنار تحت رماد شبَّت بمساعي الخوارج والملحدين في ايام الخلفاء

واراؤنا هذه عن شيوع النصرانيَّة في كلّ انحاء العرب ونفوذها في آدابهم وشعرهم قد تحقَّقها غيرنا من كبار المستشرقين كدي ساسي ولونورمان في فرنسة وبلغراف (Palgrave) وليَّال في انكلترة (١ وولهَوْزن في المانية فيرون في معظم الشعر الجاهلي من عواطف وتصوير افكار ومعرفة حقائق عقليَّة وادبيَّة ما لا يمكن نسبتهُ الى غير النصرانيَّة ممَّا يخالف المعلومات التي سبق كتبة السريان واليونان والرومان فرووها عن العرب قبل ذلك العهد وذلك وفقاً لما نعلم عن تنصُّر المناذرة والغساسنة وملوك كندة وبعض التبابعة فأثّرت نصرانيَّتهم في شعراء ذاك القرن السادس ندماء اولئك الملوك فقصدوهم متديّنين بدينهم ، وقلّما تجد شعراء نبغوا حينئذٍ في نواحي اخرى من العرب كنجد والحجاز وان وُجد بعضهم فآثار النصرانيَّة فيهم ظاهرة كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو وشعراء طيّ

٤ شعراء النصرانيَّة

اذا ما تخطَّينا الآن من هذه البيّنات والادلَّة العموميَّة عن الشعر النصراني ونفوذه بين عرب الجاهليَّة واعتبرنا أفراد الشعراء الذين اثبتنا اسماءهم وقصائدهم في كتابنا «شعراء النصرانيَّة» تمهّد لنا الطريق للحكم بنصرانيَّتهم امَّا بتاتاً وامَّا ترجيحاً فها نحن نستقري ذكرهم على سياق قبائلهم التي انتسبوا اليها

اوّلاً قبائل ربيعة

قبائل ربيعة كثيرة العدد كانت تسكن في الجهات الممتدَّة بين الفرات والخابور

١) اطلب كتاب ليّال في مقدّمة ترجمتهِ الانكليزية G. Lyall : Translation of ancient Arabian Poetry

الى انحاء العراق. وبنو ربيعة على اختلاف قبائلهم يتصلون بربيعة بن نزار جدّهم الأعلى. وفي ربيعة خصوصاً انتشر الدين النصراني كما روى كثيرون من كتبة المسلمين كابن قتيبة وابن رسته والقاضي صاعد الاندلسي والفيروزابادي (راجع اقوالهم في الصفحة ١٣). ولا تجد في ما يُروى من شعرهم اثرًا للشرك وعبادة الاصنام وفيهِ على خلاف ذلك من الاقوال في التوحيد وتُقى الله ومدح الفضيلة ما يدلّ على تأثير التعاليم النصرانيّة في قلوبهم اذ كانوا محاطين في انحائهم بالسيّاح واديرة الرهبان والكنائس. ويتردّد اكثرهم على ملوك الحيرة المتنصّرين ويمدحونهم. وثبتت النصرانيّة في ربيعة مدّة بعد الاسلام وقد ذكر في الاغاني (٢٠: ١٢٧): «نصارى بعض احياء ربيعة في عهد بني اميّة»

١ شعراء تغلب

لا نظنّ انّ احدًا ينكر علينا نصرانيّة تَغلب مع اتّفاق الكتبة القدماء على اعتصامها بالدين المسيحي وذلك قبل الهجرة بزمن طويل يمكن ترقيتهُ الى ما وراء القرن الخامس للميلاد الى عهد السيّاح والرهبان الذين ازهروا في الجزيرة في القرن الرابع للمسيح. وقد مرّت لنا الشواهد على ذلك في القسم الاوّل. ومن ثمّ لا حاجة الى اثبات نصرانيّة شعراء تغلب الذين نظمناهم في سلك كتابنا شعراء النصرانيّة وهم ثمانية هذه اسماؤهم على ترتيب ذكرهم في الكتاب مع الاشارة الى الصفحات التي وردت فيها اخبارهم:

١ كليب وائل	(شعراء النصرانيّة ص ١٥١–١٥٩)	
٢ المهلهل اخو كليب	«	١٦٠–١٨١
٣ السفّاح التغلبي	«	١٨٢–١٨٣
٤ الاخنس بن شهاب	«	١٨٤–١٨٧
٥ جابر بن حُنَيّ	«	١٨٨–١٩١
٦ افنون صريم بن مَعشر	«	١٩٣–١٩٤
٧ عُمَيْرَة بن جُعَيْل	«	١٩٥–١٩٦
٨ عمرو بن كلثوم	«	١٩٧–٢٠٤

فهؤلاء كلهم سواء صرّحوا بدينهم النصراني كما ترى في ترجمة جابر بن حُني ام سكتوا عنها فلا شكّ بنصرانيّتهم

٢ شعراء بكر

انّ نصرانيّة بني بكر ثابتة كنصرانيّة تغلب وكانت كلتا القبيلتين ساكنة في الجزيرة متجاورةً في ديار بكر وديار ربيعة وهما ترتقيان الى اصل واحد الى وائل ومنهُ الى ربيعة بن نزار وتدينان بدين واحد وكلّ من ذكر نصرانيّة تغلب اضاف اليها بكرًا كما روينا سابقاً . هذا مع ما حصل بين القبيلتين من النزاعات والحروب اخصّها حرب البسوس كما يجري غالباً من المنافسات والضغائن بين الاقارب . وبكر قبيلة كبيرة كتغلب تتفرّع الى فروع عديدة كضُبَيعَة وشيبان ومرّة ويشكر وعجل وقد اتينا في باب القبائل المتنصِّرة بذكر هذه الفروع

١ ﴿ بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ﴾ ذكرنا منهم في شعراء النصرانيّة هوْلاء الثمانية الآتين :

١	سعد بن مالك بن ضبيعة	(شعراء النصرانيّة	ص ٢٦٤-٢٦٧)
٢	جحدر بن ضبيعة	〃	٢٦٨-٢٦٩
٣	عمرو بن سعد بن مالك (المرقش الاكبر)	〃	٢٨٣-٢٩٢
٤	ربيعة بن سفيان بن سعد (المرقش الاصغر)	〃	٣٢٨-٣٢٩
٥	طرفة بن العبد بن سفيان بن حرملة بن سعد	〃	٢٩٨-٣٢٠
٦	الخرنق اخت طرفة	〃	٣٢١-٣٢٧
٧	عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد	〃	٢٩٣-٢٩٧
٨	المسيّب بن علس . . . بن مالك بن ضبيعة	〃	٣٥٠-٣٥٦

فكل هوْلاء متقاربو العهد بينهم واشجةُ رحم من سلالة واحدة . وقد صرّح في كتاب الاغاني (٥:١٩١) تخرُّج المرقّش الاكبر على نصارى الحيرة وذكرنا في شعراء النصرانيّة استشهادهُ بزبور داود:

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائم
قد خُطَّ ذلك في الزبو رِ الاوّليّاتِ القدائمْ

وطَرَفة بن العَبْد كان ابن حفيد المرقّش الاكبر وابن اخي المرقش الاصغر . وورده امُّ طرفة كانت اخت جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمّس فكفى بهذه القرابة دليلًا على نصرانيّة طرفة . وعيشة طرفة والمتلمّس في الحيرة بين النصارى ودخولهما على ملكها النصراني عمرو بن هند ممّا يؤيد ذلك . وفي شعر طرفة تنويهٌ بخلود النفس والحساب كقولهِ:

فكيف يرجّي المرء دهرًا مخلَّدًا وأعمالهُ عمَّا قليلٍ تحاسِبُهْ

وتصريحٌ بحكم الله المطلق على الانام :

انَّ الله ليس لحكمِهِ حكمُ

وبكمال اعمالهِ تعالى :

وما قد بناهُ الله تمَّ تمامُهُ وما قد بناهُ اللهُ فالله ماحِقُهْ

وهو القائل في الحضّ على الخير والحياد عن الشرّ :

الخيرُ خيرٌ وان طال الزمان بهِ والشرُّ اخبثُ ما أوعيتَ من زادِ

ولهُ في مودَّتهِ لاهل الدين :

سأصرفُ نفسي عن هوى كلّ غادرٍ وأعرضُ عن أخلاقهِ وأخارِقُهْ

واجعلُ اهل الدين اهل مودّتي ليعلمَ اهل الفضل مَن انا واثِقُهْ

وكان عمرو بن قميئة من قرابة المرقّشين الاكبر والاصغر وطرفة وهو الذي رافق امرء القيس في سفرهِ الى القيصر ملك القسطنطينيَّة . وفي اخبارهِ ما يدلُّ على ابتعادهِ عن الدناءة والاثم كيوسف الحسن والتجائهِ الى نصارى الحيرة فرارًا من التهمة الباطلة . وهذا كلُّهُ ممَّا لا يدع شبهةً في نصرانيَّتهِ

وكذلك المسيّب بن علس من ندماء ملك الحيرة عمرو بن هند كطرفة والمتلمّس وكان خال الاعشى الكبير . وهو القائل يدعو بني عامر الى تُقى الله :

أَلَا تتَّقون الله يا آل عامرٍ وهل يتَّقي اللهَ الأَبَلُّ المصمِّمُ

٥ ﴿شعراء شيبان﴾ شيبان احد بطون بني ثعلبة بن عكابة المذكورين في تواريخ الروم والسريان كنصارى العرب يدعونهم (ܬܥܠܒܝܐ Thalabenses) ويذكرون لهم اساقفة (راجع المكتبة الشرقيَّة للسمعاني ١ : ٢٦٥ ومقدّمتهُ في الجزء الثاني CXI) وقد ذكرنا من شعرائهم اربعةً وهم :

١ جسّاس بن مرَّة بن ذهل بن شيبان	(شعراء النصرانية	٢٤٦–٢٥١
٢ جليلة اختهُ	«	٢٥٢–٢٥٣
٣ عبد المسيح بن عسلة	«	٢٥٤–٢٥٥
٤ بسطام بن قيس . . بن ذهل بن شيبان	«	٢٥٦–٢٦٣

جسّاس هو قاتل كُلَيب وائل صهرهِ زوج اختهِ جليلة وكان طليعة قومهِ في حرب البسوس . ونصرانيَّتهُ ثابتة من عدَّة وجوه : ١ً من انتسابهِ الى شيبان . ٢ً من قرابتهِ الى بني تغلب . ٣ً من اعترافهِ بالاله الحقّ وبالبعث في حلفهِ حيث يقول :

اني وربّ الشاعرِ الغرورِ وباعثِ الموتى من القبورِ

ولهمّام اخي جسّاس شعر في المفضّليّات . ولا حاجة لبيان نصرانيّة عبد المسيح بن عسلة فانّ اسمهُ يشهد لهُ . وقصيدتهُ المرويّة هنا قد طُبعت مؤخّرًا في جملة المفضّليات (ed. Lyall, p. ٥٥٦) ولم يُذكر هناك عن نسب قائلها الّا كونهُ « اخا بني مرّة ابن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان »

امّا بسطام بن قيس بن مسعود فهو احد فرسان بني شيبان المعدودين في الجاهليّة . قال ابن قيم الجوزيّة في اخبار النساء (ص ٩٨) كان بسطام فارساً جوادًا عفيفاً . وقال ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٢ : ٦٧) : قد ربّع الذهليّين واللهازم اثني عشر مرباعاً . امّا نصرانيّة بسطام بن قيس فقد جاهر بها ابن دريد في الكامل (ص ١٣٠) وابن عبد ربّهِ ايضاً في العقد (٣ : ٨٨) في اخبار يوم الغَبيط وقد ورد هنالك اسم الحنيف مع اسم النصراني حيث قال : « ونادى القوم نجّادًا اخا بسطام كُرَّ على اخيك وهم يرجون ان يأسروهُ فناداهُ بسطام : ان كررتَ فانا حنيف وكان بسطام نصرانيًّا فلحق نجاد بقومهِ » . وقد جاء في الاغاني (١٩ : ١٨) ذكر زيق بن بسطام فقال عنهُ انهُ كان نصرانيًّا وذكر ابنتهُ حدراء (١٩ : ١٢) قال « تزوّجها الفرزدق وكانت نصرانيّةً »

٣ ﴿ قيس بن ثعلبة ﴾ اخو شيبان بن ثعلبة . اليهِ ينتسب الحارث بن عبّاد بن ضبيعة رئيس بني بكر في حرب البسوس بعد اعتزالهِ الحرب مدّةً الى ان قُتل ابنهُ بجير . ونصرانيّتهُ تثبت بنصرانيّة شيبان لأن شيبان وقيساً كليهما ابنا ثعلبة بن عكابة

راجع اخبار الحارث في شعراء النصرانيّة (ص ٢٧٠–٢٨١)

٤ ﴿ يشكر بن بكر ﴾ حيّ كبير من بكر بن وائل يدين بدينها ذكرنا منهُ ثلثة شعراء مُجيدين :

الحارث بن حلزة هو الذي دافع عن قومهِ عند عمرو بن هند ملك الحيرة بمعلّقتهِ الهمزيّة المشهورة مناقضاً لمعلّقة عمرو بن كلثوم . وبهما وقع الصلح بين بكر وتغلب وكان المنخّل اليشكري من ندماء ملك الحيرة النصراني النعمان بن منذر . امّا

سُوَيد بن ابي كاهل فادرك الاسلام ولم يذكر احد اسلامهُ ومن شعرهِ الدالّ على دينهِ قولهُ من عينيّتهِ الشهيرة

كتب الرحمانُ والحمدُ لهُ سعةَ الاخلاقِ فينا والضَّلَعْ
وإباءً للدنيّاتِ اذا أُعطيَ المكثورُ ضيماً فكَنَعْ
وبناءً للمعالي إنّما يرفعُ اللهُ ومن شاءَ وضعْ
نِعَمٌ للهِ فينا ربَّها وصنيعُ اللهِ واللهُ صنعْ

٥ ﴿ علي بن بكر ﴾ ذكرنا شاعرين من بني عليّ بن بكر بن وائل وهما :

١ فند الزمّاني (شعراء النصرانية ص ٢٤١-٢٤٥)

٢ اعشى قيس بن ثعلبة " ٣٥٧-٣٩٩

كان فِنْد الزمّاني سيّد بكر في زمانهِ وشهد حرب البسوس وحارب مع بني بكر ورئيسهم الحارث بن عبّاد وهو من نصارى اليمامة. وقد روينا شعرهُ في تلك الايام

واشهر منهُ ميمون بن قيس وهو الاعشى الكبير . وقد نظمناهُ بين الشعراء النصارى ليس فقط لانتمائهِ الى بني بكر النصارى بل لاسباب اخرى منها. ١ً تخرّجهُ على العباديين ورأيهُ بآرائهم . قال في الاغاني (٨: ٧٩) : «كان الأعشى قَدريًا (اي يقول بحرّية الانسان في اعمالهِ) ... اخذ مذهبهُ من قبل العباديين نصارى الحيرة كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقّنوهُ ذلك» . ٢ً وكان راوية الاعشى يحيى بن متّى النصرانيّ العباديّ . ٣ً زيارة الاعشى لنجران وكنيستها المعروفة بكعبة نجران ولاساقفتها وامرائها النصارى. قال يكلم ناقتهُ :

وكعبةُ نجرانَ حتمٌ عليـكِ حتّى تُناخيَ بأبوابها
نزورُ يزيدًا وعبد المسيح وقيسًا همُ خيرُ اربابها

٤ً تجوّلهُ في البلاد النصرانيّة كحمص واورشليم قال :

وقد طُفتُ للمالِ آفاقهُ عُمانَ فحمصَ فاوريشلِمْ
فنجرانَ فالسّروِ من حميرٍ فـأيّ مُرامٍ لـهُ لم ارُمْ

٥ً ايمانهُ بالبعث والحساب كقولهِ :

اذا انتَ لم ترحَلْ بزادٍ من التُّقى ولاقيتَ بعد الموت مَنْ قد تزوّدا
ندمتَ على ان لا تكونَ كمثلِهِ فترُصد للامر الذي كان ارصدا

٦ً اقتباساتهُ الشعريّة من العادات النصرانيّة كحلفهِ بأسكيم الرهبان :

فاني وثوبَي راهب اللُّجّ والتي بناها قُصَيّ والمضاضُ بن جرهمِ

قال البكري في معجم ما استعجم (٤٨٩) : اللجّ غدير عند دير هند وقيل انهُ اراد المسيح عليهِ السلام .. ويروى : « وثوبي راهب الطور ». والتي بناها قُصَيّ يعني مكّة » . وهذا كما حلف عديّ بن زيد « برب مكّةَ والصليب » وحلف الاعشى ايضاً بمثل ذلك فقال :

واني وربّ الساجدين عشيّةً ... وما صكّ ناقوسَ النصارى ابيلُها

وللاعشى في وصف هياكل النصارى وصلبانها وصورها :

فما مُتلٍ بي على هيكلٍ ... بناهُ وصلّب فيهِ وصارا

٧ً ذكرهُ للانبياء واحداث الاسفار المقدَّسة كقولهِ في نوح وفلكهِ :

جزى الالهُ اياساً خير نعمتهِ ... كما جزى المرء نوحاً بعد ما شابا

في فُلكهِ اذ تبدَّاها ليصنعَها ... وظلّ يجمع ألواحاً وابوابا

وقد روينا لهُ ابياتاً في داود النبي وفي سليمان الحكيم وفي المنّ والسلوى وغير ذلك ممّا يدلّ على معرفتهِ للاسفار الكريمة

٨ً ويؤيد ذلك ذكرهُ لفصح النصارى ومدحهُ لهوذة بن علي الذي فكّ اسرى تميم في ذلك العيد فقال :

بهم يقرّبُ يوم الفِصح ضاحيةً ... يرجو الالهَ بما اسدى وما صنعا

وكلّ هذه الشواهد لا يمكن تعليلها الّا بان يقال انهُ كان يدين بالنصرانيّة . وقد ذهب الى هذا القول المستشرق ولهوزن حيث قال Wellhausen : *Reste arab. Heidentums*, p. 233 « يظهر انَّ احد شعراء الجاهليّة المدرسيّين الاعشى قد كان نصرانيّاً » (Einer der klassischen Dichter der Gâhilija, al-A'cha, soll Christ gewesen sein)

٣ ربيعيّون آخرون

اربعة شعراء من ربيعة من غير قبائل بكر وتغلب روينا شعرهم وهم :

١ البرّاق بن روحان	(شعراء النصرانيّة	ص ١٤١–١٤٧)
٢ ليلى العفيفة زوجتهُ	«	١٤٨–١٥٠
٣ جرير بن عبد المسيح (المتلمّس)	«	٣٢٠–٣٤٩
٤ المثقب العبديّ	«	٤٠٠–٤١٥

هم من احياء مختلفة لا شكّ في نصرانيّتهم . فالبرّاق كما ورد في جمهرة انساب العرب للكلبيّ كان من قرابة المهلهل التغلبيّ وتخرّج على راهب فتعلّم منهُ تلاوة

الانجيل ولعلّ دير ابن برّاق الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان اليه ينتسب . والتلمّس ينتمي الى ضُبيعة بن ربيعة بن نزار وكفى باسمهِ « جرير بن عبد المسيح » دليلًا على دينهِ . نادَمهُ مدَّةً عمرو بن الهند ثم هرب منهُ الى الشام واجتمع باهلها النصارى وفي ذلك يقول :

حنَّت قلوصي بها والليلُ مطَّرقٌ بعد الهدوّ وشاقتْها النواقيسُ

وهو القائل عن تقى الله :

وأعلمُ علمَ حقٍّ غير ظنٍّ وتقوى الله من خير العَتادِ

امَّا المثقّب العبدي فكان من اسد بن ربيعة يرتقي اليها بعبد القيس بن افصى التي سبق لنا ذكر شيوع النصرانيَّة بينها . كان ابوه محصن بن ثعلبة سيّدًا خطيرًا واحد السُّعاة بالصلح بين بكر وتغلب كما قال المثقّب :

ابي أصلح الحيَّيْنِ بكرًا وتغلبا وقد أرعشتْ بكرٌ وخفَّ حلومُها

والمثقب دخل على ملوك الحيرة فمدح منهم عمرو بن هند والنعمان بن قابوس

ثانياً شعراء اياد

اياد بن نزار اخو ربيعة . تشعَّبت منهُ احياء وفروع متعدّدة شاركوا ربيعة في نصرانيَّتهم كما شهد على ذلك كتبة مسلمون فضلاء كابي نصر الفارابيّ والبكري وابن دريد (اطلب نصوصهم في الصفحة ٢٤) وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان اديرةً بناها بنو اياد كدير السَّوا ودير قرَّة . وفي اخبار البلد الحرام للفاسيّ (ص ١٣٧) انَّ كاهناً من اياد اسمهُ وكيع بن سلمة ابتنى صرحاً ليناجي فيهِ الله . قال بشر بن الحجر (البيان والتبيين للجاحظ ١ : ١٩٠) :

ونحنُ ايادٌ عبادُ الالهِ ورهطُ مُناجيهِ في السُّلّم

واشهر من عُرف من شعرائهم شاعران ذكرناهما في كتابنا :

١ قس بن ساعدة (شعراء النصرانيَّة ص ٢١١-٢١٨)
٢ اميَّة بن ابي الصَّلْت « ٢١٩-٢٣٧

قس بن ساعدة هو خطيب العرب الشهير واسقف نجران لا حاجة الى اثبات نصرانيَّتهِ . وصفهُ الجارود النصراني العبقسيّ لمحمَّد بما رويناهُ هناك (ص ٢١١) . هذا مع ما دخل في اخبارهِ من الاقاصيص الفريَّة التي رويناها على علّاتها

امَّا اميَّة بن ابي الصَّلت وهو من ثقيف بها يرتقي الى اياد فيمكننا بيان نصرانيَّتهِ

بالادلّة الآتية : ١ً كونهُ من إياد التي اثبتنا نصرانيَّتها وافتخارهُ بمعارف قومهِ لاسيما الكتابة وفنّ الكتابة كما سبق تعلّمهُ العرب من النصارى:

قومي اياد لو أنّهم أمَمٌ ولو اقاموا فتُهزَل النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ساروا جميعاً والقطُّ والقَلَمُ

٢ً كان اميّة من الحنفاء وقد سبق (ص ١١٨—١١٩) انَّ الحنيفيَّة في الجاهليَّة يُرَاد بها النصرانيَّة او شيعة من شيعها واتينا على ذلك بشواهد اسلاميَّة . ٣ً اطلاعهُ على الاسفار المقدَّسة والانجيل ودرسهُ لها (الاغاني ٣ : ١٨٧) . ٤ً دخولهُ كنائس النصارى واجتماعهُ برهبانها (ص١٨٨). ٥ً معرفتهُ للُغة السريانيَّة لغة نصارى العراق. قال ابن دريد في تاج العروس (٣ :٢٨٦) : « كان اميَّة يستعمل السريانيَّة كثيرًا لأنهُ كان قد قرأ الكتب» . ٦ً في شعرهِ من مقتبسات الكتب المقدَّسة ما تفرَّد به كعديّ بن زيد . فانَّ لهُ اوصافاً عديدة للاحداث الكتابيَّة وللعقائد الدينيَّة كوصفه الجميل للعزَّة الالهيَّة والملائكة والدينونة والجحيم والنعيم وبشارة العذراء ومولد المسيح العجيب ما يدلُّ صريحًا على تنصُّرهِ . على أنّنا نقرُّ بانَّ في اخبارهِ اضطراباً لبُعد عهد الرواة عن زمانهِ

ثالثاً شعراء مضر

لم تنتشر النصرانيَّة في مضر بن نزار وقبائلهِ انتشارها في قبائل اخوَيهِ ربيعة واياد على أنّنا وجدنا ايضاً عدَّة آثار تنبي بدخول النصرانيَّة في احياء كثيرة منها كبني عُقَيل الذين غلبت عليهم النصرانيَّة وبني تميم وعبس وذبيان وقيس عيلان وناجية . وقد اوردنا على ذلك شواهد في ما سبق في باب القبائل المتنصّرة وذكرنا بعض الاديرة المشيَّدة بينها

١ بنو تميم

روينا اخبار واشعار خمسة منهم اعني :

١ عدي بن زيد	(شعراء النصرانيَّة	ص ٤٣٩—٤٧٤)
٢ الاسود بن يعفر	«	٤٧٥—٤٨٥
٣ سلامة بن جندل	«	٤٨٦—٤٩١
٤ اوس بن حجر	«	٤٩٢—٤٩٧
٥ علقمة الفحل	«	٤٩٨—٥٠٩

عديّ بن زيد باقرار كلّ الكتبة كان نصرانيــاً من اسرة نصرانيَّة في خدمة ملك نصراني من ملوك الحيرة. وفي شعرهِ من الآثار الدينيَّة ما لم يُرْوَ عن غيرهِ الّا عن اميَّة بن ابي الصلت. ففيهِ روايات من الاسفار المقدَّسة.. وقد حلف بالشبَر اي القربان وبالصليب. وفي اخبارهِ ذكر دخولهِ الكنائس الى غير ذلك

وكان الاسود بن يعفر التميمي من سادة قومــهِ ونادم النعمان كعدي بن زيد وعاش بين نصارى الحيرة وكانت بنو عجل النصارى اخوالهُ

وكذلك سلامة بن جندل الــذي نشرنا ديوانهُ سنة ١٩١٠ فانهُ كالاسود بن يعفر عاش في جهات الحيرة التي كانت عمَّت النصرانيَّة كلَّ انحائها وعاشر قوماً من النصارى كتغلب والعباديّين وفي شعرهِ تلميحٌ اليهم. ولا اثر لكليهما في قصائدهما الى شيءٍ من الشرك وعلى خلاف ذلك. وردت في شعر سلامة تشابيه واشارات نصرانيَّة كذكرهِ لداود النبي وتنويه بمخطوطات النصارى المنمَّقة وبملابس العباديّين

وقد جعلنا ايضاً اوس بن حجَر في جملة النصــارى وهو احد الذين اطلقهم من الاسر بسطــام بن قيس رئيس شيبان النصراني بعد ظفرهِ بتميم فمـدحهُ اوس لكرمه. ومن تشابيهه النصرانيَّة قولهُ يشبّه لميع رمحهِ بمصباح رئيس النصــارى يوم عيد الفِصْح :

عليــهِ كمصباح العزيز يشبُّهُ لِفِصحٍ ويحشوهُ الذُّبال المُفتّلا

وعلقمة بن عبدة التميميّ كان مدّاحاً لملوك غسّان النصارى ولهُ محاضرات مع امرئ القيس والزبرقان بن بدر الشاعرين النصرانيَّين . وفي شعرهِ اشارة الى كــأس قربان النصارى ومفعولها الصالح دون الأذى بشاربها قال في وصفها :

كأسُ عزيزٍ من الاعنابِ عتّقها لبعض احيانها حــانيَّةٌ حومُ
تشفي الصداعَ لا يؤذيك صــالبُها ولا يخالطُها في الرأس تــدويمُ

قال الشارح : « العزيز كبير النصارى وقولهُ « لبعض احيانها » اي اعدّها لفصح او لعيدٍ »

٢ عبس وذبيان

عبس وذبيان ابوهما بغيض بن غطفان يتّصلان بهِ الى الياس بن مضر بن نزار وقد

وقعت بينهما حروب كما جرت بين بكر وتغلب وقد نوَّهنا بولوج النصرانيَّة في احيائهما (ص ١٣٤) وقد ذكرنا من عبس اربعة شعراء :

١ الربيع بن زياد	(شعراء النصرانيَّة ص	٧٨٧–٧٩٣)
٢ عنترة بن شدّاد	«	٧٩٤–٨٨٢
٣ عُرْوة بن الورد	«	٨٨٣–٩١٦
٤ قيس بن زُهَيْر	«	٩١٧–٩٣٢

ومن ذبيان اوردنا ترجمتي وقصائد شاعرَيْن وهما :

١ النابغة الذبياني	«	٦٤٠–٧٣٢
٢ الحصين بن الحمام	«	٧٣٣–٧٤٥

الربيع بن زياد احد اعيان بني عبس كان من ندماء النعمان بن المنذر ملك الحيرة مع سرجون بن توفيل وغيرهِ من النصارى كما روى صاحب الاغاني وفي ذلك دليل على انه يدين بدينهم وفي اخبارهِ ادلَّة على توحيدهِ وكرم أخلاقهِ

أمَّا عنترة فكانت امُّهُ حبشيَّة والحبش نصارى كما هو معلوم . وفي شعرهِ الصحيح والمصنوع آثار عديدة دالَّة على توحيدهِ وآدابهِ ودينهِ . وفي ذلك ما يدلُّ على نصرانيَّتهِ لأنَّ التوحيد قبل محمَّد لم يشع في جزيرة العرب الَّا بفضل النصرانيَّة . وزد على ذلك انهُ كان في خدمة الملك زهير وابنهِ قيس النصرانيَّين

وكذلك عروة بن الورد موحّدٌ في شعرهِ ولهُ في اخباره من اعمال الرحمة على الفقراء والمبؤوسين ما لا يُعهد مثلهُ الَّا عند من رُبُّوا على التعاليم النصرانيَّة فدُعي لذلك عروة الصعاليك وشعرهُ ايضاً خالٍ من كل شرك

أمَّا قيس بن زهير فكان ابوهُ حليف ملوك الحيرة صاهرهُ النعمان فتزوَّج ابنتهُ لشرفهِ وسؤددهِ . وقد روى ابن الاثير في تاريخهِ (١ : ٢٤٢) انهُ بعد حرب داحس والغبراء « تاب الى ربّه فتنصَّر وساح في الارض حتَّى انتهى الى عُمان فترهَّب »

وفي شعر النابغة عدَّة آثار منبئة بتوحيده وتديُّنهِ وتقاهُ . وقد مدح ملوك غسَّان والمناذرة النصارى وفي ملوك غسَّان يقول :

جلَّتهم ذات الالـه ودينُهم   قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وهو مديحٌ لا يقولهُ شاعر ما لم يدِنْ بدينهم . وقد ذكر صليب الزوراء في مدحهِ للنعمان ملك الحيرة النصرانيّ :

ظلّت تقاطيع أنعام مؤبّلةٍ لدى صليبٍ على الزوراء منصوبِ

وقال يذكر المصلّين من الرهبان الذين شيَّعوا جنازة الملك الغسّاني النعمان بن الحارث ابن ابي شمر :

فـآبَ مصلُّوهُ بعَينٍ جليَّةٍ وغودر بالجَوْلان حزمٌ ونـائلُ

ومن آثار عفّتهِ الشاهدة لهُ على دينهِ النصراني وايمانهِ بالآخرة قوله :

حيَّاكِ ربّي فانـّا لا يَحِلُّ لنـا لهوُ النساء وانَّ الدينَ قد عَزَما
مشمّرين عـلى خُوصٍ مزمَّمةٍ نرجو الالهَ ونرجو البرَّ والطُّعَما

وفي اعتقادهِ لعزّة الله وجلالهِ يقول :

حلفتُ فلم اترك لنفسك ريبةً وليس وراءَ الله للمرء مذهبُ

وقد ذكر في شعرهِ الانبياء كداود وسليمان . كقولـهِ في داليَّتهِ التي مدح بهـا النعمان :

الّا سليمان اذ قـال الالـهُ لـهُ قم في البريّةِ فازجُرها عن الفَنَدِ
فمن أطـاعـك فانفعهُ بطـاعتهِ كما اطاعـك وادلُلهُ على الرشدِ

وكان الحصين بن الحُمام ذُبيـانيًّا ايضـاً . وفي ترجمتهِ انهُ كان يؤمن بالله ويقرّ بالبعث وبعواقب الانسان من نعيم وجحيم فقال من ابيات وهو نعم القول (اغاني ١٢ : ١٢٨)

فـلم يبقَ من ذاك الّا التُّـقى ونفسٌ تعـالـج آجـالهـا
امورٌ من الله فوقَ السماء مقـاديرُ تُنزِلُ إنزالهـا
اعوذُ بربّي من المُخزيـا تِ يومَ ترى النفسُ أعمالهـا
وخفَّ الموازينُ بالكـافرين وزُلزِلت الارضُ زِلزالهـا
ونـادى منادٍ بـاهل القبورِ فهبُّوا لتُـبرزَ أثقـالهـا
وسُعّرت النارُ فيهـا العذابُ وكان السلاسلُ أغلالهـا

ومن بني قيس عيلان من غير عبس وذبيان ذو الإصبع العَـدْواني ينتمي الى عدوان بن عمرو بن سعد بن عيلان . وقد آنسنا في شعره من الآداب والحكم مـا حملنا على الترجيح بنصرانيّتهِ مع خلوّهِ من كل اثر للشرك . فهو يذكر الله وقدرتـهُ على كلّ ما يشاء . وفي قومهِ عدوان قد أُحصي سبعون الف غـلام أغرل كما روى

صاحب الاغاني عن الاصمعي (٣ : ٢) وقد رأينا في اهمالهم للختانة اثرًا لنصرانيَّتهم

٣ شعراء هوازن

هوازن يرتقي نسبُها الى خصَفة بن قيس عيلان بن الياس بن مضر ادرجنا اثنين من شعرائها في جملة شعراء النصرانيَّة وهما :

١ كعب بن سعد الغنوي	(شعراء النصرانيَّة	ص ٧٤٦-٧٥١)
٢ دريد بن الصمَّة	«	٧٥٢-٧٨٣

في شعر كعب بن سعد من الحكم والعواطف الليّنة والحنان ما دفعنا الى ضمّه الى شعراء النصرانيَّة . ثم انَّ اخاهُ ابا المغوار قُتل في حرب ذي قار التي كان اكثر محاربيها من القبائل النصرانيَّة

أمَّا دريد بن الصمَّة فانهُ كان سيّد قومهِ بني جُشم وفارسهم ادرك الاسلام وحارب محمَّدًا وانصارهُ يوم حنين . وفي شعرهِ من الايمان بالله وذكر الانبياء ما ينفي عنهُ الشرك ويدلُّ على انهُ اخذ ذلك عن النصارى . وكان اخوهُ يدعى عبدالله وفي اسمهِ شاهد على دينهِ . وقد مدح في شعرهِ بني الديَّان نصارى نجران

٤ مُضَريُّون آخرون

هم اربعة نظمناهم في سلك كتابنا يرتقي نسبهم الى الياس بن مضر بن نزار :

١ زُهَير بن ابي سُلْمى	(شعراء النصرانيَّة	ص ٥١٠-٥٩٥)
٢ عَبيد بن الابرص	«	٥٩٦-٦١٥
٣ ورَقة بن نوفل	«	٦١٦-٦١٨
٤ زيد بن عمرو بن نُفَيل	«	٦١٩-٦٢٢

زهير صاحب المعلَّقة الميميَّة الشهيرة ومادح السيّدين الحارث بن عوف وهرم بن سنان اللذين سعيا باصلاح قبيلتي عبس وذبيان بعد حرب داحس والغبراء . كان مؤمنًا بالله وبيوم الدين والحساب ومن اقوالهِ في ذلك قولهُ للمتحاربين ليتركوا كلَّ ضغينة :

فلا تكتُمنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ
يؤخَّرْ فيوضعْ في كتابٍ فيُدَّخرْ ليوم الحساب او يُعجَّلْ فيُنقَمِ

وقال ايضاً :

بدا ليَ انَّ الله حقٌّ فزادني الى الحق تقوى الله ما كان باديا

وهو القائل :

تزوَّدْ الى يوم المماتِ فـانَّـهُ ولو كرهَتْهُ النفسُ آخرُ مَوْعِدِ

وقدَّمنا انَّ الايمان بالله وبالحساب قبل الاسلام يُشعر بنصرانيَّة قائلهِ . وهو ينسب الى الله في شعرهِ الحُكم في خلائقهِ مع وجودهِ الى الابد . وكذلك اشار في قصائدهِ الى امور من الكتاب المقدَّس كذكرهِ لفرعون وداود

عَبيد بن الابرص احد الشعراء الوافدين على ملوك غسَّان وكندة النصارى وقد مدحهم بشعرهِ . وفي ديوانهِ ما ينبئ بتوحيدهِ وتقاهُ واعتقادهِ للآخرة . كقولهِ في بائيَّتهِ الشهيرة :

مَنْ يسألِ النـاسَ يحرموهُ وسـائـلُ الله لا يخيبُ
بـالله يُـدْرَكُ كلُّ خيرٍ والقول في بعضـهِ تـلغيبُ
واللهُ ليس لـهُ شريـكٌ علَّامُ مـا اخفتِ القـلوبُ

وكثيرًا ما ينسب اليهِ تعالى القدرة والبقاء والعلم . فمن قولهِ :

ولَيَفْنَيَنْ هذا وذاك كلاهُما الَّا الالـهَ ووجهَهُ المعبودا

وذكر ايضاً في شعرهِ النبيَّ داود

امَّا ورقة بن نوفل فلا خلاف في نصرانيَّتهِ فانَّ عامَّة الكتبة المسلمين يقرُّون بذلك كابن قتيبة في المعارف وابن هشام في سيرة الرسول وقد روينا مـا قالهُ ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني . ومثلهُ ابن الاثير في اسد الغابة (٥ : ٤٣٦) قال « انَّ ورقة كان امرأ تنصَّر في الجاهليَّة يكتب الكتاب العبرانيَّ ويكتب من الانجيل ما شاء الله ان يكتب » . وكان ورقة ابن عمّ خديجة زوجة رسول الاسلام . وفي شعرهِ ما يثبت صحَّة دينهِ

امَّا زيد بن عمرو بن نُفَيل فيقال عنهُ انهُ خلع عبادة الاوثان واجتمع بالاحبـار والرهبان وضرب في البلاد يطلب الحنيفيَّة دين ابرهيم . وعندنا انَّ هذه الحنيفيَّة هي احدى شيع النصارى . ولو قابلتَ بين شعرهِ وشعر ورقة وجدت بينهما شبهاً تامـاً في كلّ معانيهما وزهدهما وايمانهما بالاله الواحد وبالبعث والخلود لـلابرار في دار النعيم وللكفَّار في نار الجحيم

رابعاً شعراء اليمن من بني كهلان

في القسم الاوَّل من كتابنا خصصنا عدَّة صفحات لبيان نفوذ النصرانيَّة في اليمن منذ القرون الاولى للنصرانيَّة ولاسيَّما بعد انفجار سدّ مأرب بين القبائل المنتقلة الى شمالي جزيرة العرب وغربيّها وجنوبها الشرقي فلا حاجة الى تكرار ما اثبتناهُ عن تنصُّر كندة وقضاعة وغسَّان والمناذرة . وقد روينا اخبار بعض الشعراء من قبائل يمنيَّة اعني كندة ومذحج وطيّ

١ شعراء كندة

اشعر شعراء كندة بل رأسهم وزعيمهم امرؤ القيس الكندي . روينا اخباره بعد ان قدَّمنا عليها اخبار اعمامهِ

١ اعمام امرئ القيس	(شعراء النصرانيَّة ص	١–٥)
٢ امرؤ القيس بن حجر	«	٦–٦٧

قد سبق لنا في المشرق مقالةٌ مطوَّلة رددنا فيها على مزاعم الاب انستاس الكرملي الذي ادَّعى ان امرئ القيس كان مزدكيًّا فكتب عن ذلك فصلين اثبتناهما في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ٨٨٦ و ٩٤٩) فابطلنا زعمهُ واثبتنا نصرانيَّة امرئ القيس بعشرة براهين (٨ : ٩٩٨–١٠٠٦) : ١ً تفنيدنا لمن زعم انهُ كان وثنيًّا او مزدكيًّا (٩٩٩–١٠٠٢) . ٢ً خلوّ شعرهِ من آثار الشرك وعبادة الاصنام . ٣ً عدَّة ابيات من قصائدهِ تصرّح بتوحيدهِ واقرارهِ بالبعث والنشور . ٤ً اشارات واضحة الى شؤون النصارى وعاداتهم ورهبانهم وزبورهم سبق ذكرها . ٥ً انتشار النصرانيَّة في كندة قبيلة امرئ القيس كما اعلن ذلك عبد المسيح الكنديّ في معارضتهِ للهاشميّ حيث يذكر شرف كندة ويفتخر بدينها المسيحيّ . ٦ً خروج امرئ القيس الى قيصر الروم يستنجدهُ على قتلة والدهِ حُجر . وما كان امرؤ القيس ليفكّر في ذلك لولا رابطةُ الدين بينهُ وبين ملك الروم الذي كان في ذلك الوقت يُدعى يوستنيان العريق في دينهِ النصرانيّ . ٧ً كانت عمّة امرئ القيس هندَ بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى وهي زوجة المنذر بن ماء السماء ووالدة عمرو بن هند التي عمّرت الدير المنسوب اليها في الحيرة وعلّقت عليها كتابة تدعو فيها نفسها « أَمَة المسيح وامّ عبدهِ

وبنت عبيدهِ» وبذلك تثبت ايضاً نصرانيَّة اعمام امرئ القيس الذين ذكرناهم . ٨ً وكذلك امّ امرئ القيس هي فاطمة اخت المهلهل وكليب من قبيلة تغلب النصارى . ٩ً وقد روينا في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ١٠٠٥) ما نقلهُ فوطيوس في مكتبتهِ عن الاصل اليوناني للمؤرخ ننّوز الذي ارسلهُ يوستنيان الملك سفيراً الى الحبشة والى امرئ القيس الكندي ليوليّهُ على مقاطعات فلسطين (١ . وفيهِ من الشواهد على نصرانيَّة امرئ القيس ما لا يُنكر . ١٠ً وشفعنا اخبار تلك السفارة بذكر سفارة اخرى رواها المؤرخ بروكوپ الشهير في كتابهِ عن الحرب الفارسيَّة (Procope, B.P.,L.20) قال انها عُهدت الى يُليان من قبل ملك الروم الى الحبشة والحميريين ليجعلوا الملك على قبائل معدّ في يد امرئ القيس الذي كان في ذلك الوقت شارداً بين القبائل ويقول عنهُ بروكوب « انهُ كان احد روَساء القبائل من نسل كريم وذا بطش في الحرب » وقد اثبتنا كلامهُ بالحرف في الاصل اليونانيّ

٢ً شعراء مَذْحِج

مذحج قبيلة يمنيَّة كبيرة كانت تسكن جنوبي العرب في جهات نجران وفيها انتشرت النصرانيَّة على يد احد دُعاتها الذي يدعوهُ العرب فيمون . ومنها كان شهداء نجران في عهد ذي نوَّاس . واليها ينتمي بنو الحارث بن كعب سادة نجران النصارى بُناة الكنائس وكعبة نجران (راجع الصفحة ١٣٩) . وقد اخترنا من شعراء مذحج ثلثة وهم :

١ الافوه الاودي	(شعراء النصرانيَّة	ص٧٠–٧٤)
٢ عبد يغوث	«	٧٥–٧٩
٣ يزيد بن عبد المدان	«	٨٠–٨٨

كان الافوه الاودي سيّد قومهِ وفي شعرهِ من الحكم ما يدلُّ على حصافة رأيهِ وحسن نظرهِ وآدابهِ . ومثلهُ عبد يغوث كان فارساً مغواراً . امَّا يزيد بن عبد المدان فكان من اشراف اليمن وسيّد مذحج من بني الديَّان الذين مدحهم الاعشى لجودهم وعزّهم . ولا حاجة لاثبات نصرانيَّتهم مع شهرتها

١) اطلب اعمال الآباء اليونان (Migne, PP. GG., CIII, col. 46-48)

٣ شعراء بني طيّ

طيّ احدى القبائل اليمنيّة التي صرّح كتبة العرب بنصرانيّتها قال ابن واضح اليعقوبي في تاريخه (١ : ٢٩٨) : « تنصّر من احياء العرب من اليمن طيّ ومذحج » راجع ادلّة اخرى اثبتناها في ما سبق (ص١٣٢) وقد اخترنا من شعراء طيّ الاربعة الآتي ذكرهم :

١ حنظلة الطائي	(شعراء النصرانيّة	ص ٨٩–٩٢)
٢ قَبيصة بن النصراني	«	٩٣–٩٧
٣ حاتم الطائي	«	٩٨–١٣٤
٤ اياس بن قبيصة	«	١٣٥–١٣٨

حنظلة الطائي هو ذاك الوافد على النعمان يوم بؤسه وفاء بوعده اذ رجع ليُقتل بعد غيبته. وكان قيامهُ بوعدهِ لاجل دينه النصراني داعياً لتنصُّر النعمان. ومات بعد ان ترهَّب في الدير الذي ابتناهُ على نفقته

قبيصة بن النصراني احد بني جَرْم المشهورين بنصرانيَّتهم في طيّ. ذكرهُ مرارًا ابو تمّام في حماسته. ويدلُّ اسمهُ على دينه

وكذلك حاتم الطائي نصرانيّ لا شكّ فيهِ . فانّ ايمانهُ بالالـه الواحد وبالبعث والنشور واشاراتهُ الى بعض امور النصرانيَّة تثبت امر دينهِ . وفي سيرته من آثار العفَّة والكرم ما هو موافق للروح النصراني ولعلّهُ اقتبس من الانجيل قولهُ :

كُلوا اليوم من رزق الاله وأَيْسِروا وانَّ على الرحمانِ رزقكمُ غدا

وقد صرّح الكتبة بنصرانيَّة ابنهِ عدي الذي وفد على محمّد وقيل انهُ أسلم. وذكر صاحب دائرة العلوم الاسلاميَّة (Encyclopédie de l'Islam, p. 138) في ترجمة عديّ بن حاتم انّ الأب والابن كانا نصرانيّين . وسبقهُ الى ذلك غانيار (Gagnier) في سيرة محمّد الافرنسيَّة

امّا اياس بن قبيصة فهو ابن اخي حنظلة الذي كان وفاؤهُ داعياً لتنصُّر النعمان. وكانت امُّهُ اخت هانئ بن مسعود رئيس بني شيبان النصارى. وكان اياس من اشراف الحيرة. ولم يعدلوا عن دينهم لمّا ظهر الاسلام فانّ الطبريّ يخبر في تاريخه (١ : ٢٠١٨) انّهم فضّلوا دفع الجزية مع البقاء على دين المسيح

٤ شعراء كلب

انّ نصرانيّة كلب المنتمية الى قضاعة ممّا لا يختلف فيهِ اثنان (راجع الصفحة ١٣٧ و ١٣٨ من كتابنا) ولم نذكر من هذه القبيلة غير زهير بن جناب الكلبي القضاعيّ (ص ٢٠٥—٢١٠ من شعراء النصرانيّة). وولاهُ ابرهة على بكر وتغلب (ص ٢٠٦ وذلك بسبب نصرانيّتهِ ونصرانيّة بكر وتغلب. وكذا يقال عن دخولهِ على ملوك غسّان وبني لخم. وجاء في تذكرة ابن حمدون (نسخة برلين ص ٢١٥) «انّ زهير بن جناب كان سيّدًا مطاعاً شريفاً في قومهِ ويقال كانت فيهِ عشر خصال لم تجتمع في غيرهِ من اهل زمانهِ كان سيّد قومهِ وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم وقائدهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم (والطبّ في ذلك الزمان شرفٌ) وحازي قومهُ الى كاهنهم وكان فارس قومهِ ولهُ البيتُ فيهم والعدد منهم» ثم يورد وصاتهُ لبنيهِ يحرّضهم فيها على الثقة بالله

وبزهير بن جناب ختام فصلنا هذا الذي قدّمنا فيهِ الدلائل على نصرانيّة الشعراء المذكورين في كتابنا وبهِ ايضاً نجاز كتاب «تاريخ النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة». ونكرّر ما قلنا سابقاً أنّنا (اوّلاً) ذكرنا من شعراء الجاهليّة الذين صرّح الكتبة بدينهم النصرانيّ. (ثانياً) حقّقنا نصرانيّة كثيرين منهم بنصرانيّة قبائلهم وبخلوّ شعرهم من آثار الشرك وبتوحيدهم لله واعتقادهم بخلود النفس والثواب والعقاب وباشاراتهم الى دين النصارى وكلّ ذلك لا يمكن تعليلهُ بين عرب الجاهليّة الّا بنفوذ النصرانيّة. (ثالثاً) اخذنا اسم النصرانيّة بمعناه الواسع سواء كان الشعراء من تبعتهِ المستقيمي الايمان او من شيعهِ الضالّة كالاريوسيّة والنسطوريّة واليعقوبيّة. (رابعاً) لسنا لندّعي انّ هؤلاء النصارى جروا في سيرتهم بكل حرص على نواميس النصرانيّة لاسيّما في امر الطلاق وفي غزواتهم واخذهم بالثأر على خلاف التعاليم النصرانيّة. وانّما تبعوا في ذلك سُنن عرب البادية واقتفوا آثارهم. وتقلّدوا عاداتهم. والعادة كما يُعرف طبيعة ثانية يصعب استئصالها وقهرها. (خامساً) وان وجد احد في بعض اقوالنا شططاً فمعاذ الله ان نكابر الحقّ ان بيّنهُ لنا ارباب الفضل والعلم. وليس الكمال الّا لله

ملحوظات شتّى

على كتاب

النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية

(الصفحة ٣ السطر ٣ «قبل عشرين السنة») ظهر كتاب شعراء النصرانيّة سنة ١٨٩٠

(ص ٢٩ س ١٨) ومن أعلام الامكنة الدالّة على نفوذ الرومان بين العرب ما دعاهُ ياقوت (١: ٩٣٥) بثَمَد الروم بين الشام والمدينة

(ص ٣٢ س ٢٥ نصرانيّة فيلبُّوس العربيّ) يُضاف الى ما ورد هناك في نصرانيّتهِ نقودٌ طُبعت باسمهِ مع رموز نصرانيّة كصورة الطوفان وفلك نوح والحمامة والغراب · وكذلك يشهد على نصرانيّتهِ القديس ايرونيموس (De Viris Illustribus, n° 54)

(ص ٣٤ س ١ الكتابات النصرانيّة في حوران) يتراوح زمن هذه الكتابات بين القرن الثاني للمسيح والقرن الرابع

(ص ٣٦ س ١ ملوك غسّان النصارى) · النابغة في لاميّتهِ يرثي النعمان بن الحارث بن ابي شمّر بقولهِ :

فآب مصلُّوهُ بعينٍ جليَّةٍ وغُودر بالجولانِ حزمٌ ونائلُ

قال ابو عبيدة «مصلُّوهُ» يعني اصحاب الصلاة وهم الرهبان واهل الدين منهم

(— س ١١ ·دير بصرى) قال ياقوت في معجم البلدان (٢: ٦٤٧) «بهذا الدير كان بُحيرا الراهب الذي بشّر بالنبيّ صلعم» · وقال سابقاً (ص ٦٤٥) انَّ «دير بحيرا هو دير الباعقى قبليّ بصرى من ارض حوران» · وبقيت النصرانيّة في هذا الدير بعد الاسلام · وذكر ياقوت ان المازنيَّ وجد في دير بصرى رهباناً من العرب المتنصّرين من بني صادر قال عنهم «وهم افصح من رأيت» وذكر منهم أَمَةً شاعرة

(— س ١٢ الرهبان في بادية الشام) · ذكر سوزومان في تاريخهِ (ك ١ ف ١٣)

انه كان بين تلامذة القديس انطونيوس الكبير كثيرون من اهل سوريّة وعربيّة « plurimos auditores habuit ex Syria et Arabia »

(ص٣٧ س ٢١ نصارى العرب المحاربون مع الرومان ضد المسلمين) قال ياقوت (١ : ٩٢٨) انَّ غسّان وتنوخ لحقوا بهرقل فحاربهم ميسَرة بن مسروق . وقال في مادَّة معان من نواحي بلقاء : « بعث النبي جيشاً الى موتة فيهِ زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبدالله بن رواحة . . . وقيل قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي الف »

de Goeje : *Mém.d'Hist. et de Géogr*. 2ᵉ éd. 1910 : Trois Chefs musulmans furent tués et la victoire resta aux Chrétiens

(ص ٣٨ : ١٦ الحارث الاكبر . . . الملقَّب بالاعرج) Mr G. Dugat, *J.As.* 1855 *Avril*, 5ᵉ *Série* 371: «Harith el A'radj roi des Arabes Chrétiens de Syrie et patrice romain

ومما صرَّح بهِ العرب انَّ جبلة آخر ملوك غسَّان مات نصرانياً في القسطنطينيَّة (تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٣٥٨ . وغيرهُ كثيرون)

(ص ٤٠ س ١٢ نصارى اورشليم في عبر الاردن) خرجوا بوحي الله الى مدينة فهيل (Pella) فاستوطنوها . ومنها كان ارستون نحو السنة ١٤٠ م الذي الَّف كتاباً جدليًّا يُدعى مباحثة ياسون وپاپسكوس وكلاهما يهودي الَّا ان ارستون ارتدَّ وردَّ بمباحثتهِ الجداليَّة خصمهُ الى الايمان : وذكر العلَّامة غيرين (Guérin: *Galilée*, I, 290) انهُ وجد في فهيل آثار كنيسة ذات ثلث اسواق يرجّح انَّ عهدها راقٍ الى قرون النصرانيَّة الاولى . وكذلك (I, 300) وجد في امّ قيس وهي جَدَر (Gadara) هياكل رومانيَّة حوَّلها النصارى الى كنائس بعد الاضطهادات . وكانت جدر كرسيّ اساقفة منذ القرون الاولى (سنة ٣٠٧) . وكذلك خربة السمرة (Hippias) كانت كرسيّ اسقفي : حضر اسقفها المسمّى بطرس مجمعَي سلوقية سنة ٣٥٩ وانطاكية سنة ٣٦٣ ثم تاودوروس حضر مجمع اورشليم ٥٣٦ — ووجد غيرين (I, 313) كنيستين في فيقه (Apheka) وكنيسة في كفر حازب واكتشف في خربة قلعة الحصن (Gamalas) باسيليقة راقية الى القرون الاولى (I, 319)

(ص ٤١ س ١٥ النبيط او النبط) للعلّامة كارْنْمار المستشرق الكبير مقالة

واسعة في النبط نشرها في المجلّة الاسيويّة (J. As., 2e Série, XX, 1835) يذكر هناك منازلهم في بادية الشام وبين الشام والحجاز ويتّسع في لغتهم السريانيّة ودينهم النصرانيّ وفوائد اخرى عديدة . وقد جاء عن النبط في شعر قديم (امالي المرتضي ٣ : ٩٣) :

لمّا رأيتُ نبطاً أنصارا شمَّرتُ عن ركبتيَّ الإزارا
كنتُ لها من النصارى جارا

وقال متمم بن نويرة يذكر طواف النبط حول كنيستهم وقد دعاها بالقَدَن وهو البنا المَشيد والقصر (المفضّليات ص ٦٩) :

بجحدَّةٍ عنسٍ كأنَّ سَراتَها فَدَنٌ تُطيف بهِ النبيطُ مُرَفَّعُ

(ص ٥٤ س ٣ برتلماوس رسول اليمن) يؤيد هذا الرأي فوتيوس في مكتبتهِ (PP. Gr., Migne, LXV, 459 seqq 1) حيث روى تبشير الرسول برتلماوس للهند فيصرّح بانّ الهند المقصودة هنا هي اليمن وانّ الذين بشّرهم هم العرب المعروفون قديماً باهل سبأ ثم عُرفوا بالحميريين . وقد جنح البولنديّون الى هذا الرأي في ترجمة القديس برتلماوس . وهكذا ارتأوا ايضاً في ما اخبرهُ اوسابيوس عن رحلة بنتانوس الى الهند قالوا يراد بالهند جنوبيّ العرب اي اليمن حيث كان بشّر برتلماوس الرسول . وكانت هذه الرحلة سنة ١٨٩ للميلاد وتوفّي بنتانوس نحو السنة ٢١٥

(ص ٥٥ س ١٨ نصرانيّة عبد كلال) . قال ابن قتيبة في المعارف (ص ٢١٢) «كان عبد كلال بن مثوب مؤمناً على دين عيسى عم ويُسرُّ ايمانهُ وكان ملكهُ ٧٤ سنة» (اطلب ايضاً تاريخ الطبري ١ : ٨٨١)

(ص ٦٠ س ٧ ذو نوَّاس واضطهادهُ لنصارى نجران) راجع ايضاً اخبارهُ في تاريخ مكّة للازرقي (ص٨٦) وقد ورد الخبر في القصيدة الحميريّة على هذه الصورة :

او ذو نوّاسٍ حافر الاخدود في نجرانَ لم يخشَ احتمالَ جُناحِ
ألقى النصارى في جحيمٍ أُججت بوقودٍ تجري مُضرَم لفّاحِ
فدعا لهُ ذو ثعلبانَ أحابشاً منهم بقاعُ الارض غير وضاحِ
فتقحّم البحرَ العميق بنفسهِ وسلاحهِ وجوادهِ السبّاحِ
ففدا طعاماً بعد عزٍّ باذخٍ للحوتِ من نونٍ ومن تمساحِ

ص — س ١٤ (ابرهة الاشرم) قال الازرقي في تاريخ مكّة (ص ٩٣) : «كان ابرهة رجلاً حليماً ورعاً ذا دين في النصرانيّة»

ص ٦٤ س١٤ (القُلَّيس) تجد وصف عجائبها في تاريخ مكّة للازرقي (ص ٨٦ ، ٨٨-٩٣) ويُذكر هناك انّ تلك الكنيسة بقيت الى ايّام ابي جعفر المنصور فأخربها باغراء بعض اليهود الذي وعده اذا هدمها بان يملك ٤٠ سنةً. قال «وقد اصاب المنصور بهدمها مالًا كثيرًا». وذكرها ايضاً ابن الاثير في تاريخهِ (١ : ١٧٨) قال عنها: «وهي كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيءٍ من الارض». راجع ايضاً وصفها في محاضرات ابن العربي (١ : ١٣١) وفي معجم البلدان لياقوت (٤ : ١٧٠) وجاء في تاريخ الشيخ ابي صالح الارمني (طبعة اوكسفرد ص١٣٩) في وصفها قولهُ :

صنعاء اليمن بها الكنيسة المعروفة بالقليس انشأها ابرهيم ملك اليمن من قبل النجاشي ملك الحبش وهو ابرهة الاشرم. وهذا في الحرب نُثرمت انفهُ فسُمي الاشرم. بنى هذه الكنيسة المذكورة وزخرفها بالذهب والاصباغ الحسنة الملوّنة وبسط ارضها بالرخام الملوّن وعمد الرخام فيها قائمًا وناتئًا وجلاها باحسن الجلاء من الذهب والفضّة وسمَّر الصفائحَ الذهب بمسامير الفضّة والفضّةَ بمسامير الذهب الملوّحة وجعل على ابواب المذابح بها صفحات ذهب مراض ورصّع فيها الجواهر من الاحجار الكريمة وجعل في وسط كلّ صفحة من ذلك صليب ذهب وفي وسطهِ ياقوتة حمراء احمر شفّاف ينبسط جرم تلك الجواهر حولهم بانوار تشفّ مختلفة الالوان تذهل الناظرين اليها. وامر الناس بالحج اليها فتواردوا اليها من كل الجهات وجعل لها حجابًا محكوم الصنعة من خشب الابنوس والساسم مطعَّم بالعاج الابيض النقيّ المنقوش بحسن الصنعة. وشاع خبرها في تلك البلاد وسمع بها من لم يَرَها وحج اليها كثيرون من الناس وحملوا لها النذور. وكثير من الناس جاوروا هناك ولازموا المقام فيها والمبيت وكان الملك يجمّ بالمجاورين بها وبنى لهم بيوتاً يسكنونها وبنى لها املاكاً كثيرة وحبسها عليها. وكان هذا الملك (ص ١٤٠) رجلًا حكيماً كبير العلوم محباً لله محسناً للناس عادلًا في احكامهِ حسن السيرة مكرماً من جميع الملوك ليس لهُ عدوّ يخشاه لحسن سيرهِ وسيرتهِ كما شهد بذلك تاريخ الطبري وايضاً مرور الدير وهي كنيسة عليها حصن منيع وهي الآن تسمّى مقبرة الحكماء وبهذه الناحية امير اليمن من جهة كسرى ابو شروان (انو شروان)

وروى ياقوت عن السكّري (٤ : ١٧١) انّ ابرهة كتب بالمُسند على باب القليس: «بنيتُ هذا لك من مالك ليُذكر فيهِ اسمك وانا عبدك»

(س ٦ الحارث بن كعب) قال في الاغاني (١٠ : ١٤٤) : «اوّل من نزل نجران من بني الحارث بن كعب كان عبد المسيح بن دارس بن عربي بن معيقر من اهل نجران وكانت لهُ قبّة من ٣٠٠ جلد اديم وكان على (ص١٤٥) نهر نجران يقال لهُ البجيروان (قال) ولم يأتِ القبّة خائف الّا امن ولا جائع الّا شبع وكان يستغلّ من

ذلك النهر عشرة آلاف دينار . وكان اوّل من نزل نجران من بني الحرث بن كعب ابن يزيد بن عبد المدان ابنتهُ رُهيمة فولدت لهُ عبدالله بن يزيد فهم بالكوفة ومات عبد المسيح فانتقل مالهُ الى يزيد فكان اوّل حارثي حلّ في نجران» (وروى ١٠ : ١٥٠) نسب بني عبد المدان فقال: عبد المدان هو عمران وكنيتهُ ابو يزيد وهو ابن الديّان بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن عمرو

(ص ٦٤ س ١٨ كنيسة ظفار) ذكر الرحّالة غلازر في كتاب رحلته (Skizze I, 15, 37) انهُ وجد سنة ١٨٨٦ في بريم قريباً من ظفـار آثار مسجد تُرى في بقاياهُ نقوشٌ نصرانيّة. واعمدتهُ وكواهُ من الطرز القوطي مع صلبان منقوشة عليها ويدعو هذا المسجد بمسجد نجيم

(ص ٦٦ س ٨ سيف بن ذي يزن) وقال ابن الاثير في تاريخهِ (١ : ٧٤) : «تزوَّج ابرهة ابنة ذي جدَن ريحانة وكانت زوجة ابي مرَّة ذي يزن فولدت لهُ مسروقاً وكانت ولدت لذي يزن ابناً اسمهُ معدي كرب وهو سيف فقدم ذو يزن الحيرة الى عمرو بن هند وسألهُ ان يكتب الى كسرى ليستنصرهُ على الحبشة فـارسلهُ اليهِ واوصاهُ بهِ فبقي عندهُ حتَّى هلك ونشأ ابنهُ سيف في حجر ابرهة وهو يحسب انهُ ابوهُ الى ان صدقتْهُ أمُّهُ ومات ابرهة وابنهُ يكسوم»

(ص ٦٧ : ٩–١٠ النصارى في اليمن بعد الاسلام) ورد في معجم ما استعجم للبكري (ص ٤١٩) عن اهل رُعاش من ارض نجران انهم ارتدُّوا الى النصرانيّـة فجعل عُمر بن الخطاب ذمَّتهُ منهم بريئةً ان أبوا الّا النصرانيّة. وعلى نصرانيّة نجران يدلُّ قول ابي زيد العبشميّ يذكر ابنهُ زيدًا وكان هاجر الى اليمن :

فما زال يسعى بين نـابٍ ودارهُ بنجران حتَّى خفتُ ان يتنصَّرا

(ص ٦٩ : ٨–١٥ النصرانيّة في جزيرة سُقُطرى) قال ياقوت في معجم البلدان (٣ : ١٠١ – ١٠٢) : «سقطرى اسم جزيرة عظيمة فيها عدَّة مدن وقرى تناوح عدَن جنوبيّها عنها وهي الى برّ العرب اقرب منها الى برّ الهند . . . واكثر اهلها نصارى عرب» . ثمَّ ذكر من سكنها اوّلًا من الروم حتَّى قال: «ثمَّ نزلتْ بهم قبائل من مَهرة فساكنوهم وتنصَّر معهم بعضهم» وفي تواريخ النساطرة انَّ جثالقتهم ارسلوا اساقفة الى سقطرى بين القرن التاسع الى الثالث عشر

(ص ٦٩ س ٣ جزائر اليمن) من جزائرها جزيرة فَرَسان . ورد في معجم البلدان لياقوت (٣: ٨٧٤) وفي تاج العروس (٤: ٢٠٦) : انها جزيرة مأهولة ببحر اليمن وسُمّيت ببني فَرَسان وهي قبائل منهم من ينتسب الى كنانة ومنهم من ينتسب الى تغلب . قال ابن الحائك : وفَرَسان قبيلة من تغلب كانوا قديماً نصارى ولهم في جزائر فَرَسان كنائس قد خربت وفيهم بأس »

(ص ٧٠ س ١١ سابور ذو الاكتاف في البحرين) قال ابن الاثير في تاريخهِ (١: ١٥٦): « سابور ذو الاكتاف ابن هرمز بن نرسي ... قطع البحر الى الخطّ فقتل مَن بالبحرين وسار الى هَجَر وبها ناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس فقتل منهم حتى سالت دماؤهم وأباد عبد القيس . وقصد اليامة واكثر في اهلها القتل وغوّر مياه العرب . وقصد اياد وتغلب فيما بين مناظر الشام والعراق فقتل وسبى ... وانتقلت اياد حينئذٍ الى الجزيرة .. فابادهم قتلاً الّا من لحق بارض الروم»

(— س ١٣ نصرانيّة البحرين) ذكر في الاغاني (١٤: ٤٩) ارتداد اهل البحرين بعد وفاة محمّد .. وفي بعض مجاميع مكتبتنا الشرقيّة «رسالة من انبا حبيب اسقف تكريت ويعرف بابن رائطة الى مَن بالبحرَين من نصارى العرب » وفي قولهِ هذا دليل على انّ النصرانيّة ثبتت في البحرين الى القرن الثاني عشر

(— س٢٠—٢٥) المنذر بن ساوى) قال ياقوت في معجم البلدان (١: ٢٣٧) : «أَسبذ صاحبُها المنذربن ساوى وهو صاحب هَجَر الذي كاتبَهُ النبي صلعم . والأَسبذيون ولد عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم» . (قال) : «والغالب على البحرين عبد القيس وهم اصحاب المشقَّر والصفا حصنين هنالك »

(ص ٧١ : س٣ قطَر) ورد ذكر قطَر في شعر المثقب العبدي (شعراء النصرانيّة ٤٠٤) قال يذكر يوم الحِنو :

كلَّ يومٍ كان عنَّا جَلَلًا غيرَ يوم الحِنو من جَنْبَي قَطَرْ

(قال) قطَر قصبة عُمان

(ص ٧٢ س٣ عبد يشوع السائح) قال ابن ماري في تاريخ بطاركة المشرق (ص ٢٨—٢٩) : في أيام البطريرك تومرصا في اواخر القرن الرابع للمسيح ترهّب

عبد يشوع من ميشان في اسكول مار عبدا ثم انهُ « خرج الى جزيرة اليامة فاقام منفردًا وعمَّد اهلها وبنى ديرًا فيها»

(ص ٧٢ س٥ بنو حنيفة) في تواريخ العرب ان بني حنيفة نزلوا بلاد حَجْر وهي مدينة اليامة في البحرين وكان اوَّلهم عبيد بن ثعلبة . وقد ردّ عبد يشوع السائح بني ثعلبة الى النصرانيَّة كما روى ابن ماري في تاريخهِ (ص ٢٩)

(– س : ٦ هوذة بن عليّ سيّد بني حنيفة) قال في الاغاني (١٦ : ٧٨) وفي تاريخ ابن الاثير (١ : ٢٦٠) انَّ هوذة كان نصرانيـًا امرهُ كسرى ان يغزو بني تميم هو والمكعبر مع عساكر كسرى . . . فبعد انتصارهم عليهم وفتح هجر وحصن المشقَّر امر المكعبر بغلق الابواب وقتل كلّ من كان بالمدينة وكان يوم الفصح فاستوهب هوذة منهُ مائة رجل فكساهم واطلقهم يوم الفصح . . وذكر ابن الاثير وصاحب الاغاني انَّ كسرى ابرويز البسهُ تاجًا وقيل قلنسوةً فيها جوهر فسُمّي هوذة ذا التاج . ولهوذة احاديث وشرف ووفادة الى الملوك من الاعاجم

(ص ٧٥ س : ١٤ ارض بابل) وممَّا يؤيّد انتشار النصرانيَّة هناك استشهاد القديس بوليخرون اسقف بابل في عهد الملك دقيوس قيصر في اواسط القرن الثالث للمسيح . يذكرهُ السنكسار الروماني في ١٧ شباط

(ص ٧٦ س ٣–٤ اياد . . . دخلوا الروم فتنصَّروا) ورد في تواريخ الروم ما يؤيد ذلك قالوا انّ عشرين الفاً من نصارى العجم احتلُّوا جبال كردستان قبل الهجرة

(ص ٧٨ س ١٧ دير الجماجم) ورد في نقائض جرير والفرزدق (ص ٤١٢) : «انما سُمّي ذلك الموضع دير الجماجم لأنهُ كانت تُعمَل فيه الاقداح فلذلك سُمّي دير الجماجم »

(ص ٨٠ س : ١٣ الشهيدان عبدون وسنان) في ديامبس رومية صورة هذين الشهيدين العربيَّين رسمها البولنديُّون في اعمالهم في اليوم الثلثين من تموز

(ص ٨٢ س : ٣ النعمان الاعور) . ذكر قزما الكاهن انّ نعمان هذا شفاه القديس سمعان من داء اصابهُ فتنصَّر وزهد بالدنيا (اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني ج ١ ص ٢٤٧)

(ص ٨٣ س٢٦ بغداد) قال ابن رسته في كتاب الاعلاق النفيسة (ص٢٣٥): «لم تكن بغداد في الايام المتقدمة اعني في ايام الاكاسرة والاعاجم وانّما كانت قريةً من قرى طسّوج بادوريا . . . ولم يكن ببغداد الّا دير على مصبّ الصراة الى دجلة وهو الدير الذي يُسمّى الدير العتيق وهو قائم بحالهِ الى هذا الوقت ينزلهُ الجاثليق رئيس النصارى النسطوريّة . .

(— ١١—١٧ نسطور والنسطوريّة) قال ابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص ١١٥): اضافت الملكيّة العبّادَ من النصارى وهم المشارقة الى نسطور تقريباً لهم بذلك فسُمّوا النسطوريّة وكانت رئاسة البطاركة للمشارقة في ذلك الوقت بالمدائن في ارض العراق لِداد يشوع يعدُّ بلادها في ملك فارس . والعبّاد تذكر انّ اوّل البطاركة السريانيين الذين نزلوا كرسيّ المشرق على قديم الأيّام بعد صعود المسيح الى السماء بنحو ٣٠ سنة فبعث توما احد الاثني عشر اديّ السليح هو اديّ برماري من السبعين وهو نصّر اهل المدائن وديرقنّي وكسكر وغيرها من السواد وبنى بيعتين احداهما بالمدائن دار مملكة فارس يومئذٍ وجعلها كرسيّاً لمن يأتي بعدهُ من البطاركة والاخرى بدير قنّي . . . فيما سلف من كتبنا خبر المشارقة من النصارى مع سابور ملك فارس حين اخذهم التحمّس وامتناعهم من ذلك وقتلهُ منهم نحوًا من مائتي الف وغير ذلك من اعيادهم »

(—١٢—١٣مجمع المدائن) اطلب اعمال هذا المجمع في كتاب المجامع النسطوريّة الذي عُني بنشرهِ الاب شابو **Chabot : Synodes Nestoriens**, *Notices et Extraits des Mss. de la Bibl. Nat., XXXVII* وهناك جداول اساقفة كانوا في جهات بلاد العرب في العراق والبحرين واليمن

(— س٢٤ . ديارات الاساقف بالنجف) روى ياقوت في معجم البلدان في كلامهِ عن قصر ابي الخطيب ابياتاً تبيّن انتشار النصرانيّة في الحيرة وفي نجف وهي لبعضهم قال :

يا دارُ غيّر رَسْمَها مرُّ الشمال مع الجنوبِ
بين الخورنق والسّدير م وقصر ابي الخصيب
فالدير فالنجف الأشمّ م جبال ارباب الصليب

(ص ٨٣ –س١٩ اديرة العراق) يُضاف الى ما ورد هناك من اسماء الاديار : دير الجاثليق دير قديم البناء قرب بغداد غربيّ دجلة ·ودير الجبّ شرقيّ الموصل بينها وبين اربل يقصدهُ الناس لاجل الصرَع فيبرأ منه بذلك كثير (ياقوت ٢ : ٦٥١) · دير الجرَعة وهو دير عبد المسيح الحيري ذكرهُ سليمان بن ماري وقال انهُ فيه دُفن (ص ٢٦) · دير الدِهدار قال ياقوت انهُ دير ازليّ كثير الرهبان وبناؤهُ قبل الاسلام· ودير سَرجس وبكُوس بين الكوفة والقادسيّة ·ودير اللجّ بالحيرة قال ياقوت (٢ : ٦٩١) «بناهُ النعمان بن المنذر ابو قابوس في ايّام مملكتهِ ·ولم يكن في ديارات الحيرة احسن بناء منهُ ولا انزه موضعاً»

(ص ٨٤ س ٧ تكريت) قال ياقوت(١ : ٣٨١) : «تكريت اصلُ بنائها بعد تنصُّر مرزبانٍ مجوسيّ خطَبَ لنصرانيّةٍ» قال : « وكان هناك حيّ للنصارى »

(س ٨٥ س١٦ الكنائس والبيع)يضاف الى ما ذكرنا هناك بيعة خالد بن عبدالله القسري امير الكوفة قال ياقوت(١ : ٦٩٦)«بناها لامّهِ وكانت نصرانيّة » · ثمّ «بيعة عديّ بن الرُّمَيك اللخمي بالكوفة ذات اشجار ونخل كثير »

(ص ٨٦ س٣–٤ اساقفة العراق العربي)نشر هذا الجدول المستشرق الايطالي الشهير اغناسيو غويدي في المجلّة الاسيويّة الالمانيّة - ZDMG. XLIII, pp. 393 (411)

(— س ١٠ البيعة الشرقيّة) اي النسطوريّة · قال المسعودي في مروج الذهب (٢ : ٣٢٨) : « المشارقة هم العِباد الملقّبون بالنسطوريّة » وقال عن عديّ بن زيد «انهُ كان عِباديّ المذهب وهم النسطوريّة من النصارى »

(ص ٨٧ س١٦ بهرام عدوّ النصارى) قد روى ثاودوريطس مُعاصرهُ في تاريخهِ الكنسي (Théodoret : H. E. I . v., c. 38)الاضطهاد الذي احدثهُ ضدّ النصارى

(— س ٢٢ نعمان الثاني ابن شقيقة) قيل انه صاحب الخورنق بناه لهُ سِنّمار لابن يزدجرد بهرام جور · غزا الشام مرارًا وفتك باهلها ·وشقيقة امُّهُ ابنة ابي ربيعة ابن ذهل بن شيبان (راجع ابن الاثير ١ : ١٥٦)

(ص ٨٩ س ١٥ تنصُّر المنذر) قال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢٩٩) :

كانت (الحيرة) منازل آل النعمان بن المنذر وبهـا تنصَّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة »

(ص ٩١ س ٩ وفاة المنذر بن ماء السماء في يوم حليمة) ويقال انَّ المنذر بن ماء السماء قُتل قبل ذلـك في يوم عين أُباغ في وادٍ وراء الانبار على طريق الفرات الى الشام قتلهُ الحارث الاعرج بن ابي شمّر الغسّاني . وامَّا المقتول في يوم حليمة فهو ابنهُ المدعوّ مثلهُ ايضاً بالمنذر قُتل بمرج حليمة قتلهُ الحارث ايضاً . وحليمة هذه هي ابنتهُ

(— س ١٤ هند الكبرى) جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص ٢٦٧) افادات عنها فيُروى هناك ان سفيان بن مجاشع بن دارم احد اجداد الفرزدق سعى بتوطيد السلام بين الحارث بن عمرو الكندي والمنذر بن ماء السماء وذلـك بأن خطب ابنة الحارث هندًا فزوَّجها المنذر فتهادن الملكان وطُفئت النائرة بينهما . وهند هي امّ الملك عمرو بن هند

(ص ٩٢ س ١ . هند بنت النعمان بن المنذر) هند هذه المعروفة بالحُرَقـة هي غير هند الكبرى . ولها سميَّة ثالثة هي هند بنت المنذر بن ماء السماء . قال ابن الاثير يذكر يوم عين أُباغ بينهُ وبين الحارث الاعرج الغسَّاني(١ : ٢٢٢) انّ سبب هذه الحرب انَّ الحارث خطب الى المنذر ابنتهُ هندًا فوعدهُ بهـا وكانت هند لا تريـد الرجال وصنعت بجلدها شبه البرص فندم على تزويجها وردَّها عن ملك غسَّان فصارت الحرب بسبب ذلك . فترى انَّ في روايات المؤرخين عن الهنود بعض الاضطراب والتناقض

(— س ٤ وتنصُّر النعمان) فيه يقول النابغة :

ظلَّت اقاطيعُ أنعـامٍ مؤبَّلَةٍ لدى صليبٍ على الزوراء منصوبِ

اراد بالزوراء الرّصافة وكانت للنعمان . قال ياقوت في معجم البلدان(٢ : ٩٥٥) : « وكان عليها صليب لانهُ كان نصرانيًّا » قال النابغة (البيت) ولعلَّه النعمان الـذي اشار اليهِ خداش بن زهير العامري بقولهِ (خزانة الادب ١ : ٩٢)

وبالمَرْوة البيضاء يومُ تبـالةٍ ومحبسةُ النعمان حيث تنصَّرا

وقد ذكر البكري ابا قابوس النعمان بن منذر في معجم المستعجم في وصفهِ لدير اللجّ)ص ٣٦٦) وكان النعمان بناه في جهات الحيرة قال : « وكان النعمان يركب في

كلّ عيد ومعه اهل بيتهِ . . . عليهم حلل الديباج المذّهبة وعلى رؤوسهم اكاليل الذهب وفي اوساطهم الزنانير المفضَّضة بالجوهر وبين ايديهم اعلام فوقها صلبان الذهب فاذا قضوا صلاتهم انصرفوا الى مستشرفهِ . . . »

(ص ٩٥ س ٦ القبائل المتنصّرة) قال الجاحظ في كتاب الحيوان (٧ : ٦٦) : «من العرب ممّن كان لا يرى للحرَم ولا لشهر الحرام حرمة (وهم المطبقون على عداوة النبي صلعم والكفر بهِ والمحلُّون) طيءٌ كلّها وخثعم كلها وكثير من احياء قضاعة ويشكر والحارث بن كعب هؤلاء كلّهم اعداء الدين والنسب هذا الى ما كان في العرب والنصارى والذين يخالفون دين مشركي العرب كلّ الخلاف كتغلب وشيبان وعبد القيس وقضاعة وغسّان وسُلَيم والعِباد وتنوخ وعاملة ولخم وجذام وكثير من بلحارث بن كعب وهم خلطاء واعداء . . . »

(ص ٩٩ س ١٩ . سرجيوس) . وكان على اسم مار سرجيوس او ماسرجيوس (ويقال ماسرجيس) ديرٌ ذكرهُ عبدالله بن العبّاس الربعي في الاغاني (١٧ : ١٢٩) :

بين وردٍ وبين آسٍ جنيٍّ وَسْط بستان دير ماسرجيس

(— س ٢٠ الرُّصافة) هي التي تعرف برصافة هشام غربيّ مدينة الرقّة . وكان اهلها العرب عريقين بالنصرانيَّة وبقوا على دينهم بعد الاسلام بزمن طويل كما يشهد على ذلك ابن بطلان في رحلتهِ سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) حيث قال (معجم البلدان ٢ : ٧٨٥) يصف قصر الرصافة : «وهذا القصر حصنٌ دون دار الخلافة ببغداد مبنيٌّ بالحجارة وفيه بيعة عظيمة ظاهرُها بالفصّ المذّهب أنشأها قسطنطين بن هيلانة . وسكّان هذا الحصن بادية اكثرهم نصارى . . . » امّا الدير فيقول عنهُ ياقوت انهُ «من عجائب الدنيا حسناً وعمارةً »

(ص ١٠٢ س ٥ . السماوة) هي البادية الواقعة بين الكوفة والشام كان يسكنها بنو كلب

(ص ١٠٣ س ٤ النصرانيَّة في تدمر) روى السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (٤ : XIV) لعمرو بن متّى انّ يهوذا بن يعقوب الملقَّب لبّي ذهب الى تدمر ليبشر فيها بالمسيح

(— س ٢١ كتابة زَبد) هذه الكتابة اوسع باليونانيَّة وخطّها العربيّ قليل

الوضوح لم يتّفق المستشرقون في تفسيره . ويؤخذ من اليونانيّة انّ الـذين اقاموا هذا الاثر لذكرى القديس سرجيوس البرديوت يوحنّا بن بركة وسركيس بن سركيس وغيرهما وانّ الذي عُني بهندسته سمعـان بن عمرو ولانديوس . وفي صدر الكتابة السريانيّة البسملة النصرانيّة « المجد للآب وللابن وللروح القدس »

(ص ١٠٨ س ٣–٦ . أيلة وصاحبها) ايلة اليوم خراب وقامت عَقَبة مقامها على بعد كيلومترين منها . وكانت قبل الهجرة فرضةً حافلة تقصدها سفن اليمن والهند والصين وتأتيها من البرّ قوافل الشام (Cfr. Itinerarium Antonini,pp.42 et 44) وامّا صاحبُها يوحنّا او يحنّة بن رؤبة فقـد دعاهُ المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (ص٢٧٢) اسقف أيلة . وقد جاء في احد كتب المجـامع الدينيّة ذكر «اسقف ايلة والشراة »

وقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان (ص ٥٩) قبل أيلة تبالَةَ وجُرَش ثمّ ذكر معها أذرع ومَقْنا والجَرْباء وكلها كانت حافلة بالنصارى

(— س ١٦–١٩ دومة الجندل وصاحبها اكيدر) . جـاء في معجم البلدان لياقوت (٢ : ٦٢٦) انّ بني كنانة من كلب كانوا في دومة الجندل وانّ فيها «كان حصن مارد وهو حصن أُكَيْدر» . وفي تهذيب الاسماء للنووي (ص ١٦٢) «قال الخطيب في كتابهِ الاسماء المبهمة «كان اكيدر نصرانيًّا ثمّ اسلم وقيل بل مات نصرانيًّا . هذا كلام الخطيب وقال ابو عبدالله بن منده وابو نعيم الاصبهـاني في كتابهما في معرفة الصحابة انّ اكيدر هذا اسلم واهدى الى رسول الله صلعم حُلّة سِيَراء فوهبها لعمر ابن الخطّاب رَض . قال ابن الاثير : امّا الهدية والمصالحة فصحيحان وامّا الاسلام فغلطا فيهِ فانهُ لم يُسْلم بلا خلاف بين اهـل السِيَر ومن قال انهُ اسلم فقـد اخطأ خطأً فاحشاً . (قال) وكان اكيدر نصرانيًّا فلمّا صالحهُ رسول الله صلعم عاد الى وطنهِ وبقي فيهِ ثمّ انّ خالدًا حاصرهُ في زمن ابي بـكر الصديق وقتلهُ مشركًا نصرانيًّا . وكان قبلهُ على ايلة اصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيًّا »

(ص ١١٤ س ٢١ . ابو عامر الراهب) هو ابو عامر بن صيفي خرج في أُحُـدٍ لمقاتلة محمّد رسول الاسلام ومعهُ الاحابيش وعبدان اهل مكّة (اطلب الاغاني ١٤ : ١٧ وسيرة الرسول لابن هشام ٥٦١) . وجـاء في مواسم الادب للسيّد جعفر البيتي

(٢٠٢:٢) : «ابو عامر الاوسي (وابنهُ هو حنظلة غسيل الملائكة) ترهب في الجاهليَّة ولبس المسوح فلمَّا قدم صلعم المدينة كان لهُ معهُ خطب وخرج في ٥٠ غلاماً الى الشام ومات على النصرانيَّة

ومن الاوس النصارى ابو قيس صيفيّ بن الاسلت(اسد الغابة لابن الاثير (٥ : ٢٧٨) : «وهو احد بني وائل بن زيد هرب الى مكة وكان فيها مع قريش وقيل انَّ اسمهُ الحارث وقيل عبدالله . . . والصحيح انهُ لم يُسلم . وقد كان قبل الهجرة يتألَّه »

(ص ١١٥ س٤ . النصارى في المدينة قبل الاسلام وفي اوائل ظهوره) . وممَّا يدلُّ على ذلك ما ذكرهُ البخاري في صحيحهِ (٣ : ٤١-٤٢) حيث روى انَّ نبيط الشام كانوا يأتون الى المدينة ويتاجرون مع محمَّد بالحنطة والشعير والزيت والزبيب . وذكر عبد القادر البغدادي في خزانة الادب (٢ : ١٥٥) ان عمر بن الخطَّاب استعمل ابا زُبَيد الشاعر النصرانيّ على صدقات قومهِ وان عثمان بن عفَّان كان يقرّبهُ ويُدني مجلسهُ وكلّ ذلك في المدينة . ولمَّا ماتت في المدينة ام الحارث بن عبدالله احد سادات قريش وكانت نصرانيَّة وجدوا الصليب في عنقها بعد موتها (الاغاني ١ : ٣٢ وتاريخ ابن عساكر ٣ : ٤٤٨) فوكلوا الى اهل دينها القيام بجنازتها . ففعلوا

(— س١٧ — ١٨ الحديث لأُخرجنَّ النصارى واليهود من جزيرة العرب) . هو حديث مصنوع كما ترى ممَّا تقدَّم وممَّا اثبتناهُ في هذا الفصل عن النصرانيَّة في المدينة . وما لا شكَّ فيهِ انَّ النصارى في أيام بني امية كانوا يسكنون المدينة ومكَّة . وجاء في الاغاني (٤ : ١٥٦) ان مروان بن الحكم اتَّخذ كشُرَط لاهل المدينة مائتين من اهل أيلة النصارى . وروى ايضاً (٢ : ١٢١ و ١٢٧) دخول حنين الحيري المغنّي النصراني الى مكَّة والمدينة وغناءهُ فيهما . وقد جاء في كتاب المقدّسي احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص ٩٥) قولهُ عن جزيرة العرب « انَّ اليهود بها اكثر من النصارى» وفيهِ دليل على وجود الملَّتين فيها حتَّى القرن الرابع للهجرة والعاشر للمسيح

(ص ١١٦ س ١٨-٢٣ النصرانيَّة في جرهم الثانية) في بعض روايات العرب ما يشير الى ذلك كقول هشام في معجم البلدان لياقوت (٣ : ٦٣٥) : « جرهم بن فانج وبنوهُ أنطقهم الله بالزَّبور فهم الثاني ممَّن تكلَّم بالعربيَّة ولسانهم الزبور وكتابهم الزبور» وروى الازرقي في تاريخ مكَّة (ص ٣٦٦) عن ابن عبَّاس ما يشير الى

التبشير بالنصرانيَّة في مكَّة منذ عهد رسل المسيح بقولهِ « حجَّ الحواريُّون فلمَّا دخلوا الحَرَم مشوا تعظيماً للحرم ». وفي التاريخ المذكور (ص ٤٢-٤٣) انهُ « لمَّا هدموا الكعبة وجدوا في ركنها كتابةً سريانيَّة فسألوا عنها رجلًا من اهل اليمن وآخر من الرهبان. ثمَّ روى مضمونها بروايات مختلفة منها ما هو حرفهُ: « من يزرع خيرًا يحصدُ غبطةً ومن يزرع شرًّا يحصد ندامةً تعملون السيّئات فلا تُجزون الحسنات أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب » وهذا كما ترى مأخوذ من كلام الانجيل. وجاء هناك « انَّ هذه الكتابة وُجدت اربعين عاماً قبل مبعث النبي في عام الفيل »

(ص ١١٨ س ٢. تنصَّر قسم من قريش) منهم الخِرِّيت بن راشد الناجي. قال المسعودي في مروج الذهب (٤: ٤١٨) يذكر محاربة الخرِّيت لعليّ بن ابي طالب سنة ٣٨ للهجرة: ومضى الحارث (والصواب الخرِّيت) بن راشد الناجي في ثلثمائة من الناس فارتدُّوا الى دين النصرانيَّة وهم من ولد سامة بن لؤَي بن غالب عند انفسهم » فقولهُ ارتدُّوا الى دين النصرانيَّة يدلّ على انَّهم كانوا سابقاً نصارى (اطلب في الكتاب الصفحة ١٤٠ ما قال الطبري في ناجية وهو ينسبهم الى تيم لكن ابا سعيد السمعاني في الانساب ص ٢: ٥٥٠ والسيوطي في لب الالباب (ص ٢٥٨) وغيرهم يجعلونهم من بني سامة القريشيين

(— س ١٥-١٦. تعظيم اليهود والنصارى للكعبة) زدْ على ما روينا ما ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان في وصف مكّة قال: « من سائر البلدان تحجُّ اليها ملوك حمير وكندة وغسَّان ولخم » وذكر ابن فقيه في مختصر كتاب البلدان (ص ١٩) انَّ احد ملوك الحيرة بعد تنصُّرهِ حجَّ الى الكعبة

(— س ١٧. موقف النصرانيّ) قالهُ في التاج (٣: ١٤٠) في كلامهِ عن بطن مَحسر قال « هو وادٍ قرب مزدلفة بين عرفات ومِنًى وفي كتب المناسك هو وادي النار وقيل لانهُ موقف النصارى. وانشد عُمر رَض حين افاض من عرفة الى مزدلفة وكان في بطن محسر:

اليك يعدو قلقاً وضينها مُخالفاً دين النصارى دينها

أمَّا « مقبرة النصارى » المذكورة هناك فهي التي دعاها عبدالله بن الزبير (الاغاني

١٣ : ٤٠) « بمقابر المشركين » . وقرب مكّة ايضاً « ذات حَبيس » اسم مكان جاء ذكرهُ في الحديث (تاج العروس ٤ : ١٣٥) ولعلّهُ سُمي بذلك لحبيسٍ من رهبان النصارى نسك هناك

(ص ١١٩ س ١ – ٢ الحنيفيّة شيعة نصرانيّة) ورد في شعر جرير ما يؤيد ذلك حيث يهجو بني دِرْهم اصهارَ الفرزدق (اطلب نقائض جرير والفرزدق ص٥٩٥)

وحالفتمُ لِلُّؤمِ يا آلَ درهمٍ   حِلافَ النصارى دين من يتحنّفا

(— س ٦ . الايمن بن خُرَيم) هو من الصحابيين ذكرهُ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣ : ١٨٦ – ١٨٩) وروى بيتهُ الاوّل مصحّفاً « لم يَطُف بها جنيفٌ ولم يسفر بها ساعدٌ قدرُ »

(— س٢٠ عبيدالله بن جحش) قال الطبري في تاريخهِ (٣ : ٢٤٤٥) « كان عبيدالله ابن جحش هاجر بامّ حبيبة معهُ (وهي ابنة ابي سفيان) الى ارض الحبشة في الهجرة الثانية فتنصَّر وارتدَّ عن الاسلام » وابنتهُ زينب بنت جحش كانت زوجة زيد بن حارثة مولى محمّد نبي الاسلام وكان نصرانياً ثمّ تزوّجها محمّد في حياة زوجها

(ص ١٢٠ س٦ عثمان بن الحويرث) كان من قريش . وذكر الفاكهيّ في كتابهِ المنتقى في اخبار امّ القرى (ص١٤٣–١٤٤) انّ قيصراً ملك الروم ملّكهُ على قريش بمكّة بكتاب مختوم في أسفلهِ بالذهب » . وقال ياقوت في معجم البلدان (١ : ١٢٨) وكان عثمان بن الحويرث هجّاء لقريش عالماً بمثالبها »

(— س١٣ . ابو قيس صرمة بن ابي انس) كان من بني النجّار اختلفوا في اسمهِ فقالوا صرمة بن انس وصرمة بن قيس وصرمة بن ابي انس . ومن اقوالهِ الدالّة على نصرانيّتهِ

اقولُ اذا صلّيتُ في كلّ بيعةٍ   حنانيك لا تُظهر عليَّ الاعاديا

ومن حكمهِ قولهُ :

يقولُ ابو قيسٍ واصبحَ ناصحاً   ألا ما استطعتم من وَصاتيَ فافعلوا
اوصيكمُ باللهِ والبرِّ والتقى   وأعراضِكم والبرُّ باللهِ اوّلُ
وانْ قومكم سادوا فلا تحسدُنَّهم   وان كنتمُ اهل الرئاسةِ فاعدلوا

وقال في نصرانيّتهِ عنهُ تعالى :

ولـهُ شمّس النصارى وقاموا   كلّ عيدٍ لـهُ وكلّ احتفـالِ

(ص ١٢٠ س١٦ . زيد بن حارثة) كان هذا نصرانيًّا من بني كلب اسرهُ غزاةٌ من العرب فباعوهُ في عكاظ واشترتهُ خديجة واهدتهُ زوجها محمّدًا رسول الاسلام فاخذ زوجتهُ زينب

ومن موالي محمّد النصارى شقران وكان عبدًا حبشيًّا لعبد الرحمان بن عوف فأهداهُ نبيّ المسلمين (اسد الغابة لابن الاثير ٣ : ٢) حضرموت محمّد ومات بالمدينة

ومنهم عدّاس . قال ابن الاثير (٣ : ٢٨٩) : « كان مولى شيبة بن ربيعة بن عبد شمس من اهل نينوى الموصل كان نصرانيًّا »

ومن موالي محمّد النصارى ايضًا ابو لقيط قال ابن الاثير (٥ : ٢٨٦) : « كان حبشيًّا وقيل كان نوبيًّا من موالي النبي صلعم بقي الى ايّام عمر بن الخطّاب »

(— س١٧ . عُتبة بن ابي لهب) قال ابو الفرج في الاغاني (١٥ : ٢) : « كان النبي صلعم زوّج عتبةَ احدى بناتهِ فلمّا بعثهُ الله تعالى نبيًّا اقسمَتْ عليهِ امُّ جميل ان يطلّقها فجاء الى النبي صلعم فوقف عليهِ فقال : يا محمّد اشهد اني نصرانيّ قد كفرت بربّك وطلّقت ابنتك فدعا عليهِ رسول الله صلعم . . . فبعث الله عزّ وجلّ عليهِ اسدًا فافترسهُ » (كذا)

وذكر السيّد جعفر البيتي في مواسم الادب (٢ : ٢٠٢) عُتبة آخر نصرانيًّا وهو عتبة بن ابي ربيعة قال « لقي النبي صلعم بالطائف لمّا خرج يدعوهم قُتل يوم بدر على النصرانيّة »

ومن نصارى قريش النضر بن الحارث بن كلَدة الـذي امر بقتلهِ محمّد وكان النضر ابنَ خالتهِ معاديًا لهُ ثمّ ندم على قتلهِ بعد ان سمع عِتاب اختهِ قتيلة (راجع الاغاني ١ : ١٠) . وابوهُ الحارث هو المعروف بطبيب العرب وكان كلاهما نصرانيًّا . وكان في مكّة في عهدهِ طبيب نصرانيّ آخر وهو ابو داود عبد الرحمان مات نصرانيًّا

(ص ١٢١ س٤ كتاب الخراج) هو كتاب الامام ابي يوسف يعقوب وضعهُ لهارون الرشيد

(ص ١٢٤ س ٢ قبائل العرب المتنصّرة) ممّا لا ينكر انّ النصرانيّة كانت

غلبت على الحيرة حاضرة ملوك المناذرة منذ القرن الرابع · وقد أثَّرت نصرانيَّتها في كثير من قبائل العرب التي كانت تسكنها او تتردَّد اليها · قال ياقوت في معجم البلدان(٢ : ٢٧٨) : «صار في الحيرة من جميع القبائل من مَذحج وحِميَرَ وطيِّءٍ وكلب وتميم ونزل كثيرٌ من تنوخ الانبارَ والحيرةَ الى طَفِّ الفرات وغربيِّهِ . . . ثمَّ كرِه كثيرٌ من تنوخ المقام في العراق وان يَدينوا لأَردشير فلحقوا بالشام وانضمُّوا الى ما هناك من قضاعة · واهل الحيرة ثلثة اصناف : فثُلثٌ تنوخ وهم اصحاب المظالّ ينزلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والانبار فما فوقه · والثلث الثاني العباد وهم الذين سكنوا الحيرة وتعبَّدوا الكها · والثلث الثالث الاحلاف الذين لحقوا بالحيرة »

(ص١٢٤ س١٤ · الاوس) من زعماء بني اوس النصارى عبد الحرث بن عبد المسيح الاوسي الذي قُتل يوم مرج راهط (الاغاني ٢٠ : ١٢٨) · وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان(٤ : ٤٦٣) الاوس والخزرج وحلولهم المدينة بعد مقاتلتهم لليهود فيها بمساعدة مالك بن عجلان وابي جبلة الغسَّاني · وفي هذا الخبر ما يشعر بنصرانيَّة القبيلتين ولولا دينهما لما قدمَ ابو جبلة للدفاع عنهما

(- س١٧ · اياد) ممَّا يثبت ايضاً نصرانيَّة اياد عدَّة اديرة بنوها في ديارهم وذكرها ياقوت في معجم البلدان كدير السَّوا (٢ : ٦٧٢) ودير قُرَّة (٢ : ٦٧٥) وغيرهما · وقد ذكر الفاسيّ في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (ص١٣٤ و١٣٧ éd. Wüsten-feld) ولاية اياد بن نزار للكعبة بعد جرهم وقبل قريش · وذكر هناك احد أمرائهم دعاهُ وكيع بن سلمة (قال) كان من الصالحين بنى صرحاً وجعل فيه سلَّماً كان يرقاهُ ليناجي الله تبارك وتعالى واليهِ اشار شاعر من بني اياد بِشر بن الحجر قال :

ونحن ايادٌ عبادُ الالـه   ورهطُ مُناجيهِ في السُّلَّمِ
ونحنُ ولاةُ حجابِ العتيق   زمانَ النخـاع على جُرهمِ

(قال) وقامت نائحة وكيع على ابي قبيس فقالت :

لا هلك الوكيع اخو ايادِ   سلامُ المرسَلين على وكيع
مناجي الله مات فـلا خلودٌ   وكلُّ شريفِ قومٍ في وضوعِ

ففي هذا الخبر ما يُشعر بنصرانيَّة اياد ولعلَّ وكيعاً احد الرهبان المتنسكين في الصوامع · ومن ظريف ما رواه ياقوت في معجم البلدان (١ : ٨٦٩) عن احد بني اياد

الـــذي وقع اسيرًا في ايدي المسلمين فعرض عليهِ هشام الخليفة الاموي ان يجحـــد النصرانيَّة فابى قائلًا: ما كنتُ لأَرجع عن ديني . فأقبلَ به هشام وأدبرَ وهو يأبى فامر بضرب عنقهِ وكان في طريقهِ دخل كنيستيْ الرها فصلّى فيهما

(ص ١٢٥ س ٧ . بَهْراء) اطلب ما ورد عن نصرانيَّة قبيلة بهراء في مجموعة مكتبنا الشرقي ج ١ ص ٢٧٢ (MFO, I. 272) وكتـــاب العلّامة رينه دوسّو عن النُّصيريين (Dussaud: *Hist. et Religion des Nosairis*, p. 68, 95 etc) وممَّا ورد في المسالك والممالك لابن حوقل (ص١٨) : « وبعض العرب تنصَّر ودان بدين النصرانيَّة مثل تغلب في ربيعة بارض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ بارض الشام »

(– س ١٧ تغلب) قال ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٣٠١) : « وبنو وائل بطن عظيم متَّسع اشهرُهم بنو تغلب وبنو بكر بن وائل ... فلبني تغلب شهرةٌ وكثرة وكانت بلادهم بالجزيرة الفراتيَّة بجهات سنجار ونصيبين وتُعرف بديار ربيعة وكانت النصرانيَّة غالبة عليهم لمجاورة الروم» . وممَّا روى في الاغاني (١٦ : ٥٣) قَتْلُ محمَّد نبي الاسلام لاحد رؤساء تغلب لثباتهِ على دينهِ . جاء هناك : «قال ابو عمرو: وكان لتغلب رئيس يقال لهُ الجرَّار وادرك النبيّ صلعم وابى الاسلام وامتنع منهُ فيقال انَّ رسول الله صلعم بعث اليهِ زيد الخيل وامرهُ بقتالهِ فمضى زيد فقاتلهُ فقتلهُ لمَّا ابى الاسلام » وممَّا انشد الفرزدق في مديح تغلب قولهُ (النقائض ص٨٨٨) :

لولا فوارسُ تغـلبَ ابنـةِ وائلٍ   نزل العدوُّ عليـك كلَّ مكـانِ
حبسوا ابن قيصرَ وابتنوا برماحهم   يوم الكُلاب كأكـرمِ البنيـانِ
قوم اذا وُزنوا بـقومٍ فُضّـلوا   مِثـلَيْ موازنهم عـلى الميزانِ

ويدلّ على ثبات تغلب في نصرانيَّتها انَّهم تقرَّبوا الى الفرنج في زحفـاتهم على الاراضي المقدَّسة وقد ذكر المقريزي في الخطط انَّهم كانوا مع جذام سنة ٥٧٧هـ يرسلون لهم الغلّات

(ص ١٢٦ س ١٠ تميم) جاء في الاغاني (٨ : ١٨٩) عن تميم ما حرفهُ : « انَّ بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الاسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوهُ واجمعت العرب عليها لِمَا انتهكت ما لم ينتهكهُ احد قطّ فأجلتها من ارض تهامة » . وقد افتخر جرير

في شعره بأنَّ تميماً اجداده كانوا ينتسبون الى اسحاق بن ابرهيم الخليل وليس لاسمعيل (نقائض جرير ص٩٩٤) قال :

ابونا ابو اسحاق يجمع بيننا اب كان مهديًّا نبيًّا مطهّرا
فيجمعنا والغرّ أبناء سارةٍ اب لا نبالي بعده من تعذّرا

(ص١٢٦ س٢٣ من سُمّي بمحمّد في الجاهليّة) قد احصى ابن بريّ منهم كما ترى سبعةً . وقد جعلهم غيره ثلثة فقط كابن قتيبة في المعارف وابن خلكان في تراجم الاعيان والسهيلي في الروض وابن فورك في الاصول (مواسم الادب للبيتي ٢ : ١٠٨) وهم محمّد بن سفيان جدّ الفرزدق التميميّ ومحمّد بن أُحيحة بن الجلاح اخو عبد المطلب بن هاشم لأمّهِ ومحمّد بن عمران بن ربيعة . وجاء في كتاب انساب الاشراف للبلاذري (Ms de Gotha, ff. 355, ZDMG, 1884, p. 389) انهم ستّة : «محمّد بن سفيان ومحمّد بن الحرماز ومحمّد الشويعر بن حمران الجعفي ومحمّد بن عقبة ابن احيحة بن جلاح الاوسي ومحمّد بن مالك التميميّ ومحمّد بن مسلمة الانصاري» . أمّا سپرنغر في سيرة محمّد (A. Sprenger I, 161) فانّهُ بلّغ عدد المسمّين بمحمّد في الجاهليّة عشرة اولهم محمّد الخزاعي السلمي الذي رحل الى ابرهة ملك الحبشة في اليمن وتنصّر ثمّ محمّد بن سفيان اسقف بني تميم . ثم محمّد الهمداني ومحمّد الأُسيدي ومحمد العكيمي ومحمّد بن اسامة السعدي ومحمّد بن لَجْلج ومحمّد بن حارث ومحمّد بن عمر ابن مغفل ومحمّد بن أُحيحة بن الجلاح

(ص١٢٧ س١ تنوخ) اطلب ايضاً لنصرانيّة تنوخ مجلة الاسلام الالمانية (Der Islam. IV, p. 387) ومن تنوخ كان حيّ بني ساطع . ذكرهم البكري في معجم ما استعجم (ص٣٧٢) ونسب اليهم مستنداً الى ابي الفرج بناء دير قديم في الحيرة يعرف بدير حنّة قال : «تحاذيه منارة عالية كالرقب تسمى القائمة لبني اوس ابن عمرو»

(— س ١٥ نصرانيّة جذام) ذكرها ايضاً الجاحظ في كتاب الحيوان (٧ : ٦٦) اطلب كذلك مجموعة مكتبنا الشرقي (MFO, vª. 588-619)

(— س٢١ نصرانيّة جَرْم) ابتنى سنة ٣٢٠ م يوحنّا الكشكرانيّ ديراً في

ديار بني جرم (اطلب اخبار فطاركة كرسيّ المشرق لماري بن سليمان ص٣٦) . وقد بقيت آثار النصرانيّة في جرم بعد الاسلام . وممّا اخبره المقريزي انّ بني طيّ وجرم وثعلبة حالفوا الفرنج لمّا قدموا الى الشام وفتحوا القدس وسواحل الشام (Mémoires de Quatremère II, 190-1)

(ص١٢٨ س ٨ بنو السمط والحدّاء) روى البيتين في معجم البلدان في وصف زورة مع غيرهما (٢ : ٩٥٧) ونسبهما الجاحظ في كتاب الحيوان (٥ : ٥٢) لابي الطمحان الاسدي وهو يروي : « بنو الصلب والحدّاء » . وفي كتاب البيان للجاحظ (٢ : ٧١) ويروى لبشر بن ابي الخازم في مدح بني حدّاء قولهُ :

لله درُّ بني حدّاء من نفرٍ وكلُّ جارٍ على جيرانهِ كَلِبُ
اذا غدوا وعصيّ الطلّخ ارجلهم كما تُنَصَّبُ وسط البيعةِ الصُّلُبُ

(ص ١٢٩ س ١٧ حنيفة) هو حنيفة بن لُجَيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل وحنيفة اخو عِجْل بن لُجَيم . واليهم اشار الاخنس بن شهاب بقولهِ عن بني بكر :

وبكرٌ لها ظهرُ العراق وان تشأ يَحُلْ دونها من اليمامةِ حاجبُ

راجع المفضّليّات (ص٤١٥) . وكانت حنيفة تسكن ايضاً الرصافة وكانوا اقاموا عليها صليباً في أيام النعمان لانهُ كان نصرانيّاً (معجم البلدان ٢ : ١٥٥) ولمّا ظهر الاسلام ردُّوا دعوة رسولهِ وقد جاء في سيرة النبي لابن هشام (ص ٢٨٣) : « قال ابن اسحاق وحدّثني بعض اصحابنا عن عبدالله بن كعب بن مالك انّ رسول الله صلعم اتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسهُ فلم يكن احد من العرب اقبحَ ردًّا عليهِ منهم »

(ص ١٣١ س٣ سليح) ذكر ياقوت في معجم البلدان (٢ : ١٨٥) حاضرَ قِنّسرين ومن يقيم بهِ من العرب قال : « قال احمد بن يحيى بن جابر كان حاضرُ قِنّسرين لتنوخ منذ اوّل ما تَنَخُوا بالشام و نزلوهُ وهم في خِيَم الشعر ثمّ ابتنوا بهِ المنازل . ولمّا فتح ابو عبيدة قنّسرين دعا اهل حاضرها الى الاسلام فأسلم بعضهم واقام بعضهم على النصرانيّة فصالحهم على الجزية وكان اكثر من اقام على النصرانيّة بني سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . واسلم من اهل ذلك الحاضر جماعة في خلافة المهدي »

(ص ١٣١ س١٨ . شيبان) من نصاراها الاشراف عُمَيْر بن السليل ابن اخي بسطام بن قيس . ومنهم مفروق وكان من رجالهم لساناً وبياناً (ابن دريد في الاشتقاق)

(ص ١٣٢ س٧ — ٨ هانئ بن قبيصة) تجد شيئاً من اخباره في معجم البلدان لياقوت في مادّة « الغبيطان » (٣: ٧٧٤) وفي مادّة « قار » (٤: ١٠)

(— س١٠ ضُبَيْعَة) ذكر الطبري في تاريخه (١: ٢٠٣٢) ضُبَيعة في جملة نصارى العرب مع بني عجل وتيم اللات

(— س ١٣ طيّ) كانت طيّ تسكن في نجد شرقيّ مدائن صالح في جبلَي اجأ وسلمى . ومن جبالهم مَلَكان كان يقال له ملكان الروم . قال ياقوت (٤: ٢٧٢): «دُعي بذلك لأن الروم كانت تسكنهُ في الجاهلية» وكان قسم من بني طيّ يسكنون الحيرة ذكرهم في الاعلاق النفيسة لابن رُسته مع نصارى تيم وسُلَيم قال (ص٣٠٩): «وعِلْية اهل الحيرة نصارى فمنهم من قبائل العرب على دين النصرانيّة من بني تميم آل عديّ بن زيد العبادي الشاعر ومن سُلَيم ومن طيّ ومن غيرهم »

(ص ١٣٤ س ٩ تسمية نصارى الحيرة بالعباد) ذكر البكري في معجم ما استعجم (ص ١٨) سبباً آخر لتسميتهم بالعباد قال : « قال احمد بن ابي يعقوب انما سُمّي نصارى الحيرة العباد لانهُ وفد على كسرى خمسة منهم فقال لاحدهم : ما اسمك . قال عبد المسيح . وقال للثاني : ما اسمك . قال : عبد ياليل . وقال للثالث : ما اسمك . قال : عبد يسوع . وقال للرابع : ما اسمك . قال : عبد الله . وقال للخامس : ما اسمك . قال : عبد عمرو . فقال كسرى انتم عباد كلكم فسُمُّوا العباد »

(— س ١٤ عبد القيس) راجع ما كتبهُ عنهم ركندورف في دائرة علوم الاسلام (Encycl. de l'Islam I, 46-47)

(— س١٧ بحيرا الراهب) ذكرهُ الطبري في تاريخه (١: ١١٢٤—١١٢٥) وروى ما يتناقلهُ المسلمون عنهُ وعن اجتماع نبيّ المسلمين به عند رحلته الى الشام اذ كان ابن اثنتي عشرة سنة . وقال السيّد ابو جعفر البيتي في مواسم الادب (٢: ٢٠٢) انهُ كان يُسمّى جرجس . واما النصارى فيدعونهُ نسطوريوس ويروون قصّتهُ مع نبيّ المسلمين على خلاف ما يذكرها مؤرخو الاسلام . راجع الرسالة عبد المسيح الكندي الى الهاشمي طبعة لندن سنة ١٨٨٥ (ص ١٢٨—١٣٠)

(ص١٣٤ س٢٠ الرئاب الشنيّ) اطلب كتاب الاغاني (١٥ : ٧٦)

(ص١٣٥ س ١٠ — ١١ خالد بن سنان) قرأنا في احد مخطوطات باريس (Ms, 2455, ff. 2) انهُ كان من ولد اسمعيل وعاش بعد المسيح بثلثمائة سنة . وفي هذا نظرٌ فانَّ ابن العربي في محاضراتهِ (١ : ٩٥) يزعم انَّ ابنتهُ جاءت محمَّدًا فقال لها : « مرحباً بابنة نبيٍّ اضاعهُ قومهُ »

(ص١٣٦ س١٧ هجو بني عجل) يُضاف الى ما اوردنا قول الأُبَيْرد الشاعر ممَّا يثبت نصرانيَّة بني عجل (الاغاني ١٢ : ١٣) :

تُحيَّا المسلمون اذا تلاقَوْا وعجل ما تحيَّا بالسلامِ

ومثلهُ تعييرهُ لهم شرب الخمر :

ولكنَّها هانت وحُرِّم شربها فالت بنو عجلٍ لما هو آكفرا

راجع ايضاً كتاب معاوية (Lammens: *Mo'awia*, p. 436-438)

(— س٢٦ غسَّان) يُضاف الى شواهدنا عن نصرانيَّة غسَّان قول ابنُ رُستَه في كتاب الاعلاق النفيسة (ص١٢٧) . وقد ذكر النابغة الذبياني في شعرهِ (شعراء النصرانيَّة ص٦٥٥) ثلثة احياء من غسَّان فقال :

مُستشعرين قدَ ألفَوْا في ديارهمُ دُعَاءَ سُوعٍ ودُعْميٍّ وأيُّوبِ

قال الشارح «هم احياء من اليمن من غسَّان وهم نصارى وقيل هم رهبان» . راجع ايضاً في نصرانيَّة غسَّان (Duchesne: *Églises séparées*, p. 340-342)

(ص ١٣٧ س ١٧ قضاعة) كانت من اعظم قبائل العرب عددًا واكثرها بطوناً وفروعاً . وجاء في مُعجم ما استعجم للبكري (ص ١٧) ان شعارهم يوم حاربهم سابور كان «يا لعباد الله فسُمُّوا العباد» . والنصرانيَّة المنسوبة لقضاعة اجمالاً رُبَّما نُسبت ايضاً الى فروعها . كبني عامر بن ثعلبة بطن من قضاعة وهم رهط هدبة بن الخشرم الشاعر النصرانيّ . وكبني رقاش بطن آخر من قضاعة يدعوهم هُدَيَة (راجع حماسة ابي تمَّام ص ٢٣٤) بأُمَّة المسيح . وكبني تيم اللات الذين عدَّهم الطبري في تاريخهِ (١ : ٢٠٣٢) في جملة نصارى العرب مع بني عجل وضُبَيْعة

(ص١٣٨ س٤) فاتنا ان نذكرهنا قيس عيلان والمتنصّرين منها · ومن الشواهد على ذلك ما ورد في نقائض جرير والاخطـل (éd. Salhani, p. 17) لابي ثمامة الكلبيّ يذكر مرج راهط :

وعهدي بهم في المرج حين تنصّرتْ   مشايخُ قيسٍ غير شيخٍ محاربِ

وقال جوّاس الكلبيّ من بني عدي بن جناب في ذلك اليوم :

فلو كنتُ من قيس بن عيلان لم أجد   فخـارًا ولم أعدل بـأن اتنصّرا

وقد روى في الحماسة ابياتاً من هذا الشعر ونسبها (ص٦٥٦) الى عمرو بن مخلاة الحمار الكلبي

ومن قيس عيـلان كانت بنو سُلَيم بن منصور بن عكرمة وقـد سبق انّ ابن رُسْته في الاعلاق النفيسة (ص٣٠٩) ينظمهم بين نصـارى العرب مع طيّ وتميم · ومثلهم بنو عامر بن صعصعة (Cfr. Journ. As., 5e S., v. 1855 [1], p. 371)

(— س٩ كَلْب) كان بنو كلب قبل تنصّرهم يعبدون صنماً اسمهُ وَدّ ثم دانوا بالنصرانيّة ورسخ قدمهم فيها · وقـد ورد في سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٢) « انّ محمّدًا أتى كلباً في منازلهم الى بطنٍ منهم يقال لهم بنو عبدالله فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسهُ ··· فلم يقبلوا منهُ ما عرض عليهم » وممّا رواهُ ابن خلدون في تاريخهِ عن ابن سعيد (٢: ٢٤٩) :

« وكان لقضاعة ملك آخر في كلب بن وَبَرة يتداولونهُ مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانيّة وجاء الاسلام والدولة في دومة الجندل لأُكيدر بن عبد الملك بن السكون ويقال انهُ كندي من ذرّية الملوك الـذين ولّاهم التابعة على كلب فاسرهُ خالد بن الوليـد . . . وبقيت بنو كلب الآن في خلقٍ عظيم على خليج القسطنطينيّة منهم مسلمون ومنهم متنصّرون

ومن نصارى كـلب امرؤ القيس بن اصبغ كان زعيم قومهِ عند ظهور الاسلام وثبَتَ على دينهِ عند دعوة محمّد (اطلب اسد الغابة لابن الاثير ١: ١١٥)

(ص ١٣٩ س٣ كندة) اطلب ايضاً شاهدًا على نصرانيّتها : Max Muller *Sacred Books of East*, p. XVI

(ص١٣٩ س٢١) كان حقّنا ان نذكر في جملة القبائل المتنصرة قبل الاسلام قبيلة «لحيان بن هُذَيل بن مدركة بن الياس بن مضر والى نصرانيّتها اشار حاتم الطائي في قوله:

وما زلتُ اسعى بين نابٍ ودارةٍ بلحيان حتّى خفتُ ان اتنصَّرا

(— س ٢٥ مذحج) كان سيد مَذْحج يزيد بن عبد المدان من اشراف النصارى في نجران (الاغاني ١٠: ١٤٩)

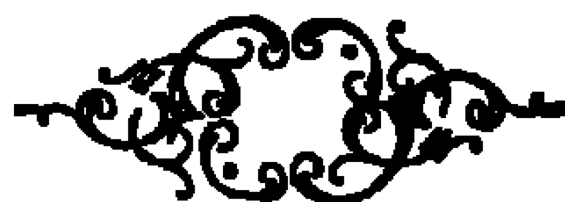
(ص١٤٠ س٢٥ النبط) ومن الدلائل على نصرانيَّة النبط انهم لم يختتنوا قال الشاعر (تاج العروس ٣: ٥٦٠)

كأنَّ على اكتافهم نَشْرَ غَرْقَدٍ وقد جاوزوا نيَّانَ كالنَّبَطِ الغُلْفِ

وقد جاء في كتب السريان عن عبد يشوع السائح انَّهُ بشَّر النبط في المدينة وفي جهات عمان كما بَشَّر عبد يشوع الجاثليق بعضاً من بلادهم (J.As, 1835², p.129)

(ص١٤٦ س سُقُطرى) ذكرها النّاخذاة ابو زيد في كتاب سلسلة التواريخ (éd. Reinaud, 133-135) من آثار القرن العاشر للمسيح قال عن سُقُطرى: «بها منابت الصبر وهو الدواء الاعظم ... حتى بعث الله عيسى عليهِ السلام فبلغ مَن بهذه الجزيرة امرهُ فدخلوا في جملة ما دخلت فيهِ الروم من التنصُّر وبقاياهم بها الى هذا الوقت مع سائر من سكنها من غيرهم». واخبر السائح الايطالي مركو باولو «انه مرَّ بها في القرن الرابع عشر فوجد اهلها نصارى يرعاهم رئيس اساقفة يرسامهُ اليهم جاثليق النساطرة من بغداد.... ولمّا استولى عليها المسلمون واخذوها من البرتغاليين اكرهوا اهلها على ان يدينوا بالاسلام»

تمت الملحوظات على الجزء الاول من الكتاب



الجزء الثاني

(ص ١٥٢ س٧ كتابة المسند في بني حمير) الى هذه الكتابة يشير ابو ذؤيب بقوله (لسان العرب ١٨ :٣٠٦)

عرفتُ الديار كخطِّ الدويّ م حبَّرهُ الكاتب الحميري

(ص١٥٣ س ٣ اوّل من كتب بالعربيّة) . لا يعرف تماماً اوّل من كتب بالعربيّة . وأقدمُ خطّ عربي يُعرف اليوم كتابةُ زَبَد النصرانيّة الراقية الى ١١٠ سنوات قبل الهجرة . يليها كتابة حرَّان في بلاد حوران تتقدَّمت ٥٤ سنة على الهجرة وهي ايضاً كتابة نصرانيّة . ثمَّ نرى الكتابة العربيّة شائعة في العراق ولاسيَّما في الحيرة . وممَّن يُذكر انَّهم عرفوا الكتابة العربيّة عدي بن زيد . ورد في الاغاني (٢: ١٩) انَّ عدي بن زيد وزير النعمان ابي قابوس كان تعلم مع اولاد المرازبة الكتابة الفارسيَّة ثمَّ كتب لكسرى بالعربيّة قال ابو الفرج « كان عدي اوَّل من كتب بالعربيَّة في ديوان كسرى » ولعلَّهُ تعلَّم ذلك من جدهِ حمَّار وابيهِ زيد . وقد روى صاحب الاغاني عن حمَّار (٢ : ١٩) انهُ « خرج من اكتب الناس وصار كاتب النعمان الكبير » وقال عن زيد انهُ «حذق الكتابة والعربيَّة» . وممَّن تعلَّم الخطّ من قريش بعد ذلك بزمان ابو سفيان بن اميَّة واخوهُ حرب بن اميَّة . قال الطبري في تاريخهِ (٢ : ٨٣٦) اوَّل من كتب بالعربيَّة من العرب حرب بن اميَّة . وجاء في شرح العقيلة وفي الاشتقاق لابن دُرَيد وفي اماليه انَّ بشر بن عبد الملك الكندي تعلَّم الخطّ العربي وهو الجزم في الانبار من مرامر واسلمَ الطائيّين وخرج الى مكَّة فتزوَّج الصهباء ابنة حرب بن اميَّة وقيل الصفيَّة بن الحارث فعلَّم الخطّ سفيان بن حرب وتعلَّمهُ معاوية من عمهِ سفيان وكثر من يكتب بمكَّة من قريش

وقال في كتاب لطائف المعارف للثعالبي (Ms de Leide p.39) : كتَّاب الاسلام : جاء الاسلام وفيهم (اي العرب) بضعة عشر رجلًا يكتبون بالعربيَّة : عُمَر وعثمان وعلي وطلحة وعثمان وإبان ابنا سعيد وابو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة وابو سفين بن حرب وابناهُ يزيد ومعاوية وحاطب بن عمرو بن عبد شمس والعلاء بن الحضرميّ وابو سلمة بن عبد الاشهل وعبدالله بن ابي سرج وحويطب بن عبد العزّى «وكان عبدالله

ابن ابي سَرْج يكتب للنبي صلعم ثمّ ارتدّ ولحق بالمشركين وقال: انّ محمّدًا يكتب ما شئتُ. فلمّا كان يوم فتح مكة جاء بهِ عثمان وكان بينهما رضاع فاستوهبهُ النبيّ فوهبهُ لهُ »

وممّا يدخل في هذا الباب ما رواهُ ياقوت في باب نُقَيْرة (٤ : ٨٠٧): « قال انّ خالد بن الوليد لمّا خرج الى عين تمر وجدوا في كنيسةٍ صبياناً يتعلّمون الكتابة في قرية يقال لها عين تمر وكان فيهم حمران مولى عثمان بن عفّان رض »

(ص ١٥٤ س ٦) «مَسْنَد» الصواب «مُسْنَد» وهو خطّ بني حِمير. ويروى الشطر الثاني من البيت: « وما زَبَّرتْ في الصُّحف اقلامُ حميرا»

(ص ١٦٠ س ١٨ لكَ الحمدُ) وردت هذه الابيات في كتاب الحيوان للدميري (٢: ١٩٥) وروى هناك: « والنعماء والفضلُ .. حمدًا والمجدُ » وذكر ايضاً قول محمد نبيّ الاسلام لمّا سمع هذه الابيات

(ص ١٦١ س ٨ سمّاهُ اميّة مقدّساً) وكذلك دعوهُ قدُّوساً قال العجّاج (لسان العرب ٨: ٥١): « عَلِم القدُّوس مولى القُدسِ » ومثلهُ للاخطل (اغاني ٨ : ٨٥): « قدُّوس قدُّوس »

(ص ١٦٥ س ٢٥–٢٩ علقمة بن العبد) والصواب ابن عَبَدة ويُعرف بالفحل. وروى في المفضّليات (ص ٧٨٠) قولهُ فلستَ لإِنْسيّ: «فلستَ بجنيّ»

(ص ١٦٧ س٧ و٢٠ جهنّم) ورد في تاريخ دمشق لابن عساكر (٣: ١٢٤): قال عبدالله بن مسلم الدينوري: سُئلتُ هل وجدتُ لجهنم ذكرًا في الشعر القديم فقلتُ: هذا يحتاج الى تتبُّع وطلبٍ وقد اتذكّر فلم اذكر الّا شيئاً وجدتهُ في شعر اميّة بن ابي الصلت فانهُ قال :

فلا تدنو جهنّمُ من بريءٍ ولا عَدْنٌ يُطالعها أثيمُ
اذا شبَّت جهنّمُ ثمّ وارتْ وأعرض عن قوانسها الجحيمُ

وروى البيت في المخصّص(٩: ٦) .

جهنّمُ تلك لا تُبقي بغياً وعَدْنٌ لا يطالعها رجيمُ

وذكر للعُدَيل بن الفرخ (ياقوت ٤ : ١٠١٧) قولهُ في نار جهنم وجنّة الخُلد :

أما ترهبان النار في ابنيْ ايكما   ولا ترجوانِ الله في جنّة الخُلْدِ

وقد ورد اسم جهنّام في شعر الاعشى قال (التاج ٧ : ٣٧٢) :

دعوتُ خليلي مِسْحَلًا ودعوا لهم   جهنّامَ جدعاً للهجينِ المذمَّمِ

(قال) مِسْحَل شيطان الاعشى . وكذلك قال الفرزدق (نقائض جرير والفرزدق ٧٦٨–٧٦٩) :

لقد قلّدتُ حِلْف بني كُلَيْبٍ   قلائد في السوالف باقياتِ
قلائد ليس من ذهبٍ ولكن   مواسم من جهنّمَ مُنْضجاتِ

(ص ١٧١ س ٢٧ اسمهُ تعالى الديّان) جاء في حماسة البحتري لعَتاهية بن سفيان الكلبيّ (ع ٣٩١) :

فاضحَوْا احاديثًا لغادٍ ورائحٍ   يدينُهُمُ بالخيرِ والشرِّ ديّانُ

(ص ١٧٣ س ١١ النذر) ويروى لثعلبة بن عمرو (المفضّليات ٥١٣) :

أقسمَ ينذرُ نذرًا دمي   وأقسمت ان نِلتُهُ لا يؤوبُ

(ص ١٧٨ س ٢٢) (التسبيح) قال جرير (نقائض جرير والفرزدق) :

أنخنا فسبَّحنا ونوّرتِ السُّرى   بأعرافِ وردِ اللون بُلْقٍ شواكلُهْ

قال الشارح : فسبَّحنا يريد فصلّينا الغداة والسُّبحة الصلاة ويقال السبحة النافلة

(ص ١٨٠ س ٦ الوحي) وممّا قيل في الوحي قول ابي قُصاقص لاحق النصري في وصف دار (ياقوت ٢ : ١٤٣) :

عفَتْ وخلَتْ حتّى كأنَّ رسومَها   وُحِيُّ كتابٍ في صحائف مُصحَحُ

وقال جرير (ياقوت ٣ : ٦٦٨) :

بين المحصَّر والعزّافِ منزلةٌ   كالوحي من عهد موسى في القراطيسِ

(ص ١٨٢ س ٢٠ السورة) وردت السُّورة ايضاً في كتاب الشجر والنبات (البلغة ٢٢ : ٢٣) لجندل بن المثنّى :

يا ربُّ ربَّ المُرسَلين بالسُّوَرْ   بحِكَمِ الفُرْقانِ يُتلى والزُبُرْ

وقال جرير يهجو البعيث الشاعر وكان كالفرزدق من بني مجاشع النصارى (نقائض جرير والفرزدق) :

انَّ البعيث وعبدَ آلِ مقاعسٍ   لا يقرأون سُورة الاحبارِ

(قال): عبد آل مقاعس هو الفرزدق. واراد بسورة الاحبار ما ورد فيها: «أَوْفُوا بالعقود»

(ص١٨٤ س ١٣ الزبور) وممَّن ذكروا الزَّبورَ منصور النمري من شعراء ربيعة (اغاني ١٢ : ١٨)

ومـا لبني بنـاتٍ من تُراثٍ   مع الاعمـام في وَرَقِ الزَّبورِ

وقال مجنون ليلى يصف صلاة الراهب بالزبور :

كأنهُ راهبٌ في رأس صومعةٍ   يتلو الزبور ونجمُ الصبحِ ما طلعا

ومثلهُ الفرزدق (نقائض جرير والفرزدق ٧٨٧) :

عرفتُ المنـازل من مَهْدَدٍ   كوحي الزَّبور في الغَرْقَدِ

وكذلك جرير (ياقوت ١ : ٣٩٠) :

حيِّ الديـار بعاقـلٍ والأَنعُمِ   كالوحي في رَقِّ الزبور المُعجمِ

وقال ايضاً في رثاء امّ حزرة بجُلاجل (نقائض ٨٥٠) :

وكأنَّ منزلـةً لها بجُلاجـلٍ   وحيُ الزَّبور تخطُّـهُ الاحبـارُ

وروى البكري لحسين بن الضحَّاك (ص٣٧٩) :

لمَّا حكاها زنامٌ في تغنّيها   فافتنَّ يتبعُ مزمورًا بزمارِ

(ص١٨٥ س٢٣ مجلّتهم ذات الاله ..) قال في خزانة الادب في شرح هـذا البيت (٢ : ١١) : المجلّة الكتاب لأنَّهُ يُجَلّ ويُعظَّم واراد بهِ الانجيل لانهم كانوا نصارى. ويروى: محلّتهم. أمّا رواية الاصمعي فبالجيم وهو كتاب النصارى

(ص١٨٦ س١٠ يَسُوع) لعلّ اسم «سوع» في شعر النابغة (اطـلب الصفحة ٢٣١) هو مرادف ليسوع. ويؤيّد فكرنا ما جاء في تاج العروس (٥ : ٣٩٠) الـذي ذكر البيت ثم قال «ويروى: دعوى يسوع»

(— س ٢٥ المسيح بن مريما) ومثلهُ لجرير يهجو بني مجاشع وفي قولهِ ما يثبت محبّة النصارى للمسيح قال (النقائض ص٨٣) :

لقـد وَجدَتْ بالقَين خُودُ مجـاشعٍ   كوَجْد النصـارى بالمسيح بن مريما

(ص ١٨٩ س٤ يوحنَّا المعمدان ... يحيى) قال فيهِ حسَّان بن ثابت وفي ابيهِ زكريَّا (الاغاني ٤: ١١) :

وانَّ ابا يحيى ويحيى كلاهما لهُ عملٌ في دينهِ مُتقبَّلُ

(ص ١٩٠ س ١٤–١٥ ابن عبد الجن) كذا ورد في لسان العرب وهو تصحيف صوابهُ «عمرو بن عبد الحقّ» كما ذكرنا في الصفحة ١٨٧

(ص ١٩١ س٢٢–٢٥ الحبر) ورد اسم الحَبْر في ارجاز روْبة ,Ahlwardt (149 :

انجيلُ احبارٍ وَحَى مُنَمْنَمُهْ ما خطَّ فيهِ بالمدادِ قلمُهْ

وقد روى القالي في اماليهِ بيت ايمن بن خُرَيْم: «ولم يحضر القسُّ .. ولم يَشهد على طبخها الحبرُ »

(ص ١٩٢ س ١٩ القسّ) كان العرب يعرفون القسوس بالعبادة والورع والدليل عليهِ ما قال الزبير بن بكّار عن عبد الرحمان بن ابي عمّار «انهُ كان من عبّاد اهل مكّة فسُمّي القسّ من عبادتهِ (اخبار النساء لابن الجوزيّة ص ١٨–١٩) . وقد ورد اسم القسّ في رثاء حاجب بن ذبيان لاخيهِ معاوية قال :

تطاوَلَ بالبيضاء ليلي فلم أَنَمْ وقد نام قسَّاها وصاح رجالُها

اراد بيضاء بني عُقَيل ثمّ بني معاوية بن عقيل وهو المنتفق (معجم البلدان ١ : ٧٩٤)

(ص١٩٣ س ٦ وجموعهُ على قساقسة) وجُمع ايضاً على قَساقِس وقَساوِسة وعلى قِسّيسون

(— س ١٤ شمّاس) وذكرهُ ايضاً عبدالله بن العبّاس الربعيّ (اغاني ١٧ : ١٢٩) قال :

رُبَّ صهباء من شراب المجوسِ قهوةٍ بابليَّة خندريسِ
قد تجلَّيتُها بنايٍ وعودٍ قبل ضربِ الشمَّاس بالناقوسِ

(ص١٩٤ س٩ الابيل) قد بنوا من هذه اللفظة فعلًا قال في التاج ٧ : ٢٠١): «أَبِلَ الرجلُ اذا ترهَّب وتنسَّك» . وفي شروح الشنتمريّ على ابيات الايضاح (من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ص١٦٦) : « التأبل التعزّب عن المرأة »

(ص ١٩٧ س ٥ كأنّهم قَصرًا ...)ورد قبلهُ في اللسان ١٧ : ٣٤٠ :

بالخَيْر ابلجُ من سِقَايَةِ راهبٍ تُجلى بِجَوْزَنَ مشرقًا تِمْثالها

(- س٩ صوّران وزَبَد) جاء في التاج(٣ : ٣٤٤) انَّ صوَّران كورة بحمص . وقال ياقوت (٢ : ٩١٤): زُبد قرية بقِنّسرين

(- س ٢٢ الربيط) ومثلهُ المربوط اي الراهب . وفي التاج (٤ : ١٤٢) انَّ الربيط لقب الغوث بن مرّ من مُضَر

(ص ١٩٨ س١٤ الاشعث) ولعلَّ الرهبان كانوا يربُّون شعرهم على مثال النذير عند بني اسرائيل كما جاء في شعر عديّ بن زيد في وصف راهب(اغاني٢ : ٢٥)

مُرْعدًا احشاؤهُ في هيكلٍ حسنٌ لُمَّتُهُ وافي الشَّعَرْ

(ـ س ٢٦ المتعبّد)ومثلهُ العابد بجمعونهُ العبّاد والاعابد . قال ابو دؤّاد الايادي يصف مصابيح الرهبان (التاج ٢ : ٤١٠) :

لمنْ كنارِ الرأس في م العَلْياء تُذْكيها الاعابدْ

(ص ٢٠٠ س١٣ الحازي) وردت في شعر افنون (المفضّليّات٥٢٣) قال :

ألا لستُ في شيءٍ فَروحًا مُعاديا ولا المُشفقاتُ اذ تَبِعْنَ الحوازيا

(قال) الحوازي الكواهن . وقد جمع الطبري (١ : ١٠١٠) الحازي حُزاة قال: الحُزاة العلماء

(ص ٢٠١ س ١٣ الكنيسة) قال عدي بن زيد يشبّه تشعشع زجاجة الخمر بقنديل راهب في كنيستهِ (اغاني ٢ : ١٧٢) :

بزجاجةٍ مِلْءَ اليدين كأنّها قنديلُ صُبْحٍ في كنيسة راهبٍ

وقال عبّاس بن مرداس (الاغاني ١٣ : ٦٤) :

يدورونَ بي في ظلّ كلّ كنيسةٍ فيُنْسونني قومي واهوى الكنائسا

(- س ١٩ البيعة) جاءَت ايضاً في شعر عُمَر بن ابي ربيعة (اغاني ٣ : ٨٧) :

فقلتُ أشمسٌ ام مصابيحُ بيعةٍ بدَتْ لك خلفَ السَّجْف ام انت حالمُ

وجاء في نقائض جرير والفرزدق(ص ٥٨) وكانوا يدعون كنائسهم بيت الصلاة . قال الفرزدق يمدح جُبَيْرَة بنت ابي بَذَّال من بني قَطَن من نَهْشل اسمهُ بِشر بن صُبَيْح :

تَهادى الى بيت الصلاة كأنّها على الوَعْث ذو ساقٍ مَهيضٍ كُسُورُها

(ص ٢٠٢ س٢٢ قال عنترة) يروى هذا البيت لعبد قيس بن خُطاف البرجمي (اغاني ٧: ١٤٨)

(ص ٢٠٣ س ١٥) الصليب وممَّن ذكر الصليب بشر بن ابي خازم في مدحهِ لبني الحِداء النصارى (البيان للجاحظ ٢ : ٧١)

اذا غـدَوْا وعصيُّ الطَّلح ارجُلهم كما تُنصَّب وسط البِيعـةِ الصُّلُبُ

وكانوا يلثمون الصليب ويمسحون ايديهم بهِ قـال جرير (النقائض ص٤٠٢) في بني تغلب :

رُوَيْـدكمُ مَسْحَ الصليب اذا دنا هـلالُ الجِزَى واستعمِلوا بالدراهِمِ

يشير الى ما وُضع عليهم من الجزية والخراج . وذكر ايضاً في محلّ آخر العابدين للصليب (نقائض ٥٠٦) . وجاء للخالدي (ياقوت ٢ : ٦٤٤) بيت في لثم النصـارى للصليب . وقال جرير ايضاً (نقائض ص٥١٠) في تغلب :

ولم تمسَحِ البيتَ العتيق اكفُّها ولكن بقربان الصليب تَمَسَّحُ

وكذلك كانوا يزينون صدورهم بالصليب قال عبدالله بن العبَّاس الربعي في فتاةٍ (الاغاني ١٧ : ١٢٩) :

كم لثمتُ الصليب في الجِيدِ منها كهـلالٍ مكـلَّلٍ بشموسِ

(ص ٢٠٤ س ٢٣ عبدالله بن العجلان) يروى بيتهُ في الاغاني (٧: ١٣٨) مع بعض اختلاف في الرواية

(ص ٢٠٧ س ١ الناقوس) راجع مـا جاء في ذكر النواقيس في ليتورجيَّـة ديونيسيوس برصليبي (BO. II, 178-179)

(ص ٢٠٨ س ١٧) السُّرج والمصابيح) ومن ذلك قول عديّ بن زيد المذكور آنفاً . ومثلهُ لجرير (نقائض ٩٥٦) :

قناديلُ صُبحٍ في كنيسة راهبِ

وقال جوَّاس بن حياض وهو القعطل بن الحارث الكلبيّ ولـهُ شعر في وقائع مرج راهط قال (تاريخ ابن عساكر ٣ : ٤١٤) :

واعرضتُ للشِعْرى العبور كأنَّها معلَّقُ قنديلٍ بوسط الكنائسِ

وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق عن زَيْنَ الكنائس مـا نصُّهُ (٣: ٢٣٤) :

« وكانوا يزينون الكنائس بالرخام والفسيفساء . قال الحارث بن النمر وشهد يوم اليرموك » :

وتعطّلتْ منهم كنائسُ زُخرِفت بالشام ذاتُ فسافسٍ ورخامِ

وقال في ارشاد الطالبين (ص٣) : « وكانوا يعلّقون في كنائسهم بَيض النعام كما روى ميمون بن مهران عن نصارى نجران » قلنا وهي عادة جارية في كنائس الشرق الى يومنا يشيرون بالبيضة الى موت المسيح ودفنهِ في القبر وقيامتهِ وبالنّعام الى عناية الكنيسة بابنائها (راجع المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٤٥)

(ص٢٠٩ س١ القربان) قال تميم بن مقبل العامري يصف كنيسة النبط النصارى (جمهرة اشعار العرب ١٦١) :

من مُشرفٍ لَيطُ أنياط البلاط بهِ كانت لِساستهِ تُهدى القرابينا

صوتُ النواقيس فيهِ ما يفرّطهُ أبدي الجُلاذيّ وجونٌ ما يفضّينا

راجع ايضاً معجم البكري (ص٣٧١) . وعلى رأينا انّ ما يروى في كتب الحديث عن اكرام الخبز انّما أُريد بهِ سابقاً القربان . فمن ذلك في صحيحَي مُسلم والبخاري وفي جامع الصغير للسيوطي : ١ً اكرموا الخبز فانّ الله اكرمَهُ فمن اكرم الخبز اكرمهُ الله . ٢ً اكرموا الخبز فانّ الله انزلهُ في بركات السماء واخرجهُ من بركات الارض . ٣ً اكرموا الخبز فانهُ من بركات السماء والارض . مَن اكل ما يسقط من السفرة غُفر لهُ

(— س٢٤ ابيات ايمن بن خُرَيم) قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٥١١) انّ هذه الابيات تروى للأُقَيشر اليَربوعي

(ص٢١٠ س١١ كأس عزيز) قال شارح ديوان علقمة (وهو يروي : عتّقها لبعض احيانها حاشيةٌ حومُ) « اي اعدّها لفصح او عيد يريد خمر القربان »

(ص٢١١ س٣ المِنبَر) روى الجاحظ في البيان والتبيين (٢ : ٧٢) لوائلة السدوسيّ قولهُ :

لقد صبرَتْ للذلّ اعوادُ مِنبرٍ تَقومُ عليها في يديك قضيبُ

(ص٢١٤ س١٨ الناموس) لعلّهم ارادوا بهِ مقام الراهب تحت ظلّة الشجر كما قال الراعي (ياقوت ٤ : ٥٠١) :

وسِربِ نساءٍ لو رآهنّ راهبٌ لهُ ظُلّةٌ في قُلّةٍ ظلّ رانيا

(ص ٢١٥ س ٢٠ يوم السعانين) وممَّن ذكر السعانين ابن رامين يصف سكارى متفكهاً (اغاني ١٣ : ١٣٠)

اذا ذكرنا صلاةً بعد ما فُرضتْ قمنا اليها بلا عقلٍ ولا دينِ
نمشي اليها بطاءً لا حِراك بنا كأنَّ ارجلنا تقلعنَ من طينِ
نمشي وارجلُنا عوجٌ مطارحُها مشيَ الاوزِّ التي تأتي من الصينِ
او مشي عميانِ ديرٍ لا دليل لهم الَّا العصيَّ الى عيد السعانينِ

(ص ٢١٦ س ٥) وقد أجاد حسَّان بن ثابت بمدحهِ ملوك غسَّان النصارى ويوصفهِ حفلات فصحهم قال (الاغاني ١٣ : ١٧٠) :

قد دنا الفِصحُ فالولائدُ ينظمنَ م سِراعاً أكِلَّةَ المَرْجانِ
يتبادَرْنَ في الدعاء الى الله م وكلٌّ الدعاء للشيطانِ
ذاك مغنًى لآل جفنة في الدير م وحقٌّ تصرُّف الازمانِ
صلوات المسيح في ذلك الدير م دعاء القسّيس والرهبانِ
قد اراني هناك حقٌّ مكين عند ذي التاج مقعدي ومكاني

(— س ٨—١١) وفي فصيح ثعلب (ص ١٠٥) «تنهَّس النصراني وتنحَّس»

(ص ٢١٧ س ١٠ (السلَّاق) وممَّا ورد ايضاً من اسماء اعياد النصارى في كتب اللغة (اللسان ٣ : ١٢٥) السِّلَّاج قالوا انهُ عيد من اعياد النصارى ولم يزيدوا . وذكر في الاغاني (١٧ : ١٣٤) لعبدالله بن العبَّاس الربعيّ ابياتاً ورد فيها ذكر عدَّة اسماء لاعياد النصارى :

يا ليلةً ليسَ لها صُبحُ وموعداً ليس لهُ نجحُ
من شادنٍ مرَّ على وعدهِ الميلادُ والسُّلَّاقُ والدنحُ
وفي السعانينِ لو حماني بهِ وكان اقصى الموعدِ الفصحُ

(— س ٢٣ الشَّمْعلة) قال في التاج في مادَّة «شمعل» الشَّمْعلة قراءة اليهود في فِهْرهم اذا اجتمعوا والمرَّجحانُ اصل هذه اللفظة من السريانيَّة سَمْعِل (ܫܡܥܠ) بمعنى زهد وتنسَّك . فيكون المشمعلّ الراهب في قول امية بن ابي الصلت يمدح عبدالله ابن العجلان (ياقوت ٤ : ٥٢٦)

لهُ داعٍ بمكَّةَ مُشمعلٌّ وآخر فوق دارتهِ ينادي

(ص ٢١٨ س ٥ ملابس النصارى) من ملابسهم البُرْنُس قال في تاج العروس (٤ : ١٠٨) : «البُرْنُس قلنسوة طويلة او هو كلّ ثوب رأسهُ منهُ ملتزق بهِ درَّاعةً

كان او جبّةً او منظرًا وكان رهبانهم يلبسون البُرْنس». قال جرير في نقـائضهِ يهجو الاخطل (ص ٩٠٣) :

لعنَ الالـهُ مَن الصليبُ إلهـهُ والّلابسين بَرَانِسَ الرهبانِ

وقال الفرزدق يهجو جريرًا (ص ٢٧٧) :

وابنُ المراغةِ قد تحوَّل راهبًا مُتَبَرْنِسًا بتمسكُنٍ وسؤالِ

اي صار يلبس البرنس كما يلبسهُ الرهبان اي قد تنصَّر ليأخذ منهم شيئًا

(ص ٢٢٠ س ٢٠ القرطاس) ومنهُ قولُ جرير (نقائض ٥٣٧) :

كأنَّ ديارَ الحيّ من قِدَم البِلَى قراطيسُ رُهبانٍ احالت سطورها

احالت اي اتى عليها حَولٌ فتغيَّرت. وقال المرَّار الفقعسيّ (المفضّليّات ص٧٤٣) :

عَفَتِ الديارُ غَيْرَ مثلِ الأَنْقُسِ بعد الزمان عرفتُهُ بالقرْطسِ

(ص ٢٢١ س ١ الوَرَق) وورد في شعر جرير (نقائض ١٠٣) :

أَجِدَّكَ مـا تذكّرُ اهـلَ وادٍ كأنَّ رسومها ورقُ الكتابِ

(— س٤ الرقّ) روى ياقوت (٤ : ٤٢٢) : لعبَّاد بن عوف المالكي قولهُ :

لمن ديارٌ عفتْ بالجزع من رقمٍ كما يُخطُّ بياضُ الرقّ بالقَلَمِ

(ص ٢٢٣ س ١٨ وشي الخط وتنميقه) من هذا الباب ما روى في المفضّليّات (ص ٦٩٨) :

كتـابُ محبّرٍ هـاجٍ بصيرٍ ينمِّقُهُ وحـاذَرَ ان يُعاعـا

وروى ياقوت للقتَّال الكلابي (٢ : ٣٦٤) :

تنيرُ وتُسدي الريحُ في عَرَصاتها كما نَمنَمَ القرطاسَ بالقَلَمِ الحَبْرُ

(ص ٢٢٤ س ١٠ الدواة) جمعها دَوًى ودويّ قال ابو ذؤيب (اللسان ١٨ : ٣٠٦) :

عرفتُ الديارَ كخطِّ الـدويّ م حبَّرَهُ الكـاتبُ الحميري

(— س ١٤ المداد) منهُ قول عبدالله بن عَنَمَة (المفضّليّات ٧٤٣) :

فلم يبقَ الّا دِمنةٌ ومنـازلٌ كما رُدَّ في خطِّ الدواة مدادُها

وروى هناك لعدي بن الرقَّاع قولهُ يصف ثورًا :

تُزجي أغنَّ كأن ابرةَ رَوْقِهِ قلمٌ اصاب من الـدواة مدادَها

(— س ١٨ النِقْس) روى ياقوت لمنظور بن فروة في وصف آثار دارٍ:

كأنَّها بعد سنين خمسِ خطُّ كتاب مُعجَمٍ بنقسِ

وروى لابي زياد الكلابي (٤ : ٩٧٥)

اشاقتْك الديارُ بِحَضْبِ حَرْسٍ كخطِّ مُعلِّم ورقاً بنقسِ

(ص ٢٢٦ س ١ الاران) هذه اللفظة اصلها من العبراني (ארון) معناها الصندوق (J. As. 1836^b, p. 282)

(— س ١٠ الناوُس) وقد مرَّ معها ذكر الناموس (ص ٢١٤) وهي يونانيَّة (νόμος) ومعناها الشرع وقد ورد ذكرها في الشعر العربي بمعنى الشرع المسيحي . جاء في حديث ورقة بن نوفل (في الاغاني ٣ : ١٥) : « ليأتيه الناموس الاكبر ناموس عيسى بن مريم »

ومن الالفاظ القرآنية التي سبقت الاسلام لفظة الابابيل جاء في سورة الرسول لابن هشام (ص ٥٩٨) لأُميَّة بن ابي الصلت :

حول شياطينهم ابابيل ربّيون شدُّوا سنَّورًا مدسورا (كذا)

(— س ١٢ البوق) جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص ١٠٤١) في رثاء جرير للاخطل :

وتبكي بَناتُ ابي مالكٍ ببوق النصارى ومزمارها

(ص ٢٢٧ س ٢ الاعلام النصرانيَّة) وممَّن صرَّحوا بذكر الاعلام النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة المستشرق رينان في المجلَّة الاسيويَّة قال « L'Arabie antéislamique offre aussi beaucoup de noms chrétiens » (*Journ As.*, *1850*², *p. 248*)

(ص ٢٢٨ س ٢٢ آدم) وفي البيان والتبيين للجاحظ (١ : ٧٥) رجزٌ لآدم مولى العنبر وكان اسم امرأته امُّ أيوب

(ص ٢٢٩ س ٧ ابراهيم بن أيوب بن محروف) . ويروى ابن مجروف . قال ابن الكلبيّ (ياقوت ٤ : ٢٢٢) « لا اعرف في العرب الجاهليَّة مَن اسمهُ ابرهيم بن أيوب غيرهما وانَّما سُمِّيا بذلك للنصرانيَّة» فقولهُ « للنصرانيَّة » فصوابٌ امَّا قولهُ « انهُ لم يعرف غيرهما» فيردُّهُ ذكر الذين عدَّدناهم هنا . وابرهيم بن أيوب هذا ينتهي

نسبهُ الى تميم ومن نسله مُقاتل بن حسّان الذي يُنسب اليهِ قصر مقاتل الذي كان بين عين تمر والشام

(ص ٢٣١ س ١٥ حنّة) وذكر في نقائض جرير (ص٩٤٣) «حنّة بنت نهشل ابن دارم كانت أمها ماويّة بنت حُويّ بن سفيان بن مجاشع وامّ قيس بن حسّان بن عمرو بن مرثد»

(ص ٢٣٢ س ١ داوُد) وممّن عُرف باسم داوُد في الجاهليّة داوُد بن عروة ابن مسعود الذي تزوّج حبيبة ابنة عبيدالله بن جحش الذي ارتدّ عن الاسلام وتنصّر (الطبري ٢ : ٢٤٤٥) . وورد في نقائض جرير في حديث يوم تيأس (ص١٠٢١) ذكر داوُد احد بني ذؤيب . امّا داوُد بن هبُولة فهو الذي قتلهُ ثعلبة بن عامر الاكبر المعروف بالفاتك قتلهُ يوم القرنتَين فقال :

نحنُ الأُلى أودت ظُبات سيوفنا داوُدَ بين القرنتَين بحاربِ

ثمّ راجعْ اخبار ابي دؤاد الايادي في الاغاني (١٥ : ٩٦)

(— س٢٢ سَلمان) اشتهر بهذا الاسم في الجاهليّة وفي اوّل الاسلام سَلمان الفارسيّ قال الشيخ ابو الحسن النيسابوري في كتاب اسباب النزول « انّ سلمان كان من اهل جنديسابور ومن رهبان النساطرة وانّ في اصحابهِ نزلت الآية « انّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى . . . فلهم اجرُهم عند الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (سورة البقرة عدد ٥٩) » . وكذلك سَلمان العِجلي من نصارى عِجل (اغاني ١٢ : ١٢)

وممّا فاتنا من الاعلام الكتابيّة اسم « سارة » وهي زوجة ابرهيم الخليل . دُعيت باسمها سارة مولاة قريش (الفاسي : اخبار البلد الحرام ص ١٤٦) . وقد جاء اسم سارة في شعر جرير كما سبق (النقائض ص ٩٩٤)

وممّا ورد من الاسماء الكتابيّة عند العرب اسم أليشَع راهب عربيّ الاصل ذكرهُ ابن مارى في المجدل (ص٤٩)

(ص ٢٣٥ س ١٦ شراحيل) ومن النصارى الذين دُعوا بهذا الاسم شراحيل شيخ حرّان الذي اقام في تلك المدينة مشهدًا لاكرام القديس يوحنّا المعمدان (راجع المتن ص ٣٤)

(ص.٢٣٦ س ٨ شَمْعلة بن الاخضر) ورد ذكرهُ في نقـائض جرير والفرزدق (ص٢٣٦) قال انهُ ابن هُبيرة بن المنذر بن ضرار كان شاعرًا رُويت لهُ ابيات في يوم الشقائق يوم قُتل بسطام بن قيس راجع ايضاً كتاب البيان والتبيين للجاحظ(٢ : ٧٩)

(ص ٢٣٧ س ١٨ عبدالله) ومن النصارى الذين دُعوا بهذا الاسم في الجاهليَّة عبدالله بن دارم وهو جدّ حاجب بن زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبدالله بن دارم(نقائض جرير ص ٨٠٩) . وكان اسم والد الشاعر حاتم الطائي عبدالله . وقد جاء في اعمال مجمع افسس سنة ٤٣١م اسم عبدالله احد اساقفة العرب الذين وقَّعوا على تلك الاعمال كان اسقفاً على خَلَصَة (Elusa) وانَّما تصحَّف اسمهُ باللاتينيَّة (Ampela) امَّا في اليونانيَّة (Θεόδουλος) فبيِّن صحَّة اسمهِ عبدالله . وممَّن سُمّي بهذا الاسم مصغَّرًا عبيدالله بن سمعان التغلبيّ . ذكرهُ القالي في اماليهِ (٣ : ٦٥) وروى لهُ قولهُ :

وعَدتَ ولم تُنجز وقِدْمًا وعدتَني فأخلـفتني وتلـك احدى الازامعِ

(قال) الازامع الواحد ازمع وهي الدواهي

(ص ٢٣٨ س ٢ عبد الرحمان) ومثلـهُ «عبد الحنَّان» . وهو اسم ابن المتلمس الشاعر النصراني كما ورد في احدى نسخ الشعر والشعراء لابن قتيبة»ودعاهُ في الاغاني (٢١ : ١٨٧) «عبد المنّان قال «وكان للمتلمس ابن يقال لهُ عبد المنّان ادرك الاسلام وكان شاعرًا وهلك في بُصرى ولا عقب لهُ »

(ص ٢٣٩ س١٦) يضاف الى هذه الاعلام اسم « اسطفانوس » قـال ياقوت في معجم البلدان (٣ : ١٠٨) في وصف سكَّة اصطفانوس أنها موضع في البصرة وأنهـا « أُضيفت الى كاتب نصرانيّ من اهل البحرين »

(— س٨ جُريج)ورد في صحيح البخاري(٣ : ١٠٠) قصَّة رواها محمَّد عن جريج ناسك من بني اسرائيل كان في صومعة اتَّهمتهُ امرأة بالزنا فبرَّرهُ طفلها الصغير وهو في المهد ودلَّ على الزاني بها

(— س ٢٣–٢٤ ابن رومانوس) قال ياقوت (٢ : ٣٧٩) انهُ اخو النعمان لأُمّه أُمهما رومانوس وروى لهُ قولهُ :

مـا فلاحي بعد الأُولى عمَّروا م الحيرة ما ان ارى لهم من بـاقِ
ولهم كان كلّ مَنْ ضرَّب العين م بنجـدٍ الى تخوم العراقِ

(ص٢٣٩ س٢٤ سَرْجس) جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص٨١٩—٨٢٠) ذكر ابي كعب المسمى سرجس كان خازناً للحجّاج. وكذلك الازرقي في تاريخ مكة (ص٤٣٥) ذكر خبرًا عن المهاجرين رفعهُ الى نافع بن سَرْجس

(ص٢٤١ س٩ سَرْجون بن منصور) قال الطبري في تاريخهِ (٢: ٨٣٦): «كان يكتب لمعاوية على ديوان الخراج سرجون بن منصور الروميّ»

(— س١٤ سمعان) وقد ورد هذا الاسم على صورة اخرى. ذكر ابن الاثير في اسد الغابة (٢: ٣٨٢) رجلًا اسمهُ سيمونه البلقاويمن اهل البلقاء نصرانيّ وشمّاس كان في ايّام نبيّ المسلمين قال عنهُ انهُ اسلم وعاش ١٢٠ سنة وانهُ حمل قمحاً للمدينة وابتاع منها تمرًا. وممَّن عُرف بسمعان عبدالله بن سمعان التغلبيّ ذكرهُ صاحب اللسان (١٥: ٢١٩) ولعلّهُ عبيد الله بن سمعان السابق ذكرهُ (ص ٤٧٣)

(— س ٢٣ شمّاس) قال ياقوت (٢ : ٣١٧) انّ محلّة بغداد المعروفة بالشمّاسيَّة منسوبة الى احد شمّاسي النصارى. ولعلّ شمّاسية دمشق (التاج ٤ : ٤٢١) منسوبة اليه ايضاً

(ص٢٤٢ س٣ عبد المسيح) وممَّن عُرف بالجاهليَّة باسم عبد المسيح رجل ورد اسمهُ في عهد ملكهم عبد كلال. وذكر في الاغاني (٢٠ : ١٢٨) عبد الحرث بن عبد المسيح الاوسي قتل في مرج راهط في حرب قيس وتغلب

(— س٣) ممَّن فاتنا ذكرهُ هنا اسم «صَلُوبا» وهو اسم نصرانيّ محض. جاء في معجم البلدان في باب بانقيا من نواحي الكوفة (١ : ٤٨٤) انَّ صاحبها «بُصْبُهرى بن صَلُوبا صالح العرب عند ظهورهم في العراق على الف درهم وطيلسان»

(ص٢٤٣ س٧ عبد ياسوع) وممَّن عرف بهذا الاسم عبد ياسوع بن كعب بن سعد التغلبيّ. جاء ذكرهُ في شعر القطاميّ (ص ٧٦ من ديوانه) :

وقد كنتَ تُدعى عبدَ ياسوعَ مرّةً وأخلفتَ والاخلافُ من سيّئ الذكرِ

ورد في الاغاني في ترجمة القطامي (٢٠ : ١٢٨) اسمه سعدان بن عبد المسيح الذي قُتل في مرج راهط (ص ٢٥٠)

(— س ٩) وهنا يجوز اقحام اسم آخر لاحد شهداء النصارى بين العرب كان ارسلهُ ملك العجم سفيرًا الى القيصر يوليانوس الجاحد مع رفيقٍ لهُ يدعى سِنانًا

وكانا نصرانيّين فعرض عليهما يوليانوس جحود دينهما فأبيـا فقتلهما وعيدهمـا في الكلندار الروماني في ٣٠ تموز

(—ص٢٤٣ س٩ مارية) يضاف الى من دُعين بهذا الاسم مارية الـدارميّة امّ بني زُرارة (فرائد اللآل ٢ : ٣١٤)

(— س ١٧ مارية ابنـة حنظلة) هي ابنة حنظلـة بن ثعلبة بن سيَّار امُّ عشرة احدهم جابر العجليّ حضرت واقعـة ذي قار وقطع ابوهـا وَطِينَها (نقائض جرير ص٦٤٣)

(ص٢٤٥ س ١ - ٣ مَرْقُس) ذكرهُ المبرّد في الكامل (ص٥٦٣) وقال انهُ في طيٍّ وانّ اسمهُ عبد الرحمـان . وقد روى لـهُ ابو تمّام في حماستهِ شعرًا من الرَّجز (ص٦٩٧—٦٩٨) . ولعلّ اسم المرقّش الشاعر تصحيف اسم مرقس

(— س ٤—٨ مريم وابو مريم) وقد روى في الاغـاني (٢٠ : ١١٧) انَّ الشاعر عبدالله بن ابي معقل الخزرجيّ في ايّام بني اميَّة دعا ابنة ابنتَهُ باسم مريم وكذلك دعا بهذا الاسم ابنة ابنهِ مسكين . اما كنية ابي مريم فعرف بها كثيرون منهم من ذكرهم ابن الاثير في اسد الغـابة (٥ : ٢٩٥) كابي مريم الجهني عمرو بن مرّة وكابي مريم الحضِي يُعَدُّ في الشاميين وابي مريم السكوني وابي مريم السَّلوليّ مالك بن ربيعة وابي مريم الغسَّاني وابي مريم الكنديّ . وذكر ابو بشر محمَّـد الدولابي في كتابهِ الكنى والاسماء (١ : ٥٣) ابا مريم الازدي و ابا مريم الحنفي الذي كان مع مُسَيْلمة وابا مريم اياس بن صبيح وابا مريم اياس بن جعفر بن الصلت وغيرهم ايضاً

(— س ١٦) وفي باب النون يجوز ان نذكر اسماً آخر نصرانيًا وهو اسم نَسْطاس او انسطاس وجاء في التاج « نِسطاس قال (٤ : ٢٥٨) نِسْطاس بالكسر اهملهُ الجوهري وهو علم ونسطاس بالروميَّة العالم بالطب (كذا) نقلـهُ الصاغاني وعبيد بن نسطاس العامري البكائي الكوفي محدّث » . وذكر في الاغاني (٤ : ٤٢ و ٦ : ١٠٣) نسطاس مولى صفوان بن اميَّة وكذلك ذكر (٧ : ١٧٥) « ابا نسطوس والاخطل »

(— س ١٧ هرمز) ممَّن عُرف بهذا الاسم النصرانيّ رجلان من الصحابة هرمز القبطيّ (اسد الغـابة لابن الاثير ١ : ٤١) كان مولى لنبيّ المسلمين توفّي سنـة ٤٠

للهجرة . ثمَّ هرمز الفارسيّ (٥٨٥) . ومثلها هرماس وهو ابو جدير هرماس بن زياد الباهليّ (٥ : ٥٧)

(ص ٢٤٨ س ٩ جابر بن شمعون) كان اسقفاً على الحيرة وهو من أُسرة أوس بن قلّام الذي كان حاكمًا على تلك المدينة

(— س ١٢ الحارث) ومن النصارى المعروفين بهذا الاسم «الحارث بن عبدالملك ابن ربيعة ذو الرمحين المخزوميّ القرشي وكان اسمهُ بُجَيْرًا فلمّا اسلم سمّاهُ رسول الاسلام عبدالله . وكانت أمّهُ نصرانيّة وهي ابنة ابرهة الحبشيّ ماتت على نصرانيّتها والصليب في رقبتها فجنّزها اهل دينها (راجع تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٤٤٨)

(ص ٢٥٠ س ١٠) لا بأس من اضافة اسم «سِنان» كأحد اعلام نصارى العرب وقد عُرف به الشهيد القديس سنان رفيق القديس عَبْدون في استشهادهِ على عهد يوليانوس الجاحد

(ص ٢٥١ س ٨ محمّد) وكما دُعي بعض النصارى في الجاهلية باسم محمّد كذلك تسمَّوا باحمد والدليل عليهِ ابيات رواها ابو تمّام في الحماسة لوضّاح بن اسماعيل بن عبد كلال بن داود بن ابي احمد يخاطب بها الحجّاج . فعبد كلال وداود اسمان نصرانيّان فلا شكّ انَّ اسم احمد نصرانيّ ايضاً

(— س ٢٢ اوريشلم) روى في اللسان (١٥ : ٢١٨) لابن خالويه «انهُ جاء لبيت المقدس عدَّة اسماء منها شَلم وشَلَم وشَلِم وشَلَّم وأُورِيشَلم (بيت الاعشى) ويقال ايليا وبيت المقدس وبيت المِكياش وبيت الضرب وصلمون (كذا)»

(ص ٢٥٢ س ١١ و ١٣ فلسطين) ذكر في التاج (٥ : ١٩٩) لعدي بن الرقاع قولهُ :

فكأني من ذكرهمْ خالطتْني   من فلسطين جَلْسُ خمرٍ عُقارُ

(ص ٢٥٣ س ٥ صهيون) قال في التاج (١٠ : ٢١٧) : «صهيون يراد بها الروم» ونسب هذا القول الى ياقوت . والصواب ان ياقوت روى ذلك عن ابي عمرو واصلحهُ بقولهِ «قلتُ هو موضع معروف بالبَيْت المقدس محلّة فيها كنيسة صهيون» (معجم البلدان ٣ : ٤٣٨)

(— ١٣ بيت المقدس) ومما ورد في بيت المقدس قول المعلّى بن المطرّف

(الاغاني ٤ ٣٥٤) :

يا صاحِ اني قد حججتُ م وزرتُ بيت المَقْـدِسِ

ومن الامكنة التي في لفظها اشارة نصرانيَّة «أُسقُف» قال ياقوت (١ : ٢٥٢) هو موضع بالبادية كان بهِ يوم من أيامهم وانشد لعنترة :

فان يكُ عزٌّ في قُضاعة ثابتٌ فانَّ لنا في رَحْرَحانَ وأسقُفِ

فلا يبعد ان يكون اسم هذا المكان مستعار من اسم احد اساقفة العرب النصارى

(ص ٢٥٤ س ٢٠–٢١ قول عدي بن زيد) هذه الابيات وما يُلحَق بها في الصفحة ٢٥٧ ينسبها البعض الى اميَّة بن ابي الصلت. تجدها مع بعض روايات مختلفة في خطط المقريزي طبعة بولاق (١ : ٢٢) وفي الطبعة الجديدة (١ : ٣٤)

(ص ٢٥٥ س ٢٢ . . ما تُقَلّا) والصواب «ثُقَلّا» . قال ابن السكيت في شرحها في اصلاح المنطق (ص ٤١) : يقال ثقَلْتُ الشيء اذا رفعتَهُ ويقال: إثْقَلْ هذا الشيء اي زِنْهُ وانظرْ ما فيهِ والشيء مَثقول ومنهُ المِثقال

(ص ٢٦١ س ١٠ الطوفان) وقد ذكرهُ ايضاً أُميَّة بن ابي الصلت (لسان العرب ١٠ : ٤٥) حيث يذكر الخالق وملكوتهُ :

ويُنفِد الطوفانَ نحنُ فداؤهُ واقتادَ شَرْجَعَهُ بداحٌ بَديدُ

قال شمّر في شرحهِ اي هو الباقي ونحن الهالكون واقتادَ اي وسّع . وشرجعهُ سريرُهُ . وبداحٌ بديد اي واسع

(ص ٢٦٣ س ١٠ الى الجوديّ . . .) الجوديّ جبلٌ في الجزيرة . وقال اللسان في «تالكَ» انها مثنَّى «تلك» كتانِك . امَّا تاج العروس ١٠ : ٤٣٣) فيزعم انها لغةٌ في تلك من اقبح اللغات

(— س ١٩ . . واذ صمُّ الصِلابِ لهم رِطابُ) قال المقريزي في الخطط (١ : ١٦٠) : «ذكر غير واحد انَّ الصخور في القديم من الدهر كانت تلين فعُمل منها اعمدة ناعط ومأرب وبينون ومآثر اليمن واعمدة دمشق ومصر ومدين وتدمر وان كل شيء كان يتكلَّم» (كذا)

(ص ٢٦٤ س ١٢ حمامة نوح) ورد في تاريخ العصاميّ من مخطوطات مكتبتنا (ff. 23ᵛ) ابيات اخرى في هذه الحمامة لم يذكر اسم قائلها :

فأرسلها نبيُّ الله نوحٌ لتنظرَ هل عفا ربُّ السماء
فآبت وهي قد صُبغت بماء وفي اعناقها طينُ البَراء
وفي منقارها ورقٌ قليلٌ اقامَتْهُ على صِدْقِ الوفاء
فأكرمها رسولُ الله نوحٌ واكثرَ في المقامة بالدعاء
وطوَّقها وسروَّلها أداءً تعالى ربُّنا ذو الكبرياء
فكُنْ لله خالقنا مطيعاً فجنَّةُ ربّنا للأتقياء

(ص٢٦٥ س ١٠ يرفع بالقار) روى في التاج (٨ : ٤١٠) : يُرفع بالنار

(— س١١ طول عمر نوح) روى في الاغاني (١٥ : ٦٨) لبعضهم :

تَعِش عُمْرَ نوحٍ في سرورٍ وغبطةٍ وفي خفض عيشٍ ليس في طولهِ اثمُ

(ص٢٦٦ س٦ نحن آل الله في كعبتهِ) رواهُ الازرقي في تاريخ مكّة (ص٩٦) : نحن اهل الله في بلدتهِ

(— س١٣ اسحاق الذبيح) من غرائب مرويّات ابن عبّاس ما نقلهُ عنهُ الازرقي في تاريخ مكة (ص ٤٠١) قال : « انَّ الصخرة التي باصل جبل ثبير هي الصخرة التي ذبح ابراهيمُ عم عليها فداءَ ابنهِ اسحاق فهبط عليهِ من ثبير كبش أعين أقرن لهُ ثُغاء فذبحهُ (قال) هو الكبش الذي قرّبهُ ابن آدم (هابيل) عم فتقبّل منهُ كان مخزوناً حتى فُدي بهِ اسحاق(كذا) ! . وكان ابن آدم الآخر (قاين) قرّب حرثاً فلم يتقبّل منهُ »

وقد جاء لجرير في نقائضهِ ذكر ابرهيم واولادهِ وبعض الانبياء . وكانت تميم ومنها يربوع قبيلة جرير نصرانيَّة قبل الاسلام قال (نقائض ٩٩٤–٩٩٥) :

ابونا خليلُ الله واللهُ ربُّنا رَضينا بما أعطى المليكُ وقدَّرا
بنى قِبْلةَ الله التي يُهتَدَى بها فأورَثَنا عزًّا وملكاً مُعمَّرا
ابونا ابو اسحاقَ يجمع بيننا ابٌ كان مَهديًّا نبيًّا مطهَّرا
فيجمعُنا والغُرَّ ابناءَ سارةٍ ابٌ لا نُبالي بعدَهُ من تعذَّرا
ومنَّا سليمانُ النبيُّ الذي دعا فأُعطيَ تبياناً وملكاً مسخَّرا
ويعقوبُ منَّا زادَهُ اللهُ حكمةً وكانَ ابنُ يعقوبٍ نبيًّا مصدَّرا
وعيسى وموسى والذي خرّ ساجدًا فنبّتَ زرعاً دمعُ عينيهِ أخضرا

(ص ٢٦٩ س ١٦ يوسف الحسن) وفي شعر جرير ذكرُ يوسف واخوتهِ :

كونوا كيوسفَ لمَّا جاءَ اخوتهُ فاستَسلموا قال ما في اليوم تثريبُ

(ص ٢٦٩ س ٢١ موسى) وقد ضربوا المثل في عصا موسى المتحوّلة حيّة قال الشاعر :

اذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطَلَ السحرُ والساحرُ

وذُكر للاخطل في نقائضهِ (ص ٣٣ و٣٦٧) :

فقد عضّتْ للتغلبيّينَ حيّةٌ كحيّة موسى يوم أُيّد بالنصر

ومن قوم موسى قورحُ الذي عصى على موسى مع داثان وابيرون فخُسفت بهم الارض (سفر العدد ١٦ : ٢٤) والعرب يدعونهُ قارون ويضربون المثل في غناه وكنوزهِ

(ص ٢٧٦ س ١ كتاب البدء ١ :٧٣) اصلح «١ :٧٦»

(ص ٢٧٧ س ٢٢ نسبوهُ الى امّه مريم) ومثلهُ قول جرير (نقائض٨٣) :

لقد وجدَتْ بالقَيْنِ خورُ مجاشعٍ كوَجْد النصارى بالمسيح بن مريما

(ص ٢٧٨ س ٣-٤ ما من مولود الّا يمسّهُ الشيطان . . . الّا مريم وابنها) شرحهُ الزمخشري في الكشّاف في سورة آل عمران قال«ومعناهُ انّ كل مولود يطمع الشيطان في اغوائهِ الّا مريم وابنها كانا معصومَين »

(— س ١٧-٢٢ يوحنّا المعمدان والسيّد المسيح) روى الازرقيّ في اخبار مكّة (ص ٨٢) لحسّان بن ثابت قولهُ :

شهدتُ بإذن الله انّ محمّدًا رسولُ الله فوق السماوات من عَلُ
وانّ ابا يحيى ويحيى كليهما لهُ عملٌ في دينهِ متقبَّلُ
وانّ الذي عادى اليهودَ ابن مريمٍ رسولٌ اتى من عند ذي العرش مرسَلُ

(ص ٣٠٢ س ٢٢ . . . لبيد) تنظر ابيات لبيد الواردة هنا الى آية رسالة بولس الى اهل رومية (٩ :١٨) : الله يرحمُ من يشاء ويقسّي من يشاء

(ص ٣١٤ س٢٢ بالدينونة التي بها تدينون تُدانون) ذكر الشنتمري في شرح بيوت الايضاح (ص ٣٦ من نسخة مكتبتنا الخطّيّة) لبعض الكلابيين ابياتًا يخاطب فيها ملكًا ظالمًا :

يا أيّها الملكُ المخوفُ اما ترى ليلًا وصُبحًا كيف يعتقبانْ
هل تستطيعُ الشمسُ ان تأتي بها ليلًا وهل لكَ بالمليكِ يدانْ

إعلمْ وأيقِنْ انّ ملكك زائلٌ واعلم بأنّ كما تدينُ تُدانُ

(ص ٣١٩ س ٣–٤ اقرعوا يُفتح لكم) جاء في احياء علوم الدين للغزالي (٣: ٨١) عن عائشة أنها قالت سمعتُ رسول الله صلعم يقول: «أديموا قرعَ باب الجنّة يُفتح لكم» ؟

(– س ٨ صلّوا هكذا: ابانا الذي في السماوات الخ) روى الشعراني في كشف الغمّة عن جمع الأمّة (ص ٢: ٤٠٢) «انّ الله اوحى لموسى هذه الآية كما روى كتاب الاحبار: اللهمّ لا تُولج الشيطان في قلوبنا وخلّصنا منهُ ومن كل شرّ من اجل انّ لك الملكوت والابد والسلطان والملك والحمد والارض والسماء ابدًا ابدًا»
(Cfr. Goldziehег : *Cosmos Christianus*, *II*, 300)

(ص ٣٢٠ س ١٣ اكنزوا لكم كنوزًا في السماء) جاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري في مادّة «سوس» (٢: ٤٢): «روى البيهقي في شُعبه عن ابن مسعود رضَ انهُ قال «من استطاع منكم ان يجعل كنزهُ في السماء حيث لا ينالهُ اللصوص ولا يأكلهُ السوس فليفعل فانّ قلب كلّ امرئٍ عند كنزهِ» (راجع متى ٦: ١٩–٢١)

ومن الحديث المنقول عن الانجيل (متى ٤: ٥–٧) ما رواهُ ابو هُريرة واثبتهُ ابو الفرج في الاغاني (١٧: ٢٨) قولهُ: «جاء الشيطان الى عيسى قال: الستَ تزعم انك صادق. قال: بلى. قال: فأوفِ على هذه الشاهقة فألقِ نفسك منها. فقال: ويلك ألم يقل الله: يا ابنَ آدم لا تبلُني بهلاكك فاني افعلُ ما اشاء».

(ص ٣٢٥ س ١ رؤيا يوحنّا) وقد اقتبس ابن الروميّ من هذا السِفر (٢: ١٦) قولهُ يهجو ابن (طيفور العُمدة ص ٧٥):

عدمتُك يا ابنَ ابي الطاهرِ وأُطعِمتُ ثُكلَك من شاعرِ
فما انتَ سخنٌ ولا باردٌ وما بين ذَين سوى الفاترِ
وانت كذاك تَثني النفو سَ غَثيةِ الفاترِ الخاثرِ

(ص ٣٤٨ س ١٥ الوليد بن الملك) والصواب «الوليد بن عبد الملك»

(ص ٣٥١ س ١ الهندسة المدنيّة). انّ كثيرًا من الاختراعات المدنيّة التي زعم البعض انّ المسلمين سبقوا الى اختراعها قد اثبت اليوم العارفون من المستشرقين

انهم اخذوها عن الروم والاقباط وغيرهم كالقوس المنطر والطراز القوطي . ومما نضيفهُ هنا الى ما اوردناهُ من الشواهد السابقة ما اخبره البلاذري في فتح البلدان (ص٥٤) «انّ الخليفة عبد الملك ارسل الى مكّة رجلاً نصرانياً ليتلافى اضرار السيل فعمل ضفائر الدور الشارعة على الوادي وضفائر المسجد وعمل الردم على افواه السكك لتحصّن دورُ الناس» . ومما ورد في تاريخ الشيخ ابي صالح الارمني (ص ٦٢) «ان يوحنّا الراهب هندَسَ سور القاهرة وابوابها في الخلافة المستنصريّة ووزارة امير الجيوش بدر»

(ص ٣٥٨ س ١١ الموسيقى) اقدم ما يُذكر عن الغناء بين العرب ما كتبهُ المؤرخ سوزمان عن بني غسّان النصارى في القرن الرابع للمسيح (Sozomène, *HE*, VI, 8383) حيث قال انّ الغسّانيين كانوا يتغنّون بحوادث قومهم وبحروبهم مع الرومان في عهد ملكتهم النصرانيّة ماويّة وهذا «Hæc gesta multi ex earum regionum incolis, etiamnum commemorant et apud Sarracenos vulgo cantibus celebrantur»

ولا شكّ انّ العرب اخذوا الغناء من الامم المجاورة لهم كالنبط والروم والفرس (اطلب مروج الذهب للمسعودي ٨ : ٩١) . ولابن خلدون في مقدّمته فصل حسن في صناعة الغناء وفي تأثير الامم في غناء العرب ومما قال :

« ان المغنّين من الفرس والروم وقعوا الى الحجاز وصاروا موالي للعرب وغنّوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف وسمع العرب تلحينهم الاصوات فلحّنوا عليها اشعارهم وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطُوَيس وسائب خاثر مولى عبدالله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحّنوه واجادوا فيه وطار لهم ذكر ثمّ اخذ عنهم معبد وطبقتهُ وابن سُرَيج وانظارهُ وما زالت صناعة الغناء تتدرّج الى ان كملت ايّام بني العبّاس »

وقد عيّن ابن عبد ربهِ في العقد (٣ : ٢٣٧) الامكنة التي شاع فيها الغناء قال :

« انّما كان اصل الغناء في امّهات القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشياً وهي المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع اسواق العرب »

(ص ٣٦٦ س ١٧ من مشاهير الاطبّاء . . . .) نضيف الى هؤلاء اطبّاء العرب ما رواهُ صاحب نقائض جرير والاخطل (ص٢٣٠) «انّ في يوم ماكسين قُتل رجلان تغلبيّان من بني الطبيب يقال لهما الآسيان يدعى احدهما الاحمر »

(ص ٣٧٠ س ٢٢ اوس بن جحر) اصلح «ابن حَجَر»

(ص ٣٧٦ س ١٧ الدروع) جاء في المفضّليّات (ص٦١٣) انَّ قبيلة حطمة من محارب كانت شهيرة بعمل الدروع

(ص ٣٩٨ س ٢ ابن حفاف) والصواب «خفاف» بالخاء

(— س ١٦ الاغاني ٢: ٧٢) اصلح: «١٢: ٧٢»

(— س١٩ النذور) ومما ورد عن نذور العرب في الجاهليّة قول اميّة بن الاشكر (حماسة البحتري العدد ٥٢٠):

وكم من أسيرٍ من قريشَ وغيرها تَدارَكَهُ من سَعْيِنا نذر ناذرِ

وقال عبد قيس بن خفاف البرجمي (المفضّليّات ٧٥٠):

اللهَ فاتّقِ وأوفِ بنذرهِ واذا حلفتَ مُمارياً فتحلّلِ

(ص ٤٠٦ س ٢ عمر بن عبد الحقّ) أصلح: «عمرو»

(— س ١١ حاجب يزيد بن المهلّب) اسمهُ حاجب بن ذبيان المازني (الاغاني ١٣: ٥٠)

(— س ١٤ آل حوران غير المختتنين) ومثلهم النبط لم يختتنوا قال في اللسان (٧: ٦٣):

كأنَّ على أكتافِهم نَشْرُ غرقدٍ وقد جاوزوا نيّان كالنَّبط الغُلْف

وقد ذكر ابو علي القالي في اماليه (٣: ٤٦) انَّ بني اياد «استقلّوا بعشرين الف غلام أغرَل»

ومما لا يُنكر انَّ النصرانيّة كانت نفذت نفوذًا عظيماً في بادية الشام وبلاد النبيط وحاضرتهم صُلَع (Petra) لنا على ذلك شاهد عياني يرقى عهدهُ الى القسم الاوّل من القرن الرابع للميلاد ألا وهو اوسابيوس اسقف قيصريّة الملقّب بابي التاريخ الكنسيّ فانهُ في شرحهِ على آية اشعيا (٤٢: ١١): «لِتُشِدِ البرّيّة ومُدُنها ... وسكان الصخرة» قال: «انّنا قد شهدنا تحقيق هذه النبوّة اذ قد تشيّدت كنائس المسيح في عهدنا في عاصمة مدينة الصخرة اي صُلَع وفي ضواحيها بل في بوادي العرب الشرقيين»

(Eusebius in Isaiam XLII 11 : *Lætabuntur qui habitant Petram*) : «Cujus sermonis veritatem mox ipse eventus comprobavit, cum in ipa Petrensium civitate, et in agro ejus necnon in solitudinibus Sarracenorum Christi Ecclesiæ nostro tempore fundatæ sunt (*Migne* : PG., XXIV, col. 319) — Cujus rei testes ac spectatores sunt quotquot in Arabum regionibus peregrinantur.

(ص ٤٢٤ س ٢١ الافوه الاودي) وقد سبق(ص ٢٦٥–٢٦٦)ذكرهُ لابناء نوح سام وحام ويافث ما يدلُّ على معرفتهِ بالاسفار المقدَّسة

(ص ٤٣٥ س ١٥ حاتم الطائي) وممَّا ينبئ بنصرانيَّته صفحهُ عن اعدائه وذلك «محافظةً على دينهِ» قال :

سمعتُ بعيبهِ فصفحتُ عنهُ محافظةً على حَسَبي وديني

(ص ٤٤١ س٢ ابنتهُ رُهيمة) يريد ابنة عبد المسيح بن دارس

(ص ٤٤٤ س ١ بغداد) اختلفوا في اسمها المشتق من الفارسيَّة القديمة فمنهم من فسَّرها بجنَّة الاله ومنهم بعطيَّة الله . فلمَّا بناها ابو جعفر المنصور دعاها مدينة السلام وعُرفت ايضاً باسمهِ مدينة المنصور . وفي معجم البلدان لياقوت (١ : ٦٨١–٦٨٢) انَّ راهباً دلَّ الخليفة المنصور على موقعها فاستحسنهُ وبنى فيهِ المدينة

(ص ٤٦١ س ١٩ الصفيَّة بن الحارث) والصواب الصفيَّة بنت الحارث بن حرب

(ص ٤٦٣ س ١٨ في صحائف مصحح) أُصلح «مُنْصِح» وفي الاصل «مُصْحَ» وهو تصحيف

(ص ٤٦٧ س ١ ابن خطاف) والصواب «ابن خفاف»

(ص ٤٧٤ س ٢٥ احد شهداء النصارى) زيد بهِ القديس عبدون الذي استشهد في رومية مع رفيقهِ القديس سنان امر بقتلهما يوليانوس الجاحد وكانا أُرسلا سفيرين من قبل ملك العجم كسرى

فهرس اوَّل

لكتاب النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

المقدمة

الصفحة

القسم الاوَّل

في تاريخ النصرانية وقبائلها في عهد الجاهلية

القسم الثاني

في الآداب النصرانية في عهد الجاهلية

فهرس ثانٍ

لاعلام الرجال والنساء والقبائل الواردة في الكتاب

فهرس ثالث

للبلدان والامكنة الوارد ذكرها في الكتاب

فهرس رابع

للمفردات اللغويّة عند نصارى العرب

فهرس خامس

في اديان العرب في عهد الجاهليَّة

فهرس سادس

لموادّ الكتاب على حروف المعجم

جدول

لأخصّ الكتب الطبعيّة والخطّيّة المعتمَد عليها

١ الكتب العربيّة

الآثار الباقية من القرون الخالية لابي الريحان البيرونيّ (1878 Leipzig)
آثار البلاد واخبار العباد للقزويني (1848 Goettingen)
الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (مصر ١٢٨٧)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدّسيّ البشّاري (1908 Leiden)
احياء علوم الدين للغزالي (مصر ١٢٨٩)
الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري (1888 Leiden)
اخبار فطاركة كرسي المشرق لسليمان بن ماري (1899 Rome)
اخبار مكّة لابي الوليد الازرقي (1858 Leipzig)
اساس البلاغة للزمخشري (مصر ١٢٩٩)
اسد الغابة في معرفة الصحابة لعزّ الدين ابي الحسن ابن الاثير (مصر ١٢٨٥)
الاشتقاق لابن دريد (1854 Goettingen)
الاضداد لابي بكر الانباري (1881 Leiden)
الاعلاق النفيسة لابن رسته (1891 Leiden)
الاغاني لابي الفرج الاصبهاني (بولاق مصر ١٢٨٥ الجزء ٢١ 1888 Leiden)
امثال العرب للميداني (مصر ١٢٨٤)

البدء والتاريخ للمقدسي (1899-1919, Paris)
بلوغ الادب في احوال العرب لشكري افندي الالوسي (بغداد ١٣١٤-١٣١٨)
تاج العروس للزبيدي (مصر ١٣٠٧)
تاريخ ابي الفداء (الاستانة ١٢٨٥)
تاريخ بطاركة الاسكندريّة لساويروس بن المقفّع (خطّ)
تاريخ الجزيرة لابن شدّاد (خطّ)
تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي (1903 Leipzig)
تاريخ حمزة الاصفهاني(1844 Leipsig)
تاريخ سعيد بن بطريق (بيروت ١٩٠٦)
تاريخ الشيخ ابي صالح الارمنيّ (1895 Oxford)
تاريخ الطبري (1879-1901 Leipzig)
تاريخ العبر لابن خلدون (مصر ١٢٨٤)
تاريخ الكامل لابي الحسن علي بن الاثير (مصر ١٢٩٠)
تاريخ مختصر الدول لابن العبري (بيروت ١٨٩٠)
تاريخ نسطوري قديم (خطّ)
تاريخ اليعقوبي(1883 Leiden)
تذكرة ابن حمدون (خطّ)
تقويم البلدان لابي الفداء (1840 Paris)
التنبيه والاشراف للمسعودي (1893 Leiden)
تهذيب الالفاظ لابن السكّيت (بيروت ١٨٩٥)
الجامع الصغير للسيوطيّ (خطّ. وطبعة مصر ١٣٣٠)
جمهرة اشعار العرب للقرشي (خطّ. وطبعة مصر ١٣٠٨)
حماسة ابي تمّام مع شرح التبريزي (1828 Bonnæ)
حماسة البحتري (بيروت ١٩١٠)
الحماسة البصريّة (خطّ)
حياة الحيوان للدميري (خط. وطبعة مصر ١٢٩٢)
الحيوان للجاحظ (خطّ. وطبعة مصر ١٣٢٤)
خزانة الادب للبغدادي (مصر ١٢٩٩)
الخطط والآثار للمقريزي (بولاق مصر ١٢٧٠)
ديوان الاخطل طبعة (بيروت ١٨٩١-١٩١٠)
ديوان امرئ القيس (1837 Paris)
ديوان اميّة بن ابي الصلت (مجموعتنا الشخصيّة ثم 1911 Leipzig)
ديوان جرير (نسخة خطيّة وطبعة مصر ١٣١٣)

ديوان حسَّان بن ثابت (1910 Leiden)
ديوان الحطيئة (الاستانة ١٣٠٨)
ديوان ذي الرمَّة (1919 Cambridge)
ديوان رؤبة (1903 Berlin)
ديوان سلامة بن جندل (بيروت ١٩١٠)
ديوان السموءل (بيروت طبعة ثانية ١٩٢٠
ديوان الشمَّاخ (مصر ١٣٢٧)
ديوان طرفة (1901 Paris)
ديوان العجَّاج (1896 Wien)
ديوان الفرزدق (1870 Paris)
ديوان لبيد (1880 Wien)
ديوان المتلمِّس (خط ثمَّ طبعة 1903 Leipzig)
ديوان النابغة الذبياني (1800 Paris)
سراج الملوك للطرطوشي (مصر ١٢٨٩)
السيرة الحلبيَّة (انسان الفنون) لعليّ الحلبيّ (مصر ١٢٩٢)
سيرة الرسول لابن هشام (1860 Goettingen)
شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة (مصر ١٢٩٠)
شرح مقامات الحريري للشريشي (مصر ١٢٨٢)
شعراء النصرانيَّة (بيروت ١٨٩٠-١٨٩٢)
الصحاح للجوهري (بولاق ١٢٩٢)
الصحيح البخاري (مصر ١٢٩٠ الاستانة ١٣١٥)
صحيح مسلم (الاستانة ١٣٣٤)
الطبقات الكبيرة لابن سعد (1905-1921 Leiden)
العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين (1870 London)
العقد الفريد لابن عبد ربه (خطّ وطبعة مصر ١٣٠٢)
العمدة لابن رشيق (خطّ وطبعة مصر ١٢٢٥)
عيون الاخبار لابن قتيبة (1900-1908 Berlin)
عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة. (مصر ١٢٩٩=١٨٨٢)
فتوح البلدان البلاذري (1866 Leiden)
فتوح الشام والمغازي للواقدي (1854-1856 Calcutta)
الفهرست لابن النديم (1872 Leipzig)
القرآن مع معجمهِ (1842, ed. Flügel, Lipsiæ)
قصص الانبياء (العرائس) للثعلبيّ (مصر ١٢٧٧)

الكامل للمبرّد (مصر ١٣٠٩ 1864 Leipzig)
الكتاب المقدّس . بيروت (١٨٧٦–١٨٨٢)
كشف الظنون للحاج خليفة (1835-1858 London)
لسان العرب لابن مكرّم (مصر ١٣٠٠)
اللطائف والمعارف للثعالبي (1867 Leiden)
المجدل لعمرو بن متى (1896 Rome)
مجموعة المعاني (الاستانة ١٣٠١)
المخصص لابن سيده (مصر ١٣١٦)
مروج الذهب للمسعودي (1861-1877 Paris)
المزهر للسيوطي (مصر ٢٨٢)
مسالك الممالك للاصطخري (1870 Leiden)
المسالك والممالك لابن حوقل (1870 Leiden)
المسالك والممالك لابن خرداذبه (1870 Leiden)
المستطرف من كلّ فنّ مستظرف للابشيهي. (مصر ١٢٨٥)
المعارف لابن قتيبة (مصر ١٣٠٠)
معجم البلدان لياقوت الحموي (1866-1873, Leipzig)
معجم ما استعجم للبكري (١٨٧٧ Goettingen)
المفضّليّات للمفضّل الضبّي مع شروح الانباري (C. Lyall بيروت ١٩٢٠)
الملل والنحل للشهرستاني (1842 London)
مقدّمة ابن خلدون (1858 Paris)
النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي للعصامي (خطّ)
نزهة المشتاق للادريسي — ذكر الشام (1885 Bonn)
نقائض جرير والاخطل (بيروت ١٩٢٢)
نقائض جرير والفرزدق (Leiden 1905-1912)
وفيات الاعيان لابن خلكان (1838 Paris . مصر ١٢٩٩)

الكتب الاوربية

BIBLIOGRAPHIE

Abbeloos : Greg. Barhebræi Chronicon Ecclesiasticum
— Acta S. Maris
Arnold (J. M.) : Islam, his History and Relations

ACTA SANCTORUM
Assemani : Bibliotheca Orientalis
Berger (Ph.) : L'Arabie avant l'Islam, d'après les Inscriptions
Bergmann : De Religione Arabum anteislamica
Blochet : Le Culte d'Aphrodite Anahita chez les Arabes du Paganisme.
Caetani (Princ. L.) : Annali dell'Islam
Carpentier (E. s. j.) : De SS. Aretha et Ruma Commentarius.
Caussin de Perceval : Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islam
Chauvin (V.) : Le jet de pierres au Pélerinage de la Mecque
Bedjan (P.) : Acta Martyrum et Sanctorum.
Bell (Miss G.) : Amurath to Amurath
Brünnow (R. E.) et **Domaszewski** : De Provincia Arabiæ
Budge (E. A. W.): Book of the Bee
Chabot (Abbé J-B.) : Synodes Nestoriens
Cheikho (L. s. j.) : Les Evêques du Sinaî
CORPUS INSCRIPTIONUM SEMITICARUM
Dalmann (Dr G.) : Petra u. seine Felsheiligtümer
DICTIONNAIRE D'ARCHÉOLOGIE et de Liturgie
Dozy (R.) : Essai sur l'Histoire de l'Islamisme
— Die Israeliten zu Mekka
Dussaud (R.) : Les Arabes avant l'Islam
— Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne.
Eusebius Cæsariensis : Historia Ecclesiastica
Evagrius : » »
Fraenkel : (S.) : Aram. Fremdwoerter in arabischen
Gamurrini (J. Fr.) : S. Silviæ Peregrinatio
Gayet : (Al.) : L'Art arabe.
Glaser (E.) : Geschichte u. Geographie Arabiens
— Die Abissinier in Arabien u. Afrika
Goeje (M. J. de) : Mémoires d'Histoire et de Géographie.
Goldziher (Ig.): Muhammedanische Studien
— Abhandl : z. arab. Philologie
Guidi (I.) : L'Arabie antéislamique
Josephus (Fl.) : Antiquitates hebraicæ

Journal Asiatique Français

Lagarde (P.) : Anlecta Syriaca

Lammens (H. s. j.) : Le Berçeau de l'Islam
— Etudes sur Mo'awiah
— Fâtima

Land (J. P.) : Anecdota Syriaca

Langlois (V.) : Numismatique des Arabes avant l'Islamisme

Lequien (M.) : Oriens Christianus

Mai (A.) : Spicilegium

Mansi : Collectio Conciliorum

Mémoires des Inscriptions et Belles-Lettres

Mélanges de la Faculté Orientale

Migne : Patrologie Grecque
» Patrologie Latine

Michel le Grand : Histoire (éd. Chabot).

Mingana : Sources syriaques.

Mordtmann : Himjar. Inschriften.

Musil (Al.): Arabia Petræa

Noeldeke (Th.) : Die ghassaniden Fürsten
— Neue Beitraege z. semit. Sprachwissenschaften

Rendiconti d. Reali Accademia dei Lincei

Revue de l'Histoire des Religions

Revue des Etudes Juives

Procopius : de bello Persico

Rothstein (G.) : Die Dynastie d. Laḫmiten in Arabia

Sacy (S. de) : Mémoire sur l'Hist. des Arabes avant Mahomet

Socrates et **Sozomenus**. Hist. ecclesiastica (Migne)

Syria : Expedition of the Princetum University

Theodoretus : Historia religiosa (Migne)

Theophanes : Hist. ecclesiastica (ib.)

Vogué (M. de) : Syrie Centrale

Waddington : Inscriptions de l'Arabie romaine

Wellhausen (J.) : Reste d'arab. Heidentum
— Skizze u. Vorarbeitung

Wetzer W. H. J.) : Macrizii Historia Coptorum

Wright : Early Christianity in Arabia

Zeitschrift d. morgenl. Gesellschaft (ZDMG)

انجزت المطبعة الكاثوليكية ش.م.ل.
عاريا ، لبنان
طباعة كتاب
«النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية»
في الخامس من شباط ١٩٨٩

٨٩ - ٢٠٠٠ - ٠٠٩٨٠٤

par des maîtres Grecs ou Syriens. On sait que le médecin de Mahomet était le chrétien nestorien Ḥariṯ ibn Kalada

Également les arts industriels, le tissage, la menuiserie, l'art naval, le monnayage sont exercés en Arabie par des chrétiens. L'enseignement était exclusivement leur œuvre.

Plus encore, les usages religieux (prières, jeûnes, aumônes, pélerinages) et les usages civils ont été calqués au début de l'Islam sur les usages chrétiens, avec quelques emprunts au Judaïsme.

On trouvera dans notre travail, pour confirmer toutes ces assertions, des témoignages recueillis soit dans les restes de la poésie et de la tradition antéislamiques, soit dans les auteurs les plus autorisés musulmans ou chrétiens.

Un dernier chapitre termine enfin ce fascicule : c'est le couronnement de tout l'ouvrage. Nous y traitons plus explicitement la question du Christianisme des Poètes arabes dont nous avons autrefois publié les Notices. La preuve de leur Christianisme se déduit tout d'abord de tout ce que nous avons publié, dans nos trois fascicules sur l'Histoire et la Littérature chrétienne en Arabie, de la diffusion de cette religion dans toutes les parties de la Péninsule, et surtout parmi les tribus auxquelles appartenaient ces Poètes. D'autre part, l'absence dans leurs poésies de toute trace d'idolâtrie, et la présence au contraire de croyances au Monothéisme et à la vie future, d'idées et d'allusions chrétiennes, d'images et de figures empruntées à l'histoire ecclésiastique, fournissent une autre preuve en faveur de cette thèse.

L'histoire même de l'art poétique chez les Arabes confirme cette théorie. Ce n'est guère qu'un siècle ou deux tout au plus avant Mahomet que la Poésie fait son apparition en Arabie. Ce sont des poètes de Tagleb, de Bakr et de Kindah qui l'inaugurent. Or, le Christianisme de ces tribus est hors de doute. Notre thèse semble donc bien appuyée.

Nous avons joint au présent fascicule plusieurs Tables pour faciliter toutes les recherches.

Beyrouth, 8 *Décembre* 1922

PREFACE

DE LA 2[e] PARTIE (DERNIER FASCICULE AVEC TABLES)

Avec le présent fascicule se termine notre travail sur le Christianisme en Arabie avant l'Islam, fruit de quelque 40 ans de recherches. Il complète les preuves nombreuses données dans les fascicules précédents de l'influence et de l'extension de la Religion chrétienne dans toutes les parties de l'Arabie.

En sept nouveaux chapitres très suggestifs, on y montre tout ce que doit aux Chrétiens l'Arabie préislamique. Ce n'est plus seulement l'art de l'écriture, tout un vocabulaire de mots religieux, des noms propres, des proverbes, des allusions aux événements de l'Ancien et du Nouveau Testament, comme on l'a vu dans le fascicule précédent. C'est toute une série de pensées chrétiennes, souvent puisées dans les Saintes Ecritures. Ce sont des centaines de traditions rapportées par Boḫārī et consorts et attribuées à Mahomet, copiées littéralement dans nos Livres Saints. C'est l'art oratoire inauguré en Arabie par des Chrétiens, voire même, par un évêque dont l'éloquence a passé en proverbe. La théologie et la philosophie chrétiennes elles-mêmes ne sont pas inconnues aux anciens Arabes.

Les trois chapitres (X-XII) démontrent que la civilisation arabe avant l'Islam est en grande partie tributaire du Christianisme. C'est grâce à lui, que l'Arabie antéislamique eut quelque connaissance des Beaux-Arts. L'Architecture, la Peinture, la Sculpture, la Musique, ont eu en Arabie, de l'aveu même des plus anciens auteurs musulmans, des origines chrétiennes. La fameuse église de San'aa au Yémen, avec ses peintures merveilleuses et ses mosaïques, celle de Naǧrān, la Ka'ba de la Mecque elle-même restaurée par un Architecte chrétien en sont autant de preuves, sans parler des premières Mosquées musulmanes, celle des Omeyiades à Damas, celle du Prophète à Médine, celle d'Omar à Jérusalem et de 'Amrou au Caire, toutes bâties ou restaurées par des Chrétiens.

Les autres sciences, notamment la Médecine, l'Astronomie, la Botanique, la Jurisprudence, pénètrent aussi en Arabie parmi les classes plus distinguées, par l'intermédiaire d'arabes chrétiens formés

sociale qui éclata quelque temps après dans la métropole du Héjâz n'étaient venues arrêter ce mouvement et lui donner une direction toute différente.

Mais avant de devenir une langue mahométane, avant de servir de véhicule aux idées islamiques, l'arabe a été une langue chrétienne. C'est le résultat de nos recherches. Des Orientalistes comme de Sacy et Wellhausen en avaient déjà fait la remarque; notre travail ne laissera plus de doute à ce sujet.

L'écriture arabe plus encore que le langage est un bienfait du Christianisme. Les deux Inscriptions chrétiennes de Zebed (512 J. C) et de Harran (568) le prouveraient amplement, à défaut de la tradition constante qui attribue les origines de l'écriture arabe à des chrétiens. Notre premier chapitre est consacré à ce sujet.

Ce 1er fascicule sera suivi d'un second, qui montrera, à l'aide d'anciens documents, l'influence prépondérante du Christianisme sur les diverses branches de la Littérature arabe préislamique (genre oratoire, genre lyrique), sur les Sciences (astronomie, médecine), sur les Beaux-Arts (peinture, sculpture, architecture religieuse et civile, musique), sur le commerce et les diverses industries (céramique, mosaïque, tissage, fabrication d'armes, constructions navales, monnayage).

Nous terminerons par un chapitre où nous donnerons nos preuves pour le Christianisme d'un grand nombre de poètes arabes antérieurs à l'Islam, dont nous avons précédemment publié les poésies.

Beyrouth. 19 Mars 1919.

PRÉFACE

DE LA 2de PARTIE (1er FASCICULE).

Ce 1er fascicule de la seconde partie de notre travail sur le Christianisme en Arabie avant l'Islam était terminé avant la guerre; il allait paraître, quand le gouvernement turc allié aux Puissances Centrales en Novembre 1914 s'empara de notre Imprimerie et la saccagea complètement. A notre rentrée nous avons heureusement retrouvé ce fascicule encore au brochage. Nous nous hâtons de le livrer au public.

Il comprend, comme on le voit, des extraits d'auteurs surtout de poètes préislamiques, dont nous avons compulsé les fragments que des philologues musulmans recueillirent dans le désert au 2d et au 3e siècle de l'Hégire. Ces fragments encore épars contiennent un nombre considérable de termes, de noms propres, d'allusions, d'idées, de récits, de proverbes entièrement chrétiens, tirés de sources chrétiennes, de l'Ancien et du Nouveau Testament, de l'Histoire, de la Liturgie et des monuments ecclésiastiques. Nous avons repassé pour les extraire tous les ouvrages imprimés ou manuscrits de notre Bibliothèque Orientale, puis nous les avons groupés en différents chapitres, dont l'ensemble forme un magnifique témoignage en faveur de la thèse que nous soutenons, que c'est au Christianisme que l'Arabie préislamique a dû cette renaissance littéraire et cette civilisation avancée qu'elle a connues un siècle avant l'apparition de l'Islam. Cette civilisation devait aboutir à transformer la Péninsule, à la féconder, à lui imprimer un grand mouvement de progrès moral, si les hérésies qui désolèrent alors cette partie du monde, si la révolution

plus généraux comprennent sans distinction les Arabes nomades ou sédentaires ; d'autres spécifient telle ou telle région de l'Arabie, tel ou tel royaume, tribu ou clan.

Des monuments épigraphiques sont venus, ces dernières années, s'ajouter à des publications de premier ordre, pour corroborer ces témoignages historiques et fixer l'attention des savants sur un problème trop négligé jusqu'ici.

Sans doute, le Christianisme des Arabes a subi, plus qu'ailleurs, l'influence des sectes hérétiques qui pullulaient dans toute la Péninsule, grâce à la liberté sans frein dont elles jouissaient loin de tout contrôle ; mais il est certain aussi que cette religion y a joué un rôle considérable ; qu'elle a eu des gloires comparables à celles des autres chrétientés d'Orient, quoiqu'il lui ait manqué un écrivain attitré pour les conserver à la postérité. En tout cas, on doit affirmer avec des Orientalistes bien informés, comme Wellhausen, que le Prophète de l'Islam n'aurait jamais implanté son Monothéisme, s'il n'avait trouvé le terrain préparé par le Christianisme et le Judaïsme.

A la suite de la partie historique dont nous parlons, nous avons donné une longue liste de tribus arabes dont le Christianisme est attesté par des preuves authentiques. Elles sont une cinquantaine : nous les avons énumérées par ordre alphabétique.

Dans la seconde partie de notre travail, nous nous proposons de traiter un sujet encore plus neuf : la Littérature chrétienne préislamique.

Beyrouth, 2 Novembre 1912.

PRÉFACE

Il y a 25 ans, paraissaient à notre Imprimerie Catholique les six premiers fascicules de notre ouvrage « Les Poètes arabes chrétiens ». Ce travail, rédigé à la hâte au moment où des occupations plus pressantes devaient détourner ailleurs notre attention, resta inachevé. L'ouvrage devait être précédé d'une longue Introduction sur le Christianisme en Arabie et sur l'influence qu'il a exercée sur la Littérature préislamique. Tout fut remis à plus tard.

Ce n'est que l'année dernière que nous avons pu donner suite en partie à notre projet dans une série d'articles parus dans notre revue *Al-Machriq*. C'est ce travail, tiré à part et complété, que nous offrons au public. Il comprend la première partie de notre thèse, c'est-à-dire l'histoire du Christianisme en Arabie et dans chacune des provinces qui composent la Péninsule, durant les six premiers siècles de l'ère chrétienne, en commençant par une vue générale sur le paganisme des anciens Arabes.

En dix chapitres assez étendus, nous donnons tous les témoignages, qu'on trouve éparpillés dans une multitude d'auteurs grecs, latins, syriaques et surtout arabes, sur l'extension du Christianisme en Arabie. Ce recueil est le fruit de longues lectures d'ouvrages spéciaux, imprimés ou manuscrits, que nous avons compulsés dans les grandes bibliothèques d'Europe ou d'Orient. On verra que notre thèse est bien appuyée et que la religion chrétienne — orthodoxe ou non, ce n'est pas le lieu de l'examiner — était connue et pratiquée, même dans les parties reculées de l'Arabie. Ces témoignages sont explicites et s'échelonnent, presque sans interruption, durant les siècles qui précèdent l'Islam ; les uns

LE CHRISTIANISME

ET LA LITTÉRATURE CHRÉTIENNE

EN ARABIE AVANT L'ISLAM

PAR

LE P. L. CHEIKHO S. J.



1ère édition
Imprimerie Catholique 1912-1923

2ème édition
Dar el-Machreq 1989



DAR EL-MACHREQ SARL
Beyrouth

مؤل
لوي

منشورات :
دار المشرق ش م م
ص.ب: ٩٤٦ - بيروت ، لبنان

التوزيع :
المكتبة الشرقية - ساحة النجمة
ص.ب: ١٩٨٦ - بيروت . لبنان